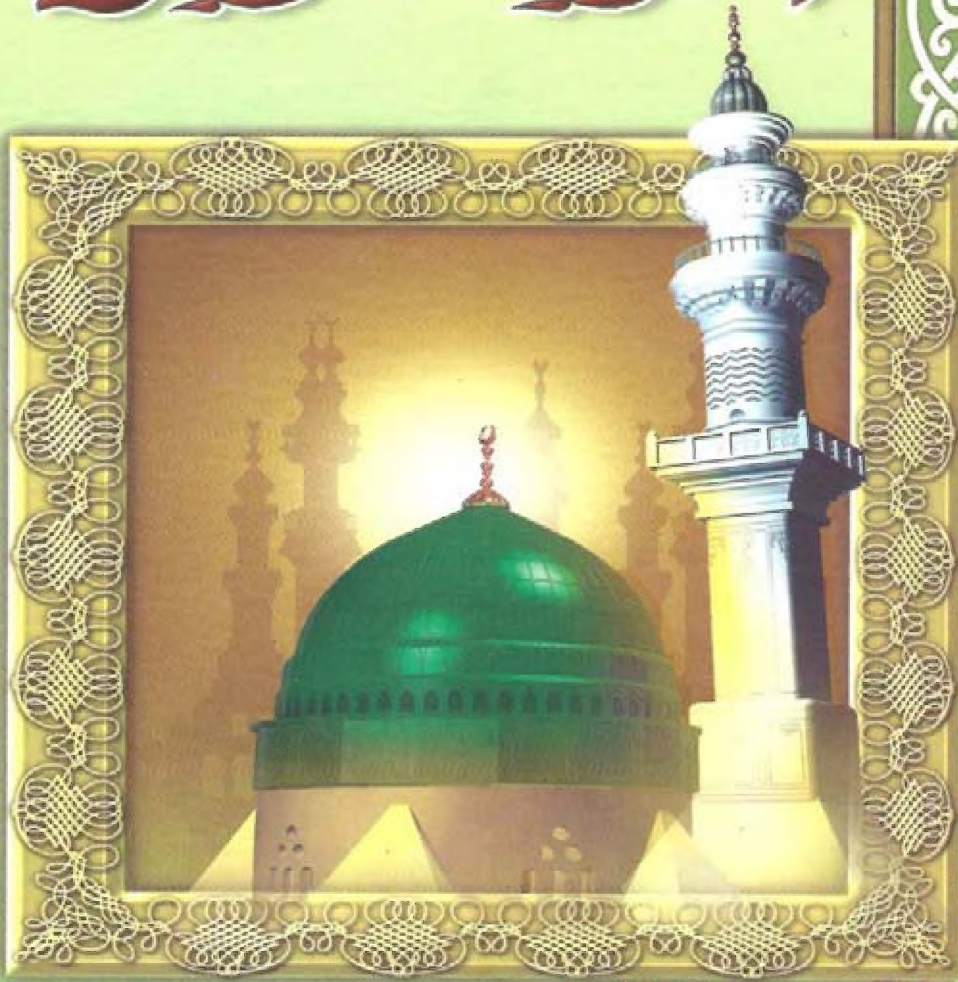


رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

سيرة الرسول ﷺ



تصویر: محمد بن عبد الله

جمع وترتيب

الشيخ
محمد بن المنصور
أبو عمار
مكتبة الصف

رَفَعَ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَخْفَرِيُّ
أَمِيرُ الْإِسْلَامِ الْإِمَامُ الْإِسْلَامِيُّ
سِيرَةُ الرَّسُولِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

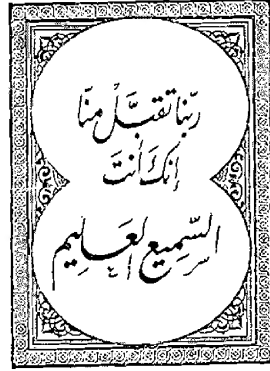
مَجْمُوعٌ وَتَرْجُومَةٌ
مَجْمُودُ الْمِصْرِيِّ
أَبُو عَمَّارٍ

مَكْتَبَةُ الصَّفَا

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



حقوق الطبع محفوظة
للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

رقم الإيداع: ٢٠٩٤٤/٢٠٠٥

مكتبة الصفا

١٢٧ ميدان الأزهر، القاهرة ت: ٥١٤٧٣٢٠

١ در باب الأثر، خلف الجامع الأزهر ت: ٥١٤٧٩٧٤/٥١٤٣١١١٤

(١) رواه أحمد وأحمد والترمذي والضياء عن أبي سعيد وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥٤١).

إلى فضيلة الدكتور/ سيد حسين العفاني:

جزاكم الله عني وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء فأنا لا أنسى أبداً فضل واحد منكم ولو كان مجرد كلمة تشجيع أو بسملة عند اللقاء أو دعوة بظهر الغيب أو نصيحة غالية.

• إلى الأخ الحبيب الأستاذ/ طارق الشوريجي:

إن الأخوة الصادقة عملة نادرة في هذا الزمان.. فما أجمل أن تلتقي القلوب المؤمنة على المحبة الصادقة في الله (جل وعلا).

فأسأل الله أن يجمعني وإياك مع المتحابين (في الله) في ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله.

• إلى الأخوين الكريمين الحبيبين/ أشرف أبو طالب وأحمد البحيري..
حفظهما الله:

جزاكم الله عني وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وأسأل الله (جل وعلا) أن يرزقني وإياكما حسن الخاتمة وأن يجمعنا مع النبي ﷺ في جنة الرحمن التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

• إلى زوجتي الغالية/ أم عمار:

جعل الله أيامك عامرة بالعطاء لدينك.. عامرة بالسعادة.. عامرة بالإخلاص.. وجعل الله آخرتك عامرة بالنعيم والرضوان.

• إلى أبنائي (عمار، وهاجر، وسارة):

أسأل الله - جل وعلا - أن يحفظكم وأن يبارك فيكم وأن يجعلكم من عباده المخلصين الطائعين وأن يستخدمكم لنصرة دينه وأن يجعلكم في ميزان حسناتي وأن يجمعني بكم في جنته ومستقر رحمته.

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

• إلى كل أخ مسلم وإلى كل أخت مسلمة:

والله ما نسيت الدعاء لكم في صلاتي - وأنا ساجد بين يدي الله - فلا تنسوني من دعوة صالحة بأن يغفر الله لي ذنوبي وأن يرزقني الإخلاص في القول والعمل وأن يرزقني حُسن الخاتمة وأن يجمعني بكم في جنته إخواناً على سرر متقابلين. فجزاكم الله عنى خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصري

(أبو عمار)

رَفَعُ
عبد الرحمن (المصري)
أسكنه الله الفردوس

بين يدي الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أمر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صلح عليه أمر أولها.

* وما لا شك فيه أننا جميعاً نعيش زمن الغربة الثاني الذي أخبر عنه الصادق المصدوق ﷺ عندما قال: «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء»^(١).

* فنحن نعيش مرحلة عصيبة - بكل المقاييس - فلقد انتشرت الشبهات والشهوات وانصرف كثير من الناس عن طاعة رب الأرض والسموات وأصبح المسلم القابض على دينه يعيش كل أنواع الغربة فكان لابد من رؤية واضحة ليعرف الغرباء أين يقفون وكيف يتحركون وأي طريق يسلكون؟! ولن نتضح تلك الرؤية إلا من خلال وقفة صادقة مع سيرة الصادق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ .. فإن سيرته ﷺ تربط على قلوب الغرباء - بإذن الله - وذلك عندما يتأملون كيف ابتلى النبي ﷺ وكيف صبر وثبت على طريق دعوته المباركة حتى دانت أرض الجزيرة كلها لله (عز وجل).. ومن ثم دانت الأرض كلها لله (جل وعلا).

* فسيرة النبي ﷺ مثالٌ يُحتذى ونبراسٌ يُقتدى.. وبالوقوف على سيرته ﷺ تحيا القلوب وباقتفاء آثاره تحصل السعادة وتكون القدوة بجميل الخصال ونبل المآثر والفعال.

رَفَعَ
عبد الرحمن النجدي
الحمد لله الذي هدانا لهذا

(١) أخرجه مسلم عن ابن عمر.

* وسيرة النبي ﷺ ليست قصة تُتلى ولا مدائح تُنسى في يوم ميلاده كما يفعل كثير من الناس وإنما سيرته منهج حياة متكامل نعرف من خلالها كيف نعيش الأسوة والقدوة الحقيقية وكيف نعيش الحياة الطيبة التي لا تكون إلا في ظل الإيمان بالله (جل وعلا) واقتفاء أثر رسول الله ﷺ بأن نلتزم سنته وأن ندعو بدعوته ﷺ وأن نعرف كيف استطاع النبي ﷺ في فترة وجيزة - لا تساوى في عمر الزمان شيئاً - أن يصنع رجالاً أظهراً وأن يقيم بهم دولة للإسلام في وسط هذا الركام الهائل من الجاهلية الجهلاء.

* إن الإسلام وحده هو القادر (بإذن الله) على أن يضيء صفحة الكون المظلم وأن يبدد ظلام الجاهلية.. وحسبك إذا أردت أن تعرف حال الناس قبل مبعث النبي ﷺ أن تقرأ تلك الكلمات لتقف على تلك الحقيقة.

ففي الحديث الذي رواه مسلم أن النبي ﷺ قال: «.. إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب».

ولما كان جعفر بن أبي طالب مهاجراً إلى الحبشة ودار هذا الحوار المعروف بينه وبين النجاشي قال له جعفر (رضي الله عنه): «أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونقطع الأرحام ونسىء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً..».

وكذلك تدبر معنى قول حذيفة (رضي الله عنه) - كما في البخاري - عندما قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير - وذكر الحديث».

* فالشاهد أن الكون كله كان في جاهلية وشر.. وشاء الله (عز وجل) أن يبعث حبيبه محمداً ﷺ لينقل الكون كله من أدران الشرك والكفران إلى أنوار التوحيد والإيمان فجاء ليملاً القلب إيماناً والعقل حكمة والنفس يقيناً والكون عدلاً والدنيا رحمة والأيام سلاماً والليالي أمناً.. واستطاع - بإذن الله - أن يحول هذا المجتمع الجاهلي إلى دولة تدين لله (جل وعلا) وأن يصنع رجالاً كان الواحد منهم يساوى أمة بأكملها.

ولذا قال صاحب الظلال - رحمه الله -:

ولقد انتصر محمد بن عبد الله ﷺ ، يوم أن صاغ من فكرة الإسلام شخصاً، وحول إيمانهم بالإسلام عملاً، وطبع من المصحف عشرات من النسخ ثم مئات وألوفاً ولكنه

لم يطبعها بالمداد على صحائف الورق، إنما طبعها بالنور على صحائف من القلوب، وأطلقها تعامل الناس وتأخذ منهم وتعطي، وتقول بالفعل والعمل ما هو الإسلام الذي جاء به محمد بن عبد الله ﷺ من عند الله).

* فما أحوجنا - والله - في هذا الزمان إلى أن نتعاش مع سيرة النبي ﷺ من أولها لآخرها لنأخذ منها العظة والعبرة ونعيش الأسوة والقدوة.. فهو الحبيب المصطفى ﷺ الذي اصطفاه الله لنفسه وصنعه ورباه على عينه ليربى به الأمم والأجيال عبر العصور والأزمان.

فهو خاتم الرسل وذروة الصلاح الذي وصل السماء بالأرض، والدنيا بالآخرة.
* إنه بسيطٌ في عظمته، سهلٌ في هيئته، لا تراه إلا وتحبه، ولا تخالطه إلا وترتاح له، حبه القرآن، وقبلته الكعبة، ودينه الحنيفية، ومنهجه الوسط، ودعوته التوحيد، أتى ليضع الآصار والأغلال، وبُعث ليحطم الأوثان والأصنام، وأُرسل للعالمين رحمة، صاح في أذن الدنيا، فتهاوت على صوته أعمدة البغي، وانهارت بكلماته أبنية الظلم، عاش الفقر فتحلى بالصبر، وتذرّع بالتحمل، فبين بسيرته ضالة الدنيا وحقارتها، وعاش الغنى فشكر المنعم، وواسى الخلق، وعلم البرية فصول الجود، وملاحم البذل^(١).

* فتعالوا بنا لتعاش بقلوبنا وجوارحنا مع سيرة حبيبنا وقدوتنا وأسوتنا محمد بن عبد الله ﷺ.

* ولقد حرصت كل الحرص على أن أجمع بين ثانيا هذا الكتاب كل الأحاديث الصحيحة والحسنة لأضع بين يدي إخواني وأخواتي مادة نقية خالية من الأحاديث الضعيفة والموضوعة.. والله وحده هو الذي يعلم قدر الجهد الذي بذلته لأقدم للأمة سيرة الرسول ﷺ صحيحة ويسيرة في آن واحد - أسأل الله أن يتقبل مني هذا الجهد وأن يجعله خالصاً لوجهه - وأنا لا أدعى أنني قدمت للأمة كتاباً يليق بسيرة النبي ﷺ.. كلا.. كلا.. فلو اجتمع علماء الأمة ودعاتها ليقدموا للكون سيرة تليق بقدر ومكانة النبي ﷺ ما استطاعوا.. فقدر النبي ﷺ عظيم وجليل ولا يعرف قدر الحبيب النبي ﷺ إلا الرب العظيم العلي.

فأسأل الله (عز وجل) أن ينفع بهذا الكتاب كل من رام الانتفاع به وأن يجعله حادياً

رفع

جبر الرحيم (المعتمد)
أسكنه الله الفردوس

(١) حدائق ذات بهجة (ص: ١٤) / للشيخ عائض القرني.

لنا للسير في طريق أهل الإيمان الذين ترتقى قلوبهم إلى درجة الإحسان وترتقى
أرواحهم وأجسادهم إلى النعيم في الجنان والفوز بالرضوان في جنة الرحمن التي فيها
ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.
وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصري

(أبو عمار)

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

مزايا السيرة النبوية وأهمية دراستها

تجمع السيرة النبوية عدة مزايا تجعل دراستها متعة روحية وعقلية وتاريخية، كما تجعل هذه الدراسة ضرورية لعلماء الشريعة والدعاة إلى الله والمهتمين بالإصلاح الاجتماعي، ليضمنوا إبلاغ الشريعة إلى الناس بأسلوب يجعلهم يرون فيها المعصم الذي يلوذون به عند اضطراب السبل واشتداد العواصف، ولتفتح أمام الدعاة قلوب الناس وأفئدتهم، ويكون الإصلاح الذي يدعو إليه المصلحون أقرب نجاحاً وأكثر سداداً.

ونجمل فيما يلي أبرز مزايا السيرة النبوية:

أولاً: أنها أصح سيرة لتاريخ نبي مرسل، أو عظيم مصلح، فقد وصلت إلينا سيرة رسول الله ﷺ عن أصح الطرق العلمية وأقواها ثبوتاً.

ثانياً: إن حياة رسول الله ﷺ واضحة كل الوضوح في جميع مراحلها، منذ زواج أبيه عبد الله بأمه آمنة... إلى وفاته ﷺ، فنحن نعرف الشيء الكثير عن ولادته، وطفولته وشبابه، ومكسبه قبل النبوة، ورحلاته خارج مكة، إلى أن بعثه الله رسولا كريماً، ثم نعرف بشكل أدق وأوضح وأكمل كل أحواله بعد ذلك سنة فسنة، مما يجعل سيرته عليه الصلاة والسلام واضحة وضوح الشمس.

ثالثاً: إن سيرة رسول الله ﷺ تحكى سيرة إنسان أكرمه الله بالرسالة، فلم تُخرجه عن إنسانيته، ولم تُلحق حياته بالأساطير، ولم تضاف عليه الألوهية قليلاً ولا كثيراً، وإذا قارنا هذا بما يرويه المسيحيون عن سيرة عيسى عليه السلام، وما يرويه البوذيون عن بوذا، والوثنيون عن آلهتهم المعبودة، اتضح لنا الفرق جلياً بين سيرته عليه السلام وسيرة هؤلاء.

رابعاً: إن سيرة رسول الله ﷺ شاملة لكل النواحي الإنسانية في الإنسان، فهي تحكى لنا سيرة محمد الشاب الأمين المستقيم قبل أن يكرمه الله بالرسالة، كما تحكى لنا سيرة رسول الله الداعية إلى الله الملتمس أجدى الوسائل لقبول دعوته، الباذل منتهى طاقته وجهده في إبلاغ رسالته.. كما تحكى لنا سيرة الرسول المربي المرشد الذي يشرف على تربية أصحابه تربية مثالية ينقل فيها من روحه إلى أرواحهم، ومن نفسه إلى نفوسهم، ما يجعلهم يحاولون الاقتداء به في دقيق الأمور وكبيرها.

رَفَعَ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

وسيرته تحكى لنا سيرة المحارب الشجاع، والقائد المنتصر، والسياسى الناجح، والجار الأمين، والمعاهد الصادق.

وقصارى القول: إن سيرة رسول الله ﷺ شاملة لجميع النواحي الإنسانية فى المجتمع، مما يجعله القدوة الصالحة لكل داعية، وكل قائد، وكل أب، وكل زوج، وكل صديق، وكل مربى، وكل سياسى، وكل رئيس دولة، وهكذا.

خامساً: إن سيرة محمد ﷺ وحدها تعطينا الدليل الذى لا ريب فيه على صدق رسالته ونبوته، إنها سيرة إنسان كامل سار بدعوته من نصر إلى نصر، لا على طريق الخوارق والمعجزات، بل عن طريق طبيعى بحث، فلقد دعا فأوذى، وبلغ فأصبح له الأنصار، واضطر إلى الحرب فحارب، وكان حكيماً، موفقاً فى قيادته، فما أزفت ساعة وفاته إلا كانت دعوته تلف الجزيرة العربية كلها عن طريق الإيمان، لا عن طريق القهر والغلبة^(١).

• أهمية دراسة السيرة النبوية:

وأما عن أهمية دراسة السيرة النبوية فهى كثيرة ومنها:

١ - فهم شخصية الرسول ﷺ (النبوية) من خلال حياته وظروفه التى عاش فيها، للتأكد من أن محمداً عليه الصلاة والسلام لم يكن مجرد عبقرى سمت به عبقريته بين قومه، ولكنه قبل ذلك رسول آتاه الله بوحي من عنده وتوفيق من لدنه.

٢ - أن يجد الإنسان بين يديه صورة للمثل الأعلى فى كل شأن من شئون الحياة الفاضلة، كى يجعل منها دستوراً يتمسك به ويسير عليه ولا ريب أن الإنسان مهما بحث عن مثل أعلى فى ناحية من نواحي الحياة فإنه واجد كل ذلك فى حياة رسول الله ﷺ على أعظم ما يكون من الوضوح والكمال. ولذا جعله الله قدوة للإنسانية كلها إذ قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

٣ - أن يجد الإنسان فى دراسة سيرته عليه الصلاة والسلام ما يعينه على فهم كتاب الله تعالى وتذوق روحه ومقاصده، إذ أن كثيراً من آيات القرآن إنما تفسرها وتجليها الأحداث التى مرت برسول الله ﷺ ومواقفه منها.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

(١) السيرة النبوية دروس وعبر / د. مصطفى السباعى (ص ٩: ١٢) بتصرف.

٤ - أن يتجمع لدى المسلم من خلال دراسة سيرته ﷺ أكبر قدر من الثقافة والمعارف الإسلامية الصحيحة، سواء ما كان منها متعلقاً بالعقيدة أو الأحكام أو الأخلاق، إذ لا ريب أن حياته عليه الصلاة والسلام إنما هي صورة مجسدة نيرة لمجموع مبادئ الإسلام وأحكامه.

٥ - أن يكون لدى المعلم والداعية الإسلامي نموذج حيّ عن طرائق التربية والتعليم، فلقد كان محمد ﷺ معلماً ناصحاً ومربيّاً فاضلاً لم يأل جهداً في تلمس أجدى الطرق الصالحة إلى كل من التربية والتعليم خلال مختلف مراحل دعوته.

وإن من أهم ما يجعل سيرته ﷺ وافية بتحقيق هذه الأهداف كلها أن حياته عليه الصلاة والسلام شاملة لكل النواحي الإنسانية والاجتماعية التي توجد في الإنسان من حيث إنه فرد مستقل بذاته أو من حيث إنه عضو فعال في المجتمع^(١).

٦ - أن السيرة منهج حياة للفرد والأسرة والمجتمع.

٧ - أننا نعرف من خلال السيرة قدر النبي ﷺ ومكانته وكيف أن الله (عز وجل) عصمه من الناس وأيده بالملائكة في يوم بدر والأحزاب وحّنين.

٨ - وكذلك نعرف من خلال السيرة قدر أصحابه (رضى الله عنهم) وكيف أنهم ضحوا من أجل هذا الدين العظيم بأنفسهم ودمائهم وأموالهم وأولادهم من أجل إعلاء كلمة (لا إله إلا الله).

٩ - أن السيرة في ذاتها هي معجزة من معجزات الرسول ﷺ.

١٠ - معرفة أسباب النصر وأسباب الهزيمة وذلك من خلال الوقوف على الغزوات وما حدث فيها.

١١ - معرفة الطريق الأمثل لإزالة غربة الإسلام الثانية فإن النبي ﷺ لما قال: «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ» كان هذا الحديث بشارة عظيمة لنصرة الإسلام في عصرنا هذا.. وذلك لأن الإسلام بدأ غريباً في عهد النبي ﷺ فاستطاع النبي ﷺ - بإذن الله - أن يزيل غربة الإسلام في فترة وجيزة وأن يقيم للإسلام دولة مازال نورها يسطع في جبين الزمان حتى يومنا هذا.. فكذلك سيعود الإسلام غريباً وستزول غربته مرة أخرى وستعود العزة للمسلمين مرة أخرى.. كيف ذلك؟ من خلال دراسة

(١) فقه السيرة للبوطي (ص: ١٥-١٦).

السيرة لنعرف كيف أزال النبي ﷺ وأصحابه غُربتهم الأولى لنُزيل نحن غربتنا الثانية -
 بإذن الله -.

فأُساله (جل وعلا) أن يُزيل غربتنا وأن ينصر المسلمين في كل مكان وأن يردّ إلينا
 المسجد الأقصى وأن يطهر الأرض كلها من دنس اليهود وأن يرد المسلمين إليه ردّاً
 جميلاً وأن يُحكّم فينا كتابه وسُنّة نبيه ﷺ وأن يرزقنا جميعاً حُسْن الخاتمة وأن يجمعنا
 بالحبيب ﷺ في جنته ومستقر رحمته فلقد اشتاقت قلوبنا إلى رؤية النبي ﷺ وأصحابه
 الطيبين.. اللهم لا تحرمنا رؤيتهم وصُحبَتهم في الجنة ولا تحرمنا لذه النظر إلى وجهك
 الكريم برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

رَفَعُ
 عبد الرحمن النجدي
 أَسْلَمَ النَّبِيُّ الْفَرْدُوسِي

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

النسب الشريف للنبي ﷺ

✽ قال الإمام البخاري رحمه الله: «هو أبو القاسم، محمد بن عبد الله، بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك بن النضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة بن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان»^(١).

✽ قال ابن حزم: وعدنان بلا شك من ولد إسماعيل الذبيح رسول الله بن إبراهيم خليل الله ورسوله صلى الله على سيدنا محمد وعليهما وعلى جميع رسله وأنبيائه^(٢).

✽ وقال ابن القيم: بعد ذكر النسب إلى عدنان أيضاً: «إلى ها هنا معلوم الصحة، متفق عليه بين النسابين، ولا خلاف ألبته، وما فوق عدنان مختلف فيه، ولا خلاف بينهم أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام»^(٣).

✽ وقال الذهبي - رحمه الله - في كتابه السيرة النبوية: «وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام بإجماع الناس، لكن اختلفوا فيما بين عدنان وإسماعيل من الآباء»^(٤).

✽ وقال ابن كثير - رحمه الله -: وذلك أنه (أي إبراهيم عليه السلام) وُلد له لصبيه ولدان ذكران عظيمان: إسماعيل من هاجر، ثم إسحاق من سارة وولد له يعقوب أي من إسحاق كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ﴾ [هود: ٧١] - وهو إسرائيل - الذي ينتسب إليه سائر أسباطهم، فكانت فيهم النبوة وكثروا جداً، بحيث لا يعلم عددهم إلا الذي بعثهم واختصهم بالرسالة والنبوة، حتى ختموا بعيسى بن مريم من بني إسرائيل.

(١) أخرجه البخاري (٣٨٥١) مناقب الأنصار/ باب: مبعث النبي ﷺ.

(٢) جوامع السيرة/ لابن حزم (٢) ط. فيصل آباد باكستان. بتحقيق أحمد شاكر.

(٣) زاد المعاد (١/ ٧١). ط. مؤسسة الرسالة.

(٤) الذهبي في السيرة النبوية (ص: ١).

وأما إسماعيل عليه السلام فكانت منه العرب على اختلاف قبائلها، كما سنبينه فيما بعد إن شاء الله تعالى ولم يوجد من سلالة من الأنبياء سوى خاتمهم على الإطلاق وسيدهم وفخر بني آدم في الدنيا والآخرة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي المكي ثم المدني ﷺ .

فلم يوجد من هذا الفرع الشريف، والغصن المنيف، سوى هذه الجوهرة الباهرة، والدرة الزاهرة، وواسطة العقد الفاخرة، وهو السيد الذي يفتخر به أهل الجمع، ويغبطه الأولون والآخرون يوم القيامة^(١).

مكانة النبي ﷺ يبين قومه

لقد كان النبي ﷺ في خير قبيلة وأشرف نسب .. وهكذا الأنبياء يكونون أشرف الناس نسباً وأكمل الناس خلقاً وخلقاً.

لذا سأل هرقل أبا سفيان بن حرب عن نسب النبي ﷺ فقال: كيف نسبه فيكم؟ فقال أبو سفيان: هو فينا ذو نسب. ثم قال: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تُبعث في نسب قومها^(٢).

* وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (تُبعث من خير قرون بنى آدم قرناً فقرناً، حتى تبعث من القرن^(٣) الذي كنت فيه)^(٤).

* وعن واثلة بن الأسقع - رضى الله عنه - أن النبي ﷺ قال: (إن الله - عز وجل - اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من بنى إسماعيل كنانة، واصطفى من بنى كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفاني من بنى هاشم)^(٥).

* وفي فضل قريش عن أم هانئ مرفوعاً «فضل الله قريشاً بسبع خصال: فضلهم بأن عبدوا الله عشر سنين لا يعبد إلا قرشي، وفضلهم بأن نصرهم يوم الفيل وهم

(١) قصص الأنبياء لابن كثير (ص: ١٧٥) ط. دار عمر بن الخطاب.

(٢) أخرجه البخاري (٤٢/١) بدء الوحي.

(٣) القرن: كل طبقة مقترنين في وقت، وقيل قرن: لأنه يقرن أمة بأمة وعالماً بعالم، وقيل القرن: ثمانون سنة، وقيل أربعون، وقيل مائة سنة.

(٤) أخرجه البخاري في المناقب، باب صفة النبي ﷺ رقم: (٣٥٥٧).

(٥) أخرجه مسلم (٢٧٧٦) كتاب الفضائل.

مشركون، وفضلهم بأن نزلت فيهم سورة من القرآن لم يدخل فيها غيرهم ﴿لإيلاف قريش﴾ [قريش: ١]، وفضلهم بأن فيهم النبوة والخلافة والحجاجة والسقاية^(١).

* وعن الأشعث بن قيس - رضي الله عنه - قال: (أتيت رسول الله ﷺ في وفد، ولا يروني إلا أفضلهم، فقلت: يا رسول الله! أأستم منا؟ فقال: (نحن بنو النضر بن كنانة، لا نقفو أمنا)^(٢)، ولا نتنفي من أبينا) فكان الأشعث يقول: «لا أوتى برجل نفى قريشاً من النضر بن كنانة إلا جلدته الحد»^(٣).

* وعن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب قال: أتى أناس من الأنصار إلى النبي ﷺ فقالوا: إنا لنسمع من قومك حتى يقول القائل منهم إنما مثل محمد مثل نخلة نبتت في كباء^(٤)، فقال رسول الله ﷺ: (أيها الناس من أنا؟ قالوا أنت رسول الله ﷺ). قال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب - قال فما سمعناه، قط ينتمى قبلها - إلا أن الله - عز وجل - خلق خلقه، فجعلني من خير خلقه، ثم فرقهم فرقتين، فجعلني من خير الفرقتين، ثم جعلهم قبائل، فجعلني من خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً، فجعلني من خيرهم بيتاً، وأنا خيركم بيتاً، وخيركم نفساً^(٥).

* وعن كليب بن وائل قال: حدثني ربيعة النبي ﷺ زينب بنت أبي سلمة قال: «قلت لها: أرايت النبي ﷺ أكان من مضر؟ قالت: فممن كان إلا من مضر، من بني النضر بن كنانة»^(٦).

(١) رواه البخاري في التاريخ الكبير (٣٤١ / ١ / ١)، وابن عدي في الكامل (٢٦٢ / ١)، والحاكم (٥٣٦ / ٢)، (٥٤ / ٤) وحسنه الألباني لشواهده في الصحيحة رقم (١٩٤٤).

(٢) نقفو امنا: أي لا نتهمها، ولا نقذفها.

(٣) أخرجه ابن ماجه في الحدود: باب من نفى رجلاً من قبيلة: (٢٦١٢)، والبخاري في التاريخ الكبير: (٢٧٤ / ١ / ٤)، وابن سعد في الطبقات (٢٣ / ١)، وأحمد في المسند: (٢١١ / ٥)، (٢١٢) من طريق حماد ابن سلمة، عن عقيل بن طلحة السلمي، عن مسلم بن هيصم، عن الأشعث بن قيس به، وقال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح، رجاله ثقات، لأن عقيل بن طلحة وثقه ابن معين والنسائي، وذكره ابن حبان في الثقات، وباقي رجال السند على شرط مسلم. قلت: وفي المسند قوله: (لا يرون أني أفضلهم) من غير إلا وفيه تصحيف، والعبارة الصحيحة ما أثبتناه.

(٤) الكباء: الكناسة.

(٥) رواه الترمذي وأحمد وقال الهيثمي في المجمع (٢١٥ / ٨ - ٢١٦): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح - والحديث صحيح.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ برقم: (٣٤٩٢، ٣٤٩١).

* بل لقد كان الحجر يعرف قدر النبي ﷺ فكان يسلم عليه قبل البعثة.
فعن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يُسَلِّمُ عليَّ قبل أن أُبعث إني لأعرفه الآن» (١). (٢)

خاتم النبيين ﷺ

عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله. إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه. فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة! قال: فأنا اللبنة. وأنا خاتم النبيين» (٣).

الصفات الخلقية للحبيب ﷺ

كان رسول الله ﷺ أزهر اللون (أبيض مستنير مائل إلى الحمرة) واسع الجبين، أدهج العينين [الدهج شدة سواد العينين مع سعتهما]، وقيل أكحل، أهدب الأشفار (طويل الأشفار) مفلج الأسنان كث اللحية تملأ صدره، عظيم المنكبين، رحب الكفين والقدمين، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد، رجل الشعر (في شعره حجونة أي ثن قليل) يضرب شعره إلى منكبيه، إذا تكلم رأى كالنور يخرج من ثناياه.

ضخم الرأس والكراديس في وجهه تدوير، ذا مشربة (وهي الشعر الدقيق من الصدر إلى السرة كالقضب) إذا مشى تقلع كأنما ينحط في صلب [أي يمشى بقوة، والصب الحدور]، يتلألاً وجهه كالقمر ليلة البدر، حسن الصوت، سهل الخدين، ضليع الفم، سواء البطن والصدر، أشهر المنكبين والذراعين وأعلى الصدر طويل الزندين، رحب الراحة، منهوس العقبين (أي قليل لحم العقب) بين كتفيه خاتم النبوة كزر الحجلة،

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٧) كتاب الفضائل.

(٢) قال الإمام النووي - رحمه الله -: قوله ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أُبعث، إني لأعرفه الآن» فيه معجزة له ﷺ وفي هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات، وهو موافق لقوله تعالى في الحجارة ﴿وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾ وقوله تعالى ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ وفي هذه الآية خلاف مشهور، والصحيح أنه يسبح حقيقة، ويجعل الله تعالى فيه تمييزاً بحسبه ومنه الحجر الذي فر بثوب موسى ﷺ، وكلام الذراع المسمومة، ومشى إحدى الشجرتين إلى الأخرى حين دعاهما النبي ﷺ وأشبه ذلك. [مسلم بشرح النووي (٥٣/١٥)].

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٨٦) كتاب الفضائل.

وكبيضة الحمامة، وكان إذا مشى كأنما تطوى له الأرض ويجدون في لحاقه وهو غير مكترث، وكان يسدل شعر رأسه ثم فرقه، وكان يرحله ويسرح لحيته، ويكتحل بالإنمد كل ليلة في كل عين ثلاثة أطراف عند النوم»^(١).

* عن جابر بن سمرة. قال: صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى. ثم خرج إلى أهله وخرجت معه. فاستقبله ولدان. فجعل يمسح خدي أحدهم واحداً. واحداً، قال: وأما أنا فمسح خدي. قال: فوجدت ليده برداً أو ريحاً كأنما أخرجها من جُؤنة عطار^(٢).

* عن أنس، قال: كان رسول الله ﷺ أزهر اللون. كأن عرقه اللؤلؤ. إذا مشى تكفأ ولا مسست ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله ﷺ. ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله ﷺ^(٣).

* وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال: سمعت أنس بن مالك يصف النبي ﷺ قال: كان ربعة من القوم، ليس بالطويل ولا بالقصير، أزهر اللون ليس بأبيض أمهق ولا آدم، ليس بجعد قطط ولا سبط رجل أنزل عليه وهو ابن أربعين، فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه، وبالمدينة عشر سنين، وقُبض وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء، قال ربيعة: فرأيت شعراً من شعره فإذا هو أحمر فسألت فقيل إحمراً من الطيب^(٤).^(٥)

* وعن أبي الطفيل قال: رأيت رسول الله ﷺ وما على وجه الأرض رجل رآه غيري. قال (الجريري) فقلت له: كيف رأيته؟ قال كان أبيض مليحاً مقصداً^(٦).

* وعن البراء قال: ما رأيته من ذي لمة أحسن في حلة حمراء من رسول الله ﷺ،

(١) الإعلام بما في دين النصاري من فساد وأوهام (٢٩١: ٢٩٢) للقرطبي - تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١/ ٢٥: ٢٦) - جوامع السيرة لابن حزم (٢١/ ٢٢).

(٢) أخرجه مسلم (٨٠) (٢٣٢٩) كتاب الفضائل.

(٣) أخرجه مسلم (٨٢) (٢٣٣٠) كتاب الفضائل.

(٤) أخرجه البخاري (٦/ ٦٥٢) المناقب - ومسلم (١٥/ ١٠٠) الفضائل بمعناه.

(٥) قال الإمام النووي - رحمه الله -: قوله (ليس بالطويل البائن ولا بالقصير) المراد (بالبائن) زائد الطول أي هو بين زائد الطول والقصير، وهو بمعنى ما سبق أنه كان مقصداً.

قوله: (ولا الأبيض الأمهق ولا بالآدم) (الأمهق) بالميم هو شديد البياض كلون الحص وهو كربه المنظر وربما توهمه الناظر أبرص و (الآدم) الأسمر معناه ليس بأسمر، ولا بأبيض كربه البياض بل أبيض بياضاً نيراً كما قال في الحديث السابق أنه ﷺ كان أزهر اللون.

(٦) رواه مسلم (٩٣/ ١٥) الفضائل.

- شعره يضرب منكبيه، بعيد ما بين المنكبين، ليس بالطويل ولا بالقصير^(١).
- * وعن البراء قال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا وأحسنه خلقًا، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير»^(٢).
- * وعن أبي إسحاق قال: سئل البراء: أكان وجه النبي ﷺ مثل السيف؟ قال: لا، بل مثل القمر»^(٣).
- * وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: «كان النبي ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها»^(٤).
- * وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يسدل شعره، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم، وكان أهل الكتاب يسدلون رؤوسهم، وكان رسول الله ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء، ثم فرق رسول الله ﷺ رأسه»^(٥).
- * وعن عبد الله بن كعب قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن تبوك قال: «فلما سلمت على رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور، وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه»^(٦).
- * وعن أنس بن مالك. قال: دخل علينا النبي ﷺ فقال عندنا. فغرق. وجاءت أمي بقارورة. فجعلت تسلك العرق فيها. فاستيقظ النبي ﷺ فقال: «يا أم سليم! ما هذا الذي تصنعين؟» قالت: هذا عرقك نجعله في طينا وهو من أطيب الطيب^(٧) - الطيب: العطر -.
- * وفي رواية أنه قال: ففزع النبي ﷺ فقال: «ما تصنعين؟ يا أم سليم!» فقالت: يا رسول الله! نرجو بركته لصبياننا. قال: «أصبت»^(٨).

(١) رواه مسلم (٩١/١٥) الفضائل، والترمذي (١١٦، ١١٥/١٣) المناقب.

(٢) رواه البخاري (٦٥٢/٦) المناقب، ومسلم (٩٢/١٥) الفضائل.

(٣) رواه البخاري (٦٥٣/٦) المناقب، والترمذي (١١٦/١٣) المناقب.

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٤/٦) المناقب.

(٥) رواه البخاري (٦٥٤/٦) المناقب، ومسلم (٩٠/١٥) الفضائل.

(٦) رواه البخاري (٦٥٣/٦) المناقب.

(٧) أخرجه مسلم (٨٣) (٢٣٣١) كتاب الفضائل.

(٨) أخرجه مسلم (٨٤) (٢٣٣١) كتاب الفضائل.

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

وانك لعلى خلق عظيم

كان النبي ﷺ يمتاز بفصاحة اللسان وبلاغة القول.

❖ وكان الحلم والاحتمال، والعفو عند المقدرة، والصبر على المكاره، صفات أدبها الله بها، وكل حليم قد عرفت منه زلة، وحفظت عنه هفوة، ولكنه ﷺ لم يزد مع كثرة الأذى إلا صبراً، وعلى إسراف الجاهل إلا حلماً.

قالت عائشة: ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها^(١)، وكان أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضاً.

وكان من صفة الجود والكرم على ما لا يقادر قدره كان يعطى عطاء من لا يخاف فقراً، قال ابن عباس: كان النبي ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة^(٢).

وكان من الشجاعة والنجدة والبأس بالمكان الذي لا يُجهل، كان أشجع الناس، حضر المواقف الصعبة، وفر عنه الكمأة والأبطال غير مرة، وهو ثابت لا يبرح، ومقبل لا يدبر، ولا يتزحزح، وما شجاع إلا وقد أحصيت له فرة، وحفظت عنه جولة سواء، قال علي: كنا إذا حمى البأس واحمرت الخدق اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه^(٣). قال أنس: فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت فلتقاهم رسول الله ﷺ راجعاً، وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة عري، في عنقه السيف، وهو يقول: «لم تراعوا، لم تراعوا»^(٤).

وكان أشد الناس حياء وإغضاء، وقال أبو سعيد الخدري: كان أشد حياء من العذراء

(١) أخرجه البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦)، ومسلم (٥٠) (٢٣٠٨).

(٣) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٨٦٣٩/٥)، وأحمد (٨٦/١، ١٢٦، ١٥٦)، وأبو يعلى (٣٠٢/١)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي» (ص ٥٧)، ويشهد له حديث البراء - عند مسلم (٧٩) (١٧٧٦) - قال: كنا، والله! إذا احمر البأس نلقى به، وإن الشجاع منا للذي يُحاذى به. يعني: النبي ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري (٢٩٠٨)، ومسلم (٤٨) (٢٣٠٧)، والترمذي (١٦٨٧)، والنسائي في «الكبرى» (٨٨٢٩/٥)، وابن ماجه (٢٧٧٢)، وأحمد (١٢٥١٦) (١٤٧/٣).

فى خدرها، وإذا كره شيئاً عُرف فى وجهه^(١)، وكان لا يثبت نظره فى وجه أحد، خافض الطرف لا يشافه أحداً بما يكره حياءً وكرم نفس، وكان لا يسمى رجلاً بلغ عنه شيء يكرهه: بل يقول، «ما بال أقوام يصنعون كذا»^(٢).

وكان أحق الناس بقول الفرزدق:

يغضى حياءً ويغضى من مهابته فلا يكلم إلا حين يتسم

وكان أعدل الناس، وأعفهم، وأصدقهم لهجة، وأعظمهم أمانة، اعترف له بذلك محاوروه وأعداؤه، وكان يسمى قبل نبوته الأمين، ويتحاكم إليه فى الجاهلية قبل الإسلام.

وكان أشد الناس تواضعاً، وأبعدهم عن الكبر، يمنع عن القيام له كما يقومون للملوك وكان يعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويجيب دعوة العبد، ويجلس فى أصحابه كأحدهم، قالت عائشة: كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل بيده كما يعمل أحدكم فى بيته^(٣)، وكان بشراً من البشر يفلى ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه^(٤).

كان أوفى الناس بالعهود، وأوصلهم للرحم، وأعظمهم شفقة ورأفة ورحمة بالناس، وأحسن الناس عشرة وأدباً، وأبسط الناس خلقاً، أبعد الناس من سوء الأخلاق، لم يكن فاحشاً، ولا متفحشاً، ولا لعاناً، ولا صخاباً فى الأسواق، ولا يجزى السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح^(٥)، وكان لا يدع أحداً يمشى خلفه، وكان لا يترفع على عبيده وإمائه فى مأكلا ولا ملبس، ويخدم من خدمه، ولم يقل لخدمه أف قط، ولم يعاتبه على

(١) أخرجه البخارى (٣٥٦٢)، ومسلم (٦٧) (٢٣٢٠)، وابن ماجه (٤١٨٠)، وأحمد (١١٧٠٠) (٣/٧١).

(٢) ورد هذا الخلق الحميد فى أحاديث كثيرة، انظر على سبيل المثال: صحيح البخارى (٧٥٠)، وصحيح مسلم (٥) (١٤٠١)، وسنن أبى داود (٣٩٣٠)، وسنن ابن ماجه (٢٠١٧).

(٣) أخرجه أحمد (٢٤٨٦١) (٦/١٠٦)، وعبد بن حميد فى «المنتخب» (١٤٨٢)، وأبو الشيخ (ص ٢١)، وأبو يعلى (٤٦٥٣/٨)، وصححه ابن حبان (٥٦٧٦/١٢، ٥٦٧٧)، والألبانى فى «صحيح الأدب المفرد» (٤١٩).

(٤) أخرجه أحمد (٢٦٣٠٤) (٦/٢٥٦)، والترمذى فى «الشمائل» (٣٤٢)، والبخارى فى «الأدب المفرد» (٥٤١)، والبغوى فى «شرح السنة» (٣٦٧٦)، وصححه ابن حبان (٥٦٧٥/١٢)، والألبانى فى «الصحيحة» (٦٧١/٢).

(٥) أخرجه الترمذى (٢٠١٧)، وفى «الشمائل» (٣٣٠)، وأحمد (٢٥٥٢٤) (٦/١٧٤) من حديث عائشة وقال الترمذى: «حديث حسن صحيح» وينحوه أخرجه البخارى (٢١٢٥)، وأحمد (١٧٤/٢) من حديث عبد الله بن عمرو.

فعل شيء أو تركه^(١)، وكان يحب المساكين وبيجالسهم ويشهد جنازتهم، ولا يحقر فقيراً لفقره.

وعلى الجملة فقد كان النبي ﷺ مُحَلًى بصفات الكمال المنقطعة النظير، وأدبه ربه فأحسن تأديبه، حتى خاطبه مثبياً عليه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وكانت هذه الخلال مما قرب إليه النفوس، وحببه إلى القلوب، وصيره قائداً تهوى إليه الأئمة، وألان من شكيمة قومه بعد الإباء، حتى دخلوا في دين الله أفواجا^(٢).

وحسبه أن الله (عز وجل) جمع له ذلك كله بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

أسماء النبي ﷺ وكناه

عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن لي أسماء. أنا محمد. وأنا أحمد. وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر. وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي. وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد». وقد سماه الله رءوفاً رحيماً^(٣).

* قال الإمام النووي: قوله ﷺ: (وأنا الماحي الذي يمحو بي الكفر) قال العلماء: المراد محو الكفر من مكة والمدينة وسائر بلاد العرب، وما زوى له ﷺ من الأرض، ووعد أن يبلغه ملك أمته. قالوا: ويحتمل أن المراد المحو العام بمعنى الظهور بالحجة، والغلبة كما قال تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [الفتح: ٢٨]، وجاء في حديث آخر تفسير الماحي بأنه الذي مُحِيت به سيئات من اتبعه فقد يكون المراد بمحو الكفر هذا، ويكون كقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، وفي الحديث الصحيح «الإسلام يهدم ما كان قبله»^(٤).

* قوله: «وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على عقبي» أي على أثري، أي أنه يُحشر قبل الناس، وهو موافق لقوله في الرواية الأخرى «يُحشر الناس على قدمي» ويحتمل أن يكون المراد بالقدم الزمان أي وقت قيامي على قدمي بظهور علامات الحشر، إشارة إلى

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٨)، ومسلم (٢٣٠٩)، وأحمد (١٢٠٠٦) (١٠١/٣) وغيرهم من حديث أنس.

(٢) الرحيق المختوم (ص: ٥٣٢: ٥٣٧) بتصرف.

(٣) أخرجه مسلم (١٢٥) (٢٣٥٤) كتاب الفضائل.

(٤) مسلم بشرح النووي (١٥٣/١٥).

رَفَعُ

عبد الرحمن بن أبي بكر
السلمي (رحمته الله)

أنه ليس بعده نبي ولا شريعة.

✽ وأما العاقب ففسره في الحديث بأنه ليس بعده نبي أى جاء عقبهم.

قال الحافظ: والذي يظهر أنه أراد أن لى خمسة أسماء أختص بها لم يسم بها أحد قبلى، أو معظمه أو مشهوره فى الأمم السابقة لا أنه أراد الحصر فيها.

قال عياض: حمى الله هذه الأسماء أن يسمى بها أحد قبله، وإنما تسمى بعض العرب محمداً قرب ميلاده، لما سمعوا من الكهان والأخبار أن نبياً سيُبعث فى هذا الزمان يسمى محمداً، فرجوا أن يكونوا هم فسموا أبناءهم بذلك^(١).

✽ وقال ابن مسعود: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق.

وفى التوراة: أنه حرز للأمين، وأن اسمه المتوكل.

ومن أسمائه الأمين، وكانت قريش تدعوه به قبل نبوته.

ومن أسمائه الفاتح وقثم^(٢).

وقال على بن زيد بن جدعان: تذاكروا أحسن بيت قالته العرب، فقالوا قول أبى طالب فى النبى ﷺ :

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد^(٣)

✽ ومن أسمائه كذلك: المقفى ونبي التوبة ونبي الرحمة.

عن أبى موسى الأشعرى قال: كان رسول الله ﷺ يسمى لنا نفسه أسماء. فقال: «أنا محمد، وأحمد والمقفى، والهاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة»^(٤).

قال النووى: وأما (نبي التوبة ونبي الرحمة ونبي الرحمة) فمعناها متقارب ومقصودها أنه ﷺ جاء بالتوبة وبالتراحم قال الله تعالى: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧]، والله أعلم. وفى حديث آخر (نبي الملاحم)، لأنه ﷺ بُعث بالقتال قال العلماء: وإنما اقتصر على هذه الأسماء مع أن له ﷺ

(١) فتح البارى (٦/ ٦٤٢).

(٢) القثم: المجتمع الخلق وقيل الجامع الكامل وقيل الجموع للخير كما فى النهاية.

(٣) السيرة للذهبي (٢/ ١٠).

(٤) أخرجه مسلم (١٢٦) (٢٣٥٥) كتاب الفضائل.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

أسماء غيرها كما سبق، لأنها موجودة في الكتب المتقدمة وموجودة للأمم السالفة^(١).
 ومما وقع من أسمائه في القرآن بالاتفاق «الشاهد، والمبشر، النذير المبين، الداعي إلى الله، السراج المنير». وفيه أيضاً: «المذكر، والرحمة، والنعمة، والهادي، والشهيد، والأمين، والمزمل، والمدثر». وتقدم في حديث عمرو بن العاص «المتوكل» ومن أسمائه المشهورة «المختار، المصطفى، والشفيع، والمشفع، والصادق والمصدق».
 وغير ذلك. قال ابن دحية في تصنيف له مفرد في الأسماء النبوية: قال بعضهم: أسماء النبي ﷺ عدد أسماء الله الحسنی تسعة وتسعون اسماً^(٢).
 أما كنيته ﷺ فكان ﷺ يكنى أبا القاسم بولده القاسم، وكان أكبر أولاده واختلف هل مات قبل البعثة أو بعدها... عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ في السوق فقال رجل يا أبا القاسم فالتفت النبي ﷺ فقال: سموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي^(٣).
 قال الحافظ: وقد اختلف في جواز التكني بكنيته ﷺ: فالمشهور عن الشافعي المنع على ظاهر هذه الأحاديث، وقيل: يختص ذلك بزمانه، وقيل بمن تسمى باسمه^(٤).
 * قال الإمام ابن القيم: وأسماءه ﷺ نوعان:
 أحدهما: خاص لا يشاركه فيه غيره من الرسل، كمحمد، وأحمد، والعاقب، والحاشر، والمقفى، ونبي الملحمة.
 والثاني: ما يشاركه في معناه غيره من الرسل، ولكن له منه كماله، فهو مختص بكماله دون أصله، كرسول الله، ونبيه، وعبد، والشاهد، والمبشر، والنذير، ونبي الرحمة، ونبي التوبة.
 وأما إن جعل له من كل وصف من أوصافه اسم، تجاوزت أسماءه المائتين، كالصادق، والمصدق، والرؤوف الرحيم، إلى أمثال ذلك^(٥).

(١) مسلم بشرح النووي [١٥٤/١٥: ١٥٥].

(٢) فتح الباري (٦/٦٤٣ - ٦٤٤).

(٣) أخرجه البخاري (٦/٦٤٧) المنأب.

(٤) فتح الباري (٦/٦٤٨).

(٥) زاد المعاد (١/٨٨).

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

أزواج النبي ﷺ (أمهات المؤمنين)

أولاهن خديجة بنت خُوَيْلِد القرشية الأسدية، تزوجها قبل النبوة، ولها أربعون سنة، ولم يتزوج عليها حتى ماتت، وأولاده كلهم منها إلا إبراهيم، وهي التي آزرته على النبوة، وجاهدت معه، وواسته بنفسها ومالها، وأرسل الله إليها السلام مع جبريل، وهذه خاصة لا تُعرف لامرأة سواها، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين.

ثم تزوج بعد موتها بأيام سودة بنت زمعة القرشية، وهي التي وهبت يومها لعائشة. ثم تزوج بعدها أمَّ عبد الله عائشة الصديقة بنت الصديق، المبرأة من فوق سبع سماوات، حبيبة رسول الله ﷺ عائشة بنت أبي بكر الصديق، وعرضها عليه الملك قبل نكاحها في سرقة من حرير وقال: «هذه زوجتك»^(١) تزوج بها في شوال وعمرها ست سنين، وبنى بها في شوال في السنة الأولى من الهجرة وعمرها تسع سنين، ولم يتزوج بكرًا غيرها، وما نزل عليه الوحي في لحاف امرأة غيرها، وكانت أحب الخلق إليه، ونزل عذرها من السماء، واتفقت الأمة على كفر قاذفها، وهي أفقه نساء وأعلمهن، بل أفقه نساء الأمة وأعلمهن على الإطلاق، وكان الأكابر من أصحاب النبي ﷺ يرجعون إلى قولها ويستفتونها.

ثم تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنه... وذكر أبو داود أنه طلقها، ثم راجعها^(٢).

ثم تزوج زينب بنت خزيمة بن الحارث القيسية، من بنى هلال بن عامر، وتوفيت عنده بعد ضمه لها بشهرين.

ثم تزوج أم سلمة هند بنت أبي أمية القرشية المخزومية، واسم أبي أمية حذيفة بن المغيرة، وهي آخر نسائه موتًا.

(١) أخرجه البخارى (٣٥٢/١٢) فى التعبير، ومسلم (٢٤٣٨) عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ «أريتك فى المنام مرتين إذا رجل يحملك فى سرقة (شقة من حرير أبيض) من حرير، فيقول: هذه امرأتك، فأكشفها، فإذا هى أنت، فأقول: إن يكن هذا من عند الله يمضه» وخبر تزوجها وهى بنت سبع وبنائه بها وهى بنت تسع أخرجه البخارى (١٦٣/٩) فى النكاح: باب إنكاح الرجل ولده الصغار، ومسلم (١٤٢٢) فى النكاح: باب تزويج الأب البكر الصغيرة.

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه والدارمى بإسناد صحيح.

ثم تزوج زينب بنت جحش من بني أسد بن خزيمه وهى ابنة عمته أميمة، وفيها نزل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧] وبذلك كانت تفتخر على نساء النبي ﷺ، وتقول: زوَّجكن أهاليكن، وزوجنى الله من فوق سبع سماوات^(١).

ومن خواصها أن الله سبحانه وتعالى كان هو وليها الذى زوَّجها لرسوله من فوق سماواته، وتوفيت فى أول خلافة عمر بن الخطاب. وكانت أولاً عند زيد بن حارثة، وكان رسول الله ﷺ تبناه، فلما طلقها زيد، زوجه الله تعالى إياها لتأسى به أمتة فى نكاح أزواج من تبناه - وبخاصة وأن الإسلام أبطل التبنى بعد ذلك -.

وتزوج ﷺ جويرة بنت الحارث بن أبى ضرار المصطلقية، وكانت من سبايا بنى المصطلق، فجاءته تستعين به على كتابتها، فأدى عنها كتابتها وتزوجها.

ثم تزوج أم حبيبة، واسمها رملة بنت أبى سفيان صخر بن حرب القرشية الأموية. وقيل: اسمها هند، تزوجها وهى ببلاد الحبشة مهاجرة، وأصدقها عنه النجاشى أربعمائة دينار، وسيقت إليه من هناك، ومات فى أيام أخيها معاوية. هذا هو المعروف المتواتر عند أهل السير والتواريخ، وهو عندهم بمنزلة نكاحه لخديجة بمكة، ولحفصة بالمدينة، ولصفية بعد خيبر.

وتزوج ﷺ صفية بنت حُيى بن أخطب سيد بنى النضير من ولد هارون ابن عمران أخى موسى، فهى ابنة نبي، وزوجة نبي، وكانت من أجمل نساء العالمين، وكانت قد صارت له من السبى أمة فأعتقها، وجعل عتقها صداقها، ثم تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية، وهى آخر من تزوج بها، تزوجها بمكة فى عمرة القضاء بعد أن حل منها على الصحيح.

فهؤلاء نساؤه المعروفات اللاتى دخل بهن، وأما من خطبها ولم يتزوجها، ومن وهبت نفسها، ولم يتزوجها، فنحو أربع أو خمس، وقال بعضهم: هن ثلاثون امرأة، وأهل العلم بسيرته وأحواله ﷺ لا يعرفون هذا، بل ينكرونه، والمعروف عندهم أنه بعث إلى الجونية ليتزوجها، فدخل عليها ليخطبها، فاستعاذت منه، فأعازها ولم يتزوجها،

(١) أخرج البخارى (٣٤٧/١٣) فى التوحيد عن أنس قال: جاء زيد بن حارثة يشكو فجعل النبي ﷺ يقول: «انق الله، وأمسك عليك زوجك» قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كائناً شياً، لكنم هذه قال: فكانت زينب تفتخر على أزواج النبي ﷺ تقول: «زوَّجكن أهاليكن، وزوجنى الله تعالى من فوق سبع سماوات» وأخرجه الترمذى (٣٢١٠).

وكذلك الكلبيّة، وكذلك التي رأى بكشحها بياضاً، فلم يدخل بها، والتي وهبت نفسها له فزوجها غيره على سور من القرآن، هذا هو المحفوظ، والله أعلم^(١).

ولا خلاف أنه ﷺ توفي عن تسع، وكان يقسم منهن لثمان: عائشة، وحفصة، وزينب بنت جحش، وأم سلمة، وصفية، وأم حبيبة، وميمونة، وسودة، وجويرية.

وأول نسائه لحوقاً به بعد وفاته ﷺ زينب بنت جحش سنة عشرين، وآخرهن موتاً أم سلمة، سنة اثنتين وستين في خلافة يزيد، والله أعلم.

وقال النووي رحمه الله: أولهن خديجة، ثم سودة، ثم عائشة، ثم حفصة وأم حبيبة وأم سلمة وزينب بنت جحش وميمونة وجويرية وصفية، فهؤلاء التسع بعد خديجة توفي عنهن ولم يتزوج في حياة خديجة غيرها، ولا تزوج بكرة غير عائشة، وأما اللاتي فارقهن في حياته فتركنهن لكثرة الاختلاف فيهن.

وكان له سريتان: مارية وريحانة بنت زيد، وقيل بنت شمعون ثم أعتقها. رويانا عن قتادة قال: «تزوج النبي ﷺ خمس عشرة امرأة، فدخل بثلاث عشرة، وجمع بين إحدى عشرة وتوفي عن تسع»^(٢).

أولاد النبي ﷺ

قال النووي رحمه الله:

كان له ﷺ ثلاثة بنين: القاسم وبه كان يُكنى، وُلد قبل النبوة، وتوفي وهو ابن سنتين، وعبد الله وسمى الطيب والظاهر، لأنه ولد بعد النبوة وقيل الطيب والظاهر غير عبد الله والصحيح الأول^(٣). والثالث: إبراهيم ولد بالمدينة سنة ثمان، ومات بها سنة عشر، وهو ابن سبعة عشر شهراً أو ثمانية عشر.

وكان له أربع بنات:

زينت تزوجها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد الشمس وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد.

رَفَعُ

عبد الرحمن النخعي
(سُكَّرَ) (بَنَى) (الزَّوْجَ)

(١) زاد المعاد (١/١٠٥: ١١٤) بتصرف.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (١/٢٧).

(٣) ورجحه ابن حزم في جوامع السيرة (٤٠).

وفاطمة تزوجها على بن أبي طالب رضى الله عنه.

ورقية وأم كلثوم تزوجهما عثمان بن عفان، تزوج رقية، ثم أم كلثوم، وتوفيتا عنده، ولهذا سُمي ذا النورين، توفيت رقية يوم بدر في رمضان سنة اثنتين من الهجرة، وتوفيت أم كلثوم في شعبان سنة تسع من الهجرة فالبنت أربع بلا خلاف، والبنون ثلاثة على الصحيح. وأول من وُلد له القاسم، ثم زينب، ثم رقية، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، وجاء أن فاطمة أسن من أم كلثوم^(١).

وكلهم من خديجة إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية، وكلهم توفوا قبله إلا فاطمة، فإنها عاشت بعده ستة أشهر على الأصح الأشهر.

صفة النبي ﷺ في التوراة وتبشير اليهود به

* عن عطاء بن يسار قال: لقبت عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما، فقلت: «أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، فقال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وحرزاً للأُميين^(٢)، أنت عبدى ورسولى، سميتك المتوكل، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق^(٣)، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء^(٤) بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صمماً، وقلوباً غلفاً^(٥)».

* وعن سلمة بن سلامة بن وقش (رضى الله عنه) وكان من أصحاب بدر قال: «كان لنا جار من يهود في بنى عبد الأشهل قال: فخرج علينا يوماً من بيته قبل مبعث النبي ﷺ يسير، فوقف على مجلس عبد الأشهل، قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث من فيه سناً على بردة مضطجعاً فيها بفناء أهلى فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار، فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوغان، لا يرون أن بعثاً كائن بعد الموت.

(١) باختصار من تهذيب الأسماء واللغات (٢٦/١).

(٢) حرزاً للأُميين: حافظاً لهم.

(٣) السخاب: رفع الصوت بالخصام.

(٤) حتى يقيم به الملة العوجاء: ملة إبراهيم التي غيرتها العرب عن استقامتها.

(٥) أخرجه البخارى في كتاب البيوع في الأسواق: (٢١٢٥)، وفي التفسير حديث: ٤٨٣٨.

فقالوا له: ويحك يا فلان، ترى هذا كائناً أن الناس يُبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار، ويُجزون فيها بأعمالهم؟ قال: نعم، والذي يحلف به، ولو دُ أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور^(١) في الدنيا يحمونه، ثم يدخلونه إياه، فيطبق به عليه^(٢)، وأن ينجو من تلك النار غداً.

قالوا له: ويحك، وما آية ذلك؟ قال: نبي يُبعث من نحو هذه البلاد، وأشار بيده نحو مكة واليمن.

قالوا: ومتى تراه؟ قال: فنظر إلى - وأنا من أحدثهم سناً - فقال: إن يستنفذ^(٣) هذا الغلام عمره يدركه.

قال سلمة: «فوالله ما ذهب الليل والنهار، حتى بعث الله تعالى رسوله ﷺ، وهو حى بين أظهرنا، فأما به، وكفر به بغياً وحسداً، فقلنا: ويلك يا فلان، أأنت بالذى قلت لنا فيه ما قلت؟ قال: بلى: وليس به»^(٤).

* وعن كعب الأحبار قال: «إنى أجد فى التوراة مكتوباً: محمد رسول الله، لا فظ ولا غليظ، لا سخاب فى الأسواق، ولا يجرى السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، أمته الحمدادون، يحمدون الله فى كل منزلة، ويكبرونه على كل نجد يأتزرون إلى أنصافهم، ويوضئون أطرافهم، صفهم فى الصلاة، وصفهم فى القتال سواء مناديبهم ينادى فى جو السماء، لهم فى جوف الليل دوى كدوى النحل، مولده بمكة، ومهاجره بطابة، ومُلكه بالشام»^(٥).

(١) التنور: الفرن.

(٢) يطبق به عليه: يعلق عليه.

(٣) يستنفذ: يعيش عمره.

(٤) أخرجه ابن هشام فى السيرة: (٢١٢/١) من طريق ابن إسحاق، قال: حدثنى صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن محمود بن لبيد، عن سلمة به، فصرح ابن إسحاق بالتحديث فانتفت شبة التدليس». ومن طريق ابن إسحاق أخرجه أحمد فى المسند: (٤٦٧/٣)، والطبرانى فى الكبير حديث: (٦٣٢٧)، والبخارى فى التاريخ الكبير: (٦٨/٢/٢)، وأبو نعيم فى الدلائل: (١٩١)، والحاكم فى المستدرک: (٤١٧/٣)، والبيهقى فى الدلائل: (٧٨/٢ - ٧٩) وصححه الحاكم، ووافقه الذهبى. وقال الهيثمى فى المجمع: (٢٣٠/٨). رواه أحمد والطبرانى، ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع». فالحديث صحيح.

(٥) أخرجه الدارمى فى المقدمة: (٤/١ - ٥) من طريق الأعمش عن أبى صالح قال: قال كعب: ورجاله ثقات، وجاء فى دلائل النبوة للبيهقى: (٣٧٧/١)، عن أم الدرداء قالت: قلت لكعب الأحبار - وذكر =

إخبار الكهان عن بعثة النبي ﷺ

✽ عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: «ما سمعت عمر بشيء قط يقول: إني لأظنه كذا، إلا كان كما يظن».

بينما عمر جالس إذ مر به رجل جميل، فقال عمر: «لقد أخطأ ظني أو إن هذا على دينه في الجاهلية، أو لقد كان كاهنهم، على الرجل، فدعى له، فقال له ذلك».

فقال: ما رأيت كالיום استقبل به رجلاً مسلماً. قال: فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتنى. قال: كنت كاهنهم في الجاهلية. قال: فما أعجب ما جاءتك به جنيتك؟ قال: بينما أنا يوماً في السوق، جاءتنى أعرف منها الفزع، فقالت:

ألم تر الجن وإبلاسها ويأسها من بعد إنكاسها^(١)

ولحوقها بالقلاص^(٢) وأحلاسها

قال: صدق بينما أنا نائم عند آلهتهم، إذ جاء رجل بعجل فذبحه، فصرخ به صارخ لم أسمع صارخاً قط أشد صوتاً منه يقول: يا جليح^(٣)، أمر نجيح، رجل فصيح يقول: لا إله إلا الله فوثب القوم، قلت: لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا، ثم نادى: يا جليح، أمر نجيح، رجل فصيح، يقول: لا إله إلا الله. فقممت، فما نشينا أن قيل: هذا نبي^(٤).

✽ وعن جابر (رضى الله عنه) قال: «إن أول خبر قدم علينا عن رسول الله ﷺ أن امرأة كان لها تابع^(٥) قال: فأتاها في صورة طير، فوقع على جذع لهم، قال فقالت: ألا

= شبيهاً بهذا البيهقي وقد جاء عند الدارمي: (٦/١)، من طريق معاوية بن صالح عن أبي فروة، عن ابن عباس، أنه سأل كعب الأحبار.

(١) يأسها من بعد إنكاسها: بأسها من الاستماع أو استراق السمع بعد أن كانت ألفته، فانقلبت عن الاستراق وقد يئس من السماع.

(٢) القلاص: جمع قلوص: وهي الفتيمة من النياق.

(٣) جليح: الوقح المكافح بالعداوة.

(٤) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة، باب إسلام عمر: ٣٦٥٣، ومناقب الأنصار: (٣٨٦٦)، والبيهقي في الدلائل: (٢٤٨/٢). وابن أبي خيثمة في تاريخه، والرويانى في مسنده، كما عزاه إليهما ابن حجر في الإصابة: (٩٥/٢).

(٥) التابع: صاحب من الجن.

رفع
عبد الرحمن بن الفضل
أسكنه الله الفردوس

تنزل فتخبرك وتخبرنا، قال: إنه قد خرج رجل بمكة حرم علينا الزنا، ومنع منا القرار^(١)»^(٢).

حالة المجتمع الجاهلي قبل بعثة الحبيب ﷺ

لقد اجتمعت كلمة المؤرخين عامة على أن العالم الإنساني قاطبة، والعالم العربي بصورة خاصة كان يعيش في دياجير ظلام الظلم والجهل، وظلمات الطغيان والاستبداد، تتنازع الإمبراطوريتان الفارسية شرقاً، والرومانية غرباً. ويؤكد هذه الحقيقة قول الحبيب محمد ﷺ . (إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب)^(٣). فالأحوال متردية ساقطة هابطة في العالم الإنساني، بأسره، لا سيما في العالم العربي حيث الفساد في كل جوانب الحياة السياسية منها كالاقتصادية، والاجتماعية كالدينية الكل سواء^(٤).

* وقد كانت مكة على عهد البعثة تموج بحركة عاصفة من الشهوات والمآثم، وكان الرجال يحيون فيها أمثلة قوية لنضج الأهواء وشلل الأفكار، أو نمائها في ظل الهوى الجامح ولخدمته وحده.

كُفِر بالله واليوم الآخر، إقبال على نعيم الدنيا في التشبع منه، رغبة عميقة في السيادة والعلو ونفاذ الكلمة... عصبية طائشة نسالم ونحارب من أجل ذلك، تقاليد متوارثة توجه نشاط الفرد المادى والأدبى... من الخطأ أن تحسب مكة يومئذ قرية منقطعة عن العمران في صحراء موحشة، لا تحس من الدنيا إلا الضرورات التي تمسك عليها الرمم، كلا. إنما شبت حتى بطرت، وتنازعت الكبرياء حتى تطاحت عليها، وكثر فيها من تغلغل الإلحاد في أغوار نفسه حتى عزَّ إخراجَه منه. فهم من بين عمِّ عن الصواب أو جاحد له، وفي هذا المجتمع الذى لم ينل حظاً يذكر من الحضارة العقلية، بلغ غرور الفرد مداه، ووجد من يسابق فرعون عتوه وطفواه.

(١) القرار: الاستقرار.

(٢) أخرجه أحمد في المسند: (٣/٣٥٦)، عن طريق إبراهيم بن أبي العباس أبو المليلح، حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل به، وأبو نعيم في الدلائل: (١/١٠٧) حديث: (٥٦)، وابن سعد في الطبقات: (١/١٨٩)، وقال الهيثمي في المجمع: (٨/٢٤٣): رواه أحمد والطبراني في الأوسط، ورجاله وثقوا.

(٣) أخرجه مسلم وأحمد - صحيح الجامع (٢٦٣٧).

(٤) هذا الحبيب يا محب (ص: ٢٣).

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

قال عمرو بن هشام معللاً كفره برسالة محمد عليه الصلاة والسلام: زاحمنا بنى عبد مناف فى الشرف، حتى إذا صرنا كفرسى رهان قالوا: منا نبى يوحى إليه، والله لا نؤمن به ولا نتبعه أبداً إلا أن يأتينا وحى كما يأتيه، وزعموا أن الوليد بن المغيرة قال لرسول الله ﷺ: لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك، لأنى أكبر منك سنّاً وأكثر منك مالاً^(١).

❖ وفى حديث أم سلمة رضى الله عنها فى قصة الهجرة إلى الحبشة ومحاورة جعفر رضى الله عنه للنجاشى وقوله:

«أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسئ الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله تعالى لنوحده ونعبد، ونخلع^(٢) ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان. وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة»^(٣).

❖ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: إذا سرك أن تعلم جهل العرب، فاقرأ ما فوق الثلاثين ومئة فى سورة الأنعام ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٠]^(٤).

فلما اكتظت الأرض بالمفاسد والضلالات زاد التطلع إلى مقدم هذا المصلح المرتقب، وكان هناك رجال ممن ينكرون الجهالة السائدة يستشرفون للمنصب الجليل، ويتمنون لو اختيروا له، منهم أمية بن أبى الصلت الذى جعل شعره بالتحدث عن الله وما يجب له من محامد، حتى قال رسول الله ﷺ فيه «كاد أمية أن يسلم»^(٥).

وعن عمرو بن الشريد عن أبيه: ردت رسول الله ﷺ يوماً فقال: هل معك من شعر

(١) فقه السيرة (ص: ٢٥ - ٢٦).

(٢) نخلع: نترك.

(٣) قال الهيثمى فى المجمع (٢٤/٦ - ٢٧): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع - فالحديث بهذا صحيح.

(٤) أخرجه البخارى (٣٥٢٤) المناقب/ باب: قصة زمزم وجهل العرب.

(٥) جزء من حديث رواه البخارى (٥٥٣/١٠) الأدب، ومسلم (١٣/١٥) الشعر. وأوله: «أصدق كلمة قالها شاعر»، واقتصر الترمذى على الجزء الأول منه (٢٩١/١٠) الأدب.

أمية بن أبي الصلت: قلت: نعم. قال: هيه، فأنشده بيتاً فقال: هيه، حتى أنشدته مائة بيت (١).

العادات السيئة في المجتمع الجاهلي

من جملة العادات السيئة التي هبطت بالمجتمع العربي قبل الإسلام هي:

(١) القمار والمعروف بالميسر، وهذه عادة سكان المدن في الجزيرة كمكة والطائف وصنعاء وهجر ويثرب ودومة الجندل وغيرها وقد حرمه الإسلام بآية سورة المائدة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

(٢) شرب الخمر والاجتماع عليها والمباهاة بتعتيقها وغلاء ثمنها، وكان هذا عادة أهل المدن من أغنياء، وكبراء وأدباء وشعراء، ولما كانت هذه العادة متأصلة فيهم متمكنة من نفوسهم حرمها الله تعالى عليهم بالتدريج شيئاً فشيئاً، وذلك من رحمة الله تعالى بعباده فله الحمد وله المنة.

(٣) نكاح الاستبضاع وهو أن تحيض امرأة الرجل منهم فتطهر فيطلب لها أشرف الرجال وخيارهم نسباً وأدباً ليطؤها من أجل أن تنجب ولداً يرث صفات الكمال التي حملها أولئك الواطئون لها.

(٤) وأد البنات وهي أن يدفن الرجل ابنته بعد ولادتها حية في التراب خوف العار. وجاء في القرآن الكريم التنديد بهذا العمل وتقبيحه وذلك بذكر توبيخ فاعله يوم القيامة. قال تعالى من سورة التكويد: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ ؟ [التكويد: ٨، ٩].

(٥) قتل الأولاد مطلقاً ذكوراً كانوا أو إناثاً، وذلك عند وجود فقر وحالة مجاعة، أو لمجرد توقع فقر شديد عندما تلوح في الأفق آثاره لوجود محل وقحط بانقطاع المطر أو

(١) رواه مسلم (١١/١٥) الشعر وقال النووي: ومقصود الحديث أن النبي ﷺ استحسّن شعر أمية واستزاد من إنشاده لما فيه من الإقرار بالوحدانية والبعث ففيه جواز إنشاد الشعر الذي لا فحش فيه وسماعه سواء شعر الجاهلية وغيره، وأن المذموم من الشعر الذي لا فحش فيه إنما هو الإكثار منه وكونه غالباً على الإنسان فأما يسيره فلا بأس بإنشاده وسماعه وحفظه - شرح النووي على صحيح مسلم هامش (١٢/١٥).

قلته. فحرم الإسلام هذه العادة السيئة القبيحة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: ٣١]. والإملاق شدة الفقر وعظمه.

(٦) تبرج النساء بخروج المرأة كاشفة عن محاسنها مارة بالرجال الأجانب متغنجة^(١) في مشيتها متكسرة كأنها تعرض نفسها وتُغرى بها غيرها.

(٧) اتخاذ الحرائر من النساء الأخدان من الرجال وذلك بالاتصال بهم وتبادل الحب معهم في السر وهم أجنب عنهن، فحرم الإسلام هذه العادة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُتَّخَذَنَّ أَخْدَانٌ﴾ [النساء: ٢٥]، وحرم على الرجال ذلك بقوله: ﴿وَلَا تُتَّخَذِ أَخْدَانٌ﴾ [المائدة: ٥].

(٨) إعلان الإماء عن البغى بهن وذلك بأن تجعل إحداهن راية حمراء على باب منزلها لتُعرف أنها بغى ويغشاها الرجال وتأخذ على ذلك أجراً أى مالا مقابل الاستبضاع.

(٩) العصبية القبلية وهى مبدأ: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» فجاء الإسلام فأمر بنصرة الأخ المسلم قريباً كان أو بعيداً، إذ الأخوة المعتبرة هنا هى أخوة الإسلام. ونصرته إذا كان مظلوماً بدفع الظلم عنه، ونصرته إذا كان ظالماً بمنعه من الظلم وحجزه عنه، قال رسول الله ﷺ فى رواية البخارى: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»، فقل يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً: فكيف أنصره إذا كان ظالماً؟ قال: «تحجزه عن الظلم».

(١٠) شن الغارات والحروب على بعضهم البعض للسلب والنهب... فالقبيلة القوية تغير على الضعيفة لتسلبها مالها؛ إذ لم يكن لهم حكم ولا شرع يرجعون إليه فى أغلب الأوقات وفى أكثر البلاد.

ومن أشهر حروبهم حرب داحس والغبراء التى وقعت بين عبس من جهة وذيبيان وفزارة من جهة أخرى. وحرب البسوس حتى قيل: أشأم من حرب البسوس التى دامت كذا سنة وكانت بين بكر وتغلب. وحرب بُعثات التى وقعت بين الأوس والخزرج بالمدينة النبوية قبيل الإسلام. وحرب الفجار التى دارت بين قيس عيلان من جهة وبين كنانة وقريش من جهة مقابلة، وسميت حرب الفجار لأنها وقعت فى الأشهر الحرم.

(١) تغنجت المرأة: تدللت على زوجها بملاحة، كأنها تخالفه وليس بها خلاف.

(١١) عدم الامتهان تكبراً وأنفة؛ إذ كانوا لا يمتهنون الحدادة والحياكة والحجامة ولا الفلاحة، وإنما يسندون هذه المهن لإمائهم وعبيدهم. أما الأحرار فحسبهم التجارة وركوب الخيل وشن الغارات وإنشاد الشعر والمفاخرات بالأحساب والأنساب. هذه معظم العادات السيئة التي كانت في المجتمع العربي قبل الإسلام وهي كما مرّت تحيل المجتمع إلى مجتمع ساقط هابط لا سعادة فيه ولا هناء^(١).

النكاح في الجاهلية

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء: فنكاح منها نكاح اليوم: يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته، فيصدقها ثم ينكحها. ونكاح آخر: كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها^(٢): أرسلني إلى فلان فاستبضعي^(٣) منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسه أبداً، حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع. ونكاح آخر: يجتمع الرهط^(٤) ما دون العشرة، فيدخلون على المرأة كلهم يصيبيها^(٥)، فإذا حملت، ووضعت، ومر ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتكم الذي كان من أمركم، وقد ولدت، فهو ابنك يا فلان، تسمى من أحببت باسمه، فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل.

والنكاح الرابع: يجتمع الناس الكثير، فيدخلون على المرأة لا تمتنع من جاءها^(٦)، وهنّ البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها، ودعوا لهم القافة^(٧)، ثم ألحقوا ولدها

(١) هذا الحبيب يا محب (ص: ٣٠: ٣٢) / أبو بكر الجزائري.

(٢) الطمث: الحيض.

(٣) استبضعي: طلب الجماع حتى تحمل منه.

(٤) الرهط: الجماعة دون العشرة.

(٥) يصيبيها: يجامعها.

(٦) جاءها: دخل عليها.

(٧) القافة: جمع القائف وهو الذي يعرف شبه الولد بالوالد بالآثار الخفية.

رفق
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

بالذى يرون، فالتاطه^(١) به، ودعى ابنه، لا يمتنع من ذلك. فلما بعث محمد ﷺ، بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم^(٢).

العوادات الحسنة فى المجتمع الجاهلى

ومع تلك الجاهلية التى كان يعيش فيها المشركون إلا أنه كانت هناك باقة عطرة من العادات الحسنة نجملها فيما يلى:

(١) الصدق والمراد به صدق الحديث وهو خلق كريم عرف به العرب فى الجاهلية قبل الإسلام فزاده الإسلام تقريراً وتمتيناً.

(٢) قرى الضيف وهو إطعامه، وهو من الكرم الذى يحمّد صاحبه عليه، ويحمّد له ويشنى به عليه فجاء الإسلام بتقريره وتأكيده إذ قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه».

(٣) الوفاء بالعهود وعدم نكثها ومهما كلفت من ثمن وهو خلق سام شريف وجاء الإسلام بتقريره وتأكيده قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بَعْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ فى بيان صفات المؤمنين من سورة البقرة [١٧٧].

(٤) احترام الجوار وتقرير مبدأ الحماية لمن طلبها، وعدم خفّره مهما كانت الأحوال، وفى الحديث: «أجرنا من أجرت يا أم هانئ» وأجار المسلمون أبا العاص بن الربيع وهو مشرك حتى دخل المدينة واسترد ودائعته وأمواله وعاد إلى مكة ثم أسلم بعد.

(٥) الصبر والتحمل. حتى قالوا: «تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها» وجاء الإسلام فزاد هذا الخلق قوة ومتانة. وفى القرآن: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وفى الحديث: «من صبر ظفر».

(٦) الشجاعة والنجدة والأنفة وعدم قبول الذل والمهانة وهى خلال امتاز بها العرب نساءً ورجالاً، وفى أشعارهم وأقاصيصهم شواهد ذلك.

(٧) احترام الحرم والأشهر الحرم، بعدم القتال فيها إلا من ضرورة، وتأمين الوافدين إلى الحرم، ولو كانوا ذوى سوابق فى الشر.

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

(١) التاطه: استلحقه بنسبه.

(٢) أخرجه البخارى فى النكاح، باب من قال لا نكاح إلا بولي: رقم (٥١٢٧).

- (٨) تحريمهم نكاح الأمهات والبنات.
 (٩) اغتسالهم من الجنابة.
 (١٠) المداومة على المضمضة والاستنشاق.
 (١١) السواك والاستنجاء، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط.
 (١٢) الختان للأطفال. والحفاض للبنات.
 (١٣) قطعهم يد السارق اليمنى.
 (١٤) الحج والعمرة.

فهذه جملة من العادات الحسنة الحميدة التي عُرف بها العرب في الجاهلية قبل الإسلام. وإنها وإن لم تكن عامة في كل فرد فإنها الطابع العام على غالبيتهم ولولا إرادة الاختصار، وثقة القارئ فيما أقدمه له لذكرت شواهد ذلك من كلامهم ووقائعهم نظاماً ونثراً، وحسبنا من ذلك أن أبا سفيان بن حرب لما حضر عند هرقل ملك الروم بالشام وسأله عن النبي ﷺ لم يكتمه شيئاً مما سأله عنه، مع العلم بأنه ما زال مشركاً وفي حرب مع الإسلام والمسلمين^(١).

الباحثون عن الحقيقة

لقد حفل التاريخ الإسلامي قديمه وحديثه بنماذج رائعة من المهتمين الذين ارتفعت همتهم في البحث عن الدين الحق، وبذلوا في سبيل ذلك النفس والنفيس، فصاروا مضرب الأمثال، وحجة لله على خلقه أن من انطلق باحثاً عن الحق مخلصاً لله تعالى، فإن الله - عز وجل - يهديه إليه، ويمن عليه بأعظم نعمة في الوجود.. نعمة الإسلام^(٢).

وها نحن على موعد مع هذا الصحابي الجليل الذي سلك الدروب والشعاب والبلدان باحثاً عن الحق وتأبى همته العالية أن تجعله يتخاذل عن هذا المطلب العالي لحظة واحدة.

وأنا في الحقيقة أهدى تلك القصة إلى مسلمي زماننا الذين لا يعرفون قدر نعمة الإسلام - إلا من رحم الله - فإذا تعارض الدين مع الدنيا طرحوا الدين جانِباً ووضعوا

(١) هذا الحبيب يا محب (ص: ٣٢: ٣٤).

(٢) علو الهمة/ محمد إسماعيل (ص: ٢١٧).

رَفَعُ

عبد الرحمن بن العنبري
 أَسْكَنَ اللَّهُ الْوَدَّ وَالْوَدَّ

الدنيا نُصب الأعين وفوق الرؤوس - ولا حول ولا قوة إلا بالله -^(١).

※ عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: حدثني سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: «كنت من أهل فارس من أهل أصبهان، من قرية يقال لها جَيٌّ، وكان أبي دهقان أرضه^(٢)، وكان يحبني حباً شديداً لم يحبه شيئاً من ماله ولا ولده، فما زاله به حبه إياي حتى حبسني في البيت كما تُحبس الجارية. واجتهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار^(٣) (الذي يوقدها) ولا يتركها تخبو ساعة، فكنت كذلك لا أعلم من أمر الناس شيئاً إلا ما أنا فيه، حتى بنى أبي بنياناً له، وكانت له ضيعة فيها بعض العمل، فدعاني فقال: أي بني، إنه قد شغلني ما ترى من بنياني عن ضيعتي هذه، ولا بد لي من إطلاعها، فانطلق إليها فأمرهم بكذا وكذا ولا تحبسني عني، فإنك إن احتبست عني شغلتنى عن كل شيء... فخرجت أريد ضيعتي، فمررت بكنيسة النصارى، فسمعت أصواتهم فيها، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: هؤلاء النصارى يصلون. فدخلت أنظر فأعجبني ما رأيت من حالهم. فوالله ما زلت جالساً عندهم حتى غربت الشمس.

وبعث أبي في طلبي في كل جهة حتى جئته حين أمسيت ولم أذهب إلى ضيعتي، فقال أبي: أين كنت؟ ألم أكن قلت لك؟ فقلت: يا أبتاه مررت بناس يقال لهم النصارى، فأعجبني صلواتهم ودعائهم، فجلست أنظر كيف يفعلون. فقال: أي بني دينك ودين آبائك خير من دينهم. فقلت: لا والله ما هو بخير من دينهم، هؤلاء قوم يعبدون الله ويدعون ويصلون له، ونحن إنما نعبد ناراً نوقدها بأيدينا، إذا تركناها ماتت. فخافني، فجعل في رجلي حديداً، وحبسني في بيت عنده، فبعثت إلى النصارى، فقلت لهم: أين أصل هذا الدين الذي أراكم عليه؟ فقالوا: بالشام. فقلت: فإذا قدم عليكم من هناك ناسٌ فأذنوني، قالوا: نفعل. فقدم عليهم ناسٌ في تجارتهم.

فبعثوا إلىَّ أنه قد قدم علينا تجار من تجارنا. فبعثت إليهم إذا قضا حوائجهم وأرادوا الرحيل بعثوا إلىَّ بذلك، فطرح الحديد الذي في رجلي ولحقت بهم، فانطلقت معهم حتى قدمت الشام. فلما قدمتها، قلت: من أفضل أهل هذا الدين؟ فقالوا: الأسقف صاحب الكنيسة^(٤). فجئته، فقلت له: أحبيت أن أكون معك في كنيستك، وأعبد الله

(١) أصحاب الرسول ﷺ (٢/٨٥-٨٦) / للمصنف.

(٢) دهقان أرضه: شيخ قريته العارف بها بالفلاحة وما يصلح بالأرض من الشجر يلجأ إليه في معرفة ذلك.

(٣) قطن النار: خادمها الذي يخدمها، ويمنعها من أن تنطفئ لتعظيمهم إياها.

(٤) الأسقف: هو عالم النصارى الذي يقيم لهم أمر دينهم.

معك، وأتعلّم منك الخير. قال: فكن معي.

قال: فكنت معه، وكان رجل سوء؛ كان يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها. فإذا جمعوها إليه اكتنزها ولم يعطها المساكين. فأبغضته بغضاً شديداً لما رأيت من حاله، فلم ينشب أن مات، فلما جاءوا ليدفنوه قلت لهم: إن هذا رجل سوء؛ كان يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها، حتى إذا جمعتموها إليه اكتنزها ولم يعطها المساكين. فقالوا: وما علامة ذلك؟ فقلت: أنا أخرج لكم كنزه. فقالوا: فهاته. فأخرجت لهم سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً (فضة). فلما رأوا ذلك قالوا: والله لا يدفن أبداً. فصلبوه على خشبة ورموه بالحجارة، وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه. فلا والله يا ابن عباس، ما رأيت رجلاً قط لا يصلي الخمس أرى أنه أفضل منه أشد اجتهاداً، ولا أزهّد في الدنيا، ولا أدأب^(١) ليلاً ولا نهاراً منه. ما أعلمني أحببت شيئاً قط قبله حبه. فلم أزل معه حتى حضرته الوفاة.

فقلت: يا فلان، قد حضرك ما ترى من أمر الله، وإني والله ما أحببت شيئاً قط، حبك، فماذا تأمرني؟ إلى من توصيني؟ فقال: أي بني، والله ما أعلمه إلا رجلاً بالموصل فأتته، فإنك ستجده على مثل حالي.

فلما مات (وغيب) لحقت بالموصل، فأتيت صاحبها، فوجدته على مثل حاله من الاجتهاد والزهادة في الدنيا، فقلت له: إن فلاناً أوصاني إليك أن آتيك وأكون معك. قال: فأقم أي بني. فأقمت عنده على مثل أمر صاحبه، حتى حضرته الوفاة. فقلت له: إن فلاناً أوصاني إليك وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من توصيني فقال: والله ما أعلمه، أي بني، إلا رجل بنصيبين وهو على مثل ما نحن عليه، فالحق به، فلما دفناه. لحقت بالآخر فقلت له: يا فلان، إن فلاناً أوصاني إلى فلان، وفلان أوصاني إليك. قال: فأقم يا بني. فأقمت عنده على مثل حالهم حتى حضرته الوفاة. فقلت له: يا فلان، إنه قد حضرك من أمر الله ما ترى، وقد كان فلان أوصاني إلى فلان، وأوصاني فلان إلى فلان، وأوصاني فلان إليك، فإلى من توصيني؟ قال لي: أي بني، والله ما أعلم أحداً على مثل ما نحن عليه إلا رجل بعمورية من أرض الروم، فأتته، فإنك ستجده على مثل ما كنا عليه.

فلما واريته^(٢)، خرجت حتى قدمت على صاحب عمورية، فوجدته على مثل

رفع

عبد الرحمن بن أبي بكر
السلمي القتيبي القزويني

(١) أدأب: أحرص.

(٢) واريته: دفنته.

حالهم، فأقمت عنده، واكتسبت حتى كان لى غنيمة وبقرات. ثم حضرته الوفاة. فقلت: يا فلان، إن فلاناً كان أوصانى إلى فلان، وفلان إلى فلان، وفلان إليك، وقد حضر ك ما ترى من أمر الله تعالى، فإلى من توصينى؟

قال: أى بنى، والله ما أعلمه بقى أحد على مثل ما كنا عليه آمرك أن تأتبه. ولكنه قد أظلك زمان نبي يُبعث من الحرم، مهاجرة بين حرتين^(١)، إلى أرض سبخة ذات نخيل، وإن فيه علامات لا تخفى: بين كتفيه خاتم النبوة، يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة. فإن استطعت أن تخلص إلى تلك البلاد فافعل، فإنه قد أظلك زمانه.

فلما واريناه، أقمت حتى مر رجال من تجار العرب من كلب، فقلت لهم: تحملونى معكم حتى تقدموا بى أرض العرب، وأعطيك غنيمتى هذه وبقراتى؟ قالوا: نعم. فأعطيتهم إياها، وحملونى حتى إذا جاءوا بى وادى القرى ظلمونى فباعونى عبداً من رجل من يهود، بوادى القرى فوالله لقد رأيت النخل، وطمعت أن تكون البلد الذى نعت لى صاحبي وما حققت عندي، حتى قدم رجل من بنى قريظة، من يهود وادى القرى، فابتاعنى من صاحبي الذى كنت عنده، فخرج بى حتى قدم المدينة. فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفت نعتي، فأقمت فى رق مع صاحبي.

وبعث الله رسوله ﷺ، بمكة لا يذكر لى شيئاً من أمره مع ما أنا فيه من الرق حتى قدم رسول الله ﷺ قباء، وأنا أعمل لصاحبي فى نخلة له. فوالله إني لفيها إذ جاء ابن عم له، فقال: يا فلان قاتل الله بنى قيلة^(٢)، ووالله إنهم الآن لفي قباء مجتمعون على رجل من مكة، يزعمون أنه نبي، فوالله ما هو إلا أن سمعتها، فأخذتني «العرواء» - «الرعدة» - حتى ظننت لأسقطن على صاحبي. ونزلت أقول: ما هذا الخبر؟ ما هو؟ فرفع مولاي يده، فلكنى لكمة شديدة، وقال: ما لك ولهذا؟ أقبل قبل عملك. فقلت: لا شيء، إنما سمعت خبراً فأحببت أن أعلمه. فلما أمسيت، وكان عندي شيء من طعام، فحملته وذهبت به إلى رسول الله ﷺ، وهو بقباء، فقلت: إنه قد بلغنى أنك رجل صالح، وأن معك أصحاباً لك غرباء، وقد كان عندي شيء للصدقة، فرأيتكم أحق من بهذه البلاد (به) فيها هو ذا فكل منه. فأمسك رسول الله ﷺ بيده، وقال: لأصحابه: كلوا، ولم يأكل. فقلت فى نفسى هذه حُلة مما وصف لى صاحبي.

رَفَعُ

عبد الرحمن بن عبد الرحمن
أسكنه الله الفردوس

(١) الحرة: الأرض الصخرية ذات الحجارة السود كأنها أحرقت بالنار.

(٢) بنى قيلة: هم الأوس والخزرج ينسبون إلى أمهم قيلة بنت كاهل بن عذرة.

ثم رجعت، وتحول رسول الله ﷺ، إلى المدينة فجمعت شيئاً كان عندي ثم جئته به، فقلت: قد رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية وكرامة ليست بالصدقة. فأكل رسول الله ﷺ، وأكل أصحابه. فقلت: هاتان خلتان.

ثم جئت رسول الله ﷺ وهو يتبع جنازة وعلى شملتان لى وهو فى أصحابه، فاستدريت به لأنظر إلى الخاتم فى ظهره، فلما رآنى رسول الله ﷺ، استدبرته عرف أنى أستثبت شيئاً قد وصف لى، فوضع رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه كما وصف لى صاحبى فأكبت عليه أقبله وأبكى. فقال: تحول يا سلمان هكذا. فتحولت فجلست بين يديه. وأحب أن يسمع أصحابه حديثى عنه. فحدثته يا ابن عباس كما حدثتك. فلما فرغت قال رسول الله ﷺ: كاتب يا سلمان. فكاتبت صاحبى على ثلاثمائة نخلة أحبيها، وأربعين أوقية. وأعاننى أصحاب رسول الله، بالنخل: ثلاثين ودية^(١). وعشرين ودية، وعشر، كل رجل منهم على قدر ما عنده. فقال لى رسول الله ﷺ: فقرر لها^(٢) فإذا فرغت فأذنى حتى أكون الذى أضعها بيدى.

ففقرتها وأعاننى أصحابى - يقول حفرت لها حيث توضع - حتى فرغنا منها. ثم جئت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، قد فرغنا منها فخرج معى حتى جاءها، وكنا نحمل إليه الودى، ويضعه بيده، ويسوى عليها. فوالذى بعثه بالحق ما ماتت منها ودية واحدة. وبقيت على الدراهم. فأتاه رجل من بعض المعادن بمثل البيضة من الذهب، فقال رسول الله ﷺ: أين الفارسى المسلم المكاتب؟ فدعيت له، فقال: خذ هذه يا سلمان، فأدها مما عليك. فقلت: يا رسول الله، وأين تقع هذه مما على؟ قال: فإن الله تعالى سيؤدى بها عنك. فوالذى نفس سلمان بيده لو زنت لهم منها أربعين أوقية، فأديتها إليهم وعُتق سلمان. وكان الرق قد حبسنى حتى فانتى مع رسول الله ﷺ، بذراً وأحد، ثم عتقت فشهدت الخندق، ثم لم يفتنى معه مشهد^(٣).

(١) الودية: النخلة الصغيرة.

(٢) فقر لها: أى أحفر.

(٣) أخرجه أحمد فى المسند: (٤٤١/٥ - ٤٤٤)، وابن هشام فى السيرة: (٢٢٨/١ - ٢٣٥)، والبيهقى فى الدلائل (٩٢/٢ - ٩٧) والخطيب فى التاريخ: (١٦٤/١ - ١٦٩)، وأبو نعيم فى دلائل النبوة: ١٩٩، وابن سعد فى الطبقات: (٧٥/٤ - ٨٠)، والطبرانى فى الكبير برقم (٦٠٦٥)، جميعاً من طريق ابن إسحاق، حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن ابن عباس عن سلمان به. وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث فزالت شبهة التدليس والإسناد حسن.

• بل ها هو زيد بن عمرو بن نفيل الذي كان على الحنيفية السمحة:

* عن ابن عمر (رضي الله عنهما): «أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه، فلقي عالماً من اليهود فسأله عن دينهم فقال: إني لعلی أن أدين دينكم فأخبرني، فقال: لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله^(١).

قال زيد: ما أفرُّ إلا من غضب الله، ولا أحمل من غضب الله شيئاً، وأنى أستطيعه؟ فهل تدلني على غيره؟

قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً. قال زيد: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً، ولا يعبد إلا الله؟

فخرج زيد فلقي عالماً من النصارى فذكر مثله، فقال: لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله. قال: ما أفرُّ إلا من لعنة الله^(٢)، ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً، وأنى أستطيع؟ فهل تدلني على غيره؟

قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً. قال: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً، ولا يعبد إلا الله، فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم عليه السلام خرج، فلما برز رفع يديه، فقال: اللهم إني أشهد أني على دين إبراهيم^(٣).

* وعن أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنها) قالت: «رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش، والله ما متكم على دين إبراهيم غيري، وكان يحيى المؤودة^(٤)، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: لا تقتلها، أنا أكفيك مؤونتها^(٥)، فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك، وإن شئت كفيتك مؤونتها^(٦).

(١) الغضب: نزول العقاب والعذاب.

(٢) اللعنة: الابعاد من الرحمة.

(٣) رواه البخاري في مناقب الأنصار، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل، رقم (٣٨٢٧).

(٤) يحيى المؤودة: يستبقها ويفنديها بالمال حتى لا يدفنها أبوها.

(٥) مؤونتها: نفقتها.

(٦) رواه البخاري في مناقب الأنصار، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل رقم (٣٨٢٨) فتح الباري:

(١٤٣/٧) معلقاً، ووصله الحاكم في المستدرک: (٤٤٠/٣) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم

يخرجاه، بل أخرجاه كما سبق ذكره، وقال الخافظ: وصله جماعة ذكرهم في الفتن.

رفع

* وعن ابن عمر (رضى الله عنهما) قال: «إن النبي ﷺ لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح^(١) قبل أن ينزل على النبي ﷺ الوحي، فقدمت إلى النبي ﷺ سفرة، فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد: إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم^(٢)، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه.

وأن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأثبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله، إنكاراً لذلك وإعظاماً له^(٣).

قال ابن إسحاق: وحدثت أن ابنه، سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعمر بن الخطاب - وهو ابن عمه - قالوا لرسول الله ﷺ: أنستغفر لزيد بن عمرو؟ قال: نعم فإنه يبعث أمة وحده^(٤).

قصة حفر زمزم

* عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه - قال: «قال عبد المطلب: إني لنائم في الحجر إذ أتاني آت فقال لي: احفر طيبة^(٥). قلت: وما طيبة؟ قال: ثم ذهب عني. قال: فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي، فنمت فيه، فجاءني فقال: احفر برة^(٦)، قال: قلت وما برة؟ قال: ثم ذهب عني.

فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي، فنمت فيه: فجاءني فقال: احفر المذنونة^(٧). قال: قلت: وما المذنونة؟ قال: ثم ذهب عني.

فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي، فنمت فيه: فجاءني فقال: احفر زمزم^(٨). قال:

(١) بلدح: مكان في طريق التنعيم في مكة.

(٢) الأنصاب: أحجار كانت حول الكعبة يذبحون عليها للأصنام.

(٣) رواه البخاري في مناقب الأنصار، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل رقم (٣٨٢٦).

(٤) رواه أحمد في المسند (١٦٤٨) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٥) طيبة: مشتقة من الطيب، وبه سميت المدينة المنورة.

(٦) برة: مشتقة من البر، والبر: هو الخير والطهارة.

(٧) المذنونة: الغالية النفيسة التي يضمن بمثلها، أي يُبخل.

(٨) زمزم: أصل الزمزمة كلام بصوت لا يفهم، فشبّه صوت الماء منها بالزمزمة.

رفع

عبد الرحمن بن العباس
أسكنه الله الفردوس

قلت: وما زمزم؟ قال: لا تنزف أبداً ولا تدم^(١)، تسقى الحجاج الأعظم، وهى بين الفرت والدم، عند نقرة الغراب الأعصم^(٢)، عند قرية النمل^(٣).

قال: فلما بين شأنها، ودل على موضعها، وعرف أنه قد صدق، غدا بمعوله^(٤) ومعه ابنة الحارث بن عبد المطلب، وليس معه يومئذ ولد غيره، فحفر فيها، فلما بدا لعبد المطلب الطي^(٥)، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه فقالوا: يا عبد المطلب إنها بئر أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقاً، فأشركنا معك فيها. قال: ما أنا بفاعل، إن هذا الأمر قد خُصصت به دونكم، وأُعطيته من بينكم. قالوا له: فأنصفنا، فإننا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها، قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه. قالوا: كاهنة بنى سعد بن هذيم، قال: نعم، وكانت بأشراف الشام.

فركب عبد المطلب ومعه نفر من بنى أمية، وركب من كل قبيلة من قريش نفر، فخرجوا والأرض إذ ذاك مفاوز، حتى إذا كانوا ببعضها نفذ ماء عبد المطلب وأصحابه، فعطشوا حتى استيقنوا بالهلكة، فاستسقوا من كانوا معهم فأبوا عليهم، وقالوا: إنا بمفازة^(٦) وإنا نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم. فقال عبد المطلب: إني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرة لنفسه بما لكم الآن من القوة، فكلما مات رجل دفعه أصحابه فى حفرة ثم واروه، حتى يكون آخرهم رجلاً واحداً، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعه. فقالوا: نعم ما أمرت به.

فحفر كل رجل لنفسه حفرة، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً.

ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه: والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لا ضرب فى الأرض، ولا نبتغى لأنفسنا لعجزاً، فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد، ارتحلوا. فارتحلوا حتى إذا بعث^(٧) عبد المطلب راحلته انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب، فكبر عبد المطلب، وكبر أصحابه، ثم نزل فشرب وشرب أصحابه، واستسقوا حتى ملأوا

(١) لا تنزف: أى لا يضرغ ماؤها ولا يلحق قعرها.

(٢) الغراب الأعصم: الذى فى ساقه بياض.

(٣) قرية النمل: المكان الذى يجتمع فيه النمل.

(٤) المعول: الفأس.

(٥) الطي: حافة البئر.

(٦) المفازة: جمعها مفاوز: القفار، وسميت مفازة على جهة التفاؤل وقيل هى مشتقة من فوز الرجل إذا هلك.

(٧) بعث راحلته: أقامها من بروكها.

رَفَعُ

عبد الرحمن بن محمد
أسكنه الله الفردوس

أسقيتهم، ثم دعا قبائل قريش - وهم ينظرون إليهم في جميع هذه الأحوال - فقال: هلموا إلى الماء فقد سقانا الله، فجاءوا فشربوا، واستقوا كلهم، ثم قالوا: قد والله قضى لك علينا، والله ما نخاصمك في زمزم أبداً، إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذي سقاك زمزم، فارجع إلى سقايتك راشداً. فرجع ورجعوا معه، ولم يصلوا إلى الكاهنة، وخلوا بينه وبين زمزم^(١).

قال ابن إسحاق: فهذا ما بلغني عن علي بن أبي طالب في زمزم^(١).

قصة نذر عبد المطلب بأن يذبح أحد أبنائه

قال ابن إسحاق: وكان عبد المطلب بن هاشم - فيما يزعمون والله أعلم - قد نذر - حين لقي من قريش ما لقي عند حفر زمزم - لثن ولد له عشرة نفر، ثم بلغوا معه حتى يمنعه، لينحرن أحدهم لله عند الكعبة. فلما توافى بنوه عشرة، وعرف أنهم سيمنعونه، جمعهم ثم أخبرهم بنذره، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك، فأطاعوه وقالوا: كيف نصنع؟ قال: ليأخذ كل رجل منكم قدحاً ثم يكتب فيه اسمه، ثم اتئونى، ففعلوا ثم أتوه، فدخل بهم على هبل في جوف الكعبة، وكان هبل - اسم الصنم - على بئر في جوف الكعبة، وكانت تلك البئر هي التي يجمع فيها ما يهدى للكعبة.

فقال عبد المطلب لصاحب القداح: اضرب على بنى هؤلاء بقداحهم هذه، وأخبره بنذره الذي نذر، فأعطاه كل رجل منهم قدحه الذي فيه اسمه.

قال ابن إسحاق: وكان عبد الله أحب ولد عبد المطلب إليه، وهو أبو رسول الله ﷺ، فلما أخذ صاحب القداح القداح ليضرب بها، قام عبد المطلب عند هبل يدعو الله، ثم ضرب صاحب القداح، فخرج القدح على عبد الله، فأخذه عبد المطلب بيده، وأخذ الشفرة^(٢)، ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبحه، فقامت إليه قريش من أنديتها، فقالوا:

(١) أخرجه ابن إسحاق بسنده، فقال: حدثني يزيد بن حبيب المصري، عن مرثد بن عبد الله البزني، عن عبد الله بن زريق أنه سمع علي بن أبي طالب، فذكره....

انظر السيرة النبوية لابن هشام: (١/١٤٢ - ١٥٥)، والسير والمغازي لابن إسحاق صفحة: (٢٤ - ٢٥) تحقيق سهيل زكار. والبيهقي في الدلائل: (١/٩٣ - ٩٥)، من طريق ابن إسحاق، وقد صرح ابن إسحاق بالسماع، فسنده صحيح، وله شاهد من مرسل الزهري عند عبد الرزاق في المصنف، حديث رقم: (٩٧١٨)، (٥/٣١٤)، ورواه ابن سعد في طبقاته: (١/٨٣ - ٨٥) من طريق الواقدي، وهو ضعيف. فالحديث بهذا صحيح من طريق البيهقي وابن هشام.

(٢) الشفرة: السكين.

رَفَعُ

عبد الرحمن بن أبي بكر
أسكنه الله الفردوس

ماذا تريد يا عبد المطلب؟ قال: أذبحه؛ فقالت له قريش وبنوه: والله لا تذبحه أبداً حتى تعذر فيه، لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه. فما بقاء الناس على هذا؟

وقالت له قريش وبنوه: لا تفعل، وانطلق به إلى الحجاز، فإن به عرافة لها تابع، فسألها، ثم أنت على رأس أمرك، إن أمرك بذبحه ذبحته، وإن أمرك بأمر لك وله فيه فرج قبلته.

فانطلقوا حتى قدموا المدينة فوجدوها - فيما يزعمون - بخير، فركبوا حتى جاءوها فسألوها، وقص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه، وما أراد به ونذره فيه، فقالت لهم: ارجعوا عنى اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله، فرجعوا من عندها فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله، ثم غدوا عليها، فقالت لهم: قد جاءني الخبر، كم الدية فيكم؟ قالوا: عشرة من الإبل، وكانت كذلك قالت: فارجعوا إلى بلادكم، ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشرة من الإبل، ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح: فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه، فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم.

فخرجوا حتى قدموا مكة، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر قام عبد المطلب يدعو الله؛ ثم قربوا عبد الله وعشرة من الإبل، وعبد المطلب قائم عند هبل يدعو الله عز وجل ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشرة من الإبل؛ فبلغت الإبل عشرين.

..... - إلى أن قال -: وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشرة من الإبل، فبلغت الإبل مئة، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل؛ فقالت قريش ومن حضر: قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب، فزعموا أن عبد المطلب قال: لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات؛ فضربوا على عبد الله وعلى الإبل، وقام عبد المطلب يدعو الله، فخرج القدح على الإبل، ثم عادوا الثانية، وعبد المطلب قائم يدعو، فضربوا فخرج القدح على الإبل؛ ثم عادوا الثالثة، وعبد المطلب قائم يدعو الله، فضربوا فخرج القدح على الإبل، فنحرت ثم تركت لا يُصد عنها إنسان ولا يمنع^(١).

رَفَعُ

عبد الرحمن الفيضاني
(أسكنه الله الفردوس)

(١) السيرة النبوية / لابن هشام (١/ ١٣٦: ١٣٩) بتصرف.

قال الطبري في تاريخه: حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال أخبرنا ابن وهب، قال أخبرنا يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب أنه أخبره أن امرأة نذرت أن تنحر ابنها عند الكعبة في أمر إن فعلته، ففعلت ذلك الأمر، فقدمت المدينة لتستفتي عن نذرها فجاءت عبد الله بن عمر فقال لها عبد الله بن عمر: قد نهاكم الله أن تقتلوا أنفسكم فلم يزدها عبد الله بن عمر على ذلك. فجاءت عبد الله بن عباس فاستفتته فقال: أمر الله بوفاء النذر، والنذر دين ونهاكم أن تقتلوا أنفسكم. وقد كان عبد المطلب ابن هاشم نذر إن توافق له عشرة رهط أن ينحر أحدهم. فلما توافى له عشرة أقرع بينهم أيهم ينحر، فطاررت القرعة على عبد الله بن عبد المطلب، وكان أحب الناس إلى عبد المطلب: فقال: عبد المطلب: اللهم هو أو مائة من الإبل، ثم أقرع بينه وبين الإبل، فطاررت القرعة على المائة من الإبل.

فقال ابن عباس للمرأة فأرى أن تنحري مائة من الإبل مكان ابنك. فبلغ الحديث مروان وهو أمير المدينة، فقال: ما أرى ابن عمر ولا ابن عباس أصابا الفتيا إنه لا نذر في معصية الله، استغفرى الله وتوبى إلى الله وتصدقى واعلمى ما استطعت من الخير، فأما أن تنحري ابنك فقد نهاك الله عن ذلك، فسرّ الناس بذلك وأعجبهم قول مروان، ورأوا أنه قد أصاب الفتيا، فلم يزالوا يفتون بلا نذر في معصية الله^(١).

قصة أصحاب الفيل

وخلاصة هذه القصة:

أن أبرهة الحبشي النائب العام عن النجاشي على اليمن لما رأى العرب يحجّون إلى الكعبة بنى كنيسة كبيرة بصنعاء وأراد أن يصرف حج العرب إليها، وسمع بذلك رجل من بنى كنانة فدخلها ليلاً فلبطخ قبلتها بالعذرة، ولما علم أبرهة بذلك ثار غيظه^(٢).

فقال: من صنع هذا؟ فقبل له: صنع هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذي تحج العرب إليه بمكة، لما سمع قولك: «أصرف إليها حج العرب» غضب فجاء فقعد فيها، أي أنها ليست لذلك بأهل، فغضب عند ذلك أبرهة، وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت، ثم سار وخرج معه بالفيل؛ وسمعت بذلك

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٢٣٩، ٢٤٠). قال عادل عبد الغفور في دراسة مرويات العهد المكي: وهذا إسناد

صحيح رجاله كلهم ثقات - صفحة ٩٤ من طبعة الآلة الكاتبة.

(٢) الرحيق المختوم (ص: ٤٧) للمباركفوري - ط. قرطبة.

رفع

عن الشيخ الفقيه
أبي بكر بن عبد الرحمن

العرب فأعظموه وفضعوا به، ورأوا جهاده حقاً عليهم، حين سمعوا أنه يريد هدم الكعبة، بيت الله الحرام.

فخرج إليه رجل كان من أشرف أهل اليمن وملوكهم يقال له: ذو نفر، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة، وجهاده عن بيت الله [الحرام]، وما يريد من هدمه وإخراجه، فأجابه إلى ذلك من أجابه، ثم عرض له فقاتله، فهزم ذو نفر وأصحابه، وأخذ له ذو نفر فأتى به أسيراً، فلما أراد قتله قال له ذو نفر: أيها الملك، لا تقتلني فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيراً لك من قتلي؛ فتركه من القتل وحبسه عنده في وثاق، وكان أبرهة رجلاً حليماً.

ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمي، في قبيلتي خثعم (شهران، وناهس)، ومن تبعه من قبائل العرب، فقاتله فهزمه أبرهة، وأخذ له نفيل أسيراً فأتى به، فلما هم بقتله قال له نفيل: أيها الملك، لا تقتلني فإنني دليلك بأرض العرب، وهاتان يداي لك على قبيلتي خثعم شهران، وناهس بالسمع والطاعة، فخلّى سبيله.

وخرج به معه يده، حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب في رجال ثقيف.

قال ابن إسحاق: فقالوا له: أيها الملك، إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون، ليس عندنا لك خلاف، وليس بيتنا هذا البيت الذي تريد - يعنون اللات - إنما تريد البيت الذي بمكة، ونحن نبعث معك من يدلك عليه، فتجاوز عنه.

قال ابن إسحاق: فبعثوا معه أبا رغال يده على الطريق إلى مكة، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المغمس^(١)؛ فلما أنزله [به] مات أبو رغال هنالك، فرجمت قبره العرب، فهو القبر الذي يرمون الناس بالمغمس.

فلما نزل أبرهة المغمس بعث رجلاً من الحبشة يقال له: (الأسود بن مقصود) على خيل له، حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال [أهل] تهامة من قريش وغيرهم، وأصاب فيها مئتي بعير لعبد المطلب بن هاشم، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها، فهتمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم [من سائر الناس] بقتاله، ثم عرفوا أنهم لا

(١) المغمس: كأنه أشتق من الغميس وهو الغمير، وهو النبات الأخضر الذي ينبت في الخريف تحت اليابس.

وهو مكان على ثلث فرسخ من مكة في طريق الطائف.

رفع

عبد الرحمن بن الحارث بن هشام
(أسكنه الله الفردوس)

طاقة لهم به، فتركوا ذلك.

وبعث أبرهة حناطة الحميري إلى مكة، وقال له: سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها، ثم قل [له]: إن الملك يقول لك: إني لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم هذا البيت، فإن لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم، فإن هو لم يرد حربى فأنتى به، فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها، ف قيل له: عبد المطلب بن هاشم [ابن عبد مناف بن قصي]، فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة، فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حرب، وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام، أو كما قال - فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمة، وإن يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه، فقال [له] حناطة: فانطلق معي إليه، فإنه قد أمرني أن آتيه بك.

فانطلق معه عبد المطلب - ومعه بعض بني - حتى أتى العسكر فسأل عن ذي نفر، وكان له صديقاً، حتى دخل عليه وهو في محبسه، فقال له: يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا، فقال له ذو نفر: وما غناء رجل أسير يدي ملك ينتظر أن يقتله غدواً أو عشياً! ما عندى غناء فى شيء مما نزل بك إلا أن أنيساً سائس الفيل صديق لى، وسأرسل إليه فأوصيه بك، وأعظم عليه حقك، وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك، ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك، فقال: حسبي (يكفينى ذلك)، فبعث ذو نفر إلى أنيس، فقال له: إن عبد المطلب سيد قريش، وصاحب غير مكة، يطعم الناس بالسهل، والوحوش فى رعوس الجبال، وقد أصاب له الملك مئتي بعير، فاستأذن له عليه، وانفعه بما استطعت، فقال: أفعل.

فكلم أنيس أبرهة، فقال له: أيها الملك، هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك، وهو صاحب غير مكة، وهو يطعم الناس فى السهل، والوحوش فى رعوس الجبال، فأذن له عليك، فيكلمك فى حاجته، [وأحسن إليه]. قال: فأذن له أبرهة.

قال: وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم، فلما رآه أبرهة أجله [وأعظمه] وأكرمه عن أن يجلسه تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه، [فنزل أبرهة عن سريرته] فجلس على بساطه، وأجلسه معه عليه إلى جانبه، ثم قال لترجمانه: قل له: حاجتك؟ فقال له ذلك الترجمان، فقال: حاجتى أن يرد على الملك مئتي بعير أصابها لى، فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبتنى حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتنى، أتكلمنى فى مئتي بعير أصبتها لك،

رفع

عن الشيخ الفقيه
السيد الشيخ الفقيه

وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمنى فيه؟! قال له عبد المطلب: إنى أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه.

فرد أبرهة على عبد المطلب الإبل التى أصاب له.

فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة، والتحرز فى شعف الجبال، والشعاب، تخوفاً عليهم [من] معرة الجيش^(١)، ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب وهو أخذ بحلقة باب الكعبة:

لَا هُمْ إِنْ الْعَبْدَ يَمْنَعُ رَحْلُهُ فَاَمْنَعُ حَلَالِكَ^(٢)
لَا يَغْلِبُنَّ صُلَيْبُهُمْ وَمَحَالُهُمْ غَدَوْاً مَحَالِكَ^(٣)
إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَقَبْلَتَنَا فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكَ

قال ابن إسحاق: ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها.

فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وهياً فيله وعبى جيشه^(٤)، وكان اسم الفيل محموداً؛ وأبرهه مَجْمَعٌ لهدم البيت، ثم الانصراف إلى اليمن، فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نُفَيْل بن حَبِيب [الخنعمى] حتى قام إلى جنب الفيل، ثم أخذ بأذنه فقال: ابرك محمود، أو ارجع راشداً من حيث جئت، فإنك فى بلد الله الحرام، ثم أرسل أذنه، فبرك الفيل، وخرج نُفَيْل بن حَبِيب يشتد حتى أصعد فى الجبل، وضربوا الفيل ليقوم، فأبى، فضربوا [فى] رأسه بالطبرزين^(٥) [ليقوم] فأبى، فأدخلوا محاجن لهم فى مرقه فبزغوه^(٦) بها ليقوم فأبى، فوجهوه راجعاً إلى اليمن، فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك، فأرسل الله عليهم

(١) شعف الجبال: رؤوسها. ومعرة الجيش: أى شدته.

(٢) لاهم: أى اللهم. وحلالك: جمع حاة وهى جماعة البيوت وربما أريد القوم المجتمعون لأنهم يحلون فيها.

(٣) محالك: القوة والشدّة.

(٤) عبى جيشه: يقال عبى الجيش بغير همزة وعبأت المناع بالهمزة.

(٥) الطبرزان: هى آلة معقفة من حديد وقال السهيلي: طبر هو الفأس، وذكر الطبرستان بفتح الباء وقال معناه:

شجر قطع بفأس.

(٦) بزغوه: أى آدموه.

رفع

عبد الرحمن بن عبد الحميد
أسكنه الله الفردوس

طيوراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان^(١)، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره، وحجران في رجله، أمثال الحمص والعُص، لا تُصيب منهم أحداً إلا هلك، وليس كلهم أصابت، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا، ويسألون عن نُفيل بن حبيب ليدلّهم على الطريق إلى اليمن، فقال نُفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نعمة:

أَيْنَ الْمَفَرِّ وَالْإِلَهَ الطَّالِبُ وَالْأَشْرَمُ الْمَغْلُوبُ لَيْسَ الْغَالِبُ

فخرجوا يتساقطون بكل طريق، ويهلكون [بكل مهلك] على غير كل مهلك^(٢) وأُصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم نسقط [أنامله] أنملة أنملة^(٣)، كلما سقطت أنملة أتبعناها منه مدة تمت^(٤) قَيْحاً ودمًا، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر، فما مات حتى انصدع صدره^(٥) عن قلبه.

قال ابن إسحاق: فلما بعث الله تعالى محمداً ﷺ، كان مما يعد الله على قريش من نعمته عليهم وفضله، ما رد عليهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ (١) ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴿الْفِيل: ١-٥﴾، وقال: ﴿لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ﴾ (١) ﴿إِلَافَهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ (٢) ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ (٣) ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ١-٤] (٦).

نعمة امتن الله بها على قريش

✽ قال ابن كثير: هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش، فيما صرف عنهم أصحاب الفيل، الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود فأبادهم الله وأرغم أنافهم، وخيب سعيهم، وأضل عملهم، وردهم بشر خيبة، وكانوا قومًا

(١) الخطاطيف: طيور سود، واحدها خطاف. والبلسان: قال ابن الأثير: قال عباد بن موسى: أظنها الزرازير.

(٢) المنهل: مكان ورود الماء وجمعه مناهل.

(٣) أنملة: أنملة: أى ينتثر جسمه قطعة قطعة؛ والأنملة طرف الإصبع، ولكن يعبر بها عن طرف غير الإصبع والجزء الصغير.

(٤) تمت: يتصبب ويرشح.

(٥) انصدع صدره: أى انشق.

(٦) السيرة النبوية لابن هشام (١/٥٦: ٦٣) باختصار شديد.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

نصارى، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالاً مما كانت عليه قريش من عبادة الأوثان، ولكن هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ، فإنه في هذا العام وُلد على أشهر الأقوال، ولسان حال القدرة يقول: لم ينصركم يا معشر قريش على الحبشة لخيريتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرفه ونوقره ببعثه النبي الأُمى محمد - صلوات الله وسلامه عليه - خاتم الأنبياء^(١).

زواج عبد الله من أمنة بنت وهب

وُلد محمد ﷺ من أسرة زكية المعدن نبيلة النسب. جمعت خلاصة ما في العرب من فضائل، وترفعت عما يشينهم من أوصار.

وكان منبت محمد ﷺ في أسرة لها شأنها، بعض ما أعد الله لرسالته من نجاح. فالمجتمع العربي الأول كان يقوم على العصبية القبلية الحادة. العصبية التي تفنى القبيلة كلها دفاعاً عن كرامتها الخاصة.

* وكان عبد المطلب سيد مكة، بيد أن هذه السيادة التي انتهت إليه انتهت به، ولم تستقر في عقبه، إذ اشتد ساعد منافسيهم في زعامة أم القرى. وبدا كأن الأمر سيؤول إليهم، بل إن هي إلا أعوام حتى تصدرت أسرة عبد شمس، ثم تمر أعوام أخرى فإذا أبو سفيان يتزعم مكة، وبذلك تنتقل السيادة عن بني هاشم.

و«عبد الله» أصغر أبناء عبد المطلب وله في قلبه منزلة جليلة، وقد زوجه بأمنة بنت وهب، ثم تركه يسعى في الحياة وحده، فخرج وهو عروس، بعد أشهر من بنائه بأمنة، خرج في مناكب الأرض ابتغاء الرزق، وذهب في رحلة الصيف إلى الشام، فذهب ولم يعد.. عادت القافلة تحمل أنباء مرضه، ثم جاء بعد قليل نعيه.

وكانت أمنة تنتظر رجلها الشاب الجلد لتهنأ بحياتها معه، ولتشعره بأن في أحشائها جنيناً يوشك أن تقر به عينهما. غير أن القدر - لحكمة عليا - حسم هذه الأمانى الحلوة، فأمست الزوج المحسودة أيمماً^(٢).

* لقد مات عبد الله بالمدينة المنورة وهو راجع وترك هذه النسمة الطاهرة، وكان

رَفَعُ

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

(١) تفسير القرآن لابن كثير (٤/٥٤٨: ٥٤٩).

(٢) فقه السيرة للنفذالي (ص: ٦٧: ٦٨) بتصرف.

القدر يقول له: قد انتهت مهمتك في الحياة، وهذا الجنين الطاهر يتولى الله عز وجل بحكمته ورحمته تربيته وتأديبه وإعداده لإخراج البشرية من الظلمات إلى النور.

ميلاد النبي ﷺ

* عن ابن عباس وجابر - رضي الله عنهما - أنهما قالَا: «وُلِدَ رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول، وفيه عُرِجَ به إلى السماء، وفيه هاجر، وفيه مات» هذا هو المشهور عند الجمهور. والله أعلم^(١).

* وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «وُلِدَ النبي ﷺ يوم الاثنين، واستنْبِءَ يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين، وخرج مهاجرًا من مكة إلى المدينة يوم الاثنين، وقدم المدينة يوم الاثنين، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين»^(٢).

* وعن أبي قتادة الأنصاري - رضي الله عنه - عن صوم يوم الاثنين قال رسول الله ﷺ: (ذاك يوم وُلِدْتُ فيه، ويوم بُعِثْتُ أو أُنْزِلَ عليّ فيه)^(٣).

* بل لقد وقفت على رواية ثبت أن النبي ﷺ وُلِدَ يوم الفيل .. قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: «وُلِدَ رسول الله ﷺ يوم الفيل»^(٤).

وكانت ولادته في دار أبي طالب بشعب بنى هاشم، وهي التي سُميت بعد ذلك بدار محمد بن يوسف أخى الحجاج بن يوسف، وهي الآن مكتبة عامة.

وكانت حاضنته أم أيمن بركة الحبشية أمة أبيه، وأول من أرضعته ثوية أمة عمه أبي لهب.

عن أم حبيبة - رضي الله عنها - قالت: قلت يا رسول الله، انكح أختي بنت أبي سفيان فقال أو تحبين ذلك، فقلت: نعم، لست لك بمخلّية، وأحب من شاركتي في خير

(١) ابن أبي شيبة في مصنفه، وإسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح، انظر السيرة النبوية، لابن كثير: (١٩٩/١).

(٢) أخرجه أحمد: (٢٧٧/١)، والطبراني في الكبير (١٢٩٨٤) من طريق ابن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران، عن حنش الصنعاني به، ومن الرواة عن ابن لهيعة عمرو بن خالد عند الطبراني، وقد سمع من ابن لهيعة قبل اختلاطه، فالحديث بهذا حسن.

(٣) أخرجه مسلم (١١٦٢) كتاب الصيام.

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات من طريق ابن معين أخبرنا حجاج أخبرنا يونس بن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - ورجال الإسناد كلهم ثقات.

رفع

عبد الرحمن بن محمد
أسكنه الله الفردوس

أختي فقال النبي ﷺ: إن ذلك لا يحل لي. قلت: فإننا نحدث إنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة، قال: بنت أبي سلمة؟ قلت: نعم، فقال: لو أنها لم تكن ربيتي في حجري ما حلت لي، إنها لابنة أخي من الرضاعة، أرضعته وأبا سلمة ثوية، فلا تعرضن علي بناتكن ولا أخواتكن^(١). قال عروة: وثوية مولاة لأبي لهب، وكان أبو لهب أعتقها فأرضعت النبي ﷺ فلما مات أبو لهب رآه بعض أهله بشر خيبة قال له ماذا لقيت. قال أبو لهب لم ألق بعدكم رخاء غير أنني سقيت في هذه بعثاتي ثوية.

النور يخرج ليضيء قصور الشام (عند ولادته)

* وقد روى أن إرهابات بالبعثة وقعت عند الميلاد فسقطت أربع عشرة شرفة من إيوان كسرى وخمدت النار التي يعبدها المجوس وانهدمت الكنائس حول بحيرة ساوة بعد أن غاضت^(٢).

وأنه ﷺ ولد مختوناً مسروراً - أي مقطوع الحبل السرى - وأن البرمة التي وضعها عليه النساء انفلقت نصفين .. إلى آخر ما روى عن الإرهابات التي حدثت عند الميلاد. وفي الحقيقة أن كل ذلك لم يصح ولم يأت خبر صحيح بحدوث أي شيء من ذلك. وفي الحقيقة أن مكانة النبي ﷺ وقدره ومنزله العالية السامية لا تحتاج إلى مثل تلك الروايات الواهية .. فالنبي ﷺ هو أفضل مخلوق في الكون كله حتى ولو لم يكن له إرهابات قبل البعثة أو معجزات بعد البعثة... وحسبنا أن نقف عند الروايات الصحيحة لنعرف أن رسالة النبي ﷺ أعظم شيء في الكون كله.

* فالثابت من خلال الأحاديث الصحيحة أن أم النبي ﷺ رأت نوراً يخرج منها فأضاء قصور الشام - وذلك عند ولادته ﷺ -.

فقال رسول الله ﷺ: «أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منه قصور الشام»^(٣).

ودعوة إبراهيم عليه السلام هي قوله: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ

(١) أخرجه البخاري (٤٣/٩) النكاح، ومسلم (٢٥/١٠ - ٢٨) الرضاع.

(٢) الرحيق المختوم (ص: ٥١).

(٣) رواه أحمد (٢٦٢/٥)، والحاكم (٦٠٠/٢) التاريخ وقال هذا حديث صحيح الإسناد وإن لم يخرجاه

ووافقه الذهبي. وله طرق وروايات مختلفة وانظر الصحيحة رقم (١٥٤٥، ١٥٤٦).

رفع

عبد الرحمن العنزي
أسكنه الله الفردوس

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿البقرة: ١٢٩﴾.

وبشرى عيسى: كما أشار إليه قوله عز وجل حاكياً عن المسيح عليه السلام: ﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، وقوله: (ورأت أُمِّي كأنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام). قال ابن رجب: «وخروج هذا النور عند وضعه إشارة إلى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أهل الأرض، وزال به ظلمة الشرك منها، كما قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ ١٥ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] (١).

وقال ابن كثير: وتخصيص الشام بظهور نوره إشارة إلى استقرار دينه وثبوته ببلاد الشام ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلاً للإسلام وأهله، وبها ينزل عيسى ابن مريم إذا نزل بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها، ولهذا جاء في الصحيحين: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك» وفي صحيح البخاري «وهم بالشام» (٢).

استبشار عبد المطلب بميلاد الحفيد المبارك

ولما ولدته أمه أرسلت إلى جده عبد المطلب تبشره بحفيده فجاء مستبشراً ودخل به الكعبة، ودعا الله وشكر له، واختار له اسم محمد - وهذا الاسم لم يكن معروفاً في العرب - وختنه يوم سابعه كما كان العرب يفعلون (٣).

※ استقبل «عبد المطلب» ميلاد حفيده باستبشار وجدل، ولعله رأى في مقدمه عوضاً عن ابنه الذي هصرت المنون شبابه، فحول مشاعره عن الراحل الذاهب إلى الوافد الجديد يكلؤه ويغالي به.

(١) لطائف المعارف (٨٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١٨٤/١٠) ط. الحلبي (٢٦٨/١) ط. الشعب. والحديث رواه البخاري (٢٠٦/١٣) الاعتصام بالكتاب والسنة، ومسلم (٦٥/١٣) الإمارة.

(٣) ابن هشام (١٦٠/١)، ومحاضرات تاريخ الأمم الإسلامية للخضري (٦٢/١).

ومن الموافقات الجميلة أن يلهم «عبد المطلب» تسمية حفيده «محمداً». إنها تسمية أعانه عليها ملك كريم. ولم يكن العرب يألّفون هذه الأعلام، لذلك سألوه. لم يرغب عن أسماء آبائه؟ فأجاب: أردت أن يحمد الله في السماء، وأن يحمد الله الخلق في الأرض، فكأن هذه الإرادة كانت استشفافاً للغيب، فإن أحداً من خلق الله لا يستحق إزجاء عواطف الشكر والثناء على ما أدى وأسدى كما يستحق ذلك النبي العربي المحمد ﷺ.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم؟ يشتمون مذمماً، ويلعنون مذمماً، وأنا محمد»^(١).

ولكن الحقيقة القاسية - برغم حفاوة الجد الحنون - باقية. فإن «محمداً» يتيم برز إلى الدنيا بعدما غادر أبوه الدنيا. ليكن .. ولنفرض عبد الله بقى حياً .. فماذا عسى كان يفعل لابنه؟ أكان يريه ليهب له النبوة؟ ما كان له ذلك. إن الأب عنصر واحد من عناصر شتى تتحكم في مستقبل الطفل وتحفر له في الحياة مجراه. ولو كانت النبوة بالاكْتِسَاب لما قربتها حياة الوالد شيراً. فكيف وهي اصطفاء؟

كان «يعقوب» حياً يُرزق، له شيخوخته وتجربته وحكمته بل له نبوته، وقد نظر يوماً ما فلم يجد يوسف قريباً منه. إنه فقد في أخطر فترات العمر، فترة الصبا. ومع فساد البيئات التي احتوت يوسف فقد كان باطنه ينضح بالتقى والعفاف؛ كما يتقد المصباح في أعماء الليل المدلهم، فلما التقى الابن بوالده بعد لأى، رأى يعقوب ابنه نبياً صديقاً.

لقد ولّى عبد الله وترك ابنه يتيماً، بيد أن هذا اليتيم كان يُعد من اللحظة الأولى لأمر جليل، أمر يصبح به إمام المصطفين الأخيار وما الأب والجد، ما الأقربون والأبعدون، ما الأرض والسماء إلا وسائل مسخرة لإتمام قدر الله، وإبلاغ نعمة الله من اضطرعه الله^(٢).

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥/٦ - ٤٣٦).

(٢) فقه السيرة للغزالي (ص: ٧٠ - ٧١).

طلع الليلة نجم أحمد

عن حسان بن ثابت، قال: والله إنى لغلام يَفْعَة^(١) ابن سبع سنين أو ثمان، أعقل كل ما سمعت، إذ سمعت يهوديًا يصرخ بأعلى صوته على أطمه^(٢) بيثرب: يا معشر يهود. حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له: ويلك! ما لك؟ قال: طلع الليلة نجم أحمد الذى ولد به^(٣).

قصة رضاع الحبيب ﷺ

* عن عبد الله بن جعفر - رضى الله عنهما -: قال: «لما ولد رسول الله ﷺ قدمت حليلة بنت الحارث، فى نسوة من بنى سعد بن بكر يلتمسون الرضعاء بمكة.

قالت حليلة: فخرجت فى أوائل النسوة على أتان لى، قمرأ^(٤)، ومعى زوجى الحارث بن عبد العزى، أحد بنى سعد بن بكر، ثم أحد بنى ناضرة، قد أدمت^(٥) أتاننا، ومعى بالركب شارف^(٦) والله ما تبض^(٧) بقطرة لبن، فى سنة شهباء^(٨). قد جاع الناس حتى خلص إليهم الجهد، ومعى ابن لى، والله ما ينام ليلنا، وما أجد فى يدى شيئاً أعله به، إلا أنا نرجو الغيث، وكانت لنا غنم، فنحن نرجوها.

فلما قدمنا مكة فما بقى منا أحد إلا عرض عليها رسول الله ﷺ فكرهته، فقلنا: إنه يتيم، وإنما يكرم الظئر (المرضعة)، ويحسن إليها الوالد، فقلنا: ما عسى أن تصنع بنا أمه أو عمه أو جده، فكل صواحبى أخذ رضيعاً، فلما لم أجد غيره، رجعت إليه، وأخذته، والله ما أخذته إلا أنى لم أجد غيره، فقلت لصاحبى (زوجى): والله لآخذن هذا اليتيم

(١) يفعه: يقال غلام يفعه أى قوى قد طال قده واليفاع المرتفع من كل شىء ويقال أيفع الغلام فهو يافع إذا شارف الاحتلام.

(٢) أطمه: الأطم حصن مبنى بحجارة وقيل هو كل بيت مربع مسطح.

(٣) أخرجه البيهقى فى الدلائل (٩١ / ١) وإسناده صحيح إلى يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن حيث إنه ثقة تابعى وقد اتهم عن حدث عنهم وقد وثقهم وهم شيوخه والله أعلم.

(٤) قمرأ: القمررة لون البياض إلى الحمرة.

(٥) وأدمت: حدثت فى ركبها جروح دامية لاصطكاكها - الأتان: أثنى الحمار.

(٦) الشارف: الناقة المسنة.

(٧) تبض: لا ترشح قطرة لبن.

(٨) شهباء: سنة مجدبة لا خضرة فيها ولا مطر.

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

من بنى عبد المطلب، فعسى الله أن ينفعنا به، ولا أرجع من بين صواحي ولا آخذ شيئاً، فقال: قد أصبت.

قالت: فأخذته، فأتيت به الرجل، فوالله ما هو إلا أن أتيت به الرجل، فأمسيت أقبل ندياً باللبن، حتى أرويته، وأرويت أخاه، وقام أبوه إلى شارقنا تلك يلمسها، فإذا هي حافل^(١)، فحلبها، فأرواني وروى، فقال يا حليلة، تعلمين والله لقد أصبنا نسمة مباركة^(٢)، ولقد أعطى الله عليها ما لم نتمن، قالت: فبتنا بخير ليلة، شباعاً، وكنا لا ننام ليلنا مع صبينا.

ثم اغتدينا راجعين إلى بلادنا أنا وصواحي، فركبت أثنائي القمراء، فحملته معي، فوالذي نفس حليلة بيده لقطعت الركب^(٣) حتى أن النسوة ليقلن: أمسكى علينا، أهذه أتانك التي خرجت عليها؟ فقلت: نعم، فقالوا: إنها كانت أدمت حين أقبلنا فما شأنها؟ قالت: فقلت: والله حملت عليها غلاماً مباركاً.

قالت: فخرجنا، فما زال يزيدنا الله في كل يوم خيراً، حتى قدمنا والبلاد سنة، ولقد كان رعاتنا يسرحون ثم يريحون، فتروح أغنام بنى سعد جباعاً، وتروح غنمى شباعاً، بطاناً^(٤)، حفلاً^(٥)، فنحتلب، ونشرب، فيقولون: ما شأن غنم الحارث بن عبد العزى، وغنم حليلة تروح شباعاً حفلاً، وتروح غنمكم جباعاً؟ ويلكم اسرحوا حيث تسرح غنم رعاؤهم، فيسرحون معهم، فما تروح إلا جباعاً، كما كانت، وترجع غنمى كما كانت.

قالت: وكان يشب شباباً ما يشبه أحد من الغلمان، يشب في اليوم شباب الغلام في الشهر، ويشب في الشهر شباب السنة، فلما استكمل سنتين أقدمناه مكة، أنا وأبوه، فقلنا: والله لا نفارقه أبداً ونحن نستطيع، فلما أتينا أمه، قلنا: أى ظئر والله ما رأينا صبيّاً قط أعظم بركة منه، وإنا نتخوف عليه وباء^(٦) مكة وأسقامها، فدعاه نرجع به حتى تبرئ من دأئك، فلم نزل بها حتى أذنت، فرجعنا به، فأقمنا شهراً ثلاثة أو أربعة.

(١) حافل: كثيرة اللبن.

(٢) نسمة: نفس.

(٣) قطعت الركب: سبقت الركب.

(٤) البطان: الممتلئة البطون.

(٥) حفلاً: كثيرات اللبن.

(٦) الوباء: المرض.

رفع
عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

حادثة شق الصدر

ففى الحديث السابق أن حليلة (رضى الله عنها) قالت:

فبينما هو يلعب خلف البيوت هو وأخوه فى بُهْمٍ له^(١)، إذ أتى أخوه يشتد، وأنا وأبوه فى البدن، فقال: إن أخى القرشى، أتاه رجلان عليهما ثياب بيض، فأخذه وأضجعاه، فشقا بطنه، فخرجت أنا وأبو يشتد، فوجدناه قائماً، قد انتقع لونه^(٢)، فلما رأنا أجهش إلينا، وبكى، قالت: فالتزمت أنا وأبوه، فضممناه إلينا، فقلنا: مالك بأبى أنت؟ فقال: أتانى رجلان وأضجعانى، فشقا بطنى، وصنعا به شيئاً، ثم ردّاه كما هو، فقال أبوه: والله ما أرى ابنى إلا وقد أصيب، إلحقى بأهلك، فردّيه إليهم قبل أن يظهر له ما نتخوف منه.

قالت: فاحتملناه، فقدمنا به على أمه، فلما رأتنا أنكرت شأننا، وقالت: ما رجعكما به قبل أن أسألكماه، وقد كنتما حريصين على حبسه؟ فقلنا: لا شيء إلا أن قد قضى الله الرضاة وسرّنا ما نرى، وقلنا: نؤويه كما تحبون أحب إلينا، قال: فقالت: إن لكما شأنًا فأخبرانى ما هو، فلم تدعنا حتى أخبرناها، فقالت: كلا والله، لا يصنع الله ذلك به، إن لابنى شأنًا، أفلا أخبركما خبره، إني حملت به، فوالله ما حملت حملاً قط كان أخف علىّ منه، ولا أيسر منه، ثم رأيت حين حملته خرج منى نور أضاء منه أعناق الإبل ببصرى - أو قالت: قصور بصرى - ثم وضعته حين وضعته، فوالله ما وقع كما يقع الصبيان، لقد وقع معتمداً بيديه على الأرض رافعاً رأسه إلى السماء فدعاه عنكما فقبضته وانطلقنا^(٣).

* وعن عتبة بن عبد السلمي رضى الله عنه: «أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: كيف كان أول شأنك يا رسول الله؟ قال: (كانت حاضنتى من بنى سعد بن بكر،

(١) البهم: صغار الضأن والماعز.

(٢) انتقع لونه: تغير لونه.

(٣) رواه ابن حبان كما فى الموارد: (٥١٢، ٥١٣)، والطبرانى فى الكبير: (٢٤/٢١٢ - ٢١٥)، والبيهقى فى الدلائل (١/١٣٣ - ١٣٦)، والسيرة النبوية بشرح الحشنى: (١/٢١٤)، وإسحاق بن راهويه فى مسنده كما فى المطالب العالية: (٤/١٦٧ - ١٧١)، وأبو يعلى كما فى مجمع الزوائد: (٨/٢٢١) جميعاً من طريق ابن إسحاق، وقد صرح ابن إسحاق بالسماع فى رواية السيرة، وقال الهيثمى فى المجمع: (٨/٢٢٧)، رواه أبو يعلى، والطبرانى بنحوه إلا أنه قال: حليلة بنت أبى ذؤيب، ورجالهما ثقات وقال الذهبى فى السيرة النبوية، (ص ٨): هذا حديث جيد الإسناد، قلت ولكثير من مقاطع الحديث شواهد تقويها ولذلك فالحديث حسن لشواهده.

فانطلقت أنا وابن لها فى بهم لنا، ولم تأخذ معنا زاداً.

فقلت: يا أخى، اذهب فأتنا بزاد من عند أمنا.

فانطلق أخى، ومكثت عند بهم، فأقبل طيران أبيضان كأنهما نسران^(١)، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: نعم، فأقبلا يبتدراني، فأخذاني، فبطحاني إلى القفا^(٢)، فشقا بطنى، ثم استخرجا قلبى، فشقاه فأخرجا منه علقتين سوداوين، فقال أحدهما لصاحبه: ائتني بماء ثلج، فغسلا به جوفى، ثم قال: ائتني بماء برد، فغسلا به قلبى، ثم قال: ائتني بالسكينة^(٣)، فذراها فى قلبى، ثم قال أحدهما لصاحبه: خطه، فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة.

فقال أحدهما لصاحبه: اجعله فى كفة، واجعل ألفاً من أمته فى كفة، فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقى، أشفق أن يخرّ على^(٤) بعضهم، فقال: لو أن أمته وزنت به لمال بهم، ثم انطلقا وتركاني.

وفرت فرقا شديداً^(٥)، ثم انطلقت إلى أمى، فأخبرتها بالذى لقيته، فأشفقت على أن يكون ألبس بى^(٦) قالت: أعيدك بالله فرحلت بغيراً لها، فجعلتني أو فحملتني على الرحل، وركبت خلفى حتى بلغنا إلى أمى فقالت: أدبت أمانتى وذمتى، وحدثتها بالذى لقيت، فلم يرعها ذلك، فقالت لى: رأيت خرج منى نوراً، أضاءت منه قصور الشام^(٧).

✽ وعن أنس رضى الله عنه (باختصار أكثر) فقال: «إن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه^(٨)، ثم أعاده فى مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعنى ظئره) فقالوا: إن

(١) كأنهما نسران: هما ملكان من الملائكة.

(٢) بطحاني إلى القفا: أضجعه على ظهره.

(٣) السكينة: الطمأنينة والوقار.

(٤) يخر: يسقط.

(٥) فرقت: خفت.

(٦) ألبس بى: مسنى شىء من الشيطان.

(٧) رواه أحمد والطبرانى فى الكبير والحاكم وقال: حديث صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبى - وقال

الهيثمى فى المجمع (٨/ ٢٢٢): إسناده أحمد حسن.

(٨) لأمه: جمعه، وضم بعضه إلى بعض.

رفع

عبد الرحمن بن الحارث
أسكنه الله الفردوس

محمداً قد قُتل، فاستقبلوه، وهو منتقع اللون»^(١). قال أنس: «وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط^(٢) في صدره»^(٣). وقد حدثت أيضاً حادثة شق الصدر مرة أخرى في رحلة الإسراء والمعراج.

فراق مؤلم

وانصرفت حليلة - رضى الله عنها - وقد امتلأ قلبها حزناً وأسى على فراق الحبيب ﷺ ودموعها تسيل على خدها.

وليس الذى يجرى من العين ماؤها ولكنهما روحٌ تسيلُ فتقطرُ
ولكنها كانت تشعر فى قرارة نفسها أن الله (عز وجل) سيجمع بينها وبين الحبيب ﷺ وأنها ستراه مرة أخرى^(٤).

وفاة أمه عليه السلام

كان رسول الله ﷺ مع أمه آمنة بنت وهب وجده عبد المطلب ابن هاشم فى كلاءة الله وحفظه، يُنبئه الله نباتاً حسناً؛ لما يريد به من كرامته، فلما بلغ رسول الله ﷺ ست سنين، توفيت أمه آمنة بنت وهب.

* توجهت به أمه إلى المدينة لزيارة أخوال أبيه بنى عدى بن النجار، وبينما هى عائدة أدركتها منيتها فى الطريق، فماتت بالأبواء^(٥) ودُفِنَتْ هناك.

ولسان القدر يقول: هذا الغلام لا يؤثر عليه أبوه وأمّه بنوع من التربية، والله عز وجل يتولى تربيته وتهذيبه... والأكثر على أن وفاة أمه آمنة كان وله ﷺ من العمر ست سنوات، فحضنته أم أيمن، وكفله جده عبد المطلب، ورق له رقة لم تعهد له فى ولده.

فكان رسول الله ﷺ مع جده عبد المطلب بن هاشم، وكان يُوضَع لعبد المطلب فراش فى ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه

(١) منتقع اللون: متغير اللون.

(٢) والمخيط: الإبرة.

(٣) رواه مسلم فى كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ رقم (٢٦١)، أحمد فى المسند (٣/ ١٢١).

(٤) صحايات حول الرسول ﷺ / للمصنف (ص: ٣٢٠).

(٥) قرية بين مكة والمدينة وهى أقرب إلى المدينة.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

أحدٌ من بنيه إجلالاً له. قال: فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب، إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني، فوالله إن له لشأناً؛ ثم يجلسه معه على الفراش، ويمسح ظهره بيده، ويسره ما يراه يصنع^(١).

النبي ﷺ يزور قبر أمه

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «زار النبي ﷺ قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله، فقال: استأذنت ربي في أن استغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور، فإنها تذكروا الموت»^(٢).

(أم أيمن) أمي بعد أمي

* وفي هذا الموقف الأليم، برزت أم أيمن لتحتل مكانتها بين النساء اللاتي تركن بصمات واضحة في التاريخ، وقد أراد الله سبحانه وتعالى لها الخير كله، وعادت بالنبي ﷺ، وأضحت حاضنته، وأوقفت نفسها لرعايته والعناية به، وغمرته بعطفها، كما غمره جده عبد المطلب بحبه أيضاً، وقد عوضه الله بحنان جده وأم أيمن عن حنان الوالدين، وأغرم به عبد المطلب غراماً شديداً، وكثيراً ما كان يوصي الحاضنة أم أيمن قائلاً: يا بركة لا تغفلي عن ابني فإنني وجدته مع غلمان قريباً من السدرة، وإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني هذا نبي هذه الأمة.

* وكان عبد المطلب يُسرّ لما يرى من مخايل الشرف والكرامة على حفيده محمد، ويوصي أعمامه بقوله: دعوا ابني فوالله إن له لشأناً^(٣).

مكانتها عند رسول الله ﷺ

ولقد تبوّأت أم أيمن مكانة عظيمة في قلب رسول الله ﷺ فلم ينس أبداً أنها كانت أمّاً له بعد أمه وأنها كانت تؤثره على نفسها بل كانت تشملها بعطفها وحنانها ورحمتها.

* عن أنس قال: انطلق رسول الله ﷺ إلى أم أيمن. فانطلقت معه. فناولته إناء فيه

(١) السيرة النبوية / لابن هشام (١/١٤٩).

(٢) رواه مسلم في الصحيح، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه - عز وجل - في زيارة قبر أمه، الحديث رقم: (٩٧٦)، (٢/٦٧١).

(٣) نساء مبشرات بالجنة (ص: ٩٧: ٩٨) بتصرف.

شراب. قال: فلا أدري أصادفته صائماً أو لم يُرده. فجعلت تصخب عليه وتذمر عليه^(١).

قال الإمام النووي: ومعنى الحديث أن النبي ﷺ رد الشراب عليها إما لصيام وإما لغيره فغضبت، وتكلمت بالإنكار والغضب، وكانت تدل عليه ﷺ لكونها حضنته وربته ﷺ وجاء في الحديث: أم أيمن أمي بعد أمي^(٢).

وفاة جده عبد المطلب

وبعد فترة يسيرة توفي جده عبد المطلب وكان عمر النبي ﷺ ثماني سنوات فكفله شقيق أبيه (أبو طالب) وكان به رحيماً وكان رزقه قليلاً فعمل النبي ﷺ برعى الغنم مساعدة منه لعمه.

كان النبي ﷺ يرعى الغنم

عمد محمد ﷺ منذ أن أضحى يعيش في كنف عمه أبي طالب إلى مساعدته، ولا سيما أن أبا طالب كان في أشد الحاجة للمساعدة (لفقره وكثرة عياله)، فاشتغل برعى الأغنام في شعاب مكة وفجاجها. وقد ثبت في الحديث الصحيح قيامه بهذا العمل. حيث روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة - رضى الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «مَا يَغْنُثُ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ». فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: «نعم، كنت أرهاها على قراريط لأهل مكة»^(٣).

* وعن جابر بن عبد الله قال: كنا مع رسول الله ﷺ بمر الظهران لنجنى الكباش فقال: «عليكم بالأسود منه فإنه أطيب» فقليل: أكنت ترعى الغنم؟ قال: نعم وهل من نبي إلا رعاها^(٤) ثم اشتغل ﷺ بالتجارة.

* وفي رعى الغنم ما فيه من تهئية الله سبحانه وتعالى لنبيه لتلقى الرسالة والقيام بأمر الدعوة... ويورد الحافظ ابن حجر في شرحه للحديث خلاصة أقوال العلماء في ذلك

(١) أخرجه مسلم (١٠٢) (٢٤٥٣) كتاب فضائل الصحابة/ باب: من فضائل أم أيمن (رضى الله عنها).

(٢) مسلم بشرح النووي (١٣/١٦).

(٣) أخرجه البخاري (٥١٦/٤) حديث رقم (٢٢٦٢) - ومسلم (١/٥ - ٦).

(٤) رواه البخاري (٤٨٨/٩) الأظعمة، ومسلم (٦، ٥/١٤) الأشربة. والكبث هو النضيج من شجر الأراك.

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فيقول: «الحكمة في إلهام الأنبياء من رعى الغنم قبل النبوة أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يكفلونه من القيام بأمر أمتهم، ولأن في مخالطتها ما يُحصّل لهم الحلم والشفقة لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى، ونقلها من مسرح إلى مسرح، ودفع عدوها من سبع وغيره، كالسارق، وعلموا اختلاف طباعها وشدة تفرقها، مع ضعفها واحتياجها إلى المعاهدة، ألفوا من ذلك الصبر على الأمة، وعرفوا اختلاف طباعها، وتفاوت عقولها، فجبوا كسرهما، ورفقوا بضعيفها، وأحسنوا التعاهد لها، فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة لما يحصل لهم من التدريج على ذلك برعى الغنم، وخُصت الغنم بذلك لكونها أضعف من غيرها، ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل والبقر لإمكان ضبط الإبل والبقر بالربط دونها في العادة المألوفة، ومع أكثرية تفرقها فهي أسرع انقياداً من غيرها» (١). (٢)

كفالة أبي طالب لرسول الله ﷺ

كان الحبيب ﷺ يتيمًا فكفله جده (عبد المطلب) وكان يحبه حبًا شديدًا .. وبعد فترة من الزمن أحس عبد المطلب بدنو أجله فأوصى ولده أبا طالب بأن يكفل الحبيب ﷺ وأوصاه به خيرًا وذلك لأن عبد الله (والد رسول الله ﷺ) وأبا طالب أخوان لأب وأم فأمهما هي فاطمة بنت عمرو بن عائد .. وكذلك فإن عبد المطلب كان يشعر بأنه لن يحافظ على الحبيب ﷺ ويحوطه بالرحمة والحنان إلا زوجة أبي طالب لما كان يشعر من الرحمة التي تتدفق من قلبها.

ومات عبد المطلب وانتقل الحبيب ﷺ إلى بيت أبي طالب فوجد في بيته أما رحيمة جعلته يشعر بأنها أمه بعد أمه التي ماتت.

وكانت فاطمة بنت أسد (رضى الله عنه) تحوطه برعايتها وتشمله برحمتها حتى إنها كانت تخاف عليه أكثر من خوفها على أولادها.

رَفَعُ
عبد الرحمن النخعي
(سكنه الله الفردوس)

(١) فتح الباري (٤/٥١٦).

(٢) نضرة النعيم (١/١٩٦ - ١٩٧).

وعرفت البركة طريقها إلى هذا البيت

وكان أبو طالب فقيراً وكانت زوجته تشعر بأن أولادها لا يشبعون من الطعام أبداً فلما عاش الحبيب ﷺ بينهم دخلت البركة لأول مرة في هذا البيت الكريم وبخاصة في طعام الأولاد إذا أكل معهم الحبيب ﷺ .

* فكان عيال أبي طالب إذا أكلوا جميعاً أو فرادى لم يشبعوا، وإذا أكل معهم رسول الله ﷺ شبعوا، فكان أبو طالب إذا أراد أن يغذيهم أو يعشيهم يقول: كما أنتم حتى يأتي ابني، فيأتي رسول الله ﷺ فيأكل معهم فيفضل من طعامهم.

وإن كان لبناً شرب رسول الله ﷺ أولهم، ثم تناول القعب - القدح - فيشربون منه، فيروون عن آخرهم من القعب الواحد، وإن كان أحدهم ليشرب قعباً وحده، فيقول أبو طالب: إنك لمبارك.

وكان الصبيان يصبحون شُعثاً رُصصاً^(١)، ويصبح رسول الله ﷺ دهيناً كحياً^(٢).

ويزداد الحب يوماً بعد يوم

وكانت فاطمة بنت أسد (رضى الله عنها) ترى كل هذه البركات التي دخلت بيتها لأول مرة وهي لا تكاد تصدق نفسها فكانت تزداد حباً للنبي ﷺ يوماً بعد يوم حتى كان الحبيب ﷺ يشعر بأن الله رزقه بتلك الأم الرحيمة ليعوضه عن موت أمه .. فها هي ترعاه في طفولته وشبابه وتنخسه بالتقدير والاحترام وتشمله بعطفها وحنانها... وظلت ترعاه إلى أن تزوج بخديجة (رضى الله عنها)^(٣).

ونشأ الحبيب ﷺ بين ينبوع الرحمة ونهر الحنان فاطمة بنت أسد وأم أيمن (رضى الله عنهما) فكانت كل واحدة منهما ترعاه وتنخسه بالرحمة والحنان وكأنها أمه التي ولدته.

رَفَعُ
عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

(١) الرمص: وسخ أبيض جامد يجتمع في موق العينين.

(٢) انظر عيون الأثر (١/٥١)، والسيرة الحلبية (١/١٨٩).

(٣) صحايات حول الرسول ﷺ (ص: ٣٤١) / للمصنف.

قصة بحيرا الراهب

* عن أبي موسى الأشعري: قال: «خرج أبو طالب إلى الشام، وخرج معه النبي ﷺ في أشياخ من قريش، فلما أشرفوا^(١) على الراهب^(٢) هبطوا، فحلوا رحالهم^(٣)، فخرج إليهم الراهب، وكانوا قبل ذلك يسرون، فلا يخرج إليهم، ولا يلتفت.

قال: فهم يحلون رحالهم، فجعل يتخللهم الراهب^(٤) حتى جاء، فأخذ بيد رسول الله ﷺ قال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين، فقال له أشياخ من قريش: ما علمك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر^(٥) ساجداً، ولا يسجدان إلا لنبي، وإنني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف^(٦) كتفه مثل التفاحة.

ثم رجع فصنع لهم طعاماً، فلما أتاهاهم به، وكان هو في رعية الإبل^(٧) قال: أرسلوا إليه، فأقبل وعليه غمامة^(٨) تظله، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة^(٩)، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه، فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه.

قال: فبينما هو قائم عليهم، وهو يناشدهم^(١٠) أن لا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم إذا عرفوه بالصفة فيقتلونه، فالتفت فإذا سبعة قد أقبلوا من الروم، فاستقبلهم، فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: جاءنا أن هذا النبي ﷺ خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بعث إليه بأناس، وإنا قد أخبرنا خبره، بعثنا إلى طريقك هذا، فقال: هل خلفكم أحد هو خير منكم؟

(١) أشرفوا: طلعا.

(٢) الراهب: زاهد التصاري.

(٣) حلوا رحالهم: أى أنزلوها وفتحوها.

(٤) يتخللهم: يمشى بينهم وهو يبحث عن شخص معين.

(٥) خر: سقط.

(٦) الغضروف: رأس لوح الكتف.

(٧) رعية الإبل: رعايتها.

(٨) الغمامة: السحابة.

(٩) مال فيء الشجرة عليه: مال ظلها عليه.

(١٠) يناشدهم: يقسم عليهم.

قالوا: إنما اخترنا خيره لك لطريقك هذا، قال: أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده؟ قالوا: لا. قال: فبايعوه وأقاموا معه.

قال: أنشدكم الله أيكم وليه^(١)؟ قالوا: أبو طالب... فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب^(٢) وبعث معه (أبا بكر وبلالاً) وزوده الراهب من الكعك والزيت^(٣).

وعاد محمد عليه الصلاة والسلام من هذه الرحلة ليستأنف مع عمه حياة الكدح، فليس من شأن الرجال أن يقعدوا. ومن قبله كان المرسلون يأكلون من عمل أيديهم، ويحترفون مهناً شتى ليعيشوا على كسبها^(٤).

الله (عز وجل) يعصم نبيه ﷺ من أقدار الجاهلية

لقد حفظ الله (عز وجل) نبيه ﷺ من أقدار الجاهلية وأدراؤها لتكون حياته كلها صفحة بيضاء ناصعة البياض ليس فيها شائبة.. فهو القدوة والأسوة للكون كله في كل زمان ومكان.

* فمن ذلك: أن النبي ﷺ لم يهم بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمون به.

* عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمون به، إلا مرتين من الدهر، كليهما يعصمني الله منها، قلت ليلة لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في أغنام لأهله يرعاها: (أبصر إلى غنمي حتى أسمع هذه الليلة بمكة، كما يسمر الفتيان، قال: نعم، فخرجت، فجئت أدنى دار من دور مكة، سمعت غناء، وضرب دفوف، ومزامير، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: فلان تزوج فلانة، لرجل من قريش تزوج امرأة من قريش، فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتني عيني، فما أيقظني إلا حر الشمس، فرجعت فقال: ما فعلت؟ فأخبرته.

ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك، ففعل، فخرجت، فسمعت مثل ذلك، فقلت لي مثل ما قيل لي، فلهوت بما سمعت حتى غلبتني عيني، فما أيقظني إلا مس الشمس، ثم

(١) أيكم وليه: قريبه.

(٢) رده: أعاده.

(٣) رواه الترمذي (٢٩٦/٤) وقال: حديث حسن - وقال الشيخ الألباني: قلت: وإسناده صحيح كما قال الجزري. [هامش فقه السيرة (ص: ٧٧)].

(٤) فقه السيرة للغزالي (ص: ٧٩).

رجعت إلى صاحبي فقال: فما فعلت؟ قلت: ما فعلت شيئاً. قال رسول الله ﷺ: فوالله ما هممت بعدها بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بنبوته^(١).

* ومن ذلك أن الله عز وجل صانه عن شرك الجاهلية وعبادة الأصنام... ومن أولى بهذه المنقبة من صاحب الرسالة العصماء التي هي أسمح الشرائع في العمل، وأشدّها في إخلاص التوحيد والبعد عن الشرك... روى أحمد في مسنده عن هشام بن عروة عن أبيه قال: حدثني جابر لخديجة أنه سمع النبي ﷺ وهو يقول لخديجة: أي خديجة والله لا أعبد اللات والعزى. قال: كان صنمهم التي كانوا يعبدون ثم يضطجعون^(٢).

* ومن ذلك أنه كان لا يأكل مما ذُبح على النُصب، ووافقه في ذلك زيد بن عمرو بن نفيل... عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح^(٣) قبل أن ينزل على النبي ﷺ الوحي، فقدمت إلى النبي ﷺ سفرة فأبى أن يأكل منها ثم قال زيد: إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه. وإن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الأرض ثم تذبحونها على غير اسم الله... إنكاراً لذلك وإعظاماً له^(٤).

(١) أخرجه أبو نعيم في الدلائل: ١٢٨، والبيهقي في الدلائل: ٣٣/٢، والبخاري في الكشف برقم: ٢٤٠٣، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان: ٥٦/٨، رقم: ٦٢٣٩، وانظر المطالب العلية: ١٧٨/٤، رقم: ٤٢٥٩. وقال البوصيري: رواه إسحاق بن راهويه بإسناد حسن، وابن حبان في صحيحه، وهكذا رواه محمد بن إسحاق في السيرة، وقال ابن حجر: هذه الطريق حسنة جلية، وما روى في شيء من المسانيد الكبار إلا في مسند إسحاق، هذا وهو حديث حسن متصل، ورجاله ثقات. وقال الهيثمي في المجمع ٢٢٦/٨: رواه البزار ورجاله ثقات. وأخرجه الحاكم في المستدرک: ٢٤٥/٤. وقال: حديث حسن صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٢٢/٤)، (٣٦٢/٥) فضائل الصحابة (٨٥١/٢) رقم (١٥٧٨) وقال الهيثمي في المجمع (٢٢٥/٨): رجاله رجال الصحيح.

(٣) ذكرها ياقوت في معجم البلدان (٤٨٠/١) وقال: واد قبل مكة من جهة المغرب. وقال الحافظ في الفتح: مكان في طريق التنعيم، ويقال هو واد.

(٤) رواه البخاري (١٤٢/٧) رقم ٣٨٢٦ و (٥٤٩٩) بعضه، ورواه أحمد (٦٩/٢)، وابن سعد (٢٧٦/١/٣) - (٢٧٧)، والنسائي: المناقب من السنن الكبرى، الجزء المطبوع باسم فضائل (ص ٨٦). قال الألباني: توهم زيد أن اللحم المقدم إليه من جنس ما حرم الله، ومن المقطوع به أن بيت محمد ﷺ لا يأكل ذبائح الأصنام، ولكن أراد الاستيناف لنفسه، والإعلان عن مذهبه، وقد حفظ محمد ﷺ له ذلك وسر به - هامش فقه السيرة للغزالي (ص ٨٧).

رفع

عبد الرحمن النجدي
(أسكنه الله الفردوس)

* ومن ذلك توفيقه للوقوف بعرفة قبل البعثة، مخالفة لما ابتدع قومه من رأى الحُمس. (وكانت قريش تسمى الحُمس)، وكان الشيطان قد استهواهم فقال لهم: إنكم إن عظمتهم غير حرمكم استخف الناس بحرمكم، فكانوا لا يقفون بعرفة يوم عرفة، وكان سائر الناس يقف بعرفة، وكانت شريعة محمد ﷺ بعد ذلك الوقوف بعرفة، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩].

* عن محمد بن جبير عن أبيه جبير بن مطعم قال: أضللت بعيراً لي، فذهبت أطلبه يوم عرفة، فرأيت النبي ﷺ واقفاً بعرفة، فقلت: هذا والله من الحُمس فما شأنه ههنا^(١).

* ومن ذلك حفظ الله عز وجل له من أن تبدو عورته أو يظهر عرياناً... عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما بُنيت الكعبة ذهب النبي ﷺ وعباس ينقلان الحجارة، فقال عباس للنبي ﷺ: اجعل إزارك على رقبتك يذك من الحجارة، فخر إلى الأرض وطمحت عينه إلى السماء ثم أفاق. فقال: إزارى إزارى، فشد عليه إزاره.

وفى لفظ لهما من طريق زكريا بن إسحق عن عمرو بن دينار قال: «فحله فجعله على منكبيه فسقط مغشياً عليه، فما روى بعد ذلك عرياناً ﷺ»^(٢).

وهكذا شب رسول الله ﷺ يكلؤه الله ويحفظه من أقدار الجاهلية ومعايبها، لما يريد به من كرامته ورسالته، حتى بلغ كما قال ابن إسحاق: إن كان رجلاً أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً وأكرمهم مخالطة، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم خلقاً وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانة وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال، تنزهاً وتكرماً حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين، لما جمع الله عز وجل فيه من الأمور الصالحة^(٣).

حرب الضجار

* وكانت بين قيس عيلان ومعها ثقيف وغيرها، وقريش والأحابيش وهم حلفاء قريش، وكان رئيس بنى هاشم الزبير بن عبد المطلب ومعه إخوته: أبو طالب وحمزة والعباس، وكان على كل بطن من بطون قريش رئيس، ثم تناجزوا الحرب، فكان يوماً

(١) رواه البخارى (٦٠٢/٣) الحج، ومسلم (١٩٧/٨ - ١٩٨).

(٢) رواه البخارى (٥١٣/٣) الحج، ومسلم (٣٣/٤ - ٣٤).

(٣) سيرة ابن هشام مع الروض الأنف (٢٠٧/١) ط. مكتبة الكليات الأزهرية. بتصرف. نقلاً من وقفات تربوية (ص: ٥٢: ٥٣).

من أشد أيام العرب هولاً، ولما استُحل فيه من حرَمات مكة التي كانت مقدسة عند العرب، سُمي يوم الفَجَار، وكادت الدائرة تدور على قيس حتى انهزم بعض قبائلها ولكن أدركهم من دعا المتحاربين للصلح على أن يحصوا قتلى الفريقين فمن وجد قتلاه أكثر أخذ دية الزائد، فكان لقيس زيادة أخذوا ديتها من قريش، وتعهد بها حرب بن أمية ورهن لسدادها ولده أبا سفيان، وهكذا انتهت هذه الحرب التي كثيراً ما تشبه حروب العرب تبدوها؛ حتى ألَّف الله بين قلوبهم، وأزاح عنهم هذه الضلالات بانتشار نور الإسلام بينهم^(١).

قال ابن هشام: وشهد رسول الله ﷺ بعض أيامهم، أخرجه أعمامه معهم، وقال رسول الله ﷺ: «كنت أنبل على أعمامى - أى أرد عنهم - نبل عدوهم إذا رموهم بها»^(٢). وقال السهيلي: وإنما لم يقاتل رسول الله ﷺ مع أعمامه لأنها كانت حرب فجار، وكانوا أيضاً كلهم كفاراً، ولم يأذن الله تعالى لمؤمن أن يقاتل إلا لتكون كلمة الله هي العليا^(٣).

حلف الفضول

أما حلف الفضول فهو دلالة على أن الحياة مهما اسودت صحائفها، وكلحت شروها، فلن تخلو من نفوس تهزها معاني النبل. وتستجيشها إلى النجدة والبر. ففي الجاهلية الغافلة نهض بعض رجال من أولى الخير، وتواثقوا بينهم على إقرار العدالة وحرب المظالم، وتجديد ما اندرس من هذه الفضائل فى أرض الحرم^(٤).

قال فضل الله الجيلاني: اجتمع تسعة أبطن من قريش منهم بنو هاشم وبنو زهرة وبنو نيم - فى دار ابن جدعان قبل عام الفيل بمدة لما حاول بنو عبد مناف إخراج السقاية واللواء من بنى عبد الدار فتحالفت هذه الأبطن على ذلك وبعثت إليهم أم حكيم ابنة عبد المطلب بجفنة فيها طيب فغمسوا فيها أيديهم ثم ضربوا بها الكعبة فسُموا بذلك حلف المطيبين فجرى الأمر على هذا، حتى قدم مكة رجل من زبيد بتجارة له فباعها من

(١) باختصار وتصرف من نور اليقين (١٦، ١٧) ط. دار القلم.

(٢) سيرة ابن هشام (٢١٠/١)، مع الروض الأنف.

(٣) الروض الأنف هامش (٢٠٩/١)، مع سيرة ابن هشام.

(٤) فقه السيرة (ص: ٨٤).

رفع
عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب
أسكنه الله الفردوس

العاص بن وائل السهمي فمطله بها وغلبه عليها فاستغاث فاجتمعوا بدار عبد الله بن جدعان: بنو هاشم وبنو المطلب وأسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة فتعاهدوا ألا يجلدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها إلا قاموا معه وكانوا على الظالم حتى يردوا عليه مظلمته فهو الحلف الذي تحالفه المطيبون الذين لم يشهدهم رسول الله ﷺ أولاً وشهد حلف الفضول... وسمى بحلف الفضول لأن من قام به كان في أسمائه الفضل، كالفضل بن الحارث والفضل بن وداعة والفضل بن فضالة^(١).

عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ قال: «شهدت حلف المطيبين مع عمومتي - وأنا غلام - فما أحب أن لي حمر النعم وأني أنكته»^(٢).

* إن بريق الفرح - بهذا الحلف - يظهر في ثنايا الكلمات التي عبر بها رسول الله عنه. فإنه الحمية ضد أي ظالم مهما عز، ومع أي مظلوم مهما هان. هي روح الإسلام، الأمر بالمعروف، الناهي عن المنكر. الواقف عند حدود الله. ووظيفة الإسلام أن يحارب البغي في سياسات الأمم، وفي صلاة الأفراد على سواء^(٣).

زواجه ﷺ من خديجة (رضى الله عنها)

قال ابن إسحاق: وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم^(٤) إياه، بشيء تجعله لهم، وكانت قريش قومًا تجارًا، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها: من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجرًا، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله رسول الله ﷺ منها، وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام.

فنزل رسول الله ﷺ في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان، فاطلع الراهب إلى ميسرة، فقال له: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ قال له ميسرة:

(١) فضل الله الصمد شرح الأدب المفرد هامش (٢/٢٨).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٦٧)، وابن حبان (٢٠٦٢ موارد)، والحاكم (٢/٢٢٠) التفسير، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وأحمد (١/١٩٠، ١٩٣)، وهو في الصحيحة رقم (١٩٠٠).

(٣) فقه السيرة (ص: ٨٤ - ٨٥).

(٤) تضاربهم: تقارضهم والمضاربة المقارضة.

رَفَعُ
عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

هذا رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي^(١).

ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتري، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة، فكان ميسرة - فيما يزعمون - إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يظلاله من الشمس، وهو يسير على بعيره. فلما قدم مكة على خديجة بمالها، باعت ما جاء به، فأضعف أو قريياً. وحدثها ميسرة عن قول الراهب وعما كان يرى من إظلال الملكين إياه. وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة مع ما أراد الله بها من كرامته^(٢).

اجتمعت الدلائل والقرائن عند خديجة بأن محمداً هو الرحيق الذي يُختم به الأنبياء. فباتت ترجو أن تكون زوجاً له ولكن أنى الطريق إلى ذلك؟!

إنها امرأة عريقة النسب ممدودة الثروة، وقد عرفت بالحزم والعقل: ومثلها مطمح لسادة قريش لولا أن السيدة كانت تحقر في كثير من الرجال أنهم طلاب مال لا طلاب نفوس. وأن أبصارهم تنرنو إليها بغية الرفادة من ثرائها وإن كان الزواج عنوان هذا الطمع!.

لكنها عندما عرفت محمداً عليه الصلاة والسلام وجدت ضرباً آخر من الرجال. وجدت رجلاً لا تستهويه ولا تدنيه حاجة. ولعلها عندما حاسبت غيره في تجارتها وجدت الشح والاحتياال. أما مع محمد ﷺ فقد رأت رجلاً تقفه كرامته الفارعة موقف النبل والتجاوز، فما تطلع إلى مالها ولا إلى جمالها. لقد أدى ما عليه ثم انصرف راضياً مرضياً.

ووجدت خديجة ضالتها المنشودة^(٣).

وفي غمرة الخيرة والاضطراب تدخل عليها صديقتها نفيسة بنت منبه، وتجلس معها تبادلها أطراف الحديث حتى استطاعت أن تكشف السر الكامن المرتسم على محياها وفي نبرات حديثها.

وهدأت نفيسة من روع خديجة وطمأنت خواطرها، وذكرت بأنها ذات الحسب

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٢٩) من طريق الواقدي وإسناده ضعيف فالواقدي متروك.

(٢) ابن هشام (١/ ١٦٥ - ١٦٦).

(٣) فقه السيرة (ص: ٨٨ - ٨٩).

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

والنسب والمال والجمال، واستدلت على صدق قولها بكثرة الطالبين لها من أشراف الرجال.

وما إن خرجت نفيسة من عند خديجة حتى انطلقت إلى النبي ﷺ وكلمته أن يتزوج الطاهرة خديجة، وقالت: يا محمد ما يمنعك أن تتزوج فقال - عليه الصلاة والسلام -: «ما بيدي ما أتزوج به».

قالت: فإن كُفيت ودُعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاءة فهل تحيب؟ فرد متسائلاً: ومن؟

قالت على الفور: خديجة بنت خويلد.

فقال: إن وافقت فقد قبلت.

وانطلقت نفيسة لتزف البشري إلى خديجة، وأخبر - عليه الصلاة والسلام - أعمامه برغبته في الزواج من خديجة، فذهب أبو طالب وحمزة وغيرهما إلى عم خديجة عمرو ابن أسد، وخطبوا إليه ابنة أخيه، وساقوا إليه الصداق.

في ذلك المجلس اللطيف، قام أبو طالب يخطب... ذكر أبو العباس المبرد - رحمه الله - وغيره، أن أبا طالب خطب خطبة الإملاك فقال:

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وضئى - أصل - معد، وعنصر مُضر، وجعلنا حضنة بيته، وسوَّاس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوباً، وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس؛ ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل إلا رجع عليه براً وفضلاً، وشرفاً وعقلاً، ومجداً ونبلاً.

فإن كان في المال قُل - قلة - فإن المال ظل زائل، وأمر حائل، وعارية مسترجعة، ومحمد من قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد، وبذل لها من أجله وعاجله من مالى عشرين بكرة، وفي رواية: وقد بذل لها من الصداق اثنتى عشرة أوقية ذهباً ونشاً - أى نصف أوقية - ثم قال أبو طالب: وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل فزوجها^(١).

ولما تم العقد نُحرت الذبائح، ووزعت على الفقراء، وفتحت دار خديجة للأهل والأقارب.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
(أسكنه الله الفردوس)

(١) السيرة الحلبية (١/٢٢٦)، والروض الأثف للسهلي (١/٢١٣).

* وفي رواية ابن عباس (رضى الله عنهما) :- أن رسول الله ﷺ ذكر خديجة، وكان أبوها يرغب عن أن يزوجه^(١)، فصنعت طعاماً وشراباً، فدعت أباهما وزمراً من قريش^(٢)، فطعموا وشربوا حتى ثملوا - سكروا -، فقالت خديجة لأبيها: «إن محمد بن عبد الله يخطبني فزوجني إياه، فزوجها إياه، فخلقته^(٣)، وألبسته حلة، وكذلك كانوا يفعلون بالآباء، فلما سرى عنه سكره نظر، فإذا هو مخلوق، وعليه حلة، فقال ما شأني؟ ما هذا؟ فقالت: زوجتني محمد بن عبد الله، قال: أزوج يتيم أبي طالب، لا لعمرى^(٤)». فقالت خديجة: أما تستحي، تريد أن تسفه نفسك عند قريش، تخبر الناس أنك كنت سكران؟ فلم تزل به حتى رضى^(٥).

* كانت الطاهرة خديجة - رضى الله عنها - بنت أربعين في سن اكتمال الأمومة، أما محمد ﷺ ففي سن اكتمال الشباب ابن خمس وعشرين سنة.

* وفي هذا الزواج المبارك كانت الطاهرة خديجة هي الزوجة الوفية في حبها، وهي الأم الرؤوم في حنانها وعطفها وبرها - رضى الله عنها -^(٦).

منزلة خديجة (رضى الله عنها)

وها هي باقة عطرة من الأحاديث التي توضح لنا منزلة خديجة (رضى الله عنها) عند الله (عز وجل) وعند رسول الله ﷺ .

* عن ابن عباس قال: خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط قال: تدرؤن ما هذا؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله ﷺ «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم ابنة عمران - رضى الله عنهم أجمعين»^(٧).

(١) يرغب عن أن يزوجه: يرفض تزويجه.

(٢) زمراً: جماعات.

(٣) خلقته: طيَّته.

(٤) لا لعمرى: لفظ يستعمل للقسم.

(٥) أخرجه أحمد في المسند: ٣١٢/١، والبيهقي في الدلائل: ٧٣/٢، مختصراً، وللطبراني في الكبير رقم: ١٢٨٣٨. وقال الهيثمي: ٢٢٠/٩. رواه أحمد، والطبراني، ورجال أحمد والطبراني رجال الصحيح.

(٦) صحابيات حول الرسول ﷺ / للمصنف (ص: ٢٤).

(٧) رواه أحمد (٢٩٣/١)، والحاكم (٥٩٤/٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يُخرجاه، ووافقه الذهبي.

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون»^(١).

✽ وعن الزهري قال: لم يتزوج رسول الله ﷺ على خديجة حتى ماتت^(٢).

وعن أنس قال جاء جبريل إلى النبي ﷺ وعنده خديجة فقال: إن الله يقرئ خديجة السلام فقالت: إن الله هو السلام، وعلى جبريل السلام، وعليك السلام ورحمة الله وبركاته^(٣).

- ولنا أن نتخيل أن امرأة مؤمنة مثل أمنا خديجة (رضى الله عنها) يرسل لها الحق (جل وعلا) جبريل (عليه السلام) ليبلغها منه السلام... وعلى الجانب الآخر نجد فقه وأدب خديجة (رضى الله عنها) حينما قالت: «إن الله هو السلام» ولم تقل: وعلى الله السلام... فيا لها من منقبة لا توازيها الدنيا بكل ما فيها.

✽ وعن عائشة (رضى الله عنها) قالت: ما غرت على نساء النبي ﷺ إلا على خديجة وإنني لم أدركها قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول: «أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة» قالت: فأغضبته يوماً فقلت: خديجة! فقال رسول الله ﷺ: «إنني قد رزقت حبها»^(٤).

✽ ويا لها من كلمة جليلة تتوارى منها كل الكلمات العذبة خجلاً وحياءً من عذوبتها وجمالها «إنني قد رزقت حبها» كأن حبه لخديجة (رضى الله عنها) كان رزقاً ساقه الله إليه.

✽ ونختم تلك الباقية العطرة من مناقبها بهذا الحديث الذي يرسم لنا صورة حية لإكرام الله تعالى لها في جنته.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناءً فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب»^(٥).

(١) رواه الترمذی (٣٨٧٨)، وأحمد (١٣٥/٣)، والحاكم (١٥٧/٣) وإسناده صحيح.

(٢) قال الهيثمي في المجمع (٢٢٠/٩): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه النسائي في فضائل الصحابة (٢٥٤) وإسناده حسن.

(٤) أخرجه مسلم (٧٥) (٢٤٣٥) كتاب فضائل الصحابة.

(٥) أخرجه البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢).

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

النبي ﷺ يشارك في بناء الكعبة

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]. وعن أبي ذر قال سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع في الأرض قال «المسجد الحرام. قلت ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى. قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون عاماً، ثم الأرض لك مسجد فحيثما أدركت الصلاة فصل، فإن الفضل فيه» (١).

* وقد اختلف أهل العلم في أول من بنى الكعبة فمنهم من قال: أول من بناها الملائكة. ومنهم من قال: أول من بناها آدم عليه السلام. ومنهم من قال: أول من بناها إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام).

والراجح أن الكعبة كانت قبل إبراهيم وإسماعيل ولكنها هُدمت وبقيت القواعد فكان الذي رفع تلك القواعد إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

* وكانت الكعبة - قبل مبعث النبي ﷺ - قد أوشكت على الانهيار قيل: بحريق أصابها وقيل: بسيل جارف وكان ذلك قبل بعثة النبي ﷺ بخمس سنوات على الراجح.

فاضطرت قريش إلى تجديد بنائها حرصاً على مكانتها، واتفقوا على أن لا يدخلوا في بنائها إلا طيباً، فلا يدخلوا فيها مهر بغيٍّ، ولا بيع رباً، ولا مظلمة أحد من الناس، وكانوا يهابون هدمها، فابتدأ بها الوليد بن المغيرة المخزومي وتبعه الناس لما رأوا أنه لم يصبه شيء، ولم يزلوا في الهدم حتى وصلوا إلى قواعد إبراهيم، ثم أرادوا الأخذ في البناء، فجزأوا الكعبة، وخصصوا لكل قبيلة جزءاً منها، فجمعت كل قبيلة حجارة على حدة، وأخذوا يبنونها، وتولى البناء بناء رومي اسمه باقوم، ولما بلغ البنين موضع الحجر الأسود، اختلفوا فيمن يمتاز بشرف وضعه في مكانه، واستمر النزاع أربع ليال أو خمساً، واشتد حتى كاد يتحول إلى حرب ضروس في أرض الحرم، إلا أن أبا أمية بن المغيرة المخزومي عرض عليهم أن يحكموا فيما شجر بينهم أول داخل عليهم من باب

(١) رواه البخاري (٤٦٩/٦) أحاديث الأنبياء. قال الحافظ: وهذا الحديث يفسر المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ

بيت وضع للناس للذي ببكة﴾ ويدل على أن المراد بالبيت بيت العبادة لا مطلق البيوت، وقد ورد ذلك صريحاً عن علي. أخرجه إسحاق بن راهويه وابن أبي حاتم وغيرهما بإسناد صحيح عنه قبله قال: كانت

البيوت قبله ولكنه كان أول بيت وضع لعبادة الله. (٤٧٠/٦) من فتح الباري.

رَفَعُ

عن (الرحمى) (الرحمى)
(أسلمة) (الرحمى) (الرحمى)

المسجد فارتضوه، وشاء الله أن يكون ذلك رسول الله ﷺ فلما رأوه هتفوا: هذا الأمين، رضيناه، هذا محمد، فلما انتهى إليهم، وأخبروه الخبر طلب رداء، فوضع الحجر وسطه، وطلب من رؤساء القبائل المتنازعين أن يمسكوا جميعاً بأطراف الرداء، وأمرهم أن يرفعوه، حتى إذا أوصلوه إلى موضعه أخذه بيده، فوضعه في مكانه^(١).

✽ عن (عليّ) قال: «لما أرادوا أن يرفعوا الحجر «يعنى قريشاً» اختصموا فيه، فقالوا: يحكم بيننا أول رجل يخرج من هذه السكة^(٢)، قال: وكان رسول الله ﷺ أول من خرج عليهم، فجعلوه في مرط^(٣)، ثم رفعه جميع القبائل كلها، ورسول الله يومئذ رجل شاب يعنى قبل البعثة. وفي رواية قال: «لما رأوا النبي ﷺ قد دخل قالوا: قد جاء الأمين»^(٤).

وهذه رواية أخرى:

✽ عن أبي الطفيل رضى الله عنه قال: «كانت الكعبة فى الجاهلية مبنية بالرضم^(٥)، وكانت قدر ما يفتحها العناق^(٦)، وكانت غير مسقوفة، إنما توضع ثيابها عليها ثم تسدل سداً عليها^(٧)، وكان الركن الأسود موضوعاً على سورها تأدياً، وكانت ذات ركنين كهياة الحلقة.

فأقبلت سفينة من أرض الروم، حتى إذا كانوا قريباً من (جدة)، تكسرت السفينة، فخرجت قريش ليأخذوا خشبها، فوجدوا رومياً عندها، فأخذوا الخشب أعطاهم إياه.

وكانت السفينة تريد الحبشة، وكان الرومى الذى فى السفينة نجاراً فقدموا، وقدموا بالرومى، فقالت قريش: بنى بهذا الخشب الذى فى السفينة بيت ربنا.

فلما أرادوا هدمه، إذا هم بحية على سور البيت مثل قطعة الحائر^(٨)، سوداء الظهر، بيضاء البطن، فجعلت كلما دنا أحد إلى البيت ليهدمه أو يأخذ من حجارته، سعت إليه فاتحة فاما - فمها -.

(١) الرحيق المختوم (ص: ٥٩).

(٢) السكة: الطريق.

(٣) المرط: الثوب.

(٤) رواه الطبراني فى الأوسط والحاكم وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٥) الرضم: الصخور.

(٦) العناق: الأنتى من أولاد الماعز دون السنة.

(٧) السدل: الإسبال.

(٨) الحائر: الجدول.

اجتمعت قريش عند المقام، فعبجوا إلى الله - عز وجل - فقالوا: ربنا لم تُرع^(١)، أردنا تشريف بيتك، فإن كنت ترضى بذلك، وإلا فافعل ما بدا لك.

فسمعوا خواراً^(٢) في السماء، فإذا بطائر أسود الظهر، أبيض البطن والرجلين، أعظم من البشر، فغرز مخاليبه في رأس الحية، حتى انطلق بها يجر ذنبها، أعظم من كذا وكذا ساقطاً، فانطلق نحو أجباد، فهدهمتها قريش، وجعلوا يبنونها بحجارة الوادي تحملها قريش على رقابها، فرفعوها في السماء عشرين ذراعاً.

فبينما النبي ﷺ يحمل حجارة من أجباد، وعليه نمرة، فضاعت عليه النمرة^(٣)، فذهب يضع النمرة على عاتقه، فترى عورته من صغر النمرة، فنودي يا محمد، خمر عورتك^(٤)، فلم ير عرياناً بعد ذلك، وكان يرى بين بناء الكعبة وبين ما أنزل عليه خمس سنين، وبين مخرجه وبنائها خمس عشرة سنة^(٥).

✽ وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: «إن رسول الله ﷺ كان ينقل معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره، فقال له العباس عمه: يا ابن أخي، لو حللت إزارك، فجعلته على منكبك^(٦)، دون الحجارة؛ قال: فحلّه، فجعله على منكبه، قال: فسقط مغشياً عليه، فما رآى بعد ذلك اليوم عرياناً^(٧)».

✽ عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لها: ألم ترى أن قومك لما بنوا الكعبة اقتصروا على قواعد إبراهيم. فقلت: يا رسول الله ألا تردّها على قواعد إبراهيم؟ قال: لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت.

فقال عبد الله رضى الله عنه: لئن كانت عائشة رضى الله عنها سمعت هذا من رسول الله ﷺ ما أرى رسول الله ﷺ ترك استلام الركنين الذين يليان الحجر، إلا أن البيت لم يتم على قواعد إبراهيم^(٨).

(١) لم ترع: لا تخف ولا تنزع.

(٢) الخوار: الصياح.

(٣) النمرة: الكساء المخطط.

(٤) خمر عورتك: غط عورتك.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير بطوله، وأحمد طرْقاً منه، ورجالهما رجال الصحيح كما قال الهيثمي في المجمع ٣/ ٢٨٩. انظر المطالب العالمة: ٤/ ١٨٢ برقم: ٤٢٦٦، والفتح الرباني: ٢٠/ ١٩٨ - ١٩٩.

(٦) المنكب: الكتف.

(٧) أخرجه البخاري (٣٦٤) الصلاة - ومسلم (٣٤٠) الحيض.

(٨) أخرجه البخاري (٥١٣/٣) الحج.

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

شمس النبوة تشرق على أرض الجزيرة

❖ ولما تقاربت سنهُ الأربعين حُبَّ إليه الخلاء فقد كان محمد ﷺ يهجر مكة كل عام ليقضى شهر رمضان في غار حراء وهو غار على مسافة بضعة أميال من القرية الصاخبة، في رأس جبل من هذه الجبال المشرفة على مكة والتي ينقطع عندها لغو الناس وحديثهم الباطل، ويبدأ السكون الشامل المستغرق. في هذه القمة السامقة المنزوية، كان محمد ﷺ يأخذ زاد الليالي الطوال ثم ينقطع عن العالمين متجهًا بفؤاده المشوق إلى رب العالمين!.. في هذا الغار المهيب المحجب، كانت نفس كبيرة تطل من عليائها على ما تموج به الدنيا من فتن ومغارم واعتداء وانكسار ثم تتلوى حسرة وحيرة لأنها لا تدري من ذلك مخرجًا، ولا تعرف له علاجًا!!

وفي هذا الغار النائي كانت عين نفاذة محصية تستعرض تراث الهداة الأولين من رسل الله، فتجده كالمنجم المعتم لا يستخلص منه المعدن النفيس إلا بعد جهد جهيد، وقد يختلط التراب بالتبر فما يستطيع بشر فصله عنه ..

في غار حراء كان محمد عليه الصلاة والسلام يتعبد، ويصقل قلبه، وينقى روحه ويقترب من الحق جهده ويتعد عن الباطل وسعته. حتى وصل من الصفاء إلى مرتبة عالية انعكست بها أشعة الغيوب على صفحته المجلوة، فأمسى لا يرى رؤيا إلى جاءت كفلق الصبح^(١).

بدء الوحي

❖ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «أنزل على النبي ﷺ وهو ابن أربعين، وكان بمكة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة عشرًا، فمات وهو ابن ثلاث وستين»^(٢).

❖ ومن حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال لخديجة رضى الله عنها: (إنى أرى ضوءًا، وأسمع صوتًا، وإنى أخشى أن يكون بى جنون). قالت: «لم يكن الله ليفعل ذلك بك يا ابن عبد الله» ثم أتت ورقة بن نوفل، فذكرت ذلك له فقال: «إن يكن

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ٩٨ - ٩٩).

(٢) أخرجه البخارى (٣٩٠٢) مناقب الأنصار - ومسلم (٢٣٥١) النضائل.

صَادَقًا فَإِنَّ هَذَا نَامُوسٌ مِثْلُ نَامُوسِ^(١) مُوسَى، فَإِنَّ بُعِثَ وَأَنَا حَيٌّ فَسَاءَ عَزْرُهُ، وَأَنْصَرُهُ، وَأَوْمِنُ بِهِ»^(٢).

✽ وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»^(٣)، ثم حُبب إليه الخلاء»^(٤)، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنّث فيه «وهو تعبد الليالي ذوات العدد» قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء.

فجاءه الملك، فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني^(٥) حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾ [العلق: ١ - ٣] فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: زمّلوني^(٦)، زمّلوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع^(٧)، فقال لخديجة، وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي.

فقال لخديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل^(٨)، وتكسب المعدوم^(٩)، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق^(١٠)، فانطلقت به خديجة، حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى (ابن عم خديجة)، وكان امرأ تنصر

(١) الناموس: صاحب الوحي وهو جبريل عليه السلام.

(٢) رواه أحمد في المسند: (٣١٢/١) وقال الهيثمي في المجمع (٢٥٥/٨): رواه أحمد متصلاً ومرسلاً، والطبراني بنحوه، وزاد: ورجال أحمد رجال الصحيح، وصححه أحمد شاكر برقم (٢٨٤٦).

(٣) فلق الصبح: ضياء الصبح، وهذا يقال في الشيء الواضح البين.

(٤) الخلاء: الخلوة وهي شأن الصالحين ليتفرغ لعبادة ربه، ويتخشع له.

(٥) غطني: عصرتني وضمني. الجهد: المشقة.

(٦) زمّلوني: غطوني بالثياب ولفوني بها.

(٧) الفزع: الخوف.

(٨) تحمل الكل: تنفق على الضعيف واليتيم والعيال، والكل: أصله الثقل والإعياء.

(٩) تكسب المعدوم: تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك من نفائس الفوائد ومكارم الأخلاق.

(١٠) تعين على نوائب الحق: أنك لا يصيبك مكروه لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق وكرم السمائل.

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فى الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربى، فيكتب الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمى، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك.

فقال له ورقة: يا ابن أخى ما ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى: فقال له ورقة: هذا الناموس^(١) الذى نزل الله على موسى، يا ليتنى فيها جذعاً^(٢)، ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أَوْ مُخْرَجِيَّ هُمْ؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى وإن يدركنى يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا^(٣)، ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي^(٤)»^(٥).

حزن النبى ﷺ لفقد الوحي

* وعن جندب بن عبد الله البجلي رضى الله عنه قال: «اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقيم ليلة أو ليلتين أو ثلاثاً فقالت امرأة: ما أرى شيطانك إلا تركك، فأنزل الله ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ١ - ٣]»^(٦).

* وعن جابر بن عبد الله الأنصارى قال: قال رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي:

(بينما أنا واقف، فرفعت رأسى إلى السماء، فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسيه بين السماء والأرض، قال رسول الله ﷺ فجئْتُ^(٧) منه فرقاً، فرجعت،

(١) الناموس: هو جبريل عليه السلام، ومعنى الناموس: صاحب سر الخير.

(٢) الجذع: الشاب القوى.

(٣) نصرًا مؤزرًا: قوياً بالغاً.

(٤) فتر الوحي: تأخر نزوله.

(٥) قال ابن القيم رحمه الله: استدلت بما فيه من الصفات الفاضلة، والأخلاق والشميم، على أن من كان كذلك لا يُخزى أبداً، فعلمت بكمال عقلها وفطرتها أن الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة والشميم الشريفة تناسب أشكالها من كرامة الله وتأيدته وإحسانه، ولا تناسب الخزى والخذلان، وإنما يناسبه أضدادها فمن ركب الله على أحسن الصفات وأحسن الأخلاق والأعمال إنما يليق به كرامته وإتمام نعمته عليه، ومن ركب على أقبح الصفات وأسوأ الأخلاق والأعمال إنما يليق به ما يناسبها، وبهذا العقل والصدقية استحققت أن يرسل إليها ربها السلام منه مع رسوله جبريل ومحمد ﷺ. زاد المعاد (٣/ ١٩) ط. الرسالة.

(٦) أخرجه البخارى (٤٩٨٣) فضائل القرآن - ومسلم (١٧٩٧) الجهاد والسير.

(٧) جئْتُ: أى دُعرت وخفت.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فقلت: زملوني زملوني، ذثروني، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ [المدثر: ١-٥]. ثم تابع الوحي (١).

كيف كان يأتي الوحي رسول الله ﷺ

لقد ذكر الإمام ابن القيم - رحمه الله - مراتب الوحي الذي كان ينزل على النبي ﷺ فقال: وكمل الله له من مراتب الوحي مراتب عديدة:

أحدها: الرؤيا الصادقة، وكانت مبدأ وحيه ﷺ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

الثانية: ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه، كما قال النبي ﷺ: «إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وتستوعب أجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته» (٢).

الثالثة: أنه ﷺ كان يتمثل له الملك رجلاً، فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحياناً (٣).

الرابعة: أنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس، وكان أشده عليه فينلبس به الملك حتى إن جبينه ليتفصد عرقاً في اليوم الشديد البرد (٤) وحتى إن راحلته لتبرك به إلى

(١) أخرجه البخاري (٤) بدء الوحي - ومسلم (١٦١) الإيمان.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي أمامة وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٨٥).

(٣) انظر حديث عمر في «صحيح مسلم» (٨) في أول كتاب الإيمان، وفيه أن النبي ﷺ قال: «يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» وروى النسائي بإسناد صحيح عن ابن عمر: «كان جبريل يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي».

(٤) أخرجه أحمد ١٥٨/٦ و ١٦٣ و ٢٥٧. ومالك ٢٠٢/١، والبخاري ٢٠/١ في بدء الوحي، و ١٢٢/٦ في بدء الخلق: باب ذكر الملائكة، ومسلم (٢٣٣٣) في الفضائل: باب عرق النبي ﷺ، والنسائي ١٤٦/٢ و ١٤٧ و ١٤٩ في الافتتاح: باب جامع ما جاء في القرآن، والترمذي (٣٦٣٨) في المناقب من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: إن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً، فيكلمني، فأعي ما يقول». قالت عائشة: «ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً».

رفع

عن الشيخين
(مسند أبي بكر بن عازم)

الأرض إذا كان ركبها^(١). ولقد جاءه الوحي مرة كذلك، وفخذه على فخذ زيد بن ثابت. فثقلت عليه حتى كادت ترضها^(٢).

الخامسة: أنه يرى الملك في صورته التي خلق عليها، فيوحى إليه ما شاء الله أن يوحى، وهذا وقع له مرتين، كما ذكر الله ذلك في سورة [النجم: ٧، ١٣]^(٣).

السادسة: ما أوحاه الله وهو فوق السماوات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها.

السابعة: كلام الله له منه إليه بلا واسطة ملك، كما كلم الله موسى ابن عمران، وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى قطعاً بنص القرآن، وثبوتها لنبينا ﷺ هو في حديث الإسراء.

وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة وهي تكليم الله له كفاحاً من غير حجاب، وهذا على مذهب من يقول: إنه ﷺ رأى ربه تبارك وتعالى، وهي مسألة خلاف بين السلف والخلف^(٤).

(١) أخرج الإمام أحمد ١١٨/٦ من حديث عائشة رضی الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته، وضعت جرائنها، فلم تستطع أن تتحرك. وصححه الحاكم (٥٠٥/٢) ووافقه الذهبي.

(٢) أخرج البخاري ١٩٦/٨ في التفسير من حديث زيد بن ثابت أن النبي ﷺ أُملي عليه ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله﴾ فجاء ابن أم مكتوم وهو يملها على، قال: يا رسول الله، والله لو أستطيع الجهاد معك لجاهدت، وكان أعمى، فأنزل الله على رسوله ﷺ وفخذه على فخذي، فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي، ثم سرى عنه، فأنزل الله ﴿غير أولى الضرر﴾.

(٣) أخرج مسلم في «صحيحه» (١٧٧) عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «لم أره (يعني جبريل) على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض». وبين أحمد في حديث ابن مسعود أن الأولى كانت عند سؤاله إياه أن يريه صورته التي خلق عليها، والثانية عند المعراج... والترمذي (٣٢٧٤) من طريق مسروق عن عائشة: لم ير محمد جبريل في صورته إلا مرتين: مرة عند سدرة المنتهى، ومرة في أجساد.

(٤) زاد المعاد (١/ ٧٨: ٨٠).

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

النبي ﷺ يرى جنة أو جنتين لورقة بن نوفل

✽ عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ (لا تسبوا ورقة، فإنى رأيت له جنة أو جنتين)^(١).

✽ وعن عائشة أن خديجة سألت النبي ﷺ عن ورقة بن نوفل فقال: (قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض، فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بياض)^(٢).

مراحل الدعوة الإسلامية فى حياة النبي ﷺ

مرّت الدعوة الإسلامية فى حياته عليه الصلاة والسلام منذ بعثته إلى وفاته بأربع مراحل:

المرحلة الأولى: الدعوة سرّاً، واستمرت ثلاث سنوات.

المرحلة الثانية: الدعوة جهراً، وباللسان فقط، واستمرت إلى الهجرة.

المرحلة الثالثة: الدعوة جهراً، مع قتال المعتدين والبادئين بالقتال أو الشر، واستمرت هذه المرحلة إلى عام صلح الحديبية.

المرحلة الرابعة: الدعوة جهراً مع قتال كل من وقف فى سبيل الدعوة أو امتنع عن الدخول فى الإسلام - بعد فترة الدعوة والإعلام - من المشركين أو الملاحدة أو الوثنيين.

وكانت هذه المرحلة هى التى استقر عليها أمر الشريعة الإسلامية وقام عليها حكم الجهاد فى الإسلام^(٣).

مرحلة الدعوة السرية

أخذت الدعاية للإسلام تنتشر فى مكة وتعمل عملها فى أصحاب الأفئدة الكبيرة فسرعان ما يطرحون جاهليتهم الأولى ويخفون إلى اعتناق الدين الجديد وكانت آيات القرآن تنزل على القلوب التى استودعت بذور الإيمان كما ينزل الوابل على التربة الخصبة.

(١) رواه الحاكم عن عائشة (رضى الله عنها) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٣٢٠) والصحيحة (٤٠٥).

(٢) قال ابن كثير فى السيرة (٣٩٧/١): هذا إسناد حسن لكن رواه الزهري وهشام عن عروة مرسلاً.

(٣) فقه السيرة للبوطى (ص: ٦٨).

﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٌ﴾ [الحج: ٥].

كان أصحاب العقائد يتجمعون - فى تؤدة - حول عقائدهم، ويلتفون - فى حب وإعجاب - حول إمامهم، ويشرحون فى حذر - أصول فكرتهم.

والإيمان قوة ساحرة، إذا استمكنت من شعاب القلب وتغلغلت فى أعماقه تكاد تجعل المستحيل ممكناً.

واستمر هذا التطور السرى للدعوة ثلاث سنين، ثم نزل الوحي يُكلِّف الرسول ﷺ بمعالجة قومه. ومجابهة باطلهم، لمهاجمة أصنامهم جهاراً^(١).

حكمة جلييلة

معلوم أن مكة كانت مركز دين العرب وكان بها سدة الكعبة والقوام على الأوثان والأصنام المقدسة عند سائر العرب، فالوصول إلى المقصود من الإصلاح فيها يزداد عُسراً وشدة عما لو كان بعيداً عنها، فالأمر يحتاج إلى عزيمة لا تزلزلها المصائب والكوارث... كان من الحكمة تلقاء ذلك أن تكون الدعوة فى بدء أمرها سرية، لئلا يفاجئ أهل مكة بما يهيجهم.

الرعييل الأول

وكان من الطبيعى أن يعرض الرسول ﷺ الإسلام أولاً على أصدق الناس به وآل بيته، وأصدقائه، فدعاهم إلى الإسلام، ودعا إليه كل من توسم فيه خيراً ممن يعرفهم ويعرفونه، يعرفهم بحب الله ويعرفونه بتحري الصدق والصلاح، فأجابه من هؤلاء - الذين لم تخالجهم ريبة قط فى عظمة الرسول ﷺ، وجلالة نفسه وصدق خبره - جَمْعٌ عُرُفُوا فى التاريخ الإسلامى بالسابقين الأولين، وفى مقدمتهم زوجة النبى ﷺ أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، ومولاه زيد بن حارثة، وابن عمه على بن أبى طالب - وكان صبيّاً يعيش فى كفالة الرسول ﷺ^(٢).

✽ ودعا صديقه الذى هو موضع ثقته وأمين سره ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠] أبو بكر الصديق رضى الله عنه، فلم يتردد، وكان أول داعية فى الإسلام،

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ١١١ - ١١٢) بتصرف.

(٢) الرحيق المختوم (ص: ٧٢).

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

وكان ببركة إسلامه ودعوته ثلة مباركة دخلت في الدين وكانت من السابقين الأولين وكان لها في الإسلام أعظم بذل وبلاء، فرضى الله عنهم أجمعين... منهم عثمان بن عفان رضى الله عنه ذو النورين، والزبير بن العوام وهو حوارى رسول الله ﷺ وابن عمته صفية بنت عبد المطلب، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص خال المصطفى ﷺ، وطلحة بن عبيد الله، وكل هؤلاء الذين دخلوا الإسلام على يد أبي بكر من العشرة المبشرين رضى الله عنهم أجمعين^(١).

* ثم لما أربى الذين دخلوا في الإسلام على الثلاثين - ما بين رجل وامرأة - اختار لهم رسول الله ﷺ دار أحدهم، وهو الأرقم بن أبي الأرقم، ليلتقى بهم فيها لحاجات الإرشاد والتعليم.. أسلم هؤلاء سرّاً، وكان الرسول ﷺ يجتمع بهم ويرشدهم إلى الدين متخفياً؛ لأن الدعوة كانت لا تزال فردية وسرية، وكان الوحي قد تتابع وحمى نزوله بعد نزول أوائل المدثر، وكانت الآيات وقطع السور التي تنزل في هذا الزمان آيات قصيرة، ذات فواصل رائعة منيعة، وإيقاعات هادئة خلابة تتناسق مع ذلك الجو الهامس الرقيق، تشتمل على تحسين تزكية النفوس وتقبيح تلويثها برغائب الدنيا، تصف الجنة والنار كأنهما رأى عين، تسير بالمؤمنين في جو آخر غير الذي فيه المجتمع البشرى آنذاك^(٢).

* ومن هنا تدرك، أن أسلوب دعوته عليه الصلاة والسلام، في هذه الفترة، كان من قبيل السياسة الشرعية بوصف كونه إماماً، وليس من أعماله التبليغية عن الله تعالى بوصف كونه نبياً.

وبناء على ذلك فإنه يجوز لأصحاب الدعوة الإسلامية في كل عصر أن يستعملوا المرونة في كيفية الدعوة - من حيث التكتّم والجهر، أو اللين والقوة - حسبما يقتضيه الظرف وحال العصر الذي يعيشون فيه، وهى مرونة حددتها الشريعة الإسلامية، اعتماداً على واقع سيرته ﷺ، ضمن الأشكال أو المراحل الأربعة التي سبق ذكرها، على أن يكون النظر في كل ذلك إلى مصلحة المسلمين ومصلحة الدعوة الإسلامية.

ومن أجل هذا أجمع جمهور الفقهاء على أن المسلمين إذا كانوا من قلة العدد أو ضعف العدد بحيث يغلب الظن أنهم سيُقتلون من غير أى نكاية في أعدائهم، إذا ما أجمعوا قتالهم، فينبغى، أن تقدم هنا مصلحة حفظ النفس، لأن المصلحة المقابلة وهى

(١) وقفات تربوية (ص: ٦٧).

(٢) الرحيق المختوم (ص: ٧٣).

رَفَعُ

عبد الرحمن بن أبي بكر
عبد الرحمن بن أبي بكر
عبد الرحمن بن أبي بكر

مصلحة حفظ الدين موهومة أو منفية الوقوع.

ويقرر العز بن عبد السلام حرمة الخوض في مثل هذا الجهاد قائلاً:

«فإذا لم تحصل النكاية وجب الانهزام، لما في الثبوت من فوات النفس مع شفاء صدور الكفار وإرغام أهل الإسلام، وقد صار الثبوت هنا مفسدة محضة، ليس في طيها مصلحة»^(١).

قلت: وتقدير مصلحة النفس هنا، من حيث الظاهر فقط.

أمّا من حيث حقيقة الأمر وممراته البعيد، فإنها في الواقع مصلحة دين، إذ المصلحة الدنيّة تقتضى - في مثل هذه الحال - أن تبقى أرواح المسلمين سليمة لكي يتقدموا ويجهدوا في الميادين المفتوحة الأخرى. وإلا فإن هلاكهم يعتبر إضراراً بالدين نفسه وفسحاً للمجال أمام الكافرين ليقترحموا ما كان مسدوداً أمامهم من السبل.

والخلاصة: أنه يجب المسألة أو الإسراع بالدعوة إذا كان الجهر أو القتال يضرّ بها، ولا يجوز الإسراع في الدعوة إذا أمكن الجهر بها وكان ذلك مفيداً، ولا يجوز المسألة مع الظالمين والمتربصين بها إذا توفرت أسباب القوة والدفاع عنها، ولا يجوز القعود عن جهاد الكافرين في عقر دورهم إذا ما توفرت وسائل ذلك وأسبابه.

هؤلاء أتباع الرسل

وتحدثنا السيرة أن الذين دخلوا في الإسلام، في هذه المرحلة، كان معظمهم خليطاً من الفقراء والضعفاء والأرقاء. فما الحكمة في ذلك؟ وما السرّ في أن تتأسس الدولة الإسلامية على أركان من مثل هؤلاء الناس؟

والجواب: إن هذه الظاهرة هي الثمرة الطبيعية لدعوة الأنبياء في فترتها الأولى، ألم تر إلى قوم نوح كيف كانوا يعيرونه بأن أتباعه الذين من حوله ليسوا إلا من أراذل الناس ودهمائهم: ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّى الرَّأْيِ...﴾ [هود: ٢٧]. وإلى فرعون وشيعته كيف كانوا يرون أتباع موسى أذلاء مستضعفين، حتى قال عنهم بعد أن تحدث عن هلاك فرعون وأشياعه: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧]. وإلى ثمود الذين أرسل الله إليهم

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١/٩٥).

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

صالحاً، كيف تولى عنه الزعماء المستكبرون، وآمن به الفقراء المستضعفون، حتى قال الله في ذلك: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (٧٥) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿[الأعراف: ٧٥-٧٦].

والسرُّ في ذلك، أن حقيقة هذا الدين الذي بعث الله به عامة أنبيائه ورسله، إنما هي الخروج عن سلطان الناس وحكمهم إلى سلطان الله وحكمه وحده. وهي حقيقة تخدم أول ما تخدم ألوهية المتألهين وحاكمة المتحكمين وسطوة المتزعمين، وتناسب أول ما تناسب حالة المستضعفين والمستذلين والمستعبدين، فيكون رد الفعل أمام الدعوة إلى الإسلام لله وحده هو المكابرة والعناد من أولئك المتألهين والمتحكمين، والإذعان والاستجابة من هؤلاء المستضعفين^(١).

أول الناس إسلاماً

* عن عفيف الكندي رضى الله عنه قال: «كنت امرأةً تاجراً، فقدمت الحج، فأثبت العباس بن عبد المطلب لأبتاع منه بعض التجارة، وكان امرأةً تاجراً، فوالله إني لعنده بمنى إذ خرج رجل من خباء^(٢) قريب منه، فنظر إلى الشمس، فلما رآها مالت^(٣)، قام يصلي، ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء الذي خرج ذلك الرجل منه، فقامت خلفه تصلي، ثم خرج غلام حين ناهز الحلم^(٤) من ذلك الخباء، فقام معه يصلي.

قال: فقلت للعباس: يا عباس ما هذا؟ قال: هذا محمد ابن أخي عبد الله بن عبد المطلب قال: قلت: من هذه المرأة؟ قال: هذه امرأته خديجة بنت خويلد. قال: فقلت من هذا الفتى؟ قال: هذا علي بن أبي طالب ابن عمه.

قال: قلت: فما هذا الذي يصنع؟ قال: يصلي، وهو يزعم أنه نبي، ولم يتبعه على أمره إلا امرأته وابن عمه هذا الفتى، وهو يزعم أنه ستفتح عليه كنوز كسرى وقيصر.

قال: فكان عفيف وهو ابن عم الأشعث بن قيس يقول - وأسلم بعد فحسن إسلامه:

(١) فقه السيرة للبوطي (ص: ٦٩: ٧١) بتصرف.

(٢) الخباء: الخيمة.

(٣) مالت: يعني بعد الزوال باتجاه الغروب.

(٤) ناهز الحلم: قارب البلوغ.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

لو كان الله رزقني الإسلام يومئذ، فأكون ثانيًا مع علي بن أبي طالب»^(١).

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أول من صلى مع النبي ﷺ بعد خديجة علي»^(٢).

* وعن سلمان رضي الله عنه قال: «أول هذه الأمة ورودًا على نبيها ﷺ أولها إسلامًا علي بن أبي طالب»^(٣).

* وعن زيد بن أرقم رضي الله عنهما قال: «أول من صلى (وفي لفظ) أول من أسلم مع رسول الله ﷺ علي»^(٤).

* وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: «قال أبو بكر: ألسْتُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا؟ أَى الْخَلَافَةِ، أَلَسْتُ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ؟ أَلَسْتُ صَاحِبَ كَذَا. أَلَسْتُ صَاحِبَ كَذَا؟»^(٥).

* وعن أبي الدرداء رضي الله عنه في قصة ما حصل بين أبي بكر وعمر من الخصومة فقال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذِبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ^(٦)، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي؟)^(٧).

* وعن عمار رضي الله عنه قال: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا مَعَهُ إِلَّا خُمْسُ أَعْبُدَ، وَأَمْرَاتَانِ، وَأَبُو بَكْرٍ». وفي هذا الحديث أن أبا بكر أول من أسلم من الأحرار مطلقًا^(٨).

ولا منافاة في ذلك، «فإن أبا بكر أول من أسلم من الرجال، وعليًا أول من أسلم من الصبيان، وخديجة أول من أسلم من النساء، وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالى».

(١) رواه أحمد (٢٠٩/١ - ٢١٠)، والحاكم (١٨٣/٣) وقال: صحيح الإسناد ولم يُخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الترمذي (٣٧٣٤)، وأحمد (٣٣٠/١ - ٣٣١) وقال الساعاني في الفتح (٢٠/٢١٤): وسنده جيد.

(٣) قال الهيثمي في المجمع (٩/١٠٢): رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٤) رواه الترمذي (٣٧٣٥)، وأحمد (٣٦٨/٤ - ٣٧١)، والحاكم (٣/١٣٦)، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(٥) رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٨٩٨).

(٦) واساني بنفسه وماله: أعانني.

(٧) رواه البخاري في فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلاً» رقم: (٣٦٦١) فتح الباري: (١٨/٧).

(٨) رواه البخاري في فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلاً» رقم: (٣٦٦٠) فتح الباري: (١٨/٧).

وهذا قول أبي حنيفة رضى الله عنه^(١).

❖ وقد كان من أوائل من آمن بالنبي ﷺ الصحابي عمرو بن عبسة رضى الله عنه.

❖ عن عمرو بن عبسة رضى الله عنه: قال: قلت: «يا رسول الله، من معك على هذا الأمر؟ قال: (حرٌّ وعبدٌ) قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال، ثم قال له: (ارجع إلى قومك حتى يملك الله - عزَّ وجلَّ - لرسوله) قال: وكان عمرو بن عبسة يقول: «لقد رأيتني وإنى لربيع الإسلام»^(٢).

(١) سيرة ابن كثير: ٤٣٧/١، والترمذى فى المناقب، باب مناقب على رقم: ٣٧٣٥، وقال: كنا قال بعض أهل العلم.

(٢) أخرجه مسلم (٨٣٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

الجهر بالدعوة

قال ابن هشام: «ثم دخل الناس في الإسلام أرسالاً من النساء والرجال حتى فشا ذكر الإسلام بمكة. فأمر الله رسوله أن يصدع بما جاءه من الحق، وأن يبادى الناس بأمره وأن يدعو إليه، وكان بين ما أخفى رسول الله أمره واستتر به إلى أن أمره الله بإظهار دينه ثلاث سنين من مبعثه^(١)».

أول أمر بإظهار الدعوة

أول ما نزل بهذا الصدد قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] والسورة التي وقعت فيها الآية - وهي سورة الشعراء - ذكرت فيها أولاً قصة موسى عليه السلام من بداية نبوته إلى هجرته مع بنى إسرائيل، ونجاتهم من فرعون وقومه، وإغراق آل فرعون معه، وقد اشتملت هذه القصة على جميع المراحل التي مر بها موسى عليه السلام خلال دعوة فرعون وقومه إلى الله.

أرى أن هذا التفصيل إنما جرى به حين أمر الرسول ﷺ بدعوة قومه إلى الله، ليكون أمامه وأمام أصحابه نموذجاً لما سيلقونه من التكذيب والاضطهاد حينما يجهرون بالدعوة، وليكونوا على بصيرة من أمرهم منذ بداية دعوتهم.

ومن ناحية أخرى تشتمل هذه السورة على ذكر مآل المكذبين للرسول، من قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، وأصحاب الأيكة - علاوة على ما ذكر من أمر فرعون وقومه - ليعلم الذين سيقومون بالتكذيب بما يؤول إليه أمرهم، وبما سيلقون من مؤاخذة الله إن استمروا على التكذيب؛ وليعرف المؤمنون أن حسن العاقبة لهم لا للمكذبين^(٢).

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

(١) ابن هشام (١/ ٢١٦).

(٢) الرحيق المختوم (ص: ٧٦).

وأنذر عشيرتَك الأقرَبِينَ

* عن ابن عباس رضى الله عنهما: لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف: يا صباحاه^(١)، فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه، فقال: (أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكتنم مصدقى؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد).

قال أبو لهب: تباً لك ما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام، فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَ﴾^(٢).

* وعن عائشة رضى الله عنها قالت: لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، قام رسول الله ﷺ فقال: (يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بنى عبد المطلب، لا أملك لكم من الله شيئاً، سلوني من مالى ما شئتم)^(٣).

* وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ قال: (يا معشر قريش، أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئاً، يا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغنى عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله، لا أغنى عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد، سليني ما شئت من مالى، لا أغنى عنك من الله شيئاً)^(٤).

* هذه الصيحة العالية هى غاية البلاغ. فقد فاصل الرسول عليه الصلاة والسلام قومه على دعوته، وأوضح لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلة بينه وبينهم وأن عصبية القرابة التى يقوم عليها العرب ذابت فى حرارة هذا الإنذار الآتى من عند الله.

لقد كان محمد عليه الصلاة والسلام كبير المنزلة فى بلده مرموقاً بالثقة والمحبة، وها هو ذا يواجه مكة بما تكره: ويتعرض لخصام السفهاء والكبراء وأول قوم يغامر بخسران

(١) يا صباحاه: كلمة ينادى بها للاجتماع لوقوع أمر عظيم.

(٢) أخرجه البخارى (٤٧٧٠) التفسير، ومسلم (٢٠٨) الإيمان.

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٥) الإيمان.

(٤) أخرجه البخارى (٤٧٧١) التفسير، ومسلم (٢٠٤) الإيمان.

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

مودتهم، هم عشيرته الأقربون. لكن هذه الآلام تهون في سبيل الحق الذي شرح الله به صدره. فلا عليه أن يبيت بعد هذا الإنذار ومكة تموج بالغرابة والاستنكار. وتستعد لحسم هذه الثورة التي اندلعت بغتة، وتخشى أن تأتي على تقاليدها وموروثاتها^(١).

كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته

وهنا كان لابد لنا من الوقوف على أمرين هامين ألا وهما:

أولاً: لقد كان من الممكن أن لا يأمر الله رسوله بإنذار عشيرته وذوى قريبه خاصة، اكتفاءً بعموم أمره الآخر وهو قوله: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] إذ يدخل أفراد عشيرته وذوو قريبه في عموم الذين سيصدع أمامهم بالدعوة والإنذار، فما الحكمة من خصوصية الأمر بإنذار العشيرة؟

والجواب: أن في هذا إلماحاً إلى درجات المسؤولية التي تتعلق بكل مسلم عموماً وأصحاب الدعوة خصوصاً.

فأدنى درجة في المسؤولية هي مسؤولية الشخص عن نفسه.

أما الدرجة التي تليها، فهي مسؤولية المسلم عن أهله ومن يلوذون به من ذوى قريبه. وتوجيهاً إلى القيام بحق هذه المسؤولية خصص الله الأهل والأقارب بضرورة الإنذار والتبليغ بعد أن أمر بعموم التبليغ والجهر به. وهذه الدرجة من المسؤولية يشترك في ضرورة تحمل أعبائها كل مسلم صاحب أسرة أو قري. وليس من اختلاف بين دعوة الرسول في قومه ودعوة المسلم في أسرته بين أقاربه، إلا أن الأول يدعو إلى شرع جديد مُنَزَّل عليه من الله تعالى، وهذا يدعو بدعوة الرسول الذي بُعث إليه، فهو يبلغ عنه وينطق بلسانه. وكما لا يجوز للنبي أو الرسول في قومه أن يقعد عن تبليغهم ما أوحى إليه، فكذلك لا يجوز لرب الأسرة أن يقعد عن تبليغ أهله وأسرته ذلك، بل يجب أن يحملهم على اتباع ذلك حملاً ويلزمهم به إلزاماً.

أما الدرجة الثالثة: فهي مسؤولية العالم عن حيه أو بلده، ومسؤولية الحاكم عن دولته وقومه^(٢).

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ١١٣، ١١٤).

(٢) فقه السيرة للبوطي (ص: ٧٣، ٧٤).

ثانياً: «ومن الطبيعي أن يبدأ الرسول ﷺ دعوته العلنية بإنذار عشيرته الأقربين إذ أن مكة بلد توغلت فيه الروح القبلية، فَبَدَأُ الدعوة بالعشيرة قد يعين على نصرته وتأييده وحمايته. كما أن القيام بالدعوة في مكة لا بد أن يكون له أثر خاص لما لهذا البلد من مركز ديني خطير فَجَلَّبَهَا إلى حظيرة الإسلام لا بد أن يكون له وقع كبير على بقية القبائل.. على أن هذا لا يعنى أن رسالة الإسلام كانت في أدوارها الأولى محدودة بقريش، لأن الإسلام، كما يتجلى من القرآن، اتخذ الدعوة في قريش خطوة أولى لتحقيق رسالته العالمية. والواقع أن كثيراً من الآيات المكية كانت تنص على القرآن ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٧]»^(١).

أبعاد تأثير الدعوة على مجتمع مكة

جاء الرسول محمد ﷺ بدعوة، قلبت حياة البشر رأساً على عقب، ولم تكن تلك الدعوة تتناول عقيدتهم وحدها، بل شملت حياتهم في جميع مظاهرها: في السياسة، وفي الاجتماع، وفي المال، وفي البيت. ولم يكن طبيعياً ولا مألوفاً أن ينكروا ما وجدوا عليه آباءهم وبلادهم طوعية، فكان لا بدّ لهم من التصدى لهذه الدعوة، ومقاومة صاحبها، ليرجع إلى الصف الذي خرج عنه، فيعظم حرمانهم التي يعظمون.

ولهذا فقد قاومت قريش الدعوة التي نقضت عقيدتها الفاسدة والمنحرفة، والرسول ﷺ الذي كان يدعو إلى التوحيد، وينذر بالبعث، فلا هي راضية بإله غير آلهتها، ولا هي واجدة في البعث والحساب الذي ينذر بها ما تعقله أو ترضاه.

ولو أن محمداً ﷺ قصر دعوته على التوحيد، وتسفيه أحلام القوم، لكفى بذلك إعناتاً، ولكنه زيادة على ذلك دعا إلى الإيمان بالبعث، فاستغربوا ذلك، واستبعدوه كل الاستبعاد، وقالوا: ﴿أَنذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْنَا لَمُبْعُوثُونَ﴾ [الصفافات: ١٦] لقد سخرُوا من هذه الفكرة، واستدلوا بها على ضعف رأى صاحب الدعوة.

مشى إليه يوماً أُبَيُّ بن خلف بعظم بال، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ هَذَا! ثُمَّ فَتَهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ نَفَخَهُ فِي الرِّيحِ نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَدَّ الْقُرْآنُ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَضَرْبَ لَنَا مِثْلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا

أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿[يس: ٧٨، ٧٩].

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
(أسكنه الله الفردوس)

(١) دراسة في السيرة/ عماد الدين خليل (ص: ٦٦).

لم يكتف محمد ﷺ بدعوته هذه التي كانت غريبة في رأى القوم، بل زاد عليها أن دعا إلى تحريم الخمر، والزنا، والميسر، والربا... وقرش لا تستغنى عن هذه الأربعة، ففيها متعهم، وفيها تفاخرهم، وفيها غناهم وثروتهم.

لم يكتف الرسول ﷺ بالتوحيد، والبعث، وتحريم بعض ما طاب لنفوس القوم، بل دعا كذلك إلى أمر غريب عليهم، مستنكر لديهم، ذلك هو حق المساواة وهم الذين قضوا أعمارهم في التفاخر بالأحساب والأنساب. فما بال محمد ﷺ يخرج عليهم بالمساواة بين السادة والعبيد، ويجعل الناس سَوَاسِيَةً كَأَسْنَانِ الْمَشْطِ؟ إنها للكبيرة التي لن ترضى قرش أن تقرَّ عليها^(١).

الصدع بكلمة الحق وردود فعل المشركين

ولم يزل هذا الصوت يرتج دويه في أرجاء مكة حتى نزل قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]، فقام رسول الله ﷺ يعكر على خرافات الشرك وترهاته، ويذكر حقائق الأصنام وما لها من قيمة في الحقيقة، يضرب بعجزها الأمثال، ويبين بالبينات أن من عبدها وجعلها وسيلة بينه وبين الله فهو في ضلال مبين.

✽ انفجرت مكة بمشاعر الغضب وظلت عشرة أعوام تعد المسلمين عصاة ثائرين، فزلزلت الأرض من تحت أقدامهم، واستباححت في الحرم الأمن دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وجعلت مقامهم تحملاً للضيم وتوقعاً للويل. وصاحبت هذه السخائم المشتعلة حرب من السخرية والتحقير قصد بها تخذيل المسلمين وتوهين قواهم المعنوية^(٢).

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

(١) نضرة النعيم (١/ ٢٢١، ٢٢٢).

(٢) فقه السيرة للغزالي (ص: ١٢٠).

وفد قريش إلى أبي طالب

فلما رأَت قريش أن رسول الله ﷺ لا يعتبهم (أي لا يرضيهم) من شيء وأنكروه عليه ورأوا أن عمه أبا طالب قد حذب عليه وقام دونه، فلم يسلمه لهم مشى رجال من أشرفهم إلى أبي طالب^(١)، فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آل هنتا، وعاب ديننا، وسفّه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلى بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفّيكه، فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً، وردهم رداً جميلاً فانصرفوا عنه، ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه يُظهر دين الله، فذهب الوفد مرة أخرى إلى أبي طالب، فقالوا له: يا أبا طالب: إن لك ستاً وشرقاً ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك عن ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آل هنتا، حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين.. ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعدوانهم، ولم يطب نفساً بتسليم رسول الله ﷺ لهم ولا خذلانه، فدعا أبو طالب رسول الله ﷺ وقال له: يا ابن أخي: إن قومك قد جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا فأبقي على وعلى نفسك، ولا تحمِلني من الأمر ما لا أطيق، فقال عليه الصلاة والسلام: «يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله، أو أهلك فيه ما تركته»، ثم استعبر رسول الله ﷺ، فبكى ثم قال، فلما ولى ناداه أبو طالب، فقال: أقبل يا ابن أخي، فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً^(٢).

✽ عن عقيل بن أبي طالب رضى الله عنه قال: «جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا فانهه عنا، فقال: يا عقيل، انطلق فأتني بمحمد، فاستخرجته من كنس، أو قال خنس، يقول: بيت صغير، فجاء به في الظهيرة في شدة الحر.

فلما أتاهم قال: إن بني عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديتهم ومسجدهم، فأنته

(١) سيرة ابن هشام (٢٩٧/١) وقد ذكر ابن هشام من هؤلاء عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، وأبو البختري، والأسود بن عبد المطلب، وأبو جهل، والوليد بن المغيرة، وغيرهم.

(٢) سيرة ابن هشام (٢٩٩/١) وتاريخ الطبري (٣٢٦/٢) سيرة ابن كثير (٤٧٤/١، ٤٧٥).

موقف جايل مُبَي طالب وقومه

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

مَنْ مَنَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَالْقِيَامَ دُونَهُ، فَاجْتَمِعُوا إِلَيْهِ، وَقَامُوا مَعَهُ، وَأَجَابُوهُ إِلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أَبِي لَهَبٍ عَدُوَّ اللَّهِ الْمَلْعُونِ.

فلما رأى أبو طالب من قومه ما سره في جدّهم معه وحَدَبِهِمْ عليه، جعل يَمْدَحُهُمْ^(١) ويقول:

وَاللَّهِ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ	حَتَّى أَوْسَدَ فِي التُّرَابِ دَفِينَا
فَاصْدَعْ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاظَةٌ	وَأَبْشِرْ وَقَرَّ بِذَاكَ مِنْكَ عَيْونَا
وَدَعَوْتَنِي وَعَرَفْتَ أَنَّكَ نَاصِحِي	وَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ تَمَّ أَمِينَا
وَعَرَضْتَ دِينَنَا قَدْ عَرَفْتُ بِأَنَّهُ	مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا
لَوْ لَا الْمَلَامَةُ أَوْ حَذَارُ مَسَبَّةٍ	لَوَجَدْتَنِي سَمَحًا بِذَاكَ مِينَا ^(٢)

قَوْلُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ فِي الْقُرْآنِ

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفرٌ من قريش، وكان ذا سنٍّ فيهم، وقد حضر الموسم، فقال لهم: يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويردُّ قولكم بعضه بعضاً؛ قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس، فقلْ وأقم لنا رأياً نقول به؛ قال: بل أنتم فقولوا أسمع؛ قالوا: نقول كاهن، قال: والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهَّانَ فما هو بزَمَزَمَةٍ^(٣) الكاهن ولا سَجْعَةٍ^(٤)؛ قالوا: فنقول مجنون؛ قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه^(٥) ولا تخالجه^(٦) ولا وسوسته^(٧)؛ قالوا: فنقول شاعر؛ قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رَجَزَةً^(٨)

(١) السيرة النبوية/ لابن هشام (١/ ٢١٩: ٢٢١) بتصرف.

(٢) مختصر سيرة الرسول ﷺ/ للإمام محمد بن عبد الوهاب (ص: ٦٩).

(٣) زمزمة الكاهن: كلام خفى لا يفهم.

(٤) سجعه: أن يجعل لكلامه المنثور نهايات كنهاية الشعر.

(٥) خنقه: الإختناق الذي يصيب المجنون.

(٦) التخالج: اختلاج الأعضاء وتحركها عن غير إرادته.

(٧) الوسوسة: ما يلقيه الشيطان في نفس الإنسان.

(٨) رجزه، وهزجه، وقريضه، ومقبوضه ومبسوطه كل هذه أنواع وبحور للشعر.

رَفَعُ
عبد الرحمن بن القوي
أسكنه الله الفردوس

وَهَزَجَهُ وَقَرِيضَهُ وَمَقْبُوضَهُ وَمَبْسُوطَهُ، فَمَا هُوَ بِالشَّعْرِ؛ قَالُوا: فَنَقُولُ سَاحِرٌ؛ قَالَ: مَا هُوَ بِسَاحِرٍ، لَقَدْ رَأَيْنَا السُّحَارَ وَسَحَرَهُمْ، فَمَا هُوَ بِنَفْتِهِمْ^(١) وَلَا عَقْدَهُمْ؛ قَالُوا: فَمَا نَقُولُ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ؟ قَالَ: وَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ لَحَلَاوَةً، وَإِنْ أَصْلَهُ لَعَدَقُ^(٢)، وَإِنْ فَرَعُهُ لَجَنَآةٌ وَمَا أَنْتُمْ بِقَائِلِينَ مِنْ هَذَا شَيْئًا إِلَّا عُرِفَ أَنَّهُ بَاطِلٌ، وَإِنْ أَقْرَبَ الْقَوْلُ فِيهِ لِأَنْ تَقُولُوا سَاحِرٌ، جَاءَ بِقَوْلٍ هُوَ سَحَرٌ، يُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَأَبِيهِ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَأَخِيهِ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجَتِهِ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَعَشِيرَتِهِ، فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ بِذَلِكَ، فَجَعُوا يَجْلِسُونَ بِسَبِيلِ^(٣) النَّاسِ حِينَ قَدَمُوا الْمَوْسِمَ، لَا يَمُرُّ بِهِمْ أَحَدٌ إِلَّا حَذَرُوهُ إِيَّاهُ، وَذَكَرُوا لَهُمْ أَمْرَهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ وَفِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾^(٤) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا^(٥) وَبَنِينَ شُهُودًا^(٦) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا^(٧) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ^(٨) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿[المذثر: ١١-١٦]﴾^(٩).

* عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمَغِيرَةَ جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَكَأَنَّهُ رَقَدَ لَهُ^(١٠)، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا عَمُّ، إِنَّ قَوْمَكَ يَرِيدُونَ أَنْ يَجْمَعُوا لَكَ مَالًا فَقَالَ: لِمَ؟ قَالَ: لِيُعْطَوْكَه، فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا لَتَعْرِضَ مَا قَبْلَهُ.

قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً.

قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكبر له.

قال: وماذا أقول؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه^(١١)، ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله

(١) بنفثهم ولا عقدهم: هذه إشارة إلى ما كان يفعل الساحر إذ كان يأخذ خيطاً فيعقده ثم ينثف عليه ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ أراد الساحرات... والنوافث: السواحر حين ينثف في العقد بلا ريق.

(٢) عذقه: العذق: الكثير الشعب والأطراف ومن رواه (عذق) فمعناه كثير الماء والعذق: كل غصن له شعب وأيضاً: النخلة عند أهل الحجاز [لسان مادة/ عذق].

(٣) سبيل: السبل طريق الناس، واحدها سبيل وهو الطريق وما وضع منه.

(٤) السيرة النبوية/ لابن هشام (١/ ٢٢٢، ٢٢٣).

(٥) رقد له: خضع له.

(٦) الرجز: نوع من أنواع الشعر.

رفع

عبد الرحمن بن عبد الرحمن
أسكنه الله الفردوس

الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لطلاوة^(١)، وإنه لمثمر أعلاه^(٢)، مغدق أسفله^(٣)، وإنه ليعلو ولا يُعلَى، وإنه ليحطم ما تحته^(٤). قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه.
قال: قف عنى حتى أفكر فيه، فلما فكر، قال: إن هذا إلا سحرٌ يؤثر. يَأْثُرُهُ عَنْ غَيْرِهِ، فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَيْنَ شُهُودًا ﴿١٣﴾﴾ [المدثر ١١-١٣] (٥).

السمات البارزة لهذه المرحلة

وكانت السمات البارزة لتلك المرحلة تتلخص فيما يلي:
السمة الأولى: محاولة القضاء على الدعوة بشتى الأساليب.
السمة الثانية: كثرة الإيذاء للنبي ﷺ وأصحابه.
السمة الثالثة: النبي ﷺ يربى أصحابه على الصبر على الإيذاء.
السمة الرابعة: النبي ﷺ يربى أصحابه على العقيدة الصحيحة.
السمة الخامسة: المشركون يعرضون المال والنساء والمناصب على النبي ﷺ فلا يقبلها.
السمة السادسة: النبي ﷺ يبشر أصحابه بنصر الله والتمكين لدينه.

السمة الأولى: محاولة القضاء على الدعوة بشتى الأساليب

قال صفى الرحمن المباركفوري ما ملخصه:
ولما رأت قريش أن محمداً ﷺ لا يصرفه عن دعوته هذا ولا ذاك، فكروا مرة أخرى واختاروا لقمع هذه الدعوة أساليب تتلخص فيما يأتي:
١ - السخرية والتحقير والاستهزاء والتكذيب والتضحيك، قصدوا بها تخذيل

(١) الطلاوة: الحسن والرونق.

(٢) مثمر أعلاه: كثير الفائدة.

(٣) مغدق أسفله: كثير الخير والبركة.

(٤) يحطم: يسيطر على ما تحته.

(٥) رواه الحاكم في المستدرک: (٥٠٧/٢) وقال صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

رفع

عبد الرحمن (الرحمن) (الرحمن)
(أستاذ الدعوة) (الدعوة)

المسلمين وتوهين قواهم المعنوية، فرموا النبي ﷺ بتهم هازلة، وشتائم سفیهة فكانوا ينادونه بالمجنون ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦] ويصفونه بالسحر والكذب ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤].

وكانوا كما قص الله علينا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ (٢٩) وإذا مروا بهم يتغامزون ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ (٣١) وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ [المطففين: ٢٩-٣٣].

* وروى البخاري^(١) أن امرأة قالت للرسول ﷺ ساخرة مستهزئة: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ، لَمْ أَرَهُ قَرَبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا!» فأنزل الله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ (١) وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ١-٣].

* وروى البخاري^(٢) أن أبا جهل قال مستهزئاً: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنَا بِعَذَابِ أَلِيمٍ». فنزلت: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنَا بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (٣٢) وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٣٢-٣٤].

ومن منطلق الاستعلاء والسخرية، قال المشركون للنبي ﷺ: «لَا نَرْضَى بِمُجَالَسَةِ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ - يَعْنُونَ صُحْبًا وَبِلَالًا وَخَبَّابًا - فَاطْرُدْهُمْ عَنْكَ». فهم النبي ﷺ بذلك طمعاً في إسلامهم وإسلام قومهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢]^(٣).

٢ - تشويه تعاليمه وإثارة الشبهات، وبث الدعايات الكاذبة، ونشر الإبرادات الواهية حول هذه التعاليم، وحول ذاته وشخصيته، والإكثار من كل ذلك بحيث لا يبقى للعامة

(١) البخاري (٨/ ٥٨٠).

(٢) البخاري (١٧/ ١٨٥) (ح: ٤٦٤٨).

(٣) نضرة النعيم (١/ ٢٢٧) بتصرف.

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

مجال في تدبر دعوته، فكانوا يقولون عن القرآن: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥]، ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ أَفْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤]، وكانوا يقولون: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

وكانوا يقولون عن الرسول ﷺ: ﴿مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧] وفي القرآن نماذج كثيرة للردود على إيراداتهم بعد نقلها أو من غير نقلها.

٣ - معارضة القرآن بأساطير الأولين وتشغيل الناس بها عنه ﷺ فقد ذكروا أن النضر ابن الحارث قال مرة لقريش: يا معشر قريش! والله لقد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد، قد كان محمدٌ فيكم غلامًا حدثًا أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثًا، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب، وجاءكم بما جاءكم به قلتم: ساحر، لا والله ما هو بساحر، لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم، وقلتم: كاهن!! لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم. وقلتم شاعر، لا والله ما هو بشاعر، قد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه. وقلتم: مجنون!! لا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته، ولا تخليطه، يا معشر قريش فانظروا في شأنكم فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم.

ثم ذهب النضر إلى الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك فارس، وأحاديث رستم وأسفنديار، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلسًا للتذكير بالله والتحذير من نقمته خلفه النضر ويقول: والله ما محمد بأحسن حديثًا مني، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم وأسفنديار، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثًا مني؟^(١)

٤ - مساومات حاولوا بها أن يلتقى الإسلام والجاهلية في منتصف الطريق بأن يترك المشركون بعض ما هم عليه، ويترك النبي ﷺ بعض ما هو عليه ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩].

وروى ابن اسحق بسنده قال: اعترض رسول الله ﷺ - وهو يطوف بالكعبة - الأسود ابن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى والوليد بن المغيرة وأميه بن خلف والعاص بن وائل السهمي - وكانوا ذوى أسنان في قومهم - فقالوا: يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت في الأمر فإن كان الذي نعبد خيرًا مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه، وإن كان ما نعبد خيرًا مما نعبد كنت قد أخذت بحظك منه، فأنزل الله

رَفَعُ

(١) السيرة لابن هشام ومعها الروض الأنف (٢/١٠٧، ١٠٨).

تعالى فيهم: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ السورة كلها... وحسم الله مفاوضتهم المضحكة بهذه المفاصلة الجازمة^(١).

وها هم يطلبون الآيات والمعجزات

* إن المبطلين لا يستسلمون أمام أهل الحق بسهولة ويسر، فهم كلما أخفقت لهم وسيلة من وسائل المقاومة والقضاء على دعوة الحق، ابتكروا وسائل أخرى، وهكذا حتى ينتصر الحق انتصاره النهائي، ويلفظ الباطل أنفاسه الأخيرة^(٢).

* ولقد بدأ المشركون يطلبون من النبي ﷺ أن يرهم آية أو معجزة وهم لا يقصدون بذلك إلا التعنت والعناد فإنهم لم يطلبوا ذلك رغبة في الهدى والرشاد.

قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لَيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْفُقِ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تَنزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيْ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣].

معجزة انشقاق القمر

* عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه حدثهم، أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يرهم آية، فأراهم انشقاق القمر^(٣).

(١) باختصار من الرحيق المختوم.

(٢) السيرة النبوية، دروس وعبر، د/ مصطفى السباعي (ص: ٣٠).

(٣) أخرجه البخارى (٣٦٣٧) المناقب، ومسلم (٢٨٠٢) صفات المنافقين.

✽ وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقين، فقال النبي ﷺ: «اشهدوا»^(١).

✽ وعن ابن عباس رضى الله عنهما أيضاً قال: «قالت قريش لليهود أعطونا شيئاً نسأل عنه الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، فنزلت: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

قالوا: نحن لم نؤت من العلم إلا قليلاً، وقد أوتينا التوراة فيها حكم الله، ومن أوتى التوراة، فقد أوتى خيراً كثيراً، فنزلت: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّى لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]^(٢).

✽ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: (قالت قريش للنبي ﷺ ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك. قال: وتفعلون؟ قالوا: نعم.

قال فدعا: فأتاه جبريل فقال: إن ربك - عز وجل - يقرأ عليك السلام، ويقول: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً، فمن كفر بعد ذلك منهم عذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، وإن شئت فتحت لهم أبواب التوبة والرحمة. فقال: بل باب التوبة والرحمة. فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩]^(٣).

السمة الثانية: كثرة الإيذاء للنبي ﷺ وأصحابه

فى هذه المرحلة كان المسلمون يتعرضون لأشد أنواع الإيذاء من كفار قريش.. وها هى بعض صور الإيذاء التى تعرض لها النبي ﷺ وأصحابه.

إيذاء أبى جهل للنبي ﷺ

✽ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً يصلى عند الكعبة لأتينه حتى أطأ على عنقه، قال: فقال عليه السلام: (لو فعل لأخذته الملائكة

(١) أخرجه البخارى (٣٦٣٧)، ومسلم (٢٨٠٠).

(٢) رواه أحمد (٢٥٥/١) والحاكم (٥٣١/٢) وقال: صحيح الإسناد وأقره الذهبى.

(٣) رواه أحمد فى المسند: (٢٥٨/١) والحاكم فى المستدرک: (٣٦٢/٢) وقال: صحيح على شرط مسلم؛

ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى.

رفع

عن (الرحمى) العجوى
أسكنه الله الفردوس

عياناً، ولو أن اليهود تموتوا الموت لماتوا، ورأوا مقاعدهم في النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلاً^(١).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه^(٢) بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم.

فقال: واللات والعزى! لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب. قال فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليظاً على رقبته، قال: فما فجأهم^(٣) منه إلا وهو ينكص على عقبيه^(٤) ويتقي يديه. قال: فقيل له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه لخنقاً من نار وهو لا وأجنحة.

فقال رسول الله ﷺ: (لو دنا مني لا ختطفته الملائكة عضواً عضواً)^(٥).

* وعن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يصلي فجاء أبو جهل: فقال: «ألم أنهك عن هذا؟ ألم أنهك عن هذا؟ فانصرف النبي ﷺ فزبره^(٦)، فقال: أبو جهل: إنك لتعلم ما بها ناد أكثر مني، فأنزل الله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾^(٧) سَدْعُ الزَّبَانِيَةِ ﴿[العلق: ١٧، ١٨] قال ابن عباس: لو دعا نادية لأخذته زبانية الله﴾^(٨).

إيذاء أبي لهب للنبي ﷺ

* عن ربيعة بن عباد الديلي: وكان جاهلياً أسلم قال:

«رأيت رسول الله ﷺ بصر عيني بسوق ذي المجاز يقول: يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، ويدخل في فجاجها والناس متقصفون^(٨) عليه، فما رأيت أحداً يقول شيئاً، وهو لا يسكت يقول: يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، إلا أن وراءه

(١) أخرجه البخاري (٤٩٥٨) التفسير، والترمذي (٣٣٤٨).

(٢) يعفر وجهه: أي يسجد ويلصق وجهه بالعفر وهو التراب.

(٣) فجأهم: بغتهم.

(٤) ينكص على عقبيه: رجع يمشي إلى الوراء.

(٥) أخرجه مسلم (٢٧٩٧) كتاب صفات المنافقين.

(٦) زبره: نهره.

(٧) قال الهيثمي في المجمع (١٣٩ / ٧): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٨) متقصفون: مزدحمون.

رجلاً أحول وضىء الوجه^(١) ذو غديرتين يقول: إنه صابى^(٢) كاذب، فقلت من هذا؟ قالوا: محمد بن عبد الله، وهو يذكر النبوة. قلت: ومن هذا الذى يكذبه، قالوا عمه أبو لهب.

وفى رواية أخرى: «قال: إني لمع أبى، رجل شاب أنظر إلى رسول الله ﷺ يتبع القبائل، ووراءه رجل أحول وضىء ذو جمة^(٣)، يقف رسول الله ﷺ على القبيلة ويقول: (يا بنى فلان، إني رسول الله إليكم أمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تصدقوني حتى أنفذ عن الله ما بعثني به).

فإذا فرغ رسول الله ﷺ من مقالته قال الآخر من خلفه: يا بنى فلان، إن هذا يريد منكم أن تنسلخوا من اللات والعزى، وحلفاءكم من الجن بنى مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تسمعوا له، ولا تتبعوه. فقلت لأبى من هذا؟ قال: عمه أبو لهب^(٤).

* وكان أبو لهب قد زوج ولديه عتبة وعتيبة بنتى رسول الله ﷺ رقية وأم كلثوم قبل البعثة، فلما كانت البعثة أمرهما بتطليقهما بعنف وشدة، حتى طلقاهما^(٥).

ولما مات عبد الله، الابن الثانى لرسول الله ﷺ استبشر أبو لهب، وهروا إلى رفقاءه يبشرهم بأن محمداً صار أبتراً^(٦). فنزل قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣].

وامراته حمالة الحطب

وكانت امرأة أبى لهب - أم جميل، أروى بنت حرب بن أمية أخت أبى سفيان - لا تقلّ عن زوجها فى عداوة النبى ﷺ فقد كانت تحمل الشوك وتضعه فى طريق النبى ﷺ وعلى بابه ليلاً، وكانت امرأة سليطة تبسط فيه لسانها، وتطيل عليه الافتراء والدس،

(١) وضىء الوجه: حسن الوجه.

(٢) صابىء: خرج من دين إلى دين آخر.

(٣) الجمة: شعر الرأس الذى سقط بين المنكبين.

(٤) رواه أحمد (٣/ ٤٩١، ٤٩٢) وإسناده حسن.

(٥) تفهيم القرآن (٦/ ٥٢٢).

(٦) تفهيم القرآن (٦/ ٤٩٠).

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

وتؤجج نار الفتنة، وتثير حرباً شعواء على النبي ﷺ ولذلك وصفها القرآن بحمالة الخطب. ولما سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة، ومعه أبو بكر الصديق، وفي يدها فهر (أى: بمقدار ملء الكف) من حجارة، فلما وقفت عليهما أخذ الله يبصرها عن رسول الله ﷺ فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر! أين صاحبك؟ قد بلغنى أنه يهجونى، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، أما والله إنى لشاعرة، ثم قالت:

مذمماً عصينا . وأمره أبينا . ودينه قلينا

ثم انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله أما تراها رأتك؟ فقال: ما رأتنى، لقد أخذ الله يبصرها عنى (١). (٢).

ما فعله الله فى ابن أبى لهب

روى ابن عساكر فى ترجمة عتبة بن أبى لهب من طريق محمد بن إسحق عن هبار ابن الأسود قال: كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزا إلى الشام، فتجهزت معهما، فقال ابنه عتبة: والله لأنطلقن إلى محمد ولأؤذينه فى ربه - سبحانه - فانطلق حتى أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد، هو يكفر بالذى دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى. فقال النبي ﷺ: «اللهم، ابعث إليه كلباً من كلابك». ثم انصرف عنه فرجع إلى أبيه، فقال: يا بنى ما قلت له؟ فذكر ما قال له، قال: فما قال لك؟ قال: قال: اللهم سلط عليه كلباً من كلابك. قال: يا بنى والله ما آمن عليك دعاءه (٣).

فسرنا حتى نزلنا الشراة (٤)، وهى مأسدة (٥)، فنزلنا إلى صومعة راهب، فقال: يا معشر العرب ما أنزلكم هذه البلاد، فإنها تسرح الأسد فيها كما تسرح الغنم، فقال لنا أبو لهب: إنكم قد عرفتم كبر سننى وحقى وإن هذا الرجل - يعنى النبي ﷺ - قد دعا على ابنى دعوة، والله ما آمنها عليه، فأجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة، وافرشوا لابنى

(١) ابن هشام (١/٣٣٥، ٣٣٦).

(٢) رواه البيهقى (٢/١٩٥) والحاكم (٢/٣٦١) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) القرطبي (٩/٦٢٥٣).

(٤) الشراة: صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول ﷺ. وفى اللسان: موضع تنسب إليه الأسد. يقال للشجعان: ما هم إلا أسود الشرى، والشرى طريق فى سلمى كثير الأسد.

(٥) مأسدة: الأرض كثيرة الأسود.

رفع

عبد الرحمن بن عبد الرحمن
أسكنه الله الفردوس

عليها ثم افرشوا حولها، ففعلنا فجاء الأسد فشتم وجوهنا، فلما لم يجد ما يريد؛ تقبّض، فوثب فإذا هو فوق المتاع فشتم وجهه ثم هزمه هزيمة^(١)، ففضح^(٢) رأسه، فقال أبو لهب: قد عرفت أنه لا ينفلت عن دعوة محمد.

فانظر أخى يرحمك الله.. لما تفل فى وجه رسول الله ﷺ أتى الأسد، فشتم وجهه، وفضح رأسه، لم يأكله من يديه أو رجله، وإنما وجه بوجه..

كيف كانت نهاية أبى لهب

و شاء الله عز وجل أن يموت أبو لهب بعد ذلك بزمانٍ طويل - بعد غزوة بدر - ولكن تأمل كيف كان موته عبرة لمن كان له قلب.

قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: رماه الله بالعدسة فقتلته، فلقد تركه ابنه بعد موته ثلاثاً، ما دفناه حتى أنتن، وكانت قريش تتقى هذه العدسة، كما تتقى الطاعون، حتى قال لهم رجل من قريش: ويحكمما، ألا تستحيان أن أباكما قد أنتن فى بيته لا تدفناه؟ فقالا: إنا نخشى عدوة هذه القرحة. فقال: انطلقا فأنا أعينكما عليه، فوالله ما غسلوه إلا قدفاً بالماء عليه من بعيد ما يدنون منه، ثم احتملوه إلى أعلى مكة، فأسندوه إلى جدار، ثم رجموا عليه بالحجارة.

وتلك نهاية امرأته

قال مرة الهمداني: كانت أم جميل تأتى كل يوم بإبالة^(٣) من الحسك^(٤) فطرحها فى طريق المسلمين، فبينما هى حاملة ذات يوم حزمة أعيت، فقعدت على حجر لتستريح، فجذبها الملك من خلفها فأهلكها^(٥) خنقها الله بحبلها.

قال ابن كثير عن أم جميل:

كانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده، فلهذا تكون يوم القيامة عوناً عليه

(١) أى ضربة ضربة.

(٢) أى شدخه.

(٣) الإبالة: الحزمة الكبيرة.

(٤) الحسك: نبات له ثمرة ذات شوك تعلق بأصواف الغنم، وهو السعدان.

(٥) تفسير القرطبي (١٠ / ٧٣٣٠).

فى عذابه فى نار جهنم، ولهذا قال: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ فى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ [المسد: ٤، ٥] يعنى: تحمل الحطب فتلقى على زوجها، ليزداد على ما هو فيه، وهى مهياة لذلك، مستعدة له^(١).

إيذاء عقبة بن أبى معيط للنبي ﷺ

* عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال:

«بينما رسول الله ﷺ يصلى عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نَحَرَتْ جَزُورٌ^(٢) بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا^(٣) جزور بنى فلان فيأخذه، فيضعه فى كتفى محمد إذا سجد.

فانبعث أشقى القوم^(٤) فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه، قال فاستضحكوا^(٥)، وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا قائم أنظر، لو كانت لى منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ، والنبي ساجد، ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة. فجاءت، وهى جويرية^(٦)، فطرحته عنه، ثم أقبلت تشتمهم، فلما قضى النبي صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم.

وكان إذا دعا، دعا ثلاثاً، وإذا سأل، سأل ثلاثاً، ثم قال: (اللهم عليك بقريش) ثلاث مرات. فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته، ثم قال:

(اللهم عليك بأبى جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة^(٧)، وأمىة بن خلف، وعقبة بن أبى معيط) وذكر السابغ ولم أحفظه، فوالذى بعث محمداً ﷺ بالحق! لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القلب^(٨):

(١) تفسير ابن كثير (٤/٥٣٥).

(٢) الجزور: الناقة.

(٣) سلا: اللقافة التى تكون فى بطن الناقة وسائر الحيوان، وهى من الآدمى المشيمة.

(٤) اشقى القوم: عقبة بن أبى معيط.

(٥) استضحكوا: حملوا أنفسهم على الضحك والسخرية ثم أخذهم الضحك جداً، فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعض.

(٦) جويرية: شابة لم تكبر بعد.

(٧) فى صحيح مسلم: الوليد بن عقبة، وصوابه ما أثبتناه، انظر فتح البارى (٧: ١٦٥).

(٨) القلب: هى البثر التى لم تطو.

قليب بدر»(١).

وأما السابغ ففى رواية البخارى: (عمارة بن الوليد)(٢).

* وفى رواية: أن النبى ﷺ خرج من المسجد، فلقبه أبو البخترى بسوط يتخصر(٣) به، فلما رأى النبى ﷺ، وأنكر وجهه، فقال النبى ﷺ: خل عنى، قال: علم الله لا أخلى عنك أو تخبرنى ما شأنك، فلقد أصابك شىء، فلما علم النبى ﷺ أنه غير مُخل عنه أخبره، فقال: (إن أبا جهل أمر فطُرح على فرث)، قال أبو البخترى: هلم إلى المسجد.

فأتى النبى ﷺ وأبو البخترى فدخلوا المسجد، ثم أقبل أبو البخترى إلى أبى جهل فقال: يا أبا الحكم أنت الذى أمرت بمحمد ﷺ، فطُرح عليه الفرث قال: نعم. قال فرغ السوط فضرب به رأسه، قال: فتار الرجال بعضها إلى بعض، قال: وصاح أبو جهل: ويحكم هى له، إنما أراد محمد أن يلتقى بيننا العداوة، وينجو هو وأصحابه» وفى رواية: فلما رفع رسول الله ﷺ رأسه: (حمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد اللهم عليك الملاء من قريش)(٤).

أَتَقْتَلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ: رَبِّىَ اللَّهُ؟

* عن أسماء بنت أبى بكر أنهم قالوا لها:

ما أشد ما رأيت المشركين بلغوا من رسول الله ﷺ؟ فقالت: «كان المشركون قعدوا فى المسجد يتذكرون رسول الله ﷺ وما يقول فى آلهتهم، فبينما هم كذلك، إذ أقبل رسول الله ﷺ فقاموا إليه بأجمعهم، فأتى الصريح إلى أبى بكر، فقالوا: أدرك صاحبك، فخرج من عندنا، وإن له لغدائر(٥) أربع، وهو يقول: ويلكم أقتلوا رجلاً أن يقول ربى الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟ قال: فلهوا عن رسول ﷺ، وأقبلوا على أبى بكر رضى الله عنه، قالت: فرجع إلينا أبو بكر، فجعل لا يمس شيئاً من غدائره إلا جاء معه،

(١) أخرجه مسلم (١٧٩٤) الجهاد والسير.

(٢) أخرجه البخارى (٥٢٠) كتاب الصلاة.

(٣) يتخصر به: وضعه على خصره.

(٤) قال الهيثمى ١٨/٦: حديث ابن مسعود فى الصحيح باختصار قصة أبى البخترى، رواه البزار والطبرانى فى الأوسط، وفيه الأجلح بن عبد الله الكندى، وهو ثقة عند ابن معين وغيره، وضعفه النسائى وغيره، وحديثه حسن إن شاء الله.

(٥) الغدائر: ضفائر الشعر.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

وهو يقول: تباركت يا ذا الجلال والإكرام»^(١).

* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال:

«حضرتهم وقد اجتمع أشرفهم يوماً في الحِجْر^(٢)، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط، سَفَهَ أحلامنا^(٣)، وشتَمَ آبائنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم أو كما قالوا.

قال: فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ، فأقبل يمشى حتى استلم الركن، ثم مرَّ بهم طائفاً بالبيت، فلما مرَّ بهم غمزوه ببعض ما يقول^(٤)، قال: فعرفت ذلك في وجهه^(٥)، ثم مضى، فلما مرَّ بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى، ثم مرَّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها، فقال: (تسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح)^(٦)، فأخذت القوم كلمته، حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع^(٧)، حتى إن أشدهم فيه وصاة^(٨) قبل ذلك ليرفأه^(٩) بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، انصرف راشداً، فوالله ما كنت جهولاً.

قال: فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحِجْر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم، وما بلغكم عنه، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه، فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأطافوا به يقولون: أنت الذى تقول كذا وكذا، لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم قال: فيقول رسول الله ﷺ: (نعم أنا الذى أقول ذلك)، قال: فلقد رأيت رجلاً^(١٠) منهم أخذ بجميع رداءه، قال: وقام أبو بكر الصديق - رضى الله تعالى عنه - دونه يقول وهو يبكي:

(١) رواه أبو يعلى (٥٢) وحسنه الحافظ فى الفتح (١٦٩/٧).

(٢) الحِجْر: حجر اسماعيل بجوار الكعبة.

(٣) سَفَهَ أحلامنا: نسب عقلاءنا إلى الجنون.

(٤) غمزوه: أشاروا إليه بأعينهم وحواجهم استهزاءً بما يقول.

(٥) عرفت ذلك في وجهه: تغير وجهه وظهرت عليه علامات الغضب.

(٦) الذبح: معناه هنا جئتكم بالهلاك فإنه من أسرع أسبابه.

(٧) على رأسه طائر واقع: لم ينس ببنت شفة.

(٨) أشدهم فيه وصاة: أكثرهم وصية على إيدائه.

(٩) يرفأه: يسكنه ويدعو له ويرفق به.

(١٠) رأيت رجلاً منهم: هو عقبة بن أبى معيط.

رَفَعُ
عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

أُتَقْتَلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ؟ ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْهُ، فَإِنْ ذَلِكَ لِأَشَدُّ مَا رَأَيْتَ قَرِيشًا بَلَغَتْ مِنْهُ»^(١).

محاولة لقتل النبي ﷺ

* عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال:

«إِنَّ الْمَلَأَ مِنْ قَرِيشَ اجْتَمَعُوا فِي الْحَجَرِ، فَتَعَاقَدُوا بِاللَّاتِ وَالْعِزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى، وَنَائِلَةَ وَإِسَافَ^(٢)، لَوْ قَدْ رَأَيْنَا مُحَمَّدًا لَقَدْ قَمْنَا إِلَيْهِ قِيَامَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَلَمْ نَفَارِقْهُ حَتَّى نَقْتُلَهُ، فَأَقْبَلَتْ ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَبْكِي حَتَّى دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: هَؤُلَاءِ الْمَلَأُ مِنْ قَرِيشَ قَدْ تَعَاقَدُوا عَلَيْكَ لَوْ قَدْ رَأَوْكَ لَقَدْ قَامُوا إِلَيْكَ فَتَقْتُلُوكَ، فَلَيْسَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا قَدْ عَرَفَ نَصِيبَهُ مِنْ دَمِكَ، فَقَالَ: يَا بَنِي أُرَيْنِي وَضُوءًا، فَتَوَضَّأَ ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِمُ الْمَسْجِدَ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: هَا هُوَ ذَا، وَخَفَضُوا أَبْصَارَهُمْ، وَسَقَطَتْ أَذْقَانُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ، وَعُقِرُوا فِي مَجَالِسِهِمْ^(٣)، فَلَمْ يَرْفَعُوا إِلَيْهِ بَصَرًا، وَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ رَجُلٌ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قَامَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، فَأَخَذَ قَبْضَةً مِنَ التَّرَابِ، فَقَالَ: شَاهَتِ الْوُجُوهُ^(٤)، ثُمَّ حَصَبَهُمْ بِهَا فَمَا أَصَابَ رَجُلًا مِنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْحَصَى حِصَاةً إِلَّا قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ كَافِرًا»^(٥).

إيذاء المشركين لأصحاب سيد المرسلين ﷺ

وإذا كانت هذه الاعتداءات على النبي ﷺ وله من الجلال والوقار في نفوس العامة والخاصة فكيف بالصحابة الكرام، لا سيما الضعفاء منهم، وسوف نسوق شيئاً من ذلك يكون فيه سلوى وعزاء للدعاة إلى الله عز وجل في هذه الأزمنة الغابرة تثبت أقدامهم على الطريق، وتعطيهم القدوة والمثل^(٦).

(١) رواه أحمد في المسند: ٢١٨/٢ بإسناد صحيح، صرح فيه ابن إسحاق بالتحديث، وأخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب لو (كنت متخذاً خليلاً) رقم: ٣٦٧٨ فتح الباري: ٢٢/٧ مختصراً.

(٢) اللات والعزى ومناة ونائلة وإساف: أسماء أصنام كان يعبدونها المشركون.

(٣) عُقِرُوا: أن تُسَلَّمَ الرجل قوائمه في الخوف، وقبل يفجأه الروح فيدهش ولا يستطيع أن يتقدم أو يتأخر.

(٤) شَاهَتِ: قَبِحَ منظرها.

(٥) قال الهيثمي في المجمع (٢٢٨/٨): أخرجه أحمد بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح، وصححه

أحمد شاكر: برقم (٢٧٦٢).

(٦) مواقف تربوية (ص: ٧٨).

رفع
عن (الرحمى) المحمدي
(أسكنه الله الفردوس)

ما حدث لأبى بكر (رضى الله عنه)

* عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «لقد ضربوا رسول الله ﷺ مرة حتى غشى عليه، فقام أبو بكر رضى الله عنه فجعل ينادى ويلكم أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله! فقالوا: من هذا؟ فقالوا: أبو بكر المجنون». وزاد البزار في رواية: «فتركوه، وأقبلوا على أبى بكر»^(١).

ونال أبا بكر - رضى الله عنه - نصيبه من الأذى، حتى فكر فى الهجرة إلى الحبشة فراراً بدينه^(٢).

وقام أبو بكر خطيباً فى المسجد الحرام ذات يوم فضربه المشركون ضرباً شديداً، ومن ضربه عتبة بن ربيعة حيث جعل يضربه على وجهه بنعلين مخصوفتين حتى ما يعرف وجهه من أنفه. وجاء بنو تميم يتعادون، فأجلت المشركين عن أبى بكر، وحملوه فى ثوب إلى منزله، ولا يشكون فى موته، وأقسموا لئن مات أبو بكر ليقتلن عتبة بن ربيعة^(٣).

ما حدث لعثمان (رضى الله عنه)

وكان عم عثمان بن عفان يلفه فى حصير من أوراق النخيل، ثم يدخنه من تحته. وروى أنه عندما أسلم أخذه عمه الحكم بن أبى العاص بن أمية فأوثقه رباطاً، وأقسم ألا يحله إلا إذا ترك الإسلام، فأقسم عثمان على عدم تركه الإسلام، فلما رأى عمه صلابته فى دينه تركه.

ما حدث لمصعب بن عمير (رضى الله عنه)

ولما علمت أم مصعب بن عمير بإسلامه أجاعته وأخرجته من بيتها، وكان من أنعم الناس عيشاً، فتخشف جلده وتخشف الحية، وحتى حمله أصحابه على قسيهم، لشدة ما به من الجهد.

(١) رواه أبو يعلى (٣٦٩١) والحاكم (٦٧/٣) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) انظر الحديث بتمامه من رواية البخارى، الصحيح (فتح البارى ٤٣/١٠، ٤٤/٤٤ ح ٢٢٩٧).

(٣) ابن كثير، فى البداية (٣/٣٣، ٣٤).

ما حدث لأبي ذر (رضي الله عنه)

وعندما سمع أبو ذر الغفاري بخبر النبي ﷺ جاء ودخل مكة، وأخذ يسأل عن الرسول ﷺ، فضربه أهل مكة حتى غشى عليه، وكاد أن يموت، فخلّصه العباس (رضي الله عنه) منهم.

تسليم أبي ذر إلى

بعد أن بذلت قريش كل ما في وسعها من قوة وحيلة في إطفاء أنوار الدعوة المحمدية، وباءت بخيبة مريرة حوّلت ذلك إلى نقمة على المستضعفين من المؤمنين كبلال وعمار ووالده ياسر وأمه سمية، وصهيب الرومي، وخباب بن الارت وابن فهيرة، وأبي فكيه، ومن النساء زنيرة، والنهدية، وأم عيسى.

* عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار بن ياسر، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه^(١) الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون، فألبسوهم أذراع الحديد، وصهروهم^(٢) في الشمس، فما منهم إنسان إلا وقد واتاهم^(٣) على ما أرادوا إلا بلال، فإنه هانت^(٤) عليه نفسه في الله، وهان على قومه فأعطوه الولدان، وأخذوا يطوفون به شعاب مكة وهو يقول: أحد أحد^(٥)».

بلال يردد نشيده الخالد: أحد أحد

* وكان بلال مولى لأمية بن خلف فكان أمية يُخر به إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: [لا والله] لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى؛ فيقول وهو في ذلك البلاء: أحد أحد.

(١) منعه: حماه.

(٢) صهروهم: عذبوهم.

(٣) واتاهم: وافقهم.

(٤) هانت: صغرت وحقرت في سبيل الله.

(٥) السيرة لابن هشام (١/٢٦٢).

رفع
عبد الرحمن بن العنبري
أسكنه الله الفردوس

اصبروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة

وأما عمار وأمه ووالده ياسر فقد كانوا يخرجونهم إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء يعذبونهم بحرّها، فمر بهم النبي ﷺ وهم يُعذبون، فقال: «صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ». فمات ياسر تحت العذاب رحمه الله رحمة واسعة. وأما سمية فقد أغلظت القول لأبي جهل فطعننها بحربته في قبلها فماتت شهيدة، فكانت أول شهيدة في الإسلام.

* عن عثمان بن عفان قال: «أقبلت مع رسول الله ﷺ آخذًا بيدي نتمشي بالبطحاء، حتى أتى على آل عمار بن ياسر، فقال أبو عمار، يا رسول الله الدهر هكذا؟ فقال له النبي ﷺ: اصبر، ثم قال: اللهم اغفر لآل ياسر، وقد فعلت»^(١).

وفي رواية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأبي عمار وأم عمار وعمار: (اصبروا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة)^(٢).

* وعن جابر رضى الله عنه: أن النبي ﷺ مر بعمار بن ياسر وبأهله يعذبون في الله - عز وجل - فقال: (أبشروا آل ياسر، موعدكم الجنة)^(٣).

* فلما لم يبق سوى (عمار) - رضى الله عنه - اشتد الكفار عليه وأذاقوه من العذاب ألوانًا.

عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: أخذ المشركون عمارًا، فلم يتركوه حتى نال من رسول الله ﷺ. وذكر ألتههم بخير، فلما أتى النبي ﷺ قال: ما وراءك؟ قال: شر يا رسول الله. والله ما تركت حتى نلت منك، وذكرت ألتههم بخير، قال: «كف كيف نجد قلبك؟» قال: مطمئن بالإيمان. قال: «فإن عادوا فعد»^(٤).

* وعن قتادة ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦] نزلت في عمار^(٥).

(١) قال الهيثمي في المجمع (٢٩٣/٩): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) قال الهيثمي في المجمع: ٢٩٣/٩ رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٣) رواه الحاكم في المستدرک: ٣/٣٨٨، وقال صحيح على شرطهما ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه الحاكم (٣٥٧/٢) وصححه ووافقه الذهبي.

(٥) قال الحافظ ابن حجر في الإصابة، في ترجمة عمار بن ياسر: واتفقوا على أنه نزلت فيه هذه الآية، وانظر

ابن سعد (١٧٩/١/٣).

رفع

عن (الترمذي) (الفتح)
(الموسم) (الفتح)

وكان حظ (خباب) من العذاب كبيراً

ولقد كان حظ «خباب» من العذاب كبيراً، ولكن صبره وتضحيته من أجل الحق كانت أكبر وأعظم بكثير.

لقد كانوا يقاومون إيمانه بالعذاب، وكان هو يقاوم العذاب بالصبر والتضحية.

وكان - رضى الله عنه - مولى لأم أنمار بنت سباع الخزاعية، فكان المشركون يذيقونه أنواعاً من التنكيل، يأخذون بشعر رأسه فيجذبونه جذباً، ويلوون عنقه تلوية عنيفة، وأضجعوه مرات عديدة على فحام ملتهبة، ثم وضعوا عليه حجراً، حتى لا يستطيع أن يقوم^(١).

لقد حولوا كل الحديد الذى كان عنده يصنع منه السيوف إلى قيود وسلاسل يُحمى عليها فى النار حتى تستعر وتتوهج ثم يطوقون بها جسده ويديه وقدميه.

حتى قال خباب: «شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسط برودة فى ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيُحفر له فى الأرض فيُجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيُجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصدده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله تعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت فلا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»^(٢).

وهكذا عذبوا فى سبيل الله (جل وعلا)

وأما عامر بن فهيرة فقد أسلم قديماً قبل دخول الرسول ﷺ إلى دار الأرقم، وكان من المستضعفين فعُذّب عذاباً شديداً، ولم يردده ذلك عن دينه، وكان يرعى غنماً لأبى بكر، وكان يروح بها إلى النبى ﷺ وأبى بكر وهما فى الغار طوال المدة التى كانا فيها فى الغار، وأما أبو فكيهة واسمه أبو يسار فكان عبداً لصفوان بن أمية بن خلف الجمحى، أسلم مع بلال فأخذه أمية بن خلف وربط فى رجله حبلاً وأمر فجُرَّ ثم ألقاه فى الرمضاء، ومر به جُعَلٌ (حشرة معروفة) فقال له أمية: أليس هذا ربك؟ فقال: الله ربي

(١) رحمة للعالمين (٥٧/١).

(٢) أخرجه البخارى (١٠٣/٧) مناقب الأنصار.

وربك وربّ هذا. فخنقه خنقاً شديداً، وكان معه أخوه أبي بن خلف فيقول: زده عذاباً حتى يأتي محمد فيخلصه بسحره ولم يزلوا يعذبونه كذلك حتى أغمى عليه فظنوه مات ثم أفاق فاشترى أبو بكر الصديق وأعتقه.

وأما النساء المؤمنات (زينة وأم عبيس ولبية والنهدية) فقد عذبن كذلك أشدّ العذاب من قبل مواليهنّ ولم يرجعن عن دينهنّ، فرضى الله عنهن وأرضاهن.

لقد نفّس الكفار أغلب أحقادهم على الإسلام ومعتنقيه في أشخاص الموالى، لأنه لم تكن لهم منعة. فكان العذاب أقسى وأفظع.

وقد عذر الله المعذّبين فيما يتلفظون به حينما يبلغ الجهد منهم مبلغه.

قال سعيد بن جبيرة لابن عباس: «أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يُعذرون به في ترك دينهم؟» قال: «نعم والله، إن كانوا ليضربون أحدهم ويجوعونه ويعطشونه، حتى ما يقدر أن يستوى جالساً من شدة الضرب الذي نزل به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا له: اللات والعزى إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم، افتداء منهم مما يبلغون من جهده»^(١). قال ابن كثير^(٢): «وفي مثل هذا أنزل الله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦]»^(٣).

* وقام أبو بكر (رضى الله عنه) يصفى التجارات ويشتري العبيد والأرقاء ليعتقهم - ابتغاء وجه الله - خوفاً عليهم من أن يُفتنوا في دينهم.

السمة الثالثة: النبي ﷺ يربى أصحابه

على الصبر على الإيذاء

إن محمداً صلوات الله وسلامه عليه لم يجمع أصحابه على مغنم عاجل أو آجل، إنه أزاح الغشاوة عن الأعين فأبصرت الحق الذي حُجبت عنه دهرًا، ومسح الران عن القلوب فعرفت اليقين الذي فُطرت عليه وحُرمتها الجاهلية منه... إنه وصل البشر بربهم، فربطهم بنسبهم العريق وسببهم الوثيق، وكانوا - قبلاً - حيارى محسورين، إنه

(١) السيرة لابن هشام (١/٣٩٦).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٣/٦٥).

(٣) نضرة النعيم (١/٢٣٤، ٢٣٥).

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

وازن بين الخلود والفناء، فآثروا الدار الآخرة على الدار الزائلة، وخيرهم بين أصنام حقيرة وإله عظيم فازدروا الأوثان المنحوتة، وتوجهوا للذي فطر السماوات والأرض.

حَسِبَ مُحَمَّدٌ ﷺ أَنَّهُ قَدِمَ هَذَا الْخَيْرَ الْجَزِيلَ، وَحَسِبَ أَصْحَابُهُ أَنَّ سَاقَتَهُ الْعِنَايَةَ لَهُمْ، فَإِذَا أَوْذُوا فَلِيَحْتَسِبُوا، وَإِذَا حَارِبُهُمْ عِبِيدُ الرِّجْسِ مِنَ الْأَوْثَانِ فَلْيَلْزِمُوا مَا عَرَفُوا، وَالْحَرْبُ الْقَائِمَةُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ سَيَنْجَلِي غِبَارُهَا يَوْمًا مَا ثُمَّ تَنْكَشِفُ عَنْ شُهَدَاءٍ وَهَلَكَى، وَعَنْ مُؤْمِنِينَ قَائِمِينَ بِأَمْرِ اللَّهِ وَمُشْرِكِينَ مَدْحُورِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ. ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾ (١٢١) ﴿وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ (١٢٢) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ [هود: ١٢١-١٢٣].^(١)

* ولذلك كان النبي ﷺ يكلم أصحابه كثيرًا عن نعمة الصبر على الأذى ليصبروا منى أذى المشركين ويرجو الثواب من رب العالمين.

قال ﷺ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ» (٢).

وقال ﷺ: «أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَىٰ حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَىٰ قَدَرِ دِينِهِ فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّىٰ يَتْرَكَ يَمْشَى عَلَى الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ» (٣).

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مَا يَصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّىٰ الشُّوْكَةُ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ» (٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُرَدِّدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِيبُ مِنْهُ» (٥).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لَضَرِّ أَصَابِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بَدَّ فَاعْلَأْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ١١٢، ١١٣).

(٢) متفق عليه عن أبي هريرة، أخرجه البخاري بطرف «حُجِبَتْ..» وأخرجه مسلم بطرف «حُفَّتْ..».

(٣) رواه أحمد وأحمد والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٩٢).

(٤) أخرجه البخاري (٥٦٤١) المرضي، ومسلم (٢٥٧٣) البر والصلة.

(٥) أخرجه البخاري (٥٦٤٥) المرضي.

الوفاءُ خيراً لى» (١).

وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا أرادَ اللهُ بعبدهُ الخيرَ عَجَّلَ له العقوبةَ فى الدنيا، وإذا أرادَ اللهُ بعبدهُ الشرَّ أَمْسَكَ عنه بذنبه حتى يُوافى به يومَ القيامةِ» (٢).

وقال النبىُّ ﷺ: «إنَّ عَظَمَ الجِزاءِ معَ عَظَمِ البِلاءِ، وإنَّ اللهَ تعالى إذا أَحَبَّ قومًا ابتَلَاهُم، فمن رَضِيَ فَلَهُ الرِّضا، ومن سَخَطَ فَلَهُ السَّخَطُ» (٣).

وقال ﷺ: «ما يزالُ البِلاءُ بالمؤمنِ والمؤمنةِ فى نفسِهِ وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة» (٤).

فكان الله عزَّ وجلَّ يربط على قلوب أصحاب الرسول ﷺ بتلك الكلمات العذبة التى تجعلهم يتحملون الأذى والابتلاء من أجل الفوز بالمغفرة والرحمة والجنة من عند رب الأرض والسماء جلَّ وعلا.

حكمة جليلة

أول ما قد يخطر فى بال المتأمل، حينما يرى قصة ما لقيه رسول الله ﷺ وأصحابه من المشركين، من صنوف الإيذاء والتعذيب، هو أن يتساءل: فيم هذا العذاب الذى لقيه النبى وأصحابه وهم على الحق؟ ولماذا لم يعصمهم الله عزَّ وجلَّ منه وهم جنوده وفيهم رسوله يدعون إلى دينه ويجاهدون فى سبيله؟

والجواب: أن أول صفة للإنسان فى الدنيا، أنه مكلف، أى أنه مُطالب من قبل الله عزَّ وجلَّ بحمل ما فيه كلفة ومشقة. وأمر الدعوة إلى الإسلام والجهاد لإعلاء كلمته من أهم متعلقات التكليف، والتكليف من أهم مستلزمات العبودية لله تعالى إذ لا معنى للعبودية لله تعالى إن لم يكن ثمة تكليف. وعبودية الإنسان لله عزَّ وجلَّ ضرورة من ضرورات ألوهيته سبحانه وتعالى.

فلا معنى للإيمان بها إن لم ندرك عبوديتنا له.

(١) أخرجه البخارى (٥٦٧١) المرمى، ومسلم (٢٦٨٠) الذكر والدعاء.

(٢) رواه الترمذى والحاكم عن أنس، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٠٨).

(٣) رواه الترمذى وابن ماجه عن أنس، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢١١٠).

(٤) رواه الترمذى فى الزهد، وقال الألبانى فى صحيح سنن الترمذى (١٩٥٧): حسن صحيح.

فقد استلزمت العبودية - إذن - التكليف، واستلزم التكليف تحمل المشاق ومجاهدة النفس والأهواء.

ومن أجل هذا كان واجب عباد الله في هذه الدنيا تحقيق أمرين اثنين:

أولهما: التمسك بالإسلام وإقامة المجتمع الإسلامى الصحيح.

ثانيهما: سلوك السبل الشاقة إليه واقتحام المخاطر وبذل المهج والمال من أجل تحقيق ذلك.

ولو شاء الله لجعل السبيل إلى إقامة المجتمع الإسلامى بعد الإيمان به، سهلاً مُعَبَّداً، ولكن السير فى هذه السبيل لا يدل حينئذ على شىء من عبودية السالك لله عز وجل وعلى أنه قد باع حياته وماله لله عز وجل يوم أن أعلن الإيمان به، وعلى أن جميع أهوائه تابعة ومنقادة لما جاء به الرسول ﷺ، ولأمكن حينئذ أن يلتقى على هذه الجادة: المؤمن والمنافق والصادق والكاذب، فلا يتمحص الواحد منهم عن الآخر.

فلو ترك الناس لدعوى الإسلام ومحبة الله تعالى على ألسنتهم فقط، لاستوى الصادق والكاذب. ولكن الفتنة والابتلاء، هما الميزان الذى يميز الصادق عن الكاذب. وصدق الله القائل فى محكم كتابه:

﴿الْم أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿العنكبوت: ١ - ٣﴾، والقائل: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

وإذا كانت هذه هى سنة الله فى عباده، فلن تجد لسنة الله تبديلاً حتى مع أنبيائه وأصفيائه. من أجل ذلك أودى رسول الله ﷺ، وأودى من قبله جميع الأنبياء والرسل، ومن أجل ذلك أودى أصحاب رسول الله ﷺ حتى مات منهم من مات تحت العذاب، وعمى من عمى، رغم عظيم فضلهم وجيليل قدرهم عند الله عز وجل^(١).

✽ قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

والمقصود: أن الله سبحانه اقتضت حكمته أنه لا بد أن يمتحن النفوس ويبتليها، فيُظهِرَ بالامتحان طيبها من خبيثها، ومن يصلح لموالاته وكراماته، ومن لا يصلح،

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

(١) فقه السيرة للبوطى (ص: ٧٧: ٧٩) بتصرف.

ولِيُمَحِّصَ النفوسَ التي تصلحُ له وَيُخَلِّصَهَا بِكِبَرِ الامتحان، كالذهب الذي لا يخلُص ولا يصفو من غشه، إلا بالامتحان، إذ النفسُ في الأصل جاهلة ظالمة، وقد حصل لها بالجهل والظلم من الحُبث ما يحتاجُ خروجه إلى السَّبَكِ والتصفية، فإن خرج في هذه الدار، والإففى كير جهنم، فإذا هُذِبَ العبدُ ونُقِيَ، أُذِنَ له في دخول الجنة^(١).

في دار الأرقم

كان من الحكمة تلقاء هذه الاضطهادات أن يمنع رسول الله ﷺ المسلمين عن إعلان إسلامهم قولاً أو فعلاً، وأن لا يجتمع بهم إلا سرّاً؛ لأنه إذا اجتمع بهم علناً فلا شك أن المشركين يحولون بينه وبين ما يريد من تزكية المسلمين وتعليمهم الكتاب والحكمة، وربما يفضى ذلك إلى مصادمة الفريقين، بل وقع ذلك فعلاً في السنة الرابعة من النبوة، وذلك أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يجتمعون في الشعاب، فيصلون فيها سرّاً، فرأهم نفر من كفار قريش، فسبّوهم وقتلّوهم، فضرب سعد بن أبي وقاص رجلاً فسال دمه، وكان أول دم أُهريق في الإسلام.

ومعلوم أن المصادمة لو تعددت وطالت لأفضت إلى تدمير المسلمين وإبادتهم، فكان من الحكمة الاختفاء، فكان عامة الصحابة يخفون إسلامهم وعبادتهم ودعوتهم واجتماعهم، أما رسول الله ﷺ فكان يجهر بالدعوة والعبادة بين ظهرائي المشركين، لا يصرفه عن ذلك شيء، ولكن كان يجتمع مع المسلمين سرّاً؛ نظراً لصالحهم وصالح الإسلام، وكانت دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي على الصفا، وكانت بمعزل عن أعين الطغاة ومجالسهم، فكان أن اتخذها مركزاً لدعوته، ولاجتماعه بالمسلمين من السنة الخامسة من النبوة^(٢).

أسلم هؤلاء على الرغم من أذى المشركين

وعلى الرغم من شدة إيذاء المشركين لأصحاب سيد المرسلين ﷺ إلى أن الله عز وجل فتح قلوب باقة عطرة من الرجال ليسلموا لله جلّ علماً وليكونوا جنوداً لإعلاء كلمة «لا إلا إلا الله».

(١) زاد المعاد (٣/ ١٨).

(٢) مختصر سيرة الرسول / لمحمد بن عبد الوهاب - ٦١، ٦٢ بتصرف.

إسلام حمزة (رضي الله عنه)

إن الأفق المتلبد بالسحب قد يتولد منه برق يضئ.

لقد غبرت على المسلمين في مكة أيام غلاظ، اضطرت بيوتاً عديدة أن تفر بدينها، وبقي من بقي منهم يكابد العنت من شطط المشركين وكيدهم، إلا أن عناصر جديدة دخلت في الإسلام جعلت قريشاً تتروى في أمرها قبل أن تقدم على إساءتها المبيتة.

أسلم «حمزة» بن عبد المطلب، عم النبي - عليه الصلاة والسلام - وأخوه من الرضاع، وهو رجل قوى الشكيمة^(١).

ولقد كان إسلامه في بداية الأمر أنفة ثم شرح الله صدره بنور اليقين، فاستمسك بالعروة الوثقى وصار من أفاضل المؤمنين واعتز به المسلمون أيما إعزاز.

أما عن قصة إسلامه فيروى لنا ابن إسحاق أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ عند الصفا فأذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره، من العيب لدينه والتضعيف لأمره، فلم يكلمه رسول الله ﷺ .. ومولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها تسمع ذلك [منه]، ثم انصرف عنه، فعمد إلى نادى قريش عند الكعبة فجلس معهم فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - أن أقبل متوشحاً قوسه^(٢) راجعاً من قنص له - كان يصطاد - وكان صاحب قنص يرميه ويخرج له، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم، وكان أعز فتى في قريش وأشدهم شكيمة. فلما مر بالمولاة، وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته، قالت له: يا أبا عمار، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد أنفاً من أبي الحكم ابن هشام؛ وجده هاهنا جالساً فأذاه وسبه وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد ﷺ.

فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته، فخرج يسعى ولم يقف على أحد، مُعداً لأبى جهل إذا لقيه أن يوقع به، فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه به فشجّه شجّة منكرة، ثم قال: أتشتمه

(١) فقه السيرة للغزالي (ص ١٣٦).

(٢) متوشحاً: أى يتقلده كما يتقلد السيف والرجل يتوشح بحمالة سيفه فتقع الحمائل على عاتقه اليسرى وتكون اليمن مكشوفة [لسان مادة/ وشح].

وأنا على دينه أقول كما يقول؟ فردَّ ذلك علىَّ إن استطعت. فقامت رجالٌ من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل؛ فقال أبو جهل: دعوا أبا عُمارة، فإنني والله قد سببتُ ابن أخيه سبًّا قبيحًا. وتم حمزة رضى الله عنه على إسلامه، وعلى ما تابع عليه رسول الله ﷺ من قوله، فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عزَّ وامتنع، وأنَّ حمزة سيمنعه، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه^(١).

إسلام عمرو بن عبسة (رضى الله عنه)

* عن أبي أمامة قال، قال عمرو بن عبسة: كنت وأنا في الجاهلية، أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارًا، فقعدت على راحلتي، فقدمت عليه. فإذا رسول الله ﷺ مستخف، جُرءاء^(٢) عليه قومه. فتلطفتُ حتى دخلت عليه بمكة. فقلت له: ما أنت؟ قال: «أنا نبيٌّ» فقلت: وما نبيٌّ؟ قال: «أرسلني الله» فقلت: وبأى شيء أرسلك؟ قال: «أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله لا يُشرك به شيء» قلت له: فمن معك على هذا؟ قال: «حرٌّ وعبد» (قال ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به) فقلت: إني متبعك. قال: «إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا. ألا ترى حالي وحال الناس؟ ولكن ارجع إلى أهلِكَ. فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني» قال فذهبت إلى أهلي، وقدم رسول الله ﷺ المدينة. وكنت في أهلي. فجعلت أنخبر الأخبار^(٣) وأسأل الناس حين قدم المدينة. حتى قدم على نفر من أهل يثرب من أهل المدينة فقلت: ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة؟ فقالوا: الناس إليه سراع^(٤) وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك. فقدمت المدينة. فدخلت عليه. فقلت: يا رسول الله! أتعرفني؟ قال: «نعم. أنت الذي لقيتني بمكة؟» قال فقلت: بلى. فقلت: يانبي الله! أخبرني عما علمك الله وأجهله. أخبرني عن الصلاة؟ قال: «صل صلاة الصبح. ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان. وحيث يسجد لها الكفار. ثم صل. فإن الصلاة

(١) ذكره الهيثمي في المجمع (٢٦٧/٩) وقال: رواه الطبراني مرسلاً ورجاله رجال الصحيح.

(٢) جرءاء: غضاب قد عيل صبرهم ونفذ.

(٣) أنخبر الأخبار: أى أسألها.

(٤) سراع: أى يسارعون فى الدخول.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

مشهودة^(١) محضورة^(٢). حتى يستقل الظل بالرمح^(٣). ثم أقصر عن الصلاة. فإن حيثئذ، تُسجَّر^(٤) جهنم فإذا أقبل الفىء فصل. فإن الصلاة مشهودة محضورة. حتى تصلى العصر. ثم أقصر عن الصلاة. حتى تغرب الشمس. فإنها تغرب بين قرني شيطان. وحيثئذ يسجد لها الكفار. قال فقلت: يا نبي الله! فالوضوء؟ حدثني عنه. قال «ما منكم رجل يقرب وضوءه فيتمضمض ويستنشق فينثر إلا خرت خطايا وجهه وفيه وخياشيمه^(٥). ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله إلا خرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء. ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرت خطايا يديه من أنامله مع الماء. ثم يمسح رأسه إلا خرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء. ثم يغسل قدميه إلى الكعبين إلا خرت خطايا رجليه من أنامله».

إسلام ضماد الأزدي (رضى الله عنه)

* عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «إن ضماداً قدم مكة، وكان من أزد شنوءه، وكان يرقى^(٦) من هذه الرياح^(٧)، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إن محمداً مجنون، فقال: لو أنى رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي، قال: فلقبه، فقال: يا محمد، إني أرقى من هذه الرياح، وإن الله يشفى على يدي من شاء، فهل لك؟^(٨) فقال رسول الله ﷺ: (إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له،

(١) مشهودة: يشهدها الملائكة.

(٢) محضورة: يحضرها أهل الطاعات.

(٣) حتى يستقل الظل بالرمح: أى يقوم مقابله فى جهة الشمال. ليس مانلاً إلى المغرب ولا المشرق، وهذه حالة الاستواء. ونخصيص الرمح بالذكر لأن العرب أهل بادية، وإذا أزدادوا أن يعلموا نصف النهار ركزوا رماحهم فى الأرض ثم نظروا إلى ظلها.

(٤) فإن حيثئذ تسجَّر جهنم: اسم إن محذوف، وهو ضمير الشأن. ومعنى تسجَّر جهنم يوقد عليها إيقاداً بليغاً. واختلف أهل العربية هل جهنم اسم عربى أم عجمى؟ فقيل: عربى. مشتق من الجهومة. وهى كراهة المنظر. وقيل: من قولهم بثر جهام أى عميقة. فعلى هذا لم تصرف، للعلمية والتأنيث. وقال الأكثرون: هى عجمية معربة. وامتنع صرفها للعلمية والعجمة.

(٥) خياشيمه: جمع خيشوم، وهو أقصى الأنف. وقيل: الخياشيم عظام رفاق فى أصل الأنف، بينه وبين الدماغ. وقيل: غير ذلك.

(٦) يرقى: من الرقية وهى العوذة التى يرقى بها صاحب الآفة.

(٧) من هذه الرياح: المراد بالريح هنا: الجنون أو مس الجن.

(٨) فهل لك: هل لك رغبة فى رقتى، وهل تميل إليها.

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمداً عبده ورسوله. أما بعد).

قال: «فقال: أعد عليَّ كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات قال: فقال: لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن قاموس البحر^(١). قال: فقال: (هات يدك أبايعك على الإسلام)، قال: فبايعه، فقال رسول الله ﷺ: (وعلي قومك)، قال: وعلي قومي.

قال: فبعث رسول الله ﷺ سرية فمروا بقومه، فقال صاحب السرية للجيش: هل أصبتم من هؤلاء شيئاً؟ فقال: رجل من القوم: أصبت منهم مطهرة، فقال: ردها فإن هؤلاء قوم ضماد^(٢).

إسلام أبي ذر (رضي الله عنه)

* عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ قال لأخيه: اركب إلي هذا الوادي، فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء، واسمع من قوله، ثم ائتني. فانطلق الأخ حتى قدمه وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلاماً ما هو بالشعر. فقال: ما شفيتني^(٣) مما أردت.

فتزود، وحمل شنة^(٤) له فيها ماء، حتى قدم مكة، فأتى المسجد، فالتمس النبي ﷺ ولا يعرفه، وكره أن يسأل عنه، حتى أدركه بعض الليل (اضطجع)، فرآه (عليّ) فعرف أنه غريب، فلما رآه تبعه، فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد، وظل ذلك اليوم، ولا يراه النبي ﷺ حتى أمسى، فعاد إلى مضجعه، فمر به عليّ فقال: أما أن للرجل أن يعلم منزله؟ فأقامه، فذهب به معه، لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء، حتى إذا كان يوم الثالث فعاد (عليّ) على مثل ذلك، فأقام معه، فقال: ألا تحدثني ما الذي أقدمك؟

(١) قاموس البحر: معناه وسطه، أو لجته، أو قعره الأقصى.

(٢) رواه مسلم في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم (٨٦٨).

(٣) ماشفيتني مما أردت: ما بلغتني غرضي وأزلت عني هم كشف هذا الأمر.

(٤) شنة: القرية البالية.

قال: إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلت. ففعل، فأخبره. قال: فإنه حق، وهو رسول الله ﷺ، فإذا أصبحت فاتبعني، فإني إن رأيت شيئاً أخاف عليك قمت كأني أريق الماء، فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي. ففعل، فانطلق يقفوه^(١)، حتى دخل على النبي ﷺ، ودخل معه، فسمع من قوله، وأسلم مكانه.

فقال له النبي ﷺ: ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتبك أمري. قال: والذي نفسي بيده لأصرخن بها^(٢) بين ظهرائهم^(٣).

فخرج حتى أتى المسجد، فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ثم قام القوم فضربوه حتى أوجعوه. وأتى العباس فأكب عليه، قال: ويلكم أستم تعلمون أنه من (غفار)، وأن طريق تجارتكم إلى الشام؟ فأنقذه منهم. ثم عاد من الغد لمثلها، فضربوه وثاروا إليه، فأكب العباس عليه^(٤).

وقد جاءت قصة إسلامه مبسطة أكثر عند مسلم^(٥) من حديث عبد الله ابن الصامت، وفيها زيادات كثيرة، فانظر التوفيق بين الروایتين في فتح الباري^(٦) للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى.

السمة الرابعة: النبي ﷺ يربي أصحابه على العقيدة الصحيحة

لقد سكب النبي ﷺ التوحيد الخالص في قلوب أصحابه من أول وهلة فكان يغذي أرواحهم برغائب الإيمان، ويزكي نفوسهم بتعليم الحكمة والقرآن، ويربيهم تربية دقيقة عميقة، يحدو بنفوسهم إلى منازل سمو الروح، ونقاء القلب، ونظافة الخلق، والتحرر من سلطان الماديات، والمقاومة للشهوات، والنزوع إلى رب الأرض والسموات، ويزكي جمرة قلوبهم، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويأخذهم بالصبر على الأذى،

(١) يقفوه: يتبعه.

(٢) لأصرخن بها: لأرفعن صوتي بها.

(٣) بين ظهرائهم: أي بينهم.

(٤) رواه البخاري في مناقب الأنصار، باب إسلام أبي ذر، رقم (٣٨٦١) فتح الباري: ١٧٣/٧، ورواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي ذر، رقم (٢٤٧٤).

(٥) رواه مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي ذر، رقم (٢٤٧٤).

(٦) فتح الباري: (١٧٤/٧، ١٧٥) مناقب الأنصار، باب إسلام أبي ذر، رقم: (٣٨٦١).

والصفح الجميل وقهر النفس، فازدادوا رسوخاً في الدين، وعزوفاً عن الشهوات، وتفانياً في سبيل المرضاة، وحنيناً إلى الجنة، وحرصاً على العلم، وفقهاً في الدين، ومحاسبة للنفس وقهراً للنزعات، وغلبة على العواطف، وتسيطراً على التأثيرات والهائجات، وتقيداً بالصبر والهدوء والوقار^(١).

* ولقد كان القرآن الكريم طيلة الفترة المكية يتحدث عن العقيدة علماً وعملاً مرة من خلال قصص - الأنبياء عليهم السلام - ودعوة أقوامهم إلى التوحيد، ومرة من خلال الحاجة المباشرة مع المشركين واهللة عقيدتهم وتسفيهها، وغير ذلك من الأساليب المختلفة.

ولقد كان في مقدور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام البدء مع أقوامهم من غير هذا الطريق الشاق الذي كلفهم العناء والبلاء، والذي قد يبدو ولأول وهلة أنه الأسهل، كأن تبدأ الدعوة في جمع الناس على أهداف قبلية وعصبية، أو أهداف اجتماعية طبقية، أو أهداف أخلاقية سلوكية؛ فإذا اجتمعوا على هذه الرايات بلغوهم العقيدة وطالبوهم بالتزامها ورفض ما سواها!! هذا هو تصور البشر القاصر الجاهل ولكن رب البشر سبحانه والذي له الأسماء الحسنى والصفات العلاء، والذي هو أعلم بخلقه وما يصلح لهم وهو اللطيف الخبير - لم يرد هذا الطريق، ولو بدا لأول وهلة أنه الأيسر والأسهل. إنه سبحانه أراد البدء بدعوة الناس إلى عبادته وتوحيده سبحانه وخلع كل ما يُعبد من دون الله حتى إذا امتلأت القلوب بمعرفة الله وتوحيده والخوف منه جاءت الأوامر والنواهي والأحكام والنظم وقد استعدت النفوس لقبولها وأذنت لتنفيذها^(٢).

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: أول ما نزل من القرآن سورة فيها ذكر الجنة والنار - تعني رضي الله عنها سورة المدثر وهي ثانی سورة وفيها يقول جلّ وعلا: ﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ ۝ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝﴾ [المدثر: ٨ - ١٠]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۝﴾ [المدثر: ٣١]، وقوله جلّ وعلا: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ ۝ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۝﴾ [المدثر: ٣٨ - ٤١]، وفي جنات يتساءلون ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۝﴾ [المدثر: ٣٨ - ٤١] حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل من أول الأمر لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا أبداً، ولو نزل لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً.

(١) الرحيق المختوم (ص: ١٢٧).

(٢) فبهدهم اقتده/ عبد العزيز الجليل (ص: ١٢٢: ١٢٣) بتصرف.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

﴿ لما تقرر في القلوب « لا إله إلا الله » صنع الله بها وبأهلها كل شيء وأعطى أهل التوحيد فوق ما يخطر على بالهم وأعظم مما تتمناه قلوبهم. ﴾

﴿ فبنعمة التوحيد تطهرت النفوس والأخلاق وزكت القلوب والأرواح، دون أن يحتاج الأمر حتى للحدود والتعازير التي شرعها الله - إلا في النادرة النادرة - لأن الرقابة قامت هناك في الضمائر، ولأن الطمع في رضى الله وثوابه والخوف من غضبه وعقابه، قد قاما مقام الرقابة ومكان العقوبات. ﴾

وارتفعت البشرية في نظامها، وفي أخلاقها، وفي حياتها كلها، إلى القمة السامقة التي لم ترتفع إليها من قبل قط والتي لم ترتفع إليها من بعد إلا في ظل الإسلام.

﴿ وفيما سبق ردُّ على من يستعجل في إقامة الدولة الإسلامية قبل استقرار العقيدة في القلوب وتخلصها من ركام الشرك بشتى صوره، لأنه لا قيمة لنظام إسلامي يقوم - إن قام - والناس الذين سيحكمهم النظام الإسلامي لم يستعدوا بعد لقبوله ولم يتخلصوا من رواسب الجاهلية وأدران الشرك. إنه يجب أن تستقر العقيدة في قلوب الداعين إليها أولاً، ثم يدعون الناس إليها علماً وعملاً لا مجرد عقيدة نظرية لا رصيدها في القلوب ولا في الواقع. ولا شك أن هذا الأمر يحتاج إلى وقت طويل وجهد مرير وصراع مع الباطل وأهله حتى تنهيا النفوس لنصر الله عز وجل في وقته الذي يختاره الله سبحانه. ﴾

إن ميزة عقيدة الإسلام أنها عقيدة حية إيجابية ما إن تستقر في القلب حتى تحوله إلى شعلة وحركة وجهاد وتضحية، وهذا هو الذي يظهر للمتأمل في دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حيث علموا العقيدة، وعملوا بمقتضاها، ودعوا إليها، وصبروا على الأذى في سبيلها، وضحووا من أجلها بكل نفس ونفيس^(١).

رَفَعُ
عبد الرحمن (الغفراني)
أسكنه الله الفردوس

(١) فيهداهم اقتده/ عبد العزيز الجليل (ص: ١٢٤، ١٢٦) بتصرف.

السمة الخامسة: المشركون يعرضون المال والنساء والمناصب

على النبي ﷺ فلا يقبلها

لما أكثر المشركون من التعذيب والاستهزاء والسخرية بالمسلمين رجاء أن يصددهم ذلك عن دينهم، وكان المسلمون لا يزدادون بذلك إلا إيماناً وبقيناً، فلما لم يفلحوا في ذلك، لجأوا إلى أسلوب آخر - بلغة العصر أكثر دبلوماسية - فأرادوا أن يعرضوا على النبي ﷺ عروضاً لعله يرجع عما هو عليه، أو يتنازل عن بعض الحق الذي يدعوا إليه، فمن هذه العروض أنهم أرسلوا عتبة بن ربيعة ليعرض على الرسول ﷺ ما قد رآه حلاً للمشكلة^(١).

* عن جابر بن عبد الله: قال: «اجتمعت قريش للنبي ﷺ يوماً، فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر، فليأت هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وعاب ديننا، فليكلمه، ولينظر ما يرد عليه. قالوا: ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة. قالوا: أنت يا أبا الوليد، فأتاه عتبة، فقال: يا محمد أنت خير أم عبد الله؟ - يعني أباه -.

فسكت النبي ﷺ ، قال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ ، قال: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك، فقد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك، أما والله ما رأينا سخلة^(٢) أشأم على قومك منك، فرقت جماعتنا، وشتت أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب، حتى طار فيهم أن في قريش ساحراً، وأن في قريش كاهناً، ما ينتظر إلا مثل صبيحة الحُبلى بأن يقوم بعضنا لبعض بالسيوف حتى نتفانى.

أيها الرجل، إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أغنى قريش رجلاً، وإن كان إنما بك الباءة^(٣) فاختر أي نساء قريش فنزوجك عشراً.

* وفي رواية أنه قال له: إن كنت إنما تريد بهذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد شرفاً، سودناك علينا فلا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رِئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك

(١) وقفات تربوية (ص: ٨٨).

(٢) سخلة: المولود المحبب إلى أهله.

(٣) الباءة: حب النكاح والزواج.

رَفَعُ

عبد الرحمن بن الحجاج
(الفرزدق)

طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى تبرا.

فقال رسول الله ﷺ أفرغت، قال: نعم، قال: فقال رسول الله ﷺ: ﴿حَمْدُكَ تَنْزِيلُ مَنْ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ حتى بلغ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١-١٣] فقال عتبة: حسبك ما عندك غير هذا. قال: لا.

فرجع إلى قريش، فقالوا: ما وراءك. فقال: ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمونه به إلا كلمته، قالوا: هل أجابك، قال: نعم، قال: والذي نصبها بنية - يقصد الكعبة - ما فهمت شيئاً مما قال غير أنه قال: أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، قالوا: ويلك يكلمك بالعربية، فلا تدري ما قال.

قال: لا والله، ما فهمت مما قال غير ذكرى الصاعقة^(١).

السمة السادسة: النبي ﷺ يبشر أصحابه

بنصر الله والتمكين لدينه

كان النبي ﷺ يبشر أصحابه بنصر الله عز وجل وبيث الثقة واليقين في قلوبهم بأن الكون كله سيدين لله وستعلو راية: «لا إله إلا الله» خفاقة عالية.. وكان أصحابه في هذا الوقت مُستضعفين يُعذَّبون في رمضاء مكة حتى جاءه خَبَاب يشكو له هذا البلاء الذي تعرض له فقال له ﷺ: «والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم قومٌ تستعجلون» فمع كل هذا البلاء كان النبي ﷺ يثبت قلوب أصحابه بتلك البُشريات العظيمة بل كان القرآن ينزل في تلك الفترة العصبية ليبشرهم بنصر الله عز وجل.

* قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَموالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَفْشِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ ليميز الله الخبيث من الطيب.

(١) رواه أبو يعلى (١٨١٨) والحاكم (٢/٢٥٣) وصححه ووافقه الذهبي.

رفع
عن الشيخ (الرحمى) القسبي
(سنة النشر) (الطبعة)

وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿[الأنفال: ٣٦، ٣٧].

قاله (جلّ وعلاً) لا يُسلم أوليائه لأعدائه.. وإن ظهر أعداؤه في وقت فهذا كله بتقدير الله ولكن العاقبة دائماً تكون لأهل الإيمان والتوحيد^(١).

* قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩].

قال الشيخ الألباني حفظه الله: تبشرنا هذه الآية الكريمة بأن المستقبل للإسلام بسيطرته وظهوره وحكمه على الأديان كلها، وقد يظن بعض الناس أن ذلك قد تحقق في عهده ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين والملوك الصالحين، وليس كذلك، فالذي تحقق إنما هو جزء من هذا الوعد الصادق، كما أشار إلى ذلك النبي ﷺ بقوله: «لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللات والعزى». فقالت عائشة: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ أن ذلك تاماً. قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله؛ الحديث^(٢).

وقد وردت أحاديث أخرى توضح مبلغ ظهور الإسلام ومدى انتشاره بحيث لا يدع مجالاً للشك في أن المستقبل للإسلام بإذن الله وتوفيقه وها أنا أسوق ما تيسر من هذه الأحاديث عسى أن تكون سبباً لشحنهم العاملين للإسلام ومحجة على اليائسين المتواكلين.

الأول: قوله ﷺ: «إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتى سيبليغ ملكها ما زوى لى منها»؛ الحديث^(٣).

الثانى: قوله ﷺ: «لَيَبْلُغَنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر»^(٤).

(١) مواقف من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين/ للمصنف (ص: ٧١٨).

(٢) رواه مسلم (٣٢/١٦) الفتن وأشراط الساعة، والحاكم (٤٤٦/٤، ٤٤٧، ٥٤٩).

(٣) رواه مسلم (١٣/١٦) الفتن وأشراط الساعة، والترمذى (٢٢/٩) الفتن، وأبو داود (٤٢٣٢) الفتن والملاحم.

(٤) رواه أحمد (١٠٣/٤)، والحاكم (٤٣٠/٤، ٤٣١)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وابن حبان =

الثالث: عن أبي قبيل قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص، وسُئِلَ أى المدينتين تُفتح أولاً القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتاباً فقال عبد الله بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب، إذ سُئِلَ رسول الله ﷺ: أى المدينتين تفتح أولاً أفسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: مدينة هرقل تفتح أولاً؛ يعنى قسطنطينية^(١). قال الألبانى: ورومية هى روما كما فى معجم البلدان، وهى عاصمة إيطاليا اليوم، وقد تحقق الفتح الأول على يد محمد الفاتح العثمانى كما هو معروف، وذلك بعد أكثر من ثمانمائة سنة من إخبار النبى ﷺ، وستحقق الفتح الثانى بإذن الله تعالى ولا بد، ولتعلمن نبأه بعد حين. ولا شك أيضاً أن تحقيق الفتح الثانى يستدعى أن تعود الخلافة الراشدة إلى الأمة المسلمة، وهذا مما ييشرننا به ﷺ بقوله فى الحديث.

الرابع: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت»^(٢). أ.هـ مختصر^(٣).

* فعلى الرغم من هذا الظلام الحالك الذى تعيشه الأمة فوالله إنا لمتفائلون وموقنون بنصر الله فهو وعد الله ووعد رسول الله ﷺ بالنصرة لهذا الدين.. وإن ما نحن فيه ما هو إلا حالة مؤقتة ليميز الله الخبيث من الطيب فى زمن عمّت فيه الفتنة وطمّت فكان لابد من البلاء والتمحيص^(٤).

* فأبشروا يا شباب الصحوة بنصر الله فالنصر قادم إن شاء الله تعالى ولكن علينا أن نكون عباداً لله لنكون أهلاً لنصر الله عز وجل.

= (١٦٣١) موارد، وصححه الألبانى على شرط مسلم فى تحذير الساجد ص. ١١٩ وفى الصحيحة رقم ٣ (٧/١/١).

(١) رواه أحمد (١٧٦/٢)، والدارمى (١٢٦/١)، والحاكم (٥٠٨/٤) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى والألبانى فى الصحيحة رقم ٤ (٨/١/١).

(٢) رواه أحمد (٢٧٣/٤) وقال الهيثمى فى المجمع (١٨٩/٥) رجاله ثقات وهو فى الصحيحة رقم (٥).

(٣) باختصار من السلسلة الصحيحة لمحدث العصر الألبانى حفظه الله ونفع سائر الناس بعلومه (١٠، ٦/١)، نقلاً من وقفات تربوية.

(٤) صور من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين/ للمصنف (ص: ٦٥٢).

إن التغيير لا بد أن يبدأ من القاعدة

لقد أخطأ من ظن أن التغيير لابد أن يكون من قمة الهرم - وهذا فهم خاطيء - بل إن التغيير لابد أن يبدأ من القاعدة وذلك من خلال تربية جيل يحب الله ورسوله ﷺ ويحبه الله ورسوله ﷺ .

* ولنعلم جميعاً أن هذه الأمة لا يمكن أن تكون عزيزة إلا باتباع دينها وتعظيم أمر ربها، فما السبيل إذن؟ هل هو سبيل الانقلابات العسكرية والعمليات الانتحارية، وفي سويغات معدودة يتم التمكين للإسلام والمسلمين؟!!!... ومن تدبر دعوة النبي ﷺ، بل وجميع الأنبياء قبله يعلم علماً يقينياً أن هذا الطريق ليس طريق الأنبياء، وأن هذا السبيل مخالف للسنن الشرعية والكونية، والله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، فلا بد من انتشار الدعوة وإصلاح قلوب الناس وجوارحهم بالتوحيد وطاعة الشرع المجيد... هذا رسول الله ﷺ بقى في مكة ثلاثة عشر عاماً يدعو للتوحيد، ويربى أصحابه بقيام الليل وسائر العبادات، ويتحمل ويتحملون معه أشد ألوان التعذيب والاستهزاء، لما بايع الأنصار بيعة العقبة الثانية قالوا: لو شئت لَمَلْنَا على أهل الوادى فقتلناهم دفعة واحدة فقال ﷺ: إني لم أؤمر بذلك. ونزل عليه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [النساء: ٧٧].

هل أصحاب هذا الفكر أغبر على الدين من سيد الأولين والآخرين؟

كيف كان النبي ﷺ بمكة عندما جهر بالدعوة؟ وكيف كان حال الصحابة الكرام؟ كيف ربي النبي ﷺ أصحابه؟ كيف مهد النبي ﷺ لإقامة الدولة المسلمة بالمدينة؟ هذا ما ينبغي أن يتعلمه الشباب المسلم المخلص، حتى لا يضع سعيهم ويضمحل أمرهم، دون مصلحة شرعية^(١).

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

(١) وقفات تربوية (ص: ٧٦، ٧٧).

أول من جهر بالقرآن

✽ عن يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه قال: كان أول من جهر بالقرآن - بعد رسول الله ﷺ - بمكة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، قال: اجتمع يوماً أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يُسمعه؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا، قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه، قال: دعوني فإن الله سيمنعني. قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى، وقريش في أنديتها، حتى قام عند المقام ثم قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ رافعاً بها صوته ﴿الرَّحْمَنُ﴾ ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: ١، ٢] قال: ثم استقبلها يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ. ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا في وجهه، فقالوا له: هذا الذي خشنا عليك، فقال: ما كان أعداء الله أهون على منهم الآن، ولئن شتم لأغادينهم بمثلها غداً، قالوا: لا، حسبك، قد أسمعتهم ما يكرهون^(١).

ما فعله النبي ﷺ وأصحابه بأصنام المشركين

✽ عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: «كنت أنطلق أنا وأسامة بن زيد إلى أصنام قريش التي حول الكعبة، فنأتى بالعدرات^(٢)، فنأخذ (حبراق) بأيدينا، فننطلق به إلى أصنام قريش فنلطحها^(٣)، فيصيحون، يقولون: من فعل بالهتنا؟ فينطلقون إليها، ويغسلونها باللبن والماء»^(٤).

✽ وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: «انطلقت أنا والنبي ﷺ حتى أتينا الكعبة، فقال لي رسول الله ﷺ: اجلس، وصعد على منكبي، فذهبت لأنفض به، فرأى

(١) إسناده صحيح متصل، وذكره القرطبي في «تفسيره» عن عروة بن الزبير (١٤٧/٧) وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٣٣٤، ٣٣٥).

(٢) العدرات: الغائط.

(٣) نلطحها: نلوثها.

(٤) المطالب العالية: (٤٢٧٥) وعزاه لإسحاق بن راهويه وقال الحافظ: إسناده صحيح، وتابعه البوصيري.

منى ضعفاً، فنزل وجلس لى رسول الله ﷺ . فقال: اصعد على منكبي. قال: فنهض بى، قال: فإنه يخيل إلى أنى لو شئت لنلت أفق السماء، حتى صعدت على البيت، وعليه تمثال أصفر أو نحاس، فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه، حتى استمكنت منه، فقال لى رسول الله ﷺ اقذف به، فقذفت به، فتكسر كما تتكسر القوارير، ثم نزلت، فانطلقت أنا ورسول الله ﷺ نستبق، حتى توارينا بالبيوت، خشية أن يلقانا أحد من الناس.

وفى رواية: (كان على الكعبة أصنام، فذهبت أحمل النبی ﷺ فلم أستطع، فحملنى فجعلت أقطعها، ولو شئت لنلت السماء).

وزاد البزار (بعد قوله حتى استترنا بالبيوت، فلم يوضع عليها بعد معنى شيئاً من تلك الأصنام)^(١).

* وعن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال: (دخلت مع رسول الله ﷺ الكعبة، فرأى فيها تصاوير، فقال لى: ابتغ لى ماء، فأثيته بماء فى دلو، فجعل يبل به الثوب، ثم يضرب به الصور، يقول: قاتل الله أقواماً يصورون ما لا يخلقون)^(٢).

(١) قال الهيثمى فى المجمع: (٢٣/٦) رواه أحمد وابنه وأبو يعلى والبزار ورجال الجميع ثقات.

(٢) المطالب العالىة: (٤٢٧٦) وعزاه لإسحاق بن راهويه، وقال الحافظ: وإسناده حسن.

الهجرة الأولى إلى الحبشة

كانت بداية الاضطهادات في أواسط أو أواخر السنة الرابعة من النبوة بدأت ضعيفة، ثم لم تزل يوماً فيوماً وشهراً شهراً حتى اشتدت وتفاقمت في أواسط السنة الخامسة، حتى نبا بهم المقام في مكة وأوعزتهم أن يفكروا في حيلة تنجيهم من هذا العذاب الأليم، وفي هذه الساعة الضنكة الحالكة نزلت سورة الكهف، ردوداً على أسئلة أدلى بها المشركون إلى النبي ﷺ ولكنها اشتملت على ثلاث قصص فيها إشارات بليغة من الله تعالى إلى عباده المؤمنين، فقصّة أصحاب الكهف ترشد إلى الهجرة من مراكز الكفر والعدوان حين مخافة الفتنة على الدين متوكلاً على الله: ﴿وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهْدِيْ لَكُمْ مَرْقَبًا﴾ [الكهف: ١٦].

وقصة الخضر وموسى تفيد أن الظروف لا تجبرى ولا تنتج حسب الظاهر دائماً، بل ربما يكون الأمر على عكس كامل بالنسبة إلى الظاهر، ففيها إشارة لطيفة إلى أن الحرب القائمة ضد المسلمين ستعكس تماماً، وسيصادر هؤلاء الطغاة المشركون - إن لم يؤمنوا - أمام هؤلاء الضعفاء المدحورين من المسلمين.

وقصة ذى القرنين تفيد أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، وأن الفلاح إنما هو في سبيل الإيمان دون الكفر، وأن الله لا يزال يبعث من عباده - بين آونة وأخرى - من يقوم بإنجاء الضعفاء من يأجوج ذلك الزمان ومأجوجه، وأن الأحق بإرث الأرض إنما هم عباد الله الصالحون. ثم نزلت سورة الزمر تشير إلى الهجرة، وتعلن بأن أرض الله ليست بضيقة ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] (١).

* فلما رأى رسول الله ما يُصيب أصحابه من البلاء، ومما هو فيه من العافية، لمكانه من الله ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء،

(١) الرحيق المختوم (ص: ٩١).

رفع

عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر
(سكنه الله الفردوس)

قال لهم: «لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَإِنَّ بِهَا مَلَكًا لَا يُظْلَمُ عَنْدهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرْضٌ صِدْقٌ، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ». فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة كانت في الإسلام^(١).

✽ كان الرحيل إلى الحبشة تسليلاً في الخفاء، حتى لا تستيقظ قريش للأمر فتحبطه، ولم يبدأ كذلك على نطاق واسع، بل كان الفوج الأول مكوناً من بضع أسر، فيهم رقية ابنة النبي عليه الصلاة والسلام وزوجها عثمان بن عفان، ونفر آخر من المهاجرين لم يزيدوا جميعاً عن ستة عشر. وقد يمموا شطر البحر حيث قيضت لهم الأقدار سفيتين تجاريتين أبحرنا بهم إلى الحبشة، فلما خرجت قريش في آثارهم إلى الشاطئ كانوا قد انطلقوا آمينين^(٢).

مفاجأة لا تخطر على البال

وفي رمضان من نفس السنة خرج النبي ﷺ إلى الحرم، وهناك جمع كبير من قريش كان فيه ساداتها وكبرائها، فقام فيهم، وأخذ يتلو سورة النجم بغتة.

إن أولئك الكفار لم يكونوا سمعوا كلام الله قبل ذلك، لأن أسلوبهم المتواصل كان هو العمل بما تواصى به بعضهم بعضاً، من قولهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]، فلما باغتهم بتلاوة هذه السورة وقرع آذانهم كلام إلهي رائع خلاب - لا يحيط بروعته وجلالته البيان - تفانوا عما هم فيه، وبقي كل واحد مصغياً إليه، لا يخطر بباله شيء سواه، حتى إذا تلا في خواتيم هذه السورة قوارع تطير لها القلوب، ثم قرأ: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ [النجم: ٦٢]، ثم سجد - لم يتمالك أحد نفسه حتى خر ساجداً، وفي الحقيقة كانت روعة الحق قد صدعت العناد في نفوس المستكبرين والمستهزئين فما تمالكوا أن يخروا لله ساجدين^(٣).

وسقط في أيديهم لما أحسوا أن جلال كلام الله لوى زمامهم، فارتكبوا عين ما كانوا يبدلون قصارى جهدهم في محوه وإفناؤه، وقد توالى عليهم اللوم والعتاب من كل

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/٢٦٦).

(٢) فقه السيرة للغزالي (ص: ١٣٠).

(٣) أخرجه البخاري (١٠٧١) ومسلم (١٠٥) (٥٧٦) والترمذي (٥٧٥).

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

جانب ممن لم يحضر هذا المشهد من المشركين، وعند ذلك كذبوا على رسول الله ﷺ وافتروا عليه أنه عطف على أصنامهم بكلمة تقدير، وأنه قال عنها «تلك الغرائقة العلى، وإن شفاعتهن لترتجى»، جاءوا بهذا الإفك المبين، ليعتذروا عن سجودهم مع النبي ﷺ. وليس يستغرب هذا من قوم كانوا يؤلفون الكذب، ويطيلون الدس والافتراء^(١).

بلغ هذا الخبر إلى مهاجري الحبشة، ولكن في صورة تختلف تماماً عن صورته الحقيقية... بلغهم أن قريشاً أسلمت، فرجعوا إلى مكة في شوال من نفس السنة، فلما كانوا دون مكة ساعة من نهار، وعرفوا جليلة الأمر، رجع منهم من رجع إلى الحبشة ولم يدخل في مكة من سائرهم أحد إلا مستخفياً، أو في جوار رجل من قريش^(٢).

الهجرة الثانية إلى الحبشة

عاد من هاجر إلى الحبشة لياغت بأن الاضطهاد الواقع على الإسلام أحدٌ وأشدُّ فدخل بعضهم مكة مستجيراً بمن يعرف من كبرائها، وتوارى الآخرون.

لكن قريشاً أبت إلا أن تُنكَلُ بالقادمين، وأن تغرى سائر القبائل بمضاعفة الأذى للمسلمين. فلم ير الرسول ﷺ بداً من أن يشير على أصحابه بالهجرة مرة أخرى إلى الحبشة. وكانت هذه الهجرة الثانية أشق من سابقتها، فقد تيقظت لها قريش وقررت إحباطها. بيد أن المسلمين كانوا أسرع. فخرج منهم في هذا الفوج ثلاثة وثمانون رجلاً وتسع عشرة امرأة، ويسر الله لهم السفر فأنحازوا إلى نجاشي الحبشة. ووجدوا عنده ما ييغون من أمان وطيب جوار وكرم وفادة.

والظاهر أن هذا النجاشي كان رجلاً راشداً نظيف العقل، حسن المعرفة لله سليم الاعتقاد في (عيسى) عبد الله ورسوله عليه السلام. وكانت مرونة فكره سر المعاملة الجميلة التي وفرها لأولئك اللاجئين إلى مملكته، فارين بدينهم من الفتن^(٣).

* عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: (بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي، ونحن نحواً من ثمانين رجلاً، فيهم عبد الله بن مسعود، وجعفر، وعبد الله بن عرفة، وعثمان بن مظعون، وأبو موسى، فأتوا النجاشي)^(٤).

(١) (٢) تفهيم القرآن (٥/١٨٨)، وإلى هذا التوجيه جنح المحققون في حديث الغرائقة.

(٣) فقه السيرة للغزالي (ص: ١٣٣).

(٤) رواه أحمد (١/٤٦١) وقال ابن كثير في السيرة: وهذا إسناد جيد قوى وسياق حسن - وحسنه الحافظ في

الفتح (٧/١٨٩).

رفع

محمد (صلى الله عليه وسلم) (النجاشي)
(أسكنه الله الفردوس)

* وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أمه ليلى قالت: «كان عمر بن الخطاب من أشد الناس علينا في إسلامنا، فلما تهيأنا للخروج إلى أرض الحبشة، فأثنى عمر بن الخطاب، وأنا على بعيري، وأنا أريد أن أتوجه، فقال: أين يا أم عبد الله؟ فقلت: أذيتمونا في ديننا، فنذهب في أرض الله حيث لا نؤذى (في عبادة الله)، فقال: صحبكم الله، ثم ذهب، فجاء زوجي عامر بن ربيعة فأخبرته بما رأيت من رقة عمر، فقال: ترجين أن يسلم؟ (فقلت: نعم. فقال): والله لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب»^(١).

* وعن أم سلمة ابنة أبي أمية بن المغيرة زوج النبي ﷺ قالت: «لما نزلنا أرض الحبشة، جاورنا بها خير جار، النجاشي، أمنا على ديننا، وعبدنا الله وحده، لا نؤذى، ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً، ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جلدتين^(٢)، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان أعجب ما يأتيه منها الأدم^(٣)، فجمعوا له أدمًا كثيرًا، ولم يتركوا من بطارقه بطريقاً^(٤) إلا أهدوا له هدية، وبعثوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، وعمرو بن العاص بن وائل السهمي، وأمرؤهما أمرهم، وقالوا لهما: ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم، ثم قدموا للنجاشي هداياه، ثم أسألوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم.

قالت: فخرجنا، فقدمنا على النجاشي ونحن عنده بخير دار، وعند خير جار، فلم يبق من بطارقه بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلمنا النجاشي، ثم قالوا لكل بطريق منهم: إنه قد ضوى^(٥) إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم إلينا، ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عينا^(٦)، وأعلم بما عابوا عليهم.

فقالوا لهما: نعم، ثم قربوا هداياهم إلى النجاشي، فقبلها منهم، ثم كلماه. فقالا له: أيها الملك، إنه قد صبا إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم

(١) قال الهيثمي في المجمع (٢٤/٦): رواه الطبراني وقد صرح ابن اسحاق بالسماع فهو صحيح.

(٢) الجلد: القوي.

(٣) الأدم: الجلود.

(٤) البطريق: الحاذق بالحرب وأمورها بلغة الروم، وهو ذو منصب عندهم.

(٥) ضوى: لجأ.

(٦) أعلى بهم عينا: أبصر بهم، وأعرف بهم من غيرهم.

يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم، وأعمامهم وعشائرتهم لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم، وعاتبوهم فيه.

ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشي كلامهم.

فقال بطارفته حوله: صدقوا أيها الملك قومهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم.

فغضب النجاشي وقال: لاها الله^(١) إذا لا أسلمهم إليهما ولا أكاد، قومًا جاوروني، ونزلوا بلادى، واختاروني على من سواي، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسن جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا فقالوا بعضهم لبعض: ما تقولون في الرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا، وما أمرنا به نبينا ﷺ كائن في ذلك ما هو كائن، فلما جاءوه، وقد دعا النجاشي أساقفته^(٢)، فنشروا مصاحفهم حوله، سألهم: فقال: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني، ولا في دين أحد من هذه الأمم؟

قالت: وكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه، فقال: أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسئ الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله - عز وجل - لنوحده ونعبد، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دون الله من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وشهادة الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئاً، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

قالت: فعدّد عليه أمور الإسلام - فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به، فعبدا

(١) لاها الله: المعنى لا والله.

(٢) الاساقفة: علماء النصارى الذين يقيمون لهم دينهم.

الله وحده فلم تشرك به شيئاً، وحرمتنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحلّ لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله عزّ وجلّ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا، وظلمونا وشقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك.

قالت: فقال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟

قالت: فقال له جعفر: نعم قالت: فقال له النجاشي: فاقراه، فقرأ عليه صدرّاً من ﴿كَهَيَّعَصَ﴾ قالت: فبكى والله النجاشي، حتى أخضل لحيته^(١)، وبكت أساقفته، حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلى عليهم.

ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة^(٢) واحدة، انطلقا، فوالله لا أسلمهم إليكم، ولا أكاد.

قالت أم سلمة: فلما خرجا من عنده، قال: عمرو بن العاص: والله لآتينه غداً أعيهم عنده بما استأصل به خضراءهم^(٣).

فقال له عبد الله بن أبي ربيعة وكان ألقى الرجلين فينا: لا تفعل، فإن لهم أرحاماً، وإن كانوا قد خالفونا.

قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عليه السلام عبدٌ.

قالت: ثم غدا عليه، فقال: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسلمهم عما يقولون فيه.

قالت: فأرسل إليهم يسألهم عنه، قالت: ولم ينزل بنا مثلها، واجتمع القوم، فقال بعضهم لبعض: ما تقولون في عيسى بن مريم إذا سألتكم عنه؟ قالوا: نقول والله ما قال الله عز وجل وما جاء به نبينا ﷺ كائنٌ في ذلك ما هو كائن. فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال جعفر ابن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا ﷺ، هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء^(٤) البتول^(٥).

(١) حتى أخضل لحيته: معناه بلها.

(٢) المشكاة: الثقب الذي يكون فيه الفتيل.

(٣) بما استأصل به خضراءهم: يعني به جماعتهم ومعظمهم.

(٤) العذراء: الجارية البكر التي لم يمسه رجل.

(٥) البتول: المنقطعة عن الرجال.

رَفَعُ

عبد الرحمن بن الحجاج
أسكنه الله الفردوس

قال: فضرب النجاشي بيده إلى الأرض، فأخذ منها عوداً، ثم قال: ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود، فتناخرت^(١) بطارقه حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي - والسيوم الآمنون - من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، ما أحب أن لي دبراً^(٢) ذهباً وأنى آذيت رجلاً منكم، «والدبر: بلسان الحبشة: الجبل» ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي فيهما، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليّ ملكي، فأخذ فيه الرشوة، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه.

فخرجوا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاء به، وأقمنا عنده في خير دار مع خير جار.

فوالله إنه لعلى ذلك إذ نزل به^(٣) من ينازعه في ملكه، قالت: والله ما علمنا حزناً قط كان أشد من حزن حزنه عند ذلك، تخوفاً أن يظهر ذلك على النجاشي، فيأتى رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف.

قالت: وسار النجاشي، وبينهما عرض النيل، قالت: فقال: أصحاب رسول الله ﷺ من رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم ثم يأتينا؟ فقال: الزبير بن العوام: أنا... قالت: وكان من أحدث القوم سناً قالت: فنفضوا له قربة، فجعلوها في صدره، فسيح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم.

قالت: ودعونا الله عز وجل للنجاشي بالظهور على عدوه، والتمكين له في بلاده، واستوسق^(٤) عليه أمر الحبشة، فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة^(٥).

✽ وقد جاء عند أبي نعيم في الدلائل، أن قريشاً بعثت إلى النجاشي في أمر المهاجرين مرتين..

الأولى: مع عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد، والثانية: مع عمرو بن العاص

(١) تناخرت: تكلمت بكلام فيه غضب.

(٢) دبراً: الدبر بلسانهم الجبل.

(٣) نزل به: قام عليه ووثب وارتفع.

(٤) استوسق: استقر له.

(٥) قال الهيثمي في المجمع (٦/٢٤٤، ٢٧): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن اسحاق وقد صرح

بالسماع فالحديث بهذا صحيح.

وعبد الله بن أبي ربيعة، وكانت البعثة الثانية بعد وقعة بدر، قال الزهري: لينالوا من هناك ثأراً، فلم يجبهم النجاشي - رضى الله عنه - إلى شيء مما سألو^(١).

إسلام عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)

لقد كثرت الروايات التي تروى قصة إسلام عمر - رضى الله عنه - وأكثر تلك الروايات ضعيفة، ولكنها مشهورة مثل القصة التي يرويها أكثر الناس عن دخوله على أخته وزوجها سعيد بن زيد وكذا استماعه القرآن من النبي ﷺ وهو خلف أستار الكعبة.

والراجح والله أعلم أن السبب الأساسي في إسلامه رضى الله عنه هو دعاء النبي ﷺ له عندما قال: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل بن هشام، أو بعمر بن الخطاب، قال: وكان أحبهما إليه عمر»^(٢).

ولقد أورد الإمام البخارى سبباً آخر في إسلام عمر - رضى الله عنه - عن عبد الله بن عمر قال: ما سمعت عمر لشيء قط يقول: إني لأظنه كذا إلا كان كما يظن، بينما عمر جالس، إذ مرَّ به رجلٌ جميلٌ، فقال عمر لقد أخطأ ظني، أو إن هذا على دينه في الجاهلية، أو لقد كان كاهنهم.

على الرجل. فدعى له، فقال له ذلك. فقال: ما رأيت كالיום استقبل به رجلٌ مسلم.

قال: فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتنى.

قال: كنت كاهنهم في الجاهلية.

قال: فما أعجب ما جاءتك به جنتك؟ قال: بينما أنا يوماً في السوق جاءتنى أعرف فيها الفزع فقالت: ألم تر الجن وإبلاسه^(٣)، ويأسها من بعد إنكاسها^(٤)، ولحوقها بالقلاص، وأحلاسها^(٥).

(١) صحيح السيرة النبوية (ص: ١٠٦).

(٢) رواه الترمذى (٣٦٨٢) المناقب - باب مناقب عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى (٢٩٠٧).

(٣) إبلاسه: المراد به اليأس ضد الرجاء.

(٤) يأسها من بعد إنكاسها: اليأس ضد الرجاء، والإنكاس الانقلاب، قال ابن فارس: معناه أنها بثت من استراق السمع، بعد أن كان قد ألفت، فانقلبت عن الاستراق، قد بثت من السمع.

(٥) ولحوقها بالقلاص، وأحلاسها: القلاص جمع قُلص، وهى الفتية من النياق، والأحلاس جمع حِلَس، وهو ما يوضع على ظهور الإبل تحت الرجل.

رفع

عبد الرحمن النجاشي
أسكنه الله الفردوس

قال عمر: صدق، بينما أنا نائمٌ عند آلهم، إذ جاء رجلٌ بعجل فذبحه، فصرخ به صارخٌ، لم أسمع صارخاً قطُّ أشدَّ صوتاً منه يقول: يا جليح^(١)، أمرٌ نجيح، رجلٌ فصيح، يقول: لا إله إلا الله. فوثب القوم، قلت: لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا، ثم نادى، يا جليح أمرٌ نجيح، رجلٌ فصيح، يقول: لا إله إلا الله. فقممت، فما نشبتنا^(٢) أن قيل: هذا نبي^(٣).

عمر (رضي الله عنه) يعلن إسلامه أمام المشركين

* عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (لما أسلم عمر اجتمع الناس إليه عند داره وقالوا: صبأ عمر... وأنا غلام فوق ظهر بيتي، فجاء رجل عليه قباء من ديباج، فقال: صبأ عمر فما ذاك فأنا له جار، قال: فرأيت الناس تصدعوا عنه. فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا العاص بن وائل^(٤)).

* وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال:

(لما أسلم عمر قال: أي قريش أنقل للحديث؟ ف قيل له: جميل بن معمر الجمحي، فغدا عليه. قال عبد الله: وغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل، وأنا غلام أعقل كل ما رأيت).

حتى جاءه فقال له: أعلمت يا جميل أنني أسلمت، ودخلت في دين محمد ﷺ؟

قال: فوالله ما راجعه حتى قام يجرد رداءه، واتبعه عمر، واتبعته أنا، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، (وهم في أنديتهم حول الكعبة). ألا أن ابن الخطاب قد صبأ.

قال: يقول عمر من خلفه: كذب، ولكني قد أسلمت، وشهدت أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله... وثأروا إليه، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه، حتى قامت الشمس

(١) يا جليح: معناه الوقح المكافح بالعداوة. قال الحافظ: ووقع في معظم الروايات «يا آل ذريح» وهم بطن مشهور من العرب.

(٢) فما نشبتنا: أي لم نتعلق بشيء من الأشياء حتى سمعنا أن النبي ﷺ قد خرج، يريد أن ذلك كان بقرب مبعث النبي ﷺ..

(٣) رواه البخاري رقم (٣٨٦٦) في مناقب الأنصار، باب إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

رفع

(٤) أخرجه البخاري (٣٨٦٤، ٣٨٦٥) مناقب الأنصار.

على رؤوسهم، قال: وطلح^(١) فقعده، وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا.

قال: فبينما هم على ذلك، إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة^(٢) وقميص موشى، حتى وقف عليهم. فقال: ما شأنكم به؟ فقالوا: صبأ عمر قال: فمه، رجل اختار لنفسه أمراً فما تريدون؟ أترون بنى عدى يسلمون لكم صاحبكم هكذا؟ خلوا عن الرجل^(٣).

قال: فوالله لكأنما كانوا ثوباً كُشط عنه. قال: فقلت لأبى بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبت، من الرجل الذى زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك. قال: ذاك أى بنى، العاص بن وائل السهمي^(٤).

النبى ﷺ يدعو لعمر بعد إسلامه

* عن ابن عمر رضى الله عنهما: أن رسول الله ﷺ ضرب صدر عمر بيده حين أسلم ثلاث مرات وهو يقول:

(اللهم أخرج ما فى صدر عمر من غل وأبدله إيماناً) يقول ذلك ثلاث مرات^(٥).

إن إسلام (عمر) كان فتحاً

ولقد كان إسلامه سبباً عظيماً فى ظهور الإسلام وقوته، وذلك لما كان يتميز به من القوة والشجاعة فكان لا يخاف فى الله لومة لائم.

* قال ابن مسعود رضى الله عنه: «مازلنا أعزة منذ أسلم عمر»^(٦).

وقال عبد الله بن مسعود: إن إسلام عمر كان فتحاً، وإن هجرته كانت نصراً، وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنا ما نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل

(١) طلح: تعب وأعى.

(٢) الحبرة: ضرب من برود اليمن.

(٣) خلوا عن الرجل: اتركوه.

(٤) رواه ابن حبان (٦٨٤٠) والحاكم (٨٥/٣) وصححه ووافقه الذهبى.

(٥) قال الهيثمى فى المجمع: ٦٥/٩ رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله ثقات.

(٦) أخرجه البخارى (٢١٥/٧) مناقب الأنصار.

قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه^(١).

وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة.

الصحيفة الظالمية والمقاطعة العامة

فلما رأت قريشُ أمرَ رسول الله ﷺ يعلو، والأمور تنزايد، أجمعوا على أن يتعاقدوا على بنى هاشم، وبنى عبد المطلب، وبنى عبد مناف، أن لا يُبايعوهم، ولا يُناكحوهم، ولا يُكَلِّموهم، ولا يُجالِسُوهم حتى يُسَلِّمُوا إليهم رسول الله ﷺ وكتبوا بذلك صحيفة، وعلّقوها في سقف الكعبة، يقال: كتبها منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم، ويقال: النضر بن الحارث، والصحيح: أنه بغض بن عامر بن هاشم، فدعا عليه رسول الله ﷺ، فَشَلَّتْ يَدُهُ، فأنحاز بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم، إلا أبا لهب، فإنه ظاهر قريشاً على رسول الله ﷺ وبنى هاشم، وبنى المطلب، وحبس رسول الله ﷺ ومن معه في الشعب (شعب أبي طالب) ليلة هلال المحرم، سنة سبع من البعثة، وعلقت الصحيفة في جوف الكعبة، وبقوا محبوسين ومحصورين، مضيقاً عليهم جداً، مقطوعاً عنهم الميرة والمادة، نحو ثلاث سنين، حتى بلغهم الجهد، وسُمعَ أصواتُ صبيانهم بالبكاء من وراء الشعب، وهناك عمل أبو طالب قصيدته اللامية المشهورة^(٢) أولها جزى الله عنا عبد شمس ونوفلاً عقوبة شرٍّ عاجلاً غير آجل^(٣).

✽ قال السهيلي: كانت الصحابة إذا قدمت غير إلى مكة، يأتي أحدهم السوق ليشتري شيئاً من الطعام قوتاً لعياله فيقوم أبو لهب فيقول: يا معشر التجار غالوا على أصحاب محمد ﷺ حتى لا يدركوا معكم شيئاً. وقد علمتم مالي ووفاء ذمتي فأنا ضامن لا خسارة عليكم، فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافاً حتى يرجع أحدهم إلى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع. وليس في يده شيء يطعمهم به. ويغدو التجار على أبي لهب فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس حتى جهد المؤمنون ومن معهم جوعاً وعرياً.

(١) رواه ابن سعد (٢٧٠/١) والحاكم (٨٣/٣، ٨٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) أوردها ابن هشام (٢٧٢/١، ٢٨٠) والبيت الذي ذكره المصنف هو الثامن والخمسون منها.

(٣) زاد المعاد (٢٩/٣، ٣٠).

وروى يونس عن سعد بن أبي وقاص قال: خرجت ذات ليلة لأبول فسمعت قعقة تحت البول، فإذا قطعة من جلد بغير يابسة، فأخذتها وغسلتها، ثم أحرقتها ورضضتها بالماء، فتقويت بها ثلاثاً.

فانظر كيف انتهى الحصار بالمسلمين. وكيف أضناهم الحرمان والجأهم أن يطعموا ما لا مساغ له!! (١)

كانت قريش بين راضٍ وكارهٍ

وكانت قريش بين راضٍ وكارهٍ لهذه المقاطعة، وقد أحرزت تلك الآلام بعض ذوى الرحمة من قريش فكان أحدهم يوقر البعير زاداً ثم يضربه في اتجاه الشعب ويترك زمامه ليصل إلى المحصورين فيخفف شيئاً مما بهم من إعياء وفاقه.

نقض الصحيفة

قال ابن كثير رحمه الله: ثم سعى في نقض تلك الصحيفة أقوام من قريش، فكان القائم في أمر ذلك هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن مالك ابن حسل بن عامر بن لؤى.. مشى في ذلك إلى مطعم بن عدى وجماعة من قريش فأجابوه إلى ذلك، وأخبر رسول الله ﷺ قومه أن الله قد أرسل على تلك الصحيفة (الأرضة) فأكلت جميع ما فيها إلا ذكر الله عز وجل، فكان كذلك، ثم رجع بنو هاشم وبنو المطلب إلى مكة، وحصل الصلح برغم من أبي جهل عمرو بن هشام (٢).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال لنا رسول الله ﷺ ونحن بمنى (نحن نازلون غداً بخيف بنى كنانة، حيث تقاسموا على الكفر) وذلك إن قريشاً وبنى كنانة تحالفت على بنى هاشم وبنى المطلب، أن لا يناكحوهم، ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ، يعنى بذلك الحصب» (٣).

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ١٣٨، ١٣٩).

(٢) الفصول في اختصار سيرة الرسول ﷺ للحافظ لابن كثير (٩٠، ٩١).

(٣) أخرجه البخاري (١٥٨٩، ١٥٩٠) الحج، ومسلم (١٣١٤) الحج.

عام الحزن

قال ابن إسحق: ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا في عام واحد فتتبعتهما على رسول الله ﷺ المصائب بهلك خديجة، وكانت له وزير صدق على الإسلام يشكو إليها، وبهلك عمه أبو طالب وكان له عضداً وحرزاً في أمره ومنعة وناصرًا على قومه، وذلك قبل هجرته إلى المدينة بثلاث سنين فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب^(١).

* إن «خديجة» من نعم الله الجلييلة على «محمد» عليه الصلاة والسلام، فقد آزرته في أخرج الأوقات، وأعانتة على إيلاغ رسالته، وشاركتة مغارم الجهد المر، وواسته بنفسها ومالها، وإنك لتحس قدر هذه النعمة عندما تعلم أن من زوجات الأنبياء من خن الرسالة وكفرن برجالهن، وكن مع المشركين من قومهن وآلهن حرباً على الله ورسوله.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ﴾ [التحریم: ١٠].

أما خديجة فهي صديقة النساء، حنت على رجلها ساعة قلق، وكانت نسمة سلام وبر، رطبت جبينه المنتصب من آثار الوحى، وبقيت ربع قرن معه، تحترم قبل الرسالة تأمله وعزله وشمائله، وتحمل بعد الرسالة كيد الخصوم وآلام الحصار ومتاعب الدعوة، وماتت والرسول ﷺ في الخمسين من عمره، وهى تجاوزت الخامسة والستين، وقد أخلص لذكرها طول حياته^(٢).

هكذا يكون الوفاء

وحزن النبي ﷺ لموتها حزناً شديداً فلقد كانت نعم الزوجة الصابرة المخلصة التى آزرته طوال حياته وبذلت من أجل نصرة هذا الدين كل غال ونفيس فلم يستطع النبي ﷺ أن ينساها أبداً وكان يحمل لها وفاء يعجز القلم عن وصفه.

فها هو الحبيب ﷺ يُثنى عليها ويقول: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء

رفع

(١) السيرة لابن هشام مع الروض الأنف (٢/١٦٦).

(٢) فقه السيرة للغزالي (ص: ١٤٣).

إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران - وخديجة بنت خويلد^(١) - وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام^(٢).

* وقد علّق أحد العلماء الأفاضل على هذا الحديث تعليقاً لطيفاً فقال: من الموافقات اللطيفة التي جمعت الثلاث في نسق واحد أن كل واحدة منهن كفلت نبياً مرسلًا، وأحسنّت صحبته وآمنت به، فآسيا ربّت موسى، وأحسنّت إليه، وصدقت به حين بعث، ومريم كفلت عيسى وربته، وصدقت به حين أرسل، وخديجة رغبت في النبي وواسته بنفسها ومالها، وأحسنّت صحبته، وكانت أول من صدقه حين نزل عليه الوحي.

ولم يتزوج النبي ﷺ امرأة قبلها أبدًا... بل ولم يتزوج عليها حتى ماتت.

فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: لم يتزوج النبي ﷺ على خديجة حتى ماتت^(٣).

* وعن أنس (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال: «حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون»^(٤).

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «سيدات نساء أهل الجنة بعد مريم بنت عمران فاطمة وخديجة وآسية امرأة فرعون»^(٥).

كان النبي ﷺ يتابع عمه بالدعوة حتى آخر لحظة

* عن المسيب رضي الله عنه قال: «لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية ابن المغيرة. فقال رسول الله ﷺ (يا عم قل لا إله إلا الله. كلمة أشهد لك بها عند الله).

(١) هذه الزيادة عن ابن مردويه من حديث قرّة بن إياس مرفوعاً: «وخديجة بنت خويلد» وإسناده صحيح كما قال ابن كثير في البداية (١٢٩/٣).

(٢) أخرجه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه عن أبي موسى.

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٣٦) وعبد بن حميد (١٤٧٣).

قال الحافظ في الفتح (١٣٧/٧): وفيه دليل على عظم قدرها عنده وعلى مزيد فضلها لأنها أغنته عن غيرها واختصت به بقدر ما اشترك فيه غيرها مرتين لأنه ﷺ عاش بعد أن تزوجها ثمانية وثلاثين عاماً انفردت خديجة منها بخمسة وعشرين عاماً وهي نحو الثلثين من المجموع، ومع طول المدة فسان قلبها من الغيرة ومن نكد الضرائر الذي ربما حصل له هو منه ما يشوش عليه وهي فضيلة لم يشركها فيها غيرها.

(٤) رواه الترمذي (٣٨٧٨) وأحمد (١٣٥/٣) والحاكم (١٥٧/٣): وإسناده صحيح.

(٥) رواه الطبراني في الكبير (١٢١٧٩): وإسناده حسن.

رفع

عبد الرحمن النجدي
(سكنه الله الفردوس)

فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب! ترغب عن ملة عبد المطلب! فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم، هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله.

فقال رسول الله ﷺ: (أما والله! لأستغفرن لك ما لم أنه عنك) فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣] وأنزل الله تعالى في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦] (١).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعمه (قل لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة).

قال: لولا أن تعيرني قريش، يقولون: إنما حمله على ذلك الجزع، لأقررت بها عينك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦] (٢).

* وعن علي بن أبي طالب: «أنه أتى النبي ﷺ فقال: إن أبا طالب مات فقال له ﷺ: (أذهب فواره). فقال: إنه مات مشركاً فقال: (أذهب فواره) (٣)، فلما واريته رجعت إلى النبي ﷺ فقال لي: (اغسل) (٤).

هو في ضحضاح من نار

* عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

أنه سمع النبي ﷺ وذكر عنده عمه فقال: (لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فجعل في ضحضاح من النار (٥) يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه) (٦).

* وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: قال للنبي ﷺ: ما أغنيت عن عمك

(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٤) مناقب الأنصار، ومسلم (٢٤) الإيمان.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥) الإيمان، وأحمد (٤٤١/٢).

(٣) أذهب فواره: أي ادفنه.

(٤) رواه أحمد (٩٥/١) وأبو داود (٣٢١٤) وقال الذهبي في السيرة: هذا حديث حسن متصل.

(٥) الضحضاح: الماء القليل الذي يبلغ الكعبين.

(٦) أخرجه البخاري (٣٨٨٥) مناقب الأنصار، ومسلم (٢١٠) الإيمان.

فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: (هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل^(١) من النار)^(٢).

زواج النبي ﷺ بسودة ثم عائشة (رضى الله عنهما)

لقد كان أصحاب الحبيب ﷺ يعرفون قدر خديجة (رضى الله عنها) عند النبي ﷺ فعندما ماتت كانوا يرجون أن يرزقه الله (عز وجل) بما يخفف عنه من آلامه وأحزانه.. ولكن لم يكن أى واحد منهم يجرؤ أبداً أن يكلم النبي ﷺ فى أمر الزواج فشاء الحق (جل وعلا) أن تتجرأ واحدة من فضليات نساء الصحابة ألا وهى خولة بنت حكيم لتعرض هذا الأمر على رسول الله ﷺ من أجل إدخال الفرح والسرور على قلبه المحزون^(٣).

* عن هشام بن عروة عن أبيه قال:

(توفيت خديجة قبل مخرج النبي ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين، فلبث سنتين أو قريباً من ذلك، ونكح عائشة وهى بنت ست سنين، ثم بنى بها وهى بنت تسع سنين)^(٤).

* وقد جاء من سياق آخر أطول من حديث عائشة رضى الله عنها قال أبو سلمة ويحيى: «لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون فقالت: يا رسول الله ألا تزوج قال: (من؟) قالت: إن شئت بكراً، وإن شئت ثيباً».

قال: (فمن البكر؟) قالت: ابنة أحب خلق الله إليك عائشة بنت أبى بكر.

قال: (ومن الثيب؟) قالت: سودة بنت زمعة قد آمنت بك واتبعتك على ما تقول. قال: (فاذهبي فاذكريهما على).

فدخلت بيت أبى بكر فقالت: يا أم رومان ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟

قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلنى رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة قالت: انتظرى أبا بكر حتى يأتى.

(١) الدرك الأسفل: قعر النار.

(٢) أخرجه البخارى (٣٨٨٣) مناقب الأنصار، ومسلم (٢٠٩) الإيمان.

(٣) صحايات حول الرسول ﷺ / للمصنف (ص: ٧١).

(٤) أخرجه البخارى (٣٨٩٦) مناقب الأنصار.

فجاء أبو بكر فقالت: يا أبا بكر ماذا أدخل عليك من الخير والبركة! قال: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة. قال: وهل تصلح له؟ إنما هي ابنة أخيه.

فرجعت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له قال: ارجعي إليه فقولي له: (أنا أخوك، وأنت أخي في الإسلام، وابنتك تصلح لي) فرجعت فذكرت ذلك له قال: انتظري، وخرج. قالت أم رومان: إن مطعم بن عدى قد ذكرها على ابنه، ووالله ما وعد أبو بكر وعداً فأخلفه.

فدخل أبو بكر رضى الله عنه على مطعم بن عدى وعنده امرأته أم الفتى فقالت: يا ابن أبي قحافة لعلك مصيبء صاحبنا تدخله في دينك الذى أنت عليه إن تزوج إليك؟ فقال أبو بكر للمطعم بن عدى: «أقول هذه تقول! قال: انها تقول ذلك. فخرج من عنده وقد أذهب الله عز وجل ما كان في نفسه من عدته التى وعده.

فرجع فقال لخولة: ادعى لى رسول الله ﷺ، فدعته فزوجها إياه، وعائشة يومئذ بيت ست سنين.

ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقالت: ما أدخل الله عليك من الخير والبركة؟ قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطبك إليه.

قالت: وددت، ادخلى إلى أبى فاذكرى ذلك له. وكان شيخاً كبيراً قد أدركه السن قد تخلف عن الحج، فدخلت عليه فحييته بتحية الجاهلية.

فقال: من هذه؟ قالت: خولة بنت حكيم. قال: فما شأنك؟ قالت: أرسلني محمد بن عبد الله ﷺ أخطب عليه سودة. فقال: كفء كريم، ماذا تقول صاحبتك؟ قالت: تحب ذلك. قال: ادعيها إلى.

فدعيتها قال: أى بنيه، إن هذه تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك وهو كفء كريم، أتخبين أن أزوجك به؟ قالت: نعم. قال: ادعيه لى، فجاء رسول الله ﷺ فزوجها إياه.

فجاء أخوها عبد بن زمعة من الحج، فجعل يحثى على رأسه التراب، فقال بعد أن أسلم: لعمرى لى لسفيه يوم أحثى فى رأسى التراب، أن تزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة.

عبد الرحمن بن العنبري
(سكنه الله الفردوس)

قالت عائشة: فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج في السنح^(١).
 قالت: فجاء رسول الله ﷺ فدخل بيتنا، واجتمع إليه رجال من الأنصار ونساء،
 فجاءتني أمي وإني لفي أرجوحة^(٢) بين عذقين^(٣) يرجح لى، فأنزلتني من الأرجوحة
 ولى جميمة^(٤)، ففرقتها ومست وجهى بشيء من ماء، ثم أقبلت تقودنى حتى وقفت بى
 عند الباب، وإني لأنهج^(٥) حتى سكن من نفسى، ثم دخلت بى، فإذا رسول الله ﷺ
 جالس على سرير فى بيتنا، وعنده رجال ونساء من الأنصار فأجلستنى فى حجره، ثم
 قالت: هؤلاء أهلك، فبارك الله لك فيهم، وبارك لهم فيك، فوثب الرجال والنساء
 فخرجوا، وبنى بى رسول الله ﷺ فى بيتنا ما نُحرت جزور، ولا ذُبحت على شاة، حتى
 أرسل إلينا سعد بن عباد بجفنة^(٦) كان يرسل بها إلى رسول الله ﷺ إذا دار إلى نسائه،
 وأنا يومئذ ابنة تسع سنين^(٧).

إنا كفيناك المستهزئين

وبعد وفاة عمه (أبو طالب) تجرأت قريش على النبي ﷺ وأصحابه ونالت منه ما لم
 تنله فى حياة عمه حتى إن واحداً من هؤلاء السفهاء تجرأ عليه ونثر التراب على رأسه.
 * عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «إن العاص بن وائل أخذ عظماً من البطحاء
 ففقه بيده، ثم قال لرسول الله ﷺ: أياحى الله هذا بعدما أرم^(٨)؟ فقال: رسول الله ﷺ:
 (نعم، يميمك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم) قال: ونزلت الآيات من آخر يس^(٩).

- (١) السنح: مكان بعمالى المدينة فيه منازل بني الحارث بن الخزرج.
 (٢) الأرجوحة: جبل يشد طرفاه فى موضع ما ثم يركبه الانسان ويحرك وهو فيه، سمي به لتحركه مجيئة
 وذهاب.
 (٣) العذق: النخلة.
 (٤) جميمة: الشعر الذى يسقط بين المنكبين.
 (٥) أنهج: أتنفس تنفساً عميقاً.
 (٦) الجفنة: القصعة التى فيها الطعام.
 (٧) أحمد فى المسند (٦/٢١٠، ٢١١) وقال ابن كثير فى سيرته: (٢/١٤٢) هذا السياق كأنه مرسل وهو
 متصل، وقال الذهبى فى السيرة: (١٨٤) إسناده حسن.
 (٨) أرم: فنى وانتهى.
 (٩) أخرجه الحاكم: (٢/٤٢٩) من طريق عمرو بن عون عن هشيم وقال صحيح على شرط الشيخين ولم
 يخرجاه، وقال ابن كثير فى التفسير: (٣/٥٨١) أخرجه ابن أبى حاتم.

عبد الرحمن بن القاسم
 أئمة الدين أبو حاتم

✽ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال:

فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥] قال: المستهزئون: الوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث الزهرى، وأبو زمعة الأسود بن المطلب من بنى أسد بن عبد العزى، والحارث بن عيطل السهمى، والعاص بن وائل، فأتاه جبريل فشكاهم النبى ﷺ إليه، فأراه الوليد وأوماً جبريل إلى أبجله^(١) فقال: ما صنعت؟ قال: كفيته، ثم أراه الأسود فأوماً جبريل إلى عينه فقال: ما صنعت؟ قال: كفيته، ثم أراه أبا زمعة فأوماً إلى رأسه فقال: ما صنعت؟ قال: كفيته ثم أراه الحارث فأوماً إلى رأسه أو بطنه وقال: كفيته، ومر به العاص فأوماً إلى أخمصه وقال: كفيته.

فأما الوليد فمر برجل من خزاعة وهو يرش نبالاً^(٢)، فأصاب أبجله فقطعها، وأما الأسود فعمى، وأما ابن عبد اليغوث فخرج فى رأسه قروح فمات منها، وأما الحارث فأخذه الماء الأصفر فى بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات منها، وأما العاص فدخل فى رأسه شبرقة^(٣) حتى امتلأت فمات منها، وقال غيره: أنه ركب إلى الطائف حماراً فربض به على شوكة، فدخلت فى أخمصه فمات منها^(٤).

ويوم يعص الظالم على يديه

✽ عن ابن عباس رضى الله عنهما:

«أن أبا معيط كان يجلس مع النبى ﷺ بمكة لا يؤذيه، وكان رجلاً سليماً، وكان بقية قریش إذا جلسوا معه آذوه، وكان لأبى معيط خليل غائب عنه بالشام، فقالت قریش: صباً أبو معيط، وقدم خليله من الشام ليلاً فقال لامرأته: ما فعل محمد مما كان عليه؟ فقالت: أشد مما كان أمر، فقال: ما فعل خليلى أبو معيط؟ فقالت: صباً^(٥). فبات بلبلة سوء، فلما أصبح أتاه أبو معيط فحياه فلم يرد عليه التحية.

فقال: مالك لا ترد على تحيتى؟ فقال: كيف أرد عليك تحيتك وقد صبت؟

فقال: أو قد فعلتها قریش؟ قال: فما يبرىء صدورهم إن أنا فعلت؟

(١) الأبجل: عرق فى باطن الذراع وقيل هو عرق غليظ فى الرجل فيما بين العصب والعظم.

(٢) يرش نبالاً: يركب لها الریش.

(٣) شبرقة: نبت حجازى له شوكة.

(٤) الذهبى فى السيرة النبوية: ص ١٤٣ وقال: حديث صحيح.

(٥) صباً: ترك دينه واتبع ديناً آخر.

رفع
عن (الرحمى) (النجدي)
(أسكنه الله الفردوس)

فقال: تأتبه في مجلسه وتبزق في وجهه، وتشتمه بأخبث ما تعلمه من الشتم، ففعل فلم يزد النبي ﷺ أن مسح وجهه من البزاق، ثم التفت إليه فقال: إن وجدتك خارجاً من جبال مكة، أضرب عنقك صبراً.

فلما كان يوم بدر وخرج أصحابه، أبى أن يخرج، فقال له أصحابه: أخرج معنا. قال: قد وعدني هذا الرجل، إن وجدني خارجاً من جبال مكة أن يضرب عنقي صبراً».

فقالوا: لك جمل أحمر، لا يدرك، فلو كانت الهزيمة طرت عليه، فخرج معهم فلما هزم الله المشركين، ووَحَلَّ^(١) به جملة في جدد من الأرض. فأخذه رسول الله ﷺ أسيراً في سبعين من قريش، وقدم إليه أبو معيط فقال: تقتلني من بين هؤلاء؟ قال: نعم بما بزقت في وجهي، فأنزل الله في أبي معيط ﴿وَيَوْمَ يَعَضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً﴾ [الفرقان: ٢٧: ٢٩] (٢).

النبي ﷺ يدعو على قريش

* عن مسروق قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

(إنما كان هذا لأن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسنى يوسف، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان: ١٠، ١١].

قال: فأتى رسول الله ﷺ فقبل: يا رسول الله: استسقى الله لمضر، فإنها قد هلك، قال: (لمضر؟ إنك لجرىء) فاستسقى فسقوا فترلت: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ [الدخان: ١٥].

فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم، حين أصابتهم الرفاهية، فأنزل الله عز وجل ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦] قال يعني يوم بدر (٣).

(١) الوحل: الطين الرقيق ووحل الرجل أى وقع في الوحل.

(٢) الدر المنثور: (٦٨/٥) وقال أخرجه ابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل رقم: ٤٠١ بسند صحيح من طريق

سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وفي رواية عبد الرزاق المرسلة، عقبة بن أبى معيط.

(٣) أخرجه البخارى (٤٨٢١، ٤٨٢٢) التفسير، ومسلم (٢٧٩٨) صفات المنافقين:

أرضى بجوار الله عز وجل

وكما اشتدت وطأة أهل مكة على النبي ﷺ اشتدت على أصحابه، حتى النجاء رفيقه أبو بكر الصديق رضى الله عنه إلى الهجرة عن مكة، فخرج حتى بلغ برك الغماد يريد الحبشة، فأرجعه ابن الدغنة في جواره.

✽ عن عائشة رضى الله عنها قالت:

(لم أعقل أبوى قط إلا وهما يدينان الدين^(١))، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا رسول الله ﷺ طرفى النهار: بكرة وعشية، فلما ابتلى المسلمون، فخرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى بلغ برك الغماد^(٢) لقيه ابن الدغنة وهو سيد القاره، قال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجنى قومى^(٣)، فأريد أن أسيع^(٤) فى الأرض، وأعبد ربى.

قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج، ولا يخرج، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار^(٥)، ارجع واعبد ربك ببلدك، فرجع، وارتحل معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشية فى أشراف قریش، فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله، ولا يخرج. أخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقرى الضيف، ويعين على نوائب الحق؟

فلم تكذب قریش بجوار ابن الدغنة^(٦)، وقالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر، فليعبد ربه فى داره، فليصل فيها، وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك، ولا يستعلن به، فإننا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا. فقال ذلك ابن الدغنة لأبى بكر، فلبث^(٧) أبو بكر بذلك يعبد ربه فى داره، ولا يستعلن بصلاته، ولا يقرأ فى غير داره، ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجداً بفناء داره، وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن، فيتقذف^(٨) عليه نساء المشركين وأبنائهم وهم

(١) يدينان الدين: يعنى بدين الاسلام.

(٢) برك الغماد: منطقة من مناطق اليمن.

(٣) أخرجنى قومى: تسببوا باخراجى.

(٤) أسيع: السير فى الأرض.

(٥) أنا لك جار: أى أجيرك وأمنعك ممن يؤذيك.

(٦) لم تكذب جواره: لم ترد جواره.

(٧) لبث: مكث.

(٨) يتقذف: يزدحم.

رفع
عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

يعجبون منه، وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً لا يملك عينه^(١) إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم عليهم، فقالوا: إنا كنا أجرتنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فأنهه، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أباي إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد إليك ذمتك^(٢)، فإنا قد كرهنا أن نخفرك^(٣)، وللسنا بمقرين لأبي بكر الاستعلان.

قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال: قد علمت الذي عاقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترجع إليّ ذمتي، فإني لا أحب أن تسمع العرب أنني أخفرت في رجل عقدت له.

فقال أبو بكر: فإني أرد إليك جوارك، وأرضى بجوار الله، عز وجل^(٤).

عثمان بن مظعون يرد جوار الوليد بن المغيرة

وكان عثمان رضى الله عنه فيمن رجع من الحبشة ودخل مكة في جوار الوليد بن المغيرة حتى لا يتعرض لأذى المشركين ولكنه بعد فترة يسيرة أراد أن يرد جوار الوليد بن المغيرة لأنه رأى إخوانه يُعذّبون في سبيل الله وهو في أمن وعافية فلم يرض لنفسه بذلك.

✽ عن ابن إسحاق قال: حدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن عثمان قال:

«لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء، وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة، قال: والله إن غدوى ورواحى آمناً بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني، لنقص كبير في نفسي.

فمشى إلى الوليد بن المغيرة، فقال له: يا أبا عبد شمس، وفّت ذمتك، قد رددت إليك

(١) لا يملك عينه: لا يمسكهما من البكاء.

(٢) ذمتك: أمانك له.

(٣) نخفرك: نغدر بك.

(٤) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة رقم: (٣٩٠٥).

رفع

عبد الرحمن بن أبي بكر
أبو بكر بن عبد الرحمن بن أبي بكر

جوارك، فقال له: لمَ يا ابن أخي؟ لعله آذاك أحد من قومي، قال: لا، ولكنني أرضى بجوار الله، ولا أريد أن أستجير بغيره؟

قال: فانطلق إلى المسجد، فاردد على جوارى علانية كما أجرتك علانية. قال: فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد فقال الوليد: هذا عثمان قد جاء يرد على جوارى، قال: صدق، قد وجدته وفيًا كريم الجوار، ولكنني قد أحبيت أن لا أستجير بغير الله، فقد رددت عليه جواره، ثم انصرف عثمان، وليد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب في مجلس من قريش ينشداهم (يعني الشعر) فجلس معهم عثمان، فقال لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل قال عثمان: صدقت. قال لبيد: وكل نعيم لا محالة زائل

قال عثمان: كذبت... نعيم الجنة لا يزول. قال لبيد بن ربيعة: يا معشر قريش، والله ما كان يؤذى جليسيكم فمتى حدث هذا فيكم؟

فقال رجل من القوم: إن هذا سفيه في سفهاء معه، قد فارقوا ديننا، فلا تجد في نفسك من قوله، فرد عليه عثمان حتى شرى^(١) أمرهما، فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فحضرها^(٢)، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان، فقال: أما والله يا ابن أخي إن كانت عينك عما أصابها لغنية، لقد كنت في ذمة منيعة، قال: يقول عثمان: بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله، وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس، فقال له الوليد: هلم يا ابن أخي إن شئت فعد إلى جوارك، فقال: لا^(٣).

قصة ابن أم مكتوم (رضي الله عنه)

* عن عائشة رضي الله عنها: (أنزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ [عبس: ١] في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه، ويقبل على الآخر ويقول: ترى بما أقول بأسًا، ففي هذا نزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ [عبس: ١]^(٤).

(١) شرى: زاد وعظم وتفاقم.

(٢) حضرها: سودها أو أتلّفها.

(٣) رواه أبو نعيم (١٠٣/١، ١٠٤) والبيهقي (٢٩٢/٢) وهو حسن بشواهده.

(٤) أخرجه الترمذي في تفسير القرآن ومن سورة عبس رقم: (٣٣٣١) وقال: حديث حسن غريب، وروى =

النبي ﷺ يخرج ليدعو أهل الطائف

اشتدت مقاومة قريش للدعوة الإسلامية، ونالت من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب. فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف وحده - من أجل إيجاد مركز جديد للدعوة - يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه. ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل ولكن ثقيفا لم تستجب له، وأغرى زعماءها وأشرفها صبيانهم وعبيدهم وسفاهم، يسبون ويصيحون به، واجتمع عليه الناس ورشقوه بالحجارة^(١).

✽ عن محمد بن كعب القرظي: قال: لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف، عمد إلى نفر من ثقيف، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرفهم، وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل بن عمرو بن عمير، ومسعود بن عمرو، وحبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة ابن عوف بن ثقيف، وعند أحدهم امرأة من قريش من بنى جمح، فجلس إليهم رسول الله ﷺ فدعاهم إلى الله، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام، والقيام على من خالفه من قومه، فقال له أحدهم: هو يمرط^(٢) ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك! وقال الثالث: والله لا أكلمك أبداً، لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله، ما ينبغي لي أن أكلمك.

فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يش من خير ثقيف، وقال لهم فيما ذكر لي: إذا فعلتم ما فعلتم فاكموا عني، وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه عنه فيذئروهم^(٣) ذلك عليه، فلم يفعلوا، وأغروا به سفاههم وعبيدهم، يسبون ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، وألجؤوه إلى حائط لعنة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه، ورجع عنه من

= بعضهم هذا الحديث عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: نزل عبس وتولى في ابن أم مكتوم ولم يذكر عائشة، وقال العراقي في تخريج الإحياء: (٢٤٤/٤) رجاله رجال الصحيح، وابن جبان رقم: ١٧٦٩، وابن جرير تفسير: (٥٠/٣٠) والحاكم: (٥١٤/٢) وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، فقد أرسله جماعه عن هشام بن عروة، قال الذهبي: وهو الصواب. وله شاهد من حديث أنس أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وأبو يعلى انظر في ذلك فتح القدير للشوكاني: (٣٨٦/٥).

(١) نضرة النعيم (١/٢٤٥).

(٢) يمرط: يمزق.

(٣) يذئروهم: يحرضهم، ويحرضهم.

رفع
عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعمد إلى ظل حبله من عنب^(١)، فجلس فيه، وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف، وقد لقي رسول الله ﷺ فيما ذكر المرأة التي من بنى جمع فقال لها: (ماذا لقينا من أحمائك؟)^(٢).

اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي

وأصيب الرسول ﷺ في أقدامه، فسالت منها الدماء واضطره المطاردون أن يلجأ إلى بستان لعتبة، وشيبة، ابني ربيعة، حيث جلس في ظل كرمه يلتبس الراحة والأمن. وكان أصحاب البستان فيه، فصرفوا الأوباش عنه، واستوحش الرسول عليه الصلاة والسلام لهذا الحاضر المرير، وثابت إلى نفسه ذكريات الأيام التي عاناها مع أهل مكة، إنه يجرر وراءه سلسلة ثقيلة من المآسى المتلاحقة^(٣).

* عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما قال: «لما توفى أبو طالب خرج النبي ﷺ إلى الطائف ماشياً على قدميه، يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه، فانصرف فأتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال:

(اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، أنت أرحم الراحمين، إلى من تكلني إلى عدو يتجهمني، أم إلى قريب ملكته أمري، إن لم تكن غضبان علي فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بوجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلاح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن ينزل بي غضبك، أو يحل بي سخطك، لك العتبى^(٤) حتى ترضى ولا قوة إلا بالله)^(٥).

(١) الحبل: طاقات من قضبان الكرم.

(٢) أخرج القصة بطولها ابن هشام: (٤١٩/١) والطبري في التاريخ: (٣٤٤/٢، ٣٤٦) والطبراني كما في مجمع الزوائد: (٣٥/٦)، بسند صحيح عن ابن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي مرسلاً، مضافاً إليها قصة عداس وانكابه على يدى الرسول بدون الدعاء فقد جاء بغير سند، والبيهقي في الدلائل: (٤١٥، ٤١٧) من مرسل الزهري، فيتقوى به.

(٣) فقه السيرة للغزالي (ص: ١٤٦).

(٤) العتبى: الرضا.

(٥) قال الهيثمي في المجمع (٣٥/٦) رواه الطبراني وفيه ابن إسحاق مدلس ثقة وبقيه رجاله ثقات، وأخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوى: (٢٧٥/٢) رقم: (١٨٣٩) وله شاهد في ذهابه إلى الطائف.

إسلام «عداس»

من حديث محمد بن كعب القرظي السابق.

قال: «فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة، وما لقي، تحركت له رحمهما، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عداس، فقالا له: خذ قطعاً من هذا العنب، فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه، ففعل عداس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ ثم قال له: كل.

فلما وضع رسول الله ﷺ فيه يده، قال: باسم الله، ثم أكل، فنظر عداس في وجهه، ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ: ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟ قال: نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى

فقال رسول الله ﷺ: من قرية الرجل الصالح يونس بن متى، فقال له عداس: وما يدرك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله ﷺ: ذاك أخي، كان نبياً وأنا نبي، فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه.

قال: يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك. فلما جاءهما عداس قالاه له: ويلك يا عداس! مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي، قالاه له: ويحك يا عداس، لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه.

الله (عز وجل) يرسل إليه جبريل وملك الجبال (عليهما السلام)

✽ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قلت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟

قال: لقد لقيت من قومك^(١)، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة^(٢) إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على

(١) لقيت من قومك: المراد من قومها قريش.

(٢) يوم العقبة: هو اليوم الذي وقف فيه النبي ﷺ عند العقبة بمنى، داعياً الناس إلى الإسلام، فما أجابوه وأذوه.

وجهي^(١) فلم أستفق إلا بقرن الثعالب^(٢)، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلنتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. قال: فناداني ملك الجبال، فسلم عليّ، ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين^(٣)؟ فقال له رسول الله ﷺ (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً)^(٤).

إسلام نصر من الجن في وادي نخلة

وفي طريق عودته من الطائف، أقام الرسول ﷺ أياماً في وادي نخلة القريب من مكة، وخلال فترة إقامته هذه بعث الله إليه نفرًا من الجن استمعوا إلى القرآن الكريم، وأسلموا وعادوا إلى قومهم منذرين ومبشرين كما ذكر الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَإِذْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّندِرِينَ ۖ﴾ ^(٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ^(٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيَجْرِثَكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ^(٣١) [الأحقاف ٢٩-٣١].

عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال: «ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رآهم، انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ^(٥)، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب.

قال: وما ذلك إلا من شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها^(٦)، فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة برسول الله ﷺ وهو بنخلة، وهو عامد إلى سوق عكاظ

(١) على وجهي: أي على الجهة المواجهة لوجهي.

(٢) فلم أستفق إلا بقرن الثعالب: لم أفطن لنفسى وأنتبه لحالي، قرن الثعالب: قرن المنازل.

(٣) الأخشبين: الأخشب من الجبال: الخشن الغليظ، وهما جبلا مكة: أبو قيس، والجبل الذي يقابله.

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٣١) بدء الخلق، ومسلم (١٧٩٥) الجهاد والسير.

(٥) سوق عكاظ: موضع قرب مكة كانت تقام به في الجاهلية سوق يقيمون فيه أياما.

(٦) مشارق الأرض ومغاربها: سيروا فيها كلها.

رفق
عن الرحيم (الرحيم)
أسكنه الله الفردوس

وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فرجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآنًا عجبا يهدي إلى الرشd فأمنّا به ولن نشرك بربنا أحداً، فأوحى الله إلى نبيه ﷺ ﴿قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١] (١).

الإسراء والمعراج

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِّنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

لقد كان لفقد الرسول ﷺ لعمه وزوجته، وما قاساه بعدهما من اشتداد أذى قريش وما أسفرت عنه محاولته إلى الطائف من مشاق ونتائج أليمة، ثم ما لقيه من قريش عند عودته إلى مكة من عنت وصلف بدت آثارها على النبي ﷺ وقد رأينا كيف أنه توجه إلى الله تعالى شاكياً همومه ومعاناته، ملتمساً النصر، مجدداً العزم على المضى قدماً في تحمل مسؤوليته في نشر الدعوة، مستهيناً بكل الصعاب مادام الله راضياً عنه.

* وقعت حادثة الإسراء والمعراج بعد هذه الغمرة من المآسى والأحزان والشدائد المتلاحقة، فكان ذلك تسرية عن نفس النبي ﷺ ومواساة له وتكريماً وتثبيتاً. وقد وقع ذلك في السنة العاشرة من المبعث، بعد وفاة عمه أبا طالب، وقبل هجرته إلى المدينة بأكثر قليلاً من السنة (٢).

* قال الشيخ الجزائري - حفظه الله - عن الإسراء والمعراج:

كان مكافأة ربانية على ما لاقاه الحبيب ﷺ من أتراح وآلام وأحزان؛ إذ كان بعد حصار دام ثلاث سنوات في شعب أبي طالب. وما لاقى أثناءه من جوع وحرمان، إنه كان بعد فقد الناصر الحميم، وفقد خديجة أم المؤمنين... إنه كان بعد خيبة الأمل في ثقيف، وما ناله من سفهائها وصبيانها وعبيدها. بعد هذه الآلام كافأ الحبيب حبيبه فرفعه إليه وقربه وأدناه، وخلع عليه من حلل الرضا ما أنساه كل ما كان قد لاقاه، من حزن وألم ونصب وتعيب، وما قد يلاقيه في سبيل إبلاغ رسالته ونشر دعوته، فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما ذكر الله الذاكرون، وما غفل عن ذكره الغافلون (٣).

(١) أخرجه البخاري (٤٩٢١) التفسير، ومسلم (٤٤٩) الصلاة.

(٢) نضرة النعيم (١/٢٤٦).

(٣) هذا الحبيب يا محب (ص: ١٣٥).

مشاهد الإسراء والمعراج

✽ عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (أُتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه) قال: فركبته حتى أُتيت بيت المقدس قال: فربطته بالحلقة^(١) التي يربط بها الأنبياء. قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن، فقال جبريل ﷺ: اخترت الفطرة^(٢) (فذكر الحديث)^(٣).

✽ وعن مالك بن صعصعة رضى الله عنه والذي رواه عنه أنس رضى الله عنه:

قال مالك: إن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أُسرى به، قال: (بينما أنا في الخطيم^(٤) - وربما قال في الحجر - مضطجعاً إذ أتاني آت^(٥)، فقد... قال: وسمعتة يقول: فشق ما بين هذه إلى هذه، فقلت للجارود - وهو إلى جنبى: «ما يعنى به؟» قال: «من ثغرة نحره^(٦) إلى شعرته^(٧)»، وسمعتة يقول: (من قصه^(٨)) إلى شعرته، فاستخرج قلبي ثم أُتيت بطيست من ذهب مملوءة إيماناً، فغُسل قلبي، ثم حُشى، ثم أُعيد، ثم أُتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض) فقال له الجارود: هو البراق يا أبا حمزة؟ قال أنس: نعم، يضع خطوه عند أقصى طرفه^(٩)، فحملت عليه.

(فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح^(١٠)). قيل: من هذا؟ قال: جبريل،

(١) الحلقة: المراد باب مسجد بيت المقدس.

(٢) الفطرة: الإسلام، والاستقامة.

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله وفرض الصلوات رقم الحديث: ١٦٢، وقد جاء اختيار النبي عليه السلام من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عند البخارى فى كتاب الأشربة باب شرب اللبن وفى الأنبياء باب هل أتاك حديث موسى، وصحيح مسلم الإيمان باب الإسراء برسول الله إلى السموات رقم: ١٦٨.

(٤) الخطيم: هو ما بين الركن والمقام.

(٥) آت: هو جبريل عليه السلام.

(٦) ثغرة النحر: الموضع المنخفض فى أدنى الرقبه من الامام.

(٧) شعرته: شعر عاتقه وهو ما ينبت حول العورة.

(٨) القص: رأس عظام الصدر.

(٩) يضع خطوه عند أقصى طرفه: يضع رجله عند منتهى بصره.

(١٠) استفتح: طلب فتح باب السماء الدنيا.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به^(١)، فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت، فإذا فيها آدم، فقال: هذا أبوك آدم فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد السلام، ثم قال: مرحباً بالابن الصالح، والنبى الصالح.

ثم صعد بى حتى أتى السماء الثانية فاستفتح: قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت إذا يحيى وعيسى، وهما ابنا خالة، قال: هذا يحيى وعيسى، فسلم عليهما. فسلمت، فردا، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح.

ثم صعد بى إلى السماء الثالثة، فاستفتح: قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت إذا يوسف، قال: هذا يوسف فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح.

ثم صعد بى حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح: قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أو قد أرسل إليه قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت فإذا إدريس، قال: هذا إدريس فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح.

ثم صعد بى حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح: قيل: من هذا، قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا هارون، قال: هذا هارون، فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح.

ثم صعد بى حتى أتى السماء السادسة فاستفتح: قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قال: مرحباً به، فنعم المجيء جاء. فلما خلصت: فإذا موسى، قال: هذا موسى فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح، والنبى الصالح. فلما تجاوزت بكى. قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكى لأن غلاماً^(٢) بُعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتى.

(١) مرحباً به: أصاب رجلاً وسعة.

(٢) أبكى لأن غلاماً.. ليس هذا على سبيل النقص بل على سبيل التنويه بقدرة الله وعظم كرمه إذا أعطى لمن كان فى ذلك السن ما لم يعطه أحداً قبله من هو أسن منه.

رَفْعُ
عبد الرحمن النخعي
أُسْلَمَ النَّبِيُّ الْفَرْدُوسِي

أن الأوان لانتقال القيادة الروحية من أمة إلى أمة

يرى القارئ في سورة الإسراء أن الله ذكر قصة الإسراء في آية واحدة فقط، ثم أخذ في ذكر فضائح اليهود وجرائمهم، ثم نبههم بأن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، فربما يظن القارئ أن الآيتين ليس بينهما ارتباط، والأمر ليس كذلك؛ فإن الله تعالى يشير بهذا الأسلوب إلى أن الإسراء إنما وقع إلى بيت المقدس؛ لأن اليهود سيعزلون عن منصب قيادة الأمة الإنسانية؛ لما ارتكبوا من الجرائم التي لم يبق معها مجال لبقائهم على هذا المنصب، وأن الله سينقل هذا المنصب فعلاً إلى رسوله ﷺ ويجمع له مركزى الدعوة الإبراهيمية كليهما، فقد آن أوان انتقال القيادة الروحية من أمة إلى أمة... من أمة ملأت تاريخها بالغدر والخيانة والإثم والعدوان، إلى أمة تتدفق بالبر والخيرات، ولا يزال رسولها يتمتع بوحى القرآن الذى يهدي للتي هي أقوم.

ولكن كيف تنتقل هذه القيادة، والرسول يطوف في جبال مكة مطروداً بين الناس، هذا السؤال يكشف الغطاء عن حقيقة أخرى، وهى أن دوراً من هذه الدعوة الإسلامية قد أوشك إلى النهاية والتمام، وسيبدأ دور آخر يختلف عن الأول في مجراه، ولذلك نرى بعض الآيات تشتمل على إنذار سافر ووعد شديد بالنسبة إلى المشركين: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ۖ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء ١٦، ١٧]، ويجنب هذه الآيات آيات أخرى تبين للمسلمين قواعد الحضارة وبنودها ومبادئها التي يبتنى عليها مجتمعهم الإسلامى، كأنهم قد أووا إلى الأرض، تملكوا فيها أمورهم من جميع النواحي، وكونوا وحدة متماسكة تدور عليها رضى المجتمع، ففيه إشارة إلى أن الرسول ﷺ سيجد ملجأ ومأماً يستقر فيه أمره، ويصير مركزاً لبث دعوته فى أرجاء الدنيا، هذا سر من أسرار هذه الرحلة المباركة، يتصل ببحثنا، فآثرنا ذكره.

ولأجل هذه الحكمة وأمثالها نرى أن الإسراء إنما وقع إما قبيل بيعة العقبة الأولى أو بين العقبين، والله أعلم^(١).

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
(سلكه الله الفردوس)

(١) الرحيق المختوم (ص: ١٤٥، ١٤٦).

هل رأى النبي ﷺ ربه (عز وجل)؟

واختلف الصحابة: هل رأى النبي ﷺ ربه تلك الليلة، أم لا؟ فصَحَّ عن ابن عباس أنه رأى ربه، وصَحَّ عنه أنه قال: رآه بفؤاده^(١).

وصَحَّ عَنْ عَائِشَةَ وَأَبْنِ مَسْعُودٍ إِنَّكَارُ ذَلِكَ، وَقَالَا: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣، ١٤] إِنَّمَا هُوَ جَبْرِيلُ^(٢).

وَصَحَّ عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّهُ سَأَلَهُ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ فَقَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ» أَيْ: حَالُ بَيْنِي وَبَيْنَ رُؤْيَيْهِ النُّورُ كَمَا قَالَ فِي لَفْظٍ آخَرَ: «رَأَيْتُ نُورًا»^(٣).

وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي اتفاق الصحابة على أنه لم يره^(٤).

الله (عز وجل) يجلى بيت المقدس للنبي ﷺ

فلما أصبح رسول الله ﷺ في قومه، أخبرهم بما أراه الله عز وجل من آياته الكبرى، فأشْتَدَّ تَكْذِيبُهُمْ لَهُ، وَأَذَاهُمْ وَضُرَاوَتُهُمْ عَلَيْهِ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يَصِفَ لَهُمْ بَيْتَ الْمَقْدَسِ، فَجَلَّاهُ اللَّهُ لَهُ حَتَّى عَايَنَهُ، فَطَفِقَ يُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ شَيْئًا^(٥).

وَأَخْبَرَهُمْ عَنْ عِيَرِهِمْ فِي مَسَرَّاهُ وَرَجُوعِهِ، وَأَخْبَرَهُمْ عَنْ وَقْتِ قُدُومِهَا وَأَخْبَرَهُمْ عَنِ الْبَعِيرِ الَّذِي يَقْدُمُهَا، وَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ^(٦)، فَلَمْ يَزِدْهُمْ ذَلِكَ إِلَّا نَفُورًا، وَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا.

(١) أخرجه مسلم (١٧٦) (٢٨٤) الإيمان.

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٦/٨) التفسير، ومسلم (١٧٧) الإيمان.

(٣) أخرجه مسلم (١٧٨) (٢٩١) الإيمان.

(٤) زاد المعاد (٣/٣٦، ٣٧).

(٥) أخرجه البخاري (٢٩٧/٨) التفسير، ومسلم (١٧٠) الإيمان.

(٦) رواه أحمد (٣٧٤/١) بإسناد حسن.

بعض ما رآه النبي ﷺ

* عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لما عُرج بى إلى السماء بينما أنا أسير فى الجنة إذ أنا بنهر حافتاه قباب الدرّ المجوف. قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذى أعدّه ربك، فإذا طينه مسك أذفر) (١).

* وعن سليمان الشيبانى قال: سألت زراً عن قوله عز وجل: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٩] قال: أخبرنا عبد الله: أن محمداً ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح (٢).

* وعن عبد الله بن مسعود: قال: «لما أُسرى برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدره المنتهى، وهى فى السماء السادسة، إليها ينتهى ما يعرج به من الأرض، فيقبض منها، وإليها ينتهى ما يهبط به من فوقها، فيقبض منها، قال: ﴿إِذْ يَغْشَى السَّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ [النجم: ١٦]، قال: فراش من ذهب، قال: فأعطى رسول الله ﷺ ثلاثاً: أُعطى الصلوات الخمس، وأعطى خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً المقحّمات (٣)» (٤).

* وعن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠].

قال: «هى رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أُسرى به إلى بيت المقدس قال: ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾ قال: هى شجرة الزقوم» (٥).

وكانت حادثة الإسراء والمعراج قبل هجرته عليه السلام بسنة. هكذا قال القاضى عياض فى الشفا (٦).

(١) أخرجه البخارى (٦٥٨١) الرقاق - والترمذى (٣٣٦٠).

(٢) أخرجه البخارى (٤٨٥٦) التفسير - ومسلم (١٧٤) الإيمان.

(٣) المقحّمات: الذنوب العظام التى تقحم أصحابها فى النار.

(٤) أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان باب فى ذكر سدره المنتهى حديث رقم: (١٧٣).

(٥) أخرجه البخارى فى مناقب الأنصار باب فى المعراج حديث رقم: (٣٨٨٨).

(٦) الشفا بحقوق المصطفى: (١٠٨/١).

رقم
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

موقف الصديق (رضي الله عنه) في قصة الإسراء والمعراج

ولما كانت رحلة الإسراء والمعراج جاء المشركون إلى أبي بكر فقالوا له: إن صاحبك يزعم أنه أُسرى به إلى المسجد الأقصى في الليلة الماضية ونحن نقطع أكباد الإبل إليها في شهر كامل، فقال أبو بكر: إن كان قال فقد صدق.

وفي رواية: وبادر الصديق إلى التصديق وقال: إني لأصدقك في خبر السماء بكرة وعشية، أفلا أصدقك في بيت المقدس؟! (١)

ولذلك يُقال: إن أبا بكر سُمي صديقاً من حادثة الإسراء والمعراج؛ لأن النبي ﷺ قال ليلة أُسرى به لجبريل إن قومي لا يصدقوني فقال له جبريل: يصدقك أبو بكر وهو الصديق (٢).

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يحلف أن الله عز وجل أنزل اسم أبي بكر من السماء (الصديق) (٣).

المسجد الأقصى الذي باركنا حوله

قال القاسمي: والأقصى بمعنى الأبعد، سُمي بذلك لبعده عن مكة، وقوله: ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ أي جوانبه ببركات الدين والدنيا، لأن تلك الأرض المقدسة مقر الأنبياء، ومهبط وحيتهم، ومنمى الزروع والثمار، فاكتنفته البركة الإلهية من نواحيه كلها، فبركته إذن مضاعفة، لكونه في أرض مباركة، ولكونه من أعظم مساجد الله تعالى، والمساجد بيوت الله، ولكونه متعبد الأنبياء ومقامهم ومهبط وحيه عليهم، فبورك منه ببركتهم ويمنتهم أيضاً.

وقد قيل في خصائص (الأقصى) أنه متعبد الأنبياء السابقين، ومسرى خاتم النبيين، ومعراجة إلى السماوات العلى، والمشهد الأسمى، بيت نوه الله به في الآيات المفصلة، وتُليت فيه الكتب الأربعة المنزلة لأجله أمسك الله الشمس على يوشع أن تغرب ليتيسر فتحه على من وعدوا به ويقرب، وهو قبلة الصلاة في الملتين وفي صدر الإسلام بعد

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ١٠٨).

(٢) النبصرة لابن الجوزي (١/ ٣٣٨، ٤٠٢).

(٣) قال ابن حجر في «الفتح» (١١/ ٧): رواه الطبراني ورجاله ثقات.

الهجرتين، وهو أولى القبليتين، وثانى المسجدين، وثالث الحرمين، لا تُشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه ولا تعقد الخناصر بعد المواطنين إلا عليه. انتهى.

* ومن فضائله ما رواه الإمام أحمد والنسائي والحاكم وصححه عن ابن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: إن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل ربه ثلاثاً فأعطاه اثنتين وأنا أرجو أن يكون أعطاه الثالثة:

سأله حكماً يصادف حكمه فأعطاه إياه.

وسأله ملكاً لا ينبغى لأحد من بعده فأعطاه إياه.

وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد يعنى بيت المقدس خرج من خطيبته كيوم ولدته أمه قال النبي ﷺ: ونحن نرجوا أن يكون الله أعطاه ذلك^(١).

* فنسأل الله عز وجل أن يطهر المسجد الأقصى من دنس اليهود الأنجاس وأن يرده إلى المسلمين بعد أن يرد المسلمين إلى دينه وإلى سنة رسوله ﷺ.

النبي ﷺ يعرض نفسه على القبائل

حرص الرسول ﷺ على الاجتماع بالناس وتبليغهم دعوة الإسلام، وكان يتحرى مواضع اجتماع القبائل وخاصة في موسم الحج وفترات عقد أسواق العرب، حيث كان يلتقى بذوى الشأن من رؤساء القبائل وغيرهم، وكان يطالب الرؤساء بحمايته دون أن يكره أحداً على قبول دعوته.

* عن رجل من بنى مالك بن كنانة قال: رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز يتخللها يقول: (يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)، قال: وأبو جهل يحثني عليه التراب ويقول: لا يغوينكم هذا عن دينكم، فإنا يريد لتتركوا آلهتكم، وتتركوا اللات والعزى، وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ قلت: انعت لنا رسول الله ﷺ قال: بين بردين

(١) معاصر التأويل (١٠/ ١٨٥).

والحديث رواه أحمد (١٧٦/٢) رقم (٦٦٤٤) شاكر، والنسائي (٣٤/٢) المساجد: باب فضل المسجد الأقصى، وابن ماجه (١٤٠٨)، وابن خزيمة (٦٠٧) صحيح ابن خزيمة وقال العلامة أحمد شاكر: إسناده صحيح، والحاكم (٣١، ٣٠/١) الإيمان، وقال صحيح ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح النسائي وابن ماجه.

رفع

عبد الرحمن النجدي
(أسكنه الله الفردوس)

إسلام (إياس بن معاذ)

✽ عن محمود بن لبيد أخى بنى عبد الأشهل، قال:

«لما قدم أبو الحيسر أنس بن نافع (مكة)، ومعه فتية من بنى عبد الأشهل، فيهم إياس بن معاذ، يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، سمع بهم رسول الله ﷺ، فأتاهم فجلس إليهم فقال لهم: هل لكم إلى خير مما جئتم إليه؟ قالوا: وما ذاك؟ قال: أنا رسول الله بعثني إلى العباد، أدعو إلى أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وأنزل عليّ كتاباً ثم ذكر الإسلام وتلا عليهم القرآن. قال: فقال إياس بن معاذ، وكان غلاماً حدثاً، أى قومي، هذا والله خير مما جئتم إليه. قال: فأخذ أبو الحيسر أنس بن نافع حفنة من البطحاء، فضرب بها وجه إياس بن معاذ (وقال: دعنا عنك فلعمري لقد جئنا لغير هذا. قال: فصمت إياس)، وقام رسول الله ﷺ عنهم وانصرفوا إلى المدينة، فكانت وقعة بعث^(١) بين الأوس والخزرج، قال: ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك قال محمود بن لبيد: فأخبرني من حضره من قومي أنهم لم يزالوا يسمعون بهلله ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات، فما كانوا يشكون أن قد مات مسلماً، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس، حين سمع من رسول الله ﷺ ما سمع^(٢).

إسلام (سويد بن صامت)

✽ سويد بن صامت: كان شاعراً لبيباً من سكان يثرب يسميه قومه الكامل؛ لجلده وشعره وشرفه ونسبه، جاء مكة حاجاً أو معتمراً، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فقال: لعل الذي معك مثل الذي معي؛ فقال له رسول الله ﷺ: «وما الذي معك؟» قال: حكمة لقمان، قال: «اعرضها عليّ»، فعرضها، فقال له رسول الله ﷺ: «إن هذا الكلام حسن، والذي معي أفضل من هذا، قرآن أنزله الله تعالى عليّ، هو هدى ونور»، فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن ودعاه إلى الإسلام، فأسلم، وقال: إن هذا لقول حسن، فلما قدم المدينة لم يلبث أن قُتل يوم بعث، وكان إسلامه في أوائل سنة ١١ من النبوة^(٣).

(١) بعث: موضع في المدينة بقرب حصون بنى قريظة.

(٢) قال الهيثمي في المجمع (٣٦/٦): رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات وسنده حسن.

(٣) تاريخ إسلام للنقيب آبادي (١/١٢٥).

ست نسمات طيبة من أهل يثرب

وفي موسم الحج من سنة ١١ من النبوة.. يوليو سنة ٦٢٠م وجدت الدعوة الإسلامية بذوراً صالحة سرعان ما تحولت إلى شجرات باسقات، اتقى المسلمون في ظلالها الوارفة عن لفحات الظلم والطغيان طيلة أعوام.

وكان من حكمته ﷺ إزاء ما كان يلقي من أهل مكة من التكذيب والصد عن سبيل الله أنه كان يخرج إلى القبائل في ظلام الليل، حتى لا يحول بينه وبينهم أحد من أهل مكة المشركين^(١).

خرج كذلك ليلة ومعه أبو بكر وعليّ، فمر على منازل ذهل وشيبان بن ثعلبة وكلهم في الإسلام، وقد دارت بين أبي بكر وبين رجل من ذهل أسئلة وردود طريفة، وأجاب بنو شيبان بأرجى الأجوبة، غير أنهم توقفوا في قبول الإسلام^(٢).

ثم مر رسول الله ﷺ بعقبة منى، فسمع أصوات رجال يتكلمون^(٣)، فعمد هم حتى لحقهم، وكانوا ستة نفر من شباب يثرب، كلهم من الخزرج، وهم:

١ - أسعد بن زرارة (من بني النجار)

٢ - عوف بن الحارث بن رفاعه، ابن عفراء (من بني النجار)

٣ - رافع بن مالك بن العجلان (من بني زريق)

٤ - قطبة بن عامر بن حديدة (من بني سلمة)

٥ - عقبة بن عامر بن نابي (من بني حرام بن كعل)

٦ - جابر بن عبد الله بن رثاب (من بني عبيد بن غنم)

✽ قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا: «لما لقيهم رسول الله ﷺ قال لهم: (من أنتم؟) قالوا: نفر من الخزرج قال: (أمن موالى يهود؟) قالوا: نعم قال: (أفلا تجلسون أكلمكم؟) قالوا: بلى. فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن.

(١) تاريخ إسلام للنقيب آبادي (١/١٢٩).

(٢) مختصر سيرة الرسول للشيخ عبد الله النجدي (ص: ١٥٠).

(٣) رحمة للعالمين (١/٨٤).

قال: وكان مما صنع الله بهم في الإسلام، أن يهود كانوا معهم في بلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد عزوهم ببلادهم^(١)، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبياً مبعوث الآن، قد أظل زمانه، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم.

فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله. قال بعضهم لبعض: يا قوم، تعلمون والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام.

وقالوا: إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبتك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه، فلا رجل أعز منك. ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدقوا^(٢).

بيعة العقبة الأولى

قد ذكرنا أن ستة نفر من أهل يثرب أسلموا في موسم الحج سنة ١١ من النبوة، وواعدوا رسول الله ﷺ إبلاغ رسالته في قومهم.

وكان من جراء ذلك أن جاء في الموسم التالي موسم الحج سنة ١٢ من النبوة، يوليو سنة ٦٢١م اثنا عشر رجلاً، فيهم خمسة من الستة الذين كانوا قد اتصلوا برسول الله ﷺ في العام السابق والسادس الذي لم يحضر هو جابر بن عبد الله بن رثاب وسبعة سواهم، وهم:

معاذ بن الحارث وذكوان بن عبد القيس وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة والعباس ابن عبادة بن نضلة وأبو الهيثم بن التيهان وعويمر بن ساعدة^(٣).

* عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: «كنت فيمن حضر البيعة الأولى، وكنا اثني عشر رجلاً فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء، وذلك قبل أن يفترض الحرب،

(١) عزوهم: معناه: غلبوهم، ومنه قوله تعالى: ﴿وعزنى في الخطاب﴾ [ص: ٢٣].

(٢) أخرجه ابن هشام في السيرة: (٤٢٨/١، ٤٢٩) والبيهقي في الدلائل: (٤٣٣/٢، ٤٣٥) وأبو نعيم في

الدلائل رقم: (٣٢٣) وإسناده حسن رجاله ثقات، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث.

(٣) رحمة للعالمين (١/ ٨٥).

رفع

عبد الرحمن بن محمد
أبو بكر بن محمد

على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزنى، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتى بيهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه فى معروف، فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتكم^(١) من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله إن شاء عذبكم، وإن شاء غفر لكم^(٢).

سفير الدعوة الأول إلى المدينة

أتم وفد الأنصار هذه البيعة ثم قفل عائداً إلى «يثرب» فرأى النبی أن يبعث معهم أحد الثقات من رجاله، ليتعهد نداء الإسلام فى المدينة، ويقرأ على أهلها القرآن، ويفقههم فى الدين، ووقع اختياره على «مصعب بن عمير» ليكون هذا المعلم الأمين.

ونجح «مصعب» أيما نجاح فى نشر الإسلام وجمع الناس عليه، واستطاع أن يتخطى الصعاب التى توجد دائماً فى طريق كل نازح غريب، يحاول أن ينقل الناس من موروثات ألفوها، إلى نظام جديد، يشمل الحاضر والمستقبل، ويعم الإيمان والعمل والخلق والسلوك^(٣).

* عن طريق ابن إسحاق قال: فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة: «أن رسول الله ﷺ إنما بعث مصعباً حين كتبوا إليه أن يبعثه إليهم، وكان يصلى بهم، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض - أى كره رجال تلك القبيلة أن يؤمهم أحد من القبيلة الأخرى - رضى الله عنهم أجمعين^(٤)».

* وقال ابن إسحاق: حدثنى عبيد الله بن المغيرة بن معيقيب، وعبد الله بن أبى بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم: أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بنى عبد الأشهل، ودار بنى ظفر، وكان سعد بن معاذ بن النعمان ابن امرئ القيس بن زبير ابن عبد الأشهل ابن خالة أسعد ابن زرارة، فدخل به حائطاً من حوائط بنى ظفر يقال لها: بئر مرق. فجلسا فى الحائط، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، وسعد بن معاذ وأسيد ابن حضير يومئذ سيدا قومهما من بنى عبد الأشهل، وكلاهما مشرك على دين قومه، فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير: لا أبأ لك^(٥)، انطلق إلى هذين

(١) غشيتكم: ارتكبتُم شيئاً من ذلك.

(٢) أخرجه البخارى (٣٨٩٣) مناقب الأنصار - ومسلم (١٧٠٩) الحدود.

(٣) فقه السيرة للغزالي (ص: ١٧٣، ١٧٤).

(٤) ابن كثير (٢/ ١٨٠) ونسبه إلى البيهقى وسنده حسن رجاله ثقات.

(٥) لا أبأ لك: هذه من عبارات العرب يريدون بها الدعاء على المخاطب، ولا يريدون معناها.

الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليُسفها ضعفاءنا، فازجرهما وانهما عن أن يأتيا دارينا، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة منى حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدماً.

قال: فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليها، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب ابن عمير: هذا سيد قومه قد جاءك، فاصدق الله فيه؛ قال مصعب: إن يجلس أكلمه.

قال: فوقف عليهما متشتماً^(١)، فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة. فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كُفَّ عنك ما تكره، قال: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس إليهما، فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن، فقالا: فيما يذكر عنهما: والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، في إشرافه وتسهيله، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام، وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟

قال له: تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلى، فقام فاغتسل، وطهر ثوبيه، وتشهد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن، سعد بن معاذ، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديتهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً، قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف على النادى قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأساً وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حدثت أن بنى حارثة قد خرجوا إلى أسعد ابن زرارة ليقتلوه، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك، ليُخفروك.

قال: فقام سعد مغضباً مبادراً، تخوفاً للذى ذكر له من بنى حارثة، فأخذ الحربة من يده، ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئاً، ثم خرج إليهما، فلما رآهما سعد مطمئنين، عرف سعد أن أسيداً إنما أراد منه أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشتماً، ثم قال لأسعد ابن زرارة: يا أبا أمامة، (أما والله) لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رُمْتُ هذا منى^(٢)، أتغشانا في دارينا بما نكره وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير: أى مصعب، جاءك والله سيد من وراءه من قومه إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان قال: فقال له مصعب:

رَفَعُ

عبد الرحمن بن الحجاج
أسكنه الله الفردوس

(١) متشتماً: مطلقاً عبارات السب والشتم.

(٢) ما رمت هذا منى: ما طلبت هذا منى.

أو تقعد فتسمع، فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره.

قال سعد: أنصفت، ثم ركز الحربة وجلس، فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن، قالوا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، لإشراقه وتسهيله، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟*

قالا: تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين. قالوا: فقام فاغتسل وطهر ثوبيه، وتشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته، فأقبل عامداً إلى نادى قومه، ومعه أسيد بن حضير.

قال: فلما رآه قومه مقبلاً: قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يا بنى عبد الأشهل كيف تعلمون أمرى فيكم؟

قالوا: سيدنا (وأوصلنا) وأفضلنا رأياً، وأيمتنا نقيية^(١)، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله.

قالا: فوالله ما أمسى فى دار بنى عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة، ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم يتبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون، إلا ما كان من دار بنى أمية بن زيد، وخطمه، ووائل، وواقف، وهم من الأوس بن حارثة، وذلك أنه كان فيهم أبو قيس ابن الأسلت، واسمه صيفى، وكان شاعراً لهم قائداً يستمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الإسلام حتى كان بعد الخندق^(٢).

بيعة العقبة الثانية

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال:

«مكث رسول الله ﷺ عشر سنين يتبع الناس فى منازلهم بعكاظ ومجنة^(٣) وفى الموسم بمنى يقول: من يؤوينى، من ينصرنى حتى أبلغ رسالة ربى وله الجنة، حتى إن

(١) وأيمتنا نقيية: منجح الفعال مظفر المطالب. النقيية: النفس، وقيل الطبيعة والخلقة.

(٢) أخرجه ابن إسحاق فى السيرة انظر سيرة ابن هشام: (١/٤٣٥، ٤٣٧) والطبرى فى التاريخ: (٢/٣٥٧)

وسنده حسن، وهو مرسل.

(٣) عكاظ ومجنة: اسما مكانين كانت العرب تقيم بهما سوقاً فى الجاهلية.

رفق
عن الشيخ (الرحمى) القفري
(أسكن) (الرب) (الروى)

الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر (كذا قال): فيأتيه قومه فيقولون: احذر غلام قريش، لا يفتنك، وهو يمشى بين رجالهم، وهم يشيرون إليه بالأصابع، حتى بعثنا الله من يثرب فأويناه، وصدقناه، فيخرج الرجل منا فيؤمن به، ويقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط^(١) من المسلمين، يُظهرون الإسلام، ثم ائتمروا جميعاً.

فقلنا: حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطرد في جبال مكة ويخاف. فرحل إليه سبعون رجلاً منا حتى قدموا عليه في الموسم، فواعدناه شعب العقبة، فاجتمعوا عندها من رجل ورجلين، حتى توافينا فقلنا: يا رسول الله على ما نبأيعك؟ قال: (تبايعوني على السمع والطاعة في المنشط والكسل، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا لله، لا تخافوا في الله لومة لائم، وعلى أن أن تنصروني فتمنعوني، إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة) قال: فقمنا إليه فبايعناه.

وأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو أصغرهم فقال: رويداً يا أهل يثرب، فإننا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وأن إخراجنا اليوم مفارقة العرب^(٢) وكافة وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، إما أنتم قوم تصبرون على ذلك وأجركم على الله وإما أنتم تخافون من أنفسكم جنة فتبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله. قالوا: أمط^(٣) عنا يا أسعد، فوالله لا ندع هذه البيعة أبداً، ولا نسلها^(٤) أبداً، فبايعناه فأخذ علينا، وشرط، ويعطينا على ذلك الجنة^(٥).

ساعة ثمنها الجنة

* عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «حملني خالي جد ابن قيس في السبعين راكباً الذين وفدوا على رسول الله ﷺ من قبل الأنصار ليلة العقبة، فخرج علينا رسول الله ﷺ، ومعه عمه العباس بن عبد المطلب فقال: يا عم خذ على أخوالك، فقال له السبعون: يا محمد سل لربك، ولنفسك ما شئت.

(١) رهط: جماعة دون العشرة.

(٢) مفارقة العرب: قتالهم وعدائهم.

(٣) امط: نح وأبعد.

(٤) نسلها: نرفضها، نتركها.

(٥) رواه أحمد والبيهقي والحاكم (٢/٦٢٤، ٦٢٥) وصححه ووافقه الذهبي.

رَفَعُ

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

فقال: (أما الذي أسألكم لربى فتعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأما الذين أسألكم لنفسي فتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم).

قالوا فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ (قال: الجنة) (١).

* وعن أنس عن ثابت عن قيس رضى الله عنه: «خطب مقدم النبي ﷺ فقال: إنا نمنعك مما تمنع منه أنفسنا وأولادنا فما لنا يا رسول الله؟ قال: (لكم الجنة). قالوا: رضينا» (٢).

(كعب بن مالك) يصف هذا الحدث التاريخي العظيم

يقول كعب بن مالك (رضى الله عنه) واصفاً تلك البيعة المباركة:

وخرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله ﷺ بالعقبة من أوسط أيام التشريق، قال: فلما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها، ومعنا عبد الله بن عمرو ابن حرام أبو جابر، سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، أخذناه معنا، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلمناه وقلنا له: يا أبا جابر، إنك سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً، ثم دعونا إلى الإسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة.

قال: فأسلم وشهد معنا العقبة، وكان نقيماً.

قال: فمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ، نتسلل تسلل القطا مستخفين، حتى إذا اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاث وسبعون رجلاً ومعنا امرأتان من نساءنا نسيبه بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بنى مازن ابن النجار، وأسماء بنت عمرو بن عدى بن نابتى، إحدى نساء بنى سلمة، وهى أم منيع.

(١) الطبراني فى الكبير (١٧٥٧) والصغير (١١٠/٢) والأوسط قال الهيثمى فى المجمع (٤٨/٦، ٤٩) ورجاله ثقات.

(٢) رواه أبو يعلى (٣٧٧٢) والحاكم (٢٣٤/٤) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبى.

العباس يحضر مع النبي ﷺ ويتوثق له

قال: فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ، حتى جاءنا ومعه (عمه) العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب، فقال: يا معشر الخزرج (وكانت العرب، إنما يسمون هذا الحى من الأنصار: الخزرج) إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا، ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه، ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم، واللاحق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتكم إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده.

هؤلاء هم الرجال

قال: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت.

قال: فتكلم رسول الله ﷺ، فتلا القرآن، ودعا إلى الله عز وجل، ورغب في الإسلام، ثم قال: (أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم).

قال: فأخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحق نبياً، لنمنعك مما نمنع منه أزرنا^(١)، فبايعنا يا رسول الله ﷺ، فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة^(٢)، وورثناها كابراً عن كابر.

قال: فاعترض القول، والبراء يكلم رسول الله ﷺ (أبو الهيثم بن التيهان)، فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبلاً، وإنا قاطعوها (يعني اليهود) فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟

قال فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: (بل الدم الدم، والهدم الهدم^(٣)) أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتكم، وأسالم من سالمتم).

(١) أزرنا: نساءنا لأن العرب تكنى عن المرأة بالإزار.

(٢) الحلقة: السلاح.

(٣) الهدم الهدم: أى ذمتى ذمتكم، وحرمتى حرمتكم.

وقال رسول الله ﷺ (أخرجوا لى اثنى عشر نقيباً منكم يكونون على قومهم، فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيباً منهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس).

شيطان يكشف المعاهدة

قال: «كان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور، ثم بايع بعده القوم، فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط: يا أهل الحباحب المنازل هل لكم فى مذمم^(١) والصباة^(٢) معه، قد اجتمعوا على حربكم، فقال رسول الله ﷺ (هذا أذب العقبة^(٣))، هذا ابن أذيب أسمع أى عدو الله، أما والله لأفرغن لك).

فطنة النبي ﷺ وحكمته

ثم قال رسول الله ﷺ (ارفضوا^(٤)) إلى رحالكم). قال: فقال له العباس بن عباد بن نضله: والله الذى بعثك بالحق: إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيا فانا؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: (لم تؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم). قال: فرجعنا إلى مضاجعنا، فمنا عليها حتى أصبحنا.

قريش.. وخوفها من تلك البيعة

ولما قرع هذا الخبر آذان قريش وقعت فيهم ضجة أثارت القلاقل والأحزان؛ لأنهم كانوا على معرفة تامة بعواقب مثل هذه البيعة ونتائجها بالنسبة إلى أنفسهم وأموالهم، فما إن أصبحوا حتى توجه وفد كبير من زعماء مكة وأكابر مجرميها إلى مخيم أهل يثرب ليقدم احتجاجه الشديد على هذه المعاهدة.

* قال كعب: فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش، حتى جاءونا فى منازلنا، فقالوا: يا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين

(١) مذمم: المذموم جداً.

(٢) الصباة: جمع صابىء، وكان يقال للرجل إذا أسلم فى زمن النبى صابىء.

(٣) أذب العقبة: اسم شيطان.

(٤) ارفضوا: تفرقوا.

أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حى من أحياء العرب أبغض إلينا، أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم.

قال: فانبعث من هناك من مشركى قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شىء، وما علمناه، قال: وقد صدقوا، لم يعلموه.

قال: وبعضنا ينظر إلى بعض^(١).

أسماء الثقياء

كان نقيب بنى النجار أسعد بن زرارة، وكان نقيب بنى سلمة البراء بن معرور وعبد الله ابن عمرو بن حرام، وكان نقيب بنى ساعدة سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو، وكان نقيب بنى زريق رافع بن مالك بن العجلان، وكان نقيب بنى الحارث بن الخزرج عبد الله بن رواحة، وسعد بن الربيع، وكان نقيب بنى عوف بن الخزرج عبادة بن الصامت، ونقيب بنى عبد الأشهل أسيد ابن حضير وأبو الهيثم بن التيهان، وكان نقيب بنى عمرو بن عوف سعد بن خيثمة.

تلك هى بيعة العقبة

تلكم بيعة العقبة، وما أبرم فيها من موائيق، وما دار فيها من محاورات.. إن روح اليقين والفداء والاستبسال سادت هذا الجمع وتمشت فى كل كلمة قيلت. وبدا أن العواطف الفائرة ليست وحدها التى توجه الحديث أو تملئ العهود... كلا، فإن حساب المستقبل روجع مع حساب اليوم، والمغارم المتوقعة نظر إليها قبل المغنم الموهومة.

فقد جاءوا من «يثرب» مؤمنين أشد الإيمان. وملبين داعى التضحية، مع أن معرفتهم بالنبي ﷺ كانت لمحة عابرة غبرت عليها الأيام وكان الظن بها أن تزول.

لكننا لا يجوز أن ننسى مصدر هذه الطاقة المتأججة من الشجاعة، والثقة، إنه القرآن!! لئن كان الأنصار قبل بيعتهم الكبرى لم يصحبوا الرسول إلا لما، إن الوحي المشع من السماء. أضاء لهم الطريق. وأوضح الغاية.

(١) رواه أحمد (٤٦٠/٣، ٤٦٢) والحاكم (٦٢٤/٢، ٦٢٥) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم

يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

لقد نزل بمكة قريب من نصف القرآن. سال على السنة الحفاظ وتداولته صحائف
السفرة الكرام البررة. والقرآن النازل بمكة. صور جزاء الآخرة رأى العين.

فتوشك أن تمد يدك تقطف من ثمار الجنة. ويستطيع الأعرابي المتعشق للحق أن ينتقل
فى لحظة فداء من رمضاء الجزيرة إلى أنهار النعيم والرحيق المختوم!

وحكى القرآن أخبار الأولين. كيف أخلص المؤمنون لله فنجوا مع رسلهم وكيف
طغى الكفار. وأسكروهم الإمهال فتعننوا وتجبروا ثم حل العدل الإلهي.. فذهب الظالمون
بدداً. وتركوا وراءهم دنيا مدبرة. ودوراً خربة.

فأدبروا ووجوه الأرض تلعنهم كباطل من جلال الحق منهزم...!!

ثم إن الرسول جعل من هذا الإيمان بالحق رباطاً يعقد من تلقاء نفسه صلة الحب
والتناصر بين أشتات المؤمنين فى المشرق والمغرب.

فالمسلم فى المدينة وإن لم ير أخاه المستضعف فى مكة يحنو عليه ويتعصب له.
ويغضب من ظالمه. ويقا تل دونه وذلك ما استقدم الأنصار من يثرب تحيش فى حناياهم
مشاعر الولاء. لمن أحبوهم بالغيب فى ذات الله.

* الإيمان بالله، والحب فيه. والأخوة على دينه، والتناصر باسمه، ذلك كله كان
يتدافع فى النفوس المجتمعة فى ظلام الليل بجوار مكة السادرة فى غيها، يتدافع ليعلن أن
أنصار الله سوف يحمون رسوله كما يحمون أعراضهم، وسوف يمنعونهم بأرواحهم فلا
يخلص إليه أذى وهم أحياء.

إن مشركى مكة حسبوا أنهم حصروا الإسلام فى نطاق لا يعدوه، وأرهقوا المسلمين
حتى شغلوهم بأنفسهم فناموا نومة المجرم الذى اقترف الإثم وأمن القصاص.

حسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتى به القدر

وسالمتك الليالى فاغتررت بها وعند صفو الليالى يحدث الكدر

أجل، ففى الليلة تحالف جند الحق أن يقصموا ظهر الوثنية، وأن ينتهوا بالجاهلية
ورجالها إلى الفناء^(١).

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ١٧٧: ١٧٩) بتصرف.

فائدة جلية

* لعل أصحاب الفكر المتسرع الذين يظنون أن الإسلام يمكن أن يمكن له بضربة خاطفة يعتبرون بما حدث في هذه البيعة، وكيف أن الأنصار وهم أهل حرب ودراية، وقد عرضوا على رسول الله ﷺ أن يميلوا على أهل الوادى فيقتلونهم، فنهاهم ﷺ عن ذلك وقال: إني لم أؤمر بذلك... فتعجل الثمار قد يضيع الجهد المبذول، ولا تؤتى الحركة الإسلامية ثمارها، وتكون النتيجة خسارة الأفراد الموجودين وضياح دعوتهم في مقابل مصلحة متوهمة وهذا شاهد لقول النبي ﷺ لخباب: «ولكنكم قومٌ تستعجلون»^(١).

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

(١) وقفات تربوية (ص: ١٣٢)، والحديث رواه البخاري.

الهجرة من مكة إلى المدينة

إن نجاح الإسلام في تأسيس وطن له، وسط صحراء تموج بالكفر والجهالة هو أخطر كسب حصل عليه منذ بدأت الدعوة له، وقد تنادى المسلمون من كل مكان: هلموا إلى «يثرب»!! فلم تكن الهجرة تخلصاً فقط من الفتنة والاستهزاء، بل كانت تعاوناً عاماً على إقامة مجتمع جديد في بلد آمن.

وأصبح فرضاً على كل مسلم قادر أن يسهم في بناء هذا الوطن الجديد. أن يبذل جهده في تحصينه ورفع شأنه، وأصبح ترك المدينة بعد الهجرة إليها نكوصاً عن تكاليف الحق، وعن نصرة الله ورسوله، فالحياة بها دين، لأن قيام الدين يعتمد على إعزازها^(١).

وبعد أن تمت بيعة العقبة الثانية، ونجح الإسلام في تأسيس وطن له وسط صحراء تموج بالكفر والجهالة وهو أخطر كسب حصل عليه الإسلام منذ بداية دعوته أذن رسول الله ﷺ للمسلمين بالهجرة إلى هذا الوطن^(٢).

النبي ﷺ يرى في منامه موطن الهجرة

لم يكن اختيار يثرب داراً للهجرة مما اقتضته ظروف الدعوة فحسب وإنما كان ذلك بوحي من الله جل وعلا.

✽ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهلي^(٣) إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي يثرب)^(٤).

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ١٨١).

(٢) الرحيق المختوم (ص: ١٥٨).

(٣) وهلي: اعتقادي. هجر: مدينة معروفة وهي قاعدة البحرين.

(٤) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب هجرة النبي وأصحابه، وفي المغازي باب من قتل من المسلمين يوم أحد رقم: (٤٠٨١) - مسلم في الرؤيا باب رؤيا النبي ﷺ رقم (٢٢٧٢).

❖ وعن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ (قد رأيت دار هجرتكم، أُرِيتُ سُبْحَةَ^(١) ذات نخل بين لابتين وهما حَرَتَانِ^(٢)) فخرج من كان مهاجراً قبل المدينة حين ذكر ذلك رسول الله ﷺ .

ورجع إلى المدينة بعض من كان هاجر إلى أرض الحبشة من المسلمين^(٣).

النبى ﷺ يأذن لأصحابه بالهجرة

فأذن رسول الله ﷺ للمسلمين بالهجرة إلى المدينة، فإدرك الناسُ إلى ذلك، فكان أولُ مَنْ خَرَجَ إلى المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد، وامرأته أم سلمة، ولكنها احتبست دونه، ومنعت من اللحاق به سنة، وحيلَ بينها وبين ولدها سلمة، ثم خرجت بعد السنة بولدها إلى المدينة، وشيَّعها عثمان بن أبي طلحة^(٤).

ثم خَرَجَ الناسُ أرسالاً يتبعُ بعضهم بعضاً، ولم يبق بمكة من المسلمين إلا رسول الله ﷺ، وأبو بكر وعلى، أقاما بأمره لهما، وإلا من احتبسه المشركون كرهاً، وقد أعدَّ رسول الله ﷺ جهازه ينتظر متى يؤمر بالخروج، وأعدَّ أبو بكر جهازه^(٥).

(١) السبخة: الأرض المالحة ولا تنبت إلا بعض الشجر.

(٢) الحرة: الأرض ذات الحجارة السود.

(٣) أخرجه أحمد في المسند: (١٩٨/٦) بسند صحيح، والحاكم في المستدرک: (٤، ٣/٢) وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه البخاري تعليقاً في كتاب الكفالة باب جوار أبي بكر.

(٤) أخرجه بن هشام في «السيرة» (٤٦٩/١) عن ابن إسحاق، عن أبيه، عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة عن جدته أم سلمة.. ورجاله ثقات... وعثمان بن أبي طلحة كان يوم هجرته بأم سلمة على الكفر، وإنما أسلم في هدنة الحديبية، وهاجر قبل الفتح هو وخالد بن الوليد معاً، وقُتل يوم أحد أبوه وإخوته الخارث وكلاب ومسافع وعمه عثمان بن أبي طلحة، ودفع إليه رسول الله ﷺ يوم الفتح وإلى ابن عمه شيبه مفتاح الكعبة أفرها عليهم في الإسلام كما كانت في الجاهلية، ونزل قول الله تعالى في ذلك: ﴿إِنْ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ أَنْ تُوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ واستشهد عثمان رحمه الله بأجنادين في أول خلافة عمر.

(٥) زاد المعاد (٣/٤٩، ٥٠).

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

السابقون إلى الهجرة

* عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال: «أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فجعلنا يُقرئنا القرآن، ثم جاء عمار وبلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب فى عشرين، ثم جاء النبي ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به، حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون: هذا رسول الله ﷺ قد جاء» (١).

• كيف نجمع بين الروایتين:

لقد جاء فى بعض الروایات أن أول من هاجر (أبو سلمة) وجاء فى بعضها أن أول من قدم المدينة (مصعب بن عمير).. ولقد جمع الحافظ ابن حجر بين الروایتين فقال:

لقد جزم ابن عقبة بأن أول من قدم المدينة من المهاجرين مطلقاً أبو سلمة بن عبد الأسد، وكان رجع من الحبشة إلى مكة فأودى بمكة فبلغه ما وقع للأنثى عشر من الأنصار فى العقبة الأولى فتوجه إلى المدينة فى أثناء السنة، فيُجمع بين ذلك وبين ما وقع هنا بأن أبا سلمة خرج لا لقصد الإقامة بالمدينة بل فراراً من المشركين، بخلاف مصعب ابن عمير فإنه خرج إليها للإقامة بها وتعليم من أسلم من أهلها بأمر النبي ﷺ فلكل أولية من جهة (٢).

إنه الإيمان الذى يزن الجبال

ليست الهجرة انتقال موظف من بلد قريب إلى بلد ناء، ولا ارتحال طالب قوت من أرض مجدبة إلى أرض مخصبة.

إنها إكراه رجل آمن فى سربه، ممتد الجذور فى مكانه، على إهدار مصالحه والتضحية بأمواله والنجاة بشخصه فحسب، وإشعاره وهو يصفى مركزه بأنه مُستباحٌ منهوب، قد يهلك فى أوائل الطريق أو نهايتها. وبأنه يسير نحو مستقبل مبهم، لا يدري ما يتمخض عنه من قلاقل وأحزان، ولو كان الأمر مغامرة فرد بنفسه لقليل: مغامر طياش، فكيف وهو ينطلق فى طول البلاد وعرضها، يحمل أهله وولده؟ وكيف وهو بذلك رضى الضمير، وضأ الوجه؟!

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

(١) أخرجه البخارى (٣٩٢٤، ٣٩٢٥) مناقب الأنصار - والحاكم (٣/٦٣٤).

(٢) فتح البارى (٧/٣٠٦، ٣٠٧).

إنه الإيمان الذي يزن الجبال ولا يطيش! وإيمان بمن؟ بالله الذي له ما في السموات وما في الأرض، وله الحمد في الأولى والآخرة، وهو الحكيم الخبير.

هذه الصعاب لا يطيقها إلا مؤمن، أما الهَيَّابُ الْخَوَّارُ الْقَلَقُ، فما يستطيع شيئاً من ذلك إنه من أولئك الذين قال الله فيهم: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ...﴾ [النساء: ٦٦] (١).

هجرة أبي سلمة وزوجه رضى الله عنهما

وقد ذكرت المصادر المعتمدة الكثير من المعلومات عن أساليب قريش في محاولتها عرقلة هجرة المسلمين إلى يثرب، وإثارتها للمشاكل في وجه المهاجرين من الإرهاب، وحجز الزوجات والأطفال، وسلب الأموال، أو الاحتيال لإعادة من هاجر منهم، غير أن ذلك لم يعرقل موكب الهجرة. فقد كان المهاجرون على استعداد تام للانخلاع عن الدنيا ومباهجها في سبيل الفرار بدينهم. والمصادر الموثقة تحكى قصص البطولة والفداء في هذا المجال، فقد ذكرت أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها قصة هجرتها مع زوجها الأول، وكيف أن قريشا انتزعتها وطفلها من زوجها (٢).

* عن سلمة بن عبد الله عمر بن أبي سلمة، عن جدته، زوج النبي ﷺ، قالت: «لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بعيه ثم حملني عليه، وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجرى، ثم خرج بى يقود بى بعيه فلما رآته رجال بنى المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم قاموا إليه، فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرايت صاحبتك هذه؟ - يعنى: زوجتك - علام تركت تسير بها فى البلاد؟

قالت: فنزعوا خطام البعير (٣) من يده، فأخذوني منه. قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد، رهط أبى سلمة، فقالوا: لا والله لا نترك ابنتنا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا، قالت: فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسنى بنوا المغيرة عندهم، وانطلق زوجى أبو سلمة إلى المدينة، قالت: ففرق بينى وبين زوجى وبين ابنى.

(١) فقه السيرة للغزالي (ص ١٨٢، ١٨٣).

(٢) نضرة النعيم (١/ ٢٥٦).

(٣) الخطام: الحبل الذى يربط به البعير.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح^(١)، فما أزال أبكي، حتى أمسى سنة أو قريباً منها حتى مر بي رجل من بنى عمى (أحد بنى المغيرة)، فرأى ما بي فرحمني، فقال لبنى المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة، فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها! قالت: فقالوا لي: الحقى بزوجك إن شئت.

قالت: ورد بنو عبد الأسد إلى عند ذلك ابني. قالت: فارتحلت بعيري ثم أخذت ابني فوضعتة في حجرى، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة. قالت: وما معى أحد من خلق الله، قالت: فقلت: أتبلغ^(٢) بمن لقيت حتى أقدم على زوجي، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبى طلحة، أخا بنى عبد الدار، فقال لي: إلى أين يا بنت أبى أمية؟

قالت: فقلت: أريد زوجي في المدينة. قال: أو ما معك أحد؟ قالت: لا والله، إلا الله وبني هذا.

قال: والله مالك من مترك، فأخذ بخطام البعير، فانطلق معى يهوى بي^(٣)، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط، أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني، حتى إذا نزلت استأخر بعيري.

فحط عنه، ثم قيده في الشجرة، ثم تنحى عني إلى شجرة، فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح، قام إلى بعيري فقدمه فرحله، ثم استأخر عني، وقال: اركبى، فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه، فقاده، حتى ينزل بي... يصنع ذلك بي حتى أقدمنى المدينة، فلما نظر إلى قرية بنى عمرو بن عوف بقاء. قال: زوجك في هذه القرية (وكان أبو سلمة نازلاً) فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعاً إلى مكة.

قال: فكانت تقول: والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة، وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة^(٤).

(١) الأبطح: اسم مكان في مكة.

(٢) أتبلغ: ما يستعان به للوصول إلى الهدف المقصود.

(٣) يهوى بي: يسير بي.

(٤) ابن هشام في السيرة: (١/٤٦٩، ٤٧٠) من طريق ابن إسحاق وقد صرح بالسماع وسنده رجاله ثقات

فالحديث صحيح.

قصة عياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص

* عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: «اجتمعنا للهجرة أوعدت أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص الميضاة^(١)، ميضاة بنى غفار فوق سرف^(٢)، وقلنا: أيكم لم يصبح عندها فقد احتبس فليمض صاحبا، فحبس عنا هشام بن العاص، فلما قدمنا منزلنا فى بنى عمرو بن عوف، وخرج أبو جهل ابن هشام والحارث بن هشام إلى عياش ابن أبي ربيعة وكان ابن عمهما، وأخاهما لأمهما، حتى قدما علينا المدينة فكلما فقلنا له: إن أمك نذرت أن لا تمس رأسها مشط حتى تراك، فرق لها.

فقلت له: يا عياش والله إن يردك القوم إلا عن دينك فاحذرهم، فوالله لو قد أذى أمك القمل لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حر مكة أحسبه قال لامتشطت، قال: إن لى هناك مالا فأخذه قال: قلت: والله إنك لتعلم أنى من أكثر قریش مالا فلك نصف مالى، ولا تذهب معهما، فأبى إلا أن يخرج معهما، فقلت له: لما أبى على: أما إذا فعلت فخذ ناقتى هذه، فإنها ناقة ذلول فالزم ظهرها فإن رابك من القوم ريب فأنخ عليها.

فخرج معهما عليها حتى إذا كان ببعض الطريق قال أبو جهل بن هشام: والله لقد استبطأت بعيرى هذا، أفلا تحملنى على ناقتك هذه. قال: بلى فأناخ وأناخا ليتحول عليها، فلما استووا بالأرض عديا عليه فأوثقاه، ثم أدخلاه مكة وفتناه فافتن، قال: فكنا نقول: والله لا يقبل الله ممن افتن صرقاً ولا عدلاً، ولا يقبل توبة قوم عرفوا الله، ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم.

قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، أنزل الله عز وجل فيهم وفى قولنا لهم وقولهم لأنفسهم: ﴿يَا عِبَادِ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٣ - ٥٥].

قال عمر: فكتبته فى صحيفة وبعثت بها إلى هشام بن العاص، قال هشام: فلم أزل أقرؤها بذى طوى أصعد بها فيه حتى فهمتها، قال: فألقى فى نفسى أنها إنما نزلت

(١) ميضاة: الغدير الذى يجمع فيه ماء المطر.

(٢) سرف: موضع بين مكة والمدينة.

فيها، وفيما كنا نقول في أنفسنا، ويقال فيها، فرجعت فجلست على بعيري، فلاحقت برسول الله ﷺ بالمدينة»^(١).

هجرة رغم أنوف المشركين

وعندما أراد عمر رضی الله عنه أن يهاجر خلف الحبيب ﷺ وقف أمام المشركين موقفاً أذل فيه أنوفهم وأظهر عجزهم وألقى الرعب في قلوبهم.

فعن ابن عباس رضی الله عنهما قال: قال لي علي بن أبي طالب: ما علمت أن أحداً من المهاجرين هاجر إلا مخفياً إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه، وتنكب قوسه، وانتضى في يديه أسهماً، واختصر عزته^(٢)، ومضى قبل الكعبة، والملا من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعاً متمكناً، ثم أتى المقام فصلى ركعتين، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة، وقال لهم: شأهت الوجوه^(٣)، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس^(٤)، من أراد أن تتكلم أمه، ويؤتم ولده، ويرمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي.

قال علي: فما تبعه أحد إلا قوم من المستضعفين علمهم، وأرشدهم، ومضى لوجهه^(٥).

وقفه جليلة

* قد يخطر على بال المسلم أن يقارن بين هجرة عمر بن الخطاب رضی الله عنه وهجرة النبي ﷺ، ويتساءل: لماذا هاجر عمر علانية متحدياً المشركين دون أي خوف ووجل، على حين هاجر رسول الله ﷺ مستخفياً محتاطاً لنفسه؟ أكون عمر بن الخطاب أشد جرأة من النبي ﷺ؟!

والجواب: أن عمر بن الخطاب أو أي مسلم آخر غير رسول الله ﷺ يعدّ تصرفه تصرفاً شخصياً لا حجة تشريعية فيه، فله أن يتخير من الطرق والوسائل والأساليب ما

(١) رواه البزار والحاكم (٤٣٥/٢) وصححه وأقره الذهبي.

(٢) العنزة: مثل نصف الرمح أو أكبر شيئاً، واختصرها - أي أمسكها بيده - وقيل هي أطول من العصا، وأقصر من الرمح.

(٣) شأهت: قُبحت، رجل أشوه، أو امرأة شوهاء، إذا كانت قبيحة (انظر اللسان ٢٣٦٥/٤).

(٤) المعاطس: الأنوف، واحداً معطس؛ لأنه العطاس يخرج منها (انظر اللسان ٢٩٩٥/٤).

(٥) أسد الغابة لابن الأثير (٤/١٤٤، ١٤٥) بسند صحيح.

يحلوه وما يتفق مع قوة جرأته وإيمانه بالله تعالى.

أما رسول الله ﷺ، فهو مُشَرِّع، أى إن جميع تصرفاته المتعلقة بالدين تعتبر تشريعاً لنا، ولذلك كانت سنته التى هى المصدر الثانى من مصادر التشريع مجموع أقواله وأفعاله وصفاته وتقديره. فلو أنه فعل كما فعل عمر، لحسب الناس أن هذا هو الواجب!.. وأنه لا يجوز أخذ الحيطة والحذر، والتخفى عند الخوف. مع أن الله عز وجل أقام شريعته فى هذه الدنيا على مقتضى الأسباب ومسبباتها، وإن كان الواقع الذى لا شك فيه أن ذلك بتسبيب الله تعالى وإرادته.

لأجل ذلك، استعمل الرسول ﷺ كل الأساليب والوسائل المادية التى يهتدى إليها العقل البشرى فى مثل هذا العمل، حتى لم يترك وسيلة من هذه الوسائل إلا اعتد بها واستعملها، فترك على بن أبى طالب ينام فى فراشه ويتغطى ببرده، واستعان بأحد المشركين بعد أن أمنه ليدله على الطرق الفرعية التى قد لا تخطر فى بال الأعداء، وأقام فى الغار ثلاثة أيام متخفياً، إلى آخر ما عبأه من الاحتياطات المادية التى قد يفكر بها العقل، ليوضح بذلك أن الإيمان بالله عز وجل لا ينافى استعمال الأسباب المادية التى أراد الله عز وجل بعظيم حكمته أن يجعلها أسباباً^(١).

(سالم مولى أبى حذيفة) يؤم المسلمين قبل مقدم النبى ﷺ

* عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «لما قدم المهاجرون الأولون العصابة - موضع بقاء - قبل مقدم رسول الله ﷺ، كان يؤمهم سالم مولى أبى حذيفة، وكان أكثرهم قرآناً»^(٢).

هجرة الرسول ﷺ وصاحبه (رضى الله عنه)

وهكذا أخذ المهاجرون يتركون «مكة» زرافات ووحداناً. حتى كادت مكة تخلو من المسلمين. وشعرت قريش بأن الإسلام أضحت له دار يأررز إليها وحصن يحتمى به وتوجست خيفة من عواقب هذه المرحلة الخطيرة فى دعوة محمد. وهاجت فى دماؤها غرائز السبع المفترس حين يخاف على حياته.

رفع

عبد الرحمن بن الحنفى
(أسكنه الله الفردوس)

(١) فقه السيرة للبوطى (ص: ١٣٧، ١٣٨).

(٢) أخرجه البخارى (٦٩٢) الصلاة.

إن محمداً ﷺ لا يزال في مكة، وهو - لا بد - مُدرك أصحابه اليوم أو غداً، فلتعجل به قبل أن يستدير إليها^(١).

الإذن للنبي ﷺ بالهجرة

* عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ بمكة فأمر بالهجرة وأنزل عليه ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الأنعام: ٨٠]»^(٢).

* وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن النبي ﷺ في الهجرة فيقول له الرسول ﷺ لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً.. فيطمع أبو بكر أن يكونه.

جبريل (عليه السلام) يخبر النبي ﷺ بصحبة أبي بكر

* عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أن النبي ﷺ قال لجبريل: (من يهاجر معي؟ قال: أبو بكر الصديق)^(٣).

في دار الندوة

وبينما كان النبي ﷺ يعد نفسه للهجرة وإذا بالمشركين يدبرون تلك المؤامرة الحقيرة لقتل النبي ﷺ.

* قال الشيخ الغزالي: واجتمع طواغيت «مكة» في دار الندوة، لينخذلوا قراراً حاسماً في هذا الأمر. فرأى بعضهم أن توضع القيود في يد محمد ﷺ ويُسَد وثاقه. ويرمى به في السجن لا يصله منه إلا الطعام، ويترك على ذلك حتى يموت. ورأى آخر أن يُنْفَى من مكة فلا يدخلها. وتنفض قريش يديها من أمره..

وقد استبعد هذان الاقتراحان لعدم جدواهما. واستقر الرأي على الاقتراح الذي أبداه «أبو جهل» قال أبو جهل: أرى أن تأخذوا من كل بطن من قريش شاباً نسيماً وسطاً فتياً. ثم نعطي كل فتى سيفاً صارماً، ثم يضربونه - جميعاً - ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ١٨٤).

(٢) رواه الترمذي (٣١٣٩) والحاكم (٣/٣) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(٣) الحاكم في المستدرک: (٥/٣) وقال صحيح الإسناد والمتن ووافقه الذهبي وقال صحيح غريب.

تفرق دمه في القبائل كلها، ولا أظن بنى هاشم يقوون على حرب قريش كافة، فإذا لم يبق أمامهم إلا الدية أديناها.

ورضى المؤمنون بهذا الحل للمشكلة التي حيرتهم: وانصرفوا ليقوموا على إنفاذه وقد أشار القرآن إلى تدبير هذه الجريمة بقوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] (١).

على (رضى الله عنه) ينام على فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة

وفي ليلة الهجرة اجتمع المشركون على باب رسول الله ﷺ يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب: «نم على فراشي، وتسبح ببردى هذا الحضرمي الأخضر، فثم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم». وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك إذ ينام.

ثم خرج رسول الله ﷺ وهو يتلو هذه الآيات: ﴿يَسَّ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾ إلى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ١-٩] ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب، فأتاهم أت ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون هاهنا؟ قالوا: محمداً. قال خيكم الله، قد والله، خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟ قال: فوضع كل رجل منهم يداً على رأسه، فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون، فيرون علياً على الفراش متسجياً بردى رسول الله ﷺ فيقولون: والله، إن هذا لمحمد نائماً على برده فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام (علي) عن الفراش، فقالوا: والله، لقد صدقنا الذي كان حدثنا (٢).

حمى المغوار حيدرة (٣) الدعوة في شخص نبيها ﷺ ونام في فراشه في أصعب ليلة

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ١٨٥).

(٢) أخرجه ابن هشام في السيرة: (٤٨٣/١) وإسناده رجاله ثقات وهو مرسل حسن، وأخرجه الطبري في تاريخه: (٣٧٣/٢) وأبو نعيم في الدلائل (ص: ٦٤) وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث، وله شاهد من حديث ابن عباس رقم: (١٥٥، ١٥٨) وبه يكون الحديث حسناً.

(٣) هو اسم علي بن أبي طالب قال:.

رَفَعُ

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

كليث غابات كربه المنظره

أنا الذي سمتني أمي حيدره

وحيدرة هو: الأسد.

مرت بها الدعوة، رجل ينام فى الفراش وهو يعلم أن على الباب رجالاً لا يريدون إلا رأس النائم على الفراش، فلما قلق به الفراش ليلة من أجل نبيه، أسعد الله فراشه بفاطمة بنت نبيه ﷺ التى تجلبت فى جلباب كمالها. وأعطاه الرسول ﷺ الأهل والمرحب، وأصدقه درعه الحطمية، فأهديت إليه ومعها خميلة ومرفقة من آدم - جلد - حشوها ليف، وقربة ومنخل وقلح ورحى وجرابان. ودخلت عليه وما لها فراش غير جلد كبش ينامان عليه بالليل وتعلف عليه الناضح بالنهار، وكانت هى خادمة نفسها. تالله، ما ضرها ذلك.

وفى الصحيحين عن المسور بن مخرمة أن رسول الله ﷺ قال لها: «ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء هذه الأمة أو نساء المؤمنين».

وفى الصحيحين عن المسور بن مخرمة أن رسول الله ﷺ قال: «فاطمة بضعة منى فمن أغضبها أغضبني».

* وعن أنس (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة؛ على وعمار وسلمان»^(١). ونعم الجزء^(٢).

* وفى رواية: عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: «شرى (على) نفسه، وليس ثوب النبى ﷺ، ثم نام مكانه. وكان المشركون يرمون^(٣) رسول الله ﷺ، وقد كان رسول الله ﷺ ألبسه بردة، وكانت قريش تريد أن تقتل النبى ﷺ، فجعلوا يرمون علياً، ويرونه النبى ﷺ، وقد لبس برده، وجعل (على) رضى الله عنه يتضور^(٤) فدخلوا فإذا هو (على) فقالوا: إنك للثيم إنك لتتضور، وكان صاحبك لا يتضور، ولقد استنكرناه منك»^(٥).

* إن الجندى الصادق المخلص لدعوة الإصلاح يفدى قائده بحياته ففى سلامة القائد سلامة للدعوة وفى هلاكه خذلانها ووهنها، فما فعله (على) رضى الله عنه ليلة الهجرة من بيته على فراش الرسول ﷺ تضحية بحياته فى سبيل الإبقاء على حياة رسول الله

(١) رواه الترمذى والحاكم فى المستدرک عن أنس، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٥٩٨).

(٢) أصحاب الرسول ﷺ / للمنصف (١/ ٢٢٩، ٢٣٠).

(٣) يرمون رسول الله ﷺ: يعنى بالحجارة.

(٤) يتضور: يتأوه ويضع من الألم لإصابة الحجارة له.

(٥) أخرجه الحاكم فى المستدرک: (٤/ ٣) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقد رواه أبو داود الطيالسى وغيره عن أبى عوانة بزيادة إلفاظ، ووافقه الذهبى.

ﷺ إذ كان من المحتمل أن تهوى سيوف فتیان قريش على رأس (على) رضى الله عنه انتقاماً منه، لأنه سهل لرسول الله ﷺ النجاة، ولكن علياً رضى الله عنه لم يبال بذلك فحسبه أن يسلم رسول الله ﷺ نبي الأمة وقائد الدعوة^(١).

وها هو حديث الهجرة المباركة

ففى الحديث الذى رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها - بعد أن ذكرت قصة جوار ابن الدغنة لأبى بكر وردّه جواره عليه - قالت:

وتجهّز أبو بكر قبل المدينة، فقال له رسول الله ﷺ على رسلك، فإننى أرجو أن يؤذن لى. فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبى أنت؟ قال: نعم. فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبّه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر - وهو الخبط - أربعة أشهر. قالت عائشة: فبينما نحن يوماً جلوساً فى بيت أبى بكر فى نحر الظهرية قال قائل لأبى بكر هذا رسول الله ﷺ متقنعاً - فى ساعة لم يكن يأتينا فيها - فقال أبو بكر: فداء له أبى وأمى، والله ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمر. قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن، فأذن له، فدخل فقال النبى ﷺ لأبى بكر: أخرج من عندك، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبى أنت يا رسول الله، قال: فإننى قد أذن لى فى الخروج. فقال أبو بكر: الصحابة بأبى أنت يا رسول الله. قال رسول الله ﷺ نعم. قال أبو بكر: فخذ بأبى أنت يا رسول الله إحدى راحلتى هاتين. قال رسول الله ﷺ بالثمن. قالت عائشة: فجهّزناهما أحثّ الجهاز، وصنّعا لهما سفرة فى جراب، فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاق.

فى الغار

وسارت الأمور على ما قدرا، وكان أبو بكر قد أمر ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من أخبار. وأمر عامر بن فهيرة موله أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما إذا أمسى فى الغار. فكان عبد الله ابن أبى بكر فى قريش يسمع ما يأترون وما يقولون فى شأن رسول الله ﷺ وأبى بكر. ثم يأتيهما إذا أمسى فيقص عليهما ما علم، وكان عامر فى رعيان أهل مكة، فإذا أمسى

رفع

عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود
(سنة النبوة - دروس وعبر / د. مصطفى السباعي (ص: ٦٧: ٦٨).

أراح عليهما غنم أبي بكر فاحتلبا وذبحا، فإذا غدا عبد الله من عندهم إلى مكة، اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم، يعفى عليه - يعنى يخفى أثره -.

وتلك هى الحيلة البالغة. كما تفرضها الضرورات المعتادة على أى إنسان^(١).

✽ عن عائشة رضى الله عنها قالت: «ثم لحق رسول الله وأبو بكر بغار فى جبل ثور، فكنما فيه ثلاث ليال، يبيت عندهما عبد الله ابن أبى بكر وهو غلام شاب ثقف^(٢) لقن^(٣)، فيدلج^(٤) من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمراً يكتادان^(٥) به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر ابن فهيرة مولى أبى بكر منحة من غنم، فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان فى رسل - وهو ابن منحتهم ورضيفهما^(٦) - حتى ينق^(٧) بها عامر بن فهيرة بغلس^(٨)، يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث... واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بنى الدليل، وهو من بنى عبد بن عدى هادياً خريئاً - والخريت الماهر بالهداية - قد غمس حلقاً فى آل العاص بن وائل السهمى، وهو على دين كفار قريش، فأمناه، فدفعا إليه راحلتيهما، وواعدها غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل، فأخذ بهم طريق السواحل»^(٩).

محبة تفوق الخيال

✽ عن محمد بن سيرين قال: «ذكر رجال على عهد عمر رضى الله عنه، فكانهم فضلوا عمر على أبى بكر رضى الله عنهما، قال: فبلغ ذلك عمر رضى الله عنه، فقال: والله لليلة من أبى بكر خير من آل عمر، وليوم من أبى بكر، خير من آل عمر، لقد خرج رسول الله ﷺ لينطلق إلى الغار ومعه أبو بكر فجعل يمشى ساعة بين يديه وساعة خلفه

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ١٩١).

(٢) ثقف: حاذق.

(٣) لقن: سريع الفهم.

(٤) يدلج: يخرج.

(٥) يكتادان: يطلب لهما فيه المكروه، وهو من الكيد.

(٦) رضيفهما: اللبن المروض: أى الذى وضعت فيه الحجارة المحماة بالشمس والنار لينعقد وتزول رخاوته.

(٧) ينق: يصيح.

(٨) غلس: آخر الليل إذا اختلط بضوء الصباح.

(٩) أخرجه البخارى (٣٩٠٥) مناقب الأنصار.

وما يعلم جنود ربك إلا هو

رفع
جبر السراج البخاري
الاسكندر الثاني المزدك

﴿والجنود التي يُخَذَّل بها الباطل ويُنصر بها الحق ليست مقصورة على نوع معين من السلاح ولا صورة خاصة من الخوارج. إنها أعم من أن تكون مادية أو معنوية وإذا كانت مادية فإن خطرها لا يتمثل في ضخامتها، فقد تفتك جرثومة لا تراها العين بجيش ذي لجب ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [الدثر: ٣١].

ومن صنع الله لنبيه أن تعمى عنه عيون عدائه وهو منهم على ملة الطرف، ولم يكن ذلك محاباة من القدر لقوم فرطوا في استكمال أسباب النجاة، بل هو مكافأة القدر لقوم لم يدعوا وسيلة من وسائل الحذر إلا اتخذوها، وكم من خطة يضعها أصحابها فيبلغون بها نهاية الإتيان تمر بها فترات عصيبة لأمر فوق الإرادة أو وراء الحساب ثم تستقر أخيراً وفق مقتضيات الحكمة العليا وفي حدود قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١، ٢٢] (١).

ما ظنك باثنين الله ثالثهما

﴿فمكثنا في الغار ثلاث ليال حتى خمدت عنهما نار الطلب، فجاءهما عبد الله بن أريقط بالراحتين، فارتحلا، وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة، وسار الدليل أمامهما، وعين الله تكلفهما، وتأيدته يصحبهما، وإسعاده يرحلهما وينزلهما﴾ (٢).

﴿وقررت قريش في جلسة طارئة مستعجلة استخدام جميع الوسائل التي يمكن بها القبض على الرجلين، فوضعت جميع الطرق النافذة من مكة (في جميع الجهات) تحت المراقبة المسلحة الشديدة، كما قررت إعطاء مكافأة ضخمة قدرها مائة ناقة بدل كل واحد منهما لمن يعيدهما إلى قريش حيين أو ميتين، كائناً من كان﴾ (٣).

﴿وانطلق مشركوا مكة في آثار المهاجرين يرصدون الطرق، ويفتشون كل مهرب وراحوا يتقنون جبال مكة وكهوفها، حتى وصلوا - في دأبهم - قريباً من غار ثور، وأنصت الرسول ﷺ وصاحبه إلى أقدام المطاردين، تخفق إلى جوارهم فأخذ الروع أبا بكر، وهمس يحدث رسول الله ﷺ: لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا. فقال الرسول ﷺ: «يا أبا بكر... ما ظنك باثنين الله ثالثهما»﴾ (٤).

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ١٩٢).

(٢) زاد المعاد (٣/ ٥٤).

(٣) أخرجه البخاري (٣٩٠٦) وأحمد (١٧٥/٤).

(٤) أخرجه البخاري (٢٠٧/٧) ومسلم (١٠٩/٧).

* وما أحرانا نحن وقد شهدنا عبقرية التخطيط للهجرة أن لا تغيب عنا هذه الجوانب الثلاثة:

أولاً: علينا أن نستفرغ الوسع ونبذل كل الطاقة في التخطيط البشرى.
ثانياً: أن يكون اتكالنا على الله تعالى دون اعتمادنا على الأسباب.
ثالثاً: أن نقبل قضاء الله وقدره فيما هو فوق طاقتنا، ونطمئن إلى أنه خير للإسلام والمسلمين^(١).

فعلينا أن نأخذ بالأسباب وأن تتعلق قلوبنا بمسبب الأسباب (جل وعلا).
* ولا نعرف بشراً أحق بنصر الله وأجدر بتأييده مثل الرسول ﷺ الذى لاقى فى جنب الله ما لاقى. ومع ذلك فإن استحقاق التأيد الأعلى لا يعنى التفريط قيد أنملة فى استجماع أسبابه وتوفير وسائله.
ومن ثم فإن رسول الله ﷺ أحكم خطة هجرته، وأعد لكل فرض عدته، ولم يدع فى حسابه مكاناً للحظوظ العمياء.

وشأن المؤمن مع الأسباب المعتادة، أن يقوم بها كأنها كل شىء فى النجاح. ثم يتوكل - بعد ذلك - على الله، لأن كل شىء لا قيام له إلا بالله.
فإذا استفرغ المرء جهوده فى أداء واجبه فأخفق بعد ذلك، فإن الله لا يلومه على هزيمة بلوى بها. وقلمما يحدث ذلك إلا عن قدر قاهر يُعذر المرء فيه!
وكثيراً ما يرتب الإنسان مقدمات النصر ترتيباً حسناً. ثم يجىء عون أعلى يجعل هذا النص مضاعف الثمار.

كالسفينة التى يشق عباب الماء بها ربانٌ ماهر، فإذا التيار يساعدها والريح تهب إلى وجهتها. فلا تمكث غير بعيد حتى تنتهى إلى غايتها فى أقصر من وقتها المقرر.
وهجرة رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة جرت على هذا الغرار. فقد استبقى رسول الله ﷺ معه علياً وأبا بكر، وأذن لسائر المؤمنين بتقدمه إلى المدينة^(٢).

(١) المنهج الحركى للسيرة النبوية (١/ ١٩٨ - ١٩٩) للأستاذ/ منير الغضبان.

(٢) فقه السيرة للغزالي (ص: ١٨٧، ١٨٨).

ذات النطاقين

وحين خمدت نار الطلب، وتوقفت أعمال دوريات التفتيش، وهدأت ثائرات قرش بعد استمرار المطاردة الحثيئة ثلاثة أيام بدون جدوى، تهيأ رسول الله ﷺ وصاحبه للخروج إلى المدينة.

﴿عن عائشة رضى الله عنها قالت: فجهزناهما أحث الجهاز، وصنعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت: ذات النطاق^(١).﴾

﴿وعن أسماء رضى الله عنها قالت: «صنعت سفرة للنبي ﷺ وأبى بكر حين أرادا المدينة، فقلت لأبى: ما أجد شيئاً أربطه إلا نطاقى، قال: فشقيته، فقلت، فسميت: ذات النطاقين»^(٢).﴾

قال الزبير بن بكار فى هذه القصة: قال لها رسول الله ﷺ: «أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين فى الجنة» فقبل لها: ذات النطاقين^(٣).

سرعة بديهة وحسن تصرف

وها هو موقف من مواقفها الإيمانية العظيمة.. إنه موقف يعبر عن صدق إيمانها وسرعة بديعتها وحسن تصرفها فى الأمور الطارئة.

﴿عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها قالت: «لما خرج رسول الله ﷺ وخرج معه أبو بكر احتمل أبو بكر ماله كله معه، خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم، قالت: وانطلق بها معه، قالت: فدخل علينا جدى أبو قحافة وقد ذهب بصره، فقال: والله إنى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه.﴾

قالت: قلت كلا يا أبت إنه قد ترك خيراً كثيراً، قالت: فأخذت أحجاراً فتركتها فوضعتها فى كوة^(٤) بيت كان أبى يضع فيها ماله، ثم وضعت عليها ثوباً ثم أخذت بيده

(١) أخرجه البخارى (٣٩٠٥).

(٢) أخرجه البخارى (٣٩٠٧).

(٣) الفتح (٢٨٧/٧).

(٤) الكوة: ثقب فى الحائط.

فقلت: يا أبت ضع يدك على هذا المال، قالت: فوضع يده عليه فقال: لا بأس إن كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا لكم بلاغ... قالت: لا والله ما ترك لنا شيئاً، ولكني أردت أن أسكن الشيخ^(١).

معجزة للنبي ﷺ.. ومنحة من الرب العلى

* ومن حديث قيس بن النعمان رضى الله عنه قال: «لما انطلق النبي ﷺ وأبو بكر مستخفيين مرا بعيد يرعى غنماً، فاستسقىاه من اللبن، فقال: ما عندى شاة تحلب غير أن ها هنا عناقاً حملت أول الشتاء، وقد أخذجت^(٢) وما بقى لها لبن، فقال: (ادع بها) فدعا بها، فاعتقلها النبي ﷺ ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت، قالت: وجاء أبو بكر رضى الله عنه بمجن فحلب فسقى أباً بكر، ثم حلب فشرب، فقال الراعى: بالله من أنت؟ فوالله ما رأيت مثلك قط! قال: (أو تراك تكتم على حتى أخبرك؟) قال: نعم. قال: (فإنى محمد رسول الله). فقال: أنت الذى تزعم قريش أنه صابئ، قال: (إنهم ليقولون ذلك). قال: فأشهد أنك نبي، وأشهد أن ما جئت به حق، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي، وأنا متبعك، قال: (إنك لا تستطيع ذلك يومك، فإذا بلغك أنى قد ظهرت فاتنا)^(٣).

* وعن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال: «اشترى أبو بكر رضى الله عنه من عازب رحلاً بثلاثة عشر درهماً، فقال أبو بكر لعازب: مر البراء فليحمل إلى رحلى، فقال عازب: لا، حتى تحدثنا كيف صنعت أنت ورسول الله ﷺ حين خرجتما من مكة والمشركون يطلبونكم.

قال: ارتحلنا من مكة فأحيينا - أو سرينا - ليلتنا ويومنا حتى أظهرونا^(٤)، وقام قائم الظهيرة^(٥)، فرميت ببصرى هل أرى من ظل فأوى إليه، فإذا صخرة أتيتها، فنظرت بقية ظل لها فسويته، ثم فرشت للنبي ﷺ فيه، ثم قلت له: اضطجع يا نبي الله، فاضطجع النبي ﷺ، ثم انطلقت أنظر ما حولى: هل أرى من الطلب أحداً؟ فإذا أنا براعى غنم يسوق غنمه إلى الصخرة، يريد منها الذى أردنا، فسألته فقلت له: لمن أنت يا غلام؟ فقال

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرک: (٣/ ٥، ٦) وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبى.

(٢) أخذجت: ألقى ولدها.

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرک: (٣/ ٨، ٩) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى.

(٤) أظهرونا: دخلنا وقت الظهر.

(٥) وقام قائم الظهيرة: شدة الحر نصف النهار.

رفع

عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر
أبو بكر الصديق

لرجل من قريش سماه فعرفته، فقلت: هل فى غنمك من لبن؟ قال: نعم. قلت: فهل أنت حالب لنا. قال: نعم، فأمرته فاعتقل شاة من غنمه، ثم أمرته أن ينفض ضرعها من الغبار، ثم أمرته أن ينفض كفيه، فقال: هكذا، ضرب إحدى كفيه بالأخرى فحلب لى كثة من لبن^(١).

وقد جعلت لرسول الله ﷺ أداة على فمها خرقة، فصبيت على اللبن حتى برد أسفله، فانطلقت به إلى النبى ﷺ فوافقته قد استيقظ، فقلت: اشرب يا رسول الله، فشرب حتى رضيت، ثم قلت: قد آن الرحيل يا رسول الله، قال: (بلى) فارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا أحد منهم غير سراقه بن مالك بن جعشم على فرس له. فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله، فقال: (لا تحزن، إن الله معنا)^(٢).

قصة سراقه بن مالك

* من حديث سراقه بن مالك بن جعشم رضى الله عنه قال: «جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فى رسول الله ﷺ وأبى بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره، فبينما أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى بنى مدلج، إذ أقبل رجل منهم، حتى قام علينا ونحن جلوس فقال: يا سراقه إنى قد رأيت أنفًا^(٣). أسودة^(٤) بالساحل أراها محمداً وأصحابه، قال سراقه: فعرفت أنهم هم، فقلت: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا.

ثم لبثت فى المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتى أن تخرج بفرسى - وهى من وراء أكمة^(٥) - فتحبسها على، وأخذت رمحى فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه الأرض، وخفضت عاليه، حتى أتيت فرسى، فركبتها، فرفعتها تقرب بى، حتى دنوت منهم فعثرت بى فرسى فخررت عنها^(٦)، فقامت فأهويت يدي إلى كنانتي، فاستخرجت منها الأزام، فاستقسمت بها: أضرهم أم لا؟ فخرج الذى أكره.

(١) كثة من لبن: قدر كفى ملء القدح من اللبن.

(٢) أخرجه البخارى (٣٦٥٢) فضائل الصحابة - ومسلم (٢٠٠٩) الزهد.

(٣) أنفًا: حالاً.

(٤) أسودة: أشخاص.

(٥) أكمة: ربوة مرتفعة أو تلة.

(٦) خررت عنها: سقطت عنها.

فركبت فرسى - وعصيت الأُزلام - تقرب بى، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ، وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات، ساخت^(١) يدا فرسى فى الأرض حتى بلغت الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها، فنهضت فلم تكد تُخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عثان^(٢) ساطع فى السماء مثل الدخان، فاستقسم بالأُزلام فخرج الذى أكره، فناديتهم بالأمان، فوقفوا، فركبت فرسى حتى جثتهم، ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ، فقلت له:

إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتكم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزأنى، ولم يسألانى إلا أن قال: (أخف عنا). فسألته أن يكتب لى كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة فكتب فى رقعة من أدم، ثم مضى رسول الله ﷺ^(٣).

فصل في ذكاء من أبى بكر (رضى الله عنه)

* عن أنس رضى الله عنه قال: «أقبل نبي الله ﷺ إلى المدينة وهو مردف أبا بكر، وأبو بكر شيخ يُعرف، ونبي الله ﷺ شاب لا يُعرف، قال فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر من هذا الرجل الذى بين يديك؟

فيقول: هذا الرجل يهدينى السبيل، قال فيحسب الحاسب أنه إنما يعنى الطريق، وإنما يعنى سبيل الخير. فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم، فقال: يا رسول الله هذا فارس قد لحق بنا، فالتفت نبي الله ﷺ فقال: (اللهم اصصره)، فصصره الفرس، ثم قامت تحمحم^(٤)، فقال: يا نبي الله مرنى بما شئت. قال: (فقف مكانك لا تتركن أحداً يلحق بنا)، قال فكان أول النهار جاهدًا على نبي الله ﷺ، وكان آخر النهار مسلحة^(٥) له^(٦).

(١) ساخت: غاصت.

(٢) عثان: غبار ساطع إلى السماء.

(٣) أخرجه البخارى (٣٩٠٦) مناقب الأنصار - ومسلم (٢٠٠٩) الزهد.

(٤) تحمحم: تصدر صوتًا.

(٥) مسلحة: يدفع عنهما الأذى.

(٦) أخرجه البخارى فى مناقب الأنصار باب هجرة النبي ﷺ حديث رقم: (٣٩١١).

قصة أم معبد الخزاعية

✽ عن هشام بن حبيش عن أبيه حبيش بن خالد صاحب رسول الله ﷺ: «أن رسول الله ﷺ خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة، وأبو بكر رضى الله عنه ومولى أبي بكر عامر بن فهيرة، ودليلهما الليثى عبد الله بن أريقط.. مروا على خيمتى أم معبد الخزاعية، وكانت امرأة برزة^(١) جلدة^(٢)، تحتبى^(٣) بفناء الخيمة، ثم تسقى وتطعم من مر بها.

فسألوها لحماً وتمراً ليشتروا منها فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك، وكان القوم مرملين مستتين^(٤)، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة فى كسر الخيمة، فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم. قال: (هل بها من لبن؟) قالت: هى أجهد من ذلك، قال: (أتأذنين لى أن أحلبها؟) قالت: بأبى أنت وأمى إن رأيت بها حلباً فاحلبها.

فدعا بها رسول الله ﷺ فمسح بيده ضرعها، وسمى الله تعالى ودعا لها فى شاتها فتفاجت^(٥) عليه ودرت، فاجترت فدعا بإناء يربض^(٦) الرهط، فحلب فيه ثجاً^(٧) حتى علاه البهاء^(٨)، ثم سقاها فشربت حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا، وشرب آخرهم حتى أراضوا^(٩) ثم حلب فيه الثانية على بدء حتى ملأ الإناء، ثم غادره عندها، ثم بايعها - يعنى على الإسلام - ارتحلوا عنها، فقلما لبث حتى جاءها زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً عجافاً، يتساوكن هزالاً مخهن قليل.

فلما رأى أبو معبد اللبن أعجبه قال: «من أين لك هذا يا أم معبد، والشاء عازب حائل ولا حلوب^(١٠) فى البيت؟» قالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا قال: «صفيه لى يا أم معبد؟».

(١) برزة: المرأة الطاعنة فى السن التى تبرز للرجال ولا تحتجب عنهم.

(٢) جلدة: قوية.

(٣) تحتبى: الاحتباء هو تشبيك أصابع اليدين ووضعهما على الركبتين.

(٤) مرملين مستتين: أى أنهم دخلوا سنة الجذب والقحط.

(٥) تفاجت: فرجت رجلها للحلب.

(٦) يربض الرهط: يبالغ فى ريهم ويقلمهم حتى يلصقهم بالأرض.

(٧) الثج: السائل.

(٨) البهاء: رغبة الحليب.

(٩) أراضوا: كرروا الشرب حتى بالغوا فى الرى.

(١٠) عازب: بعيدة عن المرعى، وحائل: لم تحمل.

قالت: «رأيت رجلاً ظاهر الوضأة^(١) أبلج الوجه^(٢)، حسن الخلق لم تبعه ثجلة^(٣)، ولم تزريه صُعلة^(٤)، وسيم^(٥) قسيم، في عينيه دعج^(٦)، وفي أشفاره وطف^(٧)، وفي صوته سهل^(٨)، وفي عنقه سطع^(٩)، وفي لحيته كثانة^(١٠)، أزج أقرن^(١١)، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سماه وعلاء البهاء^(١٢)، أجمل الناس وأبهاء من بعيد، وأحسنه وأجمله من قريب. حلو المنطق، فصلاً لا نزر ولا هذر^(١٣)، كأن منطقته خرزات نظم يتحدرن، ربعة لا تشناه من طول^(١٤)، ولا تقحمه عين من قصر^(١٥)، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرًا، وأحسنهم قدرًا، له رفقاء يحفون^(١٦) به، إن قال سمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود^(١٧) محشود^(١٨)، لا عابس ولا معتد».

قال أبو معبد: هذا والله صاحب قریش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر، ولقد هممت أن أصاحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً، وأصبح صوت بمكة عاليًا، يسمعون الصوت، ولا يدرون صاحبه، وهو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه رقيقين حلا خيمتي أم معبد

(١) ظاهر الوضأة: حسن الوجه.

(٢) أبلج الوجه: مشرق الوجه.

(٣) ثجلة: عظم البطن.

(٤) الصعلة: صغر الرأس.

(٥) الوسيم: الجميل الخلقة.

(٦) الدعج: شدة سواد العين.

(٧) الوطف: طول أشفار العيون.

(٨) سهل: ليس بحاد الصوت.

(٩) سطع: إشراق وطول.

(١٠) كثانة: دقة نبات شعر اللحية مع استدارة فيها.

(١١) أزج أقرن: دقة شعر الحاجبين مع طول فيهما واتصال ما بينهما من شعر.

(١٢) البهاء: حسن المظهر.

(١٣) فصلاً لا نزر ولا هذر: كلامه بين وواضح ليس كثيرًا، وليس قليلاً.

(١٤) لا تشناه من طول: ليس طويلاً طويلاً مفرطاً.

(١٥) لا تقحمه عين من قصر: لا يحتقر لقصره الشديد.

(١٦) يحفون به: يحيطون به.

(١٧) محفود: مخدوم.

(١٨) محشود: محفوف به ومحاط به.

رَفَعُ

عبد الرحمن القرشي
أسكنه الله الفردوس

هما نزلها بالهدى واهتدت به فقد فاز من أمسى رفيق محمد
 فيا لقصى ما زوى الله عنكم به من فعال لا تجازى وسؤدد
 ليهن أبا بكر سعادة جده بصحبته من يسعد الله يسعد
 وليهن بنى كعب مقام فتاتهم ومقعدهما للمؤمنين بمرصد
 سلوا أختكم عن شاتها وإنائها فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
 دعاها بشاة حائل فتحلبت عليه صريما ضرة الشاة مزبد
 فغادره رهنا لديها لحالب يرددها فى مصدر بعد مورد^(١)

موقف الزبير (رضى الله عنه) مع النبى ﷺ

وأبى بكر (رضى الله عنه)

* قال ابن شهاب الزهري أخبرني عروة بن الزبير «أن رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام، فكسا الزبير رسول الله ﷺ ثياب بياض»^(٢).

سنة من سنن الأنبياء (صلوات ربى وسلامه عليهم)

وبهذه الهجرة تمت لرسولنا ﷺ سنة إخوانه من الأنبياء من قبله فما من نبى منهم إلا نبت به بلاد نشأته فهاجر عنها، من إبراهيم أبى الأنبياء و خليل الله إلى عيسى كلمة الله وروحه، كلهم على عظيم درجاتهم ورفعة مقامهم أهينوا من عشائهم فصبروا ليكونوا مثلاً لما يأتى بعدهم من متبعيهم فى الثبات والصبر على المكاره مادام ذلك فى ذات الله^(٣).

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرک: (١٠، ٩/٣) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى.

(٢) أخرجه البخارى فى مناقب الأنصار باب هجرة النبى ﷺ: (٣٩٠٦) وقال الحافظ: وصورته مرسل لكن

وصله الحاكم من طريق معمر عن الزهري: ١١/٣ وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه

الذهبى.

(٣) نور اليقين/ للشيخ الحضرى (ص: ٧٤).

هجرة لا تنتهى إلى قيام الساعة

لو أننا فهمنا الحكمة التى انطوت عليها حادثة الهجرة، وعلمنا أن كتاب الله الذى نتلوه قد أنحى باللائمة على جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا فى مكة يصلون ويصومون، ولكنهم ارتضوا البقاء تحت جناح أنظمة تخالف الإسلام، فلا قوة لهم على تغييرها، ولم يهاجروا إلى قلعة الإسلام ليكونوا من جنوده المتحفزين لتغيير تلك الأنظمة، لعلمنا أن الإسلام لا يكتفى من أهله بالصلاة والصوم، بل يريد منهم مع ذلك أن يقيموا أنظمتهم وآدابهم فى بيوتهم وأسواقهم وأنديتهم، ومجامعهم ودواوين حكمهم، وأن عليهم أن يتوسلوا بجميع الوسائل لتحقيق هذا الغرض الإسلامى بادئين به من البيت وملاحظين ذلك فى تربية من تحت أمانتهم من بنات وبنين، ومتعاونين عليه مع من ينشد للإسلام الرفعة والازدهار من إخوانهم، حتى إذا عم هذا الإصلاح أرجاء واسعة. تلاشت تحت أشعته ظلمات الباطل، فكان لهذا الأسلوب من أساليب الهجرة مثل الآثار التى كانت لهجرة النبى ﷺ وأصحابه الأولين.

روى مسلم فى كتاب الإمارة من صحيحه عن أبى عثمان النهدى أن مجاشع بن مسعود السلمى قال: جئت بأخى أبى معبد إلى رسول الله ﷺ بعد الفتح فقلت: يا رسول الله بايعه على الهجرة فقال ﷺ: «قد مضت الهجرة بأهلها»، قال مجاشع: فبأى شئ تباعه؟ قال: «على الإسلام والجهاد والخير». قال أبو عثمان النهدى فلقيت أبا معبد فأخبرته بقول مجاشع فقال: صدق^(١).

وفى كتب السنة وبعضه فى الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص ومقالة بن عبيد بن ناقد الأنصارى أن النبى ﷺ قال: «المهاجر من هجر السيئات»^(٢). فإلى الهجرة أيها المسلمون.

إلى هجر الخطايا والذنوب. إلى هجر ما يخالف أنظمة الإسلام فى بيوتنا، وما نقوم به من أعمالنا، إلى هجر الضعف والبطالة والإهمال والترف والكذب والرياء ووضع الأشياء فى غير موضعها^(٣).

(١) رواه مسلم (٧/١٣) الإمارة.

(٢) رواه البخارى (٦٩/١) الإيمان، ومسلم (١٠/٢) الإيمان، وأبو داود (٢٤٦٤) الجهاد، والنسائى (١٠٥/٨) الإيمان.

(٣) باختصار من إلهامات الهجرة (١١، ١٤) للعلامة/ محب الدين الخطيب.

وصول النبي ﷺ إلى المدينة

وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله ﷺ من مكة فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه، حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يوماً بعدما أطلوا انتظارهم فلما أوا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود إلى أطم من أطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معاشر العرب، هذا جدكم الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الإثنين من شهر ربيع الأول فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتاً، فطفق من جاء من الأنصار - ممن لم ير رسول الله ﷺ - يحيى أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك^(١).

النبي ﷺ يؤسس مسجد قباء

* قال الإمام ابن القيم: وسُمِعَت الرَّجَّةُ وَالنَّكْبَرُ فِي بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ، وَكَبُرَ الْمُسْلِمُونَ فِرْحًا بِقُدُومِهِ، وَخَرَجُوا لِلْقَائَةِ، فَتَلَقَّوْهُ وَحَيَّوْهُ بِتَحِيَّةِ النُّبُوَّةِ. فَأَحْدَقُوا بِهِ مَطِيفِينَ حَوْلَهُ، وَالسَّكِينَةَ تَغْشَاهُ، وَالْوَحْيَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ ﷺ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ [التحريم: ٤] فسار حتى نزل بقباء في بني عمرو بن عوف، فنزل على كَثُومِ بْنِ الْهَدْمِ. وقيل: بل على سَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ، والأول أثبت، فأقام في بني عمرو ابن عوف أربع عشرة ليلة وأسس مسجد قباء، وهو أول مسجد، أُسِّسَ بعد النبوة^(٢).

(١) قال الحافظ: قوله: «يغدون» أي يخرجون غدوة. قوله: «حتى يردهم» وفي رواية ابن سعد: «إذا أحرقتهم الشمس رجعوا إلى منازلهم». قوله: «أوفى رجل من يهود» أي طلع إلى مكان عال فأشرف منه. قوله: «أطم» وهو الحصن ويقال كل بناء من حجارة كالقصر. قوله: «مبيضين» أي عليهم الثياب البيض التي كساهم إياها الزبير أو طلحة. قوله: «يزول بهم السراب» أي يزول السراب عن النظر بسبب عروضهم له. قوله: «يا معاشر العرب» وفي رواية عبد الرحمن بن عويم «يا بني قبيلة»، وهي الجدة الكبرى للأنصار، والدة الأوس والخزرج، وهي قبيلة بنت كاهل بن عذرة. قوله: «هذا جدكم» أي حظكم وصاحب دولتكم الذي تتوقعونه. قوله: «وذلك يوم الإثنين من شهر ربيع الأول» وهذا هو المعتمد، وشذ من قال يوم الجمعة، وفي رواية موسى بن عقبة عن ابن شهاب «قدمها لهلال ربيع الأول» أي أول يوم فيه. باختصار من الفتح (٧/٢٨٦، ٢٨٧).

(٢) زاد المعاد (٣/٥٨).

رَفَعُ

عن الرَّمَحِيِّ (الْفَجَرِيِّ)
أُسْكِنَ (النَّبِيَّ) (الْمَدِينَةَ)

أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ

فلما كان يوم الجمعة ركب بأمر الله له، فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف، فجمع بهم في المسجد الذي في بطن الوادي^(١).

عنتى دخل النبي ﷺ المدينة

* عن عاصم بن عدي رضى الله عنه قال: «قدم رسول الله ﷺ يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول فأقام بالمدينة عشر سنين»^(٢).

فرح أهل المدينة بمقدم رسول الله ﷺ

هل يستطيع إنسان في هذه الدنيا أن يتصور أو يتخيل مدى الفرح التي يشعر بها من رأى النبي ﷺ ولو مرة واحدة في منامه؟! فكيف بمن رآه حال اليقظة؟!!

* عن البراء عن أبي بكر في حديث الهجرة فقال: «فقدما المدينة ليلاً، فتنازعوا أيهم ينزل عليهم رسول الله ﷺ فقال: (أنزل على بني النجار، أخوال عبد المطلب، أكرمهم بذلك) فصعد الرجال والنساء فوق البيوت وتفرق الغلمان والخدم في الطرق ينادون: يا محمد! يا رسول الله! يا محمد! يا رسول الله»^(٣).

* فلما طلع الرسول ﷺ عليهم جاشت العواطف في صدورهم، وانطلقت ألسنتهم تهتف بالقصائد والأهازيج فرحاً لمرآه ﷺ ومقدمه عليهم، ولقد بادلهم رسول الله ﷺ نفس المحبة حتى إنه جعل ينظر إلى ولائد بني النجار من حوله وهم يشدون ويتغنين بمقدمه قائلاً: أتحبينني؟ والله إن قلبي ليحبكن^(٤).

(١) زاد المعاد (٣/٥٩).

(٢) قال الهيثمي في المجمع: (٦٣/٦) رواه الطبراني ورجاله ثقات، الطبراني في الكبير: (١٧٢/١٧).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٥٢) مناقب الصحابة - ومسلم (٢٠٠٩) الزهد - أما الروايات التي تفيد استقباله ﷺ بنشيد: «طلع البدر علينا..» فلم ترد بها رواية صحيحة.. انظر في ذلك ابن حجر [فتح الباري (٧/٢٦١)،

[٢٦٢].

(٤) فقه السيرة للبوطي (ص: ١٤٧).

رفع

عبد الرحمن النجدي
(أسكنه الله الفردوس)

الحبشة يلاعبون بالحرايب فرحاً بالرسول ﷺ

عن أنس رضي الله عنه قال: «لما قدم رسول الله لعبت الحبشة بحرايبهم فرحاً لقدمه»^(١).

المدينة تضيء لمقدم النبي ﷺ

عن أنس بن مالك قال: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضواء فيها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، وما نفطنا عن النبي ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا^(٢).

قال الغزالي: يا عجباً لنقائص الحياة واختلاف الناس، إن الذي شهرت مكة سلاحها لتقتله ولم ترجع عنه إلا مقهورة استقبلته المدينة وهي جزلانة طروب، وتنافس رجالها يعرضون عليه المنعة والعدة والعدد^(٣).

نزول النبي ﷺ بفناء أبي أيوب (وبناء المسجد)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نزل في علو المدينة، في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف، قال: فأقام فيهم أربع عشرة ليلة، ثم أرسل إلى ملأ بني النجار^(٤)، قال: فجاءوا متقلدي سيوفهم^(٥). قال: وكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ على راحلته وأبو بكر ردفه وملأ بني النجار حوله حتى ألقى بفناء أبي أيوب^(٦)، قال: فكان يصلي حيث أدركته الصلاة ويصلي في مرائب الغنم^(٧). قال: ثم إنه أمر ببناء المسجد، فأرسل إلى ملأ بني النجار، فجاءوا. فقال: يا بني النجار ثامنوني^(٨) بحائطكم هذا، فقالوا: لا. والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله. قال: فكان فيه ما أقول لكم: كانت فيه

(١) رواه أبو داود (٤٩٢٣) بإسناد صحيح.

(٢) رواه الترمذي (١٠٤/١٣ - ١٠٥) والحاكم مختصراً (٥٧/٣) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي وصححه الألباني في مختصر السائل.

(٣) فقه السيرة للغزالي (ص: ١٨٣).

(٤) ملأ بني النجار: أشرفهم.

(٥) متقلدي السيوف: حاملو السيوف خوفاً على النبي من غدر اليهود.

(٦) فناء أبي أيوب: الساحة الواسعة أمام البيت.

(٧) مرائب الغنم: مأواها ليلاً.

(٨) ثامنوني: ساوموني.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
(أسكنه الله الفردوس)

قبورُ المشركين، وكانت فيه خرب^(١)، وكان فيه نخلٌ. فأمر رسولُ الله ﷺ بقبورِ المشركين فنبشت، وبالخرب فسويت، وبالنخل ففُطِعَ، قال: فصفوا النخلَ قبلةَ المسجد. قال: وجعلوا عضادتيه^(٢) حجارةً. قال: جعلوا ينقلون ذاك الصخرَ وهم يرتجزون ورسولُ الله ﷺ معهم يقولون:

اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة فانصر الأنصار والمهاجرة^(٣)

* وفي رواية: فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضعة عشرة ليلة، وأسس المسجد الذي أُسس على التقوى، وصلى فيه رسول الله ﷺ ثم ركب راحلته فسار يمشى معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة، وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مريدًا للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة فقال رسول الله ﷺ حين بركت راحلته هذا إن شاء الله المنزل، ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمريد ليتخذهُ مسجدًا، فقالا: لا، بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبلهُ منهما هبة حتى ابتاعهُ منهما، ثم بناه مسجدًا.

* قال الإمام ابن القيم: وجعل النبي ﷺ قبلته إلى بيت المقدس، وجعل له ثلاثة أبواب: بابًا في مؤخره، وبابًا يقال له: باب الرحمة، والباب الذي يدخل منه رسولُ الله ﷺ، وجعل عمده الجذوع، وسقفهُ بالجريد، وقيل له: ألا تُسقفهُ، فقال: «لا، عَرِيشُ كَعْرِيشِ مُوسَى» وبني إلى جنبه بيوت أزواجه باللبن، وسقفها بالجريد والجذوع، فلما فرغ من البناء بنى بعائشة في البيت الذي بناه لها شرقي المسجد قبله، وهو مكان حجرته اليوم، وجعل لسودة بنت زمعة بيتًا آخر^(٤).

المشاركة في بناء المسجد

* وطلق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول - وهو ينقل اللبن:

هَذَا الْحِمَالُ لَا حِمَالُ خَيْرٍ هَذَا أَبْرُ رَبَّنَا وَأَطْهَرُ
اللَّهُمَّ إِنَّ الْأَجْرَ أَجْرُ الْآخِرَةِ فَارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ

(١) خرب: البناء المتهدم.

(٢) عضادتيه: ما كان الباب يعتمد عليهما عند الاغلاق.

(٣) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب مقدم النبي وأصحابه إلى المدينة رقم: (٣٩٣٢).

(٤) زاد المعاد (٣/ ٦٣).

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يُسمَ لى. قال ابن شهاب: ولم يبلغنا - فى الأحاديث - أن رسول الله ﷺ تمثل بيت شعر تام غير هذه الأبيات (١).

* عن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: «لما بنى رسول الله ﷺ المسجد، جاء أبو بكر رضى الله عنه بحجر فوضعه، ثم جاء عمر بحجر فوضعه، ثم جاء عثمان بحجر فوضعه، فقال رسول الله ﷺ (هؤلاء ولادة الأمر من بعدى)» (٢).

* وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: «كنا نحمل لبنة لبنة، وعمار لبنتين لبنتين، فرآه النبى ﷺ، فينفض التراب عنه ويقول: (ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار). قال: يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن» (٣).

صفة المسجد النبوى

* عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «كان المسجد على عهد رسول الله ﷺ مبنياً باللبن، وسقفه الجريد، وعمده خشب النخل» فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً، وزاد فيه عمر وبناء على بنيانه فى عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد وأعاد عمده خشباً، ثم غيَّره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة، وجعل عمده من حجارة منقوشة، وسقفه بالساج» (٤).

النبى ﷺ ينزل فى ضيافة أبى أيوب الأنصارى

والأنصار إن لم يكونوا أصحاب ثروات طائلة، إلا أن كل واحد منهم كان يتمنى أن ينزل الرسول ﷺ عليه، فكان لا يمر بدار من دور الأنصار إلا أخذوا خطام راحلته: هلُم إلى العدد والعدة والسلاح والمنعة، فكان يقول لهم: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة»، فلم تزل سائرة به حتى وصلت إلى موضع المسجد النبوى اليوم فبركت، ولم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلاً، ثم التفتت ورجعت فبركت فى موضعها الأول، فنزل عنها وذلك فى ديار بنى النجار أخواله ﷺ. وكان من توفيق الله لها، فإنه أحب أن ينزل على أخواله يكرمهم بذلك، فجعل الناس يكلمون رسول الله ﷺ فى النزول عليهم، وبادر أبو أيوب

(١) أخرجه البخارى (٢٨١/٧، ٢٨٢) مناقب الأنصار.

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرک: (١٣/٣) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى وقال صحيح.

(٣) أخرجه البخارى (٤٤٧) الصلاة - ومسلم (٢٩١٥) الفتن.

(٤) أخرجه البخارى (٤٤٦) الصلاة.

الأنصاري إلى رحله، فأدخله بيته، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «المرء مع رحله»، وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام راحلته، وكانت عنده^(١).

وفى رواية أنس عند البخاري، قال نبي الله ﷺ: «أى بيوت أهلنا أقرب؟».

فقال أبو أيوب: أنا يا رسول الله، هذه دارى وهذا بابى، قال: «فانطلق فهى لنا مقبلاً»، قال: قوما على بركة الله^(٢).

يَذْكُرُ لَوْ يَلْقَى حَبِيبًا مُوَاتِبًا	ثَوَى فِي قُرَيْشٍ بَضْعَ عَشْرَةِ حِجَّةٍ
فَلَمْ يَرَمْ مِنْ يُوُورَى وَلَمْ يَرِ دَاعِيَا	وَيَعْرِضُ فِي أَهْلِ الْمَوَاسِمِ نَفْسَهُ
وَأَصْبَحَ مَسْرُورًا بِطَيِّبَةِ رَاضِيَا	فَلَمَّا أَتَانَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهِ النَّوَى
بَعِيدٌ وَلَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ بَاغِيَا	وَأَصْبَحَ لَا يَخْشَى ظُلَامَةَ ظَالِمٍ
وَأَنْفُسَنَا عِنْدَ الْوَعَى وَالتَّاسِيَا	بَذَلْنَا لَهُ الْأَمْوَالَ مِنْ حِلٍّ مَالِنَا
جَمِيعًا وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُصَافِيَا	نُعَادِي الَّذِي عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلَّهُمْ
وَأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ أَصْبَحَ هَادِيَا ^(٣)	وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرَهُ

وهكذا يكون الأدب مع رسول الله ﷺ

ولنترك المجال لأبى أيوب رضى الله عنه يحدثنا عن تلك الفرحة الشديدة التى ملأت عليه جوانحه وجوارحه لنزول النبي ﷺ عليه فى بيته.

عن أبى أيوب قال: لما نزل على رسول الله ﷺ فى بيتى نزل فى السفلى، وأنا وأم أيوب فى العلوى، فقلت له: يا نبي الله، بأبى أنت وأمى إني لأكره وأُعظم أن أكون فوقك وتكون تحتى، فإظهر أنت فكن فى العلوى، وننزل نحن فنكون فى السفلى، فقال: «يا أبا أيوب، إن أرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون فى سفلى البيت»^(٤).

وفى رواية أخرى: أن رسول الله ﷺ لما نزل المدينة نزل على أبى أيوب فنزل النبي ﷺ

(١) السيرة لابن هشام (٣٤٣/٢) والطبقات لابن سعد (١٨٣/١) والبداية والنهاية (٣/٣٢٤) وزاد المعاد (٥٥/٢) ورحمة للعالمين (١٠٦/١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩١١) وأحمد (١٢٢/٣).

(٣) زاد المعاد (٥٩/٣، ٦٠).

(٤) أخرجه مسلم (١٧١/٣) كتاب الفتن.

أسفل، وأبو أيوب في العلو، فانتبه أبو أيوب ذات ليلة فقال: نمشي فوق رأس رسول الله ﷺ! فتحول فباتوا في جانب. فلما أصبح ذكر ذلك للنبي ﷺ. فقال النبي ﷺ: أسفل أرفق بي. فقال أبو أيوب: لا أعلو سقيفة أنت تحتها. فتحول أبو أيوب في السفلى، والنبي ﷺ في العلو^(١).

✽ وعن أبي رهم: أن أبا أيوب حدثه: أن رسول الله ﷺ نزل في بيتنا الأسفل، وكنت في الغرفة، فأهريق ماء في الغرفة، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا تتبع الماء، ونزلت فقلت: يا رسول الله، لا ينبغي أن نكون فوقك، انتقل إلى الغرفة، فأمر بمتاعه فنقل ومتاعه قليل قلت: يا رسول الله، كنت ترسل بالطعام، فأنظر، فإذا رأيت أثر أصابعك، وضعت فيه يدي^(٢)... يلتمس بركة الحبيب ﷺ.

وهكذا اجتمع الأحباب

فأقام في منزل أبي أيوب حتى بنى حجرة ومسجده، وبعث رسول الله ﷺ وهو في منزل أبي أيوب زيد بن حارثة وأبا رافع، وأعطاهما بعيرين وخمس مائة درهم إلى مكة فقدمًا عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتيه، وسودة بنت زمعة (زوجته)، وأسامة بن زيد، وأمهم أم أيمن، وأما زينب بنت رسول الله ﷺ فلم يُمكَّنْها زوجها أبو العاص بن الربيع من الخروج، وخرج عبد الله بن أبي بكر معهم بعيال أبي بكر، ومنهم عائشة فنزلوا في بيت حارثة بن النعمان^(٣).

قصة إسلام (عبد الله بن سلام)

عن عبد الله بن سلام، قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة، انحفل الناس عليه، وكنت فيمن انحفل، فلما رأيته، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب. فكان أول شيء سمعته يقول: «يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»^(٤).

(١) أخرجه مسلم (١٧١/٣).

(٢) رواه أحمد (٤٢٠/٥) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٣) زاد المعاد (٦١/٣).

(٤) أخرجه أحمد (٤٥١/٥) والترمذي (٢٤٨٧) وصححه الحاكم (١٣/٣) ووافقه الذهبي.

وعن أنس: أن عبد الله بن سلام أتى رسول الله ﷺ مقدمه إلى المدينة، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمها إلا نبي. ما أول أشرط الساعة؟ وما أول ما يأكل أهل الجنة؟ ومن أين يشبه الولد أباه وأمه؟

فقال: «أخبرني بهن جبريل آنفاً» قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة.

قال: «أما أول أشرط الساعة فنارٌ تخرج من المشرق، فتحشرُ الناس إلى المغرب، وأما أول ما يأكله أهل الجنة، فزيادةُ كبدِ حوت، وأما الشبه، فإذا سبق ماءُ الرجل، نزع إليه الولد. وإذا سبق ماءُ المرأة، نزع إليها» قال: أشهد أنك رسول الله

وقال: يا رسول الله، إن اليهود قومٌ بُهتٌ؛ وإنهم إن علموا بإسلامي بهتونني، فأرسل إليهم، فسلهم عني.

فأرسل إليهم. فقال: «أى رجل ابن سلام فيكم؟» قالوا: حبرنا، وابن حبرنا؛ وعالمنا، وابن عالمنا. قال: «أرأيتم إن أسلم، تُسلمون؟» قالوا: أعاذه الله من ذلك. قال: فخرج عبد الله، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله؛ وأن محمداً رسول الله. فقالوا: شرنا وابن شرنا؛ وجاهلنا وابن جاهلنا. فقال: يا رسول الله، ألم أخبرك أنهم قومٌ بُهتٌ^(١).

* وفي رواية: قال: لما سمعتُ برسول الله ﷺ عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نتوكل له، فكنت مُسراً لذلك، صامتاً عليه، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة، فلما نزل بقباء، فى بنى عمرو بن عوف، أقبل رجلٌ حتى أخبر بقدمه، وأنا فى رأس نخلة لى أعمل فيها، وعمتى خالدة بنت الحارث تحتى جالسة فلما سمعت الخبر بقدم رسول الله ﷺ كبرت، فقالت لى عمتى، حين سمعت تكبيرى: خبيك الله! والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادماً ما زدت، قال: فقلت لها: أى عمه، هو والله أخو موسى بن عمران، وعلى دينه، بُعث بما بُعث به، قال: فقالت: أى ابن أخى، أهو النبى الذى كنا نُخبر أنه يُبعث مع نفس الساعة؟ قال: فقلت لها: نعم. قال: فقالت: فذاك إذاً. قال: ثم خرجتُ إلى رسول الله، فأسلمت، ثم رجعت إلى أهل بيتى، فأمرتهم فأسلموا.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
(أسكنه الله الفردوس)

(١) أخرجه البخارى (٢٦١/٦) الأنبياء (٢١٢/٧) مناقب الأنصار.

رياح صهيب.. ريح صهيب

كانت فتنة المسلمين من أصحاب النبي ﷺ في مكة فتنة الإيذاء والتعذيب وما يروونه من المشركين من ألوان الهزء والسخرية، فلما أذن لهم الرسول ﷺ بالهجرة أصبحت فتنتهم في ترك وطنهم وأموالهم ودورهم وأمتعتهم. ولقد كانوا أوفياء لدينهم مخلصين لربهم، أمام الفتنة الأولى والثانية... قابلوا المحن والشدائد بصبر ثابت وعزم عنيد، حتى إذا أشار لهم الرسول ﷺ بالهجرة إلى المدينة توجهوا إليها وقد تركوا من ورائهم الوطن وما لهم فيه من مال ومتاع ونسب، ذلك أنهم خرجوا مستخفين متسللين، ولا يتم ذلك إلا إذا تخلصوا من الأمتعة والأثقال، فتركوا كل ذلك في مكة ليسلم لهم الدين، واستعاضوا عنه بالإخوة الذين ينتظرونهم في المدينة ليؤوهم وينصروهم^(١).

* لما خرج صهيب مهاجراً تبعه أهل مكة فنزل كنانته فأخرج منها أربعين سهماً فقال: لا تصلون إلى حتى أضع في كل رجل منكم سهماً، ثم أصبر بعد إلى السيف فتعلمون أنني رجل، وقد خلّفت بمكة قيتين فهما لكم.

ونزلت على النبي ﷺ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧] فلما رآه النبي ﷺ قال: «أبا يحيى ريح البيع» قال: وتلا عليه الآية^(٢).

وعن أبي عثمان: أن صهيباً حين أراد الهجرة، قال له أهل مكة: أتبتنا صعلوكاً حقيراً، فتغير حالك! قال: رأيتم إن تركت مالي، أمخلون أنتم سبيلي؟ قالوا: نعم. فخلع لهم ماله. فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «ريح صهيب! ريح صهيب!»^(٣).

إصابة المهاجرين بحمى المدينة

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال، قالت: فدخلت عليهما، فقلت: يا أبت كيف تجدك؟ ويا بلال كيف تجدك؟ قالت: فكان أبو بكر رضي الله عنه إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرئ مصبّح في أهله والموت أدنى من شرك نعله

(١) فقه السيرة للبطوني (ص: ١٣٠).

(٢) رواه الحاكم في المستدرک (٣/ ٣٩٨) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٣) قال الأرئوط: أخرجه ابن سعد (٣/ ٢٢٧ - ٢٢٨) ورجاله ثقات.

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

وكان بلال إذا اقلع عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول:

ألا ليت شعري هل أبين ليلة بواد وحولي إذخر وجليل^(١)
وهل أردن يوماً مياه مجنة^(٢) وهل يبدون لي شامة وطفيل^(٣)

قالت عائشة فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: (اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وصححها، وبارك لنا في صاعها ومُدّها، وانقل حُمّاهَا، فاجعلها بالجحفة).

وفى رواية للبخارى: «أن بلالاً قال بعد شعره: اللهم العن شيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة وأمّية بن خلف، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء، ثم قال رسول الله ﷺ: (اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مدنا وصححها لنا، وانقل حمّاها إلى الجحفة). قالت: وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله، قالت: فكان بطحان يجري نجلاً، تعني ماء آجناً»^(٤).

مرض أمنا عائشة (رضى الله عنها)

* عن البراء عن أبي بكر رضى الله عنهما قال البراء: «فدخلت مع أبي بكر على أهله فإذا عائشة ابنته مضطجعة قد أصابتها حمى، فرأيت أباهما يقبل خدها، وقال: كيف أنت يا بنية»^(٥).

اللهم حبب إلينا المدينة

ولما رأى النبي ﷺ أصحابه قد أُصيبوا بالحمى دعا ربه (عزَّ وجلَّ) بأنه يُحبب إليهم المدينة وأن ينقل منها الحمى إلى مكان آخر.

* عن عائشة رضى الله عنها قالت: «قدمنا المدينة وهي وبيئة، فاشتكى أبو بكر، واشتكى بلال، فلما رأى رسول الله ﷺ شكوى أصحابه قال: (اللهم حبب إلينا المدينة،

(١) الإذخر: عشب ينبت في مكة.

(٢) مجنة: اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية.

(٣) شامة وطفيل: جبلان بقرب مكة.

(٤) أخرجه البخارى (١٨٨٩) فضائل المدينة.

(٥) أخرجه البخارى (٣٩١٨) مناقب الأنصار.

كما حُببت مكة أو أشد وصححها، وبارك لنا في صاعها ومدّها^(١)، وحول حماها إلى الجحفة^(٢).

✽ فاستجاب الله تعالى دعاء النبي ﷺ وأخرج الحمى إلى الجحفة.

✽ وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (رأيت كأن امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة، حتى قامت بهيعة وهي الجحفة، فأولت أن وباء المدينة نقل إليها)^(٣).

من فضائل المدينة المنورة

✽ عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ما جعلت بمكة من البركة»^(٤).

قال الحافظ: أى من بركة الدنيا بقرينة قوله في الحديث الآخر: «اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا» ويحتمل أن يريد ما هو أعم من ذلك، لكن يستثنى من ذلك ما خرج بدليل كتضعيف الصلاة بمكة على المدينة.

وقال النووي: الظاهر أن البركة حصلت في نفس المكيل بحيث يكفى المد فيها ما لا يكفيه في غيرها، وهذا أمر محسوس عند من سكنها^(٥).

وقال ﷺ: «لا يكيد أهل المدينة أحدٌ إلا انماع كما ينماع الملح في الماء»^(٦).

وقال ﷺ: «لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال، لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان»^(٧).

والأحاديث في فضلها وفضل سكنها كثيرة.

• قال الجزائري حفظه الله: وما يزيد المدينة حباً في قلوب المؤمنين ورغبة في

(١) الصاع والمد: مكيالان يوزن بهما.

(٢) أخرجه البخارى (٣٩٢٦) مناقب الأنصار - ومسلم (١٣٧٦) الحج.

(٣) أخرجه البخارى (٧٠٣٨) التعبير - والترمذى (٢٢٩٠).

(٤) رواه البخارى (١١٧/٤) فضائل المدينة.

(٥) فتح البارى (١١٧/٤ - ١١٨) باختصار.

(٦) رواه البخارى (١١٢/٤) فضائل المدينة.

(٧) رواه البخارى (١١٣/٤) فضائل المدينة.

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

المقام بها حتى الموت قوله ﷺ: «من استطاع أن يموت في المدينة فليمت بها، فإنني أكون له شاهداً أو شفيعاً يوم القيامة»^(١). وعرف هذا عمر رضى الله عنه فكان يدعو ويقول: اللهم إنى أسألك شهادة فى سبيلك، وموتاً فى بلد رسولك.

كيف أسس النبي ﷺ للإسلام دولة

ليست الأمة الإسلامية جماعة من الناس، همها أن تعيش بأى أسلوب، أو تخط طريقها فى الحياة إلى أى وجهة، وما دامت تجد القوت واللذة، فقد أراحت واستراحت. كلا كلا، فالمسلمون أصحاب عقيدة تحدد صلتهم بالله، وتوضح نظرهم إلى الحياة، وتنظم شئونهم فى الداخل على أنحاء خاصة، وتسوق صلاتهم بالخارج إلى غايات معينة.

وفرق بين امرئ يقول لك: همى فى الدنيا أن أحيأ فحسب! وآخر يقول لك: إذا لم أحرس الشرف، وأصن الحقوق، وأرض الله، وأغضب من أجله، فلا سعت بى قدم، ولا طرفت لى عين.

والمهاجرون إلى المدينة، لم يتحولوا عن بلدهم ابتغاء ثراء أو استعلاء. والأنصار الذين استقبلوهم وناصروا قومهم العدا، وأهدفوا أعناقهم للقاصى والدانى، لم يفعلوا ذلك ليعيشوا كيفما اتفق.

إنهم - جميعاً - يريدون أن يستضيئوا بالوحي، وأن يحصلوا على رضوان الله وأن يحققوا الحكمة العليا التى من أجلها خلق الناس، وقامت الحياة.

من هنا شغل رسول الله ﷺ - أول مستقره - بالمدينة بوضع الدعائم التى لا بد منها لقيام رسالته. وتبين معالمها فى الشئون الآتية:

١ - صلة الأمة بالله

٢ - صلة الأمة بعضها ببعض الآخر

٣ - صلة الأمة بالأجانب عنها، ممن لا يدينون دينها.

❖ ففى الأمر الأول بادر الرسول ﷺ إلى بناء المسجد، لتظهر فيه شعائر الإسلام التى

(١) رواه الترمذى (٢٧٤/١٣) المناقب وقال: هذا حديث حسن غريب من حديث أيوب السجستاني وابن ماجه (٣١١٢) وصححه الألبانى.

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

طالما حُوربت، وتقام فيه الصلوات التي تربط المرء برب العالمين، وتنقى القلب من أدران الأرض، ودسائس الحياة الدنيا.

❖ أما عن الأمر الثاني - وهو صلة الأمة بعضها ببعض الآخر - فقد أقامها الرسول ﷺ على الإخاء الكامل. الإخاء الذي تُمحي فيه كلمة «أنا» ويتحرك الفرد فيه بروح الجماعة ومصلحتها وآمالها، فلا يرى لنفسه كياناً دونها، ولا امتداداً إلا فيها.

ومعنى هذا الإخاء أن تذوب عصبية الجاهلية، فلا حمية إلا للإسلام. وأن تسقط فوارق النسب واللون والوطن. فلا يتأخر أحد أو يتقدم إلا بمروءته وتقواه.

وقد جعل الرسول ﷺ هذه الأخوة عقداً نافذاً. لا لفظاً فارغاً، وعملاً يرتبط بالدماء والأموال لا تحية تثرثر بها الألسنة ولا يقوم لها أثر...!!

وكانت عواطف الإيثار والمواساة والمؤانسة تمتزج في هذه الأخوة، وتملأ المجتمع الجديد بأروع الأمثال.

❖ أما الأمر الثالث، وهو صلة الأمة بالأجانب عنها، الذين لا يدينون بدينها، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام قد سنّ في ذلك قوانين السماح والتجاوز التي لم تُعهد في عالم ملئ بالتعصب والتغالي، والذي يظن أن الإسلام دين لا يقبل جوار دين آخر. وأن المسلمين قوم لا يستريحون إلا إذا انفردوا في العالم بالبقاء والتسلط هو رجل مخطيء بل متحامل جريء!

عندما جاء النبي ﷺ إلى المدينة، رحد بها يهوداً توطنوا ومشركين مستقرين.

فلم يتجه فكره إلى رسم سياسة للإبعاد أو المصادرة والخصام، بل قبل - عن طيب خاطر - وجود اليهودية الوثنية، وعرض على الفريقين أن يعاهداهم معاهدة الند للند، على أن لهم دينهم وله دينه.

واتفق المسلمون واليهود على الدفاع عن يثرب إذا هاجمها عدو. وأقرت حرية الخروج من المدينة لمن يبتغي تركها، والقعود فيها لمن يحفظ حرمتها^(١).

• وقال الإمام ابن القيم رحمه الله:

ووادع رسول الله من بالمدينة من اليهود، وكتب بينه وبينهم كتاباً، وبادر خبرهم

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

(١) بتصرف من فقه السيرة للغزالي.

وعالمهم عبد الله بن سلام فدخل في الإسلام وأبى عامتهم إلا الكفر. وكانوا ثلاث قبائل: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، وحاربه الثلاثة فمن على بنى قينقاع، وأجلى بنى النضير، وقتل بنى قريظة وسبى ذريتهم، ونزلت سورة الحشر في بنى النضير، وسورة الأحزاب في بنى قريظة^(١).

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

لقد مدح الله جلَّ وعلاً الأنصار بقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَنَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

فلقد آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وذلك لتقوية الجبهة الداخلية وزيادة ترابطها، وحتى يواسى الأنصار إخوانهم المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم لنصرة دين الله وإعزاز شرعه.

* ورغم بذل الأنصار وكرمهم فإن الحاجة إلى إيجاد نظام يكفل للمهاجرين المعيشة الكريمة بقانون ظلت قائمة، خاصة وأن أئمة المهاجرين ومكانتهم تقتضى معالجة أحوالهم بتشريع يبعد عنهم أى شعور بأنهم عالة على الأنصار فكان أن شرع نظام المؤاخاة، ولا تختلف الروايات فى تاريخ تشريعه إلا اختلافاً يسيراً، فهى تجمع على أن المؤاخاة وقعت فى السنة الأولى الهجرية، وتختلف إن كان ذلك بعد بناء المسجد فى المدينة أو خلال بنائه، وكان إعلان هذا التشريع فى دار أنس بن مالك كما صرحت الروايات، ووقعت المؤاخاة بين طرفين هما المهاجرين والأنصار، فأخى الرسول ﷺ بين كل مهاجرى وأنصارى اثنين اثنين. وقد شملت المؤاخاة تسعين رجلاً، خمسة وأربعين من المهاجرين، وخمسة وأربعين من الأنصار.

وقد ترتب على تشريع نظام المؤاخاة حقوق خاصة بين المتآخين كالمواساة بين الإثنين، والمواساة ليست محددة بأمور معينة، بل مطلقة لتعنى كل أوجه العون على مواجهة أعباء الحياة سواء كان عوناً مادياً، أو رعاية ونصيحة وتزاوراً ومحبة؛ كما ترتب على المؤاخاة أن يتوارث المتآخون دون ذوى أرحامهم مما يرقى بالعلاقات بين المتآخين إلى مستوى

(١) زاد المعاد (٣/ ٦٥).

أعمق وأعلى من أخوة الدم^(١). ثم نسخ هذا التوارث بقول الله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥]. وذلك بعد أن تغيرت أحوال المهاجرين بإصابة الغنائم، ومعرفة مسالك طلب الرزق في وطنهم الجديد. وهذه صورة مشرفة لمحبة الأنصار لإخوانهم المهاجرين.

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالت الأنصار للنبي ﷺ: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل. قال: لا. فقالوا: أتكفونا المؤنة ونشرككم في الثمرة؟ قالوا: سمعنا وأطعنا^(٢).

* وعن أنس رضي الله عنه قال: «قالت المهاجرون: يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن بذلاً من كثير، ولا أحسن مواساة في قليل، قد كفونا المؤنة وأشركونا في المهنة^(٣)، فقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله، قال: فقال رسول الله ﷺ: (كلاماً ما أننيتم عليهم به ودعوتهم الله - عز وجل - لهم)^(٤)».

* وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ: «كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار أن يعقلوا معاقلهم^(٥)، وأن يقدوا عانيهم^(٦) بالمعروف، والإصلاح بين المسلمين»^(٧).

سعد بن الربيع.. وعبد الرحمن بن عوف

وها هو سعد بن الربيع الذي تعايش مع كل آية من آيات القرآن ومع كل حديث من أحاديث النبي ﷺ.. يحقق معنى الأخوة كما أرادها الحق - جل جلاله -.

فعن أنس رضي الله عنه أنه قال: قدم علينا عبد الرحمن بن عوف وأخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع - وكان كثير المال - فقال سعد: قد علمت الأنصار أنني من أكثرها مالاً سأقسم مالي بيني وبينك شطرين - نصفين - ولي امرأتان فانظر أعجبهما

(١) المجتمع المدني في عهد النبوة خصائصه وتنظيماته الأولى (٧٤، ٧٦) باختصار/ د. أكرم العمرى.

(٢) رواه البخاري (١١٣/٧) مناقب الأنصار. إخوان النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار.

(٣) المهنة: الفرح والسرور.

(٤) أخرجه أحمد في المسند: ٢٠٤/٣ وهو من ثلاثياته وسنده صحيح على شرط الشيخين.

(٥) معاقلهم: المعامل: الديات.

(٦) العاني: الأسير.

(٧) أخرجه أحمد في المسند: ٢٧١/١، ٢٠٤/٢، الفتح الرباني: ١٠/٢١، وقال الساعاتي: لم أقف عليه لغير

إليك فأطلقها حتى إذا حلت تزوجتها. فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك. فلم يرجع يومئذ حتى أفضل شيئاً من سمن وأقط^(١) فلم يلبث إلا يسيراً حتى جاء رسول الله ﷺ وعليه وضرب من صفرة فقال له رسول الله ﷺ: «مهم؟» قال: تزوجت امرأة من الأنصار، قال: «ما سقت فيها؟» قال: وزن نواة من ذهب - أو نواة من ذهب - فقال: «أولم ولو بشاة»^(٢).

وإن إعجاب المرء بسماحة (سعد) لا يعدله إلا إعجابه بنبل (عبد الرحمن) الذي زاحم اليهود في سوقهم وبزهم في ميدانهم، واستطاع بعد أيام أن يكسب ما يعف به نفسه ويحصن به فرجه.. ذلك أن علو الهمة من خلائق الإيمان^(٣).

أصحاب النبي ﷺ .. والعقيدة الراسخة

وتعرض الصحابة من المهاجرين والأنصار إلى امتحان شديد في عقيدتهم حين حيرهم الله بين الالتزام بمصالحهم الدنيوية وعلاقاتهم النسبية من جهة وبين الالتزام بالعقيدة فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

وقد نجح صحابة النبي ﷺ في هذا الامتحان العسير، وغلبوا حب الله ورسوله وأصرة العقيدة على كل ما سوى ذلك، فكان مجتمع المدينة الجديد مجتمعاً عقدياً يرتبط بالإسلام ولا يعرف الموالاتة إلا لله ولرسوله وللمؤمنين، ومع ذلك فهو مجتمع مفتوح لمن أراد أن يلتحق به فيؤمن بعقيدته بعد أن يخلع نفسه عن عقيدة الجاهلية وصفاتها ودون أى اعتبار لجنسه أو لونه أو انتمائه السابق^(٤).

(١) الأقط: قطع الجبن.

(٢) أخرجه البخارى (٣٧٨١) والطبرانى فى الكبير (٥٤٠٤).

(٣) فقه السيرة للشيخ الغزالي (ص: ١٩٣).

(٤) نضرة النعيم (١/ ٢٦٨).

رفق
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

أول مولود في دار الهجرة

* من حديث أسماء رضي الله عنها أنها حملت بعبد الله بن الزبير، قالت: «فخرجت وأنا متم^(١)، فأتيت المدينة، فنزلت بقباء فولدته بقباء، ثم أتيت به النبي ﷺ فوضعت في حجره، ثم دعا بتمر فمضغها ثم تفل في فيه - فمه -، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ، ثم حنكه بتمر، ثم دعا له وبرك عليه، وكان أول مولود ولد في الإسلام»^(٢).

خبر الأذان

أورد ابن هشام رواية ابن إسحاق التي جاء فيها: «لما اطمأن رسول الله ﷺ بالمدينة، واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين، واجتمع إليه أمر الأنصار، استحکم أمر الإسلام، فقامت الصلاة، وفُرضت الزكاة والصيام، وقامت الحدود، وفرض الحلال والحرام وتبوءوا الإسلام بين أظهرهم، وكان هذا الحى من الأنصار هم الذين تبوءوا الدار والإيمان، وقد كان رسول الله ﷺ حينما قدمها إنما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين مواقيتها، بغير دعوة»^(٣).

* عن عبد الله بن زيد قال: «لما أمر رسول الله ﷺ بالناقوس^(٤) ليضرب به للناس لجمع الصلاة، طاف بى وأنا نائم رجل يحمل ناقوساً: فقلت: يا عبد الله أتبيع الناقوس؟ فقال: وما تصنع به؟ فقلت: ندعو به إلى الصلاة. قال: أفلا أدلك على خير من ذلك؟ فقلت: بلى فقال: تقول الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حى على الصلاة، حى على الصلاة، حى على الفلاح، حى على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله. قال: ثم استأخر عنى غير بعيد ثم قال: وتقول إذا قمت إلى الصلاة: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حى على الصلاة،

(١) متم: أتمت شهور الحمل بعبد الله بن الزبير.

(٢) أخرجه البخارى (٣٩٠٩) مناقب الأنصار - ومسلم (٢١٤٦) الأدب.

(٣) ابن هشام - السيرة النبوة (١/٥٠٨) وقد رواه الترمذى وابن ماجه بإسناد صحيح كما قال الشيخ الألبانى - صحيح سنن الترمذى (١/٦١، ٦٢) وقد ورد كذلك فى صحيح مسلم بشرح النووي (٤/٧٥).

(٤) الناقوس: الجرس.

حتى على الفلاح، قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، فلما أصبحت أتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بما رأيت، فقال: (إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال، فألق عليه ما رأيت فليؤذن به، فإنه أئدى صوتاً منك) (١).

وزاد أحمد في رواية «فقمتم مع بلال، فجعلت ألقيه عليه، ويؤذن به، قال: فسمع ذلك عمر بن الخطاب وهو في بيته، فخرج يجر رداءه ويقول: والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد رأيت مثل ما رأى، فقال رسول الله ﷺ: (فلله الحمد)» (٢).

حادثة تحويل القبلة

* عن أنس قال: «أن رسول الله ﷺ كان يصلي نحو بيت المقدس، فنزلت: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤] فمر رجل من بنى سلمة وهم ركوع في صلاة الفجر وقد صلوا ركعة: فنادى ألا إن القبلة قد حوَّلت. فمالوا كما هم نحو القبلة» (٣).

* وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما: «أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده - أو قال أخواله - من الأنصار، وأنه صلى قبل بيت القدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن صلى معه، فمر على أهل مسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل مكة، فداروا - كما هم - قبل البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم إذا كان يصلي قبل بيت المقدس، وأهل الكتاب، فلما ولي وجهه قبل البيت أنكروا ذلك».

قال زهير، حدثنا إسحاق عن البراء في حديثه هذا: أنه مات على القبلة (قبل أن تُحوَّل) رجال وقتلوا، فلم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] (٤).

(١) أندى: أجمل.

(٢) رواه أبو داود (٤٩٩) وأحمد (٤٣/٤) والترمذي (١٨٩) وقد صححه جماعة من الأئمة كالبخاري والذهبي والنووي وغيرهم.

(٣) أخرجه مسلم (٥٢٧) المساجد ومواضع الصلاة.

(٤) أخرجه البخاري (٤٠) الإيمان - ومسلم (٥٢٥) المساجد.

الحكمة فى تحويل القبلة

وكان لله فى جعل القبلة إلى بيت المقدس ثم تحويلها إلى الكعبة حكمٌ عظيمٌ ومحنة للمسلمين والمشرّكين واليهود والمنافقين. فأما المسلمون فقالوا: سمعنا وأطعنا. وقالوا: ﴿أَمَّا بِه كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] وهم الذين هدى الله ولم تكن كبيرة عليهم. وأما المشرّكون فقالوا كما رجع إلى قبلتنا يوشك أن يرجع إلى ديننا وما رجع إليها إلا أنه الحق. وأما اليهود فقالوا: خالف قبلة الأنبياء قبله، ولو كان نبياً لكان يصلى إلى قبلة الأنبياء. وأما المنافقون فقالوا: ما يدري محمد أين يتوجه إن كانت الأولى حقاً فقد تركها، وإن كانت الثانية هى الحق فقد كان على باطل.

وكثرت أقاويل السفهاء من الناس، وكانت كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٣]. وكانت محنة من الله امتحن بها عباده ليرى من يتبع الرسول منهم ممن ينقلب على عقبيه^(١).

❖ وفى تحويل القبلة إشارة لطيفة إلى بداية دور جديد لا ينتهى إلا بعد احتلال المسلمين هذه القبلة، أو ليس من العجب أن تكون قبلة قوم بيد أعدائهم، وإن كانت بأيديهم فلا بد من تخليصها يوماً^(٢).

مشروعية الصيام والزكاة وصدقة الفطر

وفى شعبان من هذه السنة (السنة الثانية من الهجرة) أوجب الله صوم شهر رمضان على الأمة الإسلامية، وكان ﷺ قبل ذلك يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، والصيام من دعائم هذا الدين والفرائض التى يتم بها النظام، فإن الإنسان مجبول على حب نفسه والسعى فيما يعود عليها بالنفع الخاص تاركاً ما وراء ذلك من حاجات الضعفاء والمساكين، فلا بد من وازع يزعه لحاجات قوم أقعدتهم قواهم عن إدراك حاجاتهم، ولا أقوى من ذوق قوارص الجوع والعطش، إذ بهما تلين نفسه ويتهدب خلقه فيسهل عليه بذل الصدقات، ولذلك أوجب الشارع الحكيم عقب الصوم زكاة الفطر، فترى الإنسان ييذلها بسخاء نفس ومحبة خالصة^(٣).

(١) زاد المعاد (٣/ ٦٦، ٦٧).

(٢) الرحيق المختوم (ص: ٢١١).

(٣) نور البقين للشيخ محمد الحضرى (ص: ٩٠، ٩١) بتصرف.

قريش تتصل برأس المنافقين لتتعاون على إيذاء النبي ﷺ

قد أسلفنا ما كان يأتي به كفار مكة من التنكيلات، والويلات ضد المسلمين، وما فعلوا بهم عند الهجرة، مما استحقوا لأجلها المصادرة والقتال، إلا أنهم لم يكونوا ليفيقوا من غيهم، ويمتنعوا عن عدوانهم، بل زادهم غيظًا أن فاتهم المسلمون ووجدوا مأمناً ومقرًا بالمدينة، فكتبوا إلى عبد الله بن أبي ابن سلول، وكان إذ ذاك مشركًا بصفته رئيس الأنصار قبل الهجرة - فمعلوم أنهم كانوا مجتمعين عليه، وكادوا يجعلونه ملكا على أنفسهم لولا أن هاجر رسول الله ﷺ، وآمنوا به - كتبوا إليه وإلى أصحابه المشركين يقولون لهم في كلمات باتة:

إنكم آويتم صاحبنا، وإنا نقسم بالله لتقاتلنَّه أو لتُخرجنَّه، أو لنسيرن إليكم بأجمعنا، حتى نقتل مقاتلتكم، ونستبيح نساءكم.

وبمجرد بلوغ هذا الكتاب قام عبد الله بن أبي ليمثل أوامر إخوانه المشركين من أهل مكة - وقد كان يحقد على النبي ﷺ لما يراه أنه استلبه ملكه - يقول عبد الرحمن بن كعب: فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبي ومن كان معه من عبدة الأوثان؛ اجتمعوا لقتال رسول الله ﷺ فلما بلغ ذلك النبي ﷺ لقيهم، فقال: «لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم؟!» فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرقوا^(١).

* امتنع عبد الله بن أبي ابن سلول عن إرادة القتال عند ذاك؛ لما رأى خوراً في أصحابه، ولكن يبدو أنه كان متواطئاً مع قريش، فكان لا يجد فرصة إلا ويتنزهها لإيقاع الشر بين المسلمين والمشركين، وكان يضم معه اليهود؛ ليعينوه على ذلك، ولكن تلك هي حكمة النبي ﷺ التي كانت تطفئ نار شرهم حيناً بعد حين^(٢).

* عن أسامة بن زيد قال: «إن النبي، ركب حماراً، عليه إكاف^(٣) تحته قطيفة فدكيه^(٤)، وأردف وراءه أسامة، وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج.

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٩٧٣٣/٥)، ومن طريقه أبو داود (٣٠٠٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١٧٨/٣) وإسناده صحيح.

(٢) انظر في هذا الصدد صحيح البخاري (٤٩٠٠، ٤٩٠٧).

(٣) إكاف: هو للحمار بمنزلة السرج للفرس.

(٤) قطيفة: دثار مخمل.

رفع
عبد الرحمن بن أبي بكر
أسامة بن زيد

وذلك قبل وقعة بدر، حتى مر بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان، واليهود، فيهم عبد الله بن أبي، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة^(١)، خمر عبد الله بن أبي أنفه^(٢) بردائه ثم قال: لا تغبروا علينا.

فسلم عليهم النبي ﷺ ثم وقف فنزل، فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن. فقال عبد الله بن أبي: أيها المرء! لا أحسن من هذا، إن كان ما تقول حقًا، فلا تؤذنا في مجالسنا، وارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه.

فقال عبد الله بن رواحة: اغشنا في مجالسنا، فإننا نحب ذلك، قال: فاستب المسلمون والمشركون واليهود، حتى هموا أن يتواثبوا. فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم^(٣)، ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عباد، فقال: (أي سعد ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب؟) ويريد عبد الله بن أبي (قال كذا وكذا) قال: اعف عنه يا رسول الله واصفح. فوالله! لقد أعطاك الله الذي أعطاك ولقد اصطليح أهل هذه البحيرة أن يتوجوه، فيعصبوه بالعصاة، فلما ردّ الله ذلك بالحق الذي أعطاك، شرق بذلك^(٤)، فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه النبي ﷺ «(٥)».

سعد بن معاذ (رضي الله عنه) .. ومحاولة منعه من الطواف بالبيت

✽ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انطلق سعد بن معاذ معتمرًا، قال فنزل على أمية بن خلف أبي صفوان، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمر بالمدينة نزل على سعد، فقال أمية لسعد: ألا انتظر حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت؟ فبينما سعد يطوف إذا أبو جهل، فقال: من هذا الذي يطوف بالكعبة؟ فقال سعد: أنا سعد. فقال أبو جهل: تطوف بالكعبة آمنًا وقد آويتهم محمدًا وأصحابه؟ فقال: نعم: فتلاحيا بينهما. فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك على أبي الحكم، فإنه سيد أهل الوادي. ثم قال سعد: والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك بالشام^(٦).

(١) عجاجة الدابة: ما ارتفع من غبار حوافرها.

(٢) خمر أنفه: غطاه.

(٣) يخفضهم: يسكنهم ويسهل الأمر بينهم.

(٤) شرق بذلك: غص ومعناه حسد النبي.

(٥) أخرجه البخاري (٤٥٦٦) التفسير - ومسلم (١٧٩٨) الجهاد والسير.

(٦) أخرجه البخاري (٣٦٣٢) كتاب المناقب.

والله يعصمك من الناس

ثم إن قريشاً أرسلت إلى المسلمين تقول لهم: لا يغرنكم أنكم أفلتتمونا إلى يشرب وسنأتيكم فنستأصلكم ونبيد خضراءكم في عقر داركم^(١).

ولم يكن هذا كله وعيداً مجرداً، فقد تأكد عند رسول الله ﷺ من مكائد قريش وإرادتها على الشر ما كان لأجله لا بيت إلا ساهراً، أو في حرس من الصحابة، فقد روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضى الله عنها قالت: سهر رسول الله ﷺ مقدمه المدينة ليلة، فقال: «ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسنى الليلة»، قالت: فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح، فقال: «من هذا؟» قال: سعد بن أبي وقاص، فقال له رسول الله ﷺ: «ما جاء بك؟» فقال: وقع في نفسى خوف على رسول الله، فجئت أحرسه، فدعا له رسول الله ﷺ ثم نام^(٢).

ولم تكن هذه الحراسة مختصة ببعض الليالى بل كان ذلك أمراً مستمراً، فقد روى عن عائشة، قالت: كان رسول الله ﷺ يُحرس ليلاً، حتى نزل: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة، وقال: «يا أيها الناس انصرفوا عني فقد عصمني الله عز وجل»^(٣).

ولم يكن الخطر مقتصرًا على رسول الله ﷺ بل على المسلمين كافة، فقد روى أبو ابن كعب، قال: لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوس واحدة، وكانوا لا يبيتون إلا بالسلاح ولا يصبحون إلا فيه^(٤).

الإذن بالقتال

* قال الزهري أول آية نزلت في القتال كما أخبرني عروة عن عائشة رضى الله عنها ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ [الحج: ٣٩]^(٥).

(١) رحمة للعالمين (١/ ١١٦).

(٢) أخرجه البخارى (٢٨٨٥)، ومسلم (٢٤١٠)، والترمذى (٣٧٥٧).

(٣) رواه الترمذى والحاكم (٣١٤/٢) وصححه ووافقه الذهبى وحسنه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى (٢٤٤٠).

(٤) الرحيق المختوم (ص: ٢٠٢، ٢٠٣).

(٥) فتح البارى (٧/ ٢٨٠) وقال: أخرجه النسائى وإسناده صحيح.

* قال الإمام ابن القيم رحمه الله: فلما استقر رسول الله ﷺ بالمدينة، وأيده الله بنصره، وبعاده المؤمنين الأنصار، وألف بين قلوبهم بعد العداوة والإحن التي كانت بينهم، فمنعه أنصار الله وكتيبة الإسلام من الأسود والأحمر، وبذلوا نفوسهم دونه، وقدموا محبته على محبة الآباء والأبناء والأزواج، وكان أولى بهم من أنفسهم، رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة، وشمروا لهم عن ساق العداوة والمحاربة، وصاحوا بهم من كل جانب، والله سبحانه يأمرهم بالصبر والعفو والصفح، حتى قويت الشوكة، واشتد الجناح فأذن لهم حيثنذ في القتال، ولم يفرضه عليهم، فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩].

وقالت طائفة: إن هذا الإذن كان بمكة، والسورة مكية، وهذا غلط لوجوه:

أحدها: أن الله لم يأذن بمكة لهم في القتال، ولا كان لهم شوكة يتمكنون بها من القتال بمكة.

الثاني: أن سياق الآية يدل على أن الإذن بعد الهجرة وإخراجهم من ديارهم فإنه قال: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠] وهؤلاء هم المهاجرون.

الثالث: قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩] نزلت في الذين تبارزوا يوم بدر من الفريقين.

الرابع: أنه قد خاطبهم في آخرها بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٧٧] والخطاب بذلك كله مدني، فأما الخطاب يا أيها الناس فم مشترك.

الخامس: أنه أمر فيها بالجهاد الذي يعم الجهاد باليد وغيره، ولا ريب أن الأمر بالجهاد المطلق إنما كان بعد الهجرة، فأما جهاد الحجة فأمر به في مكة بقوله: ﴿فَلَا تَطْعَمُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ أي بالقرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢]؛ فهذه سورة مكية، والجهاد فيها هو التبليغ وجهاد الحجة، وأما الجهاد المأمور به في سورة الحج فيدخل فيه الجهاد بالسيف.

السادس: أن الحاكم روى في مستدركه من حديث الأعمش عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: لما خرج رسول الله ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم، إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن فأنزل الله عز وجل: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ [الحج: ٣٩].

رحم
عن الشيخ الإمامي
أبي بكر بن عبد الله

وهي أول آية نزلت في القتال^(١). وإسناده على شرط الصحيحين وسياق السورة يدل على أن فيها المكي والمدني.

ثم فُرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم، فقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٠]؛ ثم فُرض عليهم قتال المشركين كافة، وكان مُحرمًا، ثم مأذونًا به، ثم مأمورًا به لمن بدأهم بالقتال، ثم مأمورًا به لجميع المشركين، إما فرض عين على أحد القولين، أو فرض كفاية على المشهور^(٢).

الغزوات والسرايا قبل بدر

وكما هو معروف في فن الحرب أن الهجوم أقوى وسائل الدفاع، وقريش مصممة على خوض المعركة مع الرسول ﷺ، فلنكن المبادرة منه، ومن أجل هذا كانت السنة الأولى كلها سنة هجوم على قوافل قریش، فلقد جهز رسول الله ﷺ ثمانى سرايا وكانت كلها لا اعتراض غير قریش ماعدا واحدة كانت ردًا على هجوم قام به كرز بن جابر الفهري، واستمرت هذه السرايا من رمضان السنة الأولى للهجرة إلى رمضان في السنة الثانية من الهجرة، وكان قادة هذه السرايا جميعا من المهاجرين، وكان لهذا معنى خاص في هذه الحرب، فأصل العهد مع الأنصار هو حماية رسول الله ﷺ وصحبه في المدينة، وهذه السرايا تعرض للقوافل خارج المدينة، هذا من جهة؛ ومن جهة ثانية فلا بد من تدريب شباب الدعوة على الحرب بعد أن أمروا بكف أيديهم خلال ثلاثة عشر عامًا من العهد المكي. ومن جهة ثالثة، فلا بد أن تعرف قریش أن هؤلاء المهاجرين الفارين من اضطهادها في مكة ليسوا موطن ضعف وهوان، بل هم قوة مرهوبة ذات شوكة عليها أن تحسب ألف حساب قبل أن تفكر في مواجهتهم.

ومن جهة رابعة فعلى قریش أن تذوق وبال أمرها لموقفها المشين من الدعوة وأن تتجرع مرارة هذا الموقف، فتعلم أن مصالحها وتجارتها صارت مهيب الريح بعد أن سيطر المسلمون على شريان حياتها من خلال قوافلها إلى الشام، حيث أصبحت رحلة الصيف عندها وخيمة العواقب^(٣).

(١) رواه الحاكم (٦٦/٢) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وأحمد (٢١٦/١) والترمذي (٣١٧٠) شاكر.

(٢) زاد المعاد (٦٩/٣)، (٧١).

(٣) المنهج الحركي للسيرة النبوية (١/٢٣٢، ٢٣٣) / أنير محمد الغضبان.

• غزوة ودان «الأبيواء»:

وهي أول غزواته ﷺ، فقد خرج غازياً من المدينة في الثاني عشر من شهر صفر بعد مضي سنة كاملة على قدومه إلى المدينة (سنة ٢هـ)، حتى بلغ ودان^(١)، وكان يستهدف قريشاً وبنى ضمرة بن بكر بن عبد مناه بن كنانة. وقد وادعه مخشى بن عمرو الضمري عن بنى ضمرة «ألا يكثرُوا عليه ولا يعينُوا عليه أحداً»^(٢). وقد عاد عليه الصلاة والسلام بقواته إلى المدينة ولم يلق كيذاً، «فأقام بها بقية صفر، وصدرًا من شهر ربيع الأول»^(٣).

• سرية عبيدة بن الحارث:

وكانت أول راية عقدها النبي ﷺ هي راية سرية عبيدة بن الحارث الذي بعثه في ستين رجلاً من المهاجرين بعد عودته من غزوة ودان، فسار حتى بلغ ماءً بالحجاز بأسفل ثنية المرة، فلقى جمعاً عظيماً من قريش عليهم عكرمة ابن أبي جهل، فلم يكن بينهم قتال، إذ حصل تناوش وتراشق بالسهام، وكان سعد بن أبي وقاص أول من رمى بسهم في الإسلام في هذه السرية، ثم انصرف القوم بعضهم عن بعض، وللمسلمين حامية، وفر من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهراني حليف بنى زهرة، وعتبة بن غزوان بن جابر المازني حليف بنى نوفل بن عبد مناف وكانا مسلمين ولكنهما جعلاً خروجهما مع الكفار وسيلة للوصول إلى المسلمين^(٤).

• سرية حمزة إلى سيف البحر:

وأرسل الرسول ﷺ سرية من ثلاثين رجلاً جعل عليهم عمه حمزة بن عبد المطلب، إلى سيف البحر ليعترضوا قافلة تجارية لقريش قادمة من الشام فيها أبو جهل في ثلاثمائة رجل، ولكنهم لم يشتبكوا مع قريش في قتال فقد حجز بينهم مجدى بن عمرو الجهني وكان حليفاً للطرفين^(٥).

(١) إحدى القرى الجامعة في منطقة الفرع، تبعد عن المدينة حوالي ٢٤ ميلاً.

(٢) أورده ابن سعد - الطبقات (١/ ٢٧٥).

(٣) البخاري - الصحيح (فتح الباري ٧/ ٢٧٩).

(٤) الطبقات لابن سعد (٧/ ٢).

(٥) الطبقات لابن سعد (٦/ ٢).

• غزوة بواط:

قاد الرسول ﷺ غزوة شارك فيها مائتين من الصحابة، استهدفت اعتراض قافلة تجارية لقريش يرأسها أمية ابن خلف ويرعاها مائة رجل من قريش، وفيها ألفان وخمسمائة بعير محملة بأنواع البضائع - وقد وصل النبي ﷺ بقواته إلى بواط، وهى من جبال جهينة من ناحية رضوى، ثم رجع حين لم يعثر على القافلة، ولم يلق حرباً. وكان قد استعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون^(١).

• غزوة العشيرة.

وغزا رسول الله ﷺ قريشاً لاعتراض قوافلها التجارية، وكان معه مائة وخمسون من أصحابه، فبلغ العشيرة بناحية ينبع، وفاتته العير، ووادع فى هذه الغزوة بنى مدلج وحلفاءهم من بنى ضمرة، ثم عاد إلى المدينة، ولم يلق حرباً^(٢).

• سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخرار:

بلغ النبي ﷺ أن عيراً لقريش فى طريقها إلى مكة، وأنها قد أخذت طريق الخرار، فانتدب سعد بن أبي وقاص لقيادة سرية لاعتراضها، يقول سعد: «فخرجت فى عشرين رجلاً أو إحدى وعشرين على أقدامنا، نكمن بالنهار ونسير بالليل حتى صبحناها صبح خمس، فوجد العير قد مرت بالأمس، وقد كان النبي ﷺ عهد إلى ألا أجاوز الخرار، ولولا ذلك لرجوت أن أدركهم»^(٣).

• غزوة بدر الأولى (الصغرى):

أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة المنورة فى أعقاب غزوة العشيرة، ونهب بعض الإبل والمواشى، فخرج رسول الله ﷺ يطارده مع عدد من الصحابة، إلى أن وصلوا وادى سفوان من نواحي بدر، وتمكن كرز الفهري من الإفلات من حملة المطاردة، وقد تأكد من جراءة هذا الحادث ضرورة توثيق المسلمين لعلاقاتهم مع القبائل المجاورة للمدينة. وكان النبي ﷺ قد استعمل على المدينة زيد بن حارثة^(٤).

(١) السيرة لابن هشام (٥٩٨/١).

(٢) انظر البخارى (٣٩٤٩) غزوة العشيرة.

(٣) ابن هشام (٦٠٠/١).

(٤) ابن هشام (٦٠١/١).

• سرية عبد الله بن جحش:

وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ بْنَ رِثَابِ الْأَسَدِيِّ فِي رَجَبٍ، مَقْفَلَةً مِنْ بَدْرِ الْأُولَى، وَبَعَثَ مَعَهُ ثَمَانِيَةَ رَهْطٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، لَيْسَ فِيهِمْ مِنَ الْأَنْصَارِ أَحَدٌ وَكُتِبَ لَهُ كِتَابًا، وَأَمْرُهُ أَنْ لَا يَنْظُرَ فِيهِ حَتَّى يَسِيرَ يَوْمِينَ ثُمَّ يَنْظُرَ فِيهِ، فَيَمْضِيَ لِمَا أَمَرَهُ بِهِ، وَلَا يَسْتَكْرِهَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَحَدًا.

فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب، فنظر فيه، فإذا فيه: إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل (نخلة) بين مكة والطائف، فترصد بها قريشًا وتعلم لنا من أخبارهم، فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب قال: سمعًا وطاعًا؛ ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلى نخلة، أرصد بها قريشًا، حتى آتية منهم بخبر؛ وقد نهاني أن أستكره أحدًا منكم، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فأما أنا فماضٍ لأمر رسول الله ﷺ، فمضى ومضى معه أصحابه، لم يتخلف عنه منهم أحد.

وسلك على الحجاز، حتى إذا كان بمعدن، فوق الفرع، يقال له: بخران أضل سعد ابن أبي وقاص، وعتبة بن غزوان بغيراً لهما، كانا يعتقبانه فتخلفا عليه في طلبه. ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة، فمرت به غير لقريش تحمل زبيياً وأدماً - الجلد - وتجارة من تجارة قريش فيها عمرو بن الحضرمي.

فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم، فأشرف لهم عكاشة بن محصن، وكان قد حلق رأسه، فلما رأوه أمنوا، وقالوا: عمار - أي جاءوا لأداء العمرة لا بأس عليكم منهم - وتشاور القوم فيهم، وذلك في آخر يوم من رجب؛ فقال القوم: والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم، فليمتنعن منكم به، ولئن قتلتموهن لتقتلنهم في الشهر الحرام؛ فتردد القوم، وهابوا الإقدام عليهم، ثم شجعوا أنفسهم عليهم، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم، وأخذ ما معهم فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو ابن الحضرمي بسهم فقتله، واستأسر عثمان بن عبد الله، والحكم بن كيسان - أخذهما أسرى - وأفلت من القوم نوفل بن عبد الله فأعجزهم، وأقبل عبد الله ابن جحش وأصحابه بالبعير وبالأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ المدينة.

رفع

عبد الرحمن بن أبي بكر
السلمي (ابن أبي بكر)

وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش: أن عبد الله قال لأصحابه: إن لرسول الله ﷺ مما غنمنا الخمس - وذلك قبل أن يفرض الله تعالى الخمس من المغنم - فعزل لرسول الله ﷺ خمس العير، وقسم سائرهما بين أصحابه.

فلما قدموا على رسول الله ﷺ المدينة؛ قال: «ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام»، فوقف العير والأسيرين، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً؛ فلما قال ذلك رسول الله ﷺ سقط في أيدي القوم، وظنوا أنهم قد هلكوا، وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا، وقالت قريش: قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه الأموال، وأسروا فيه الرجال فقال: من يردّ عليهم من المسلمين، ممن كان بمكة: إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان.

فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، أى إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام، فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به، وعن المسجد الحرام وإخراجكم منه وأنتم أهل أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ أى قد كانوا يفتنون المسلم عن دينه حتى يردّوه إلى الكفر بعد إيمانه، فذلك أكبر عند الله من القتل ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ أى ثم هم مقيمون على أخبث من ذلك وأعظمه، غير تائبين ولا نازعين.

فلما نزل القرآن بهذا الأمر، وفرج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق، قبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين، وبعثت إليه قريش فداء في عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان، فقال رسول الله ﷺ: «لا تُفديكموهما حتى يقدم صاحبانا - يعنى سعد بن أبي وقاص، وعتبة بن غزوان - فإن تقتلوهمما نقتل صاحبيكم، فقدم سعد وعتبة، فأفداهما رسول الله ﷺ منهم.

فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن إسلامه، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً، وأما عثمان بن عبد الله فليحق بمكة، فمات بها كافراً.

فلما تجلّى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن، طمعوا في

الأجر. فقالوا: يا رسول الله، أنطمع أن تكون لنا غزوة نُعطى فيها أجر المجاهدين؟ فأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨] فوضعهم الله عز وجل من ذلك على أعظم الرجاء^(١).

(١) ذكره الهيثمي في المجمع (١٩٨/٦) وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٥٨/٩، ٥٩) عن عروة وإسناده صحيح.

غزوة بدر الكبرى^(١)

قد أسلفنا في ذكر غزوة العشيرة أن عيراً لقريش أفلتت من النبي ﷺ في ذهابها من مكة إلى الشام، ولما قرب رجوعها من الشام إلى مكة بعث رسول الله ﷺ طلحة بن عبيد الله، وسعيد بن زيد إلى الشمال، ليقوما باكتشاف خبرها فوصلا إلى الروحاء، ومكثا حتى مر بهما أبو سفيان بالعبير، فأسرعا إلى المدينة، وأخبرا رسول الله ﷺ بالخبر. كانت العبير مركبة من ثروات طائلة من أهل مكة، ألف بغير موقرة بالأموال، لا تقل عن خمسين ألف دينار ذهبي، ولم يكن معها من الحرس إلا نحو أربعين رجلاً. إنها فرصة ذهبية لعسكر المدينة، وضربة عسكرية واقتصادية قاصمة ضد المشركين لو أنهم فقدوا هذه الثروة الطائلة، لذلك أعلن رسول الله ﷺ في المسلمين قائلاً: «هذه عبير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها»^(٢).

(١) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «التمسوها (يعني ليلة القدر) في سبع عشرة، وتلا هذه الآية ﴿يوم التقى الجمعان﴾ يوم بدر، قال: أو تسع عشرة، أو إحدى وعشرين» رواه أبو داود بإسناد صحيح. ومن حديث ابن مسعود أيضاً: قال في ليلة القدر (تحروها لإحدى عشرة يقين صبيحاً يوم بدر). قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله: «أما غزوة بدر فمتفق عليه بين أهل السير: ابن إسحاق وموسى بن عتبة وأبو الأسود وغيرهم، واتفقوا على أنها كانت في رمضان، قال ابن عساكر: والمحمول أنها كانت في يوم الجمعة، وروى أنها كانت في يوم الاثنين وهو شاذ، ثم الجمهور على أنها كانت سابع عشر، وقيل ثاني عشرة، وجمع بينهما بأن الثاني ابتداء الخروج والسابع عشر يوم الوقعة» التلخيص الخبير (٨٩/٤). قلت: وخلاصة الأمر كما جاء في قول ابن حجر أن الخروج كان في الثاني عشر، والسابع عشر يوم الوقعة، والتاسع عشر كما في قول ابن مسعود الثاني هو انتهاء الغزوة وخاصة أن الرسول عليه السلام كان يقيم في عرصة أي قوم يغزوهم ثلاثاً، وكذا فعل في بدر كما سيأتي بيانه. [صحيح السيرة النبوية (ص ٢١٩)] لإبراهيم العلي.

(٢) أخرجه ابن هشام في «السيرة» (٤٤٠/٢)، والطبري في تفسيره (١٨٥/٩)، وابن المنذر - كما في الدر المنثور (٣٠٦/٣) بسند حسن عن ابن عباس.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

النبى ﷺ يرسل العيون ليأتوه بخير العير

* عن أنس: قال: «بعث رسول الله ﷺ بؤسية عيناً ينظر ما صنعت عير أبى سفيان، فجاء وما فى البيت أحد غيرى وغير رسول الله (قال: لا أدري ما استثنى بعض نسائه) قال: فحدثه الحديث قال: فخرج رسول الله ﷺ فتكلم فقال: (إن لنا طلبة فمن كان ظهره حاضراً فليركب معنا) فجعل رجال يستأذنونهم فى ظهورهم فى علو المدينة فقال: (لا إلا من كان ظهره حاضراً)»^(١) - أى من كان معه دابته وسلاحه - .

أحداث الغزوة

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله :-

فلما كان فى رمضان من هذه السنة، بلغ رسول الله ﷺ خبر العير المقبلة من الشام لقريش صُحبة أبى سفيان، وهى العير التى خرجوا فى طلبها لما خرجت من مكة، وكانوا نحو أربعين رجلاً، وفيها أموالٌ عظيمة لقريش، فندب رسول الله ﷺ الناس للخروج إليها، وأمر من كان ظهره حاضراً بالنهوض، ولم يحتفل لها احتفالاً بليغاً، لأنه خرج مُسرِعاً فى ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسان: فرس للزبير بن العوام، وفرس للمقداد بن الأسود الكندى، وكان معهم سبعون بعيراً يعتقب الرجال والثلاثة على البعير الواحد، فكان رسول الله ﷺ، وعلى، ومروءة بن أبى مَرْثَد الغنوى، يعتقبون بعيراً^(٢).

* وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار، ويسأل من لقي من الركبان خوفاً على أمر الناس، حتى أصاب خبراً من بعض الركبان: أن محمداً استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك. فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى فبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتى قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها فى أصحابه،

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه الإمامة باب ثبوت الجثة للشهيد رقم (١٩٠١).

(٢) هذا قول ابن إسحاق كما فى «السيرة» (١/٦١٣، ١/٤١١) والذى جاء فى «مسند» أحمد (٣٩٠١)،

(٣٩٦٥) من حديث ابن مسعود قال: كنا يوم بدر، كل ثلاثة على بعير - أى يتعاقبون - وكان أبو لبابة

وعلى بن أبى طالب زميلى رسول الله ﷺ، قال: وكانت عقبه رسول الله ﷺ، قال: فقالا: نحن نمشى عنك، فقال: «ما أنتما بأقوى منى، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما» وسنده حسن، وصححه الحاكم.

(٢٠/٣)، ووافقه الذهبى.

رفع

عن الشيخ (البحر)
(المنهج) (البرهان)

فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة^(١).

النبى ﷺ يشاور أصحابه بالمدينة

عن أنس؛ أن رسول الله ﷺ شاور، حين بلغه إقبال أبى سفيان. قال: فتكلم أبو بكر فأعرض عنه. ثم تكلم عمر فأعرض عنه. فقام سعد بن عباد فقال: إيانا تريد؟ يا رسول الله! والذى نفسى بيده! لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها. ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا. قال: فندب رسول الله ﷺ الناس. فانطلقوا حتى نزلوا بدرًا. ووردت عليهم روايا قریش. وفيهم غلام أسود لبنى الحجاج. فأخذوه. فكان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن أبى سفيان وأصحابه؟ فيقول: مالى علم بأبى سفيان. ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأميه بن خلف. فإذا قال ذلك، ضربه، فقال: نعم. أنا أخبركم. هذا أبو سفيان. فإذا تركوه فسألوه فقال: ما لى بأبى سفيان علم. ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأميه بن خلف فى الناس. فإذا قال هذا أيضاً ضربه. ورسول الله ﷺ قائم يصلى. فلما رأى ذلك انصرف. قال: «والذى نفسى بيده! لتضربوه إذا صدقكم. وتتركوه إذا كذبكم».

قال: فقال رسول الله ﷺ: «هذا مصرع فلان» قال: ويضع يده على الأرض، ههنا وههنا. قال: فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ^(٢).

قوة الجيش.. وتوزيع القيادات

* عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: «كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير، كان أبو لبابة وعلى بن أبى طالب زميلى رسول الله ﷺ قال: وقال: كانت عقبة رسول الله ﷺ قال: فقالا: نحن نمشى عنك.

فقال: (ما أنتما بأقوى منى، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما)^(٣).

* وأما عن عدد المسلمين الذين خرجوا فى غزوة بدر فلقد جاء فى أحاديث صحيحة منها:

(١) أخرجه ابن هشام من طريق ابن إسحاق: (٢/٦٠٦ - ٦٠٧)، بسند صحيح فقد صرح ابن إسحاق بالتحديث والبيهقى فى الدلائل (٣/٣١ - ٣٥) بسنده لابن إسحاق وهو حسن.

(٢) أخرجه مسلم (٨٣) (١٧٧٩) كتاب الجهاد والسير / باب: غزوة بدر.

(٣) رواه أحمد (٤١١/١) وحسنه أحمد شاكر - ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى.

✽ عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال: «كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، ولم يجاوز معه إلا مؤمن بضعة عشر وثلاثمائة»^(١).

✽ وعن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال: «كان عدة أهل بدر عدة أصحاب طالوت يوم جالوت ثلاثمائة وسبعة عشر»^(٢).

✽ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: «خرج رسول الله ﷺ يوم بدر في ثلاثمائة وخمسة عشر رجلاً من أصحابه.. فذكر الحديث»^(٣).

وهذه الرواية لا تنافى التي قبلها لاحتمال أن تكون هذه الرواية لم يعد فيها النبى ﷺ ولا الرجل الذى لحق بهم.

✽ واستخلف النبى ﷺ على المدينة وعلى الصلاة ابن أم مكتوم، فلما كان بالروحاء رد أبا لبابة بن عبد المنذر، واستعمله على المدينة.

ودفع لواء القيادة العامة إلى مصعب بن عمير القرشى العبدري، وكان هذا اللواء أبيض.

وقسم جيشه إلى كتبتين:

١ - كتية المهاجرين، وأعطى علمها على بن أبى طالب.

٢ - كتية الأنصار، وأعطى علمها سعد بن معاذ.

وجعل على قيادة الميمنة الزبير بن العوام، وعلى الميسرة المقداد بن عمرو - وكانا هما الفارسين الوحيدين فى الجيش - وجعل على الساقة قيس بن أبى صعصعة، وظلت القيادة العامة فى يده ﷺ كقائد أعلى للجيش^(٤).

(١) أخرجه البخارى فى المغازى باب عدة أصحاب بدر رقم (٣٩٥٨)، الترمذى فى السير باب ما جاء فى عدة أصحاب بدر رقم (١٥٩٨) وقال حديث حسن صحيح.

(٢) كشف الأستار عن زوائد البزار رقم (١٧٨٤)، وقال الهيثمى (٩٣/٦) رواه البزار ورجاله ثقات.

(٣) رواه أبو داود (٢٧٤٧) وحسنه الحافظ فى الفتح (٢٩٢/٧).

(٤) الرقيق المختوم (ص: ٢١٣).

رَفَعُ

عبد الرحمن العبدري
أسكنه الله الفردوس

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الجيش الإسلامي يتحرك نحو بدر

سار رسول الله ﷺ في هذا الجيش غير المتأهب، فخرج من نقب المدينة، ومضى على الطريق الرئيسي المؤدى إلى مكة، حتى بلغ بئر الروحاء ولما ارتحل منها، ترك طريق مكة بيسار، وانحرف ذات اليمين على النازية (يريد بدرًا)، فسلك في ناحية منها، حتى جزع وادياً يقال له: رحقان، بين النازية وبين مضيق الصفراء، ثم مر على المضيق، ثم انصب منه حتى قرب من الصفراء، وهنالك بعث بسيس بن عمر الجهني وعدى بن أبي الزغباء الجهني إلى بدر، يتجسسان له أخبار العير^(١).

خوف بعض أئمة الكفر من الخروج

* عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه حدث عن سعد بن معاذ أنه: «كان صديقاً لأمية بن خلف، وكان أمية إذا مر بالمدينة نزل على سعد، وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أمية، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة انطلق سعد معتمراً، فنزل على أمية بمكة، فقال لأمية: انظرنى ساعة خلوة لعلى أن أطوف بالبيت، فخرج به قريباً من نصف النهار، فلقيهما أبو جهل فقال: يا أبا صفوان من هذا معك؟

فقال: هذا سعد. فقال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكة آمناً وقد آويتم الصبأ، وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينوهم. أما والله لولا أنك مع أبى صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً، فقال له سعد - ورفع صوته عليه -: أما والله لئن منعتنى هذا لأمنعتك ما هو أشد عليك منه: طريقك على المدينة، فقال له أمية: لا ترفع صوتك يا سعد على أبى الحكم سيد أهل الوادى. فقال سعد: دعنا عنك يا أمية، فوالله لقد سمنت رسول الله ﷺ يقول: (إنهم قاتلوك). قال: بمكة؟ قال: لا أدري، ففرع لذلك أمية فرعاً شديداً. فلما رجع أمية إلى أهله قال: يا أم صفوان، ألم ترى ما قال لى سعد؟ قالت: وما قال لك؟ قال: زعم أن محمداً أخبرهم أنهم قاتلى، فقلت له: بمكة؟ قال: لا أدري. فقال أمية: والله لا أخرج من مكة.

فلما كان يوم بدر استنفر أبو جهل الناس قال: أدركوا عيركم، فكره أمية أن يخرج، فأتاه أبو جهل فقال: يا أبا صفوان إنك متى ما يراك الناس قد تخلفت، وأنت سيد أهل

(١) الرحيق المختوم (ص ٢١٤).

الوادي تخلفوا معك، فلم يزل به أبو جهل حتى قال: أما إذا غلبتني فوالله لأشترين أجود بغير بمكة. ثم قال أمية: يا أم صفوان جهزيني. فقالت له: يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال: لا ما أريد أن أجوز معهم إلا قريباً. فلما خرج أمية أخذ لا يترك منزلاً إلا عقل بغيره. فلم يزل بذلك حتى قتله الله - عز وجل - ببدر^(١).

أهل مكة يخرجون للمغزو

فتحفز الناس سراعاً، وقالوا: أئظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي؟ كلا، والله ليعلمن غير ذلك، فكانوا بين رجلين: إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً، وأوعبوا في الخروج، فلم يتخلف من أشرافهم أحد سوى أبي لهب فإنه عوض عنه رجلاً كان له عليه دين، وحشدوا من حولهم من قبائل العرب، ولم يتخلف عنهم أحد من بطون قريش إلا بنى عدى، فلم يخرج منهم أحد.

قوام الجيش المكي

وكان قوام هذا الجيش نحو ألف وثلاثمائة مقاتل في بداية سيره، وكان معه مائة فرس وستمائة درع، وجمال كثيرة لا يُعرف عددها بالضبط، وكان قائده العام أبا جهل بن هشام، وكان القائمون بتموينه تسعة رجال من أشراف قريش، فكانوا ينحرون يوماً تسعاً ويوماً عشرةً من الإبل^(٢).

الشيخطان يخدع قريشاً

✽ قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير، قال: «لما أجمعت قريش المسير ذكرت ما كان بينها وبين بني بكر، فكاد ذلك يشنيهم، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك بن جعشم المدلجي، وكان من أشراف بني كنانة، فقال لهم: أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه فخرجوا سراعاً»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٣٩٥٠) المغازي، وأحمد (٤٠٠/١).

(٢) الرحيق المختوم (ص ٢١٤: ٢١٥).

(٣) ابن هشام في السيرة: (٦١٢/١)، وسنده صحيح لكنه مرسل، ابن كثير من طريقه (٤٣٢/٢)، وقد جاء مرفوعاً من حديث ابن عباس بسند حسن أخرجه ابن جرير في التفسير (٧/١٤) شاكر، والبيهقي في الدلائل (٧٨/٣ - ٧٩) وله شاهد من حديث الحسن أخرجه ابن جرير في التفسير (١٥/١٠) وإسناده صحيح رجاله كلهم ثقات، ومن مرسل قتادة عند ابن جرير في التفسير (١٤/١٠) وإسناده صحيح.

رفع

عن الشيخين
(سنة النشر: ١٤٠٥)

نفى لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم

* عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال: «ما منعتنى أن أشهد بدرًا، إلا أنى خرجت أنا وأبى حسيل، قال فأخذنا كفار قريش، قالوا: إنكم تريدون محمداً؟ فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لنصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه. فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر فقال: انصرفا، نفى لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم»^(١).

* ويا له من درس عظيم.. فالنبي ﷺ يعلمنا الوفاء بالعهد حتى مع الأعداء.

هذا مصرع فلان

* عن أنس رضى الله عنه قال: «كنا مع عمر بين مكة والمدينة فترأينا الهلال».. إلى أن قال: «ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر فقال: إن رسول الله ﷺ كان يربنا مصارع أهل بدر بالأمس يقول (هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله) قال: فقال عمر: فوالذى بعثه بالحق! ما أخطؤوا الحدود التى حد رسول الله ﷺ»^(٢).

ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد

وأما أبو سفيان، فإنه بلغه مخرج رسول الله ﷺ وقصده إياه، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى إلى مكة، مستصرحاً لقريش بالنفير إلى غيرهم، ليمنعوه من محمد وأصحابه، وبلغ الصريخ أهل مكة، فنهضوا مسرعين، وأوعبوا^(٣) فى الخروج، فلم يتخلف من أشrafهم أحد سوى أبى لهب، فإنه عوض عنه رجلاً كان له عليه دين، وحشدوا فيمن حولهم من قبائل العرب، ولم يتخلف عنهم أحد من بطون قريش إلا بنى عدى، فلم يخرج معهم منهم أحد، وخرجوا من ديارهم كما قال تعالى: ﴿بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٤٧]، وأقبلوا كما قال رسول الله ﷺ: «بِحَدِّهِمْ

(١) أخرجه مسلم فى الجهاد والسير باب الوفاء بالعهد برقم (١٧٨٧)، وأحمد فى المسند (٣٩٥/٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧٣) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) يقال: أوعب القوم: إذا خرجوا كلهم إلى الغزو.

وحَدِيدَهُمْ، تُحَادُهُ وَتُحَادُ رَسُولُهُ»^(١)، وجاؤوا على حرد قادرين، وعلى حمية، وغضب، وحقن على رسول الله ﷺ وأصحابه، لما يريدون من أخذ غيرهم، وقتل من فيها، وقد أصابوا بالأمس عمرو بن الحضرمي، والعر التي كانت معه، فجمعهم الله على غير ميعاد كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافِ الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢].

فسار رسول الله ﷺ إلى بدر، وخفض أبو سفيان فالحق بساحل البحرين ولما رأى أنه قد نجا، وأحرز العير، كتب إلى قريش: أن ارجعوا، فإنكم إنما خرجتم لتحرزوا غيركم، فأتاهم الخبر، وهم بالجحفة، فهموا بالرجوع، فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نقدم بدرًا فقيم بها ونطعم من حضرنا من العرب، وتخافنا العرب بعد ذلك، فأشار الأخنس ابن شريق عليهم بالرجوع، فعصوه، فرجع هو وبنو زهرة، فلم يشهد بدرًا زهري، فاغبتت بنو زهرة بعد برأى الأخنس، فلم يزل فيهم مطاعًا معظمًا^(٢).

موقف حرج للجيش الإسلامي

أما استخبارات جيش المدينة فقد نقلت إلى رسول الله ﷺ وهو لا يزال في الطريق بوادي ذفران - خبر العير والنفير، وتأكد لديه بعد التدبر في تلك الأخبار أنه لم يبق مجال للاجتناب عن لقاء دام، وأنه لا بد من إقدام يبنى على الشجاعة والبسالة، والجرأة، والجرأة، فمما لا شك فيه أنه لو ترك جيش مكة يحوس خلال تلك المنطقة، يكون ذلك تدعيمًا لمكانة قريش العسكرية، وامتدادًا لسلطانها السياسي، وإضعافًا لكلمة المسلمين وتوهينًا لها، بل ربما تبقى الحركة الإسلامية بعد ذلك جسدًا لا روح فيه، ويجرؤ على الشر كل من فيه فقد أو غيظ على الإسلام في هذه المنطقة.

وبعد هذا كله فهل يكون هناك أحد يضمن للمسلمين أن يمنع جيش مكة عن مواصلة سيره نحو المدينة، حتى ينقل المعركة إلى أسوارها، ويغزو المسلمين في عقر

(١) في «السيرة (١/٦٢١) عن ابن إسحاق: فلما رأى رسول الله ﷺ قريشًا تصوب من العققل - وهو الكتيب الذي جاؤوا منه إلى الوادي - قال: «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني، اللهم أخرجهم الغداة».

(٢) زاد المعاد (٣/١٧٢: ١٧٤) بتصرف.

دارهم، كلا، فلو حدث من جيش المدينة نكولاً ما، لكان له أسوأ الأثر على هبة المسلمين وسمعتهم^(١).

أشيروا على أيها الناس

لقد مدح الله نبيه ﷺ وأصحابه (رضى الله عنهم) بقوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].. وها نحن نرى التزامه ﷺ بمبدأ التشاور مع أصحابه، وإذا استعرضنا حياته ﷺ، وجدنا أنه كان يلتزم هذا المبدأ في كل أمر لا نص فيه من كلام الله تعالى، مما له علاقة بالتدبير والسياسة الشرعية، ومن أجل هذا أجمع المسلمون على أن الشورى في كل ما لم يثبت فيه نص ملزم من كتاب أو سنة، أساس تشريعي دائم لا يجوز إهماله. أما ما ثبت فيه نص من الكتاب أو حديث من السنة أبرم به الرسول ﷺ حكمه، فلا شأن للشورى فيه ولا ينبغي أن يقضى عليه بأى سلطان^(٢).

ونظراً إلى هذا التطور الخطير المفاجئ عقد رسول الله ﷺ مجلساً عسكرياً استشارياً أعلى، أشار فيه إلى الوضع الراهن، وتبادل فيه الرأي مع عامة جيشه، وقادته. وحينئذ تزعزع قلوب فريق من الناس، وخافوا اللقاء الدامي، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ ﴿يَجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الأنفال: ٥٠: ٦٠].

✽ في هذا الوقت أراد النبي ﷺ أن يعرف رأى الصحابة قبل الدخول في تلك المعركة الحاسمة بل أراد أن يعرف - على وجه الخصوص - رأى قادة الأنصار؛ لأنهم كانوا يمثلون أغلبية الجيش، ولأن ثقل المعركة سيدور على كواهلهم، مع أن نصوص العقبة - بيعة العقبة - لم تكن تلزمهم بالقتال خارج ديارهم^(٣).

✽ يقول ابن عباس رضى الله عنهما: «.. وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا غيرهم، فاستشار الناس، وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر الصديق، فقال وأحسن. ثم قام عمر بن الخطاب، فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لما

(١) الرحيق المختوم (ص ٢١٦: ٢١٧) بتصرف.

(٢) فقه السيرة للبوطي (ص ١٥٩).

(٣) أصحاب الرسول ﷺ / للمصنف (١/ ٤٠٦).

أراك الله، فنحن معك، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله خيراً، ودعا له به.

ثم قال رسول الله ﷺ: (أشيروا على أيها الناس)، وإنما يريد الأئصار، وذلك أنهم عدد الناس، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله: إنا برآء من ذمامك^(١) حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا، فأنت في ذمتنا، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فكان رسول الله ﷺ يتخوف ألا تكون الأئصار ترى عليها نصره إلا بمن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو في بلادهم.

فلما قال ذلك رسول الله ﷺ، قال سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: (أجل). قال: فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواريقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذى بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك^(٢)، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله، فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك، ثم قال: (سيروا وابشروا، فإن الله تعالى قد وعدنى إحدى الطائفتين، والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم)^(٣).

* وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: «شهدت من المقداد بن الأسود شهداً، لأن أكون صاحبه أحب إلى مما عدل به، أتى النبى ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال: لا نقول كما قال قوم موسى ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ ولكننا نقاتل عن يمينك، وعن شمالك، وبين يديك وخلفك، فرأيت النبى ﷺ أشرق وجهه وسره... يعنى قوله^(٤)».

(١) الذمام: العهد.

(٢) خضناه معك: لو أمرتنا بدخول البحر لدخلناه.

(٣) أخرجه ابن هشام فى السيرة (١/ ٦١٤ - ٦١٥)، بإسناد صحيح وقد صرح ابن إسحاق بالسمع، وأخرجه

الطبرانى وإسناده حسن كما فى المجمع (٦/ ٧٣).

(٤) أخرجه البخارى (٣٩٥٢) المغازى، أحمد (١/ ٣٩٠ - ٤٢٨).

ويقول الحافظ في فتح الباري:

ويمكن الجمع بأن النبي ﷺ استشارهم في غزوة بدر مرتين: الأولى: وهو بالمدينة أول ما بلغه خبر العير مع أبي سفيان، وذلك بين في رواية مسلم ولفظه «أن النبي ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان والثانية كانت بعد أن خرج» (١). (٢)

النبي ﷺ يبعث استخباراته ليعرف أخبار العدو

وفي مساء ذلك اليوم بعث استخباراته من جديد، ليعتبر عن أخبار العدو، وقام لهذه العملية ثلاثة من قادة المهاجرين: علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه، ذهبوا إلى ماء بدر، فوجدوا غلامين يستقيان لجيش مكة، فألقوا عليهما القبض، وجاءوا بهما إلى الرسول ﷺ وهو في الصلاة، فاستخبرهما القوم، فقالا: نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء (٣). (٤)

(١) فتح الباري (٧/ ٢٨٨).

(٢) ولدى التأمل فيما أجاب به سعد بن معاذ، نعلم أن المبايعة التي ارتبط بها الأنصار مع رسول الله ﷺ في مكة قبل الهجرة، لم تكن إلا مبايعة مع الله تعالى، ولم يكونوا يتصورون وهم يلتزمون الدفاع عن رسول الله ﷺ حينما يهاجر إليهم إلا دفاعاً عن دين الله تعالى وشريعته. فليست القضية مسألة نصوص معينة اتفقوا مع رسول الله ﷺ عليها فهم لا يريدون أن يلتزموا بما وراءها، وإنما المسألة أنهم إنما وقعوا بذلك تحت صك عظيم تضمن قوله تعالى: «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون..» [التوبة: ١١١].

ولذلك كان جواب سعد رضي الله عنه: «لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق... فامض لما أردت فنحن معك». أي فنحن نسير معك وفق معاهدة أعظم من تلك التي اتفقنا عليها معاً، في بيعة العقبة. [فقه السيرة للبوطي (ص ١٦١)].

(٣) الرحيق المختوم (ص ٢١٩).

(٤) يجوز للإمام أن يستعين في الجهاد وغيره بالعيون والمراقبين، يثبهم بين الأعداء ليكتشف المسلمون خططهم وأحوالهم وليتنبأوا ما هم عليه من قوة في العدة والعدد. ويجوز اتخاذ مختلف الوسائل لذلك، بشرط أن لا تنطوي الوسيلة على الإضرار بمصلحة هي أهم من مصلحة الاطلاع على حال العدو، وربما استلزمت الوسيلة تكتماً أو نوعاً من المخادعة أو التحايل، وكل ذلك مشروع وحسن من حيث إنه واسطة لا بد منها لمصلحة المسلمين وحفظهم [فقه السيرة للبوطي (ص ١٦١)].

رفع
عن (الرحيق المختوم)
(أسكن الله الفردوس)

* وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: «لما قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها فاجتويناها»^(١)، فأصابنا بها وعك، فكان النبي ﷺ يتخير عن بدر، فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا سار رسول الله ﷺ إلى بدر، (وبدر بئر)، فسبقنا المشركون إليها، فوجدنا فيها رجلين منهم رجل من قريش ومولى لعقبة بن أبي معيط، فأما القرشي فانفلت، وأما مولى عقبة فأخذناه، فجعلنا نقول له: كم القوم؟ فيقول: هم والله كثير عددهم، شديد بأسهم، فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه، حتى انتهوا به إلى النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ (كم القوم؟)، فقال: هم والله كثير عددهم شديد بأسهم، فجهد رسول الله ﷺ أن يخبره فأبى، ثم إن النبي ﷺ سأله: كم ينحرون من الجزر؟ قال: عشر كل يوم، فقال رسول الله ﷺ: (القوم ألف... كل جزور لمائة ونيفها)^(٢).

الانشقاق بين صفوف المشركين

* عن علي (رضي الله عنه) قال:

«فلما دنا القوم منا وصافقناهم إذا رجل منهم على جمل أحمر يسير في القوم، فقال رسول الله ﷺ: (يا علي ناد حمزة)، وكان أقربهم من المشركين من صاحب الجمل الأحمر وماذا يقول لهم، ثم قال رسول الله ﷺ: (إن يكن في القوم أحد يأمر بخير فعسى أن يكون صاحب الجمل الأحمر)، قال: هو عتبة بن ربيعة، وهو ينهى عن القتال، ويقول لهم: يا قوم: إني أرى قومًا مستميتين لا تصلون إليهم، وفيكم خير، يا قوم: أعصوها اليوم برأسي وقولوا جبن عتبة بن ربيعة، وقد علمتم أنني لست بأجنبكم، فسمع ذلك أبو جهل فقال: أنت تقول هذا، والله لو غيرك يقول لأغضضته»^(٣)، قد ملأت رئتك جوفك رعبًا، فقال عتبة: إياي تعني يا مصفر إسته، ستعلم اليوم أننا الجبان»^(٤).

(١) اجتويناها: أصابهم الجوى وهو المرض وداء الجوف إذا تطاول وذلك إذا لم يوافقهم هواؤها واستوخموها.

(٢) رواه أحمد (١١٧/١) وصححه أحمد شاكر وحسنه ابن كثير في البداية (٣/ ٢٧٠ - ٢٧٧).

(٣) لأغضضته: قلت له اعرض عن أهلك - أي ذكر أهلك.

(٤) سبق تخريجه.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

❖ وقد جاء من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزل المسلمون وأقبل المشركون، نظر رسول الله ﷺ إلى عتبة بن ربيعة وهو على جمل أحمر فقال: (إن يكن عند أحد من القوم خير فهو عند صاحب الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا) وهو يقول:

«يا قوم أطيعوني في هؤلاء القوم، فإنكم إن فعلتم لن يزال ذلك في قلوبكم، ينظر كل رجل إلى قاتل أخيه، وقاتل أبيه، فاجعلوا حقها برأسى وارجعوا، فقال أبو جهل: انتفخ والله سحره^(١) حين رأى محمداً وأصحابه، إنما محمد وأصحابه كأكلة جزور ولو قد التقينا، فقال عتبة: ستعلم من الجبان المفسد لقومه، أما والله إنى لأرى قومًا يضربونكم ضرباً، أما ترون كأن رؤسهم الأفاعى، وكأن وجوههم السيوف، ثم دعا أخاه وابنه، فخرج يمشى بينهما ودعا بالمبارزة»^(٢).

النبي ﷺ يصلى ويدعو حتى أصبح

وقد وصف على رضي الله عنه في رواية صحيحة كيف بات المسلمون ليلة السابع عشر من رمضان ببدر وأمامهم معسكر المشركين، قال: «لقد رأيتنا يوم بدر، وما منا إلا نائم، إلا رسول الله ﷺ فإنه كان يصلى إلى شجرة ويدعو حتى أصبح ثم إنه أصابنا من الليل طش من مطر، فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه ويقول: «اللهم إنك إن تهلك هذه الفئة لا تُعبد» فلما طلع الفجر نادى: «الصلاة عباد الله» فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله ﷺ وحرص على القتال»^(٣).

وعن ابن عباس: قال النبي ﷺ يوم بدر: اللهم إنى أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن

(١) انتفخ والله سحره: أثر السحر فيه الآن ويقصد الجلسة التي جلسها عتبة مع رسول الله يعرض عليه المفاوضات وتأثره بما سمع.

(٢) قال الهيثمي في المجمع: (٧٦/٦) رواه البزار ورجاله ثقات، وانظر كشف الأستار (١٧٦٢)، والحاكم: (١٨٧/٣) وسنده حسن.

(٣) المجتمع المدني في عهد النبوة - الجهاد ضد المشركين (٤٦). د. أكرم العمرى. والحديث رواه أحمد في المسند (الفتح الرباني ٣٠/٢١، ٣٦).

شئت لم تُعبد فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك. فخرج وهو يقول: «سيُهزم الجمع ويولون الدُّبر» (١).

أهمية التضرع إلى الله وشدة الاستعانة به

لقد رأينا أن النبي ﷺ كان يُطمئن أصحابه بأن النصر لهم، حتى إنه كان يشير إلى أماكن متفرقة في الأرض ويقول: «هذا مصرع فلان»، ولقد وقع الأمر كما أخبر عليه الصلاة والسلام، فما ترحزح أحد في مقتله عن موضع يده كما ورد في الحديث الصحيح.

ومع ذلك فقد رأيناه يقف طوال ليلة الجمعة في العرش الذي أقيم له، يجأر إلى الله تعالى داعياً ومتضرعاً، باسطاً كفيه إلى السماء يناشد الله عز وجل أن يؤتیه نصره الذي وعد حتى سقط عنه رداؤه وأشفق عليه أبو بكر، والتزمه قائلاً: «كفى يا رسول الله، إن الله مُنجزٌ لك ما وعد». فلماذا كل هذه الضراعة ما دام أنه مطمئن إلى درجة أنه قال: «لكأني أنظر إلى مصارع القوم»، وأنه حدد مصارع بعضهم على الأرض؟

والجواب: أن اطمئنان النبي ﷺ وإيمانه بالنصر، إنما كان تصديقاً منه للوعد الذي وعد الله به رسوله، ولا شك أن الله لا يخلف الميعاد، وربما أوحى إليه بخبر النصر في تلك الموقعة.

أما الاستغراق في التضرع والدعاء وبسط الكف إلى السماء، فتلك هي وظيفة العبودية التي خلُق من أجلها الإنسان، وذلك هو ثمن النصر في كل حال. فما النصر - مهما توفرت الوسائل والأسباب - إلا من عند الله ويتوفيقه، والله عز وجل لا يريد منا إلا أن نكون عبيداً له بالطبع والاختيار، وما تقرب متقرب إلى الله بصفة أعظم من صفة العبودية.

فهذه العبودية التي اتخذت مظهرها الرائع في طول دعاء النبي ﷺ وشدة ضراسته ومناشدته لربه أن يؤتیه النصر، هي الثمن الذي استحق به ذلك التأييد الإلهي العظيم في تلك المعركة. وقد نصت على ذلك الآية الكريمة إذ تقول:

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ١٩].

(١) رواه البخارى (٣٣٥/٧) المغازى.

ويقيناً منه ﷺ بهذه العبودية لله عز وجل، كان واثقاً بالنصر مطمئناً إلى أن العاقبة للمسلمين. ثم قارن مظهر العبودية التي تجلت في موقفه ﷺ ونتائج ذلك، مع مظهر ذلك الطغيان والتجبر الذي تجلى في موقف أبي جهل حينما قال: «لن نرجع عن بدر أبداً حتى ننحر الجُزر ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب ويمسیرتنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا»، وتأمل في نتائج ذلك التجبر والجبروت!...

لقد كانت نتيجة العبودية والخضوع لله تعالى، عزة قعساء ومجداً شامخاً خضع لهما جبين الدنيا بأسرها. ولقد كانت نتيجة الطغيان والجبروت الزائفين قبراً من الضيعة والهوان أقيم لأربابهما حيث كانوا سيتساقون فيه الخمر وتعزف عليهم القيان. وتلك هي سنة الله في الكون كلما تلاقت عبودية لله خالصة مع جبروت وطغيان زائفين^(١).

الله يرسل المطر ليربط على قلوب الموحدين

قال تعالى: ﴿إِذْ يَفْشِيكُمُ النَّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١].

* قال الإمام ابن القيم: فأنزل الله في تلك الليلة مطراً واحداً، فكان على المشركين وبالأشديد منهم من التقدم، وكان على المسلمين طلاً طهرهم به وأذهب عنهم رجس الشيطان، ووطأ به الأرض وصلب به الرمل، وثبت به الأقدام، ومهد به المنزل، وربط به على قلوبهم، فسبق رسول الله ﷺ وأصحابه إلى الماء فنزلوا عليه شطر الليل، وصنعوا الحياض، ثم غوروا ما عداها من المياه، ونزل رسول الله ﷺ وأصحابه على الحياض، وبُني لرسول الله ﷺ عريش يكون فيها على تل يشرف على المعركة في موضع المعركة، وجعل يشير بيده: هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان إن شاء الله، فما تعدى أحد منهم موضع إشارته^(٢).

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

(١) فقه السيرة للبوطي (ص ١٦٢: ١٦٣).

(٢) زاد المعاد (٣/ ١٧٦).

عريش القيادة النبوية يوم بدر

ثبت أن النبي ﷺ كان له عريش يدير منه المعركة يوم بدر، وقد شارك أيضاً صلوات الله عليه في الحرب والمعركة ونزل إلى ساحة القتال.

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما «أن النبي ﷺ قال وهو في قبة له يوم بدر.. وذكر دعاء النبي ﷺ (١).

* ومن طريق ابن إسحاق: أن رسول الله ﷺ لما حرض أصحابه على القتال، ورمى المشركين بما رماهم به من التراب، وهزمهم الله تعالى صعد إلى العريش أيضاً ومعه أبو بكر، ووقف سعد بن معاذ ومن معه من الأنصار على باب العريش، ومعهم السيوف خشية أن تكرر راجعة من المشركين إلى النبي ﷺ (٢).

أردت أن يكون آخر العهد بك

* عن محمد بن علي بن الحسين أبي جعفر الباقر: «أن النبي ﷺ كان يتخطى بعرجون فأصاب به سواد بن غزية الأنصاري فقال: «يا رسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقذني» (٣)، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه فقال: (استقد) قال: فاعتنقه فقبل بطنه، فقال: (ما حملك على هذا يا سواد؟).

قال يا رسول الله: «حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يحسن جلدي جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير، وقال: له خيراً» (٤).

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب إذ تستغيثون ربكم... رقم: (٣٩٥٣) من طرق متعددة.

(٢) البداية والنهاية: (٢٨٤/٣)، وانظر سيرة ابن هشام: (١/٦٢٠).

(٣) أقذني: خذ لي الحق من نفسك.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة (٩٥/٢)، وسنده حسن إلا أنه مرسل، ويسنده ما جاء عن عبد الله بن جبير الخزاعي في مجمع الزوائد (٢٨٩/٦)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات على ما في عبد الله ابن جبير من ضعف كما جاء في التهذيب (١٦٨/٥).

النبي ﷺ يدعو لأصحابه

* وقد نظر رسول الله إلى مظاهر هذا البؤس على أصحابه وهم خارجون إلى بدر فرثى لحالهم وتألم لما بهم وسأل الله أن يكشف كرباتهم^(١).

* عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: «خرج رسول الله ﷺ يوم بدر في ثلاثمائة وخمسة عشر رجلاً من أصحابه، فلما انتهى إليها قال: (اللهم إنهم جياع فأشبعهم، اللهم إنهم حفاة فاحملهم، اللهم إنهم عراة فاكسهم) ففتح الله له يوم بدر، فانقلبوا حين انقلبوا، وما منهم رجل إلا وقد رجع بحمل أو حملين واكتسوا وشبعوا»^(٢).

* وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «قال النبي ﷺ يوم بدر (اللهم إني أشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تُعبد) فأخذ أبو بكر بيده، فقال حسبك فخرج وهو يقول: ﴿سَيَهْزُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونُ الدُّبُرَ﴾»^(٣) [القمر: ٤٥].

وما كان الله ليُعذبهم وأنت فيهم

* عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾» [الأنفال: ٣٣]^(٤).

* وعن عبد الله بن ثعلبة بن صغير قال: «كان المستفتح يوم بدر أبا جهل قال: اللهم «أقطعنا للرحم وأتانا بما لم يعرف فأحنه»^(٥) الغداة» فبينما هم على تلك الحال، وقد شجع الله المسلمين على لقاء عدوهم، وقللهم في أعينهم حتى طمعوا فيهم، خفق^(٦) رسول الله ﷺ خفقة في العريش ثم انتبه فقال: (أبشر يا أبا بكر هذا جبريل معتمر)^(٧)

(١) فقه السيرة للغزالي (ص ٢٧١).

(٢) رواه أبو داود وحسنه الحافظ في الفتح (٢٩٢/٧).

(٣) أخرجه البخاري (٣٩٥٣) المغازي.

(٤) أخرجه البخاري (٤٦٤٩) التفسير - ومسلم (٢٧٩٦) صفة القيامة والجنة والنار.

(٥) أحنه: أقتله.

(٦) خفق: أغفى إغفاءة.

(٧) معتمر: لابس عمامته.

بعمامته، أخذ بعنان فرسه يقوده، على ثناياه النقع^(١)، أنك نصر الله وعدته^(٢).

أول وقود المعركة

وكان أول وقود المعركة الأسود بن عبد الأسد المخزومي - وكان رجلاً شرساً سيئ الخلق - خرج قائلاً: أعاهد الله لأشربن من حوضهم، أو لأهدمته أو لأموتن دونه، فلما خرج إليه حمزة بن عبد المطلب - رضى الله عنه - والتقى ضربه حمزة، فأطن قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب رجله دمًا نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه، يريد أن تبر يمينه، ولكن حمزة ثنى عليه بضربة أخرى أتت عليه وهو داخل الحوض^(٣).

هذان خصمان اختصموا في ربهم

* من طريق ابن إسحاق قال حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال:

«ثم خرج عتبة بن ربيعة، بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة، حتى إذا فصل من الصف دعا إلى المبارزة، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة، وهم عوف، ومعوذ، أبناء الحارث - وأمهما عفراء - ورجل آخر يقال: هو عبد الله بن رواحة فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: رهط من الأنصار. قالوا: ما لنا بكم من حاجة. ثم نادى مناديه: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا^(٤) من قومنا.

فقال رسول الله ﷺ: قم يا عبدة بن الحارث، قم يا حمزة، قم يا علي، فلما قاموا ودنوا منهم.

قالوا: من أنتم؟ قال عبدة: عبدة، وقال حمزة: حمزة، وقال علي: علي، قالوا: نعم، أكفاء كرام.

فبارز عبدة - وكان أسن القوم، عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبة بن ربيعة، وبارز

(١) النقع: الغبار.

(٢) رواه أحمد (٤٣١/٥)، والحاكم (٣٢٨/٢)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

(٣) الرحيق المختوم (ص ٢٢٦).

(٤) أكفاءنا: نظراءنا أو من يساوونا في المكان.

(على) الوليد بن شيبة.

فأما حمزة فلم يمهّل شيبة أن قتله، وأما (على) فلم يمهّل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين، كلاهما أثبت صاحبه، وكرّ حمزة وعلىّ بأسيا فهما على عتبة فذففا^(١) عليه، واحتملا صاحبهما، فحازاه إلى أصحابه^(٢).

وعن على بن أبي طالب قال: «تقدم يعنى عتبة بن ربيعة، وتبعه ابنه وأخوه، فنادى من يبارز فانتدب^(٣) له شباب من الأنصار، فقال: من أتم؟ فأخبروه فقال: لا حاجة لنا فيكم، إنما أردنا بنى عمنا، فقال رسول الله ﷺ: (قم يا حمزة، قم يا على، قم يا عبيدة بن الحارث) فأقبل حمزة إلى عتبة، وأقبلت إلى شيبة، واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان، فأتخن^(٤) كل واحد منهما صاحبه، ثم ملنا على الوليد فقتلناه، واحتملنا عبيدة^(٥)».

وقد وافقت رواية حديث (على) هذه بأنه قتل شيبة وحمزة قتل عتبة ثم أعانا عبيدة على الوليد ما رواه الطبراني بإسناد حسن عن على قال: «أعنت أنا وحمزة عبيدة بن الحارث على الوليد بن عتبة، فلم يعب النبي ﷺ ذلك علينا^(٦)».

وقال ابن حجر (بعد أن ذكر حديث علىّ الذي رواه أبو داود): وهذا أصح الروايات، لكن الذى فى السير أن الذى بارز على هو الوليد، وهو المشهور، وهو اللائق بالمقام لأن عبيدة وشيبة كانا شيخين كعتبة وحمزة، بخلاف الوليد وعلىّ فكانا شابين^(٧).

* وعن على بن أبي طالب رضى الله عنه قال: «أنا أول من يبحثو^(٨) بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة، وقال قيس بن عباد: وفيهم أنزلت ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ

(١) فذففا: أسرعا قتله.

(٢) أخرجه ابن هشام فى السيرة بإسناد حسن عن ابن إسحاق: (١/٦٢٥)، ولكنه مرسل، وفتح البارى: (٧/٢٩٨)، وقد أخرجه الإمام أحمد بتحقيق أحمد شاكر (٢/١٩٣) من حديث على وإسناده صحيح.

(٣) انتدب: قام وخرج، أو بادر للخروج.

(٤) أتخن: جرح أو أصاب إصابة بليغة.

(٥) أخرجه أبو داود فى الجهاد باب فى المبارزة رقم (٢٦٦٥)، وإسناده صحيح كما قال ابن حجر فى فتح البارى: (٧/٢٩٨)، وأحمد (١/١١٧)، وأخرجه الحاكم (٣/١٨٧ - ١٨٨)، عن ابن عباس وسنده حسن وصححه الحاكم ووافقه الذهبى.

(٦) فتح البارى (٧/٢٩٨).

(٧) فتح البارى (٧/٢٩٨).

(٨) يبحثو: يجلس على ركبته.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

اَخْتَصِمُوا فِي رَبِّهِمْ ﷻ [الحج: ١٩] قال: هم الذين تبارزوا يوم بدر، حمزة، وعلي، وعبيدة، أو أبو عبيدة بن الحارث، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة^(١).

كسر هجمات المشركين بالنبل

واستشاط الكفار غضباً للبداية السيئة التي صادفتهم فأمطروا المسلمين وابلاً من سهامهم، ثم حمى الوطيس وتهاوت السيوف، وتصايح المسلمون: أحد أحد. وأمرهم الرسول ﷺ أن يكسروا هجمات المشركين، وهم مرابطون في مواقعهم^(٢).

✽ عن أبي أسيد الساعدي رضى الله عنه قال: «قال لنا رسول الله ﷺ يوم بدر: (إذا أكتبوكم^(٣) فارموهم واستبقوا نبلكم)»^(٤).

وفي رواية أبي داود زيادة (إذا أكتبوكم فارموهم بالنبل، ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم)^(٥).

وكان رسول الله يباشر القتال بنفسه... قال علي رضى الله عنه: «لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ، وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس بأساً»^(٦).

وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى

✽ عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: (ناولني كفاً من حصي) فناوله، فرمى بها وجوه القوم، فما بقي أحد من القوم إلا امتلأت عيناه من الحصباء^(٧)، فنزلت ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧]^(٨).

(١) أخرجه البخارى (٣٩٦٥) المغازى، ومسلم (١٨/١٦٦).

(٢) فقه السيرة للغزالي (ص ٢٦٢).

(٣) أكتبوكم: اقربوا منكم.

(٤) أخرجه البخارى (٣٩٨٤) المغازى.

(٥) أخرجه أبو داود فى السنن طبعة الساعاتى: (٤٨/٢) وسكت عنه المنذرى والإسناد ضعيف والله أعلم، وفى إسناده إسحاق بن نجيح قال فى التقریب (٦١/١)، مجهول، ومالك بن حمزة بن أبى أسيد: التقریب (٢٢٤/٢)، مقبول، ولكنه أخرجه بإسناد آخر وهو سند حسن فى نفس الصفحة.

(٦) رواه أحمد (٢٢٨/٢) وقال أحمد شاكر: صحيح.

(٧) الحصباء: الرمل.

(٨) قال الهيثمى فى المجمع: (٨٤/٦) رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح انظر الطبرانى (١١٧٥٠)، والبيهقى فى الدلائل (٧٨/٣)، والطبرى فى التفسير (١٣٦/٩).

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

﴿ وعن حكيم بن حزام رضى الله عنه قال: «لما كان يوم بدر أمر رسول الله ﷺ فأخذ كفاً من الحصى، فاستقبلنا به فرمى بها وقال: (شاهت الوجوه) (١) فانهزمنا فأنزل الله - عز وجل - ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (٢). »

النبي ﷺ يرتقى بأرواحهم إلى جنة الرحمن

ولما دنا العدو وتواجه القوم، قام رسول الله ﷺ فى الناس، فوعظهم، وذكرهم بما لهم فى الصبر والثبات من النصر، والظفر العاجل، وثواب الله الآجل، وأخبرهم أن الله قد أوجب الجنة لمن استشهد فى سبيله (٣).

الله (عز وجل) يؤيدهم بملائكته (٤)

ثم حمى الوطيس، واستدارت رحي الحرب، واشتد القتال، وأخذ رسول الله ﷺ فى الدعاء والابتهال، ومناشدة ربه عز وجل.

﴿ عن عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً. فاستقبل نبي الله القبلة. ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: «اللهم! أنجز لى ما وعدتنى. اللهم! آت ما وعدتنى. اللهم! إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد فى الأرض» فما زال يهتف بربه، ماداً يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه. فأتاه أبو بكر. فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه. ثم التزمه من ورائه. وقال: يا نبي الله! كفناك مناشدتك ربك. فإنه سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله عز وجل ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِّينَ﴾ [الأنفال: ٩] فأمدّه الله بالملائكة.

(١) شاهت: قبحت.

(٢) قال الهيثمى فى المجمع (٨٤/٦) رواه الطبرانى وسنده حسن، انظر الطبرانى فى الكبير (٣١٢٧، ٣١٢٨)، ورواه الطبرانى فى الأوسط كما فى مجمع البحرين (٢٣٧)، وأخرجه الطبرى فى التفسير (١٣٦/٩).

(٣) زاد المعاد (١٨١/٣).

(٤) إن نزول الملائكة للقتال مع المسلمين - إنما هو مجرد تطمين لقلوبهم، واستجابة حسية لشدة استغاثتهم اقتضاها أنهم يقفون مع أول تجربة قتال فى سبيل الله، لأناس يبلغون ثلاثة أضعافهم فى العدة والعدد. وإلا فإن النصر من عند الله وحده، وليس للملائكة أى تأثير ذاتى فى ذلك. ومن أجل بيان هذه الحقيقة قال الله تعالى معللاً نزول الملائكة: ﴿وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم﴾ [الأنفال: ١٠]. [فتحة السيرة للبوطى (ص ١٦٤)].

قال أبو زميل: فحدثني ابن عباس قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه. إذ سمع ضربة بالسوط فوقه. وصوت الفارس يقول: أَقْدَمَ حَيَزُومٌ^(١). فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً. فنظر إليه فإذا هو قد خُطِمَ أنفه^(٢)، وشق وجهه كضربة السوط. فاحضر ذلك أجمع. فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ. فقال: «صدقت. ذلك من مدد السماء الثالثة» فقتلوا يومئذ سبعين. وأسروا سبعين^(٣).

* وأغفى رسول الله ﷺ إغفاءة واحدة ثم رفع رأسه فقال:

«أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده، على ثنياه النقع»^(٤).

* وعن ابن عباس رضى الله عنهما أيضاً قال: «إن النبي ﷺ قال يوم بدر: (هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب)»^(٥).

* وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: «فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيراً، فقال العباس: يا رسول الله إن هذا والله ما أسرني، لقد أسرني رجل أجلح^(٦) من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق^(٧) ما أراه في القوم، فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله فقال: (اسكت فقد أيدك الله بملك كريم)»^(٨).

* وعن أبي داود المازني: قال: «إني لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فعرفت أنه قتله غيري»^(٩).

(١) حيزوم: اسم الفرس الذي يركبه الملك.

(٢) خطم: الخطم الأثر على الأنف.

(٣) أخرجه مسلم (٥٨) (١٧٦٣) كتاب الجهاد والسير.

(٤) أورده ابن هشام في «السيرة» (٤٥٧/٢) بلا سند، ووصله الأموي - كما في «البداية والنهاية» (٣/٣٤٧) - من طريق ابن إسحاق حدثني الزهري عن عبد الله بن ثعلبة به وهذا سند حسن.

(٥) رواه البخاري في المغازي باب فضل من شهد بدرًا رقم (٣٩٩٥).

(٦) الأجلح: الذي انحسر الشعر عن جانبي رأسه.

(٧) الأبلق: الذي ارتفع التحجيل إلى فخذه.

(٨) رواه أبو داود وإسناده صحيح كما قال ابن حجر في فتح الباري (٧/٢٩٨).

(٩) أخرجه ابن هشام (١/٦٣٣)، وأحمد في المسند (٥/٤٥٠) من طريق ابن إسحاق حدثني أبي إسحاق بن يسار عن رجال من بني مازن عن أبي داود المازني وسنده حسن - والبيهقي في الدلائل (٣/٥٦)، والطبري في التاريخ (٢/٤٥١). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (٦/٨٣)، رواه أحمد وفيه رجل لم يُسم.

﴿ وعن البراء قال: «جاء رجل من الأنصار بالعباس قد أسره، فقال العباس، يا رسول الله ليس هذا من أسرنى، أسرنى رجل من القوم أنزع من هيئته كذا وكذا فقال رسول الله ﷺ (قد أزرك الله بملك كريم) » (١).

﴿ وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال: «قال لى النبى ﷺ ولأبى بكر يوم بدر (مع أحدكما جبريل، ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال، أو يكون فى الصف) » (٢).

قال الحافظ فى الفتح: قال الشيخ تقي الدين السبكي:

«سئلت عن الحكمة فى قتال الملائكة مع النبى ﷺ مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه؟

فقلت: وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبى وأصحابه، وتكون الملائكة مدداً على عادة مدد الجيوش، رعاية لصورة الأسباب وستنها التى أجزاها الله تعالى فى عباده، والله تعالى هو فاعل الجميع والله أعلم» (٣).

وجاء النصر، وأنزل الله جنده، وأيد رسوله والمؤمنين، ومنحهم أكتاف المشركين أسراً وقتلاً. فقتلوا منهم سبعين، وأسروا سبعين.

وما يعلم جنود ربك إلا هو

﴿ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «أخذتهم ريح عقيم يوم بدر» (٤).

قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض

﴿ عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «.. فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون، فقال رسول الله ﷺ (لا يقدم أحد منكم

(١) قال الهيثمى (٨٥/٦)، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) قال الهيثمى فى المجمع: (٨٢/٦)، رواه أحمد بنحوه والبخاري واللفظ له ورجاله رجال الصحيح، ورواه أبو يعلى كشف الأستار رقم (١٤٦٧، ١٧٦٢)، أحمد: (١٤٧/١)، أبو يعلى رقم (٣٤٠)، الحاكم (٣/١٣٤)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي والحديث إسناده صحيح.

(٣) فتح البارى (٣١٣/٧)، فى التعليق على حديث رقم (٣٩٩٥).

(٤) قال الهيثمى فى المجمع (٧٨/٦) رواه البخاري ورجاله ثقات.

إلى شيء، حتى أكون أنا دونه) فدنا المشركون فقال رسول الله ﷺ (قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض).

قال: يقول عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: «نعم» قال: بنح بنح^(١)، فقال رسول الله ﷺ: (ما يحملك على قولك بنح بنح؟) قال: لا. والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: (فإنك من أهلها) فأخرج تمرات من قرنه^(٢)، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتل^(٣).

ما الذي يضحك الرب من عبده؟

وكذلك سأله عوف بن الحارث - ابن عفراء - فقال: يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده؟ قال: «غمسه يده في العدو حاسراً»، فنزع درعاً كانت عليه ففقدوها، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتل^(٤).

فتأمل معي - أيها الأخ الحبيب - كيف كان حرص أصحاب النبي ﷺ على أي شيء يقربهم من رضوان الله (عز وجل) وجنته.

مصرع أبي جهل

وحاول «أبو جهل» أن يوقف سيل الهزيمة النازل بقومه، فأقبل يصرخ بهم، وغشاوة الغرور لا تزال ضاربة على عينه: «واللات والعزى لا نرجع حتى نفرقهم في الجبال.. خذوهم أخذاً».

وماذا تفعل صيحات الطيش بإزاء الحقائق المكتسحة؟ لكن أبا جهل - والحق يقال - كان تمثالاً للعناد إلى آخر رمق، والطمس المنسوج على بصيرته جزء من كيانه لا ينفك أبداً، لذلك أقبل يقاتل في شراسة وغضب وهو يقول:

(١) بنح بنح: كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير.

(٢) قرنه: جعبة الشباب.

(٣) أخرجه مسلم (١٩٠١) الإمارة.

(٤) أخرجه ابن الأثير في «أسد الغابة» [٣١١/٤]، وابن هشام في «السيرة» [٤٥٧/٢، ٤٥٨] و «إسناده حسن».

ما تنقم الحرب الشמוש منى؟ بازل عامين حديث سنى

لمثل هـذا ولدتنى أمى^(١)

ولكن سرعان ما تبدى له حقيقة هذه الغطسة، فما لبث إلا قليلاً حتى أخذت الصفوف تتصدع أمام تيارات هجوم المسلمين، نعم بقى حوله عصابة من المشركين، ضربت حوله سياجاً من السيوف وغابات من الرماح، ولكن عاصفة هجوم المسلمين بددت هذه السياج، وأقلعت هذه الغابات، وحينئذ ظهر هذا الطاغية، ورآه المسلمون يجول على فرسه، وكان الموت ينتظر أن يشرب من دمه بأيدي غلامين أنصارين^(٢).

✽ عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه: قال: (بينما أنا واقف فى الصف يوم بدر، نظرت عن يمينى وشمالى، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما، تمنيت لو كنت بين أضلع منهما^(٣)، فغمزنى^(٤) أحدهما فقال: يا عم هل تعرف أبا جهل؟ قال: قلت: نعم وما حاجتك إليه يا ابن أخى؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله، والذى نفسى بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده، حتى يموت الأعجل منا. قال: فتعجبت لذلك، فغمزنى الآخر فقال مثلها.

قال: فلم أنشب^(٥) أن نظرت إلى أبى جهل يزول فى الناس فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذى تسألان عنه، قال: فابتدراه بسيفيهما حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال: (أيكما قتله؟) فقال كل واحد منهما: أنا قتله، فقال: (هل مسحتما سيفيكما؟) قالا: لا. فنظر فى السيفين فقال: (كلاكما قتله)، وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح... والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن عفرأ^(٦).

(١) فقه السيرة للغزالي (ص ٢٦٥).

(٢) الرحيق المختوم (ص ٢٣٢).

(٣) أضلع: أقوى وأعظم وأشد.

(٤) غمزنى: قرصنى.

(٥) أنشب: ألث.

(٦) أخرجه البخارى (٣٩٨٨) المغازى، ومسلم (١٧٥٢) الجهاد.

فرعون هذه الأمة

* عن أنس رضى الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ يوم بدر: (من ينظر ما صنع أبو جهل؟) فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضرباه «أبناء عفراء حتى برد»^(١)، فأخذ بلحيته فقال: أنت أبو جهل، قال: وهل فوق رجل قتله قومه أو قال: قتلتموه»^(٢).

* وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: «أدركت أبا جهل يوم بدر صريعاً، فقلت: أى عدو الله قد أخزأك الله؟

قال: وبما أخزاني: من رجل قتلتموه... ومعى سيف لى، فجعلت أضربه ولا يحثك فيه شيء، ومعى سيف له جيد، فضربت يده فوق السيف من يده فأخذته، ثم كشفت المغفر عن رأسه فضربت عنقه، ثم أتيت النبی ﷺ فأخبرته، فقال: (الله الذى لا إله إلا هو؟). قلت: الله الذى لا إله إلا هو.

قال: انطلق فاستثبت... فانطلقت وأنا أسعى مثل الطائر، ثم جئت وأنا أسعى مثل الطائر أضحك فأخبرته.

فقال رسول الله ﷺ: (انطلق) فانطلقت معه فأريته، فلما وقف عليه ﷺ قال: (هذا فرعون هذه الأمة)^(٣).

مصرع أمية بن خلف

لقد كان أمية بن خلف يعذب بلالاً (رضى الله عنه) فى رمضان مكة عذاباً شديداً.. وتمر الأيام ويشاء الله (عز وجل) أن يقتص لبال من أمية بن خلف فها هو الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف (رضى الله عنه) يحكى كيف اقتص الله تعالى لبال من أمية بن خلف.

* عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال: «كاتب أمية بن خلف كتاباً بأن

(١) برد: قارب على الموت وكان فى النزاع الأخير.

(٢) أخرجه البخارى فى المغازى باب قتل أبى جهل رقم (٣٩٦٣) مسلم فى الجهاد، باب قتل أبى جهل رقم (١٨٠٠).

(٣) أخرجه الهيثمى فى المجمع (٧٩/٦) وقال رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن وهب بن أبى كريمة وهو ثقة، قال عنه فى التقريب (٢١٦/٢) صدوق من العاشرة فيكون الحديث حسناً.

يحفظني في صاغيتي^(١) بمكة، وأحفظه في صاغيته بالمدينة، فلما ذكرت «الرحمن» قال: لا أعرف الرحمن، كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية، فكاتبته (عبد عمرو).

فلما كان في يوم بدر خرجت إلى جبل لأحرزه^(٢) حين نام الناس، فأبصره بلال، فخرج حتى وقف على مجلس من الأنصار، فقال (بلال): أمية بن خلف لا نجوت إن نجا أمية، فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنة لأشغلهم فقتلوه، ثم أبوا حتى يتبعونا - وكان رجلاً ثقيلاً - فلما أدركونا قلت له: ابرك، فبرك، فالتقيت عليه نفسي لأنمعه، فتجللوه^(٣) بالسيوف من تحتي حتى قتلوه، وأصاب أحدهم رجلى بسيفه، وكان عبد الرحمن بن عوف يرينا ذلك الأثر في ظهر قدمه^(٤).

* وفي رواية: كان عبد الرحمن بن عوف، وأمие بن خلف صديقين في الجاهلية بمكة، فلما كان يوم بدر مر به عبد الرحمن وهو واقف مع ابنة على بن أمية أخذاً بيده، ومع عبد الرحمن أذراع قد استلبها وهو يحملها، فلما رآه قال: هل لك في؟ فأنا خير من هذه الأذراع التي معك، ما رأيت كالיום قط، أما لك حاجة في اللبن؟ - يريد أن من أسرني افتديت منه بإبل كثيرة اللبن - فطرح عبد الرحمن الأذرع، وأخذهما يمشي بهما، قال عبد الرحمن: قال لي أمية بن خلف، وأنا بينه وبين ابنة: من الرجل منكم المعلم بريشة النعامة في صدره؟ قلت: ذاك حمزة بن عبد المطلب، قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل. قال عبد الرحمن: فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلال معي، وكان أمية الذي يعذب بلالاً بمكة، فقال بلال: رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا، قلت: أي بلال، أسيرى، قال: لا نجوت إن نجا، قلت: أسمع يا ابن السوداء، قال: لا نجوت إن نجا، ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله، رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا، قال: فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة، وأنا أذب عنه، قال: فأخلف رجل السيف فضرب رجل ابنه فوق، وصاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قط، فقلت: انج بنفسك، ولا نجاء بك، فوالله ما أغنى عنك شيئاً، قال: فهبروهما بأسيا ففهم حتى فرغوا منهما، فكان عبد الرحمن يقول: يرحم الله بلالاً، ذهبت أذراعي، وفجعني بأسيري^(٥).

(١) الصاغية: صاغية الرجل: ما يميل إليه، ويطلق على الأهل والمال.

(٢) أحرزه: أحماه.

(٣) تجللوه: طعنوه، أصابوه.

(٤) أخرجه البخاري (٢٣٠١) الوكايلة - ومسلم (١٧٥٢).

(٥) إسناده حسن: أخرجه ابن هشام في «السيرة» (٢/ ٤٦٠، ٤٦١) عن ابن إسحاق بأسانيد إلى عبد الرحمن ابن عوف، وأخرجه بنحوه البخاري في صحيحه (٢٣٠١).

إنا كفيناك المستهزئين

❖ ولقد استجاب الله عز وجل في هذه الغزوة المباركة دعوة النبي ﷺ على مشركي قريش، كما في حديث ابن مسعود في إلقاء المشركين سلى الجزور على ظهر النبي ﷺ وهو يصلي عند البيت، فقال ﷺ: «اللهم عليك بقريش ثلاث مرات، ثم سمى: «اللهم عليك بأبي جهل وعليك بعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط»^(١).

فقتل هؤلاء الستة يوم بدر وأقر الله عز وجل عين نبيه بهلاكهم وتحقق قوله عز وجل: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥].

أما أبو لهب فقد كان بمكة ولم يخرج إلى بدر، وفُجع بهلاك رؤوس الكفر ثم أهلكه الله عز وجل بعد ذلك بقليل وجعله عبرة للمعتبرين.

❖ عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال: كنت غلاماً للعباس، وكان يكتنم إسلامه مخافة قومه، وكان أبو لهب تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام، وكان له عليه دين فقال له اكفني من هذا الغزو وأترك لك ما عليك، ففعل، فلما جاء الخبر وكبت الله أبا لهب... وكنت رجلاً ضعيفاً أثبت أقداحي في الحجرة وعندى أم الفضل، إذا الفاسق أبو لهب يجر رجله أراه قال: حتى جلس عند طنب الحجرة، فكان ظهره إلى ظهري فقال الناس: هذا أبو سفيان بن الحرث فقال أبو سفيان: هلم يا ابن أخي كيف كان أمر الناس؟ قال لا شيء، والله ما هو إلا أن لقيناهم فمنحناهم أكتفنا يقتلوننا كيف شاءوا ويأسروننا كيف شاءوا، وأيم الله ما لمت الناس قال: ولم؟ قال رأيت رجلاً بيضاً على خيل بلق، لا والله لا يليق شيئاً ولا يقوم لها شيء، قال فرفعت طنب الحجرة فقلت: تلك والله الملائكة، فرفع أبو لهب يده فلطم وجهي وثاورته فاحتملني فضرب بي الأرض حتى نزل علي، وقامت أم الفضل فاحتجرت وأخذت عموداً من عمد الحجرة فضربت به ففعلت في رأسه شجة منكرة، وقالت: أي عدو الله استضعفته أن رأيت سيده غائباً عنه، فقام ذليلاً، فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى ضربه الله بالعدسة فقتله، فتركه ابنه يومان أو ثلاثة ما يدفناه حتى أتن. فقال رجل من قريش لابنيه ألا

(١) أخرجه البخاري (٤١٦/١) الوضوء، ومسلم (١٥١/١٢ - ١٥٢) الجهاد والسير.

والسلي: هي الجلدة التي يكون فيها الولد يقال لها ذلك عند البهائم وأما من الأدميات فالنسيمة.

رفع

عبد الرحمن بن العنبري
(سنة النبوة الأولى)

إنه في الجنة الضروس

مصرع (عبيد بن سعيد بن العاص) علي يد (الزبير)

رفع
جبر (الرحمن) التجدي
أسكنه الله الفردوس

أسد الله الغالب.. على بن أبي طالب

وها هي صورة مشرقة من شدة بأس (على) - رضى الله عنه - يوم بدر.

✽ عن على بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: «كنت على بئر فكنت يوم بدر أُميِّح وأمتح منه^(١)، فجاءت ريح شديدة، ثم جاءت ريح شديدة، فلم أر ريحاً، أشد منها إلا التي قبلها، ثم جاءت ريح شديدة، فكانت الأولى ميكائيل في ألف من الملائكة عن يمين النبي ﷺ، والثانية إسرافيل في ألف من الملائكة عن يسار النبي ﷺ، والثالثة جبريل في ألف من الملائكة، وكان أبو بكر عن يمينه، وكنت عن يساره، فلما هزم الله الكفار حملني رسول الله ﷺ على فرسه، فلما استويت عليه حمل بي، فصرت على عنقه فدعوت الله فثبتني عليه، فطعنت برمحي حتى بلغ الدم إبطي^(٢)».

(سعد) يقاتل قتال الفارس والراجل

✽ عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: «كان سعد يقاتل مع رسول الله ﷺ يوم بدر، قتال الفارس والراجل^(٣)».

وهكذا تتضح لنا تلك الصورة الحية من حرص الصحابة (رضى الله عنهم) على الفور بالشهادة في سبيل الله ومن ثم بجنته ورضوانه حيث النعيم المقيم والخلود في النعيم.

صور مشرقة من الولاء والبراء

وقد تجلت في هذه المعركة مناظر رائعة، تبرز فيها قوة العقيدة وثبات المبدأ، ففي هذه المعركة التقى الآباء بالأبناء، والإخوة بالإخوة، خالفت بينهما المبادئ، ففصلت بينهما السيوف، والتقى المقهور بقاهره، فشفى منه غيظه.

✽ قال صاحب الظلال - رحمه الله -:

فروابط الدم والقرباة هذه تنقطع عند حد الإيمان. إنها يمكن أن تُرعى إذا لم تكن

(١) منح الدلو: جذبها مستقباً لها.

(٢) قال الهيثمي في المجمع (٧٧/٦)، رواه أبو يعلى ورجاله ثقات.

(٣) كشف الأستار: (١٧٦٨ - ١٧٦٩)، وقال الهيثمي في المجمع (٨٢/٦)، رواه البزار بإسنادين إحداهما متصل والآخر مرسل ورجالهما ثقات.

هناك محادة وخصومة بين اللوائين. لواء الله ولواء الشيطان. والصحبة بالمعروف للوالدين المشركين مأمور بها حين لا تكون هناك حرب بين حزب الله وحزب الشيطان. فأما إذا كانت المحادة والمشاقة والحرب والخصومة فقد تقطعت تلك الأواصر التي لا ترتبط بالعروة الواحدة وبالحبل الواحد. ولقد قتل أبو عبيدة أباه في يوم بدر. وهم الصديق أبو بكر بقتل ولده عبد الرحمن. وقتل مصعب بن عمير أخاه عبيد بن عمير. وقتل عمر وحمزة وعلى وعبيدة والحارث أقرباءهم وعشيرتهم. متجردين من علائق الدم والقرابة إلى آصرة الدين والعقيدة. وكان هذا أبلغ ما ارتقى إليه تصور الروابط والقيم في ميزان الله^(١).

موقف عظيم في الولاء والبراء لمصعب بن عمير (رضي الله عنه)

قال ابن إسحاق: وحدثني نبيه بن وهب أخو بني عبد الدار، أن رسول الله ﷺ حين أقبل بالأسارى فرقهم بين أصحابه وقال: «استوصوا بالأسارى خيراً».

قال: وكان أبو عزيز بن عمير بن هشام أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى، قال فقال أبو عزيز: مر بي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرنى. فقال (مصعب): شد يدك به، فإن أمه ذات متاع، لعلها تفديه منك. قال: وكنت فى رهط من الأنصار حين أقبلوا بى من بدر، فكانوا إذا قدموا غداهم وعشاءهم خصّوني بالخبز وأكلوا التمر. لو صية رسول الله ﷺ إياهم بنا، ما تقع فى يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحنى بها. قال: فأستحى فأردها على أحدهم. فيردها على ما يمسه.

قال ابن هشام: وكان أبو عزيز صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث، فلما قال أخوه مصعب بن عمير (لأبى اليسر) وهو الذى أسره ما قال: قال له أبو عزيز: يا أخى هذه وصاتك بى؟! فقال له مصعب: إنه أخى دونك. فسألت أمه عن أغلى ما فُدى به قرشى، فقيل لها: أربعة آلاف درهم. فبعثت بأربعة آلاف درهم فقُدته بها^(٢).

رَفَعُ
عبد الرحمن بن محمد
أسكنه الله الفردوس

(١) فى ظلال القرآن (٦/ ٣٥١٤).

(٢) السيرة لابن هشام (٣/ ٥٤).

أبو عبيدة (رضي الله عنه) ودرس في الولاء والبراء

وفي غزوة (بدر) قاتل أبو عبيدة رضي الله عنه قتالاً شديداً حتى كان المشركون يتعدون عن البقعة التي يقاتل فيها.. ولكن كان هناك فارسٌ يتصدى له كثيراً.. وأبو عبيدة يحبده عنه فلما أكثر الرجل من التصدي لأبي عبيدة هجم عليه كالأسد الضاري فقتله شر قتلة !!!

أتدرون من هو المقتول؟

إنه - والد أبي عبيدة -.

وأنزل الله في شأنه وشأن أبيه قرآناً يتلى إلى يوم القيامة.

قال سعيد بن عبد العزيز وغيره أنزلت هذه الآية ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾ [المجادلة: ٢٢] إلى آخرها - في أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جعل الأمر شورى بعده في أولئك الستة رضي الله عنهم: ولو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته^(١).

أثمة الكفر يقذفون في القليب

* عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) عن أبي طلحة (رضي الله عنه):

«أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش، فقفوا في طوى^(٢) من أطواء بدر خبيث مخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة^(٣) ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث: أمر براجلته فشُدَّتْ عليها رحلها، ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى يتنطق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفى الركي^(٤) فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: (يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً). قال: فقال عمر: يا رسول الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها.

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٢٩).

(٢) طوى: بئر خربة.

(٣) العرصة: الموضع الواسع الذي لا بناء فيه.

(٤) الركي: البئر.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم». قال قتادة: «أحياهم الله حتى أسمعهم قوله، توبيخاً وتصغيراً ونقيمة وحسرة وندماً»^(١).

* وعن أنس بن مالك رضى الله عنه: «أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثاً، ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم فقال: (يا أبا جهل بن هشام ! يا أمية بن خلف ! يا عتبة بن ربيعة ! يا شية بن ربيعة ! أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً) فسمع عمر قول النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يسمعون وأني يجيبون وقد جُفوا^(٢) قال: (والذي نفسى بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدر أن يجيبوا) ثم أمر بهم فسُحبوا فألقوا في قليب بدر»^(٣).

النبي ﷺ يدمو لأبي حذيفة

* عن عائشة رضى الله عنها: أن رسول الله ﷺ أمر بالقليب - إلى أن قالت - فلما أمر بهم فسُحبوا عرف في وجه أبي حذيفة بن عتبة الكراهية، وأبوه يُسحب إلى القليب فقال له رسول الله ﷺ: (يا أبا حذيفة لكأنه ساءك ما كان في أبيك؟ فقال: والله يا رسول الله ما شككت في الله وفي رسول الله ولكن إن كان حليماً سديداً ذا رأى، فكنت أرجو أن لا يموت حتى يهديه الله عز وجل إلى الإسلام، فلما رأيت أن قد فات ذلك ووقع حيث وقع أحزنني ذلك، قال: فدعا له رسول الله بخير)^(٤).

هؤلاء خرجوا كرهاً

* عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: (إن استطعتم أن تأسروا من بنى عبد المطلب فإنهم خرجوا كرهاً)^(٥).

(١) أخرجه البخارى (٣٩٧٦) المغازى، ومسلم (٢٨٧٤ - ٢٨٧٥) الجنة.

(٢) جفوا: أبتوا وصاروا جفياً.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها رقم (٢٨٧٤).

(٤) أخرجه الحاكم (٢٢٤/٣) وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وهو ليس كما قال، لأن فيه أحمد بن عبد الجبار العطاردي فيه ضعف ولم يخرج له مسلم لكن سماعه للسيرة صحيح كما في التقريب، فالحديث حسن والله أعلم.

(٥) رواه أبو داود (٢٦٦٥) وإسناده صحيح كما قال ابن حجر في الفتح (٢٩٨/٧).

النبي ﷺ يقيم في بدر ثلاثاً

فعن أنس بن مالك (رضى الله عنه) - والحديث في الصحيح -: «أن النبي ﷺ كان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال...».

* وعن أبي طلحة رضى الله عنه قال: «كان رسول الله إذا ظهر على قوم أقام بعرضتهم ثلاثاً»^(١).

قال بعض المؤرخين: إن العباس - رضى الله عنه - كان قد أسلم قبل الهجرة وكنتم إسلامه، وقيل: إنه أسلم قبل الفتح. وكانت قريش تجد في قلبها شيئاً من ناحية العباس (كانت تشك في إسلامه) ولكنها لم تجد ما يؤيد ظنها، وبخاصة أنه كان في ظاهر أمره موافقاً لهم، فلما كانت غزوة بدر أرادت قريش أن تقطع الشك باليقين فجعلته يخرج معها في تلك الغزوة.

ولذلك نهى النبي ﷺ أصحابه عن قتل العباس - رضى الله عنه -.

عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال لأصحابه: «إني قد عرفت أن رجالاً من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً، لا حاجة لهم بقتالنا، ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله، فإنه إنما أخرج مستكراً»، فقال أبو حذيفة بن عتبة: أنقتل آباءنا، وأبناءنا، وإخواننا، وعشيرتنا، ونترك العباس؟! والله لئن لقيته لأحمنه - أو لأجمنه - بالسيف، فبلغت رسول الله ﷺ فقال لعمر بن الخطاب: «يا أبا حفص، أياضرب وجه عم رسول الله ﷺ بالسيف؟!» فقال عمر: يا رسول الله، دعني فلاضرب عنقه بالسيف، فوالله لقد نافق.

فكان أبو حذيفة يقول: ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ، ولا أزال منها خائفاً إلا أن تكفرها عني الشهادة، فقتل يوم اليمامة شهيداً^(٢).

(١) أخرجه الترمذى في السير (١٥٥١) وقال: حسن صحيح.

(٢) سيرة ابن هشام (٤٥٨/٢، ٤٥٩)، وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٨٠٧/٤) من طريق ابن إسحاق. قال: حدثني العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن عبد الله بن عباس، فذكر الحديث، وأخرجه الحاكم (٢٢٣/٣) مزيلاً لهذه الجهالة فقال: «عن أبيه عن ابن عباس»، ولذلك صححه على شرط مسلم، وحذفه الحافظ من تلخيصه، والعباس بن عبد الله وأبوه ثقتان، لكن يخشى أن يكون ذلك محرف في نسخة الحاكم، فقد أخرجه البيهقي في الدلائل (١٤٠/٣) من طريقه، وقال: «عن بعض أهله»، والله تعالى أعلم.

رفع

عبد الرحمن بن محمد
أسكنه الله الفردوس

القتلى من المشركين .. والشهداء من المسلمين

✽ عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: «إن الثمانية عشر الذين قُتلوا من أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر جعل الله أرواحهم في الجنة في طير خُضر تسرح في الجنة، فبينما هم كذلك إذ اطلع عليهم إطلاعة^(١) فقال: يا عبادى ماذا تشتهون؟ فقالوا: يا ربنا هل فوق هذا شيء؟ قال: فيقول: عبادى ماذا تشتهون؟ فيقولون فى الرابعة: ترد أرواحنا فى أجسادنا فنقتل كما قُتلنا»^(٢).

✽ وعن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال: «جعل النبى ﷺ على الرماة يوم أحد عبد الله بن جبير، فأصابوا منا سبعين، وكان النبى ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة، سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً، قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سجال»^(٣).

قتل النضر بن الحارث

وبعد أن أقام رسول الله ﷺ ببدر ثلاثة أيام تحرك بجيشه نحو المدينة ومعه الأسارى من المشركين، واحتمل معه النفل الذى أصيب من المشركين، وجعل عليه عبد الله بن كعب فلما خرج من مضيق الصفراء نزل على كئيب بين المضيق وبين النازية، وقسم هنالك الغنائم على المسلمين على السواء، بعد أن أخذ منها الخمس.

وعندما وصل إلى الصفراء أمر بقتل النضر بن الحارث - وكان هو حامل لواء المشركين يوم بدر، وكان من أكابر مجرمى قريش، ومن أشد الناس كيداً للإسلام، وإيذاء لرسول الله ﷺ فضرب عنقه على بن أبى طالب^(٤).

قتل عقبة بن أبى معيط (فى طريق العودة إلى المدينة)

هذا الشقى الذى آذى رسول الله ﷺ، وانفرد بما لم يفعله أحد، ووضع رجله على عنق أظهر الخلق رسول الله ﷺ ففُطعت عنقه جزاءً وفاً.

(١) إطلاعة: نظر إليهم نظرة.

(٢) قال الهيثمى فى المجمع: (٩٠/٦)، رواه الطبرانى ورجاله ثقات، وانظر الطبرانى فى الكبير (١٠٤٦٦).

(٣) أخرجه البخارى (٣٩٨٦) المغازى.

(٤) الرحيق المختوم (ص ٢٤١).

* عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «فادى رسول الله ﷺ أسارى بدر، وكان فداء كل رجل منهم أربعة آلاف، وقُتل عقبة بن أبى معيط قبل الفداء قام إليه على بن أبى طالب فقتله صبراً، قال: من للصبيبة يا رسول الله؟ قال: (النار)» (١).

* وعن مسروق أنه قال: - لابن أبى معيط - حدثنا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: «إن رسول الله ﷺ أمر بعنق أهلك أن تُضرب صبراً، ثم مر به فقال: من للصبيبة بعدى؟ قال (لهم النار) حسبك ما رضى لك رسول الله ﷺ» (٢).

وقال حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن الشعبي قال: لما أمر النبي ﷺ بقتل عقبة قال: أتقتلنى يا محمد، من بين قريش؟ قال «نعم»، أتدرون ما صنع هذا بى، جاء وأنا ساجد خلف المقام، فوضع رجله على عنقى وغمزها فما رفعها حتى ظننت أن عيني ستندران، وجاء مرة أخرى بسلا شاة، فألقاه على رأسى وأنا ساجد، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسى.

وذهب عقبة إلى مزبلة التاريخ، وأطيح بعنقه جزاء كفره وعناده وحسده للإسلام ورسوله ﷺ.

بشائر النصر تصل إلى المدينة المنورة

ولما تم الفتح للمسلمين أرسل رسول الله ﷺ بشيرين إلى أهل المدينة، ليحملا لهم البشرى، أرسل عبد الله بن رواحة بشيراً إلى أهل العالية، وأرسل زيد بن حارثة بشيراً إلى أهل السافلة.

وكان اليهود والمنافقون قد أرجفوا فى المدينة بإشاعة الدعايات الكاذبة، حتى أنهم أشاعوا خبر مقتل النبي ﷺ ولما رأى أحد المنافقين زيد بن حارثة راكباً القصواء - ناقة رسول الله ﷺ - قال: لقد قُتل محمد، وهذه ناقته نعرفها، وهذا زيد لا يدري ما يقول من الرعب، وجاء فلا (٣).

(١) أخرجه الهيثمى فى المجمع (٨٩/٦) وقال رواه الطبرانى فى الكبير (١٢١٥٢)، ورجاله رجال الصحيح، وانظر عبد الرزاق فى المصنف (٩٣٩٤).

(٢) أخرجه أبو داود فى سنة الجهاد باب فى قتل الأسير صبراً رقم (٢٦٨٦)، وقال الهيثمى فى المجمع: (٥٩/٦) رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله ثقات. وسند أبى داود حسن.

(٣) فلا: منهزماً.

فلما بلغ الرسولان أحاط بهما المسلمون ، وأخذوا يسمعون منهما الخبر حتى تأكد لديهم فتح المسلمين، فعمّت البهجة والسرور، واهتزت أرجاء المدينة تهليلاً وتكبيراً، وتقدم رءوس المسلمين - الذين كانوا بالمدينة - إلى طريق بدر، ليهتثوا رسول الله ﷺ بهذا الفتح المبين.

قال أسامة بن زيد: أتانا الخبر حين سوينا التراب على رقية بنت رسول الله ﷺ التي كانت عند عثمان بن عفان... كان رسول الله ﷺ خلفني عليها مع عثمان^(١).

* عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال: «إن النبي ﷺ خلف عثمان بن عفان، وأسامة بن زيد على بنت رسول الله ﷺ فجاء زيد بن حارثة على العضباء ناقة رسول الله ﷺ بالبشارة، قال أسامة: فسمعت الهيعة^(٢)، فخرجت فإذا زيد قد جاء بالبشارة، فوالله ما صدقت حتى رأينا الأسارى... وضرب رسول الله ﷺ لعثمان سهمه»^(٣).

* وعن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة رضى الله عنهما: قال: «قدم بالأسارى حين قدم بهم المدينة، وسودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ عند آل عفراء فى مناحتهم على عوف ومعوذ ابني عفراء، وذلك قبل أن يضرب الحجاب.

قالت سودة: فوالله إنى لعندهم إذ أتينا فقليل: هؤلاء الأسارى قد أتى بهم فرجعت إلى بيتى ورسول الله ﷺ فيه، فإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو فى ناحية الحجرة ويدها مجموعتان إلى عنقه بحبل، فوالله ما ملكت حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت: «أبا يزيد أعطيتم بأيديكم ألا متم كراماً».

فما انتهت إلا بقول رسول الله ﷺ من البيت: (يا سودة... على الله وعلى رسوله؟!)، فقلت: يا رسول الله والذى بعثك بالحق ما ملكت حين رأيت أبا يزيد مجموعة يدها إلى عنقه بالحبل أن قلت ما قلت»^(٤).

(١) الرحيق المختوم (ص ٢٤٠).

(٢) الهيعة: الصوت الذى تنزع منه وتخاف.

(٣) أخرجه البيهقي (١٧٤/٩)، بسند صحيح، والحاكم فى المستدرک (٣/٢١٧، ٢١٨)، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبى.

(٤) أخرجه الحاكم فى المستدرک (٣/٢٢)، وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى، وابن جرير فى التاريخ (٢/٤٦٠)، وابن هشام فى السيرة (١/٦٤٥)، وسنده صحيح.

ودخل النبي ﷺ المدينة مؤيداً مظفراً منصوراً قد خافه كل عدو له بالمدينة وحولها، فأسلم بشرٌ كثير من أهل المدينة، وحينئذ دخل عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه في الإسلام ظاهراً^(١).

* وهكذا لم يكن بمكة إلا كفرٌ وإيمان أما في المدينة - وبخاصة بعد النصر في غزوة بدر - بدأ المنافقون يدخلون في هذا الدين العظيم ليعصموا دماءهم وأموالهم.

قريش تتلقى نبأ الهزيمة

* قال ابن إسحاق رحمه الله:

«وكان أول من قدم بمكة بمصاب قريش الجسيمان بن عبد الله الخزاعي فقالوا له: ما وراءك؟»

قال: قُتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم بن هشام، وأمّية بن خلف، وزمعة بن الأسود، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأبو البحتري بن هشام، فلما جعل يعدد أشراف قريش قال صفوان بن أمية: والله إن يعقل هذا فسلوه عليّ؟

فقالوا: ما فعل صفوان بن أمية؟

قال: هو ذاك جالس في الحجر، وقد والله رأيت أباه وأخاه حين قُتلا^(٢).

تقسيم الغنائم

* عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: «خرجنا مع النبي ﷺ فشهدت معه بدرًا، فالتقى الناس فهزم الله تبارك وتعالى العدو، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون فأكبت^(٣) طائفة على المعسكر يحوونه ويجمعونه، وأحدقت^(٤) طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة، حتى إذا كان الليل، وفاء الناس بعضهم إلى بعض، قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا

(١) زاد المعاد (٣/ ١٨٨).

(٢) إن كان أخرجه ابن إسحاق بسنده الصحيح الوارد في بداية غزوة بدر فالحادثة صحيحة والله أعلم وإلا فالحادثة بلا سند انظر سنده (ابن هشام في السيرة (١/ ٦٠٦)).

(٣) أكبت: عكفت أو قامت.

(٤) أحدقت: أحاطت.

رفع

عن (الرحمى) (الفتحى)
(أسلم) (الفتحى) (الرحمى)

في طلب العدو: لستم بأحق بها منا.. وقال الذين أهدقوا برسول الله ﷺ: لستم بأحق بها منا، نحن أهدقنا برسول الله ﷺ وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به فنزل ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١] فقسمها رسول الله ﷺ على وفاق بين المسلمين^(١).

لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ

* عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: «لما كان يوم بدر تعجل الناس إلى الغنائم فأصابوها فقال رسول الله ﷺ (إن الغنيمة لا تحل لأحد سود الرؤوس غيركم) وكان النبي وأصحابه إذا غنموا غنيمة جمعوها ونزلت نار فأكلتها، فأنزل الله هذه الآية ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ...﴾ [الأنفال: ٦٨] إلى آخر الآيتين^(٢).

* وعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: لما كان يوم بدر جئت بسيف فقلت: يا رسول الله ﷺ إن الله قد شفى صدرى من المشركين أو نحو هذا، هب لى هذا السيف فقال: (هذا ليس لى ولا لك)، فقلت: عسى أن يعطى هذا من لم يبل بلائى، فجاءنى رسول الله ﷺ فقال: (إنك سألتنى وليس لى، وإنه قد صار لى وهو لك) قال: فنزلت ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ [الأنفال: ٦٨] الآية^(٣).

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ

* عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: إن النبي ﷺ قال: (من أتى مكان كذا وكذا فله كذا وكذا، أو فعل كذا وكذا فله كذا وكذا) فتسارع إليه الشبان وبقي الشيوخ عند الرايات فلما فتح الله عليهم، جاءوا يطلبون ما جعل لهم النبي ﷺ فقال لهم الأشياخ: لا تذهبوا به دوننا فأنزل الله تعالى ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾^(٤).

(١) رواه أحمد (٣٢٤/٥) والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الترمذى فى التفسير تفسير سورة الأنفال رقم (٣٠٨٥)، وقال حديث حسن صحيح غريب، وأبو داود الطيالسى فى مسنده (١٩/٢)، وابن حبان فى الموارد (١٦٦٨)، والبيهقى (٢٩٠/٦) وهو كما قال الترمذى.

(٣) أخرجه مسلم (١٧٤٨) الجهاد والسير.

(٤) رواه أبو داود والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يُشخّن في الأرض

* عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: استشار رسول الله ﷺ في الأسارى أبا بكر فقال: قومك وعشيرتك فخلّ سبيلهم، فاستشار عمر فقال: أقتلهم، قال: ففداهم رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ [الأنفال: ٦٧ - ٦٩] قال: فلقى النبي ﷺ عمر قال: كاد أن يصيبنا بلاء في خلافتك (١).

* وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه... الذي رواه عنه ابن عباس رضي الله عنهما قال: «فقتلوا يومئذ سبعين وأسرنا سبعين قال أبو زميل: قال ابن عباس: فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ يا أبا بكر وعلى وعمر ما ترون في هؤلاء الأسارى؟ فقال أبو بكر: يا نبي الله! هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام.

فقال رسول الله: ما ترى يا ابن الخطاب؟

قال: لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكنني أرى أن تُمكنّا فنضرب أعناقهم، فتمكن علينا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان (نسيًا لعمر) فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها.

فهوى (٢) رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت. فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدان يكيان. قلت: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاءً بكيت، وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما.

فقال رسول الله ﷺ: (أبكي للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة) - شجرة قريبة من النبي ﷺ - وأنزل الله عز وجل ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ [الأنفال: ٦٧ - ٦٩] فأحل الله الغنيمة لهم (٣).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٢/ ٣٢٩)، وقال الحاكم حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي قلت: على شرط مسلم.

(٢) هو: رغب.

(٣) أخرجه مسلم (١٧٦٣) كتاب الجهاد والسير.

فداء الأسرى

«عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «فادى رسول الله ﷺ أسارى بدر، وكان فداء كل رجل منهم أربعة آلاف»^(١).

«وعن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما قال: «كانت قریش ناحت قتلاها ثم ندمت، وقالوا: لا تنوحوا عليهم، فيبلغ ذلك محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم، وكان فى الأسرى أبو وداعة بن صبرة السهمي فقال رسول الله ﷺ: (إن له بمكة ابناً تاجراً كيساً، ذا مال، كأنكم قد جاءكم فى فداء أبيه) فلما قالت قریش فى الفداء ما قالت: قال المطلب: صدقتم والله لئن صدقتم ليثارب^(٢) عليكم، ثم انسل فى الليل، فقدم المدينة ففدى أباه بأربعة آلاف درهم»^(٣).

رحمة للعالمين

«وما هو نهر الرحمة وينبوع الحنان محمد بن عبد الله ﷺ يعلم أن أناساً من المشركين لا يملكون ثمن الفداء وإذا به يجعل فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة ليسهل لهم طريقاً إلى الحرية وليعلموا قدر هذا الدين العظيم وقدر سيد المرسلين ﷺ.

«عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:

«كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة، قال: فجاء يوماً غلام يبكى إلى أبيه فقال: ما شأنك؟ قال: ضربنى معلمى».

قال: «الحبيث يطلب بذحل بدر^(٤) والله لا تأتبه أبداً»^(٥).

(١) مجمع الزوائد (٦/ ٩٠) وقال الهيثمى رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح.

(٢) ليثارب: ليرفعن عليكم سعر الفداء، ليزيدنكم فى قيمة الفداء.

(٣) قال الهيثمى فى المجمع (٦/ ٩٠) رواه الطبرانى ورجاله ثقات.

(٤) ذحل: ثار.

(٥) أخرجه أحمد فى المسند: (٤/ ٤٧)، تحقيق أحمد شاکر وقال: إسناده صحيح وقال البنا فى الفتح الربانى:

لم أقف عليه لغير الإمام أحمد وفى إسناده على بن عاصم فيه كلام لكن وثقه الإمام أحمد.

زينب بنت رسول الله ﷺ تبعت بفداء زوجها أبي العاص بن الربيع

عن عائشة، قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسرائهم، بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص [ابن الربيع] بمال، وبعثت فيه بقلادة كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها، قالت: فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة، وقال: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها مالها، فافعلوا»؛ فقالوا: نعم يا رسول الله فأطلقوه، وردوا عليها الذي [كان] لها^(١).

وكان رسول الله ﷺ قد أخذ عليه: أو وعد رسول الله ﷺ ذلك، أن يخلي سبيل زينب إليه، أو كان فيما شرط عليه في إطلاقه، ولم يظهر ذلك منه ولا من رسول الله ﷺ فيعلم ما هو، إلا أنه لما خرج أبو العاص إلى مكة وخلى سبيله، بعث رسول الله ﷺ زيد ابن حارثة ورجلاً من الأنصار مكانه، فقال: كونا بيطن يأجج حتى تمر بكما زينب، فتصحباهما حتى تأتياني بها^(٢)، فخرجا مكانهما، وذلك بعد بدر بشهر أو شبعة، فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها فخرجت تجهز.

فبقيت عند أبيها إلى ما بعد الحديبية فأسر أبو العاص مرة أخرى ففر إلى المدينة واستجار بزوجه زينب - وكان الإسلام قد فرق بينه وبينها - فأجارته، فأقر المسلمون إجارته له، ورجع إلى مكة ومعه ماله، فأدى الأمانات إلى أصحابها، ثم عاد إلى المدينة مسلماً فردها النبي ﷺ إليه بعقد ومهر جديدين على الصحيح.

قصة فداء العباس (عم النبي ﷺ)

لم يقاتل العباس - رضى الله عنه - في غزوة بدر فإنه خرج مستكراً ونهى النبي ﷺ عن قتله.. ثم وقع العباس في الأسر، فعن أبي اليسر أنه قال: نظرت إلى العباس يوم بدر، وهو واقف كأنه صنم، وعيناه تذرفان.

فقلت: جزاك الله من ذى رحم شراً! أتقاتل ابن أخيك مع عدوه؟

(١) أخرجه أبو داود في كتاب «الجهاد» باب «في فداء الأسير بالمال» (٣/٢٦٩٢)، وأحمد في «مستنده» (٦/٢٧٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/٣٢٢)، وإسناده حسن. والحاكم في مستدركه (٤/٤٥)، وقال: صحيح ووافقه الذهبي.

(٢) رواه أبو داود (٣/٢٦٩٢)، والحاكم (٣/٢٣٦) وصححه ووافقه الذهبي.

قال: ما فعل، أقتل؟ قلت: الله أعز له وأنصر من ذلك. قال: ما تريد إلى؟ قلت: الأسر؛ فإن رسول الله ﷺ نهى عن قتلك. قال: ليست بأول صلته... فأسرته، ثم جئت به إلى رسول الله ﷺ^(١).

وعن البراء أو غيره، قال: جاء رجل من الأنصار بالعباس، قد أسره، فقال: ليس هذا أسرنى، فقال النبي ﷺ: «لقد أزرك الله بملك كريم»^(٢).

* عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «إن رجلاً من الأنصار استأذنوا رسول الله ﷺ فقالوا: ائذن لنا فلنترك لابن أختنا عباس فداء قال: (والله لا تذرون منه درهما)^(٣).

* وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «قال العباس: فى نزلت: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُتَخَنَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧] فأخبرت النبى ﷺ بإسلامى، وسألته أن يحاسبنى بالعشرين الأوقية التى أخذت معى، فأعطانى بها عشرين عبداً كلهم قد تاجر بمال فى يده، مع ما أرجو من مغفرة الله تعالى»^(٤).

لو كان حياً لأطلقتهم له

* عن جبير بن مطعم رضى الله عنه: أن النبى ﷺ قال لأسارى بدر: (لو كان مطعم ابن عدى حياً، ثم كلمنى فى هؤلاء التتني لأطلقتهم له)^(٥).

عدد من حضر بدرًا

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

وجملة من حضر بدرًا من المسلمين ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، من المهاجرين ستة وثمانون، ومن الأوس أحد وستون، ومن الخزرج مائة وسبعون، وإنما قل عدد الأوس عن الخزرج، وإن كانوا أشد منهم، وأقوى شوكة، وأصبر عند اللقاء، لأن منازلهم كانت

(١) أخرجه ابن سعد (١٢/٤).

(٢) أخرجه ابن سعد (١٢/٤) ورجاله ثقات.

(٣) أخرجه البخارى فى المغازى باب (١٢)، حديث رقم (٤٠١٨).

(٤) المطالب العالمة: (٤٣٠٠) وقال ابن حجر: هذا إسناد صحيح.

(٥) أخرجه أبو داود فى الجهاد باب المن على الأسير رقم (٢٦٨٩)، وإسناده صحيح، وأخرجه البخارى فى

المغازى باب (١٢) حديث رقم (٤٠٢٤).

رفع

عبد الرحمن بن القحوي
أسكنه الله الفردوس

فى عوالى المدينه، وجاء النفير بفتة، وقال النبى ﷺ: «لا يتبعنا إلا من كان ظهره حاضراً»، فاستأذنه رجالٌ ظهروهم فى علو المدينة أن يستأنى بهم حتى يذهبوا إلى ظهورهم، فأبى^(١) ولم يكن عزمهم على اللقاء، ولا أعدوا له عدته، ولا تأهبوا له أهبتة، ولكن جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد.

واستشهد من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلاً: ستة من المهاجرين، وستة من الخزرج، واثنان من الأوس، وفرغ رسول الله ﷺ من شأن بدر والأسارى فى شوال^(٢).

فصل من شهد بدرًا من المسلمين

✽ عن معاذ بن رفاع بن رافع الزرقى عن أبيه - وكان أبوه من أهل بدر - قال: جاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: «من أفضل المسلمين - أو كلمة نحوها» قال وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة^(٣).

✽ وفى قصة حاطب بن أبى بلتعة عندما قال عمر لرسول الله ﷺ: إنه قد خان الله والمؤمنين فدعنى فلاضرب عنقه فقال: «أليس من أهل بدر؟» فقال: «لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة - أو فقد غفرت لكم» فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم^(٤).

وعن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»^(٥).

✽ وعن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لن يدخل النار رجل شهد بدرًا أو الحديبية)^(٦).

(١) أخرجه مسلم (١٩٠١) فى الإمارة: باب ثبوت الجنة للشهيد، وأحمد (١٣٦/٣) من حديث أنس بن مالك.

(٢) أنظر أخبار غزوة بدر فى ابن هشام (١/٦٠٦، ٧١٥، ٤٣/٢)، وابن سعد (١١/٢).

(٣) أخرجه البخارى (٣٩٩٢).

(٤) أخرجه البخارى (٣٩٨٣)، ومسلم (٢٤٩٤).

(٥) رواه أحمد (٢/٢٩٥)، وأبو داود (٤٦٥٤)، وإسناده حسن.

(٦) أخرجه مسلم (٢٤٩٦) فضائل الصحابة، والترمذى (٣٨٦٤) المناقب.

يا لله من عييد

وفى السنة الثانية من الهجرة فُرض صيام رمضان، وفرضت زكاة الفطر، وبيّنت أنصبة الزكاة الأخرى، وكانت فريضة زكاة الفطر وتفصيل أنصبة الزكاة الأخرى؛ تخفيفاً لكثير من الأوزار التي يعانيتها عدد كبير من المهاجرين اللاجئين، الذين كانوا فقراء لا يستطيعون ضرباً فى الأرض.

ومن أحسن المواقع وأروع الصدقات أن أول عيد تعيد به المسلمون فى حياتهم هو العيد الذى وقع فى شوال سنة ٢هـ إثر الفتح المبين الذى حصلوا عليه فى غزوة بدر، فما أروع هذا العيد السعيد الذى جاء به الله بعد أن توجّ هامتهم بتاج الفتح والعز، وما أروق منظر تلك الصلاة التى صلوها بعد أن خرجوا من بيوتهم يرفعون أصواتهم بالتكبير والتوحيد والتحميد، وقد فاضت قلوبهم رغبة إلى الله، وحنيناً إلى رحمته ورضوانه بعد أن أولاهم من النعم، وأيدهم به من النصر، وذكرهم بذلك؛ قائلاً: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦] (١).

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

(١) الرحيق المختوم (ص ٢٤٧).

فى أعقاب بدر

شُدَّه العرب قاطبة للنصر الحاسم الذى ناله المسلمون فى بدر، بل إن أهل مكة استنكروا الخبر أول ما جاءهم: وحسبوه هزيان مجنون، فلما استبان صدقه صعق نفر منهم فهلك لتوّه. وماج بعضهم فى بعض من هول المصاب لا يدري ما يفعل.

وكما استبعد أهل مكة الهزيمة على أنفسهم حتى جوبهوا بعارها. استبعد مشركوا المدينة ويهودها ما قرع أذهانهم من بشرىات الفوز. وذهب بعضهم إلى حد اتهام المسلمين بأن ما يذاع عن نصرهم محض اختلاق. وظلوا يكابرون حتى رأوا الأسرى مقرنين فى الأصفاة، فسقط فى أيديهم.

فأما أهل مكة فقد انطوا على أنفسهم يداوون جراحهم ويستعيدون قواهم ويستعدون لنيل ثأرهم. ويعلنون أن يوم الانتقام قريب. ولم تزدهم الهزيمة إلا كرهاً للإسلام. ونقمة على محمد وصحبه. واضطهاداً لمن يدخل فى دينه.

أما فى المدينة حيث المسلمون كثرة مكينة ظاهرة. فقد اتخذت العداوة للإسلام طريق الدس والنفاق والمخاتلة. فأسلم فريق من المشركين واليهود ظاهراً وقلوبهم تغلى حقداً وكفراً. وعلى رأس هؤلاء (عبد الله بن أبى بن سلول).

أما البدو الضاربون حول المدينة وعلى طريق القوافل، فهم قوم همل، لا يهمهم شىء من قضايا الكفر والإيمان، إنما يهمهم اكتساب القوت من أى وجه، والحصول عليه ولو عن طريق السلب والنهب^(١).

النبى ﷺ يبنى بعائشة (رضى الله عنها)

وفى أعقاب غزوة بدر بنى النبى ﷺ بعائشة رضى الله عنها.

* عن عائشة رضى الله عنها قالت: «تزوجنى النبى وأنا بنت ست سنين، فقدمنا

(١) فقه السيرة للغزالي (٢٧٥: ٢٧٦) يتصرف.

المدينة فنزلنا فى بنى الحارث بن الخزرج، فوعكت^(١) فتمزق شعري، فوفى جميمة^(٢)، فأتتني أمى - أم رومان - وإنى لفى أرجوحة ومعى صواحب لى، فصرخت بى فأثبتها، لا أدرى ما تريد بى، فأخذت ييدى حتى أوقفتنى على باب الدار، وإنى لأنهج^(٣) حتى سكن بعض نفسى، ثم أخذت شيئاً من ماء فمسحت به وجهى ورأسى، ثم أدخلتنى الدار، فإذا نسوة من الأنصار فى البيت، فقلن: على الخير والبركة، وعلى خير طائر، فأسلمتنى إليهن، فأصلحن من شأنى، فلم يرعنى إلا رسول الله ﷺ ضحى، فأسلمتنى إليه، وأنا يومئذ بنت تسع سنين^(٤).

* وعن عائشة. قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي شَوَّالٍ. وَبَنَى بِي فِي شَوَّالٍ. فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ أَحْظَى عِنْدَهُ مِنِّي^(٥)؟

النبي ﷺ يتزوج حفصة بنت عمر (رضى الله عنهما)

* عن ابن عمر (رضى الله عنهما) أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «حين تأيمت^(٦) حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فتوفى فى المدينة، فقال عمر: أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة، فقال: سأنظر فى أمرى فلبست ليالى ثم لقينى فقال: قد بدا لى أن لا أتزوج يومى هذا. قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق، فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر فصمت أبو بكر رضى الله عنه فلم يرجع إلى شيئاً، فكنت عليه أوجد منى على عثمان.

فلبست ليالى ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحها إياه، فلقينى أبو بكر فقال: لعلك وجدت على حين عرضت على حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟ قال عمر: قلت: نعم، قال: فإنه لم يمنعنى أن أرجع إليك فيما عرضت على، إلا أنى كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشى سر رسول الله ﷺ ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها^(٧).

(١) وعكت: مرضت.

(٢) الجميمة: الشعر القصير.

(٣) أنهج: اتنفس بسرعة.

(٤) أخرجه البخارى (٣٨٩٤) مناقب الأنصار - ومسلم (١٤٢٢) النكاح.

(٥) أخرجه مسلم (٧٣) (١٤٢٣) النكاح.

(٦) تأيمت: مات عنها زوجها.

(٧) أخرجه البخارى (٥١٢٢) النكاح - وأحمد (٧٤).

(على) يتزوج (فاطمة) - رضى الله عنهما -

وفى أعقاب غزوة بدر تزوج (على) بفاطمة - رضى الله عنهما - قال ﷺ: «إن الله أمرنى أن أزوّج فاطمة من على»^(١).

هذا مهر فاطمة (رضى الله عنها)

* عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال: «خطبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ فقالت مولاة لى: هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ﷺ؟ قلت: لا، قالت: فقد خطبت، فما يمنعك أن تأتى رسول الله ﷺ فيزوجك. فقلت: وعند شىء أتزوج به! فقالت: إنك إن جئت رسول الله ﷺ زوّجك. قال: فوالله ما زالت ترجينى حتى دخلت على رسول الله ﷺ فلما أن قعدت بين يديه أفحمت، فوالله ما استطعت أن أتكلم جلالة وهيبه. فقال رسول الله ﷺ: (ما جاء بك؟ ألك حاجة؟) فسكت، فقال: (لعلك جئت تخطب فاطمة؟) فقلت: نعم، فقال: (وهل عندك من شىء تستحلها به؟) فقلت: لا والله يا رسول الله. فقال: (ما فعلت درعٌ سلّحتكها؟) فوالذى نفس علىّ بيده إنها لحطمية ما قيمتها أربعة دراهم، فقلت: عندى. فقال: (قد زوّجتكها فابعث إليها بها فاستحلها بها) فإنها كانت لصدّاق فاطمة بنت رسول الله ﷺ»^(٢).

وهذا جهازها (رضى الله عنها)

* عن على (رضى الله عنه) قال: «جهّز رسول الله ﷺ فاطمة فى خميل^(٣) وقربة ووسادة آدم^(٤) حشوها إذر^(٥)»^(٦).

* إنها فاطمة بنت رسول الله ﷺ - سيد الأولين والآخرين وعلى الرغم من ذلك

(١) قال الهيثمى فى المجمع (١٥٢٠٨): رواه الطبرانى ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه البيهقى فى الدلائل: (١٦٠/٣) وإسناده حسن وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث، سيرة ابن كثير: (٥٤٤/٢).

(٣) خميل: القطيفة.

(٤) الأدم: الجلد.

(٥) الإذر: حشيشة رطبة طيبة الرائحة.

(٦) أخرجه أحمد فى المسند: (١٤/١) ابن ماجه فى السنن والزهد رقم (٤١٥٢)، البيهقى فى الدلائل

(١٦١/٣) والحديث إسناده صحيح.

كان مهرها (درع) على الحُطمية، وأُهديت إليه ومعها خميلة ومرفقة من آدم حشوها ليف، وقربة ومنخل وقدح ورحى وجرابان، ودخلت عليه وما لها فراش غير جلد كبش ينامان عليه بالليل، وتعلف عليه الناضح بالنهار، وكانت هي خادمة نفسها.

قال ابن الجوزي: تالله ما ضرها ذلك^(١).

أذهب الله عنها وعن بيتها الرجز وطهرها تطهيراً، «وقد كان النبي ﷺ يحبها ويكرمها ويسر إليها.. ومناقبها غزيرة، وكانت صابرة دينة خيرة صينة قانعة شاكرة لله»^(٢).

توثيق الصلات بالرجال الأربعة

واتجاه الرسول ﷺ إلى مصاهرة عمر بعد مصاهرة أبي بكر. ثم تزويجه ابنته فاطمة لعلي بن أبي طالب وتزويجه ابنته أم كلثوم لعثمان - بعد وفاة رقية - يشير إلى أن النبي ﷺ يبغي من وراء ذلك توثيق الصلات بالرجال الأربعة. الذين عُرف بلاؤهم وفداؤهم للإسلام، في الأزمات التي مرت به وشاء الله أن يجتازها بسلام^(٣).

مؤامرة لقتل النبي ﷺ

✽ عن عروة بن الزبير مرسلًا قال: «جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية في الحجر، بعد مصاب أهل بدر بيسير وكان عمير بن وهب شيطانًا من شياطين قريش، ومن كان يؤذى رسول الله ﷺ وأصحابه، ويلقون منه عناء^(٤)، وهو بمكة، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر، فذكر أصحاب القلب ومصابهم، فقال صفوان: «والله إن في العيش بعدهم خير».

قال له عمير: صدقت، أما والله لولا دين عليّ ليس عندي قضاؤه وعيال أخشى عليهم الضيعة^(٥) بعدى، لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لى فيهم علة^(٦)... ابني أسير

(١) التبصرة (١/٤٥٢).

(٢) السير (٢/١١٩).

(٣) فقه السيرة للغزالي (ص: ٢٨٦).

(٤) عناء: تعب.

(٥) الضيعة: الضياع والتشتت.

(٦) العلة: السبب.

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فى أيديهم.

قال: فاغنمها صفوان بن أمية فقال:

على دينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالى أواسيهم^(١) ما بقوا، لا يسعنى شيء ويعجز عنهم، فقال له عمير: فاکتم على شأنى وشأنك.

قال: سأفعل.

قال: ثم أمر عمير سيفه، فشُحذَ وسُمّ، ثم انطلق حتى قدم المدينة، فبينما عمر بن الخطاب فى نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به، وما أراهم فى عدوهم، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أناخ راحلته على باب المسجد متوشحاً سيفه، فقال: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب، ما جاء إلا لشر وهو الذى حرس بيننا، وحرزنا للقوم يوم بدر.

ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه.

قال: فأدخله على، قال: فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة^(٢) سيفه فى عنقه فلبّيه^(٣) بها، وقال لمن كان معه من الأنصار: أدخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث، فإنه غير مأمون.

ثم دخل به على رسول الله ﷺ، فلما رآه رسول الله ﷺ وعمر أخذ بحمالة سيفه فى عنقه قال: (أرسله يا عمر... ادن يا عمير).

فدنا ثم قال: انعموا صباحاً، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم، فقال رسول الله (قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام تحية أهل الجنة).

فقال: أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد.

قال: (فما جاء بك يا عمير؟) قال: جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم فأحسنوا فيه.

قال: (فما بال سيف فى عنقك؟) قال: قبحها الله من سيوف! وهل أغنت عنا

شيئاً؟

(١) أواسيهم: أقوم على أمرهم ومؤونتهم.

(٢) حمالة السيف: ما يربط به السيف على الجسم.

(٣) لبيه: قيده.

قال: (اصدقني، ما الذي جئت له؟) قال: ما جئت إلا لذلك.

قال: (بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دين عليّ وعيال عندى لخرجت حتى أقتل محمداً، فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك، علي أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك).

قال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إنني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق، ثم شهد شهادة الحق.

فقال رسول الله ﷺ (فقهوا أخاكم في دينه، وعلموه القرآن، وأطلقوا أسيره ففعلوا).

ثم قال: يا رسول الله، إنني كنت جاهداً على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله - عز وجل - وأنا أحب أن تأذن لي، فأقدم مكة، فأدعوهم إلى الله، وإلى رسوله، وإلى الإسلام، لعل الله يهديهم، وإلا أذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم، قال: فأذن له رسول الله ﷺ فلحق بمكة. وكان صفوان بن أمية حين خرج عمير بن وهب، يقول: أبشروا بوقعة تأتاكم الآن في أيام، تُنسيكم وقعة بدر، وكان صفوان يسأل عنه الزكبان، حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه، فحلف أن لا يكلمه أبداً، ولا يتفقه بنفع أبداً^(١).

غزوة بنى سليم بالكندر

بعد عودة الحبيب محمد ﷺ من غزوة بدر وإجلاء بنى قينقاع من اليهود لغدرهم وخيانتهم بلغه أن بنى سليم قد تجمعوا لحرب رسول الله ﷺ على ماء لهم يقال «الكندر» فسار إليهم ﷺ بعد أن استخلف على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه. وكان لواؤه عليه الصلاة والسلام مع علي بن أبي طالب رضى الله عنه فواصل سيره طالبا جموع

(١) ابن هشام في السيرة: (١/٦٦١ - ٦٦٣) عن ابن إسحاق بسند صحيح مرسل، وقال ابن حجر في الإصابة: (٣/٣٦) قال موسى بن عقبة في المغازي عن ابن شهاب مرسل وذكر قصة عمير، وقد أخرجه ابن منده من وجه آخر موصولاً، من طريق أبي الأزهر عن عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان عن أبي عمران الجوني عن أنس أو غيره وإسناد ابن منده ظاهره أنه حسن.

بنى سَلِيمَ التي تَجَمَّعت لحربه ﷺ حتى بلغ ماءهم «الكُدْر» فلم يجد عنده أحداً، وإنما وجد نَعَمًا ورعاء فساق ذلك وعاد به إلى المدينة النبوية، ولم يَلْقَ بالكُدْر كيداً. والحمد لله (١).

غزوة السويق

لم يَغْتَر المسلمون بالنصر الذي نالوه في «بدر» ولم يفتروا عن مراقبة خصومهم والإعداد لهم. وقد علموا علم اليقين أن مكة لن تثني عن الانتقام لنفسها ولن تستكين للكارثة التي حلت بها.

ورأى أبو سفيان - حفظاً لمكانة قومه وإبرازاً لما لديهم من قوة - أن يتعجل عملاً قليل المغارم ظاهر الأثر، فقرر أن يفاجئ المدينة بغرة خاطفة يعود عقيبتها وقد رد لقريش بعض سمعتها، وألحق بالمسلمين ما يستطيع من خسائر.

ثم إن أبا سفيان كان نذر ألا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً ﷺ وينبغي أن يبر في قسمه.

فخرج في مائتي راكب حتى وصل إلى مساكن بنى النضير في جنح الليل - بأطراف المدينة - ونزل على «سلام بن مشكم» من سادة اليهود. فتعرف منه أخبار المسلمين، وتدارسا أجدى الطرق لإيذائهم والإفلات من قراهم.

واهتدى أبو سفيان إلى العمل الذي وفى به يمينه، وحقق به غايته؟ فهجم برجاله على ناحية يقال لها «العريض» وحرقوا أسواراً من نخيل بها ووجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حرث لهما فقتلوهما. ثم لاذوا بالفرار عائدين إلى مكة..

وشعر المسلمون بما حدث، فانطلقوا وراء أبي سفيان ورجاله يطاردونهم، ويبتغون الإيقاع بهم. وأحس المشركون بالطلب فجدوا في الهرب. والمسلمون يقطعون الصحراء خلفهم راغبين في اللحاق بهم، فلما أحس أبو سفيان بالخطر، أخذ يتخفف من الأزواد التي يحملها حتى تمكن من النجاة. وعثر المسلمون في طريق المطاردة هذه المؤن وأكثرها من السويق فسموا هذه المناوشة الطريفة، غزوة السويق! (٢).

(١) هذا الحبيب يا محب/ الجزائري (ص: ٢٤٨).

(٢) فقه السيرة للغزالي (ص: ٢٨٤) - وانظر السيرة لابن هشام (٣/ ٥ - ٦)، والطبري في التاريخ (٢/ ٥٠)، وابن سيد الناس في (عيون الأثر) (١/ ٤٤٦ - ٤٤٧).

غزوة ذي أمر

وهي أكبر حملة عسكرية قادها رسول الله ﷺ قبل معركة أحد، وقادها في المحرم سنة ٣ هـ.

وسببها أن استخبارات المدينة نقلت إلى رسول الله ﷺ أن جمعاً كبيراً من بني ثعلبة ومحارب تجمعوا، يريدون الإغارة على أطراف المدينة، فندب رسول الله ﷺ المسلمين، وخرج في أربعمئة وخمسين مقاتلاً ما بين راكب وراجل، واستخلف على المدينة عثمان ابن عفان.

وفي أثناء الطريق قبضوا على رجل يقال له جبار من بني ثعلبة، فأدخل على رسول الله ﷺ فدعاه إلى الإسلام فأسلم، فضمه إلى بلال، وصار دليلاً لجيش المسلمين إلى أرض العدو.

وتفرق الأعداء في رعوس الجبال حين سمعوا بقدوم جيش المدينة. أما النبي ﷺ فقد وصل بجيشه إلى مكان تجمعهم، وهو الماء المسمى «بذي أمر» فأقام هناك صفراً كله - من سنة ٣ هـ - أو قريباً من ذلك، ليشعر الأعراب بقوة المسلمين ويستولى عليهم الرعب والرهبة، ثم رجع إلى المدينة^(١).

غزوة بجران

وأقام رسول الله ﷺ بالمدينة ربيعاً الأول، ثم خرج يريد قريشاً، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، فبلغ بجران معدناً بالحجاز من ناحية الفرع، ولم يلق حرباً، فأقام هنالك ربيعاً الآخر، وجمادى الأولى، ثم انصرف إلى المدينة^(٢).

سرية زيد بن حارثة إلى (القرند)

لما هُزمت قريش في بدر وعرفت أنها غير قادرة على حماية قوافلها التجارية عبر طريق قوافلها القديم، والذي كان يمر قريباً من المدينة إلى مكة غيرت طريقها الأول، وصارت تسلك طريق العراق إلى الشام.

قال صفوان بن أمية لقريش: «إن محمداً ﷺ وصحبه عوروا علينا متجرنا. فما ندرى

(١) الرحيق المختوم (ص ٢٥٦).

(٢) زاد المعاد (٣/ ١٩٠)، وشرح المواهب (١/ ٤٥٦)، وابن سيد الناس (١/ ٢٩٤).

كيف نصنع بأصحابه وهم لا يبرحون الساحل؟ وأهل الساحل قد وادعوههم، ودخل عامتهم معه، فما ندرى أين نسلك؟ وإن أقمنا في دارنا هذه أكلنا رؤوس أموالنا فلم يكن لها من بقاء. وإنما حياتنا بمكة على التجارة إلى الشام في الصيف وإلى الحبشة في الشتاء» فقال له الأسود بن عبد المطلب: تنكب الطريق على الساحل. وخذ طريق العراق. ودلّه على فرات بن حيان من بنى بكر بن وائل ليكون رائدهم في هذه الرحلة.

وخرجت عير قريش بقودها صفوان بن أمية، آخذة الطريق الجديدة، إلا أن نعيم بن مسعود، قدم المدينة يحمل أنباء هذه القافلة، وخطة سيرها. واجتمع في مجلس شرب - قبل تحريم الخمر - بسليط بن النعمان فباح له بسرّها. فأسرع سليط إلى النبي ﷺ يروى له القصة، فبعث النبي لوقته «زيد بن حارثة» في مائة راكب يعترضون القافلة.. فلقيها «زيد» عند ماء يقال له «القردة»، فاستولى عليها كلها، وكانت تحمل مقادير كبيرة من الفضة، وفر المشركون مذعورين. فلم يقع في الأسر غير فرات بن حيان.

لما جئ به إلى المدينة دخل في الإسلام.

ولهذا حزنّت مكة لهذه النكبة الجديدة، وزادها ذلك إصراراً على المطالبة بئارها، والتهيؤ للقاء المسلمين في تعبئة كاملة. فكان ذلك وما سبقه من أحداث التمهيد القوي لمعركة «أحد» في السنة الثالثة للهجرة^(١).

هؤلاء هم اليهود

لم تُحدّث المسلمين أنفسهم بنقض عهود اليهود، ولا فكروا في طردهم من أرض الجزيرة، بل على العكس، توقع المسلمون منهم أن يكونوا عوناً لهم في حرب الوثنية المخرفة وتدعيم عقيدة التوحيد، ورجا المسلمون أن يُصدّق اليهود محمداً ﷺ فيما يشته لله من تنزيه ومجد، وأن تكون صلتهم بالكتب القديمة وألفتهم لأحاديث المرسلين سبباً في إقناع العرب الأميين بأن الرسائل السماوية حق والإيمان بها واجب.

وهذه المشاعر الحسنة تتمشى مع القرآن النازل يومئذ، يؤسسها ويؤكدّها.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣].

(١) فقه السيرة للغزالي (ص ٢٨٥)، وانظر السيرة لابن هشام (٣/ ١٠ - ١١)، ابن سعد في الطبقات

(٢/ ٣٦)، وابن الأثير في التاريخ (٢/ ١٤٥).

رفع

عبد الرحمن بن العفري
أسكن الله الفردوس

﴿وَالَّذِينَ آمَنَاهُمْ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَهُهُ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَتَابُ﴾ [الرعد: ٣٦].

بيد أن اليهود كانوا عند أسوأ الظن. فلم تمض أيام على اختلاطهم بالمسلمين في المدينة حتى شرعوا يخرجون صدورهم ويعينون عليهم^(١).

إجلاء يهود بنى قينقاع

وفي فرحة المسلمين بانتصارهم في بدر، لم يستح أولئك اليهود أن يقولوا لرسول الله عليه الصلاة والسلام: «لا يغرنك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة. أما والله لئن حاربناك لتعلمن أننا نحن الناس!».

✽ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان من حديث بنى قينقاع أن رسول الله ﷺ جمعهم بسوق بنى قينقاع ثم قال: يا معشر يهود، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم... قالوا: يا محمد إنك ترى أنا قومك، لا يغرنك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أننا نحن الناس.

ثم قال ابن عباس: فما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم. ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتٌّ لَّهُمْ وَأَتَحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيُنْسِ الْمِهَادُ﴾ (١٢) قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فُتُتَيْنِ النَّقْمَةِ فَبِمَا تَقَاتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: ١٢، ١٣] (٢).

✽ وورد في سبب ذلك ما رواه ابن هشام قال: كان أمر بنى قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق بنى قينقاع، وجلست إلى صائغ هناك منهم فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها فلما قامت انكشفت سوائها فضحكوا بها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديا فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فأغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع» (٣).

(١) فقه السيرة للغزالي (ص ٢٧٧).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الخراج باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة رقم (٣٠٠١)، وابن هشام في

السيرة (٤٧/٢) بسند ابن إسحاق، وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣٣٢/٧).

(٣) سيرة ابن هشام مع الروض الأثف (١٣٧/٣).

أعين الرجال

تلك الصرخة التي أطلقتها تلك المرأة سمعتها أذان تسمع وقلوب تنبض فيها الدماء تمتزج مع الغيرة والشهامة، تلك الصرخة تلقفها رجال وليسوا أشباه رجال، فكانت أن أصلت إغاثة الأعراض في نفوس المسلمين، فمنذ ذلك التاريخ، والمرأة مصانة عرضها، يُسمع لصرختها إذا استنجدت الملايين من المسلمين، كلٌّ منهم يحسب أن كل امرأة مسلمة هي عرضه، وإن كانت لا تمت له بصلة إلا صلة العقيدة، حتى جاء زمن المعتصم، ويسمع عن امرأة يُعتدى عليها وتهان كرامتها فتصرخ «وامعتصماه»

فتهز قلبه تلك الاستغاثة، وتغلى الدماء في قلبه، فيعد العدة، ويجهز الجيش ليسيّره من أرض الخلافة إلى الأرض التي صرخت منها تلك المرأة ليؤدب العدو، ويرد للمرأة اعتبارها وكرامتها، ثم يرجع منصوراً على عدوه الذي استهان بأعراض المسلمين، أما الآن فكم من صرخات تتلاشى وتفتت على جدار الصامتين من الأنظمة، صرخات أخواتنا في فلسطين كل يوم على أيدي اليهود، وصرخاتهن في مخيمات لبنان على أيدي الكتائب الباطنيين، وصرخاتهن في الفلبين وفي بلغاريا... صرخات وصرخات في كل مكان ولا مجيب، فلقد مات رواد الجيل الأول، ومات جيل المعتصم فلا معتصم، وتظل صيحات النساء المسلمات لا ترى لها صدى ولا ترى غيرة تتحرك أو دماً يفور^(١).

موقف رأس المنافقين

قال ابن إسحاق: فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه، فقام إليه عبد الله ابن أبي بن سلول، حين أمكنه الله منهم، فقال: يا محمد، أحسن في موالى (وكانوا حلفاء الخزرج) قال: فأبى عليه رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، أحسن في موالى، قال فأعرض عنه، فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ.

فقال له رسول الله ﷺ: «أرسلني»، وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظلاً، ثم قال: ويحك! أرسلني، قال: لا، والله لا أرسلك حتى تحسن في موالى، أربع مئة حاسر وثلاث مئة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدتهم في غداة واحدة، إني

(١) مواقف تربوية من السيرة النبوية (٢٤، ٢٥). عبد الحميد جاسم البلالى.

والله امرؤ أخشى الدوائر؛ قال: فقال رسول الله ﷺ: «هم لك»^(١).

قال ابن هشام: واستعمل رسول الله ﷺ على المدينة في مُحاصرتها إياهم بشير بن عبد المنذر، وكانت مُحاصرته إياهم خمس عشرة ليلة^(٢).

مقتل كعب بن الأشرف

* أما عن سبب قتله فقد جاء ذلك في حديث كعب بن مالك (رضى الله عنه) أنه قال:

إن كعب بن الأشرف اليهودي كان شاعراً وكان يهجو رسول الله ﷺ ويحرض عليه كفار قريش في شعره، وكان رسول الله ﷺ قدم المدينة وأهلها أخلاط منهم المسلمون الذين تجمعهم دعوة رسول الله ﷺ ومنهم المشركون الذين يعبدون الأوثان، ومنهم اليهود، وهم أهل الحلقة والحصون، وهم خلفاء للحيين الأوس والخزرج، فأراد رسول الله ﷺ حين قدم المدينة استصلاحهم كلهم، وكان الرجل يكون مسلماً وأبوه مشرك، والرجل يكون مسلماً وأخوه مشرك.

وكان المشركون واليهود من أهل المدينة حين قدم رسول الله ﷺ يؤذون رسول الله ﷺ وأصحابه أشد الأذى، فأمر الله تعالى رسوله والمسلمين بالصبر على ذلك، والعفو عنهم، ففيهم أنزل الله جل ثناؤه ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وفيه أنزل الله ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [البقرة: ١٠٩].

فلما أبى كعب بن الأشرف أن ينزع عن أذى رسول الله ﷺ وأذى المسلمين، أمر رسول الله ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رهطاً ليقتلوه، فبعث إليه سعد...^(٣).

(١) تاريخ الطبري (٤٩/٢)، إمتاع الأسماع للمقريزي (ص ١٠٤).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٩/٣).

(٣) أخرجه أبو داود في الخراج والإمارة والفتىء (٣٠٠٠)، والهيثمى في المجمع (١٩٥/٦ - ١٩٦)، وقال رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، فتح الباري (٣٣٧/٧)، وعزاه إلى أبي داود والترمذي.

النبى ﷺ يؤدعهم ويدعو لهم

* عن جابر بن عبد الله أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله» فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله أتحب أن أقتله؟ قال: «نعم» قال: فأذن لى أن أقول شيئاً - يعنى لخداع كعب بن الأشرف - قال: «قل» فأناه محمد بن مسلمة فقال: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة (يقصد النبى ﷺ)، وإنه قد عاننا - أتعبنا - وإنى قد أتيتك أستسلفك - أقترض منك - قال وأيضاً والله لتملن قال: إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أى شىء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين، فقال: نعم ارهنونى قالوا: أى شىء تريد؟ قال: ارهنونى نساءكم، قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال: فارهنونى أبناءكم. قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم، فيقال: رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا، ولكننا نرهنك اللأمة. قال سفيان: يعنى السلاح. فوعده أن يأتيه، فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة - وهو أخو كعب من الرضاعة - فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ فقال: إنما هو محمد بن مسلمة وأخى أبو نائلة - وفى رواية - قالت:

أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم. قال: إنما هو أخى محمد بن مسلمة ورضيعى أبو نائلة، إن الكريم لو دعى إلى طعنة بليل لأجاب قال: ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلين، فقال: إذا ما جاء فإنى قائل بشعره فأشمه فإذا رأيتمنى استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه.. ثم أشمكم فنزل إليهم متوحشاً وهو ينفخ منه ريح الطيب، فقال: ما رأيت كاليوم ريحاً - أى أطيّب - فقال: أتأذن لى أن أشم رأسك؟ قال: نعم. فشمه ثم أشم أصحابه ثم قال: أتأذن لى؟ قال: نعم. فلما استمكن منه قال: دونكم فقتلوه. ثم أتوا النبى ﷺ فأخبروه^(١).

فيا له من موقف يظهر فيه الولاء والبراء جلياً واضحاً كالشمس فى رابعة النهار. فهو يقتل قريبه من أجل أنه آذى الله ورسوله ﷺ.

قال الحافظ فى الفتح: قوله (فأذن: لى أن أقول شيئاً، قال: قل) كأنه استأذنه أن يفتعل شيئاً يحتال به، ومن ثم بوب عليه المصنف «الكذب فى الحرب» وقد ظهر من سياق ابن سعد للقصة أنهم استأذنوا أن يشكوا منه ويعيوا رأيه، ولفظه «فقال له: كان

قدوم هذا الرجل علينا من البلاء، حاربنا العرب، ورمينا عن قوس واحدة» وعند ابن إسحاق بإسناد حسن عن ابن عباس «أن النبي ﷺ مشى معهم إلى بقيع الغرق ثم وجههم فقال: انطلقوا على اسم الله، اللهم أعنهم»^(١).

شبهة.. والرد عليها

* استدل بعض الشباب الذي يتعجل الصدام المسلح بمثل هذه الحادثة على ما يذهبون إليه ولا حجة لهم فيها لأن ذلك كان بالمدينة، وللمسلمين دولة وشوكة، أما هم فليس لهم دولة ولا شوكة، ثم كان ذلك إغزازاً للدين وإرهاباً للكافرين وكانت كلها مصالح لا مفسدة معها أما ما يحدث في فترات الاستضعاف من هذه الحوادث فإنها يعقبها من الشر والفساد واستباحة دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم ما لا يخفى على بصير وبلا مصلحة حقيقية مرجوة وإنما هي مصالح متوهمة، ومثل هذه الأعمال لا يبيحها الشرع، ولا يفتى بجوازها من عنده مسكة من علم وخبرة بواقع الدعوة والله المستعان^(٢).

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

(١) فتح الباري (٧/٣٩٢).

(٢) وفقات تربوية (ص ٢٠٦).

غزوة أحد

كانت مكة تحترق غيظاً على المسلمين مما أصابها في معركة بدر من مأساة الهزيمة وقتل الصناديد والأشراف، وكانت تحبش فيها نزعات الانتقام وأخذ الثأر، حتى إن قريشاً كانوا قد منعوا البكاء على قتلاهم في بدر، ومنعوا من الاستعجال في فداء الأسارى؛ حتى لا يتفطن المسلمون مدى مأساتهم وحزنهم.

وعلى إثر غزوة بدر اتفقت قريش على أن تقوم بحرب شاملة ضد المسلمين، تشفى غيظها، وتروى غلة حقدتها، وأخذت في الاستعداد للخوض في مثل هذه المعركة.

وكان عكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، وأبو سفيان بن حرب وعبد الله بن أبي ربيعة أكثر زعماء قريش نشاطاً وتحمساً لخوض المعركة.

وأول ما فعلوه بهذا الصدد أنهم احتجزوا العير التي كان قد نجا بها أبو سفيان والتي كانت سبباً للمعركة بدر، وقالوا للذين كانت فيها أموالهم: يا معشر قريش، إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه؛ لعلنا أن ندرك منه ثأراً، فأجابوا لذلك، فباعوها، وكانت ألف بعير، والمال خمسين ألف دينار^(١).

✽ وقام أبو سفيان يؤلب على رسول الله ﷺ.

فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك أبو سفيان بن حرب، وأصحاب العير بأحبيشها^(٢)، ومن أطاعها من قبائل كنانة، وأهل تهامة. وكان الشاعر أبو عزة عمرو بن عبد الله الجُمَحِيّ قد منّ عليه رسول الله ﷺ يوم بدر، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة، [وكان] في الأسارى فقال: يا رسول الله، إني فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتُها فامننْ عليّ صلى الله عليك [وسلم] فمنّ عليه رسول الله ﷺ. فقال له صفوان ابن أمية: يا أبا عزة إنك امرؤ شاعر، فأعنا بلسانك، فأخرج معنا؛ فقال: إن محمداً قد منّ

(١) الرحيق المختوم (ص: ٢٦٢).

(٢) أحبيشها: أحياء من القارة انضموا إلى بني ليث في الحرب التي وقعت بينهم وبين قريش قبل الإسلام.

على فلا أريد أن أظاهر عليه؛ قال: [بلى] فأعنا بنفسك، فلك الله على إن رجعت أن أغنيك، وإن أُصِبت أن أجعل بناتك مع بناتي، يُصِيبهن ما أصابهن من عُسْرٍ وُسْرٍ^(١). فخرج أبو عزة في تهامة، يدعو بني كنانة ويحرضهم على حرب رسول الله ﷺ. كما اختاروا شاعراً آخر يقوم بنفس المهمة وهو مسافع بن عبد مناف الجمحي فذهب إلى بني مالك بن كنانة يحرضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، فخرجت قريش بحدّها وجدّها وحديدّها وأحاييشها، ومن تابعها من بني كنانة، وأهل تهامة وخرجوا معهم بنسائهم لئلا يفروا ويتركوا نساءهم وليكون ذلك أدعى لثباتهم في القتال.

النبى ﷺ يستشير أصحابه.. والرؤيا التى رآها

* واستشار رسول الله ﷺ أصحابه أيخرج إليهم، أم يملك في المدينة؟ وكان رأيه ألا يخرجوا من المدينة، وأن يتحصنوا بها، فإن دخلوها، قاتلهم المسلمون على أفواه الأزقة، والنساء من فوق البيوت، ووافقه على هذا الرأي عبد الله بن أبي، وكان هو الرأي، فبادر جماعة من فضلاء الصحابة من فاته الخروج يوم بدر، وأشار عليه بالخروج، وألحوا عليه في ذلك^(٢).

* عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: رأيت كأنى في درع حصينة، ورأيت بقرًا منحرة^(٣) فأولت أن الدرع الحصينة المدينة، وأن البقر هو والله خير، قال فقال لأصحابه: لو أنا أقمنا بالمدينة فإن دخلوا علينا فيها قاتلناهم. فقالوا: يا رسول الله والله ما دخل علينا فيها فى الجاهلية فكيف يدخل علينا فيها فى الإسلام (قال عفان فى حديثه) فقال: شأنكم إذا... قال: فلبس لأمته^(٤). - يعنى النبى ﷺ - قال فقالت الأنصار: ردنا على رسول الله ﷺ رأيه، فجاءوا فقالوا: يا نبى الله شأنك إذا. فقال: إنه ليس لنبى إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل^(٥).

* وفى رواية: عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال: «رأيت فى المنام أنى أهاجر من مكة

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٢٠ - ٢١) بتصرف.

(٢) زاد المعاد (٣/ ١٩٣).

(٣) منحرة: مذبوحة.

(٤) الأمتة: الدرع.

(٥) رواه أحمد (٣/ ٣٥١) وله شاهد عن ابن عباس رواه الحاكم (٢/ ١٢٩) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي والألباني.

إلى أرض بها نخل، فذهب وهلى إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هى المدينة يثرب، ورأيت فى رؤياى هذه أنى هزرت سيفاً فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد، ثم هزرتة أخرى فعاد أحسن ما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين، ورأيت فيها أيضاً بقرًا والله خير فإذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير بعد وثواب الصدق الذى آتانا الله بعد»^(١).

جحافل الشرك تتحرك

واستكملت جحافل الشرك عدتها وخرجوا فى ثلاثة آلاف مقاتل ومعهم ثلاثة آلاف بعير ومائتا فرس وكانت القيادة العامة لأبى سفيان بن حرب وجعلوا على ميمتهم خالد ابن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن أبى جهل وأما اللواء فكان إلى بنى عبد الدار وتحرك الجيش المكي نحو المدينة.

العباس يخبر النبى ﷺ بتحركات المشركين

وكان العباس (عم النبى ﷺ) يرقب تحركات قريش فلما علم بتحركهم نحو المدينة أرسل رسالة عاجلة ليخبر النبى ﷺ بذلك فأعطاه لرجل وأمره أن يسرع السير إلى النبى ﷺ فقطع هذا الرجل تلك المسافة التى تبلغ خمسمائة كيلو متراً فى ثلاثة أيام فوجد النبى ﷺ فى مسجد قباء فأعطاه الرسالة فقرأها له أبى بن كعب (رضى الله عنه) وعاد الرجل إلى العباس (رضى الله عنه) مرة أخرى.

الحالة فى المدينة

وأصبح النبى ﷺ وأصحابه فى حالة استعداد تام حتى إن الرجل منهم كان لا يفارق سلاحه أبداً.. وقام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عباد (رضى الله عنهم) بحراسة النبى ﷺ فكانوا يبيتون على بابه وعليهم سلاحهم بينما كانت الحراسة على أبواب المدينة فى حالة تأهب كامل حتى لا يفاجأهم العدو فى أى لحظة.

رفع

عبد الرحمن بن الحارثي
أسكنه الله الفردوس

(١) أخرجه البخارى (٤٢١/١٢) التعبير - ومسلم (٣١/١٥، ٣٢) الرؤيا.

وخرج النبي ﷺ لملاقاة قريش

وخرج رسول الله ﷺ في ألف من الصحابة واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بمن بقى في المدينة.

وقسم النبي ﷺ جيشه إلى ثلاث كتائب:

- ١ - كتيبة المهاجرين، وأعطى لواءها مصعب بن عمير العبدري.
- ٢ - كتيبة الأوس من الأنصار، وأعطى لواءها أسيد بن حضير.
- ٣ - كتيبة الخزرج من الأنصار، وأعطى لواءها الحباب بن المنذر.

ظواهر النبي ﷺ بين درعين أخذت بالأسباب

وها هو النبي ﷺ يعلمنا أن نأخذ بالأسباب في كل شيء نفعله وأن تتعلق قلوبنا بمسبب الأسباب (جلّ وعلاً) لأن الأسباب وحدها لا تنفع ولا تضر إلا بإذن الله (جلّ وعلاً) فها هو النبي ﷺ يظهر بين درعين في يوم أحد.

* عن السائب بن يزيد رضى الله عنه قال: «إن النبي ﷺ يوم أحد أخذ درعين كأنه ظاهر^(١) بينهما»^(٢).

* وعن الزبير بن العوام رضى الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ حين ذهب لينهض إلى الصخرة وكان رسول الله ﷺ قد ظاهر بين درعين فلم يستطع أن ينهض... وذكر الحديث»^(٣).

(١) ظاهر: لبسهما فوق بعضهما.

(٢) أخرجه أبو داود في الجهاد باب لبس الدرع رقم: (٢٥٩٠)، وابن ماجه في الجهاد باب في السلاح رقم: (٢٨٠٦)، وقال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح على شرط البخاري، قلت: ورجال ابن ماجه كلهم ثقات.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (٢٥/٣) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

إننا لا نستعين بالمشركين على المشركين

ولما جاوز النبي ﷺ ثنية الوداع رأى كتيبة حسنة التسليح منفردة عن سواد الجيش فسأل عنها فعلم أنهم من اليهود - من حلفاء الخزرج - ويرغبون في المساهمة في القتال ضد المشركين فأبى النبي ﷺ ذلك.

✽ عن أبي حميد الساعدي رضى الله عنه قال: «خرج رسول الله ﷺ يوم أحد حتى إذا خلف ثنية الوداع نظر وراءه فإذا كتيبة خشناء^(١) (قال: من هذا؟ قال: هو عبد الله بن أبي بن سلول في مواليه من اليهود من بنى قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام فقال: أو قد أسلموا؟ فقال: إنهم على دينهم قال: قل لهم فليرجعوا، فإننا لا نستعين بالمشركين على المشركين)^(٢).

النبي ﷺ يستعرض الجيش

وقام النبي ﷺ يستعرض الجيش فأعطى اللواء مصعب بن عمير وجعل على إحدى المجنبتين الزبير بن العوام، وعلى الأخرى المنذر بن عمرو، واستعرض الشباب يومئذ، فرد من استصغره عن القتال، وكان منهم عبد الله بن عمر، وأسامه بن زيد، وأسيد بن ظهير، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم، وزيد بن ثابت، وعرة بن أوس، وعمرو ابن حزم، وأجاز من رآه مطيقاً، وكان منهم سمرة بن جندب، ورافع ابن خديج، ولهما خمس عشرة سنة. فقل: أجاز من أجاز لبلوغه بالسنة خمس عشرة سنة، ورد من رد لصغره عن سن البلوغ^(٣).

✽ عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «إن رسول الله ﷺ عرضني يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني وعرضني يوم الخندق وأنا ابن خمسة عشرة سنة فأجازني»^(٤).

(١) خشناء: كثيرة السلاح خشناء.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤٨/٢)، والطحاوي في مشكل الآثار (٢٤١/٣)، وصححه الحاكم (١٢٢/٢)، وانظر المطالب العالية (٤٣١٩)، وعزاه الحافظ ابن حجر لإسحاق بن راهوية وحسن إسناده.

وقال البوصيري: رواه إسحاق بإسناد حسن.

(٣) زاد المعاد (١٩٥/٣).

(٤) أخرجه البخاري (٤٠٩٧) المغازي - ومسلم (١٨٦٨) الإمارة.

انخذال المنافقين ورجوعهم

ولما كان النبي ﷺ بالشوط بين المدينة وأحد انخذل عبد الله بن أبي بن سلول - رأس المنافقين - بثلاث الجيش ورجع بدعوى أنه لن يقع قتال ومعتزلاً على رأى قرار الرسول ﷺ بالخروج من المدينة للملاقاة المشركين بقوله: أطاع الولدان وعصاني، ما ندرى علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس! فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب، واتبعهم عبد الله ابن عمرو بن حرام يقول:

«يا قوم، أذكركم الله ألا تدخلوا قومكم ونيبكم عند من حضر من عدوهم، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم، ولكننا لا نرى أنه يكون قتال، قال: فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف:

قال: أبعدكم الله، أعداء الله، فسيغنى الله عنكم نبيه»^(١).

فما لكم في المنافقين فئتين

وقد انقسم الصحابة في مسألة قتال هؤلاء المنافقين فمتهم من يقول: نقاتلهم ومنهم من يقول: لا نقاتلهم.

* عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال: « لما خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة أحد رجع ناس ممن خرج معه، وكان أصحاب النبي ﷺ فرقتين، فرقة تقول نقاتلهم، وفرقة تقول: لا نقاتلهم. فنزلت ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾ [النساء: ٨٨]، وقال: (إنها طيبة تنفى الذنوب، كما تنفى النار خبث الفضة)^(٢).

إذ هممت طائفتان منكم أن تضضلا... والله وليهما

ولا شك أن سبب هذا الانعزال لم يكن هو ما أبداه هذا المنافق من رفض رسول الله ﷺ رأييه، وإلا لم يكن لسيره مع الجيش النبوي إلى هذا المكان معنى. بل لو كان هذا هو السبب لانعزال عن الجيش منذ بداية سيره، بل كان هدفه الرئيسي من هذا التمرد - في ذلك الظرف الدقيق - أن يحدث البلبلة والاضطراب في جيش المسلمين على مرأى

(١) رواه ابن هشام (٢/ ٦٠ - ٦٤) وسنده حسن وهو مرسل.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٥٠) المغازي - ومسلم (٢٧٧٦) صفات المنافقين.

رفع
عبد الرحمن بن أبي بكر
أسكنه الله الفردوس

ومسمع من عدوهم حتى ينحاز عامة الجيش عن النبي ﷺ وتنهار معنويات من يبقى معه، بينما يتشجع العدو، وتعلو همته لرؤية هذا المنظر. فيكون ذلك أسرع إلى القضاء على النبي ﷺ وأصحابه المخلصين، ويصفو بعد ذلك الجو لعودة الرياسة إلى هذا المنافق وأصحابه.

وكاد المنافق ينجح في تحقيق بعض ما كان يهدف إليه، فقد همت طائفتان - بنو حارثة من الأوس وبنو سلمة من الخزرج أن تفشلا ولكن الله تولاهما^(١). وثبت قلوبهم مع الرسول ﷺ ومع إخوانهم المؤمنين، وفيهم قال تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢].

* عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: «نزلت هذه الآية فينا ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ [آل عمران: ١٢٢] بنى سلمة وبنى حارثة وما أحب أنها لم تنزل والله يقول: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [آل عمران: ١٢٢]^(٢)».

الجيش الإسلامي يواصل سيره إلى العدو

وبعد انسحاب رأس المنافقين بثلت الجيش واصل النبي ﷺ سيره إلى العدو بياقى الجيش وهم سبعمائة مقاتل، وكان معسكر المشركين يحول بينه وبين أحد في مناطق كثيرة، فقال: «مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى الْقَوْمِ مِنْ كُتُبِ (أى: من طريق) لَا يَمُرُّ بِنَا عَلَيْهِمْ؟».

فخرج به بعضُ الأنصار حتى سَلَكَ فِي حَائِطٍ لِبَعْضِ الْمُنَافِقِينَ، وَكَانَ أَعْمَى، فَقَامَ يَحْتُو التَّرَابَ فِي وَجْهِهِ الْمُسْلِمِينَ وَيَقُولُ: لَا أَحِلُّ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ فِي حَائِطِي إِنْ كُنْتَ رَسُولَ اللَّهِ، فَابْتَدَرَهُ الْقَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ، فَقَالَ: «لَا تَقْتُلُوهُ فَهَذَا أَعْمَى الْقَلْبِ أَعْمَى الْبَصَرِ».

ونفذ رسولُ الله ﷺ حتى نَزَلَ الشَّعْبَ مِنْ أَحَدٍ فِي عُدْوَةِ الْوَادِي، وَجَعَلَ ظَهْرَهُ إِلَى أَحَدٍ، وَنَهَى النَّاسَ عَنِ الْقِتَالِ حَتَّى يَأْمُرَهُمْ، فَلَمَّا أَصْبَحَ يَوْمَ السَّبْتِ، نَعِيَ لِلْقِتَالِ، وَهُوَ فِي سَبْعِمِائَةٍ، فِيهِمْ خَمْسُونَ فَارِسًا^(٣).

(١) الرحيق المختوم (ص: ٢٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٥١) المغازي - ومسلم (٢٥٠٥) فضائل الصحابة.

(٣) زاد المعاد (٣/ ١٩٤).

وصية النبي ﷺ للرماة

واختار النبي ﷺ ثلة من الرماة الماهرين قوامها خمسون مقاتلاً وجعل القيادة لعبد الله بن جبير وأمرهم ألا يبرحوا أماكنهم مهما كانت ظروف تلك المعركة.. وأمرهم أن ينضحوا المشركين بالنبل لئلا يأتوا المسلمين من ورائهم.

* عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: «لقينا المشركين يومئذ، وأجلس النبي ﷺ جيشاً من الرماة، وأمر عليهم عبد الله وقال: (لا تبرحوا، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهوروا علينا فلا تعينونا)، فلما لقينا هربوا، حتى رأيت النساء يشتدْنَ^(١) في الجبل رفعن عن سوقهن^(٢) قد بدت خلاخلهن، فأخذوا يقولون: الغنيمة الغنيمة فقال عبد الله: عهد إلى النبي ﷺ أن لا تبرحوا، فأبوا، فلما أبوا صرف وجوههم... فذكر الحديث».

* وفي رواية أبي داود: «جعل رسول الله ﷺ على الرماة يوم أحد - وكانوا خمسين رجلاً - عبد الله بن جبير قال: ووضعهم موضعاً، وقال: (إن رأيتمونا تخطفنا الطير، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا ظهرنا على العدو وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم)^(٣)»

حقاً إنها خطة حكيمة

ولقد كانت خطة حكيمة ودقيقة جداً، تنجلي فيها عبقرية قيادة النبي ﷺ - العسكرية - وأنه لا يمكن لأى قائد مهما تقدمت كفاءته أن يضع خطة أدق وأحكم من هذا - فقد احتل أفضل موضع من ميدان المعركة، مع أنه نزل فيه بعد العدو، فقد حمى ظهره وبمينه بارتفاعات الجبل، وحمى ميسرته وظهره - حين يحتدم القتال - بسد الثلمة الوحيدة التي كانت توجد في جانب الجيش الإسلامى، واختار لمعسكره موضعاً مرتفعاً يحمى به - إذا نزلت الهزيمة بالمسلمين - ولا يلتجئ إلى الفرار، حتى يتعرض للوقوع في قبضة الأعداء المطاردين وأسرههم، ويلحق مع ذلك خسائر فادحة إلى أعدائه إن أرادوا احتلال

(١) يشتدْنَ: يُسرعن المشى.

(٢) سوقهن: ظهرت سيقانهن.

(٣) أخرجه البخارى (٤٠٤٣) - المغازى - وأبو داود (٢٦٦٢).

معسكره وتقدموا إليه... وأجأ أعداءه إلى قبول موضع منخفض يصعب عليهم جداً أن يحصلوا على شيء من فوائد الفتح إن كانت الغلبة لهم، ويصعب عليهم الإفلات من المسلمين المطاردين إن كانت الغلبة للمسلمين، كما أنه عوض النقص العددي في رجاله باختيار نخبة ممتازة من أصحابه الشجعان البارزين^(١).

من يأخذ هذا السيف بحقه

ثم تدانت الفتتان وأذن النبي ﷺ لرجاله أن يجالدا العدو، وبدأت مراحل القتال الأولى تثير الغرابة. كأن ثلاثة آلاف مشرك يواجهون ثلاثين ألف مسلم، لا بضع مئات قلائل! وظهر المسلمون في أعلى صور الشجاعة واليقين.

وسادت روح الإيمان المحض صفوف المجاهدين فانطلقوا خلال جنود الشرك انطلاق الفيضان تقطعت أمامه السدود^(٢).

* وأخذ النبي ﷺ ينفث روح البسالة في الجيش الإسلامي.

* عن أنس رضى الله عنه قال: «إن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أحد، فقال: (من يأخذ منى هذا السيف بحقه؟) فبسطوا أيديهم كل إنسان فيهم يقول: أنا أنا، فقال: (من يأخذه بحقه؟) فأحجم القوم فقال له سماك أبو دجانة: أنا آخذه بحقه، قال فأخذه فقلق به هام المشركين»^(٣).

* وعن الزبير رضى الله عنه قال: عرض رسول الله ﷺ سيفاً يوم أحد فقال: (من يأخذ هذا السيف بحقه؟) فقلت فقلت: أنا يا رسول الله، فأعرض عني، ثم قال: (من يأخذ هذا السيف بحقه؟) فقلت فقلت: أنا يا رسول الله فأعرض عني ثم قال: من يأخذ هذا السيف بحقه، فقام أبو دجانة سماك بن خرشة فقال: أنا آخذه يا رسول الله بحقه؟ قال: (ألا تقتل به مسلماً ولا تغربه عن كافر)، قال: فدفعه إليه وكان إذا أراد القتال أعلم بعصاة، قال: «لأنظرن إليه اليوم كيف يصنع، قال: فجعل لا يرتفع له شيء إلا هتكه وأفراه»^(٤)، حتى انتهى إلى نسوة في سفح جبل معهن دفوف لهن، فيهن امرأة وهى تقول:

(١) الرحيق المخوم (ص: ٢٧١).

(٢) فقه السيرة للغزالي (ص: ٢٩٠-٢٩١) بتصرف.

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٧٠) فضائل الصحابة - والحاكم (٢٣٠/٣).

(٤) هتكه وأفراه: قطعه وقّده.

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

نحن بنات طارق نمشى على النمارق^(١)
 إن تُقبلوا نعائق ونبسط النمارق
 وإن تدبروا نفارق فراق غير وامق^(٢)

قال: فأهوى بالسيف إلى امرأة ليضربها، ثم كف عنها، فلما انكشف القتال قلت له: كل عملك قد رأيت ما خلال رفعك السيف على المرأة، ثم لم تضربها، قال: أرى والله أكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أقتل به امرأة^(٣).

أبو عامر الفاسق يحرض على المسلمين

واقتربت ساعة الصفر واقتربت الفتان وقام عميلٌ خائنٌ يُسمى أبا عامر الفاسق - وكان اسمه أبا عامر الراهب فسماه النبي ﷺ فاسقاً - قام ليحرض على المسلمين في يوم أُحد.

* من طريق ابن إسحاق قال: وحدثني عاصم بن قتادة: «أن أبا عامر، عبد عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان، أحد بني ضبيعة، وقد كان خرج حين خرج إلى مكة مباعدًا لرسول الله ﷺ، معه خمسون غلامًا من الأوس، وبعض الناس كان يقول: كانوا خمسة عشرة رجلاً، وكان يعدُّ قريشًا أن لو قد لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان، فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعبدان أهل مكة، فتأدى: يا معشر الأوس أنا أبو عامر، قالوا: فلا أنعم الله بك عينا يا فاسق - وكان أبو عامر يسمى في الجاهلية: الراهب، فسماه رسول الله ﷺ: الفاسق - فلما سمع ردهم عليه، قال: لقد أصاب قومي بعدى شر، ثم قاتلهم قتالاً شديداً، ثم راضخهم بالحجارة^(٤)».

(١) النمارق: البسط والسجاد.

(٢) وامق: مشتاق.

(٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢٣٣/٣)، والبخاري. انظر كشف الاستار رقم (١٧٨٧)، وقال الهيثمي في المجمع (١٠٩/٦): رواه البخاري ورجاله ثقات.

(٤) أخرجه ابن هشام (٦٧/٢)، والطبري في تاريخه (٥١٢/٢)، وسنده حسن ورجاله ثقات، وصرح ابن إسحاق بالتحديث.

جَهْدُ نِسْوَةِ قَرِيْشٍ فِي التَّحْفِيسِ

فلما التقى الناس، ودنا بعضهم من بعض، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها، وأخذن الدُّفوفَ يَضْرِبْنَ بها خَلْفَ الرجال، ويَحْرِضُنَّهُمْ، فقالت هند فيما تقول:

وَيَهَّأَ بَنَى عَبْدِ الدَّارِ وَيَهَّأَ حُمَاةَ الْأُدْبَارِ^(١)

ضَرْبًا بِكُلِّ بَتَّارٍ^(٢)

وتقول:

إِنْ تُقْبَلُوا نُعَانِقُ وَنَفْرُشُ النَّمَارِقِ^(٣)

أَوْ تُدْبِرُوا نَفَارِقُ فِرَاقٍ غَيْرِ وَامِقٍ^{(٤)(٥)}

هَذَا هُوَ الزَّيْبِرُ بْنُ الْعَوَامِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)

وتقارب الجمعان وتدانست الفئتان، وبدأت مراحل القتال، وكان أول وقود المعركة حامل لواء المشركين طلحة بن أبي طلحة العبدري، وكان من أشجع فرسان قريش، يسميه المسلمون كبش الكتبية، خرج وهو راكب على جمل يدعو إلى المبارزة، فأحجم عنه الناس لفرط شجاعته، ولكن تقدم إليه الزبير، ولم يمهله بل وثب إليه وثبة الليث حتى صار معه على جملة، ثم اقتحم به الأرض، فألقاه عنه وذبحه بسيفه.

ورأى النبي ﷺ هذا الصراع الرائع فكبر وكبر المسلمون^(٦).

واندلعت نيران المعركة

ثم اندلعت نيران المعركة واشتد القتال بين الفريقين في كل نقطة من نقاط الميدان، وكان ثقل المعركة يدور حول لواء المشركين.

(١) حماة الأدبار: أي الذين يحمون أدبار الناس.

(٢) بتار: البتار أي القاطع.

(٣) النمارق: جمع غرقة وهي الوسادة الصغيرة.

(٤) وامق: ومقه ومقاً أي أحبه والتومق التودد. [لسان/ ومق].

(٥) السيرة النبوية لابن هشام (٢٩/٣).

(٦) الرحيق المختوم (ص: ٢٧٤).

رَفَعُ

عبد الرحمن (الرحيم) (البحري)
(أسكنه الله الفردوس)

وبينما كان ثقل المعركة، يدور حول لواء المشركين، كان القتال المرير يجري في سائر نقاط المعركة، وكانت روح الإيمان قد سادت صفوف المسلمين، فانطلقوا خلال جنود الشرك انطلاق الفيلضان تنقطع أمامه السدود وهم يقولون: «أمت، أمت»، كان ذلك شعاراً لهم يوم أحد^(١).

وكانت الدولة أول النهار للمسلمين

وكانت الدولة أول النهار للمسلمين على الكفار، فانهزم عدو الله، وولّوا مذبذبين حتى انتهوا إلى نسائهم.

* وأقبل أبو دجانة معلماً بعصابته الحمراء، أخذاً بسيف رسول الله ﷺ مصمماً على أداء حقه فقاتل حتى أمعن في الناس وجعل لا يلقى مشركاً إلا قتله، وأخذ يهد صفوف المشركين هداً.

* عن الزبير بن العوام رضى الله عنه قال: «والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير، إذ مالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه، وخلوا ظهورنا للخيل، فأتيننا من خلفنا، وصرخ صارخ ألا إن محمداً قُتل، فأنكفأنا، وأنكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء، حتى ما يدنوا منه أحد من القوم»^(٢).

وقد جاء بزيادة في رواية إسحاق بن راهويه عن الزبير فقال: «والله إني لأنظر يومئذ إلى خدم^(٣) النساء مشمرات يسعين حين انهزم القوم، وما أرى دون أخذهن شيئاً، وإنا لنحسبهم قتلى ما يرجع إلينا منهم أحد، ولقد أصيب أصحاب اللواء، وصبروا عنده حتى صار إلى عبد لهم حبشى يقال له (صواب)، ثم قُتل صواب، فطرح اللواء فلم

(١) ورد في هذا الشعار حديث أخرجه أبو داود (٢٥٩٦، ٢٦٣٨)، والنسائي في الكبرى (٨٨٦٢/٥)، وابن ماجه (٢٨٤٠)، وأحمد (١٦٥٥٠) [٤٦/٤] من حديث سلمة بن الأكوع قال: غزونا مع أبي بكر رضى الله عنه زمن النبي ﷺ فكان شعارنا أمت أمت، وصححه ابن حبان (٤٧٤٤/١١)، والحاكم (١٠٧/٢)، ووافقه الذهبي وإسناده حسن.

(٢) أخرجه ابن إسحاق بإسناد صحيح. انظر سيرة ابن هشام (٧٧/٢)، والبيهقي في الدلائل (٢٢٨/٣)، والطبري في تاريخه (٥١٣/٢) من طريق ابن إسحاق به.

(٣) الخدم: الخلاخيل.

يقربه أحد من خلق الله، حتى وثبت إليه عمرة بنت علقمة الحارثية، فرفعته لهم، وثاب إليه الناس، قال: الزبير: فوالله إنا لكذلك قد علوناهم وظهرنا عليهم^(١).

الأسد في أرض المعركة يقاتل بسيفين

* وقام أسد الله (حمزة) يصول ويجول في أرض المعركة يشق الصفوف شقاً ويهدّ المشركين بسيفه هداً.

بل لقد كان يقاتل قتال الليوث المحتاجة فصداً حملة اللواء من بني عبد الدار واقتنص أرواحهم فرداً فرداً.

عن سعد بن أبي وقاص قال: كان حمزة يُقاتل يوم أحد بين يدي رسول الله ﷺ بسيفين ويقول: أنا أسد الله^(٢).

النبي ﷺ يعلم أصحابه في أرض الجهاد

* عن عقبة مولى جبر بن عتيك الأنصاري رضى الله عنه قال: «شهدت أحداً مع مولاى، فضربت رجلاً من المشركين، فلما قتلته، قلت: خذها منى وأنا الرجل الفارسى، فبلغت رسول الله ﷺ فقال: (ألا قال: خذها وأنا الرجل الأنصاري، فإن مولى القوم من أنفسهم)^(٣)».

ولقد صدقكم الله وعده

عن ابن عباس قال: «ما نُصرَ النبي ﷺ في موطن كما نُصر يوم أحد قال الراوى عنه - عبيد الله بن عتبة - فأنكرنا ذلك فقال ابن عباس بينى وبين من أنكر ذلك كتاب الله (جلّ وعلاً) إن الله (جلّ وعلاً) يقول في يوم أحد: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ يقول ابن عباس: والحسُّ: القتلُ ﴿حَتَّى إِذَا فُشِيتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه كما في المطالب العالية رقم (٤٣١٣)، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: هذا إسناد صحيح له شاهد من حديث البراء في الصحيح.

(٢) أخرجه ابن سعد (٦/١/٣)، والحاكم (١٩٤/٣)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٩٥/٥)، وأبو داود في الأدب (٥١٢٣) باب في العصبية، وابن ماجه في الجهاد باب النية في القتال (٢٧٨٤) وإسناده حسن، وقال الهيثمي في المجمع (١٥٥/٦): رواه أبو يعلى ورجاله ثقات، وانظر العالمية رقم (٤٣٢٤).

رفع

عن (الرحمى) (الفتحى)
(أسكنه) (الرحمى) (الفتحى)

وَعَصَيْتُمْ مَنْ بَعْدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وإنما عنى بهذا الرماة وذلك أن النبي ﷺ أقامهم في موضع ثم قال: احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نُقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا، فلما غنم رسول الله ﷺ وأباحوا عسكر المشركين انكشف الرماة جميعاً فدخلوا في العسكر ينتهبون وقد التقت صفوف أصحاب النبي ﷺ فهم هكذا... وشبك بين أصابع يديه والتبسوا، فلما أخل الرماة تلك الخلعة التي كانوا فيها دخل الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبي ﷺ فضرب بعضهم بعضاً والتبسوا، وقتل من المسلمين ناس كثير، وقد كان لرسول الله ﷺ وأصحابه أول النهار حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة، وجال المسلمون جولة نحو الجبل^(١).

كافر خُسف به

* عن بريدة رضى الله عنه قال: «أن رجلاً قال يوم أحد: اللهم إن كان محمداً على الحق فاخسف به»^(٢).

غلاطة الرماة التي غيرت سير المعركة

لقد علمت كيف شدد الرسول عليه الصلاة والسلام على الرماة أن يلزموا أماكنهم صيانة لمؤخرة المسلمين، وأوصاهم ألا يبرحوها أبداً، ولو رأوا الجيش تتخطفه الطير؟ غير أن أثارة من حب الدنيا عصفت بهذه الوصاية في ساعة غفلة؟ فما أن رأى الرماة الهزيمة حلت بقريش والنساء يهمن في الجبل، والرجال يُؤلّون الأدبار، والغنائم التي خلفها ثلاثة آلاف مشرك تزحم الوادى.. حتى غادروا مواقعهم هابطين إلى الميدان، يبعون إمتهاًب أنصبتهم من الأسلاب والأموال!^(٣).

* عن البراء رضى الله عنه قال: «جعل رسول الله ﷺ على الرماة يوم أحد وكانوا خمسين رجلاً - عبد الله بن جبير قال: ووضعهم موضعاً، وقال: (إن رأيتمونا تخطفنا

(١) رواه الحاكم (٢/٢٩٦) التفسير، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

(٢) كشف الأستار عن زوائد البزار رقم (١٧٩٩)، وقال الهيثمي في المجمع (٦/١٢٢): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

(٣) فقه السيرة للغزالي (ص: ٢٩٣).

رفع

عن الرجل (الرجل) الفخري
أسلم (الأسلم) الفخري

الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم، إن رأيتمونا ظهرنا على العدو وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم)، قال: فهزموهم.

قال: فأنا والله رأيت النساء يشتدْنَ على الجبل وقد بدت سوقهن وخالخلهن رافعات ثيابهن فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة، أى قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنظرون؟

قال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ، قالوا: إنا والله لنأتين الناس فلنصيب من الغنيمة، فلما أتوهم صُرفت وجوههم، فأقبلوا منهزمين، فذلك الذى يدعوهم الرسول ﷺ فى أخراهم، فلم يبق مع رسول الله ﷺ غير اثنى عشر رجلاً، فأصابوا منا سبعين رجلاً، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه، أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة، سبعين أسيراً، وسبعين قتيلاً...^(١).

خالد بن الوليد يفتنم تلك الفرصة

وكان فرسان المشركين بقيادة (خالد بن الوليد) محصورين، لا يجدون ثغرة ينفذون منها إلى قلب المسلمين إلى أن حلت الهزيمة، فلما رأى خالد أن مؤخرة المسلمين انكشفت. فلم يبق عليها حارس اغتتم الفرصة على عجل، فاستدار بالخيـل وأحـدق بخصومه منحدرًا عليهم من حيث لا يحتسبون. ورأى الفارون من قريش بوادر هذا التغير الطارىء، فراجعوا حتى أن امرأة تدعى عمرة بنت علقمة الحارثية، هى التى رفعت لواء قريش من التراب بعد أن سقط وصُرع حملته! وثاب المشركون إلى رايـتهم وخيالتهم. فأحيط بالصحابـة من الأمام والخلف ووقعوا بين شقى الرحى^(٢).

إشاعة خبر مقتل النبي ﷺ

* فصرخ صارخ يرون أنه الشيطان: ألا إن محمداً قد قُتل. فأعظم الناس وركب بعضهم بعضاً فصاروا أثلاثاً: ثلثاً جريحاً، وثلثاً مقتولاً، وثلثاً منهزماً^(٣).
ودل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ

(١) أخرجه البخارى (٤٠٤٣) المغازى - وأحمد (٢٩٣/٤).

(٢) فقه السيرة للغزالي (ص: ٢٩٣).

(٣) سبق تخريجه.

فَتَلَّ أَنْفَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾
[آل عمران: ١٤٤].

إصابة النبي ﷺ

* عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: «حين سُئِلَ عن جُرح الرسول ﷺ يوم أحد - جُرح وجه رسول الله ﷺ وكُسرت ربايعيته، وهُشِمت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم، وكان علي بن أبي طالب يسكب عليها بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، أخذت قطعة من حصير فأحرقتة حتى صار رماداً ثم ألصقته بالجرح، فاستمسك الدم»^(١).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: (اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيهم - يشير إلى ربايعيته - اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله ﷺ في سبيل الله)^(٢)».

* وعن أنس رضي الله عنه قال: «إن رسول الله ﷺ كُسرت ربايعيته يوم أحد وشُجَّ في رأسه، فجعل يسلك الدم عنه ويقول: (كيف يُفْلَح قوم شجوا نبيهم وكسروا ربايعيته وهو يدعوهم إلى الله) فأنزل الله عز وجل: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]^(٣)».

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كأنني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)^(٤)».

* ومضى النبي ﷺ يدعو المسلمين إليه، واستطاع - بالرجال القلائل الذين معه - أن يصعد فوق الجبل، فانحازت إليه الطائفة التي اعتصمت بالصخرة وقت الفرار.

وفرح النبي عليه الصلاة والسلام أن وجد بقية من رجاله يمتنع بهم، وعاد لهؤلاء صوابهم إذ وجدوا الرسول حياً، وهم يحسبونه مات^(٥).

(١) أخرجه البخاري (٤٠٧٥) المغازي - ومسلم (١٧٩٠) الجهاد والسير - واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٧٣) المغازي - ومسلم (١٧٩٣) الجهاد والسير.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٥/٧) المغازي - ومسلم (١٧٩١) الجهاد والسير.

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٧٧) أحاديث الأنبياء - ومسلم (١٧٩٢) الجهاد والسير.

(٥) فقه السيرة للغزالي (ص: ٢٩٤).

رفع

عن (الرحمى) النجدي
(السيرة النبوية) الزهرى

الذين شبتوا مع النبي ﷺ

وثبت مع النبي ﷺ نفرٌ قليل منهم سعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله وأبو دجانة وأبو طلحة الأنصاري (رضى الله عنهم).

ولما سمع المشركون صوت النبي ﷺ وهو ينادى على أصحابه «هَلُمَّ إِلَيَّ أُنَا رَسُولُ اللَّهِ» هاجموا وأرادوا أن يقتلوه فقام تسعة من أصحابه يدافعون عنه بكل حُبٍّ وتفاني وبطولة لم يعرف التاريخ لها مثيلاً.

سبعة من الأنصار يبدلون حياتهم دفاعاً عن النبي ﷺ

* عن أنس رضي الله عنه قال: (أن رسول الله ﷺ أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش فلما رهقوه^(١)) قال: (من يردهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة)، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتل، ثم رهقوه أيضاً، فقال: (من يردهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة) فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك، حتى قتل السبعة، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه: (ما أنصفنا أصحابنا)^(٢).

* وكان آخر هؤلاء السبعة هو عمارة بن يزيد بن السكن قاتل حتى أثبتته الجراحة فسقط^(٣)... وبعد ما قُتل عمارة بن يزيد لم يبق مع النبي ﷺ سوى طلحة وسعد (رضى الله عنهما)

سعد بن أبي وقاص يدافع عن النبي ﷺ يوم أحد

وكان سعد - رضي الله عنه - يرمى بالنبل دفاعاً عن رسول الله ﷺ .
قال سعد: «فلقد رأيته ﷺ يناولني النبل وهو يقول: ارم فذاك أبي وأمي، حتى إنه لناولني السهم ما له من نصل، فيقول: ارم به»^(٤).
وعن (عليّ) - رضي الله عنه - قال: «ما سمعت النبي ﷺ جمع أبويه لأحد إلا لسعد

(١) رهقوه: غشوه وقربوا منه وأدركوه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الجهاد والسير باب غزوة أحد رقم (١٧٨٩).

(٣) وبعد لحظة فاءت إلى الرسول ﷺ ، فئة من المسلمين فأجهضوا الكفار عن عمارة، وأذنوه من رسول الله ﷺ ، فوسده قدمه، فمات وخذه على قدم رسول الله ﷺ . [ابن هشام ٢/ ٨١].

(٤) أخرجه البخاري (٦/ ٢٩٠٥ فتح) الجهاد - ومسلم (٤/ ١٨٧٦ ح ٤١) فضائل الصحابة.

رفع

عبد الرحمن (المحرمي)
(المكتبة الإسلامية)

ابن مالك^(١) فإني سمعته يقول يوم أحد: يا سعد ارم فداك أبي وأمي^(٢).

وعن سعد - رضى الله عنه - قال: كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين، فقال رسول الله ﷺ: «ارم فداك أبي وأمي»، فنزعت بسهم ليس فيه نصل، فأصبت جبهته، فوقع وانكشفت عورته، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه^(٣).

* وعن أبي عثمان النهدي قال: «لم يبق مع النبي ﷺ في بعض تلك الأيام التي قاتل فيهن رسول الله ﷺ غير طلحة وسعد عن حديثهما^(٤)».

أوجب طلحة (رضى الله عنه) يوم أحد

وعن جابر قال: لما كان يوم أحد وولّى الناس كان رسول الله ﷺ في ناحية في اثني عشر رجلاً منهم طلحة، فأدركه المشركون، فقال النبي ﷺ: «مَن للقوم؟» قال طلحة: أنا قال: «كما أنت» فقال رجل: أنا قال: «أنت» فقاتل حتى قُتل ثم التفت، فإذا المشركون فقال: «مَن لهم؟» قال طلحة: أنا قال: «كما أنت» فقال رجل من الأنصار: أنا قال: «أنت» فقاتل حتى قُتل، فلم يزل كذلك حتى بقى مع نبي الله (طلحة) فقال: «مَن للقوم؟» قال طلحة: أنا فقاتل طلة قتال الأحد عشر، حتى قُطعت أصابعه فقال: «حسن». فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت: بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون». ثم ردّ الله المشركين^(٥).

وعند الطبراني: «لو قلت: بسم الله لطارت بك الملائكة والناس ينظرون إليك».

وعند النسائي والبيهقي في الدلائل: «حتى تلج بك في جو السماء».

وعند أحمد: فقال له النبي ﷺ: «لو قلت بسم الله لرأيت يبنى لك بها بيت في الجنة

(١) هو سعد بن أبي وقاص، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٨٤/٧): وفي هذا الحصر نظر لما تقدم في ترجمة الزبير أنه ﷺ جمع له أبويه يوم الخندق.. ويجمع بينهما بأن علياً - رضى الله عنه - لم يطلع على ذلك أو مراده بذلك بقيد يوم أحد. والله أعلم.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٥٩) - ومسلم (٢٤١١)، والترمذي (٣٧٥٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢٤١٢) الفضائل.

(٤) أخرجه البخاري في الفضائل (٣٧٢٣)، وفي المغازي باب غزوة أحد رقم (٤٠٦٠، ٤٠٦١)، ومسلم في الفضائل رقم (٢٤١٤).

(٥) رواه الحاكم مختصراً (٣٦٩/٣) معرفة الصحابة، وله طرق، قال الألباني في الصحيحة رقم (٢١٧١): فالحديث حسن بمجموع هذه الطرق.

رفع

عن (الرحمى) القمري
أسكنه الفردوس

وَأَنْتِ حَيٌّ فِي الدُّنْيَا»^(١).

وعن قيس بن حازم قال: رأيت يد طلحة شلاء وقي بها النبي يوم أُحُد^(٢).
وجرح في تلك الغزوة تسعاً وثلاثين أو خمساً وثلاثين وشُلَّتْ أصبعه أى السبابة
والتي تليها^(٣). وقال النبي ﷺ فيه يومئذ: «من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشى على وجه
الأرض فليُنظر إلى طلحة بن عبيد الله»^(٤).

وروى أبو داود الطيالسي عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: كان أبو بكر إذا ذكر
يوم أُحُد قال: ذلك اليوم كله لطلحة^(٥).

* وعن عائشة وأم إسحاق بنتي طلحة قالتا: جرح أبونا يوم أُحُد أربعاً وعشرين
جراحة، وقع منها في رأسه شجرة مربعة، وقُطِع نساؤه - يعنى العرق - وشُلَّتْ أصبعه،
وكان سائر الجراح في جسده وغلبه الغشى - الإغماء - ورسول الله ﷺ مكسورة ربايعته
مشجوج في وجهه، قد علاه الغشى، وطلحة محتمله - أى يحمل النبي ﷺ - يرجع به
القهقري، كلما أدركه أحد من المشركين، قاتل دونه، حتى أسنده إلى الشعب^(٦).

حتى قال عنه ﷺ: «أوجب طلحة حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع»^(٧).

وعن موسى وعيسى ابني طلحة عن أبيهما أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابي
جاء^(٨) يسأله عمن قضى نجه من هو؟ فكانوا لا يجترئون على مسأله يوقرونه ويهاونونه
قال: فسأله الأعرابي فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه ثم إني اطلعت من باب المسجد -
يعنى طلحة - وعلى ثياب خضر فلما رآني رسول الله ﷺ قال: «أين السائل عمن قضى
نجه؟» قال الأعرابي: أنا يا رسول الله قال: «هذا ممن قضى نجه»^(٩).

(١) رواه أحمد في فضائل الصحابة (١٢٩٤) وإسناده صحيح.

(٢) رواه البخاري عن قيس بن حازم - حديث رقم (٤٠٦٣).

(٣) البخاري (٣٦١/٧).

(٤) رواه الترمذي والحاكم عن جابر، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٦٢).

(٥) فتح الباري (٣٦١/٧).

(٦) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (٣٢/١).

(٧) أخرجه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم عن الزبير، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٤٠).

بلفظ: «أوجب طلحة حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع» الصحيحة (٩٤٥)،

(٨) في رواية الترمذي.. قالوا لأعرابي جاهل: سله عمن قضى نجه من هو؟

(٩) النجب: النذر، وقيل: الموت، وقيل: العهد، وقيل غير ذلك - قال شعيب الأرناؤوط: والحديث رواه أبو

يعلى (٢٧٠٢/٢) والترمذي (٣٧٤٢) بإسناد حسن.

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

أبو طلحة (رضي الله عنه) ودفاعه عن النبي ﷺ

لقد كان أبو طلحة - رضي الله عنه - ممن شهدوا بدرًا وأبلى في تلك الغزوة بلاءً حسنًا.

وفي يوم (أحد) كان من الأبطال الذين ثبتوا مع النبي ﷺ ودافع عنه بكل ما يملك.

* عن أنس قال: لما كان يوم أحد، انهزم ناسٌ عن رسول الله، وأبو طلحة بين يديه مُجَوِّبًا عليه بحجفة، وكان رامياً شديد النزع، كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة. وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل، فيقول ﷺ: «انثرها لأبي طلحة». ثم يُشرفُ إلى القوم. فيقول أبو طلحة: يا نبي الله، بأبي أنت، لا تُشرف، لا يصيبك سهم، نحرى دون نحرِكَ.

قال: فلقد رأيتُ عائشة وأم سليم وإنهما لمُشمرات^(١)، أرى خدام سوقهما، تنقُزان القربَ على متُونهما، وتُفرغانها في أفواه القوم، وترجعان، فتملأنها. فلقد وقع السيفُ من يد أبي طلحة مرتين أو ثلاثاً من النعاس^(٢).

* وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «كان أبو طلحة يتترس مع النبي ﷺ بترس واحد، وكان أبو طلحة حسن الرمي، فكان إذا رمى يشرف النبي ﷺ فينظر إلى موضع نبله»^{(٣) (٤)}.

* عن أنس - رضي الله عنه - أن أبا طلحة كان يرمى بين يدي رسول الله ﷺ يوم أحد، وكان رجلاً رامياً، وكان رسول الله ﷺ إذا رمى أبو طلحة، رفع بصره ينظر أين يقع سهمه. وكان يدفع صدر رسول الله ﷺ بيده، ويقول: يا رسول الله، هكذا لا يصيبك سهم^(٥).

(١) المشمرات: من التشمير.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٨/٧، ٢٧٩) في المغازي: باب غزوة أحد. والحجفة: الترس. ومُجَوِّبًا: يضم الميم وفتح الجيم وتشديد الواو المكسورة، أى مترسًا عليه. وخدم سوقهما، هى الخلاخيل، جمع خدمة. تنقُزان: تثبان، والنقر: الوثب والقفز، كناية عن سرعة السير.

(٣) عند عبد بن حميد في المنتخب من الزيادة (من طريق ثابت عن أنس) وكان أبو طلحة يدفع صدر رسول الله ﷺ بيده ويقول يا رسول الله هكذا لا يصيبك سهم، وكان أبو طلحة يسور نفسه بين يدي رسول الله ﷺ يقول: يا رسول الله إني قوى جلد فوجهتي في جوائلك وابعثنى حيث شئت. وسندها صحيح.

(٤) أخرجه البخاري (٢٩٠٢)، وأحمد (٢٦٥/٣).

(٥) قال الأرئوط: إسناده صحيح: أخرجه أحمد (٢٨٦/٣، ٢٨٧)، وابن سعد (٥٠٦/٣).

وكان إذا بقي مع النبي ﷺ ، جثا بين يديه، وقال: نفسي لنفسك الفداء، ووجهي لوجهك الوقاء.

هذا هو علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)

* عن علي كرم الله وجهه قال: «لما انحلى الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد نظرت إلى القتلى فلم أر رسول الله ﷺ فيهم، فقلت: والله ما كان ليفر وما أراه في القتلى، ولكن أرى الله غضب علينا بما صنعنا فرفع نبيه ﷺ، فما في خير من أن أقاتل حتى أقتل، فكسرت جفن سيفي، ثم حملته على القوم فأفرجوا لي، فإذا أنا برسول الله ﷺ بينهم»^(١).

فطنة وذكاء... وحباً ووفاء

* عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: «لما كان يوم أحد وصرنا إلى الشعب كنت أول من عرفته فقلت: هذا رسول الله ﷺ.

فأشار إلى يده أن اسكت، ثم ألبسني لأمته^(٢)، ولبس لأمتي، فلقد ضربت حتى جُرحت عشرين جراحة أو قال بضعة وعشرين جرحاً كل من يضربني يحسبني رسول الله ﷺ»^(٣).

* فتأمل معي إلى فطنة وذكاء النبي ﷺ في هذا الموقف الجليل.. وتأمل أيضاً تلك الصورة المشرقة من محبة هذا الصحابي الجليل للنبي ﷺ فهو يستعذب كل هذا الضرب من أجل أن يفدى النبي ﷺ.

(١) المطالب العالية (٤٣٢٣) قال البوصيري: رواه أبو يعلى برقم (٥٤٦) بإسناد حسن، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٢/٦): فيه محمد بن مروان العقيلي، وثقه أبو داود وابن حبان وضعفه أبو زرعة وغيره، وإسناده حسن كما قال البوصيري، والله أعلم.

(٢) لأمته: درعه.

(٣) قال الهيثمي في المجمع (١١٢/٦): رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار ورجال الأوسط ثقات، ورواه أبو نعيم في الدلائل (٤٨٢/٢) من طريق ابن إسحاق، وقد صرح عنده بالسماع وسنده متصل، فالحديث صحيح.

الملائكة يدافعون عن النبي ﷺ

✽ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «رأيت رجلين عن يمين رسول الله ﷺ ويساره يوم أحد عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد»^(١).

طلحة ينهض بالنبي ﷺ

✽ وجاء (عليّ) إلى رسول الله ﷺ بماء ليشرب منه، فوجده آجئاً، فردّه، وغسل عن وجهه الدم، وصبّ على رأسه. فأراد رسول الله ﷺ أن يعلو صخرة هنالك، فلم يستطع لما به، فجلس طلحة تحته حتى صعدّها، وحانت الصلاة، فصلى بهم جالساً، وصار رسول الله ﷺ في ذلك اليوم تحت لواء الأنصار^(٢).

هكذا كانت المرأة المسلمة

✽ خرجت الأسرة المؤمنة: أم عمارة وولداها عبد الله وجيب وزوجها واندفع زوجها وأولادها يجاهدون في سبيل الله، بينما ذهبت أم عمارة تسقى العطشى وتضمّد الجرحى، ولكن ظروف المعركة جعلتها تقبل على محاربة المشركين، وتقف وقفة الأبطال تدافع عن رسول الله ﷺ غير هيابة ولا وجلّة وذلك عندما تفرق الناس من هول ما أصابهم في ذلك اليوم... عندها أخذت سيفاً وترساً ووقفت بجانب رسول الله ﷺ نقيه بنفسها^(٣).

✽ وقاتلت أم عمارة، فاعترضت لابن قمّة في أناس من المسلمين، فضربها ابن قمّة على عاتقها ضربة تركت جرحاً أجوف، وضربت هي ابن قمّة عدة ضربات بسيفها، لكن كانت عليه درعان فنجا، وبقيت أم عمارة تقاتل حتى أصابها اثنا عشر جرحاً^(٤).

✽ وجاءت نسوة من المؤمنين إلى ساحة القتال بعد نهاية المعركة، قال أنس: لقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم، وأنها لمشمرتان - أرى خدم سوقهما - تنقزان

(١) أخرجه البخاري (٥٨٢٦) اللباس - ومسلم (٢٣٠٦) الفضائل.

(٢) زاد المعاد (٣/١٩٩).

(٣) نساء مبشرات بالجنة (ص: ٦٥).

(٤) البداية والنهاية لابن كثير (٤/٣٨).

رَفَعُ
عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

القرب على متونهما، تفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملاّنهما، ثم تحيئان فتفرغانه في أفواه القوم^(١)... وقال عمر: كانت (أم سَلِيط) تَزْفِرُ لَنَا القَرَبَ يَوْمَ أَحَدٍ^(٢).

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا

وبعد أن اشتد الكرب والغم بالمؤمنين ومَحَصَ الله قلوبهم، وابتلى ما في صدورهم واتخذ ما شاء من الشهداء، أنزل عليهم أمناً ونُعاساً أصاب الصادقين منهم فخفف عنهم مصابهم وربط به على قلوبهم وأما أصحاب الريب والشكوك والظنون السيئة، فقد أهتمهم أنفسهم، وتلاعبت بهم الشياطين، قال الله تعالى:

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

* قال صاحب الظلال رحمه الله: ولقد أعقب هول الهزيمة وذعرها وهرجها ومرجها سكون عجيب، سكون في نفوس المؤمنين الذين تابوا إلى ربهم، وثابوا إلى نبيهم، لقد شملهم نعاس لطيف يستسلمون إليه مطمئنين! ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وهي ظاهرة عجيبة، تشي برحمة الله التي تحف بعباده المؤمنين، والنعاس حين يلم بالمجاهدين المرهقين المفزعين ولو لحظة واحدة يفعل في كيانهم فعل السحر، ويردهم خلقاً جديداً. أما الطائفة الأخرى: فهم ذوو الإيمان المززع الذين شغلتهم أنفسهم وأهمتهم، والذين لم يتخلصوا من تصورات الجاهلية، ولم يسلموا أنفسهم كلها لله خالصة، ولم يستسلموا بكليتهم لقدره، ولم تطمئن قلوبهم إلى أن ما أصابهم إنما هو ابتلاء للتمحيص وليس تخلياً من الله عن أوليائه لأعدائه، ولا قضاء منه سبحانه للكفر والشر والباطل بالغلبة الأخيرة والنصر الكامل.

إن هذه العقيدة تعلم أصحابها - فيما تعلم - أن ليس لهم في أنفسهم شيء، فهم

(١) أخرجه البخاري (٤٠٦٤) - ومسلم (١٣٦) (١٨١١).

(٢) صحيح البخاري (٤٠١/١).

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

كلهم لله، وأنهم حين يخرجون للجهاد في سبيله يخرجون له، ويتحركون له ويقاتلون له بلا هدف آخر لذواتهم في هذا الجهاد^(١). عن أبي طلحة رضى الله عنه قال: كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مراراً، يسقط وأخذه، ويسقط فأخذه^(٢).

صفحات مضيئة مع باقة من شهداء أحد

وها هي باقة عطرة من تلك الصفحات الناصعة التي سطرها هؤلاء الشهداء من أصحاب سيد الأنبياء ﷺ على جبين التاريخ بسطور من النور.

استشهاد حمزة أسد الله وأسد رسول الله ﷺ

وها هي رياح الموت تهب على أرض المعركة... وها هي اللحظة التي قدرها الله (جلّ وعلاً) ليرحل حمزة - رضى الله عنه - عن الدنيا وليصبح سيد الشهداء. وها هو (وحشى) يحكى كيف استطاع أن يقتل (حمزة).

❖ يقول وحشى: كُنتُ غلاماً لجبير بن مطعم، وكان عمه طُعيمة بن عدى قد أُصيب يوم بدر - قُتل - فلما سارت قريش إلى أحد، قال لي جبير: إن قُلتَ حمزة عم محمد بعمى فأنت عتيق، قال: فخرجتُ مع الناس، وكنتُ رجلاً حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة، قلماً أخطيء بها شيئاً، فلما التقى الناس خرجتُ أنظر حمزة، وأتبصره، حتى رأيته في عرض الناس مثل الجمل الأورق، يهد الناس بسيفه هداً، ما يقوم له شيء، فوالله إني لأنهيأ له، أريده وأستر منه بشجرة أو حجر ليدنو مني إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العزى؛ فلما رآه حمزة قال: هلم يا ابن مقطعة البُطور. قال: فضربه ضربة كأن ما أخطأ رأسه. قال: وهزئتُ حربتي، حتى إذا رضيتُ منها، دفعتها عليه، فوقع في ثنته، حتى خرجت من بين رجله، وذهب لينوء نحوى، فغلب، وتركته وإياها حتى مات، ثم أتيتُه فأخذتُ حربتي، ثم رجعت إلى العسكر، فقعدتُ فيه... ولم يكن لي بغيره حاجة وإنما قتلته لأعتق فلما قدمت مكة أعتقت، ثم أقمتُ حتى إذا افتتح رسول الله ﷺ مكة هربتُ إلى الطائف، فمكثت بها، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله ﷺ ليسلموا

(١) باختصار من الظلال (١/٤٨٩).

(٢) رواه البخارى (٤٢٢/٧) المغازى.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

تعيّت على المذاهب فقلت: ألحق بالشام، أو باليمن، أو ببعض البلاد؛ فوالله إنى لفى ذلك من همى إذ قال لى رجل: ويحك! إنه والله ما يقتل أحداً من الناس دخل فى دينه، وتشهد شهادته.

فلما قال لى ذلك، خرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة، فلم يرعه إلا بى قائماً على رأسه أتشهد بشهادة الحق، [فلما] رآنى قال: «أوحشى؟» قلت: نعم يا رسول الله، قال: «أقعد فحدثنى كيف قتلت حمزة»، قال: فحدثته. فلما فرغت من حديثى قال: «ويحك غيب عنى وجهك فلا أرينك». قال: فكنت أتككب رسول الله ﷺ حيث كان ثلاث يرانى، حتى قبضه الله^(١) - أى حتى توفاه الله -.

فلما خرج المسلمون إلى مسيلمة! خرجت معهم بحربتى التى قتلت بها حمزة. فلما التقى الناس، نظرت إلى مسيلمة وفى يده السيف، فوالله ما أعرفه، وإذا رجل من الأنصار يريد من ناحية أخرى، فكلانا يتهاى له. حتى إذا أمكننى، دفعت عليه حربتى، فوقعت فيه. وشد الأنصارى عليه، فضربه بالسيف، فربك أعلم أينما قتله، فإن أنا قتلت، فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله ﷺ، و قتلت شر الناس^(٢).

التمثيل بجسده الطاهر - رضى الله عنه -

ولم يكتف أعداء الله بقتله، بل مثلوا بجسده، فإنه عندما بحث الصحابة ومعهم الحبيب ﷺ عن (حمزة) وجدوه قد بقر بطنه، واحتمل وحشى كبدته إلى (هند) فى نذر نذرته حين قتل أبوها يوم بدر فدفن فى نمرّة كانت عليه، إذا رُفعت إلى رأسه، بدت قدماء، فغطوا قدميه بشيء من الشجر^(٣).

وعن أنس قال: لما كان يوم أحد وقف رسول الله ﷺ على حمزة وقد جُدع ومثل به، فقال: «لولا أن نجد صفة فى نفسها، لتركته حتى يحشره الله من بطون السباع والطيور».

(١) أخرجه البخارى فى كتاب «المغازى» باب «قتل حمزة بن عبد المطلب» (٧/٤٠٧٢/فتح)، وأحمد فى «مسنده» (٥٠١/٣) من حديث جعفر بن عمرو بن أمية الضمري وليس فيه ذكر أنه غلب عليه الخمر، وأخرجه أبو داود الطيالسى فى «مسنده» (ص: ١٨٦/١٣١٤) بلفظه. وإسناده صحيح.

(٢) قال الأرئؤوط: إسناده قوى إلى وحشى. وأخرجه ابن هشام (٧٠/٢ - ٧٣)، وابن الأثير فى «أسد الغابة» (٣٨/٥ - ٤٤٠)، وابن عبد البر فى «الاستيعاب» (٥١/١١) وكلهم من هذا الطريق. وأخرجه البخارى (٤٠٧٢) فى المغازى: باب قتل حمزة - رضى الله عنه -.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (١/١٧٩).

وكُفِّنَ فِي نَمْرَةٍ إِذَا خُمِّرَ رَأْسُهُ، بَدَتْ رِجْلَاهُ، وَإِذَا خُمِرَتْ رِجْلَاهُ بَدَا رَأْسُهُ. وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الشَّهَدَاءِ. وَقَالَ: «أَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ» وَكَانَ يَجْمَعُ الثَّلَاثَةَ فِي قَبْرِ، وَالْاِثْنَيْنِ فَيَسْأَلُ: أَيُّهُمَا أَكْثَرُ قَرَأْنَا فَيَقْدِمُهُ فِي اللَّحْدِ، وَكَفَنَ الرَّجُلَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ فِي ثَوْبٍ^(١).

وَعَنْ ابْنِ عَمْرِو قَالَ: رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، فَسَمِعَ نِسَاءَ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ يَبْكِينَ عَلَى هَلَكَاةِ هُنَّ. فَقَالَ: «لَكِنَّ حِمْرَةَ لَا بَوَاكِي لَهَا» فَجَثْنَ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ، فَبَكِينَ عَلَى حِمْرَةَ عِنْدَهُ، فَرَقَدَ، فَاسْتَقِظَ وَهَنَ يَبْكِينَ. فَقَالَ: «يَا وَيْحَهُنَّ! أَهْنَّ هَا هُنَا حَتَّى الْآنَ، مُرُوهُنَّ، فَلِيرْجِعْنَ، وَلَا يَبْكِينَ عَلَى هَالِكٍ بَعْدَ الْيَوْمِ»^(٢).

قَالَ ﷺ: «رَأَيْتِ الْمَلَائِكَةَ تَغْسِلُ حِمْرَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَحَنْظَلَةَ بْنَ الرَّاهِبِ»^(٣).

قصة استشهاد أنس بن النضر (رضى الله عنه)

يَقُولُ «أَنْسُ بْنُ مَالِكٍ» غَابَ عَمِّي «أَنْسُ بْنُ النَّضْرِ» عَنْ قِتَالِ يَوْمِ بَدْرٍ فَقَالَ: غَبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِثَنَ أَشْهَدَنِي اللَّهُ قِتَالًا لِيرَيْنَ اللَّهَ مَا أَصْنَعُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ أَحَدٍ انْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ - انْهَزَمُوا - فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا فَعَلَ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ - وَأَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي الْمُسْلِمِينَ - ثُمَّ مَشَى بِسَيْفِهِ فَلَقِيَهُ (سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ) فَقَالَ: أَيُّ سَعْدٍ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأَجِدَ رِيحَ الْجَنَّةِ دُونَ أَحَدٍ! ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَصْنَعَ مَا صَنَعَ. قَالَ أَنْسُ بْنُ مَالِكٍ: فَوَجَدْنَاهُ بَيْنَ الْقَتْلَى وَبِهِ بَضْعٌ وَثَمَانُونَ جِرَاحَةً بَيْنَ ضَرْبَةِ سَيْفٍ أَوْ طَعْنَةِ بَرْمِجٍ أَوْ رَمِيَةٍ بِسَهْمٍ، فَمَا عَرَفْنَاهُ حَتَّى جَاءَتْ أُخْتُهُ فَعَرَفَتْهُ بَيْنَانِهِ - رُؤُوسِ الْأَصَابِعِ - قَالَ أَنْسُ فَكُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣] نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ^(٤).

* وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ لَمَّا شَاعَ خَبَرُ مَقْتَلِ النَّبِيِّ ﷺ انْهَارَتْ الرُّوحُ الْمَعْنَوِيَّةُ أَوْ كَادَتْ تَنْهَارُ فِي نَفُوسِ كَثِيرٍ مِنَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَتَوَقَّفَ مِنْهُمْ مَن تَوَقَّفَ عَنِ الْقِتَالِ وَأَلْقَى أَسْلِحَتَهُ مَسْتَكِينًا وَمَرَّ بِهَؤُلَاءِ أَنْسُ بْنُ النَّضْرِ وَقَدْ أَلْقَوْا مَا بَأْيَدِيهِمْ فَقَالَ: مَا تَنْتَظِرُونَ؟ فَقَالُوا: قُتِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: مَا تَصْنَعُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَهُ؟ قَوْمُوا فَمُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ رَسُولُ

(١) قَالَ الْأَرْنَؤُوطُ: إِسْنَادُهُ حَسَنٌ: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٢٨/٣)، وَأَبُو دَاوُدَ (٣١٣٦) الْجَنَائِزُ.

(٢) قَالَ الْأَرْنَؤُوطُ: سَنَدُهُ قَوِيٌّ: وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٨٤/٢)، وَابْنُ مَاجَهَ (١٥٩١).

(٣) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَحُسَيْنِ الْأَلْبَانِيِّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (٣٤٦٣).

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٤٧) - وَمُسْلِمٌ (كِتَابُ الْجِهَادِ).

رَفَعُ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّجْدِيُّ
أَسْلَمَ (الْمَدِينَةُ) الرَّحْمَنِي

الله. ثم قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني المسلمين - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فلقى سعد بن معاذ فقال أين يا أبا عمر؟ فقال أنس: وإهاً لريح الجنة يا سعد إني أجده دون أحد.. ثم مضى فقاتل القوم حتى قُتل فما عُرِف حتى عرفته أخته بعد نهاية المعركة بينانه وبه بضع وثمانون ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم^(١).

هكذا كان أصحاب النبي ﷺ

﴿عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: «قال رجل يوم أحد: يا رسول الله إن قُتلْتُ فأين أنا؟ قال: (فى الجنة)، فألقى تمرات فى يديه وقاتل حتى قُتل»^(٢).

قال الحافظ فى الفتح «وزعم ابن بشكوال أنه عمير بن الحمام، وسبقه إلى ذلك الخطيب، واحتج بما أخرجه مسلم من حديث أنس (أن عمير بن الحمام أخرج تمرات فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، ثم قاتل حتى قُتل.

قلت: لكن وقع التصريح فى حديث أنس أن ذلك كان يوم بدر، والقصة التى فى الباب وقع التصريح فى حديث جابر أنها كانت يوم أحد، فالذى يظهر أنهما قصتان وقعتا لرجلين، والله أعلم، وفيه (الحديث) ما كان عليه الصحابة من حب نصر الإسلام، والرغبة فى الشهادة ابتغاء مرضاة الله^(٣).

قصة استشهاد عبد الله بن حرام (والد جابر) - رضى الله عنهما -

فعن جابر رضى الله عنه قال: «لما حَضَرَ (أحد) دعانى أبى من الليل فقال: ما أرانى إلا مقتولاً فى أول من يُقتل من أصحاب النبى ﷺ ، وإنى لا أتركُ بعدى أعزَّ علىَّ منك غير نفس رسول الله ﷺ ، وإن علىَّ ديناً فاقض واستوص بأخوانك خيراً.. فأصبحنا فكان أول قتيل، ودُفن معه آخرُ فى قبر ثم لم تطب نفسى أن أتركه مع الآخر فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وضعته هنيئة غير أذنه^(٤).

(١) أخرجه البخارى برقم (٤٠٤٨)، ومسلم فى كتاب الإمارة رقم (١٤٨/١٩٠٣).

(٢) أخرجه البخارى (٤٠٤٦) المغازى - ومسلم (١٨٩٩) الإمارة.

(٣) فتح البارى (٣٥٤/٧).

(٤) أخرجه البخارى (١٣٥١).

الملائكة تظله بأجنحتها

وها هي ملائكة الرحمن (جلّ وعلاً) تتفاعل مع هذا الصحابي الجليل وتنزل بأمر الملك (جلّ وعلاً) لتظله بأجنحتها بعد موته.

فعن جابر بن عبد الله قال: لما كان يوم أحد، جرى بأبي مسجى - مغطى - وقد مثل به، قال: فأردت أن أرفع الثوب، فنهاني قومي، ثم أردت أن أرفع الثوب فنهاني قومي، فرفعه رسول الله ﷺ، أو أمر به فرفع. فسمع صوت باكية أو صائحة. فقال: «من هذه؟» فقالوا: بنت عمرو، أو أخت عمرو. فقال: «ولم تبكي؟» فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع^(١).

وفى رواية أخرى عند مسلم قال ﷺ: «تبكيه أو لا تبكيه ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه».

قال الإمام النووي: قوله ﷺ «فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع» قال القاضي: يحتل أن ذلك لتزاحمهم عليه لبشارته بفضل الله ورضاه عنه وما أعد له من الكرامة عليه، ازدحموا عليه إكراماً له وفرحاً به أو أطلوه من حر الشمس لئلا يتغير ريحه أو جسمه... قوله: فقال رسول الله ﷺ «تبكيه أو لا تبكيه ما زالت الملائكة تظله» معناه: سواء بكت عليه أم لا فما زالت الملائكة تظله أى فقد حصل له من الكرامة هذا وغيره فلا ينبغي البكاء على مثل هذا... وفى هذا تسلية لها^(٢).

الله يكلمه بغير حجاب

وها هي أعظم منقبة لهذا الصحابي الجليل الذى جمع الله له مناقب كثيرة.. ها هو بعد موته يكلمه ربه بغير حجاب.

فعن جابر بن عبد الله، قال: لما قُتل عبيد الله بن عمرو بن حرام، يوم أحد، قال رسول الله ﷺ: «يا جابر! ألا أخبرك ما قال الله - عز وجل - لأبيك؟» قلت: بلى، قال: «ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب، وكلم أباك كفاحاً^(٣)»، فقال: يا عبيدى تمن على

(١) أخرجه مسلم (٢٤٧١)، والنسائي (١٢/١١-٤).

(٢) مسلم بشرح النووي (٣٧/١٦ - ٣٩) بتصرف.

(٣) كفاحاً: أى مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول.. وهذا بعد موته أما قبله فلا.

رفع

عبد الرحمن (الرحمن)
(أسكنه الله الفردوس)

أعطك، قال: يارب فأبلغ من ورائي»، فأنزل الله - عز وجل - هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] (١).

وفى رواية: أن جابر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا جابر أما علمت أن الله - عز وجل - أحيا أباك فقال له: تَمَنَّ عَلَىَّ، فقال: أُرِدُّ إِلَى الدُّنْيَا فَأُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى فَقَالَ: إِنِّي قَضَيْتُ الْحُكْمَ أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يَرْجِعُونَ» (٢).

* والمرء يَحَارُّ من كرامة الشهيد على الله... إن أبا جابر لم يستشعر وحشة لفراق أولاده، ولم تَسْتَشْرِف نفسه للاطمئنان على فلذات كبده، بل تَطَلَّع للعودة إلى الدنيا كيما يذهل مرةً أُخْرَى عن أَحَبِّ شَيْءٍ فِيهَا، ويتمشَّى بخطى ثابتة إلى ساحة القتال (٣).

استشهد حنظلة (رضي الله عنه) فغسلته الملائكة

* عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول عند قتل حنظلة بن أبي عامر بعد أن التقى هو وأبو سفيان بن الحارث حين علاه شداد بن الأسود بالسيف فقتله، فقال رسول الله ﷺ: «إِنْ صَاحِبَكُمْ تَغْسِلُهُ الْمَلَائِكَةُ فَسَأَلُوا صَاحِبَتَهُ عَنْهُ - زَوْجَتَهُ - فَقَالَتْ: إِنَّهُ خَرَجَ لَمَّا سَمِعَ الْهَائِعَةَ وَهُوَ جُنُبٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَذَلِكَ غَسَلْتَهُ الْمَلَائِكَةُ» (٤).

* وقال ﷺ: «رَأَيْتُ الْمَلَائِكَةَ تَغْسِلُ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلُبِ وَحَنْظَلَةَ بْنَ الرَّاهِبِ» (٥).

دخل الجنة.. وما صلى لله صلاة واحدة

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إِنْ عَمْرُو بْنُ أَقِيْشٍ كَانَ لَهُ رِبًّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَرِهَ أَنْ يَسْلَمَ حَتَّى يَأْخُذَهُ فَبَجَاءَ يَوْمَ أَحَدٍ، فَقَالَ: أَيْنَ بَنُو عَمِي؟ قَالُوا: بِأَحَدٍ، قَالَ: أَيْنَ فُلَانٌ قَالُوا: بِأَحَدٍ، قَالَ: أَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالُوا: بِأَحَدٍ. فَلَبَسَ لَأَمَتِهِ وَرَكِبَ فَرَسَهُ، ثُمَّ تَوَجَّهَ قَبْلَهُمْ فَلَمَّا رَأَاهُ الْمُسْلِمُونَ قَالُوا: إِلَيْكَ عَنَا يَا عَمْرُو، قَالَ: إِنِّي قَدْ آمَنْتُ، فَقَاتَلَ حَتَّى جُرِحَ،

(١) أخرجه الترمذي (٣٠١٣) وصححه الحاكم (٢٠٤/٣) ووافقه الذهبي.

(٢) رواه أحمد (٣/٣٦١)، وقال العدوي في فضائل الصحابة: هو صحيح لشواهده.

(٣) في موكب الدعوة للشيخ محمد الغزالي (ص: ٥٣).

(٤) رواه الحاكم (٢٠٤/٣) وقال: هذا حديث على شرط مسلم ولم يُخرجاه وسكت عليه الذهبي. وقال

الشيخ مصطفى العدوي في فضائل الصحابة: إسناده حسن.

(٥) رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٦٣).

رَفَعُ

عبد الرحمن بن أبي بكر
أسكنه الله الفردوس

فحمل إلى أهله جريحاً، فجاء سعد بن معاذ، فقال لأخته: سليه: حمية لقومك، أو غضباً لهم، أم غضباً لله عز وجل، قال: بل غضباً لله - عز وجل - ورسوله، فمات فدخل الجنة وما صلى لله صلاة»^(١).

استشهاد اليمان (والد حذيفة) - رضى الله عنهما -

❖ وفى يوم أحد كان حذيفة يقاتل قتال من يبحث عن الشهادة ويشتاق إليها، وأما أبوه فقد استشهد يومئذ. قتله بعض الصحابة غلطاً، ولم يعرفه؛ لأن الجيش يختفون فى لأمة الحرب، ويسترون وجوههم؛ فإن لم يكن لهم علامة بيّنة، وإلا ربما قتل الأخ أخاه، ولا يشعر.

❖ عن عائشة رضى الله عنها قالت: «لما كان يوم أحد هُزم المشركون، فصرخ إبليس لعنة الله عليه: أى عباد الله، أخراكم، فرجعت أولاهم فاجتلدت هى وأخراهم، فبصر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان فقال: أى عباد الله أبى أبى. قال: قالت: فوالله ما اختجزوا حتى قتلوه، فقال حذيفة: يغفر الله لكم، قال عروة: فوالله ما زالت فى حذيفة بقية خير حتى لحق بالله»^(٢).

وعن محمود بن لبيد قال: لما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد وقع اليمان بن جابر أبى حذيفة وثابت بن وقش بن زعوراء فى الآطام مع النساء والصبيان، فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران: لا أبا لك ما نتظر فوالله ما بقى لواحد منا من عمره إلا ظمأ حمار^(٣)، إنما نحن هامة القوم^(٤)، ألا نأخذ أسيفنا ثم نلحق برسول الله ﷺ، فدخلوا فى المسلمين ولا يعلمون بهما، فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون، وأما أبو حذيفة فاختلقت عليه أسياف المسلمين فقتلوه، ولا يعرفونه. فقال حذيفة: أبى أبى فقالوا: والله ما عرفناه، (وصدقوا). فقال حذيفة: يغفر الله لكم وهم أرحم الراحمين،

(١) رواه أبو داود وأحمد وقال الخافظ فى الإصابة (٥١٩/٢): هذا إسناد حسن.

(٢) أخرجه البخارى (٤٠٦٥) المغازى - والحاكم (٣٧٩/٣) فى المستدرک.

(٣) ظمء الحمار: الظمء: مقدار ما يكون بين الشربتين وأقصر الإطماء ظمء الحمار؛ لأنه لا يصبر عن الماء فضرِب مثلاً بقرب الأجل.

(٤) الهامة: طائر يخرج من رأس القنبل إذا قُتل «فزعموا» أنه لا يزال يصيح اسقونى - اسقونى - حتى يؤخذ بثأره فضرِبته العرب مثلاً للموت.

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فأراد رسول الله ﷺ أن يديه - يعطيه الدية -، فتصدق به حذيفة على المسلمين، فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ «(١)» (٢).

استشهاد عبد الله بن جحش (رضى الله عنه)

* عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد ألا تدعو الله... فخلوا في ناحية فدعا سعد فقال: يارب إذا لقيت العدو، فلقني رجلاً شديداً بأسه، شديداً حرده، أقاتله ويقاتلني، ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله، وأخذ سلبه، فأمن عبد الله بن جحش، ثم قال: اللهم ارزقني رجلاً شديداً حرده، شديداً بأسه، أقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غداً، قلت: من جدع أنفك وأذنك، فأقول: فيك وفي رسولك، فتقول صدقت: قال سعد: يا بني كانت دعوة عبد الله بن جحش خيراً من دعوتي، لقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقان في خيط» (٣).

وعن سعيد بن المسيب قال: قال عبد الله بن جحش: اللهم إنني أقسم عليك أن ألقى العدو غداً فيقتلونني ويجدعوا أنفي وأذني ثم تسألني بم ذاك فأقول فيك. قال سعيد بن المسيب: إنني لأرجو أن يبر الله آخر قسمه كما بر أوله (٤).

* هذه صورة للرجولة الفارعة التي اصطدم بها الكفر أول المعركة وآخرها فماد

(١) قبل إن الذي قتله خطأ هو عتبة بن مسعود أخو عبد الله بن مسعود، وعتبة هو أول من سمي المصحف مصحفاً.

(٢) رواه الحاكم (٢٠٢/٣) معرفة الصحابة، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وأخرج البخاري الجزء الأخير في قتل اليمان في صحيحه (٤١٨/٧) المغازي.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن (٢٤/٩) والدلائل (٢٥٠/٣)، وأبو نعيم في الحلية: (١٠٩/١) والحاكم: ١٩٩/٣ - ٢٠٠، وقال صحيح على شرطهما لولا إرساله، ووافقه الذهبي وقال: صحيح مرسل وابن سعد: ٦٣/٣، وقال الهيثمي في المجمع (٣٠١/٩ - ٣٠٢): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، وله شواهد متصلة من طريق إسحاق بن سعد بن أبي وقاص كما في الإصابة ترجمة رقم: ٤٥٨٣، والبيهقي في السنن الكبرى: ٣٠٧/٦ - ٣٠٨، والحاكم: ٧٦/٢ - ٧٧، وأبو نعيم في الحلية (١٠٩/١)، وصححه الحاكم وأقره الذهبي موصولاً من حديث إسحاق بن سعد.

(٤) رواه الحاكم (١٩٩/٣ - ٢٠٠) معرفة الصحابة، وقال: صحيح على شرط الشيخين لولا إرسال فيه. ووافقه الذهبي. وقال الألباني: لكن له شاهد موصول وأخرجه البغوي كما في الإصابة من طريق إسحاق ابن سعد بن أبي وقاص: حدثني أبي أن عبد الله بن جحش قال فذكره بنحوه وزاد في آخره قال سعد: «فلقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه معلقان في خيط».

رفع

عن الشيخ الفقيه
المسلم بن الحجاج

أمامها، واضطربت من تحت أقدامه الأرض، فما ربح شيئاً في بداية القتال، ولا انتفع بما ربح آخره.

وهذا اللون من البطولة مدفون تحت جدران التاريخ الإسلامي القائم إلى اليوم، وما يقوم للإسلام صرح، ولا ينكشف عنه طغيان، إلا بهذه القوى المذخورة المضغوطة في أفئدة الصديقين والشهداء..

من سر هذا الإلهام؟ من مشرق هذا الضياء؟

إنه محمد ﷺ، إنه هو الذي ربي ذلك الجيل الفذ، ومن قلبه الكبير أترعت هذه القلوب، تفانياً في الله، وإيثاراً لما عنده^(١).

عمرو بن الجموح يبطأ برجله في الجنة

لقد كان - رضى الله عنه - أعرج شديد العرج، وكان له أربعة أبناء شباب يغزون مع رسول الله ﷺ، فلما توجه إلى أحد أراد أن يخرج معهم فقال له بنوه: إن الله جعل لك رخصة فلو قعدت ونحن نكفيك، وقد وضع الله عنك الجهاد فأتى عمرو رسول الله ﷺ فقال: إن بنى هؤلاء يمنعوننى أن أجاهد معك، ووالله إنى لأرجو أن أستشهد، فأطأ بعرجتى فى الجنة. فقال له رسول الله ﷺ: «أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد» وقال لبنيه: «وما عليكم أن تدعوه، لعل الله عز وجل أن يرزقه الشهادة» فخرج مع رسول الله ﷺ، فقتل يوم أحد شهيداً^(٢).

وفى رواية: أنه «أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! أرايت إن قاتلتُ فى سبيل الله حتى أقتل، أأمشى برجلي هذه صحيحة فى الجنة؟ وكان رجله عرجاء، فقال رسول الله ﷺ: «نعم». فقتل يوم أحد هو وابن أخيه ومولى له. فمر رسول الله ﷺ، فقال: «كأنى أنظر إليك تمشى برجلك هذه صحيحة فى الجنة». فأمر رسول الله ﷺ بهما وبمولاهما فجعلوا فى قبر واحد^(٣).

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ٣٠١: ٣٠٢).

(٢) رواه ابن هشام (١٣٩/٢) عن ابن إسحاق، وبعضه فى المسند (٢٩٩/٥) من حديث أبى قتادة، وصحح الألبانى إسناده فى تحقيق فقه السيرة. هامش (٢٨١).

(٣) قال الحافظ فى الفتح (١٧٣/٣): سنده حسن - رواه أحمد (٢٩٩/٥).

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

سعد بن الربيع... ووصيته الغالية للأَنْصار

قال زيد بن ثابت: بعثنى رسول الله ﷺ يوم أُحد أطلب (سعد بن الربيع) فقال لى: «إن رأيته فأقرئه منى السلام، وقل له: يقول لك رسول الله ﷺ: كيف تجدك؟» قال: فجعلت أطوف بين القتلى، فأتيته وهو بأخر رمق، وفيه سبعون ضربة: ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم، فقلت: يا سعد، إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام، ويقول لك: «أخبرنى كيف تجدك؟» فقال: وعلى رسول الله ﷺ السلام، قل له: يا رسول الله أجد ريح الجنة، وقل لقومى الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله ﷺ مكروه وفيكم عينٌ تطرف. وفاضت نفسه من وقته^(١).

مصعب بن عمير.. والشهادة فى سبيل الله

قال ابن اسحق: وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ حتى قُتل، قتله ابن قمئة الليثى، وهو يظنه رسول الله فرجع إلى قريش فقال: قتلت محمداً^(٢).
* وقال خباب بن الأرت: هاجرنا مع النبى ﷺ نريد وجه الله فوق أجرتنا على الله فمننا من مضى لم يأخذ من أجره شيئاً منهم مصعب بن عمير، قُتل يوم أُحد وترك نمرَةً فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجله بدا رأسه ونجعل على رجله شيئاً من إذخر، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها^(٣).
وظل أصحاب الحبيب ﷺ يذكرون مصعباً فى كل وقت ولم يغب وجهه عنهم لحظة واحدة.

فهذا عبد الرحمن بن عوف - رضى الله عنه - أتى بطعام - وكان صائماً - فقال: قُتل مصعب بن عمير - وهو خير منى - كُفِّنَ فى بُردةٍ إن غُطِّيَ رأسه بدت رجلاه، وإن غُطِّيَ رجلاه بدا رأسه، وأراه قال: وقُتِلَ حمزة - وهو خير منى - ثم بُسِطَ لنا من الدنيا ما بُسِطَ أو قال: أُعطينا من الدنيا ما أُعطينا - وقد خشينا أن تكون حسناتنا عُجِّلَتْ لنا - ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام^(٤).

(١) رواه ابن هشام (٩٤/٢ - ٩٥) والحاكم (٢٠١/٣) وصححه ووافقه الذهبى.

(٢) رواه ابن هشام (٧٣/٢)، ابن سعد (٨٥/١/٣) وانظر سير أعلام النبلاء (١/١٤٨).

(٣) أخرجه البخارى (٣٨٩٧) ومسلم (٩٤٠).

(٤) أخرجه البخارى (١٢٧٥).

* وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: «إن رسول الله ﷺ حين انصرف من أحد مرَّ على مصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه، فوقف عليه، ودعا له، ثم قرأ هذه الآية ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]. ثم قال رسول الله ﷺ: (أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة، فأتوهم وزورهم... والذي نفسى بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه)^(١).

قصة قزمان

* عن سهل بن سعد الساعدي رضى الله عنه قال: «إن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا، فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره، ومال الآخرون إلى عسكرهم - وفى أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاة ولا فاذة^(٢) إلا اتبعها يضربها بسيفه - فقيل: ما أجزأنا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال رسول الله ﷺ: (أما إنه من أهل النار)، فقال رجل من القوم: أنا صاحبه. قال فخرج معه كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه، قال: فخرج الرجل جرحاً شديداً، فاستعجل الموت فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثديه، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله، قال: (وما ذاك؟).

قال: الرجل الذى ذكرت آنفاً أنه من أهل النار فأعظم الناس ذلك. فقلت: أنا لكم به، فخرجت فى طلبه، ثم جرح جرحاً شديداً فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه فى الأرض وذبابه^(٣) بين ثديه، ثم تحامل عليه^(٤) فقتل نفسه، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: (إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة)^(٥).^(٦)

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرک: ٣/ ٢٠٠، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى.

(٢) لا يدع لهم شاة ولا فاذة: شجاع لا يستطيع أحد أن يلقاه.

(٣) ذبابه: رأسه.

(٤) تحامل عليه: اتكأ عليه.

(٥) أخرجه البخارى فى المغازى باب غزوة خيبر رقم: ٤٢٠٢، ومسلم فى الإيمان باب غلط تحريم قتل

الإنسان نفسه رقم: ١١٢ وفى رواية عند مسلم وقع أن الغزوة «حنين» وفى رواية أخرى أبهمت وأخرجه

أحمد فى المسند: ٤/ ١٣٥، وفيه أن الغزوة هى خيبر.

(٦) وقد جاء عند ابن هشام فى سيرته التصريح بأن هذا الرجل هو قزمان، وأنه قتل نفسه يوم أحد، كما ورد =

رفع

عن الشيخ الألبانى
المسند النبوى

أبو سفيان يتناخر على المسلمين بعد المعركة

ولما انقضت الحرب أشرف (أبو سفيان) على الجبل ونادى: أفي القوم محمد؟ أفي القوم محمد؟ أفي القوم محمد؟ ثلاثاً، فنهاهم رسول الله ﷺ أن يجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ أفي القوم ابن أبي قحافة؟ أفي القوم ابن الخطاب؟ أفي القوم ابن الخطاب؟ ثم أقبل على أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قُتلوا وقد كُفيتهم، فما ملك عمر نفسه أن قال: كذبت والله يا عدو الله إن الذين عدت لأحياء كلهم، وقد بقي لك ما يسوؤك، فقال - يعني أبو سفيان -: يوم بيوم بدر والحرب سجال، إنكم ستجدون في القوم مثله لم أمر بها، ولم تسرني ثم أخذ يرتجز: أعل هبل. أعل هبل.

فقال رسول الله ﷺ: (ألا تحيونه؟) قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: (قولوا الله أعل وأجل)، قال - يعني أبو سفيان -: إن العزى لنا ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ: (ألا تحيونه؟) قالوا: يا رسول الله وما نقول؟ قال: (قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم)^(١).

* وفي رواية أنه قال: أين ابن أبي كبشة؟ (يقصد النبي ﷺ) ... أين ابن أبي قحافة؟ أين ابن الخطاب؟ فقال عمر: هذا رسول الله ﷺ، وهذا أبو بكر، وهذا أنا عمر. قال: فقال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، الأيام دول وإن الحرب سجال^(٢) قال: فقال عمر: لا

= من طريق ابن إسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة والإسناد حسن ورجاله ثقات، إلا أنه مرسل وهو يعتد به كشاهد للمتابعة والله أعلم [السيرة لابن هشام (٢/٨٨)].

وقال الحافظ في الفتح «جزم ابن الجوزي في مشكلة بأن القصة التي حكاها سهل بن سعد وقعت بأحد، قال: واسم الرجل قزمان الظفري، وكان قد تخلف عن المسلمين يوم أحد فعرته النساء، فخرج حتى صار في الصف الأول، فكان أول من رمى بسهم، ثم صار إلى السيف ففعل العجائب، فلما انكشف المسلمون كسر جفن سيفه وجعل يقول: الموت أحسن من الفرار، فمر به قتادة بن النعمان فقال له: هنيئاً لك الشهادة، قال: والله إني ما قاتلت على دين، وإنما قاتلت على حسب قومي، ثم ألقته الجراحة فقتل نفسه». وعقب الحافظ على ذلك بقوله: «قلت وهذا الذي نقله أخذه من مغازي الواقدي، وهو لا يحتج به إذا انفرد فكيف إذا خالف» [فتح الباري (٧/٤٧٣)].

قلت: وقد سبق من طريق ابن إسحاق عند ابن هشام التصريح بأنه قزمان وبأنه قتل نفسه يوم أحد، وقول الحافظ لا يعارض ذلك المروي خاصة وأنه مرسل وإسناده ثقات، فالظاهر هو كما قال ابن الجوزي وابن إسحاق إمام أهل السير والله أعلم [صحيح السيرة النبوية (ص: ٣٠١)].

(١) أخرجه البخاري (٤٠٤٣) المغازي - وأحمد (٤/٢٩٣).

(٢) سجال: أي مرة لنا ومرة علينا.

رَفَعُ
عبد الرحمن بن العنبري
أسكنه الله الفردوس

سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار، قال: إنكم لتزعمون ذلك، لقد خبنا إذاً وخسرنا^(١).

النبي ﷺ يثبت من عودة المشركين إلى مكة

ولما انقضت الحرب، انكفأ المشركون، فظن المسلمون أنهم قصدوا المدينة لإحراز الذراري والأموال، فسق ذلك عليهم، فقال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه: «أخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون، فإن هم جنبوا الخيل وامتطوا الإبل، فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة فوالذي نفسي بيده لئن أرادوها، لأسيرن إليهم، ثم لأناجرنهم فيها». قال علي: فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون، فجنبوا الخيل، وامتطوا الإبل، ووجهوا إلى مكة، ولما عزموا على الرجوع إلى مكة، أشرف على المسلمين أبو سفيان، ثم ناداهم: موعدكم الموسم بيدر، فقال النبي ﷺ: «قولوا: نعم قد فعلنا» قال أبو سفيان: «فذلك الموعد» ثم انصرف هو وأصحابه^(٢).

صلاة النبي ﷺ على شهداء أحد

عن جابر بن عبد الله: لما كان يوم أحد جاءت عمتي بأبي لتدفنه في مقابرنا، فنادى منادى رسول الله ﷺ: ردوا القتلى إلى مضاجعهم^(٣). وكان رسول الله ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: «أيهم أكثر أخذاً للقرآن» فإن أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد، وقال: «أنا شهيد على هؤلاء، وأمر بدفنهم بدمائهم، ولم يصل عليهم ولم يغسلهم»^(٤)،^(٥).

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٢٨٧/١، ٢٨٨، ٤٦٣)، والحاكم في المستدرک: (٢/٢٩٦، ٢٩٧) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) زاد المعاد (٣/٢٤١).

(٣) رواه أحمد (٣/٣٩٨) بطوله ومختصراً في (٣/٣٠٨)، والنسائي (٤/٧٩) مختصراً في الجنايز، وابن ماجه (١٥١٦) الجنايز، وصححه الألباني.

(٤) رواه البخاري (٤٣٣/٧) المغازي، والترمذي (٢٥٣/٤) الجنايز.

(٥) قال الحافظ ابن حجر: قوله فيه (ولم يصل عليهم) تقدم الكلام عليه في الجنايز، وقد أجاب بعض الحنفية عنه بأنه ناف وغيره مثبت. وأجيب بأن الإثبات مقدم على النفي غير المحصور، وأما نفي الشيء المحصور إذا كان راويه حافظاً فإنه يترجح على الإثبات إذا كان راويه ضعيفاً كالحديث الذي فيه إثبات الصلاة =

* وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال: «صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحد بعد ثمانى سنين كالمودع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر فقال: (إنى بين أيديكم فرط، وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض، وإنى لأنظر إليه من مقامى هذا، وإنى لست أخشى عليكم أن تشركوا، ولكنى أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها)، قال: فكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ» (١) (٢).

وقد وردت الأحاديث والسنن الصحيحة عن رسول الله ﷺ تدل على الصلاة على الشهداء، أورد بعضها هنا:

* عن شداد بن الهاد رضى الله عنه أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبى ﷺ فأمن به واتبعه، ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبى ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزوة غنم النبى ﷺ سبياً فقسّم، وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوا إليه، فقال: ما هذا؟ قال: قَسَمُ قسمه لك النبى ﷺ .

فأخذه فجاء به إلى النبى ﷺ فقال: ما هذا؟ قال: «قسمته لك». قال: ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أرمى ها هنا - وأشار إلى حلقه - بسهم فأدخل الجنة، فقال: «إن تصدق الله يصدقك».

فلبثوا قليلاً ثم نهضوا فى قتال العدو، فأتى به النبى ﷺ يُحمِلُ قد أصاب السهم حيث أشار، فقال النبى ﷺ: «أهو هو؟» قالوا: نعم. قال: «صدق الله فصدقه».

ثم كفّهُ النبى ﷺ فى جُبة النبى ﷺ ، ثم قدّمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من

= على الشهيد، وعلى تقدير التسليم فالأحاديث التى فيها ذلك إنما هى قصة حمزة فيحتمل أن يكون ذلك مما خص به حمزة من الفضل. وأجيب بأن الخصائص لا تثبت بالاحتمال. ويجاب بأنه يوقف الاستدلال. قالوا: ويمكن الجمع بأنه لم يصل عليهم ذلك اليوم كما قال جابر ثم صلى عليهم ثانى يوم كما قال غيره [فتح البارى (٧/٤٣٥)].

(١) أخرجه البخارى (١٣٤٤) الجناز حوسلم (٢٢٩٦) الفضائل.

(٢) قال الماوردى عن أحمد: الصلاة على الشهيد أجود، وإن لم يصلوا عليه أجزأ، وقال الطحاوى: «معنى صلاته ﷺ عليهم لا يخلو من ثلاثة معان: إما أن يكون ناسخاً لما تقدم من ترك الصلاة عليهم، أو يكون من سنتهم أن لا يصلوا عليهم إلا بعد هذه المدة المذكورة، أو تكون الصلاة عليهم جائزة بخلاف غيرهم فإنها واجبة، وأياً كان فقد ثبت بصلاته عليهم الصلاة على الشهداء، ثم كان الكلام بين المختلفين فى عصرنا، إنما هو فى الصلاة عليهم قبل دفنهم، وإذا ثبت الصلاة عليهم بعد الدفن كانت قبل الدفن أولى» انتهى [فتح البارى (٣/٢١٠ - ٢١١)].

رَفَعُ

عبد الرحمن (البحراني)
(أسكنه الله الفردوس)

صلاته: «اللهم هذا عبدك. خرج مهاجراً، فقتل شهيداً، أنا شهيد على ذلك»^(١).

* وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «لما كان يوم أحد مر رسول الله ﷺ بحمزة ابن عبد المطلب وقد جُدع ومُثِّل به، فقال: لولا أن تجد صفة في نفسها تركته حتى تأكله العافية»^(٢)، حتى يحشره الله من بطون الطير والسباع، فكفنه في غمرة، وكانت إذا خُمرت رأسه بدت زجلاه وإذا خُمرت رجلاه بدا رأسه، فخمر رأسه، ولم يُصلِّ على أحد من الشهداء غيره»^(٣).

* وعن عبد الله بن الزبير قال: «أن رسول الله ﷺ أمر يوم أحد بحمزة فسُجِّي بُردة، ثم صلى عليه، فكبر تسع تكبيرات، ثم أتى بالقتلى يُصَفِّون، ويصلى عليهم، وعليه معهم»^(٤).

* قال ابن القيم: «والصواب في المسألة أنه مخير بين الصلاة عليهم وتركها، لمجيء الآثار بكل واحد من الأمرين، وهذا إحدى الروايات عن الإمام أحمد، وهو الأليق بأصوله ومذهبه»^(٥).

عدد الشهداء من الصحابة (رضى الله عنهم)

* عن أبي بن كعب رضى الله عنه قال: «إنه أصيب من الأنصار يوم أحد أربعة وستون، وأصيب من المهاجرين ستة فيهم حمزة، فمُتِلُوا بِقَتْلِهِمْ فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: لئن أصبنا منهم يوماً من الدهر لَنُربِّينَ عليهم - أى لنزيدن عليهم في التمثيل بهم -، فلما كان يوم فتح مكة، نادى رجل لا يعرف: لا قريش بعد اليوم، (مرتين) فأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦] فقال النبي ﷺ: (كفوا عن القوم)^(٦).

* وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: «جعل رسول الله ﷺ على الرماة يوم

(١) رواه النسائي (٤/٦١٤٦٠) الجناز، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١٨٤٥).

(٢) العافية: السباع والطير التي تقع على الجيف فتأكلها.

(٣) رواه أبو داود (٣١٣٧) والحاكم (١/٣٦٥) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه الطحاوى في شرح معاني الآثار: (١/٥٠٣) وإسناده حسن رجاله كلهم ثقات وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث.

(٥) تهذيب السنن (٤/٢٩٥).

(٦) رواه الترمذى (٣١٢٩) والحاكم (٢/٣٥٩، ٤٤٦) وقال في الموضعين: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

أحد.. (فذكر الحديث) إلى أن قال: فأصابوا منا سبعين، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه قد أصابوا من المشركين، أراه قال: يوم بدر أربعين ومائة: سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً^(١).

بل أحياء عند ربهم يُرزقون

* عن ابن مسعود رضي الله عنه. قال مسروق: سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحياءٌ عند ربهم يُرزقون﴾ قال عمران: [١٦٩]، قال: أما إنا سألنا عن ذلك فقال: (أرواحهم كطير خُضر تسرح في أيها شاءت، ثم تأوى إلى قناديل معلقة بالعرش، قال: فبينما هم كذلك، إذ اطلع عليهم ربهم إطلاعة، فقال: سلوني ما شئتم؟! فقالوا: يا ربنا! وما نسألك، ونحن نسرح في الجنة في أيها شئنا، فلما رأوا أن لا يتركوا من أن يسألوا، قالوا: نسألك أن ترد أرواحنا إلى أجسادنا في الدنيا، حتى نُقتل في سبيلك، قال: فلما رأى أنهم لا يسألون إلا هذا تركوا^(٢).

* وعن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «لما أُصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خُضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: مَنْ يُبلغ إخواننا عنا أننا أحياء في الجنة نُرزق لئلا ينكلوا عند الحرب ولا يزهّدوا في الجهاد، قال الله: أنا أبلغهم عنكم. فأنزلت ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ قال عمران: [١٦٩]^(٣).

دفن الشهداء وتقديم الأحياء للقرآن

* عن هشام بن عامر رضي الله عنه قال: شكى إلى رسول الله ﷺ الجراحات يوم أحد فقال: (احفروا وأوسعوا وأحسنوا وادفنوا الاثنين والثلاثة في قبر واحد، وقدموا أكثرهم قرآناً) فمات أبى فقدم بين رجلين^(٤).

* وعن أنس رضي الله عنه قال: «وكثر القتلى وقلت الثياب، قال: وكان يجمع الثلاثة والاثنين في قبر واحد، ويسأل أيهم أكثر قرآناً فيقدم في اللحد، وكفن الرجلين

(١) أخرجه البخاري (٤٠٤٣) المغازي - وأحمد (٢٩٣/٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٨٧) الإمارة - والترمذي (٣٠١١).

(٣) رواه أبو داود (٢٥٢٠) والحاكم (٨٨/٢) وقال الأرئوط: رجاله ثقات.

(٤) رواه الترمذي (٧١٣) وأبو داود (٣٢١٥) بإسناد صحيح.

رفع

عبد الرحمن النجدي
(سكنه الله الفردوس)

والثلاثة في الثوب الواحد»^(١).

* وعن جابر بن عبد الله (رضى الله عنهما) قال: «إن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم يقول: (أيهم أكثر أخذًا للقرآن؟) فإذا أشير له إلى أحد قدمه في اللحد، وقال: (أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة) وأمر بدفنهم بدمائهم، ولم يُصلّ عليهم ولم يُغسلوا»^(٢).

* وكان النبي ﷺ إذا ذكر شهداء أحد يتمنى هذه الأمنية... فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ إذا ذكر أصحاب أحد قال: (والله لوددت أنى غودرت مع أصحاب فحصى الجبل)^(٣) يقول: قُتلت معهم ﷺ»^(٤).

النبي ﷺ يثني على الله (عز وجل)

* عن عبيد الله بن رفاعة الزرقى رضى الله عنه قال: لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون قال رسول الله ﷺ: (استووا حتى أثنى على ربى، فصاروا خلفه صفوفًا فقال: اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادى لما أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطى لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مبعد لما قربت، اللهم أبسط علينا من بركاتك، ورحمتك، وفضلك، ورزقك، اللهم إنى أسألك النعيم المقيم الذى لا يحول ولا يزول، اللهم إنى أسألك النعيم يوم العيلة، والأمن يوم الخوف، اللهم عائد بك من شر ما أعطيتنا، وشر ما منعت منا، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه فى قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين، وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك، ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب، إله الحق)^(٥).

* وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «إن رسول الله ﷺ كان يقول يوم أحد

(١) رواه أبو داود (٣١٣٧) وأحمد (١٢٨/٣) والحاكم (٣٦٥/١) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه البخارى (١٣٤٣) الجناز.

(٣) فحصى الجبل: أسفل الجبل.

(٤) أخرجه أحمد فى المسند (٣٧٥/٣) وفى سيرة ابن كثير: (٨٩/٣) وقال الهيثمى فى المجمع: (١٢٣/٦)

رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع فالحديث بذلك صحيح.

(٥) قال الهيثمى فى المجمع (١٢٢: ١٢١/٦): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

رفع

عن الزعيم النخعي
(سنة النشر: ١٤٢١ هـ)

(اللهم إنك إن تشأ لا تُعبد في الأرض) (١).

هذا جبل يحبنا ونحبه

وفى طريق العودة يمر النبي ﷺ وأصحابه بجوار جبل أحد فيخبر النبي ﷺ أصحابه بأن هذا الجبل يحبهم وأنهم يحبونه.

* عن أنس رضى الله عنه قال: «أن رسول الله ﷺ طلع له أحد فقال: (هذا جبل يحبنا ونحبه، اللهم إن إبراهيم حرم مكة، وإني حرمت ما بين لابتيتها) (٢) - المدينة -».

من نوادر الحب والتضحية

ولما فرغ رسول الله ﷺ من دفن الشهداء والثناء على الله والتضرع إليه، انصرف راجعاً إلى المدينة، وقد ظهرت له نوادر الحب والتفاني من المؤمنين الصادقات، كما ظهرت من المؤمنين في أثناء المعركة.

* عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال: «مر رسول الله ﷺ بامرأة من بنى دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد، فلما نُعوا لها، قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين قالت: أرونيه حتى أنظر إليه؟، قال: فأشير لها إليه، حتى إذا رأيته، قالت: كل مصيبة بعدك جليل! تريد صغيرة» (٣).

النبي ﷺ يشهد لهؤلاء شهادة غالية

* عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «جاء (على) رضى الله عنه بسيفه يوم أحد قد انحنى، فقال لفاطمة رضى الله عنها: هاكى السيف حميداً، فإنها قد شفتنى فقال رسول الله ﷺ: (لئن كنت أجدت الضرب بسيفك، لقد أجاده سهل بن حنيف، وأبو دجانة، وعاصم بن ثابت بن الأفلح، والحارث بن الصمة) (٤).

(١) أخرجه مسلم (١٧٤٣) الجهاد والسير.

(٢) أخرجه البخارى (٤٠٨٤) المغازى - ومسلم (١٣٦٥) الحج.

(٣) ابن هشام فى السيرة (٩٩/٢) والبيهقى فى الدلائل: (٣٠٢/٣) والطبرى فى تاريخه: (٥٣٣/٢) بسند ابن إسحاق إلى سعد بن أبى وقاص وسنده حسن وقد صرح بالتحديث فزالت شبهة تدليس.

(٤) أخرجه الحاكم فى المستدرک: (٢٤/٣) وقال صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه ووافقه الذهبى وقال الهيثمى فى المجمع: (١٢٣/٦) رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح.

رفع

عن الشيخ المحقق
أسكنه الله الفردوس

غزوة حمراء الأسد

لما عاد أبو سفيان وأصحابه نظر بعضهم إلى بعض وتلازموا فيما بينهم وقال بعضهم لبعض: لم تصنعوا شيئاً، أصبتم شوكتهم وحدهم، ثم تركتموهم، وقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم، فارجعوا حتى نستأصل شأفتهم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فنادى في الناس، وندبهم إلى المسير إلى لقاء عدوهم، وقال: «لَا يَخْرُجُ مَعَنَا إِلَّا مَنْ شَهِدَ الْقِتَالَ»، فقال له عبد الله بن أبي: أركب معك؟ قال: «لا، فاستجاب له المسلمون على ما بهم من القرح الشديد والخوف، وقالوا: سمعاً وطاعة. واستأذنه جابر بن عبد الله، وقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي أَحِبُّ أَلَا تَشْهَدَ مَشْهَدًا إِلَّا كُنْتُ مَعَكَ، وَإِنَّمَا خَلَفَنِي أَبِي عَلَى بَنَاتِهِ، فَأَذَنْ لِي أَسِيرُ مَعَكَ، فَأَذَنْ لَهُ، فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ حَتَّى بَلَغُوا حَمْرَاءَ الْأَسَدِ^(١)، وَأَقْبَلَ مَعْبُدُ بْنُ أَبِي مَعْبُدٍ الْخُزَاعِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَسْلَمَ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَلْحَقَ بِأَبِي سَفْيَانَ، فَيُخَذِّلَهُ، فَلَحِقَهُ بِالرُّوحَاءِ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِإِسْلَامِهِ، فَقَالَ: مَا وَرَاءَكَ يَا مَعْبُدُ؟ فَقَالَ: مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ، قَدْ تَحَرَّقُوا عَلَيْكُمْ، وَخَرَجُوا فِي جَمْعٍ لَمْ يَخْرُجُوا فِي مِثْلِهِ. وَقَدْ نَدِمَ مَنْ كَانَ تَخَلَّفَ عَنْهُمْ مِنْ أَصْحَابِهِمْ... فَقَالَ: مَا تَقُولُ؟ فَقَالَ: مَا أَرَى أَنْ تَرْتَحِلَ حَتَّى يَطْلُعَ أَوَّلُ الْجَيْشِ مِنْ وَرَاءِ هَذِهِ الْأَكْمَةِ. فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَجْمَعْنَا الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ لِنَسْتَأْصِلَهُمْ. قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ، فَإِنِّي لَكَ نَاصِحٌ، فَارْجِعُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ إِلَى مَكَّةَ، وَلَقِيَ أَبُو سَفْيَانَ بَعْضَ الْمُشْرِكِينَ يَرِيدُ الْمَدِينَةَ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ أَنْ تُبَلِّغَ مُحَمَّدًا رِسَالَةَ، وَأَوْقِرَ لَكَ رَا حِلَّتِكَ زَيْبًا إِذَا أَتَيْتَ إِلَى مَكَّةَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَبْلِغْ مُحَمَّدًا أَنَا قَدْ أَجْمَعْنَا الْكُرَّةَ لِنَسْتَأْصِلَهُ وَنَسْتَأْصِلَ أَصْحَابَهُ، فَلَمَّا بَلَغَهُمْ قَوْلُهُ، قَالُوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(٢) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿آل عمران: ١٧٣، ١٧٤﴾^(٣).

(١) موضع على ثمانية أميال من المدينة عن يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة.

(٢) انظر الدر المنثور (١٠١/٢، ١٠٣) وشرح المواهب (٥٩/٢، ٦٤) وزاد المعاد (٣/٢٤١، ٢٤٢).

شبهة... والرد عليها

«عن عروة بن الزبير (رضي الله عنها) أن عائشة (رضي الله عنها) قالت له: يا ابن أختي! كان أبوك - يعني الزبير وأبا بكر - من ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ [آل عمران: ١٧٢].

لما انصرف المشركون من أحد، وأصاب النبي ﷺ وأصحابه ما أصابهم، خاف أن يرجعوا، فقال: من يتدب لهؤلاء في آثارهم، حتى يعلموا أن بنا قوة، فانتدب أبو بكر والزبير في سبعين، فخرجوا في آثار المشركين، فسمعوا بهم، فانصرفوا، قال تعالى: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَيْهِمْ فَصَلُّوا لِمَنْ يُنْسِفُهُمْ سَوْءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤] لم يلقوا عدواً^(١).

«قال الحافظ ابن كثير عقب ذكر هذا الحديث: «وهذا السياق غريب جداً، فإن المشهور عند أصحاب المغازي أن الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد كل من شهد أحد، وكانوا سبعمائة قُتل منهم سبعون وبقى الباقيون»^(٢). وقال الشامي: «والظاهر أنه لا تخالف بين قولي عائشة وأصحاب المغازي، لأن معنى قولها فانتدب لها سبعون أنهم سبقوا غيرهم، ثم تلاحق الباقيون»^(٣).

الأحكام الفقهية التي اشتملت عليها الغزوة

ولقد أورد الإمام القيم (ابن القيم) في كتابه القيم (زاد المعاد) كلاماً قيماً عن بعض الأحكام الفقهية التي اشتملت عليها غزوة أحد فكان منها:

«أن الجهاد يلزم بالشروع فيه، حتى إن من ليس لأمة وشرع في أسبابه، وتأهب للخروج، ليس له أن يرجع عن الخروج حتى يقاتل عدوه.

«ومنها: أنه لا يجب على المسلمين إذا طرقتهم عدوهم في ديارهم الخروج إليه، بل يجوز لهم أن يلزموا ديارهم، ويقاتلوهم فيها إذا كان ذلك أنصر لهم على عدوهم، كما أشار به رسول الله ﷺ عليهم يوم أحد.

(١) أخرجه البخاري (٤٠٧٧) المغازي.

(٢) سيرة ابن كثير (٣/ ١٠١).

(٣) زاد المعاد (٣/ ٢٤٣).

رفع

عبد الرحمن الفوزي
أسكنه الله الفردوس

ومنها: جوازُ سلُوكِ الإمام بالعسكرِ في بعض أملاك رعيته إذا صادفَ ذلك طريقه، وإن لم يرضَ المالكُ.

ومنها: أنه لا يأذنُ لمن لا يطيق القتالَ من الصبيان غير البالغين، بل يرُدُّهم إذا خرجوا، كما رد رسولُ الله ﷺ ابنَ عمرَ ومنَ معه.

ومنها: جوازُ الغزو بالنساء، والاستعانةُ بهنَّ في الجهاد.

ومنها: جوازُ الانغماس في العدو، كما انغمس أنسُ بنُ النضر وغيره.

ومنها: أن الإمامَ إذا أصابته جراحةٌ صلى بهم قاعداً، وصلوا وراءه قعوداً، كما فعلَ رسولُ الله ﷺ في هذه الغزوة، واستمرت على ذلك سنته إلى حين وفاته^(١).

ومنها: جوازُ دعاءِ الرجل أن يُقتل في سبيلِ الله، وتمنيهِ ذلك، وليس هذا من تمنى الموت المنهى عنه.

ومنها: أن السنة في الشهداء أن يُدفنوا في مصارعهم ولا يُنقلوا إلى مكانٍ آخر.

ومنها: جوازُ دفن الرجلين أو الثلاثة في القبر الواحد.

ومنها: أن من عذره الله في التخلف عن الجهاد لمرضٍ أو عرج، يجوز له الخروجُ إليه، وإن لم يجب عليه، كما خرج عمرو بن الجموح، وهو أعرج.

ومنها: أن المسلمين إذا قتلوا واحداً منهم في الجهاد يظنُّونه كافراً، فعلى الإمام ديةُ من بيت المال، لأن رسولَ الله ﷺ أراد أن يديَ اليمانَ أبا حذيفة، فامتنع حذيفةُ من أخذ الدية، وتصدقَ بها على المسلمين^(٢).

(١) وهو مذهب أسيد بن حضير، وجابر بن عبد الله، وأبي هريرة، وبه قال الأوزاعي وأحمد وحمام بن زيد، وإسحاق وابن المنذر، وقال مالك في إحدى روايته: لا تصح صلاة القادر على القيام خلف القاعد، وهو قول محمد بن الحسن، وقال الثوري والشافعي وأصحاب الرأي: يصلون خلفه قياماً. انظر «المغني» (٢/ ٢٢٠، ٢٢١) لابن قدامة، و«المحلى» (٥٩/ ٣) ونيل الأوطار (١٥٩/ ٣).

(٢) زاد المعاد (٣/ ٢١٨: ٢١١) بتصرف.

رفع

عبد الرحمن بن أبي بكر
أبو بكر بن أبي بكر

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

يكرهون، وفي حال ظفرهم وظفر أعدائهم بهم، فإذا ثبتوا على الطاعة والعبودية فيما يحبون وما يكرهون، فهم عبيدٌ حقاً، وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد من السراء والنعمة والعافية.

ومنها: أنه سبحانه لو نصرهم دائماً، وأظفرهم بعدوهم في كل موطن، وجعل لهم التمكين والقهر لأعدائهم أبداً، لطغت نفوسهم، وشمخت وارتفعت، فلو بسط لهم النصر والظفر، لكانوا في الحال التي يكونون فيها لو بسط لهم الرزق، فلا يصلح عباده الا السراء والضراء، والشدة والرخاء، والقبض والبسط، فهو المدبر لأمر عباده كما يليق بحكمته، إنه بهم خبير بصير.

ومنها: أنه إذا امتحنهم بالغلبة، والكسرة، والهزيمة، ذلوا وانكسروا، وخضعوا، فاستوجبوا منه العز والنصر، فإن خلعة النصر إنما تكون مع ولاية الذل والانكسار، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، وقال: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرَتْكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً﴾ [التوبة: ٢٥].

ومنها: أنه سبحانه هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته، لم تبلغها أعمالهم، ولم يكونوا بالغياها إلا بالبلاء والمحنة، فقيض لهم الأسباب التي توصلهم إليها من ابتلائه وامتحانه.

ومنها: أن النفوس تكتسب من العافية الدائمة والنصر والغنى طغياناً وركوئاً إلى العاجلة، وذلك مرض يعوقها عن جدّها في سيرها إلى الله والدار الآخرة.

ومنها: أن الشهادة عنده من أعلى مراتب أوليائه، والشهداء هم خواصه والمقربون من عباده، وليس بعد درجة الصّدّيقية إلا الشهادة، وهو سبحانه يحب أن يتخذ من عباده شهداء.

ومنها: أن الله سبحانه إذا أراد أن يهلك أعداءه ويمحقهم، قيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها هلاكهم ومحقهم، ومن أعظمها بعد كفرهم بغيهم، وطغيانهم، ومبالغتهم في أذى أوليائه، ومحاربتهم، وقتالهم، والتسلط عليهم، فيتمحص بذلك أولياؤه من ذنوبهم وعيوبهم، ويزداد بذلك أعداؤه من أسباب محقهم وهلاكهم.

ومنها: أن وقعة أحد كانت مقدمة وإرهاصاً بين يدي موت رسول الله ﷺ، فثبتهم،

رَفَعُ

عبد الرحمن الفيضاني
أسكنه الله الفردوس

ووبَّخهم على انقلابهم على أعقابهم أن مات رسول الله ﷺ، أو قُتِلَ، بل الواجبُ له عليهم أن يثبتوا على دينه وتوحيده ويموتوا عليه، أو يُقتلوا، فإنهم إنما يعبدون ربَّ محمد، وهو حيٌّ لا يموت.

※ قال تعالى:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] (١).

※ ※ ※

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
(أسكنه الله الفردوس)

من آثار غزوة أحد

لقد كان لغزوة أحد من الآثار الشئ الكثير إذ انتقض على الإسلام وأهله كثير ممن هادنهم أو مالأهم خوفاً منهم، وعلى الرغم مما فعله النبي عليه السلام وأصحابه من الخروج إلى حمراء الأسد وما أظهره من مظاهر البأس، إلا أن ما حدث في أحد جعل الأعراب يتجرءون ويبدءون بمحاولة مهاجمة المدينة والإغارة عليها ونهب أموالها وخيراتها.

ولقد جرأت الحادثة أيضاً اليهود في المدينة ليُظهروا حقدهم الدفين على الإسلام وأهله، ويسخرون من المسلمين علانية، ويكررون محاولاتهم الغادرة للكيد للإسلام وأهله، ولقد جرأت الحادثة أيضاً المنافقين ليظهروا نفاقهم، وينبثوا بين صفوف المسلمين يشيعون الشائعات والدسائس محاولين بذلك تمزيق الصف الإسلامي^(١).

(عبد الله بن أنيس) يقتل عدو الله (خالد بن سفيان الهذلي)

قال عبد الله بن أنيس: دعاني رسول الله ﷺ، فقال: «إنه قد بلغني أن ابن سفيان بن نبيح الهذلي يجمع لي الناس ليغزوني، وهو بنخلة أو بعرة، فأنه فاقتله». قلت: يا رسول الله، انعه لي حتى أعرفه. قال: «إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان، وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قشعيرة». قال: فخرجت متوشحاً سيفي، حتى دُفعت إليه وهو في ظعن يرتاد لمنزلاً وحيث كان وقت العصر؛ فلما رأيته وجدت ما قال رسول الله ﷺ من القشعيرة، فأقبلت نحوه، وخشيت أن تكون بيني وبينه بمحاولة تشغلني عن الصلاة، فصليت وأنا أمشي نحوه، وأومئ برأسي، فلما انتهيت إليه، قال: من الرجل؟ قلت: رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل، فجاءك لذلك. قال: أجل، إني لفي ذلك. قال: فمشيت معه شيئاً، حتى إذا أمكنتني حملت عليه بالسيف، فقتلته، ثم

رَفَعُ

عن (الرحمى) الحمري
(أسكنه الله الفردوس)

(١) صحيح السيرة النبوية (ص: ٣١٨).

خرجت، وتركت ظعائنه - نساءه - منكبات عليه؛ فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرأني، قال: «أفلح الوجه»؛ قلت: قد قتلته يا رسول الله، قال: «صدقت».

ثم قام، فأدخلني بيته، فأعطاني عصاً، فقال: «أمسك هذه العصا عندك يا عبد الله بن أنيس» قال: فخرجتُ بها على الناس، فقالوا: ما هذه العصا؟ قلت: أعطانيها رسول الله ﷺ. وأمرني أن أمسكها عندي. قالوا: أفلا ترجع إلى رسول الله ﷺ فتسأله لم ذلك؟ قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ. فقلت: يا رسول الله، لم أعطيتني هذه العصا؟ قال: «آيةٌ بيني وبينك يوم القيامة، إن أقلَّ الناس المتُخصَّرون^(١) يومئذ»، قال: فقرنها عبد الله ابن أنيس بسيفه، فلم تزل بسيفه حتى مات، ثم أمر بها فضُمَّت في كفنه، ثم دُفنا جميعاً^(٢).

يوم الرجيع

وقبل أن أذكر تفاصيل حادث يوم الرجيع أود أن أقدم بين يدي هذا الحادث قصة لعاصم بن ثابت - وهو أحد الذين قُتلوا في يوم الرجيع - لنعلم كيف يُكرم الله أوليائه وينصرهم إذا نصره ودينه وسنة نبيه ﷺ.

* فعاصم بن ثابت: هو جد عاصم بن عمر بن الخطاب. كان ممن أبلى وجالد يوم أحد.

وقد كان له مع (سلافة بنت سعد) شأن أي شأن؛ فقد خرجت مشركة مع زوجها طلحة وأولادها الثلاثة: (مسافع، والجلاس، وكلاب) إلى أحد، وبعد أن اشتد وطيس الحرب رأتهم مُمددين على سفوح أحد.

أما مسافع وكلاب، فكانا قد فارقا الحياة، وأما الجلاس فوجدته وما تزال به بقية من دماء.

أكبت سلافة على ابنها الذي يعالج سكرات الموت، ووضعت رأسه في حجرها،

(١) المتخصرون: أو المتحصرون: المتكئون على المخاصر: جمع مخصرة وهي ما يمسكه الإنسان بيده من عصا وغيرها. والمراد هنا: الذين يأتون يوم القيامة ومعهم أعمال ضالحة يتكئون عليها.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة باب صلاة الطالب حديث رقم: (١٢٤٩) باختصار أحمد المسند.

(٣/٤٩٦) البيهقي في السنن: (٣/٢٥٦) وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره: (١/٢٩٥) إسناده جيد،

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: (٢/٣٥٠) إسناده حسن.

وجعلت تمسح الدماء عن جبينه وفمه، وقد يبس الدمع في عينيه من هول الكارثة، ثم أقبلت عليه وهى تقول: من صرعتك يا بنى؟ فهم أن يجيبها، لكن حشجة الموت منعتهم، فألحت عليه بالسؤال، فقال: صرعتنى عاصم بن ثابت، وصرع أخى مسافعاً و... ثم لفظ آخر أنفاسه.

جنّ جنون سلافة بنت سعد وجعلت تعول وتنشج، وأقسمت باللات والعزى ألا تهدأ لها لوعة، أو ترقأ لعينيهما دمعة إلا إذا ثارت لها قريش من عاصم بن ثابت، وأعطتها قحف رأسه لتشرب فيه الخمر^(١).

✽ قال أبو جعفر الطبرى:

وجعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة، وشاع خبر نذرهما فى قريش، وجعل كل فتى من فتيان مكة يتمنى أن لو ظفر بعاصم بن ثابت وقدم رأسه لسلافة، حتى كان يوم الرجيع فى السنة الرابعة من الهجرة^(٢).

وها هى تفاصيل يوم الرجيع

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «بعث النبى ﷺ سرية عينا، وأمر عليهم عاصم بن ثابت - وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب - فانطلقوا حتى إذا كان بين عسفان ومكة ذكروا لحنى من هذيل يقال لهم بنو لحيان، فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتصوا آثارهم حتى أتوا منزلاً نزلوه، فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة، فقالوا: هذا تمر يثرب، فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم، فلما انتهى عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدقد وجاء القوم فأحاطوا بهم، فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلاً، فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل فى ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك... فقاتلوهم حتى قتلوا عاصماً فى سبعة نفر بالنبل، وبقي خبيب وزيد ورجل آخر، فأعطوهم العهد والميثاق فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم حُلُّوا أوتار قسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث الذى معهما: هذا أول الغدر فأبى أن يصحبهم فجروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه، وانطلقوا بخبيب وزيد، حتى باعوهما بمكة، فاشتري خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب هو قاتل الحارث يوم بدر، فمكث

(١) صور من حياة الصحابة (٢٢، ٢٣).

(٢) الجزء من جنس العمل / د. سيد حسين (٢/ ٤١، ٤٢).

رفع
عن الرجيع (الفتح)
أسكنه الله الفردوس

وكانت تقول: ما رأيت أسيراً قط خيراً من خُبيب، لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة، وإنه لموثق في الحديد، وما كان إلا رزق رزقه الله، فخرجوا به من الحرم ليقتلوه فقال: دعوني أصلي ركعتين، ثم انصرف إليهم فقال: لولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لزدت: فكان أول من سنَّ الركعتين عند القتل هو، ثم قال: اللهم أحصهم عدداً ثم قال^(١):

لَقَدْ أَجْمَعَ الْأَحْزَابُ حَوْلِي وَأَلْبَوْا
وَقَدْ قَرَّبُوا أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو غُرْبَتِي بَعْدَ كُرْبَتِي
فَذَا الْعَرْشَ صَبَّرَنِي عَلَى مَا يُرَادُ بِي
وَقَدْ خَيْرُونِي الْكَفَرَ وَالْمَوْتَ دُونَهُ
وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أَقْتُلَ مُسْلِمًا
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ

احفظ الله يحفظك

نرجع مرة أخرى إلى عاصم بن ثابت (رضى الله عنه) فإنه قبل أن يُقتل تذكر نذر (سُلَافَة) الذى نذرته وهو أنها نذرت أن تشرب الخمر فى رأس عاصم بعد قتله فقام عاصم وجرّد سيفه وهو يقول: اللهم إني أحمى لدينك وأدافع عنه، فاحم لحمي وعظمي، ولا تُظفر بهما أحداً من أعداء الله.

اللهم إني حميت دينك أول النهار فأحرم جسدي آخره. قال ابن إسحاق: فلما قُتل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه؛ لبيعوه من سلافة بنت سعد، فمَنَعَتْهُ الدَّبَرُ^(٢)، فلما

(١) أخرجه البخاري (٤٣٧/٧، ٤٣٨) المغازي - وأحمد (٣١٠/٢).

(٢) الدُّبُّرُ بالفتح: جماعة النحل والزَّنايير، ولذلك كان يقال: حمى الدُّبُّر، وكأن ذلك صار مثلاً.

حالت بينهم وبينه قالوا: دعوه حتى يمسي فيذهب عنه فتأخذه، فبعث الله الوادي فاحتمل عاصمًا فذهب به. وكان عاصم قد أعطى عهدًا أن لا يمسه مشركٌ ولا يمس مشركًا أبدًا تنجسًا. فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه أن الدبر منعت: يحفظ الله العبد المؤمن، كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك، ولا يمس مشركًا أبدًا في حياته، فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع في حياته^(١).

والجزء عند الله من جنس العمل.

يقول ابن سيد الناس في المقامات العلية في الكرامات الجليلة: أعطى الله عهدًا أن لا يمس مشركًا.

وعناية الرحمن تعصم عاصمًا عن أن ينال براحة أو أصبع
بالسيل بعد الدبر من أعدائه في مصرع أكرم به من مصرع^(٢)

أخذه السيل بعيدًا بعيدًا، ومضى به إلى حيث لا يعلمون.

وصان الله رأس عاصم الكريمة من أن يشرب في قحفها الخمر.

حمى دينه، فحمى جسده.

لم يمس مشركًا في دنياه، فلم يمسه مشرك بعد موته^(٣).^(٤)

(١) البداية والنهاية (٦٧/٣).

(٢) المقامات العلية (ص: ٧٢).

(٣) الجزء من جنس العمل (٤٣/٢، ٤٤).

(٤) قال الحافظ: وفي الحديث أن للأسير أن يمتنع من قبول الأمان ولا يمكن من نفسه ولو قُتل، أنفة من أن يجرى عليه حكم كافر، وهذا إذا أراد الأخذ بالشدة، فإن أراد الأخذ بالرخصة فله أن يستأمن. قال الحسن البصري: لا بأس بذلك. وقال سفيان الثوري: أكره ذلك... وفيه الوفاء للمشركين بالعهد، والتورع عن قتل أولادهم، والتلطف بمن أريد قتله، وإثبات كرامة الأولياء، والدعاء على المشركين بالتعميم، والصلاة عند القتل، وفيه إنشاد الشعر، وإنشاده عند القتل دلالة على قوة يقين خبيب وشدة في دينه. وفيه أن الله يتلى عبده المسلم بما شاء كما سبق في علمه ليثبه، ولو شاء ربك ما فعلوه، وفيه استجابة دعاء المسلم وإكرامه حيا وميتًا، وغير ذلك من الفوائد مما يظهر بالتأمل. وإنما استجاب الله له في حماية لحمه من المشركين ولم يمنعهم من قتله لما أراد من إكرامه بالشهادة ومن كرامته حمايته من هتك حرمة بقطع لحمه. وفيه ما كان عليه مشركو قريش من تعظيم الحرم والأشهر الحرم. [فتح الباري (٧/٤٤٤)، ٤٤٥].

رفع

عن الشيخ الفقيه
السيد الفقيه

حادثة بيئر معونة

ومع أن واقعة (يوم الرجيع) توجب على المسلمين أن يتبصروا قبل بعث أى وفد لنشر الإسلام بين القبائل البعيدة والمجاهل المريبة، إلا أن ضرورة بث الدعوة - مهما فدحت الخسائر - جعلت النبي ﷺ ينظر إلى هذه التضحيات على أنها أمرٌ لا بد منه.

كالتاجر الذى يتحمل المغارم الثقيلة حيناً من الدهر، لأن الإنسحاب من السوق بغية تجنبها - قضاء عليه - فهو يبقى متحملاً حتى تهب الريح من جديد رخاء تعوض ما فقد. وذلك سر استجابة الرسول لأبى براء عامر بن مالك الملقب بـ «ملاعب الأسنة» حين عرض عليه أن يرسل وفداً من الدعاة ينشرون الإسلام بين قبائل نجد^(١).

* عن أنس بن مالك رضى الله عنه: «أن رجلاً وذكوان وعصى وبني لحيان استمدوا رسول الله ﷺ على عدو فأمدهم بسبعين من الأنصار كنا نسميهم القراء فى زمانهم، كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل، حتى كانوا بيئر معونة قتلوهم، وغدروا بهم، فبلغ النبي ﷺ فقتل شهراً يدعو فى الصبح على أحياء من أحياء العرب على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان، قال أنس فقرأنا فيهم قرأنا، ثم إن ذلك رُفع: بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا»^(٢).

هكذا قتلوا غدرًا

* عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك وغيره أن عامر بن مالك الذى يدعى مُلاعب الأسنة قدم على رسول الله ﷺ (بهدية) وهو مشرك، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام وقال رسول الله ﷺ إنى لا أقبل هدية مشرك فقال عامر بن مالك ابعث يا رسول الله من رسلك من شئت فأنا لهم جار، فبعث رسول الله ﷺ رهطاً فيهم المنذر بن عمرو الساعدى، (وهو الذى يقال له أعتق ليموت) عيناً فى أهل نجد، فسمع بهم عامر ابن الطفيل، فاستنفر لهم من بنى سليم فنفروا معه، فقتلهم بيئر معونة غير عمرو بن أمية الضميرى...^(٣).

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ٣١٦).

(٢) أخرجه البخارى (٤٤٥/٧) المغازى - ومسلم (٤٦/١٣)، (٤٧) الإمارة.

(٣) ذكره الهيثمى فى المجمع (١٢٧/٦) وقال رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح ورواه أحمد عن أنس

(٣/٢١٠، ٢٧٠، ٢٨٩).

رفع

عبد الرحمن بن كعب بن مالك
الملقب بـ «ملاعب الأسنة»

(عامر بن فهيرة) رفع إلى السماء بعد ما قُتل

وفى الصحيح عن هشام بن عروة قال أخبرني أبي قال: لما قُتل الذين بيئر معونة وأسر عمرو بن أمية الضمري قال له عامر بن الطفيل: من هذا؟.. فأشار إلى قتيل فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فهيرة فقال: لقد رأيته بعد ما قُتل رُفِعَ إلى السماء حتى إنى لأنظر إليه بين السماء والأرض، ثم وضع، فأتى النبي ﷺ خبرهم فنعاهم، فقال: إن أصحابكم قد أصيبوا، وإنهم قد سألوا ربهم فقالوا: ربنا أخبر عنا إخواننا بما رضىنا عنك ورضيت عنا، فأخبرهم عنهم، وأصيب فيهم عروة بن أسماء بن الصلت فسمى عروة به، ومنذر بن عمرو سمي به منذراً^(١).

* وفى هذه القصة كرامة ظاهرة لعامر بن فهيرة (رضى الله عنه) ولعلكم تذكرون عامر بن فهيرة فهو مولى أبى بكر الصديق (رضى الله عنه) الذى كان يرعى له الغنم وكان يأتى باللبن إلى النبي ﷺ وصاحبه - عندما هاجرا من مكة إلى المدينة -.

* فيها هو يُقتل فيُرفع إلى السماء.. والجزاء من جنس العمل.. فقد كان عامر يرفع الطعام إلى فم النبي ﷺ فُرفع إلى السماء.

كانوا يقولون: إن الملائكة دفنته

ففى حديث عبد الرحمن بن كعب بن مالك أنه لما أخبر بحادثة بيئر معونة ومقتل أصحاب النبي ﷺ قال:

«.. وكان فيهم عامر بن فهيرة فزعم لى عروة - أحد الرواة - أنه قُتل يومئذ فلم يوجد جسده حين دفنوه كانوا يرون الملائكة هى دفنته..»^(٢).

والجزاء أيضاً من جنس العمل.. فكما كان عامر يدفن سر النبي ﷺ ويخفى آثاره - فى قصة الهجرة - فتولت الملائكة دفنه.

* * *

(١) أخرجه البخارى (٤٠٩٣) المغازى.

(٢) سبق تخريجه.

فُزت ورب الكعبة

وكان من بين الذين قُتلوا (حرام بن ملحان) - رضى الله عنه - الذى لما قُتل قال: فُزت ورب الكعبة.

عن أنس رضى الله عنه قال: «جاء ناس إلى النبى ﷺ فقالوا: أن ابعث معنا رجالاً يعلمونا القرآن والسنة، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم القراء فيهم خالى (حرام) يقرءون القرآن، ويتدارسون بالليل يتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه فى المسجد، ويحتطبون فيبيعونه، ويشتررون به الطعام لأهل الصفة وللفقراء، فبعثهم النبى ﷺ إليهم، فعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان، فقالوا: اللهم بلغ عنا نبينا، أنا قد لقيناك فرضينا عنك، ورضيت عنا، قال: وأتى رجل (حراماً) خال أنس من خلفه فطعنه برمح حتى أنفذه، فقال حرام: فزت ورب الكعبة، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: (إن إخوانكم قد قُتلوا، وإنهم قالوا: اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك، فرضينا عنك ورضيت عنا)^(١).

وعن أنس رضى الله عنه قال: «لما طعن حرام بن ملحان - وكان خاله - يوم بئر معونة قال بالدم هكذا، فنضحه على وجهه ورأسه، ثم قال: فزت ورب الكعبة»^(٢).

ما الذى فعله (عمرو بن أمية) فى طريق عودته

ورجع عمرو بن أمية الضمرى إلى النبى ﷺ حاملاً معه أنباء المصاب الفادح: مصرع سبعين من أفاضل المسلمين، تُذكر نكبتهم الكبيرة بنكبة أحد؛ إلا أن هؤلاء ذهبوا فى قتال واضح؛ وأولئك ذهبوا فى غدر شائنة.

ولما كان عمرو بن أمية فى الطريق بالقرقرة من صدر قناة، نزل فى ظل شجرة وجاء رجلان من بنى كلاب فنزلا معه، فلما ناما فتك بهما عمرو، وهو يرى أنه قد أصاب ثأر أصحابه، وإذا معهما عهد من رسول الله ﷺ لم يشعر به.

(١) أخرجه مسلم (٦٧٧) الإمامة - والبيهقى فى الدلائل (٣/ ٣٤٧).

(٢) أخرجه البخارى (٤٤٦/ ٧) المغازى.

النبي ﷺ يدعو على قتلة القراء

لقد تألم النبي ﷺ لأجل هذه المأساة، ولأجل مأساة الرجيع اللتين وقعتا خلال أيام معدودة تألماً شديداً وتغلب عليه الحزن والقلق، حتى دعا على هؤلاء الأقوام والقبائل التي قامت بالغدر والفتك في أصحابه.

ففي الصحيح عن أنس قال: «دعا النبي ﷺ على الذين قتلوا أصحابه بيثر معونة ثلاثين صباحاً، يدعو في صلاة الفجر على رعل وذكوان ولحيان وعصية، ويقول: «عصية عصت الله ورسوله، فأنزل الله تعالى على نبيه قرآناً قرآناه حتى نُسَخ بعد: «بلغوا قومنا أنا لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه» فترك رسول الله ﷺ قنوته»^(١).

غزوة بني النضير

وتفصيل ذلك الغزو أن النبي عليه الصلاة والسلام ذهب إلى منازل بني النضير ليستعين بهم في دية القتيلين اللذين قتلهما «عمرو بن أمية» لدى مرجعه من بئر معونة، فلما فاوضهم الرسول ﷺ في الأمر أظهروا الرضا بمعونته.

قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر، اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري، للجوار الذي كان رسول الله ﷺ عقد لهما، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحلف. فلما أتاها رسول الله ﷺ يستعينهم في ذينك القتيلين، قالوا: نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد - فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب (أحدهم) فقال: أنا لذلك فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال، ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي (رضوان الله عليهم) فأثنى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة، فلما استلبث النبي ﷺ أصحابه، قاموا في طلبه، فلقوا رجلاً من المدينة فسألوه عنه فقال: رأيتُه داخلًا المدينة، فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه ﷺ فأخبرهم الخبر بما كانت اليهود أرادت من

(١) أخرجه البخاري (٢٨١٤) ومسلم (٢٩٧) (٦٧٧).

رَفَعُ

عبد الرحمن القرني
أسكنه الله الفردوس

الغدر به، وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، قال ابن اسحاق: ثم سار بالناس حتى نزل بهم.

قال ابن هشام: وذلك في شهر ربيع الأول فحاصروهم ست ليال ونزل تحريم الخمر.

قال ابن إسحاق: فتحصنوا منه في الحصون، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها، فنادوه: أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعييه على من صنعه فما بال قطع النخيل وتحريقها.

وقال: كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبي بن سلول ووديعه ومالك بن أبي قوئل وسويد وداعس قد بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا فإننا لن نسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم وإن أخرجتم خرجنا معكم... فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وسألوا رسول الله ﷺ أن يُجلبهم ويكف عن دمائهم، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة ففعل، فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته على نجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به، فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام^(١).

* وفي رواية: فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الإبل إلا الحلقة - والحلقة: السلاح - فجاءت بنو النضير، واحتملوا ما أقلت الإبل من أمتعتهم، وأبواب بيوتهم، وخشبها، فكانوا يُخربون بيوتهم، فيهدمونها فيحملون ما وافقهم من خشبها، وكان جلاؤهم ذلك أول حشر الناس إلى الشام، وكان بنو النضير من سبط من أسباط بني إسرائيل، لم يُصِبه جلاء منذ كتب الله على بني إسرائيل الجلاء، فلذلك أجلاهم رسول الله ﷺ، فلولا ما كتب الله عليهم من الجلاء لعذبهم في الدنيا كما عذبت بنو قريظة، فأنزل الله ﷻ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ حتى بلغ ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر: ١-٦] وكان نخل بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة، فأعطاه الله إياها، وخصه بها، فقال: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ [الحشر: ٦] يقول: بغير قتال، قال فأعطى النبي ﷺ أكثرها للمهاجرين،

رَفَعُ

(١) السيرة لابن هشام (٣/١٥٨، ١٥٩).

وقسمها بينهم، «و» لرجلين من الأنصار كانا ذوى حاجة، لم يقسم لرجل من الأنصار غيرهما، وبقي منها صدقة رسول الله ﷺ فى يد بنى فاطمة^(١).

ونزلت سورة الحشر فى بنى النضير

* عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «قال سعيد بن جبير: قلت لابن عباس: سورة التوبة قال: التوبة هى الفاضحة وما زالت تنزل حتى ظنوا أنها لم تبق أحداً منهم إلا ذكر فيها، قال: قلت: سورة الأنفال قال: نزلت فى بدر قالت: سورة الحشر، قال: نزلت فى بنى النضير»^(٢).

اليهود هم اليهود

هذه صورة ثابتة من الغدر والخيانة المتأصلة فى نفوس اليهود، وقد رأينا من قبلها صورة أخرى من خيانتهم فيما أقدم عليه يهود بنى قينقاع، وتلك حقيقة تاريخية صدقتها الوقائع التى لا تحصى، وذلك هو سر اللعنة الإلهية التى حاقت بهم، وسجلها بيان الله تعالى فى قوله: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨].

قطع نخيل بنى النضير وإحراقها ثبت بالاتفاق، والذى أتلفه الرسول ﷺ من ذلك إنما هو البعض ثم ترك الباقي، وقد نزل القرآن تصويهاً لما أقدم عليه النبي ﷺ من ذلك قطعاً وإبقاءً، وذلك فى قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٥] وقد استدلل عامة العلماء بذلك على أن الحكم الشرعى فى أشجار العدو وإتلافها منوط بما يراه الإمام أو القائد من مصلحة النكاية بأعدائهم. وهذا الذى قلناه من إباحة قطع شجر الكفار أو إحراقه إذا اقتضت المصلحة هو مذهب نافع مولى ابن عمر، ومالك والثورى وأبى حنيفة والشافعى وأحمد وإسحاق وجمهور الفقهاء.

وروى عن الليث بن سعد وأبى ثور والأوزاعى القول بعدم جوازه^(٣).

(١) أخرجه عبد الرزاق (٩٧٣٣) وأبو داود (٢٠٠٤) والحاكم (٤٨٣/٢) وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخارى (٤٠٢٩) المغازى - ومسلم (٣٠٣١) التفسير.

(٣) باختصار من فقه السيرة للبطونى (٢٠٤ ، ٢٠٥) والجزء الأخير من شرح النووى على صحيح مسلم (٥٠/١٢).

رفع

عن (الرحمى) النجاشى
(أسكنه الله الفردوس)

اتفق الأئمة على أن ما غنمه المسلمون من أعدائهم بدون قتال وهو الفئء يعود النظر والتصرف فيه إلى ما يراه الإمام من المصلحة، وأنه لا يجب عليه تقسيمه بين الجيش كما تُقسَّم عليهم الغنائم التي غنموها بعد قتال وحرب، مستدلين على ذلك بسياسة ﷺ في تقسيم فئء بنى النضير، فقد خص به كما رأيت المهاجرين وحدهم وقد نزل القرآن تصويماً لذلك^(١).

غزوة بدر الثانية

وقد تقدّم أن أبا سفيان قال عند انصرافه من أحد: مَوْعِدُكُمْ وإيانا العام القابلُ ببدر، فلما كان شعبان، من العام القابل، خرج رسولُ الله ﷺ لموعده في ألف وخمسمائة، وكانت الخيلُ عشرةَ أفراس، وحَمَلَ لواءه على بن أبي طالب، واستخلفَ على المدينة عبدَ الله بن رواحة، فأنتهى إلى بدر، فأقام بها ثمانية أيام ينتظرُ المشركين، وخرج أبو سفيان بالمشركين من مكة، وهم ألفان، معهم خمسون فرساً، فلما انتهوا إلى مرّ الظهران - على مرّحلة من مكة - قال لهم أبو سفيان: إن العامَ عامُ جذب، وقد رأيتُ أنى أرجعُ بكم، فانصرفوا راجعين وأخلفوا الموعد، فسُميت هذه بدرُ الموعد، وتسمى بدرُ الثانية^(٢).

غزوة دومة الجندل

خرج إليها رسولُ الله ﷺ في ربيع الأول سنة خمس، وذلك أنه بلغه أن بها جمعاً كثيراً يريدون أن يدنوا من المدينة، وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة، وهى من دمشق على خمس ليال، فاستعمل على المدينة سباع بن عرفة الغفارى وخرج فى ألف من المسلمين ومعه دليل من بنى عذرة، يقال له: مذكور، فلما دنا منهم، إذا هم مغربون، وإذا آثار النعم والشاء فهجم على ماشيتهم ورعاتهم، فأصاب من أصاب، وهرب من هرب، وجاء الخبرُ أهل دومة الجندل، فتفرقوا، ونزل رسولُ الله ﷺ بساحتهم، فلم يجد فيها أحداً، فأقام بها أياماً، وبث السرايا، وفرق الجيوش، فلم يصب منهم أحداً، فرجع رسولُ الله ﷺ إلى المدينة، ووادع فى تلك الغزوة عيينة بن حصن^(٣).

(١) فقه السيرة للبوطى (٢٠٥) باختصار - نقلاً من وقفات تربوية.

(٢) الطبرى (٤١/٣) وابن سيد الناس (٥٣/٢) وشرح المواهب (٩٥، ٩٣/٢) وزاد المعاد (٢٥٥/٣).

(٣) شرح المواهب (٩٥، ٩٤/٢) وزاد المعاد (٢٥٥/٣ - ٢٥٦).

غزوة بنى المصطلق (المريسيع)

كان الإسلام دعوة تغالب النظام السائد... كانت مخاصمته تتخذ طريق الهجرة والتهجم دون مبالاة، فلما استقر له الأمر وتوفرت لأبنائه أسباب القوة، سلكت عداوته المسارب التي تسلكها الغرائز المكبوتة، فأمسى الكيد له يقوم على المكر والدس إلى جانب الوسائل الأخرى التي يعالِن بها الأقوياء. واثتمار الضعفاء في جنح الظلام لا يقل خطورة عن نكاية الأقوياء في ميادين الصدام. بل إن المرء قد يألم لإشاعة ملفقة كثر مما يألم لطعنة مواجهة.

وفى الحروب الفاجرة تُستخدم جميع الوسائل التي تصيب العدو، وإن كان بعضها يستحي من استخدامه الرجل الشريف!

وقد لجأ المنافقون في المدينة إلى مناوأة النبي ﷺ ودعوته بأسلوب تظهر فيه خسة النفس الإنسانية عندما يستبد بها الحقد، ويغلب عليها الضعف، أسلوب اللمز والتعريض حيناً، والإفك والافتراء حيناً آخر.

وكلما توطدت سلطة المسلمين ورسخت مكانتهم ازداد خصومهم المنافقون ضِعْفاً عليهم وترصباً بهم. وقد حاولوا تأييد اليهود عندما تأذّنهم الرسول ﷺ بالجللاء، فلما لم يقف أمام المدّ الإسلامي شيء، ولم تهده هزيمة. وأخذت القبائل العادية تختفي واحدة تلو أخرى، التحق أولئك المنافقون بصفوف المسلمين ولم تنكشف نيّاتهم السوء إلا على فلتات الألسنة ومزالق الطباع فكانت سيرتهم تلك مثار فتن شداد تأذى منها رسول الله والمؤمنون شيئاً غير قليل.

وظهر ذلك جلياً في غزوة «بنى المصطلق»^(١).

(١) فقه السيرة / للغزالي (ص: ٣٢٦).

دور المنافقين قبل غزوة بنى المصطلق

قدمنا مراراً أن عبد الله بن أبيّ كان يحنق على الإسلام والمسلمين، ولا سيما على رسول الله ﷺ حنقا شديداً، لأن الأوس والخزرج كانوا قد انفقوا على سيادته، وكانوا ينظمون له الخرز؛ ليتوجوه؛ إذ دخل فيهم الإسلام، فصرّفهم عن ابن أبيّ، فكان يرى أن رسول الله ﷺ هو الذي استلبه ملكه.

وقد ظهر حنقه هذا وتحرقه منذ بداية الهجرة قبل أن يتظاهر بالإسلام، وبعد أن تظاهر به... ركب رسول الله ﷺ مرة على حمار؛ ليعود - أي ليزور - سعد بن عباد، فمر بمجلس فيه عبد الله بن أبيّ، فحَمَر ابن أبيّ أنفه وقال: لا تُغَبِّروا علينا. ولما تلا رسول الله ﷺ على المجلس القرآن، قال: اجلس في بيتك ولا تغشنا في مجلسنا^(١).

وهذا قبل أن يتظاهر بالإسلام، ولما تظاهر به بعد بدر، لم يزل إلا عدواً لله ولرسوله وللمؤمنين، ولم يكن يفكر إلا في تشتيت المجتمع الإسلامي، وتوهين كلمة الإسلام، وكان يوالى أعداءه.

وكانت له اتصالات ببني النضير يؤامر معهم ضد المسلمين، حتى قال لهم: لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولئن قوتلتم لننصرنكم.

وكذلك فعل هو وأصحابه في غزوة الأحزاب من: إثارة القلق والاضطراب، وإلقاء الرعب والدهشة في قلوب المؤمنين ما قد قص الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢] إلى قوله: ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٠].

بيد أن جميع أعداء الإسلام من اليهود والمنافقين والمشركين كانوا يعرفون جيداً أن سبب غلبة الإسلام ليس هو التفوق المادى، وكثرة السلاح والجيوش والعدد؛ وإنما السبب هي القيم والأخلاق، والمثل التي يتمتع بها المجتمع الإسلامي، وكل من يمت بصلة إلى هذا الدين، وكانوا يعرفون أن منع هذا الفيض إنما هو رسول الله ﷺ الذي هو المثل الأعلى - إلى حد الإعجاز - لهذه القيم.

رَفَعُ

(١) أخرجه البخارى (٤٥٦٦)، ومسلم (١١٦) (١٧٩٨).

عبد الرحمن بن أبي بكر
أبو بكر بن أبي بكر

كما عرفوا بعد إدارة دفعة الحروب طيلة خمس سنين، أن القضاء على هذا الدين وأهله لا يمكن بطريق استخدام السلاح، فقرروا أن يشنوا حرباً دعائية واسعة ضد هذا الدين من ناحية الأخلاق والتقاليد، وأن يجعلوا شخصية الرسول أول هدف لهذه الدعاية، ولما كان المنافقون هم الطابور الخامس في صفوف المسلمين، ولكونهم سكان المدينة، كان يمكن لهم الاتصال بالمسلمين واستفزاز مشاعرهم كل حين... تحمل فريضة الدعاية هؤلاء المنافقون، وعلى رأسهم ابن أبي^(١).

متى كانت تلك الغزوة^(٢)

واختلف أهل العلم في وقت تلك الغزوة ... وحرصاً على تيسير مادة هذا الكتاب فلقد أوردت هذا المبحث في الهامش لمن أراد أن يقرأه.

(١) الرحيق المختوم (ص: ٣٥٤: ٣٥٦) بتصرف.

(٢) اختلف العلماء في ذلك وانحصرت أقوالهم فيها في ثلاثة أقوال، فمن قائل أنها سنة ست، قال بذلك ابن إسحاق وإمام المغازي، وتبعه على ذلك خليفة بن خياط، وابن جرير الطبري، وابن حزم، وابن عبد البر، وابن العربي، وابن الأثير، وابن خلدون، فقد صرح كل منهم بأن غزوة بنى المصطلق كانت في شعبان من السنة السادسة للهجرة.

ولابن حزم رأى آخر، وافقه عليه عدد من العلماء، منهم مالك بن أنس وموسى بن عقبة، والبخاري، وابن قتيبة ويعقوب بن سفيان الفسوي والنووي، وابن خلدون أنها كانت في شعبان من العام الرابع للهجرة.

وذهبت طائفة إلى أنها كانت في شعبان من السنة الخامسة للهجرة وذهب إلى هذا القول: موسى بن عقبة، وابن سعد، وابن قتيبة، والبلاذري، والذهبي، وابن القيم وابن حجر العسقلاني، وابن كثير رحمهم الله ومن المحدثين الخضرى بك، والغزالي، والبوطي، وأبو شعبة والشيخ الساعاتي، وهذا القول هو الأصح والأظهر، والله أعلم، لأن الأدلة كلها متظاهرة ومتفقة على تأييد هذا القول، ومن هذه الأدلة:

أ - روى البيهقي عن عروة، وموسى بن عقبة عن ابن شهاب الزهري أنه قال: «ثم قاتل بنى المصطلق وبنى لحيان في شعبان سنة خمس».

ب - قال ابن كثير: قال موسى بن عقبة عن الزهري: «هذه مغازي رسول الله ﷺ التي قاتل فيها، يوم بدر في رمضان سنة ثنتين، ثم قاتل يوم أحد في شوال سنة ثلاث، ثم قاتل يوم الخندق - وهو يوم الأحزاب وبنى قريظة - في شوال سنة أربع، ثم قاتل بنى المصطلق وبنى لحيان في شعبان سنة خمس».

ثم أورد ابن كثير قول البخاري عن موسى بن عقبة «أنها سنة أربع» وعقب عليه بقوله: هكذا رواه البخاري عن مغازي موسى بن عقبة أنها سنة أربع، والذي حكاه موسى بن عقبة، عن الزهري وعن عروة أنها كانت في شعبان سنة خمس».

وعقب ابن حجر العسقلاني في فتح الباري على قول البخاري «وقال موسى ابن عقبة سنة أربع» بقوله: «كذا ذكره البخاري، وكأنه سبق قلم أراد أن يكتب سنة خمس، فكتب سنة أربع، والذي في مغازي =

أحداث الغزوة

وسببها: أنه بلغه ﷺ أن رئيس بنى المصطلق (الحارث بن أبي ضرار) سار في قومه ومن قدر عليه من العرب يريدون حرب رسول الله ﷺ فبعث (بريدة بن الحصيب الأسلمي) للتحقق من الخبر، فأتاهم، ولقى الحارث بن أبي ضرار وكلمه ورجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر.

وبعد أن تأكد لديه ﷺ صحة الخبر ندب الصحابة، وأسرع في الخروج، وكان خروجه لليلتين خلتا من شعبان، وخرج معه جماعة من المنافقين لم يخرجوا في غزاة قبلها واستعمل على المدينة زيد بن حارثة، وقيل أبا ذر، وقيل نميلة بن عبد الله الليثي، وكان الحارث بن أبي ضرار قد وجه عيناً ليأتيه بخبر الجيش الإسلامي، فألقى المسلمون عليه القبض وقتلوه.

ولما بلغ الحارث بن أبي ضرار ومن معه مسير رسول الله ﷺ وقتله عينه، خافوا خوفاً شديداً، وتفرق عنهم من كان معهم من العرب، وانتهى رسول الله ﷺ إلى المريسيع - اسم لماء من مياههم في ناحية قديد إلى الساحل - فتهيئوا للقتال، وصف رسول الله ﷺ

= موسى بن عقبة من عدة طرق، أخرجها الحاكم، وأبو سعيد النيسابوري، والبيهقي في الدلائل، وغيرهم سنة خمس.

ولفظه عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب «ثم قاتل رسول الله ﷺ بنى المصطلق وبنى لحيان في شعبان سنة خمس» ويؤيده ما أخرجه البخاري في الجهاد (عن ابن عمر أنه غزا مع النبي ﷺ بنى المصطلق في شعبان سنة أربع) ولم يؤذن له في القتال، لأنه إنما أذن له فيه في الخندق كما تقدم، وهي بعد شعبان سواء قلنا أنها كانت خمس أو سنة أربع.

وقال الحاكم في الإكلیل: قول عروة وغيره أنها كانت في سنة خمس أشبه من قول ابن إسحاق. قلت: ويؤيده ما ثبت في حديث الإفك: أن سعد بن معاذ تنازع هو وسعد بن عباد في أصحاب الإفك كما سيأتي، فلو كانت المريسيع في شعبان سنة ست مع كون الإفك كان فيها، لكان ما وقع في الصحيح من ذكره سعد بن معاذ غلطاً، لأن سعد بن معاذ مات أيام قريظة، وكانت سنة خمس على الصحيح كما تقدم تقريره، وإن كانت كما قيل سنة أربع.

فيظهر أن المريسيع كانت سنة خمس في شعبان، لتكون قد وقعت قبل الخندق، لأن الخندق كانت في شوال من سنة خمس أيضاً، فتكون بعدها، فيكون سعد بن معاذ موجوداً في المريسيع ورؤي بعد ذلك بسهم ومات من جراحته في قريظة، ويؤيده أيضاً أن حديث الإفك كان سنة خمس، إذ الحديث فيه التصريح بأن القصة وقعت بعد نزول الحجاب، والحجاب كان في ذي القعدة سنة أربع عند جماعة، فيكون المريسيع بعد ذلك فيرجح أنها سنة خمس» [فتح الباري (٧/ ٤٣٠)].

عن (الرحمى) (الفتحى)
(أسكن) (الفتحى) (الرحمى)

أصحابه، وراية المهاجرين مع أبي بكر الصديق، وراية الأنصار مع سعد بن عباد، فتراموا بالنبل ساعة، ثم أمر رسول الله ﷺ فحملوا حملة رجل واحد، فكانت النصر. وانهزم المشركون، وقُتل من قُتل وسبى رسول الله ﷺ النساء والذرارى والنعم والنساء، ولم يُقتل من المسلمين إلا رجل واحد، قتله رجل من الأنصار ظناً منه أنه من العدو^(١).

وروى البخارى عن ابن عون أنه قال: «كتب إلى نافع فكتب إلى: إن النبى ﷺ أغار على بنى المصطلق وهم غارون وأنعمهم تسقى على الماء فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وأصاب يومئذ جويرية.. حدثنى به ابن عمر وكان فى ذلك الجيش»^(٢).

* وكان مسافع بن صفوان زوج جويرية بنت الحارث من العشرة الذين جندلتهم السيوف المسلمة، وأسروا سائرهم، وكانوا سبعمائة رجل، وغنموا أموالهم، وسبوا نساءهم وذراريهم، واستاقوا نعمهم وشاءهم، ونصر الله عز وجل رسوله نصرًا عزيزًا. وكان من جملة السبى جويرية بنت الحارث - بنت زعيم القبيلة -.

شعار المسلمين فى غزوة بنى المصطلق

وعن سنان بن وبرة قال: «كنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة المريسيع غزوة بنى المصطلق فكان شعارهم: «يا منصور أمت أمت»^(٣).

كان إسلامها وزواجها سبباً فى حصول الخير لقومها

عن عائشة أم المؤمنين قالت: لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بنى المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له وكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة ملاحية لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأنت رسول الله ﷺ تستعينه فى كتابتها قالت:

(١) زاد المعاد (٣/٢٥٦: ٢٥٧).

(٢) أخرجه البخارى (٢٠٢/٥) العنق، ومسلم (٣٦: ٣٥/١٢) الجهاد والسير.

(٣) مجمع الزوائد (٦/١٤٢)، وقال الهيمى: رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير وإسناده حسن، وهو كما قال الهيمى وإن كان فيه الحارث بن رافع الجهنى قال فيه فى التقريب مقبول عملاً بقاعدة تحسين الحديث للمستور إذا كان من التابعين كما هو مذهب ابن كثير وابن رجب رحمهما الله تعالى.

رقم

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها وعرفت أنه سىرى منها ما رأيت فدخلت عليه فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار سيد قومه، وقد أصابنى من البلاء ما لم يخف عليك فوقعت فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له، فكاتبته على نفسى، فجئتك أستعينك على كتابتى قال: «فهل لك فى خير من ذلك؟» قالت وما هو يا رسول الله.. «أقضى كتابتك وأتزوجك» قالت: نعم يا رسول الله قال: «قد فعلت» قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله تزوج جويرية بنت الحارث فقال الناس: أصهار رسول الله فأرسلوا ما بأيدهم قالت: فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها^(١).

الله أكبر.. أى نعيم وأى فخر هذا الذى نالته أم المؤمنين (جويرية). فمنذ لحظات كانت امرأة فى السبى وفجأة تنزل المنحة الإلهية لتجعلها مؤمنة تسير بقلبها وجوارحها فى قافلة الإيمان بل تجعلها فى مقدمة القافلة مع زوجها الذى قاد الكون كله للإيمان برب هذا الكون... محمد بن عبد الله ﷺ.

ودخلت بيت النبوة

وبعد ما كانت جويرية (رضى الله عنها) تعيش فى قصر أبيها ثم فى قصر زوجها (مسافع) انتقلت الآن إلى بيت أعظم زوج فى الدنيا كلها - محمد بن عبد الله ﷺ - الذى لم يكن يملك قصرًا ولا متاعًا زائلًا وإنما كان يملك سعادة الدنيا والآخرة - بإذن الله - تلکم السعادة التى تكمن فى شىء واحد ألا وهو: أن نحقق العبودية لله (جل وعلا).

* ودخلت (رضى الله عنها) إلى خدرها لتكون أمًا للمؤمنين وزوجًا لسيد الأولين والآخرين.

وعاشت أجمل أيام عمرها فى هذا البيت المتواضع ونسيت حياة الترف والثراء التى كانت تحياها من قبل.. فالدنيا كلها لا تساوى لحظة واحدة تقضيها بجوار الحبيب ﷺ الذى لو خير أى مسلم بين دنياه كلها وبين نظرة واحدة فى وجه الحبيب ﷺ لاختار تلك

رفع
عن الشيخ (العمري)
(سيرة النبي ﷺ)

(١) رواه أحمد (٢٧٧/٦) وأبو داود (٣٩٣١) وإسناده صحيح.

النظرة الغالية فكيف بمن تعيش معه وتصبح زوجة له لتكون من أهل البيت اللاتى قال الله تعالى فيهن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] (١).

محاولة المنافقين إثارة الفتنة بين المسلمين في هذه الغزوة

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: «كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار. فقال الأنصارى: يا للأنصار، وقال المهاجرى: يا للمهاجرين فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: ما بال دعوى جاهلية؟ قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال: دعوها فإنها متنة فسمع بذلك عبد الله بن أبى فقال: فعلوها؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ النبى ﷺ فقال عمر: يا رسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق. فقال النبى ﷺ: دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، وكانت الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدموا المدينة، ثم إن المهاجرين كثروا بعد» (٢).

إن الله قد صدقك يا زيد

عن زيد بن أرقم رضى الله عنه: قال: «خرجنا مع النبى ﷺ في سفر أصاب الناس فيه شدة، فقال عبد الله بن أبى لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله. وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعز منها الأذل. فأثيت النبى ﷺ فأخبرته، فأرسل إلى عبد الله بن أبى فسأله، فاجتهد يمينه ما فعل، قالوا: كذب زيد رسول الله ﷺ فوقع في نفسى ما قالوا شدة حتى أنزل الله - عز وجل - تصديقى في قوله: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ [المنافقون: ١] فبعث إلى النبى فقرأ فقال: (إن الله قد صدقك يا زيد) (٣).

(١) صحايات حول الرسول ﷺ / للمصنف (ص: ٢٣٠: ٢٣٢) بتصرف.

(٢) رواه البخارى (٥١٦/٧)، المغازى، ومسلم (١٢٠/١٧) صفات المنافقين وأحكامهم.

(٣) أخرجه البخارى (٤٩٠٥) التفسير، ومسلم (٢٥٨٤) البر والآداب والصلة.

لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمرى

فقى بعض الروايات:

فبينما رسول الله ﷺ على ذلك الماء، وَرَدَتْ واردةُ الناس، ومع عمر بن الخطاب أجبر له من بنى غفار، يقال له: جَهْجَاه بن مسعود^(١)، يقود فرسه، فازدحم جهجاه وسان بن وبر الجهني^(٢)، حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء، فاقتتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار، وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين، فغضب عبد الله بن أبي بن سلول، وعنده رَهْط من قومه فيهم: زيد بن أرقم، غلام حدث، فقال: أو قَدْ فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا، والله ما أعدنا وجلايب قريش إلا كما قال الأول: سَمَنَ كَلْبِكَ يَأْكُلُكَ، وأما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعزَّ منها الأذلَّ.

ثم أقبل على من حضره من قومه، فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم: أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم... فسمع ذلك زيد بن أرقم، فمشى به إلى رسول الله ﷺ، وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوه، فأخبره الخبر، وعنده عمر بن الخطاب، فقال: مُرْ به (عباد بن بشر) فليقتله، فقال له رسول الله ﷺ: «فكيف يا عمر إذا تحدّث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟ لا، ولكن أَدِّنْ بالرحيل»، وذلك فى ساعة لم يكن رسولُ الله ﷺ يرتحل فيها، فارتحل الناس^(٣).

وقد مشى عبد الله بن أبي بن سلول إلى رسول الله ﷺ حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه، فحلف بالله: ما قلت ما قال، ولا تكلمت به - وكان فى قومه شريفاً عظيماً - فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله، عسى أن يكون الغلام قد أوهم فى حديثه، ولم يحفظ ما قال الرجل، ... حذباً على ابن

(١) جهجاه بن مسعود: وقيل ابن قيس وقيل ابن مسعود الغفارى شهد بيعة الرضوان بالحديبية عاش إلى خلافة عثمان وقال ابن السكن مات بعد عثمان بأقل من سنة. [الإصابة ١/ ٢٦٥، أسد الغابة ١/ ٣٦٥].

(٢) سنان بن وبر الجهني: سنان بن وبرة أو وبر الجهني حليف بنى الحارث بن الخزرج. قال ابن حاتم عن أبيه هو الذى سمع عبد الله بن أبي يقول: لئن رجعنا إلى المدينة (الإصابة: ٣/ ١٣٥)، (أسد الغابة: ٢/ ٤٦٣).

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب المناقب (٦/ ٣٥١٨) ومسلم فى كتاب البر والصلة (٤/ ٦٣/ ١٩٩٨) بنحوه - وأخرجه الطبرى فى تفسيره (٢٨/ ٧٥) بطوله من طريق ابن إسحاق.

أبى بن سلول، ودفعاً عنه.

قال ابن إسحاق: فلما استقل رسول الله ﷺ وسار، لقيه أسيد بن حضير، فحيّاه بتحية النبوة وسلم عليه، ثم قال: يا نبي الله، والله لقد رُحْتُ في ساعة مُنْكَرَة، ما كنت تروح في مثلها، فقال له رسول الله ﷺ: «أو ما بَلَغَكَ ما قال صاحبكم؟» قال: وأى صاحب يا رسول الله؟ قال: عبد الله بن أبى، قال: وما قال؟ قال: زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليُخرجنَّ الأعز منها الأذل، قال: فأنت يا رسول الله، والله تُخرجُه منها إن شئت، هو والله الذليل وأنت العزيز، ثم قال: يا رسول الله، ارفُقْ به، فوالله لقد جاءنا الله بك، وإن قومه لينظّمون له الخرز ليتوجّوه، فإنه ليرى أنك قد استلبته مُلْكاً^(١).

ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم ذلك، حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياماً، وإنما فعل ذلك رسول الله ﷺ ليشغل الناس عن الحديث الذى كان بالأمس، من حديث عبد الله بن أبى إلى أن قال: وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحديث كان قومه هم الذين يعاتبونه، ويأخذونه ويعنفونه، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم: (كيف ترى يا عمر، أما والله لو قتلته يوم قلت لى اقتله لأرعدت^(٢)) له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته).

قال: قال عمر: «قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمرى»^(٣).

موقف عظيم فى الولاء والبراء

وها هو موقف عظيم فى الولاء والبراء يسطّره على جبين التاريخ هذا الصحابى الجليل عبد الله بن عبد الله بن أبى بن سلول - وهو ابن رأس المنافقين - ومع ذلك كان صحابياً جليلاً.

قال عبد الله بن عبد الله بن أبى بن سلول، يا رسول الله بلغنى أنك تريد قتل أبى فإن

(١) السيرة لابن هشام (٢٦٥/٣).

(٢) لأرعدت له أنف: انتفخت واضطربت أنوفهم حمية وعصبية.

(٣) سيرة ابن هشام: ٢٩٠/٢ - ٢٩٢ والحديث رجاله ثقات ولكنه مرسل، وابن جرير الطبرى فى تاريخه:

٦٠٥/٢، وله شاهد مرسل من طريق عروة عند ابن أبى حاتم قال فيه ابن حجر، أنه مرسل جيد فتح

البارى: ٦٤٩/٨، وأصله فى الصحيحين كما سبق من حديث زيد بن أرقم، وجابر بن عبد الله وبهذا

يكون الحديث حسناً لغيره.

كنت تريد ذلك فمرني بقتله فوالله إن أمرتني بقتله لأقتلنه، وإنى أخشى يا رسول الله، إن قتله غيرى أن لا أصبر عن طلب الثأر فأقتل به مسلماً فأدخل النار، وقد علمت الأنصار أنى من أبر أبنائها بأبيه. فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له وقال له: بر أباك، ولا يرى منك إلا خيراً، فلما وصل رسول الله ﷺ والمسلمون إلى المدينة من تلك الغزاة وقف عبد الله بن عبد الله بن أبي لآبيه بالطريق وقال: والله لا تدخل المدينة حتى يأذن لك رسول الله ﷺ بالدخول. فأذن رسول الله ﷺ بدخوله^(١).

* بل هناك موقف آخر نذكره - مع أنه لم يكن فى تلك الغزوة -

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: مرَّ رسول الله ﷺ بعبد الله بن أبى بن سلول وهو فى ظل أُطم^(٢) فقال ابن سلول: غبرَّ علينا ابنُ أبى كبشة^(٣) فقال ابنه عبد الله بن عبد الله ابن أبى بن سلول رضى الله عنه، يا رسول الله والذى أكرمك لئن شئت لأتيناك برأسه؟ فقال: «لا. ولكن بر أباك وأحسن صحبته»^(٤).

فوائد جلييلة

* فى هذه القصة بيان عزة الإيمان وأن الكافر ذليل والمنافق ذليل وكيف أن العزة لله جميعاً ولا تُطلب هذه العزة إلا بطاعة الله عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]. ولا أذل لعبد الله بن أبى رأس النفاق من وقوف ولده له وعدم سماحه بدخول المدينة حتى يأذن رسول الله ﷺ فبان بذلك من العزیز ومن الذلیل.

* فى القصة كذلك بيان أن المشروع أن يدفع بالمفسدة الصغرى المفسدة الكبرى، فادعاء الناس أن محمداً ﷺ يقتل أصحابه ممن يظهر الإسلام لا شك مفسدة عظيمة، فتحمل النبى ﷺ دسائس وغدرات ابن أبى وهى مفاصد دفعاً لهذه المفسدة والله أعلم.

* وفى القصة كذلك شرف النبى ﷺ وصبره على أذى المنافقين وهو أشرف النبيين وإمام المرسلين ولو أمر عبد الله بن عبد الله بن أبى بقتل أبيه لفعل وابتغى بذلك رضا

(١) الدرر فى اختصار المغازى والسير (١٨٩: ١٩٠).

(٢) الأطم: البناء المرتفع. انظر المعجم الوسيط ج ١ ص ٢٠.

(٣) أبى كبشة: أبو كبشة هو زوج حليلة السعدية مرضعة الرسول وذلك من باب التنقيص.

(٤) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد (ج ٩/ ٣١٨) وقال رواه البزار ورجاله ثقات.

الله عز وجل ورضا رسوله ﷺ ولكنه قال له: «بر أباك»، فصلى الله عليه وسلم تسليماً. ثم هو ﷺ لم يكن ليتقم لنفسه ولا ليغضب لنفسه بل يغضب لله عز وجل ولا شك أن ما لاقاه النبي ﷺ من إيذاء واستهزاء وصبره على ذلك من أسباب رفعة النبي ﷺ وعلو درجته زاده الله عز وجل تشريفاً وتكريماً وصلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً^(١).

والله يعصمك من الناس

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: «غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة نجد، فلما أدر كنا القائلة، وهو واد كثير العضاء، فنزل تحت شجرة واستظل بها وعلق سيفه، فتفرق الناس في الشجر يستظلون، وبينما نحن كذلك إذ دعانا رسول الله ﷺ فجئنا فإذا أعرابي قاعد بين يديه، فقال: إن هذا أتانى وأنا نائم فاخترط سيفى، فاستيقظت وهو قائم على رأسى مخترط سيفاً صلنا قال: من يمنعك منى؟ قلت: الله. فشامه ثم قعد، فهو هذا... قال ولم يعاقبه رسول الله ﷺ»^(٢).

فى هذه القصة تصديق لقول الله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]. وقد سبق ذلك كثيراً فى سيرة النبي ﷺ منها قصة أبى جهل قبحه الله عندما أراد أن يظأ النبي ﷺ، وهى فى صحيح مسلم، وقصة سراقة، وما حدث يوم أحد، وقصة إجلاء بنى النضير، وقصة الشاة المسمومة وستأتى فى غزوة خيبر.

وفىها قوة إيمان النبي ﷺ ورباطة جأشه، وثقته بربه، فكم من إنسان يتحقق صدق وعد الله عز وجل إلا أنه فى المواقف الحرجة تتزعزع هذه الثقة ويدخله الشك والخوف.

وفىها ما جبّل عليه النبي ﷺ من الأخلاق العالية، وعفوه عن الجاهلين، وعدم الانتصار لنفسه، والغضب لها، وعلى ذلك ينبغى أن يتربى الدعاة إلى الله عز وجل، فإنه قدوتهم ومثلهم الأعلى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]^(٣).

(١) وقفات تربوية مع السيرة النبوية/ أحمد فريد (ص: ٢٧٥: ٢٧٦).

(٢) رواه البخارى (٤٩٤/٧) المغازى.

(٣) وقفات تربوية (ص: ٢٧٧).

هبوب ريح شديدة لموت عظيم من المنافقين

عن عاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر، ومحمد بن يحيى بن حبان. «أن رسول الله ﷺ لما قفل من غزوة بنى المصطلق سلك بالناس طريق الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فوق النقيع يقال له نقعاء، فلما راح رسول الله ﷺ هبت على الناس ريح شديدة أذتهم، وتخوفوها، فقال رسول الله ﷺ: (لا تخافوها، فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار، فلما قدموا المدينة، وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بنى قينقاع، وكان عظيماً من عظماء يهود، وكهفاً للمنافقين، مات في ذلك اليوم...)»^(١).

وقد وصله الإمام مسلم، وعبد بن حميد، وأحمد من طريق آخر عن جابر دون ذكر أن الريح كانت في غزوة بنى المصطلق وسأكتفى هنا بإيراد رواية مسلم.

وعن جابر رضى الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قدم من سفر، فلما كان قرب المدينة هاجت ريح شديدة تكاد أن تدفن الراكب، فزعم أن رسول الله ﷺ قال: (بُعِثَتْ هَذِهِ الرِّيحُ لِمَوْتِ مَنَافِقٍ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَإِذَا مَنَافِقُ عَظِيمٍ مِنَ الْمَنَافِقِينَ قَدْ مَاتَ)^(٢). وبهذا الشاهد يُعلم أن حديث ابن إسحاق يصبح حسناً لغيره.

قصة الإفك

إن الابتلاء سنة ثابتة لا تبدل ولا تتغير... ولكن الابتلاء الذي تعرضت له أمنا عائشة (رضى الله عنها) كان ابتلاء يفتت الصخور والجبال ويعصف بالقلوب فلقد اتُّهِّمَتْ في أعز شيء تملكه المرأة - اتُّهِّمَتْ في عرضها - !!! إن هذا لهو البلاء العظيم ... عائشة (رضى الله عنها) تُتَّهَمُ في عرضها وهي الزهرة النقية النقية التي نبتت في حقل الإسلام وسُقِّيت بماء الوحي... ورسول الله ﷺ يُتَّهَمُ في عرضه وهو القائم على صيانة حُرُمَاتِ الأُمَّةِ وأَعْرَاضِ الْمُسْلِمِينَ... والصديق (رضى الله عنه) يُتَّهَمُ في عرض ابنته الغالية !!! وكان لحديث الإفك وقع أليم على قلب أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ... ومرت عليها وعلى البيت النبوى الطاهر والبيت البكرى الصادق أوقات قاسية حرجة، امتدت إلى شهر من الزمن، حتى نزل القرآن الكريم بالبراءة للعفيفة الصديقة بنت الصديق،

(١) سيرة ابن هشام: ٢/ ٢٩٢ وهو مرسل رجاله ثقات وصرح ابن إسحاق بالتحديث.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صفة المنافقين رقم: ٢٧٨٢ أحمد في المسند: ٣/ ٣١٥، ٣٤١، ٣٤٦، وأبو يعلى في مسنده: ٤/ ٢٠١، والطبري في تاريخه: ٢/ ٦٠٧، والبيهقي في الدلائل ٤/ ٦١.

وتحمل هذه البراءة شهادة مباركة للمؤمن صفوان بن المعطل الذي رُمى بالحديث الآثم، كما وسمت المنافقين بميسم الزور والبهتان الذي ظل يلاحقهم إلى النهاية.

لم تسترح نفوس المنافقين الذي رأوا انتصارات الإسلام تتوسع يوماً بعد يوم، ووجدوا أن مكانتهم بدأت تنحسر وتتلاشى إلى أن مقتهم مجتمعهم، فأرادوا - بزعمهم - أن يوجهوا ضربة قاصمة إلى النبي الكريم ﷺ، فرموا أمنا الطاهرة الصديقة بنت الصديق بالبهتان العظيم.

وكان عبد الله بن أبي بن سلول قد تولد النفاق والحسد في قلبه من أول يوم سمع فيه بالإسلام، وطفق يكيد للنبي ﷺ وللإسلام المكيدة تلو الأخرى، ولكن حكمة الله سبحانه كانت له وللمنافقين بالمرصاد، فكانت تلجمهم وتكبتهم^(١).

الصديقة وشدة البلاء

في حادثة الإفك كادت تكون فتنة عمياء، فقد أصابت المسلمين بهزة عنيفة زلزلت كيانههم، ولم يكن الناس فيها سواسية، ولكنهم كانوا مختلفين في آرائهم تجاه حادثة الافتراء والظلم.

فقد سكت بعضهم، فلم يدر من شدة الدهش والذهول ما يقول، وأفصح بعضهم بعظيمة العظائم، وقبيحة القبائح، وكع أناس عن الإفصاح بالحق في تنزيه حليمة النبي ﷺ الطاهرة المطهرة عائشة رضي الله عنها. وأنزل الله عز وجل عقابه على من جبن وسكت ولم يدفع الإفك والبهتان عن ساحة الطهر والكمال، الساحة النبوية البكرية، وادخر للمنافقين الذين صرحوا وكذبوا جهنم كلما خبت زادها سعيراً وتوقداً.

أجل لقد كان في هذا الحدث الجلل، من خطر الحديث وشدة البلاء، لرسول الله ﷺ ما لم يعلم مداه إلا العليم الخبير، ولكن رسول الله ﷺ كان إمام الصابرين، صبر أجمل الصبر، وعالج الأمر بحكمة هادئة، فقد كان همه أن يقي المجتمع المسلم من عواصف الفتن، وهزات المحن، وقواصم المكائد النفاقية المنبثقة عن بعض الرواسب الجاهلية.

كان هذا الحدث الخطير، لأم المؤمنين رضي الله عنها، زوجة سيد الخلق، وأحب الناس إليه، وأبويها وآلها، وخاصة المسلمين ما أقض مضاجعهم، ونشف الدمع في مآقيهم، وخصوصاً عائشة رضي الله عنها، حتى من الله عليها وعلى المؤمنين، فكشف

(١) نساء مبشرات بالجنة (ص: ١٨٠) بتصرف.

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الغمة، وفرج الكربة، وأنزل وحيه بالقرآن المجيد على رسوله الكريم محمد ﷺ بما لم يكن لأحد في الحسبان، حيث كان يظن أن يرى الرسول ﷺ رؤيا منامية في تبرئة أظهر الطاهرات، وأفقه الفقيهاة، أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق رضى الله عنهما.

لكن الله عز وجل أراد أن يجعل منها خصيصة ليرفع من شأن عائشة رضى الله عنها إظهاراً لشرفها الذاتى والاجتماعى، وتوضيحاً لمكانتها فى أهل البيت طهرراً وفضلاً وشرقاً وثقلاً فى ميزان الفضائل والمكارم الإنسانية والإيمانية لمكانتها من قلب رسول الله ﷺ^(١).

المبرة من فوق سبع سماوات

فتعالوا بنا لنعرف القصة كاملة ونرى مكانة أمنا عائشة عند الله (عز وجل) الذى أنزل براءتها من فوق سبع سماوات.

فعن عائشة رضى الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه. قالت عائشة: فأقرع بيننا فى غزوة غزاها فخرج سهمى، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما نزل الحجاب فأنا أحمل فى هودجى وأنزل فيه. فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل، فقمنا حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأنى أقبلت إلى رحلى، فإذا عقد لى من جزع أطفار قد انقطع، فالتمست عقدى وحسنى ابتغاؤه.

وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لى فاحتملوا هودجى، فرحلوه على بعيرى الذى كنت ركبته وهم يحسبون أنى فيه وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلهن اللحم إنما يأكلن العلقمة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدى بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فأمت منزل الذى كنت به وظننت أنهم سيفقدونى فيرجعون إلى، فبينما أنا جالسة فى منزل غلبتنى عينى فنامت وكان صفوان بن المعطل السلمى من وراء الجيش فأدلى، فأصبح عند منزلى، فرأى سواد إنسان نائم، فأتانى فعرفنى حين رأتى، وكان يرانى قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه^(٢) حين عرفنى، فخمرت وجهى بجلبابى،

(١) نساء أهل البيت (ص: ١٢٨ - ١٢٩).

(٢) أى بقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون.

والله ما كلمنى كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها، فانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين فى نحر الظهيرة، فهلك من هلك، وكان الذى تولى الإفك عبد الله بن أبى بن سلول، فقدمنا المدينة، فاشتكت حين قدمت شهراً، والناس يفيضون فى قول أصحاب الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك، وهو يرينى فى وجعى أنى لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذى كنت أرى منه حين أشتكى، إنما يدخل على رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول: كيف تبيكم، ثم ينصرف، فذاك الذى يرينى ولا أشعر بالشر، حتى خرجت بعدما نقهت، فخرجت معى أم مسطح قبل المناصع، وهو متبرزنا وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول فى التبرز قبل الغائط، فكنا نأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا.

فانطلقت أنا وأم مسطح - وهى ابنة أبى رهم بن عبد مناف، وأنها بنت صخر بن عامر خالة أبى بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاة - فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتى وقد فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح فى مرطها، فقالت: تعس مسطح. فقلت لها: بشى ما قلت، أتسبين رجلاً شهد بدرًا؟ قالت: أى هتاه أو لم تسمعى ما قال؟ قالت قلت: وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً على مرضى. فلما رجعت إلى بيتى ودخل على رسول الله ﷺ تعنى سلم ثم قال: كيف تبيكم؟ فقلت: أئاذن لى أن أتى أبوى قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما قالت: فأذن لى رسول الله ﷺ.

هموم وأحزان قصت الجبال

قالت: فجئت أبوى، فقلت لأمى: يا أمتاه ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية هوئى عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها. قالت فقلت: سبحان الله، أو لقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لى دمع، ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكى.

فدعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب وأسامة بن زيد رضى الله عنهما حين استلبت الوحي يستأمرهما فى فراق أهله. قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذى يعلم من براءة أهله، وبالذى يعلم لهم فى نفسه من الود فقال: يا رسول الله، أهلك، وما نعلم إلا خيراً.

رقع

عبد الرحمن بن عبد الرحمن
أسلمة بن أسلمة

وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك. قالت فدعا رسول الله ﷺ بريرة. فقال أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك؟ قالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق، إن رأيت عليها أمراً أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله فقام رسول الله ﷺ فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أبي بن سلول.

والله ما علمت على أهلى إلا خيراً

قال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي؟ فوالله ما علمت على أهلى إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلى إلا معى فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يا رسول الله وأنا أعذرک منه، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرک. قالت: فقام سعد بن عباد - وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية - فقال لسعد: كذبت لعمر الله، لا تقتله ولا تقدر على قتله.

فقام أسيد بن حضير - وهو ابن عم سعد بن معاذ - فقال لسعد بن عباد: كذبت لعمر الله لنقتله، فإنك منافق تجادل عن المنافقين. فتساور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت.

قالت: فمكثت يومى ذلك لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم.

قالت فأصبح أبواى عندى وقد بكيت ليلتين ويوماً لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لى دمع يظنان أن البكاء فالق كبدى. قالت: فبينما هما جالسان عندى وأنا أبكى فاستأذنت على امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكى معى.

كلمات تجعل القلب يبكى الدماء بدل الدموع

قالت: فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس، قالت ولم يجلس عندى منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه فى شأنى قالت: فتشهد رسول الله ﷺ وسلم حين جلس ثم قال: أما بعد، يا عائشة فإنه بلغنى عنك كذا وكذا،

رفع
عن الرجل العجوز
السكنى البقرة البروقى

فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه.

قصبر جميل

قالت: فلما قضى رسول الله مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبى: أجب رسول الله ﷺ فيما قال. قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. فقلت لأمى: أجبى رسول الله ﷺ قالت ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. قالت فقلت - وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن -: إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة - والله يعلم أنى بريئة - لا تصدقونى بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر - والله يعلم أنى منه بريئة - لتصدقنى. والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبى يوسف، قال: ﴿قَصْبَرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

هكذا أنزلت براءتها من فوق سبع سموات

قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشى قالت وأنا حينئذ أعلم أنى بريئة وأن الله مبرئى ببراءتى، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل فى شأنى وحيًا يتلى ولشأنى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله فى بأمر يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها. قالت: فوالله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق وهو فى يوم شات من ثقل القول الذى ينزل عليه.

قالت: فلما سرى عن رسول الله ﷺ سرى عنه وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها: يا عائشة، أما الله عز وجل فقد برأك. فقالت أمى: قومى إليه قالت فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله عز وجل. وأنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ﴾ [النور: ١١ - ٢٠] العشر الآيات كلها. فلما أنزل الله فى براءتى قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثاثه لقربته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذى قال لعائشة ما قال فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا يَأْتِلُ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا

رَفَعُ

جبر (الرحمى) النجدي
أسكن (البر) المروسي

تُجِبُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ [النور: ٢٢] قال أبو بكر: بلى والله، إني أحب أن يغفر الله لى. فرجع إلى النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبدا. قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب ابنة جحش عن أمرى فقال: يا زينب، ماذا علمت أو رأيت؟ فقالت: يا رسول الله، أحمى سمعى وبصرى، ما علمت إلا خيرا. قالت - وهى التى كانت تسامينى من أزواج رسول الله ﷺ - فعصمها الله بالورع، وطفقت أختها حمنة تحارب لها، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك»^(١).

ساعات المحنة

عندما يقف الإنسان يتدبر معانى الآيات الكريمة التى برأت عائشة (رضى الله عنها)، تجول فى خاطره تلك الساعات التى مر بها البيت النبوى، والبيت البكرى، وكيف تلقى النبى ﷺ هذا الخبر، وكيف صبر رسول الله ﷺ وآل أبى بكر تحت وطأة بلاء حديث الإفك؟!!

نعم لقد آذى رسول الله ﷺ ما بلغه عن عائشة أظهر الصادقات وأصدق الطاهرات، من أحبها مع أبيها حباً يفوق تصور المتصورين، فهو لا يعلم عن زوجه عائشة إلا خيراً، ولكن ما بال الناس يقولون عليها؟

لقد لبث رسول الله ﷺ تحت وطأة بلاء هذه المحنة القاسية صابراً صبراً لم يُعرف فى تاريخ النوازل والبلايا والخطوب لأحد من قبله، ولا لأحد من بعده، حتى نزلت آيات براءة عائشة بعد سبع وثلاثين ليلة من بداية المحنة، فقد بلغه ﷺ حديث الإفك عند وصوله إلى المدينة، بعد ظفره ببني المصطلق، تحدث به أهل النفاق ومرضى القلوب. ولا كته ألسنتهم وهم يعلمون أنهم كاذبون مفترون، يحسبونه هينا وهو عند الله عظيم.

وما بالك بحال آل أبى بكر؟!!

لم يكن حالهم أقل حزناً من حزن رسول الله ﷺ، فإنهم منذ بلغهم الإفك، وما تحدث به المنافقون وأتباعهم، وهم يزرحون تحت فجيرة هذا البلاء العاصف، لا يدرون ما يقولون، ولا ما يفعلون، تلاحقهم النظرات المتنوعة من كل مكان، وفى كل مكان. ولك أن تتخيل تلك اللحظات الحرجة، بل الساعات والأيام التى قضوها، وهم

(١) أخرجه البخارى (٤٧٥٠) كتاب التفسير - ومسلم (٢٧٧٠) وأحمد (١٩٤/٦، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧).

يعيشون مرارة المحنة، ولكنهم استسلموا لقضاء العزيز الحميد الذى له ملك السماوات والأرض، منتظرين حكمه بكشف الغمة التى أحاطت أثقالها بأكنافهم، وكان أمر النبى ﷺ أهم لديهم من أمر أنفسهم.

وصفت أم المؤمنين عائشة حالها، وحال أبويها فى أخرج لحظات البلاء التى أذابت فيهم عناصر الحركة النفسية والفكرية.. تقول عائشة: والله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبى بكر فى تلك الأيام^(١).

وقفة غالية

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: فما بال رسول الله ﷺ توقف فى أمرها وسأل عنها واستشار. وهو أعرف بالله وبمنزله عنده وبما يليق به، وهلا قال: سبحانك هذا بهتان عظيم كما قاله فضلاء الصحابة. فالجواب: أن هذا من تمام الحكم الباهرة التى جعل الله هذه القصة سبباً لها وامتحاناً وابتلاء لرسوله ﷺ ولجميع الأمة إلى يوم القيامة، ليرفع بهذه القصة أقواماً، ويضع بها آخرين، ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وإيماناً، ولا يزيد الظالمين إلا خساراً، واقتضى تمام الامتحان والابتلاء أن حبس عن رسول الله ﷺ الوحي شهراً فى شأنها ولا يوحى إليه فى ذلك شئ لتتم حكمته التى قدرها وقضاهها وتظهر على أكمل الوجوه، ويزداد المؤمنون الصادقون إيماناً وثباتاً على العدل والصدق وحسن الظن بالله ورسوله وأهل بيته والصديقين من عباده، ويزداد المنافقون إفكاً ونفاقاً، ويظهر لرسوله وللمؤمنين سرائرهم وتتم العبودية المرادة من الصديقة وأبويها، وتتم نعمة الله عليهم ولتشتد الفاقة والرغبة منها ومن أبويها والافتقار إلى الله، والذل له، وحسن الظن به، والرجاء له، ولينقطع رجاؤها من المخلوقين، وتبأس من حصول النصر والفرج على يد أحد من الخلق، ولهذا وقت هذا المقام حقه، لما قال لها أبواها: قومى إليه وقد أنزل الله عليه براءتها، فقالت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذى أنزل براءتى.

وأيضاً فكان من حكمة حبس الوحي شهراً أن القضية مُحَصَّتْ وتمحصت، واستشرفت قلوب المؤمنين أعظم استشراف إلى ما يوحى الله إلى رسوله فيها، وتطلعت إلى ذلك غاية التطلع، فوافى الوحي أحوج ما كان إليه رسول الله ﷺ وأهل بيته والصديق وأهله وأصحابه والمؤمنون، فورد عليهم ورود الغيث على الأرض أحوج ما

(١) نساء أهل البيت (ص: ١٣٧ - ١٣٨).

كانت إليه، فوقع منهم أعظم موقع وألطفه، وسرّوا به أتم السرور، وحصل لهم به غاية الهناء، فلو أطلع الله رسوله على حقيقة الحال من أول وهلة، وأنزل الوحي على الفور بذلك لفاتت هذه الحكم وأضعافها، بل أضعاف أضعافها. وأيضاً فإن الله سبحانه وتعالى أحب أن يظهر منزلة رسوله وأهل بيته عنده وكرامتهم عليه، وأن يخرج رسوله عن هذه القضية ويتولى هو بنفسه الدفاع والمنافحة عنه والرد على أعدائه وذمهم وعيهم بأمر لا يكون له فيه عمل، ولا ينسب إليه بل يكون هو وحده المتولى كذلك الدفاع لرسوله وأهل بيته^(١).

(١) زاد المعاد (٣/ ٢٦١ : ٢٦٣) نقلاً من كتاب «صحايبات حول الرسول ﷺ» للمصنف (ص: ١٣٤ : ١٤٤).

غزوة الخندق (الأحزاب)

وما أشبه اليوم بالأمس... فكما اجتمعت الأحزاب حول مدينة رسول الله ﷺ يريدون أن يستأصلوا شأفة الإسلام والمسلمين فيها هم اليوم يجتمعون مرة أخرى لإبادة المسلمين ولكن ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ [البروج: ٢٠].

سبب تسميتها بالخندق أو الأحزاب

قال الحافظ ابن حجر (رحمه الله):

فأما تسميتها الخندق فلأجل الخندق الذي حفر حول المدينة بأمر النبي ﷺ وكان الذي أشار بذلك سلمان فيما ذكر أصحاب المغازي منهم أبو معشر قال «قال سلمان للنبي ﷺ إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، فأمر النبي ﷺ بحفر الخندق حول المدينة، وعمل فيه بنفسه ترغيباً للمسلمين، فسارعوا إلى عمله حتى فرغوا منه، وجاء المشركون فحاصروهم... وأما تسميتها الأحزاب فلاجتماع طوائف من المشركين على حرب المسلمين، وهم قريش وغطفان واليهود ومن تبعهم، وقد أنزل الله تعالى في هذه القصة صدر سورة الأحزاب، وذكر موسى بن عقبة في المغازي قال «خرج حبي بن أخطب بعد قتل بنى النضير إلى مكة يحرض قريشاً على حرب رسول الله ﷺ، وخرج كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق يسعى في بنى غطفان ويحرضهم على قتال رسول الله ﷺ على أن لهم نصف ثمر خيبر، فأجابه عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري إلى ذلك، وكتبوا إلى حلفائهم من بنى أسد فأقبل إليهم طلحة بن خويلد فيمن أطاعه، وخرج أبو سفيان بن حرب بقريش فنزلوا بمر الظهران، فجاءهم من أجابهم من بنى سليم مدداً لهم فصاروا في جمع عظيم، فهم الذين سماهم الله تعالى الأحزاب»^(١).

رفع

عبد الرحمن النجدي
(سكنه الله الفردوس)

(١) فتح الباري (٧/٤٥٣: ٤٥٤).

متى كانت

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

وكانت في سنة خمس من الهجرة في شوال على أصح القولين، إذ لا خلاف أن أحدًا كانت في شوال سنة ثلاث، وواعدَ المشركون رسولَ الله ﷺ في العام المقبل، وهو سنة أربع، ثم أخلفوه لأجل جدب تلك السنة، فرجعوا، فلما كانت سنة خمس، جاؤوا لحربه... هذا قول أهل السير والمغازي.

وخالفهم موسى بن عقية وقال: بل كانت سنة أربع. قال أبو محمد بن حزم: وهذا هو الصحيح الذي لا شك فيه، واحتج عليه بحديث ابن عمر في «الصحيحين» أنه عُرِضَ على النبي ﷺ يوم أحد، وهو ابن أربع عشرة سنة، فلم يجزه، ثم عُرِضَ عليه يوم الخندق، وهو ابن خمس عشرة سنة، فأجازه^(١).

قال: فصَحَّ أنه لم يكن بينهما إلا سنة واحدة^(٢).

وأجيب عن هذا بجوابين، أحدهما: أن ابن عمر أخبر أن النبي ﷺ، رده لما استصغره عن القتال، وأجازه لما وصل إلى السن التي رآه فيها مطيقًا، وليس في هذا ما ينفي تجاوزها بسنة أو نحوها.

الثاني: أنه لعله كان يوم أحد في أول الرابعة عشرة ويوم الخندق في آخر الخامسة عشرة^(٣).

وقد رجح الحافظ ابن حجر أنها كانت في السنة الخامسة وقال: وهو المعتمد^(٤).

(١) أخرجه البخاري ٣٠٢/٧ في المغازي: باب غزوة الخندق، ومسلم (١٨٦٨) في الإمارة: باب بيان سن البلوغ.

(٢) «جوامع السيرة» ص ١٥٨، ونقل ابن كثير في كتاب «الفصول» ٥٦ قول ابن حزم هذا واحتجاه بحديث ابن عمر، وعلق عليه بقوله: هذا الحديث مخرج في «الصحيحين» وليس يدل على ما ادعاه ابن حزم، لأن مناط إجازة الحرب كانت عنده ﷺ خمس عشرة سنة، فكان لا يجيز من لم يبلغها، ومن بلغها، أجازه، فلما كان ابن عمر يوم أحد ممن لم يبلغها، لم يجزه، ولما كان قد بلغها يوم الخندق أجازه، وليس ينفي هذا أن يكون قد زاد عليها بسنة أو سنتين أو ثلاث أو أكثر من ذلك، فكأنه قال: وعُرِضَ عليه يوم الخندق، وأنا بالغ أو من أبناء الحرب.

(٣) زاد المعاد (٣/٢٦٩: ٢٧٠).

(٤) فتح الباري (٧/٤٥٤).

بين يدي الغزوة

عاد السلام والأمن، وهدأت الجزيرة العربية بعد الحروب والبعثات التي استغرقت أكثر من سنة كاملة، إلا أن اليهود - الذين كانوا قد ذاقوا ألواناً من الذلة والهوان نتيجة غدرهم وخيانتهم ومؤامراتهم ودسائسهم - لم يفيقوا من غيهم، ولم يستكينوا ولم يتعظوا بما أصابهم نتيجة الغدر والتآمر، فبعد نفيهم إلى خيبر ظلوا ينتظرون ما يحل بالمسلمين نتيجة المناوشات التي كانت قائمة بين المسلمين والوثنيين. ولما تحول مجرى الأيام لصالح المسلمين، وتخفضت الليالي والأيام عن بسط نفوذهم، وتوطد سلطانهم - تحرق هؤلاء اليهود أى تحرق. وشرعوا فى التآمر من جديد على المسلمين، وأخذوا يعدون العدة لتهينة ضربة إلى المسلمين تكون قاتلة لا حياة بعدها^(١).

فلقد أيقنت طوائف الكفار أنها لن تستطيع مغالبة الإسلام إذا حاربت كل طائفة منفردة وأنها ربما تبلغ أملها إذا رمت الإسلام كتلة واحدة، وكان زعماء يهود فى جزيرة العرب أبصر من غيرهم بهذه الحقيقة، فأجمعوا أمرهم على تأليب العرب ضد الإسلام وحشدتهم فى جيش كثيف ينازل محمداً ﷺ وصحبه فى معركة حاسمة^(٢).

سبب الغزوة

وكان سبب غزوة الخندق أن اليهود لما رأوا انتصار المشركين على المسلمين يوم أحد، وعلموا بميعاد أبى سفيان لغزو المسلمين، فخرج لذلك، ثم رجع للعام المقبل؛ خرج أشرفهم، كسلا بن أبى الحقيق، وسلام بن مشكم، وكنانة بن الربيع وغيرهم إلى قريش بمكة يحرضونهم على غزو رسول الله ﷺ، ويؤلبونهم عليه، ووعدوهم من أنفسهم بالنصر لهم، فأجابتهم قريش، ثم خرجوا إلى غطفان فدعوههم، فاستجابوا لهم، ثم طافوا فى قبائل العرب، يدعونهم إلى ذلك، فاستجاب لهم من استجاب، فخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان فى أربعة آلاف، ووافتهم بنو سليم بمر الظهران، وخرجت بنو أسد، وفزارة، وأشجع، وبنو مرة، وجاءت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن. وكان من وافى الخندق من الكفار عشرة آلاف^(٣).

(١) الرحيق المختوم (ص: ٣٢٣).

(٢) فقه السيرة / للغزالي (ص: ٣٣٥).

(٣) زاد المعاد (٣/ ٢٧٠ : ٢٧١).

حضر الخندق

وسارع رسول الله ﷺ إلى عقد مجلس استشارى أعلى، تناول فيه موضع خطة الدفاع عن كيان المدينة، وبعد مناقشات جرت بين القادة وأهل الشورى، اتفقوا على قرار قدمه الصحابي النبيل سلمان الفارسي - رضى الله عنه - قال سلمان: يا رسول الله، إنا كنا بأرض فارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، وكانت خطة حكيمة لم تكن تعرفها العرب قبل ذلك.

وأسرع رسول الله ﷺ إلى تنفيذ هذه الخطة، فوكل إلى كل عشرة رجال أن يحفروا من الخندق أربعين ذراعاً^(١).

ولما كانت المدينة تحيط بها الحرات والجبال وبساتين من النخيل من كل جانب سوى الشمال، وكان النبي ﷺ يعلم كخبير عسكري حاذق أن زحف مثل هذا الجيش الكبير، ومهاجمة المدينة - لا يمكن إلا من جهة الشمال، اتخذ الخندق في هذا الجانب.

وواصل المسلمون عملهم في حفرة، فكانوا يحفرونه طول النهار، ويرجعون إلى أهلهم في المساء حتى تكامل الخندق حسب الخطة المنشودة قبل أن يصل الجيش الوثني العرمرم إلى أسوار المدينة^(٢).

* وعن أنس (رضى الله عنه) قال: «خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال: (اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة). فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً

وفى لفظ آخر قال: «جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة، وينقلون التراب على متونهم وهم يقولون:

نحن الذين بايعوا محمداً على الإسلام ما بقينا أبداً

قال يقول النبي ﷺ وهو يجيهم (اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة، فبارك في الأنصار

(١) الرحيق المختوم (ص: ٣٢٧).

(٢) ابن هشام (٣/ ٣٣١).

رَفَعُ

عبد الرحمن بن عبد الرحمن
(أسكنه الله الفردوس)

والمهاجرة) قال: يؤتون بملء كفى من الشعير، فيصنع لهم بإهالة^(١) سنخ توضع بين يدي القوم، والقوم جياع، وهى بشعة فى الحلق ولها ريح متنة^(٢)... وكان النبى ﷺ ينقل معهم التراب - وياله من تواضع -.

وعن البراء بن عازب قال: «لما كان يوم الأحزاب، وخندق رسول الله ﷺ، رأيته ينقل من تراب الخندق، حتى وارى عنى التراب جلدة بطنه - وكان كثير الشعر - فسمعتة يرتجز بكلمات ابن رواحة، وهو ينقل من التراب يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا ضلينا
فأنزلن سكينه علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أينا

قال: ثم يمد صوته بآخرها^(٣).

* إن الدفاع عن الإسلام ومخافة الفتنة لو انتصر المشركون جعلت الرسول ﷺ وصحابته يعالجون هذا العمل الثقيل، ونفوسهم راضية مغتبطة مع ما يلقون فيه من عناء وصعوبة.

ولا تحسبن عمل رسول الله ﷺ فى تعميق الخندق وقذف أثرته من قبيل التمثيل الذى يحسنه بعض الزعماء فى عصرنا. كلا.. كلا. إن الرجولة الكادحة الجادة فى أنبل صورها. كانت تُقتبس من مسلك الرسول ﷺ فى هذه المعركة^(٤).

إن العدالة والمساواة هما الأساس الواقعى الذى تنبثق منه القيم والمبادئ الإسلامية عامة ظاهراً وباطناً.

فأنت تجد أن رسول الله ﷺ لم يندب المسلمين إلى حفر الخندق، ثم ذهب يراقبهم فى قصر منيف له مستريحاً هادئاً، ولا أقبل إليهم فى احتفال صاحب رنان ليمسك معول

(١) الإهالة: الدهن الذى يؤدم به سواء كان زيتاً أو سمناً أو شحماً.

(٢) أخرجه البخارى فى المغازى باب غزوة الخندق حديث رقم: ٤٠٩٩ - ٤١٠٠)، مسلم فى صحيحه الجهاد والسير باب غزوة الأحزاب وهى الخندق حديث رقم: ١٨٠٥، الفتح الربانى: ٧٧/٢١.

(٣) أخرجه البخارى فى المغازى باب غزوة الخندق حديث رقم: ٤١٠٦، ٤١٠٤، مسلم فى صحيحه الجهاد والسير باب غزوة الأحزاب رقم: ١٨٠٣.

(٤) فقه السيرة/ للغزالي (ص: ٣٣٧).

أحدهم بأطراف أصابعه، فيضرب به ضربة واحدة في الأرض إيداناً يبدأ العمل وتخيلاً لهم أنه قد شاركهم في ذلك، ثم يلقي المغول ويدير إليهم ظهره، ينفذ عن حُلته ما قد علق بها من ذرات غبار..

ولكن رسول الله ﷺ قد انخرط في العمل كأى واحد من أصحابه، حتى لبس ثوباً من الأتربة والغبار على جسمه فما تفرقه عن أى عامل آخر من صحبه وإخوانه، يرتجزون لينشط بعضهم بعضاً، يرتجز معهم، ويتعبون ويجوعون فيكون أولهم تعباً وجوعاً. وتلك هى حقيقة ما أقامته الشريعة الإسلامية من مساواة بين الحاكم والمحكوم والغنى والفقر والصلوك والأمير^(١).

معجزات الرسول ﷺ فى غزوة الخندق

عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: «لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق عرضت لنا فى بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول، فاشتكيانا إلى رسول الله ﷺ فجاءنا فأخذ المعول فقال: (بسم الله، فضرب ضربة فكسر ثلثها، وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة، ثم ضرب الثانية، فقطع الثلث الآخر فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن أبيض، ثم ضرب الثالثة، وقال: بسم الله فقطع بقية الحجر فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا الساعة)^(٢).

وعن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - قال: «لما حفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خَمْصاً شديداً - من أثر الجوع - فانكفيتُ إلى امرأتى فقلت: هل عندك شىء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خَمْصاً شديداً. فأخرجت إلى جراباً فيه صاعٌ من شعير، ولنا بُهيمَةٌ داجن فذبحتها، وطحنت الشعير، وفرغت إلى فراغى، وقطعتها فى برمتها. ثم وليت إلى رسول الله ﷺ. فقالت: لا تفضحنى برسول الله ﷺ وبمن معه. فجئت فسااررته - كلمته سراً - فقلت: يا رسول الله ذبحنا بُهيمَةً لنا وطحنا صاعاً من شعير كان عندنا، فتعال أنت ونفر معك، فصاح النبي ﷺ: يا أهل الخندق، إن جابراً قد صنع سُوراً، فحى هلا بكم

(١) فقه السيرة النبوية/ للبوطى (ص: ٢١٨: ٢١٩).

(٢) أخرجه أحمد فى المسند: (٣٠٣/٤) والنسائى فى الجهاد باب غزوة الترك: (٤٣/٦ - ٤٤) والبيهقى فى

الدلائل: (٤١٧/٣ - ٤١٨) وحسن إسناده الحافظ فى الفتح (٣٩٧/٧).

فقال رسول الله ﷺ: لا تُنزلن برمتكم، ولا تحبزن عجينكم حتى أجيء، فجيئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس، حتى جئت امرأتى فقالت: بك وبك - تعاتبه - فقلت: قد فعلت الذى قلت. فأخرجت له عجيناً، فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك. ثم قال: ادع خابزةً فلتخبز معى. واقدحى من برمتكم ولا تنزلوها، (وهم ألف)، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هى، وإن عجيننا ليخبز كما هو^(١).

* لقد كان الذى دفع جابراً إلى دعوته ﷺ، ما اكتشفه من شدة جوعه عليه الصلاة والسلام حينما رأى الحجر المربوط على بطنه الشريف، ولم يكن فى بيته من الطعام إلا ما يكفى لبضعة أشخاص، فاضطر إلى أن يجعل الدعوة على قدر ما عنده من الطعام. ولكن كيف يتصور أن يترك النبي ﷺ أصحابه فى غمرة العمل وهم يتضورون مثله جوعاً، لينفرد عنهم مع ثلاثة أو أربعة من أصحابه يستريحون ويأكلون، وإنه لأشفق على أصحابه من شفقة الأم على أولادها؟!!

أما جابر فقد كان مضطراً إلى ما فعل، وكان ذلك منه طبيعياً، إذ إنه - كأي مفكر من الناس - لم يكن يملك إلا أن يتصرف حسب ما لديه من الأسباب المادية، والطعام الذى لديه، لا يكفى فيما يُجمع عليه عرف البشر إلا لهذا العدد اليسير، فليختص به إذن رسول الله ﷺ ومن يشاء من بعض أصحابه فى حدود ضيقة.

ولكنه عليه الصلاة والسلام، لم يكن من شأنه أن يتأثر بنظرة جابر هذه، فهو أولاً لا يمكن أن يتميز عن أصحابه بشيء من النعمة أو الراحة. وهو ثانياً لا يمكن أن يأسر نفسه تحت سلطان الأسباب المادية وحدودها التى ألفها البشر، فالله وحده مسبب الأسباب وخالقها، ومن اليسير عليه سبحانه أن يجعل من الطعام اليسير كثيراً، وأن يبارك فى القليل منه حتى يكفى القوم كلهم.

ومهما يكن، فقد رأى النبي ﷺ أنه وأصحابه متضامنون متكافلون يتقاسمون النعمة بينهم مهما قلت كما يتقاسمون بينهم المحنة مهما عظمت وكثرت!... فمن أجل ذلك أرسل جابراً إلى داره ليهيئ لهم الطعام، وانفتل هو إلى عامة القوم يناديهم أن يقبلوا جميعاً إلى صنعة كبرى لهم فى دار جابر^(٢).

(١) أخرجه البخارى (٤١٠٢) كتاب المغازى.

(٢) فقه السيرة النبوية/ للبوطى (ص: ٢٢٠).

موقف المؤمنين والمنافقين عند رؤية الأحزاب

فلما انسابت الأحزاب حول المدينة وضيقوا عليها الخناق لم تضر نفوس المسلمين بل جابهوا الحاضر المرهم موطدو الأمل في غد كريم.

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

أما الواهنون والمترابون ومرضى القلوب. فقد تندرأوا بأحاديث الفتح، وظنوها أمانى المغرورين، وقالوا عن رسول الله ﷺ: يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأنتم تحفرون الخندق لا تستطيعون أن تذهبوا للغائط.

وفيهما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢] (١).

موقف مخز للمنافقين

ولما شرع الرسول ﷺ والمؤمنون في حفر الخندق كان المؤمنون يواصلون العمل، وإن كانت لأحدهم حاجة ضرورية استأذن رسول الله ﷺ فأذن له فيذهب إلى أهله فيقضى حاجته ويعود، أما المنافقون فإن أحدهم يُورى بقليل من العمل ثم يذهب إلى أهله بدون إذن ولا استئذان في خفاء فأنزل الله تعالى فيهم قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا﴾ (٢) فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴿[النور: ٦٣].

ونزل في المؤمنين الصادقين ثناء الله عليهم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٦٢]. (٣)

(١) فقه السيرة/ للغزالي (ص: ٣٣٨: ٣٣٩).

(٢) مستترين بشيء عند الهرب من العمل حتى لا يروا.

(٣) هذا الحبيب يا محب/ الجزائري (ص: ٣٠٣).

رَفَعُ

عبد الرحمن (الخمري)
أسكنه الله الفردوس

والله لا نعطيهم إلا السيف

ولما تكالبت قُوى الشرك بكتائبها الهائلة، وكادت تُغرق القلة المؤمنة، أراد رسول الله ﷺ أن يعقد صلحاً منفرداً بينه وبين غطفان، وسيديها: عيينة بن حصن والحارث بن عوف، على أن تفك غطفان الحصار عن المدينة، وتنسحب بجيوشها وتخلد الأحزاب، على أن يعطيهم رسول الله ﷺ ثلث ثمار نخل المدينة، واستشار رسول الله ﷺ السعد بن (سعد بن معاذ وسعد بن عباد)، فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله، قد كنا نحن وهؤلاء القوم - يعنى غطفان - لا يطمعون أن يأكلوا منا ثمرة، إلا قرى^(١) أو بيعاً، وإن كانوا ليأكلون العلهز^(٢) فى الجاهلية فى الجهد، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له، وأعزنا بك وبه نُقطِعهم أموالنا؟! ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف، حتى يحكم الله بيننا وبينهم. ثم خرج سعد إلى سيدى غطفان وقد رفع صوته فى تحدٍّ: ارجعا، ليس بيننا وبينكم غير السيف^(٣).

يا للرجال! فى وقت بلغت فيه القلوب الحناجر من شدة الكرب وتقاطر البلى! كلمات تصدر من فم الصادق سعد، تتفجر منها ينباع الرجولة والشجاعة والأنفة، فتبث الأمل فى نفوس المسلمين، وتدهش سيدى غطفان؛ فيفيقوا، ويعلمهم سعد أن الذى يصنع النصر قوة العقيدة، وزخم الإيمان بالله والثقة به^(٤).

شغلهم المشركون عن الصلاة

وقد حاول المشركون فى بعض الأيام محاولة بليغة لاقتحام الخندق أو لبناء الطرق فيها، ولكن المسلمين كافحوا مكافحة مجيدة، ورشقوهم بالنبل وناضلوهم أشد النضال حتى فشل المشركون فى محاولتهم.

ولأجل الاشتغال بمثل هذه المكافحة الشديدة فات بعض الصلوات عن رسول الله ﷺ والمسلمين^(٥).

(١) (٢) القرى: الضيافة، والعهز: وبر يُخلط بدماء اللحم، كانت العرب فى الجاهلية تأكله فى الجذب.

(٣) زاد المعاد (٣/٢٧٣).

(٤) علو الهمة/ د. سيد حسين (٣/٣٧٢).

(٥) الرحيق المختوم (ص: ٣٣٣).

* عن علي رضي الله عنه «عن النبي ﷺ أنه قال يوم الخندق: ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم ناراً كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس»^(١).

وعن جابر بن عبد الله «أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء يوم الخندق بعد ما غربت الشمس جعل يسب كفار قريش وقال: يا رسول الله، ما كدت أن أصلي حتى كادت الشمس أن تغرب قال النبي ﷺ: والله ما صليتها: فنزلنا مع النبي ﷺ بطحان، فتوضأنا لها، فصلّى العصر بعد ما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب»^(٢).

* ومن هنا يؤخذ أن محاولة العبور من المشركين، والمكافحة المتواصلة من المسلمين دامت أياماً، إلا أن الخندق لما كان حائلاً بين الجيشين لم يجز بينهما قتال مباشر وحرب دامية، بل اقتصر على المراماة والمناضلة.

وفى هذه المراماة قتل رجال من الجيشين، يعدون على الأصابع ستة من المسلمين وعشرة من المشركين، بينما كان قتل واحد أو اثنين منهم بالسيف^(٣).

هكذا تكون البطولة

وكره فوارس من قريش أن يقفوا حول المدينة على هذا النحو، فإن فرض الحصار وترقب نتائجه ليس من شيمتهم. فخرج عمرو بن ود، وعكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الخطاب، وأقبلوا تعنق بهم خيلهم حتى وقفوا على حافة الخندق. فلما رأوه قالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها.

ثم تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق. وضربوا خيلهم فاقتحمته، وأحس المسلمون الخطر المقرب، فأسرع فرسانهم يسدون هذه الثغرة يقودهم علي بن أبي طالب.

وقال (علي) لعمرو بن ود، وهو فارس شجاع معلّم: يا عمرو.. إنك عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه. قال: أجل. فقال له علي: فإني أدعوك إلى الله ورسوله وإلى الإسلام. قال عمرو:

لا حاجة لي بذلك. قال علي: فإني أدعوك إلى النزال. فأجاب عمرو: ولم يا ابن

(١) أخرجه البخاري (٤١١١) كتاب المغازي.

(٢) أخرجه البخاري (٤١١٢) كتاب المغازي.

(٣) الرحيق المختوم (ص: ٣٣٤).

رفع

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

أخى؟ فوالله ما أحب أن أقتلك - استصغاراً لشأته - قال على: لكنى والله أحب أن أقتلك. فحمى عمرو، واقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم أقبل على على، فتنازلا وتجاولا. فقتله على، وخرجت خيل المشركين من الخندق منهزمة حتى اقتحمت هاربة^(١). وكان شعار المسلمين يومئذ «حم لا ينصرون»^(٢).

سعد بن أبى وقاص يرمى رجلاً فيضحك النبي ﷺ

عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال: «لما كان يوم الخندق ورجل يترس جعل يقول بالترس هكذا، فوضعه فوق أنفه، ثم يقول هكذا يسفله، بعد... قال: فأهويت إلى كنانتي، فأخرجت منها سهماً مدمى، فوضعت في كبد القوس، فلما قال هكذا يسفل الترس رميت، فما نسيت وقع القدح على كذا وكذا من الترس، قال: وسقط فقال برجله هكذا، فضحك نبي الله ﷺ أحسبه قال حتى بدت نواجذه، قال: قلت: لم فعل، قال: لفعل الرجل»^(٣).

خيانة اليهود

وانطلق حى بن أخطب إلى بنى قريظة، فدنا من حصنهم، فأبى كعب بن أسد أن يفتح له، فلم يزل يكلمه حتى فتح له، فلما دخل عليه، قال: لقد جئتكم بعز الدهر، جئتكم بقريش وغطفان وأسد على قادتها لحرب محمد، قال كعب: جئتنى والله بذلك الدهر، وبجهاً^(١) قد هراق مأؤه، فهو يرعد ويرق ليس فيه شيء. فلم يزل به حتى نقض العهد الذى بينه وبين رسول الله ﷺ، ودخل مع المشركين فى محاربته، فسر بذلك المشركون، وشرط كعب على حى أنه إن لم يظفروا بمحمد أن يجىء حتى يدخل

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ٣٤٠).

(٢) أخرجه أحمد (٤/٦٥، ٢٨٩، ٣٧٧/٥)، وأبو داود (٢٥٩٧)، والترمذى (١٦٨٢) من حديث أبى إسحاق، عن المهلب بن أبى سفرة أخبرنى من سمع النبي ﷺ يقول: «إن يتكلم العدو، فقولوا: «حم لا ينصرون» وسنده حسن، وصححه الحاكم (١٠٧/٢).

(٣) قال الهيثمى فى الجمع: ١٣٥/٦ - ١٣٦، رواه أحمد والبرار إلا أنه قال كان رجل معه ترسان وكان سعد رامياً فكان يقول كذا وكذا بالترسين يغطى جبهته فنزع له سعد بسهم فلما رفع رأسه رماء فلم يخطئ هذه منه يعنى جبهته والباقي بنحوه ورجالهما رجال الصحيح غير محمد بن محمد بن الأسود وهو ثقة، وانظر كشف الأستار: ١٨٠٨.

(٤) هو السحاب الرقيق الذى لا ماء فيه.

رفع
عن (الرحمى) (التجري)
أسكنه الله الفردوس

معه في حصنه، فيصبيه ما أصابه، فأجابه إلى ذلك، ووفى له به.

وبلغ رسول الله ﷺ خبر بني قريظة ونقضهم للعهد، فبعث إليهم السَّعْدِين^(١)، وخوات بن جبير، وعبد الله بن رواحة ليعرفوا: هل هم على عهدهم، أو قد نقضوه؟ فلما دنوا منهم، فوجدوهم على أخبث ما يكون، وجاهروهم بالسب والعداوة، ونالوا من رسول الله ﷺ، فانصرفوا عنهم، ولحقوا إلى رسول الله ﷺ لحناً يخبرونه أنهم قد نقضوا العهد، وغدروا، فعظم ذلك على المسلمين، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «اللَّهُ أَكْبَرُ أَبْشِرُوا يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ»، واشتدَّ البلاءُ، وَنَجَمَ النَّفَاقُ، واستأذن بعض بني حارثة رسول الله ﷺ في الذهاب إلى المدينة وقالوا: ﴿إِنَّ بَيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٣] وهم بنو سلمة بالفشل، ثم ثبت الله الطائفتين^(٢).

إصابة سعد بن معاذ (رضي الله عنه)

عن عائشة - رضي الله عنها - في قصة جرح سعد بن معاذ وغزوة الخندق قالت - رضي الله عنها -: خرجت يوم الخندق أفقو آثار الناس، فسمعت وثيد الأرض من ورائي - يعني حس الأرض - قالت: فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنة. قالت: فجلست إلى الأرض فمر (سعد) وعليه درع من حديد قد خرجت منه أطرافه، فأنا أتخوف على أطراف سعد، وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم فمر وهو يرتجز ويقول:

لَبَّثُ قَلِيلًا يُدْرِكُ الْهَيْجَا حَمْلُ مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ

قالت: فافتحمت حديقة فإذا فيها نفر من المسلمين، وإذا فيها عمر بن الخطاب وفيهم رجل عليه تسبغة^(٣) له يعني المغفر، فقال عمر (لعائشة): ما جاء بك لعمري إنك لجرئة، وما يؤمنك أن لا يكون تجوز. قالت: فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت لي ساعتئذ فدخلت فيها قال: فرفع الرجل التسبغة عن وجهه فإذا طلحة بن عبيد الله. فقال: ويحك يا عمر إنك قد أكثرت منذ اليوم، وأين التجوز والفرار إلا إلى الله تعالى. قالت: ويرمي سعداً رجلاً من المشركين من قريش يقال له ابن العرقه بسهم له فقال له: خذها

(١) سعد بن معاذ وسعد بن عباد.

(٢) زاد المعاد (٣/ ٢٧١: ٢٧٢).

(٣) التسبغة: شيء من حلق الدروع والزرذ يعلق بالخوذة دائراً معها ليستر الرقبة وجيب الدرع.

وأنا ابن العرقة، فأصاب أكله فقطعه - العرق - فدعا الله سعد فقال: اللهم لا تُمتني حتى تُقرَّ عيني من بنى قريظة فيخرجوا من صياصيتهم^(١)، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة وأمر بقبة من آدم فضربت على سعد في المسجد.

* ودعوة سعد الأخيرة تصور مبلغ ما انطوت عليه قلوب المسلمين من غيظ لخيانة يهود وتمزيقها المعاهدة القائمة.

ومسللك بنى إسرائيل بإزاء المعاهدات التي أمضوها قديماً وحديثاً يجعلنا نجزم بأن القوم لا يدعون خستهم أبداً، وأنهم يرعون الموائيق ما بقيت هذه الموائيق متمشية مع أطماعهم ومكاسبهم وشهواتهم، فإذا تعارضت مع تطلعاتهم المحرمة نبذوها نبذ النواة... ولو تركت الحمير نهيقها، والأفاعي لدغها، لترك اليهود نقضهم للعهود. وقد نبه القرآن إلى هذه الخصلة الشنعاء في بنى إسرائيل، وأشار إلى أنها أحالتهم حيواناً لا أناسي، فقال: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون ﴿[الأنفال: ٥٥، ٥٦]﴾^(٢).

محاولة فاشلة عند حصون النساء

عن رافع بن خديج رضى الله عنه قال: «لم يكن حصن أحصن من حصن بنى حارثة، فجعل النبي ﷺ النساء والصبيان والذراري فيه، وقال: (إن ألم يكن أحد فألمعن بالسيف) فجاءهن رجل من بنى ثعلبة بن سعد يقال له نجدان أحد بنى حشاش على فرس، حتى كان في أصل الحصن ثم جعل يقول للنساء: انزلن إلي خير لكن، فحركن السيف فأبصره أصحاب رسول الله ﷺ، فابتدر الحصن قوم فيهم رجل من بنى الحارثة يقال له: ظهير بن رافع، فقال: يا نجدان ابرز، فبرز إليه، فحمل على فرسه، فقتله وأخذ رأسه فذهب به إلى النبي ﷺ»^(٣).

* وفي رواية: أنه لما خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق؛ جعل نساء في أطم^(٤) يقال له: فارع. قال عروة: «كان النبي ﷺ إذا خرج لقتال عدوه رفع نساء في أطم حسان

(١) أى حصونهم، وكل شيء امتنع به وتحصن فهو صيص.

(٢) فقه السيرة/ للغزالي (ص: ٣٤٥).

(٣) قال الهيثمي في المجمع: (١٣٣/٦) رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٤) أطم: كل حصن مبنى من الحجارة.

(رضى الله عنه)؛ لأنه كان من أحصن الآطام.. فجاء يهودى فلصق بالأطم لسمع. قالت صفية: فأخذت عموداً فنزلت إليه، حتى فتحت الباب قليلاً قليلاً، فحملت عليه فضربته بالعمود فقتلته»^(١).

وعند ابن إسحاق: وهى أول امرأة قتلت رجلاً من المشركين.

وفى رواية: «فجاء إنسان من اليهود فرقى فى الحصن، حتى أطلّ عليهن. قالت صفية بنت عبد المطلب: فقامت إليه، فضربته حتى قطعت رأسه، فأخذت رأسه فرميت به عليهم»^(٢).

وقد كان لهذا الفعل المجيد من عمة الرسول ﷺ أثر عميق فى حفظ ذرارى المسلمين ونسائهم، ويبدو أن اليهود ظنوا أن هذه الآطام والحصون فى منعة من الجيش الإسلامى - مع أنها كانت خالية عنهم تماماً - فلم يجترئوا مرة ثانية للقيام بمثل هذا العمل، إلا أنهم أخذوا يمدون الغزاة الوثنيين بالمؤن كدليل على انضمامهم إليهم ضد المسلمين، حتى أخذ المسلمون من مؤنهم عشرين جملاً^(٣).

إنها لم تكن معركة خسائر بل معركة أعصاب

إن معركة الأحزاب لم تكن معركة خسائر بل معركة أعصاب.

فقتلى الفريقين من المؤمنين والكفار يُعدون على الأصابع. ومع تلك الحقيقة فهى من أحسم المعارك فى تاريخ الإسلام، إذ أن مصير هذه الرسالة العظمى كان فيها أشبه بمصير رجل يمشى على حافة قمة سامقة، أو جبل ممدود، فلو اختل توازنه لحظة وفقد السيطرة على موقفه، لهوى من مرتفعه إلى وادٍ سحيق، ممزق الأعضاء، ممزق الأشلاء. ولقد أمسى المسلمون وأصبحوا فإذا هم كالجزيرة المنقطعة وسط طوفان يتهدها بالغرق ليلاً أو نهاراً. وبين الحين والحين يتطلع المدافعون. هل اقتحمت خطوطهم فى ناحية ما من منطقة الدفاع؟ وكان المشركون يدورون حول المدينة غضاباً يتحسسون نقطة ضعيفة لينحدروا منها فينفسوا عن حنقهم المكتوم، ويقطعوا أوصال هذا الدين النائر.

وعرف المسلمون ما يتربص بهم وراء هذا الحصار، فقرروا أن يربطوا فى مكانهم

(١) انظر طبقات ابن سعد (٢٧/٨) والمستدرک (٥١/٤).

(٢) الإصابة (٧/٧٤٤).

(٣) الرحيق المختوم (ص: ٣٣٦).

ينضحون بالنبل كل مقترب، ويتحملون لأواء هذه الحراسة التي تنتظم السهل والجبل، وتتسع ثغورها يوماً بعد يوم وهم كما وصف الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا ﴿[الأحزاب: ١٠: ١١]﴾ (١).

رجل المهمات الصعبة

عن عبد الله بن الزبير (رضى الله عنهما) قال: «لما كان يوم الخندق كنت أنا وعمر بن أبي سلمة في الأطم الذي فيه نساء رسول الله ﷺ، أطم حسان، فكان يرفعني وأرفعه، فإذا رفعني عرفت أبي حين يمر إلى بني قريظة، وكان يقاتل مع رسول الله ﷺ يوم الخندق فقال: «من يأتي بني قريظة فيقاتلهم؟» فقلت له حين رجع: يا أبت تالله إن كنت لأعرفك حين تمر ذاهباً إلى بني قريظة فقال: «يا بني أما والله إن كان رسول الله ﷺ ليجمع لي أبويه جميعاً يفديني بهما، يقول: «فداك أبي وأمي»» (٢).

وعن جابر بن عبد الله (رضى الله عنهما) قال: «اشتد الأمر يوم الخندق فقال رسول الله ﷺ ألا رجل يأتينا بخبر بني قريظة؟ فانطلق الزبير فجاء بخبرهم، ثم اشتد الأمر أيضاً فذكر ثلاث مرات فقال رسول الله ﷺ: (إن لكل نبي حوارى والزيبر حوارى)» (٣).

نعيم بن مسعود ... ودوره الخالد

إن الله يغرس لهذا الدين غرساً يُعز الله به الإسلام في كل زمان ومكان. ومن بين هؤلاء الذين نفع الله بهم الإسلام بطلنا اليقظ الذكي الذي حباه الله بسرعة البديهة وشدة الذكاء.

إنه نعيم بن مسعود الذي كان في الجاهلية على صلة وثيقة بيهود بني قريظة وغيرهم.

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ٣٣٩: ٣٤٠).

(٢) أخرجه البخاري في مناقب الصحابة باب مناقب الزبير (٣٧٢٠) مسلم في فضائل الصحابة باب فضائل طلحة والزبير (٢٤١٦).

(٣) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة باب مناقب الزبير (٣٧١٩) مسلم في الفضائل باب فضائل طلحة والزبير حديث (٢٤١٥).

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الفردوس

وكان يجلس في مجالسهم يسمر ويشرب معهم وكانوا يحبونه ويتقنون فيه تمام الثقة.
وفي الوقت المناسب الذي قدره الله - جل وعلا - فتح الله قلب (نعيم) للهدى ودين الحق فبدأ نعيم صفحة جديدة في يوم غزوة الأحزاب، واستطاع أن يسطر على جبين التاريخ صفحة لا تُنسى أبداً مع مرور الأيام والليالي.
إنها صفحة ناصعة بيضاء... فقد جعله الله سبباً لإنقاذ الأمة المسلمة بأسرها وعلى رأسها رسول الله ﷺ.

ماذا قدمت لدين الله؟

تدبر معي أيها الأخ الكريم كيف استطاع نعيم بن مسعود - رضى الله عنه - أن يكون سبباً في إجلاء تلك الحشود التي تجمعت للقضاء على الإسلام (في غزوة الأحزاب).
وسل نفسك هذا السؤال: «ماذا قدمت لدين الله؟!!!».

فهذا هو نعيم بن مسعود ذلكم الفدائي البطل الذي جاء للمصطفى ﷺ في وقتٍ عصيبٍ رهيبٍ كادت فيه القلوب أن تخرج من الصدور.

أحاط المشركون بالمدينة من كل ناحية من حول الخندق وفي لحظات حرجة قاسية. نقض يهود بنى قريظة العهد مع رسول الله ﷺ وشكلوا تهديداً داخلياً خطيراً على النساء والأطفال، وتعاهدوا مع المشركين أن يحاربوا معهم محمداً ﷺ، وهذا هو فعل اليهود وهذه هي صفة اليهود. فاليهود لا يجيدون إلا الغدر ونقض العهود.

نقضوا العهد مع رسول الله ﷺ في وقت حرج.. ولك أن تتصور الحالة النفسية التي مر بها المصطفى ﷺ مع أصحابه وقد وصفها الله وصفاً بليغاً دقيقاً. فقال تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْبُصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿[الأحزاب: ١٠-١٢].

تصور هذه الحالة.. فلقد كان هناك مع رسول الله ﷺ من يقول: ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً! المشركون يحيطون بنا واليهود نقضوا العهد وسيدمروننا من الداخل ويقتلون نساءنا وأطفالنا!!

عن الصحابي الجليل
السيد النبوي ﷺ

حالة قاسية حتى قام المصطفى ﷺ يتضرع إلى الله: «اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم»^(١).

وبينما رسول الله ﷺ وأصحابه فيما وصف الله - عز وجل - من الخوف والشدة، لتظاهر عدوهم عليهم وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم.

أتى نعيم بن مسعود إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت؛ فقال رسول الله ﷺ: «إنما أنت فينا رجل واحد، فخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة».

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة، وكان لهم نديماً في الجاهلية، فقال: يا بني قريظة، قد عرفتم ودي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم، فقال لهم: إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره، وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتوهم عليه، وبلدكم وأموالهم ونساؤهم وبغيره، فليسوا كأنتم، فإن رأوا نهزة^(٢) أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشrafهم، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تنجزوه، فقالوا له: لقد أشرت بالرأي.

ثم خرج حتى أتى قريشاً، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمداً، وإنه قد بلغني أمرٌ قد رأيت على حقاً أن أبلغكموه، نصحاً لكم، فاكنموا عني، فقالوا: نفعل.

قال: تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه: إنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين، من قريش وغطفان رجالاً من أشrafهم فنعطيكهم، فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم؟ فأرسل إليهم: أن نعم. فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجالاً واحداً.

(١) أخرجه البخاري (١٠٩/٦ - ١١٠) المغازي - ومسلم (١٧٤٢) الجهاد.

(٢) النهزة: انتهاز الشيء واختلاسه.

ثم خرج حتى أتى غطفان، فقال: يا معشر غطفان، إنكم أصلى وعشيرتى، وأحبّ الناس إلى، ولا أراكم تتهمونى، قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم، قال: فاكتموا عنى، قالوا: نفعل، فما أمرك؟ ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم.

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس، وكان من صنع الله لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورءوس غطفان إلى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل، فى نفر من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخفّ والحافر^(١)، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً، ونفرغ مما بيننا وبينه، فأرسلوا إليهم: إن اليوم يوم السبت، وهو [يوم] لا نعمل فيه شيئاً. وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً، فأصابه ما لم يخف عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تُعطونا رهناً من رجالكم، يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً، فإننا نخشى إن ضرستكم الحرب^(٢)، واشتد عليكم القتال أن تنشمروا^(٣) إلى بلادكم وتتركونا، والرجل فى بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك منه. فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة، قالت قريش وغطفان: والله إن الذى حدثكم (نعيم بن مسعود) لحق، فأرسلوا إلى بنى قريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فقالت بنو قريظة، حين انتهت الرسل إليهم بهذا: إن الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا، فإن رأوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم، واخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم، فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنا والله لا نقاتل معكم محمداً حتى تُعطونا رهناً، فأبوا عليهم... وخذّل الله بينهم، وبعث الله عليهم الريح فى ليالٍ شاتية باردة شديدة البرودة، فجعلت تكفأ قدورهم، وتطرح أبنتهم^(٤).^(٥)

(١) أراد بالخف: الإبل... وأراد بالحافر: الخيل.

(٢) ضرستكم الحرب: نالت منكم. كما يصيب ذو الأضراس بأضراسه.

(٣) أن تنشمروا: أن تنقبضوا وتسرعوا إلى بلادكم.

(٤) أخرجه ابن سعد (٦٩/٢) والطبرى (٥٧٨/٣ - ٥٧٩) فى تاريخه، وابن كثير فى البداية والنهاية

(٤/١١١) وابن حجر فى الفتح (٤٠٢/٧).

(٥) أصحاب الرسول ﷺ / للمصنف (٢/٣٦١: ٣٦٥).

حذيفة يأتيهم بخبر القوم

فغن محمد بن كعب القرظي قال: «قال فتى منا من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله لقد رأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه؟ قال: نعم يا ابن أخي، قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نحجهد^(١)».

قال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الأرض، ولجعلناه على أعناقنا، قال: فقال حذيفة: يا ابن أخي والله لقد رأيتم مع رسول الله ﷺ بالخندق، وصلى رسول الله ﷺ من الليل هويًا^(٢)، ثم التفت إلينا فقال: (من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم، يشترط له رسول الله ﷺ أنه يرجع... أدخله الله الجنة)، فما قام رجل، ثم صلى رسول الله ﷺ هويًا، ثم التفت إلينا فقال: (من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع، يشترط له رسول الله ﷺ الرجعة، أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة) فما قام رجل من القوم من شدة الخوف، وشدة الجوع، وشدة البرد.

فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله ﷺ فلم يكن لي بُدٌّ في القيام حين دعاني فقال: (يا حذيفة فاذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ولا تُحدثن شيئًا حتى تأتينا)، قال: فذهبت فدخلت في القوم، والريح وجنود الله تفعل ما تفعل، لا تقر لهم قدر، ولا نار، ولا بناء، فقام أبو سفيان بن حرب فقال: يا معشر قريش لينظر امرؤ إلى جلسيه، فقال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي جنبي، فقلت: من أنت؟ قال: أنا فلان بن فلان، ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع^(٣) وأخلفتنا بنو قريظة، بلغنا منهم الذي نكره، ولقينا من هذه الريح ما ترون، والله ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جملة وهو معقول، فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث، فما أطلق عقله، إلا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله: لا تُحدث شيئًا حتى تأتيني ثم شئت لقتلته بسهم.

قال حذيفة، ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مرط^(٤) لبعض نساءه

(١) نجهد: في مشقة شديدة.

(٢) هويًا: الحين الطويل من الزمان.

(٣) الكراع: اسم لجمع الخيل.

(٤) مرط: كساء من صوف أو خز يؤتز به وتلفع به المرأة.

مرجل^(١)، فلما رآنى أدخلنى إلى رحله، وطرح عليه طرف المرط، ثم ركع وسجد وإنه لفيه، فلما سلم أخبرته الخبر، وسمعت غطفان بما فعلت قریش وانشمروا إلى بلادهم). هذا اللفظ لأحمد وفى لفظ مسلم بعض الزيادة أذكرها هنا لاكتمال المعنى والفائدة فبعد أن ذكر حذيفة استنفار الرسول عليه السلام للصحابه ثلاثاً ثم قوله قم يا حذيفة قال: .. فمضيت كأنما أمشى فى حمام^(٢) حتى أتيتهم، فإذا أبو سفيان يصلى ظهره بالنار فوضعت سهمى فى كبد قوسى^(٣) وأردت أن أرميه، ثم ذكرت قول رسول الله ﷺ: (لا تذعروهم على) ولو رميته لأصبته، قال: فرجعت كأنما أمشى فى مثل الحمام، فأتيت رسول الله ﷺ ثم أصابنى البرد حين فرغت وقررت^(٤). فأخبرت رسول الله ﷺ فألبسنى رسول الله ﷺ من فضل عباءة كانت عليه يصلى فيها، فلم أزل نائماً حتى الصبح، فلما أن أصبحت، قال رسول الله ﷺ: قم يا نومان^(٥).

الدعاء .. ومضاتيح النصر

ومما لا شك فيه أن الدعاء كان من أعظم أسباب النصر فى تلك الغزوة.

* عن إسماعيل بن أبى خالد قال سمعتُ عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنهما يقول «دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: اللهم منزل الكتاب سريع الحساب، اهزم الأحزاب. اللهم اهزمهم وزلزلهم»^(٦).

* وعن سالم ونافع عن عبد الله رضى الله عنه «أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من الغزو أو الحج أو العمرة يبدأ فيكبر ثلاث مرار ثم يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شىء قدير. آيئون، تأثبون، عابدون، ساجدون، لرَبِّنا حامدون. صدقَ الله وعده، ونصرَ عبده، وهزمَ الأحزاب وحده»^(٧).

(١) مرجل: فيه خطوط وأرقام.

(٢) كأنما أمشى فى حمام: أى أنه لم يجد من البرد ما يجد الناس.

(٣) كبد القوس: مقبضه.

(٤) قررت: بردت.

(٥) أخرجه أحمد فى المسند: (٣٩٢/٥ - ٣٩٣) مسلم فى كتاب الجهاد والسير باب غزوة الأحزاب رقم (١٧٨٨) الحاكم فى المستدرک: (٣١/٣)، وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبى.

(٦) أخرجه البخارى (٤١١٥) كتاب المغازى.

(٧) أخرجه البخارى (٤١١٦) كتاب المغازى.

﴿ وعن أبي هريرة رضي الله عنه ﴾ «إن رسول الله ﷺ كان يقول: لا إله إلا الله وحده، أعز جندَه، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، فلا شيء بعده»^(١).

العناية الإلهية تتدخل لتجسم الأمر

وجاء المسلمون إلى رسول الله ﷺ يسألونه: هل من شيء نقوله؟ فقد بلغت القلوب الحناجر؟ قال: «نعم.. اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا»^(٢).

وعن عبد الله بن أبي أوفى: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: «اللهم منزل الكتاب سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم»^(٣).

﴿ والله تبارك وتعالى لا يقبل الدعاء من متوكل كسول، وما يستمع لشيء استماعه لهتاف مجتهد: أن يبارك له سعيه. أو دعاء صابر: أن يجمل له العاقبة.﴾

وقد أفرغ المسلمون جهدهم في الدفاع عن رسالتهم ومدينتهم، حتى لم يبق في طوق البشر مدخر، فبقى أن تتدخل العناية العليا لتقمع صعر الظالم وتقيم جانب المظلوم.

ومن ثم أخذ سير المعركة يتطور على نحو لا يدرك الناس كنهه.

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴾ [المدثر: ٣١] (٤).

وقد سمع الله دعاء رسوله والمسلمين، فبعد أن دبت الفرقة في صفوف المشركين، وسرى بينهم التخاذل، أرسل الله عليهم جنداً من الريح، فجعلت تقوض خيامهم، ولا تدع لهم قدراً إلا كفأتها، ولا طنباً إلا قلعته، ولا يقر لهم قرار، وأرسل جنداً من الملائكة يزلزلونهم، ويلقون في قلوبهم الرعب والخوف^(٥).

لقد رأينا أن الوسيلة التي التجأ إليها رسول الله ﷺ وأصحابه في غزوة بدر، هي نفسها التي التجأ إليها في الخندق.. إنها وسيلة التضرع إلى الله والإكثار من الإقبال عليه بالدعاء والاستغاثة، بل لقد كان هو العمل المتكرر الدائم الذي ظل يفزع إليه رسول الله ﷺ، كلما لقي عدواً أو سار إلى جهاد، وهي الوسيلة التي تعلقو في تأثيرها على كل

(١) أخرجه البخاري (٤١١٤) كتاب المغازي.

(٢) أخرجه أحمد (٣/٣) بإسناد حسن.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم.

(٤) فقه السيرة للغزالي (ص: ٣٤٦).

(٥) الرحيق المختوم (ص: ٣٣٩).

الأسباب والوسائل المادية الأخرى، وهى الوسيلة التى لا تصلح حال المسلمين إلا إذا قامت على أساسها بعناية كاملة.

إن هذا المعنى الذى يتكرر فى غزوات الرسول ﷺ ، ليس يعنى إغراء المسلمين بالمغامرة والجهاد دون استعداد ولا تأهب، وإنما هو لإيضاح أن على المسلم أن يعلم أن فى مقدمة أسباب النصر المختلفة، صدق الالتجاء إلى الله وإخلاص العبودية له، فلن تجدى وسائل القوة كلها إذا لم تتوفر هذه الوسيلة بعينها. وإذا تحققت فى أعمال المسلمين هذه الوسيلة فحدث عن معجزات النصر ولا حرج^(١).

نصر الله رسوله ﷺ بريح الصبا

عن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال: «أتت الصبا الشمال ليلة الأحزاب، فقالت: مرى حتى نصر رسول الله ﷺ ، فقالت الشمال: إن الحرة لا تسرى بالليل، فكانت الريح التى نصر بها رسول الله ﷺ الصبا»^(٢).

وعن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ «نصرت بالصبا، وأهلك عاد بالديبور»^(٣).

وهكذا أفلح المسلمون فى فصم عرى التحالف بين الأحزاب المجتمعة عليهم. فما مضت أسابيع ثلاثة على ذلك الحصار المضروب حتى دب القنوط والتخاذل فى صفوف المهاجمين على حين بقيت جبهة المدافعين سليمة لم تنل.

الآن نغزوهم ولا يغزونا

وكانت هذه آخر مرة يأتى فيها المشركون لغزو المسلمين فى عقر دارهم. عن سليمان بن صرد قال: «سمعتُ النبی ﷺ يقولُ حينَ أُجلىَ الأحزابُ عنه: الآن نغزوهم ولا يغزونا نحن نسيرُ إليهم»^(٤).

(١) فقه السيرة النبوية للبوطي (ص: ٢٢٢).

(٢) قال الهيثمي فى المجمع: ١٣٤٩/٦ - ١٤٠: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، كشف الأستار: ١٨١١ وقال البزار: رواه جماعة عن داود عن عكرمة مرسلًا، ولا نعلم أحدًا وصله إلا حفص ورجل من أهل البصرة وكان ثقة يقال له: خلف بن عمرو.

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الاستسقاء باب قول النبی ﷺ نصرت بالصبا حديث (١٠٣٥) مسلم فى كتاب صلاة الاستسقاء باب فى ریح الصبا والديبور حديث (٩٠٠).

(٤) أخرجه البخارى (٤١١٠) كتاب المغازي.

غزوة بنى قريظة

بنو قريظة إحدى طوائف اليهود الثلاث الذين كانوا يسكنون حول المدينة النبوية ووادعهم رسول الله ﷺ ونقضوا عهدهم واحدة بعد واحدة، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿كَلِمًا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٠] فاليهود إلى اليوم لا يفون بعهد، ولا يلتزمون بميثاق، فكان النكث والغدر وصفًا لازماً لهم إلا من شاء الله منهم.

فبنو قريظة نقضوا عهدهم وانضموا إلى معسكر المشركين المحاصرين للمدينة الذين جاءوا لاستئصال الرسول والمؤمنين - خيَّب الله مسعاهم - فبهذا وجب قتالهم وتعين قتلهم أو إجلاؤهم عن البلاد وإخراجهم منها.

كان هذا سبب غزوة بنى قريظة وهو نقضهم للمعاهدة وانضمامهم إلى المشركين الغزاة الظالمين المعتدين^(١).

* وكانت مشاعر التغيظ في أفئدة المسلمين نحو أولئك اليهود قد بلغت ذروتها، إنهم هم الذين استخرجوا العرب استخراجاً، واستقدموهم إلى دار الهجرة ليجتاحوها من أقطارها، ويستأصلوا المسلمين فيها، إن جراحات المسلمين لطردهم من ديارهم ومطاردتهم في عقيدتهم، واستباحة أموالهم ودمائهم لكل ناهب ومغتال، لما تندمل بعد، بل لن تندمل أبداً، فكيف ساغ لأولئك الخونة من بنى إسرائيل أن يرسموا بأنفسهم الخطة لإهلاك الإسلام وأبنائه على هذا النحو الذليل؟

ثم ما الذي يجعل بنى قريظة خاصة - وهم لم يروا في جوار محمد إلا البر والوفاء - يستديرون بأسلحتهم منضمين إلى أعداء الإسلام كي يشركوهم في قتل المسلمين وسلبهم؟^(٢).

رفع
عن الرحلى النجدي
أسكنه الله الفردوس

(١) هذا الحبيب يا محب / الجزائرى (ص: ٣١٢: ٣١٣).

(٢) فقه السيرة للغزالي (ص: ٣٥١).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

وغايتها، ولو خالف الظاهر القريب.

وكلاً من الفريقين يشفع له إيمانه، واحتسابه، سواء أصاب الحق أو ندَّ عنه^(١)!

يا إخوان القردة .. هل أخزاكم الله؟

واستعمل النبي ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم، وأعطى الراية على بن أبى طالب، وقدمه إلى بنى قريظة فसार (على) حتى إذا دنا من حصونهم سمع منها مقالة قبيحة فى حق رسول الله ﷺ .

* وخرج الحبيب ﷺ مع بعض أصحابه فإذا (بعلى) رضى الله عنه عائد من بنى قريظة وقال للرسول ﷺ لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأختاب فقال الرسول ﷺ: «لم؟ أظنك سمعت منهم لى أذى؟» قال: نعم. قال: «لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً»، وكانوا قد نالوا من الرسول شيئاً لما دنا منهم (على) وخاطبهم. وسار الحبيب ﷺ حتى وصل إلى ديارهم ودنا من حصونهم وناداهم قائلاً: «يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمه!» قالوا يا أبا القاسم ما كنت فاحشاً^(٢).

فى الطريق إليهم

وأثناء مسيره ﷺ إلى بنى قريظة مرَّ على بنى غنم، وهم جيران المسجد، فقال: من مر بكم؟ فقالوا: مر بنا دحية الكلبي، وكان دحية تشبه لحيته ووجهه جبريل عليه السلام. * ونزل الحبيب ﷺ وأصحابه على بئر من آبار بنى قريظة يقال لها: أنا أو أنى، ولما تلاحق المسلمون حاصرهم ﷺ، وطلب منهم النزول فأبوا أن ينزلوا وفى هذه الأثناء، وعندما جاهدتهم الحصار وأيقنوا أن النبي ﷺ لا يفلتهم قام فيهم كعب بن أسد أحد أشرفهم، وهو صاحب الحل والعقد بينهم ليشاورهم فى الأمر - كما سيأتى -.

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ٣٥٢).

(٢) أخرجه البيهقي فى الدلائل (١٠٨/٤)، والحاكم فى المستدرک (٣/٣٤: ٣٥) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبى - وقال ابن كثير فى البداية (١٠٨/٤): ولهذا الحديث طرق جيدة عن عائشة وغيرها وبهذا يكون الحديث حسناً.

النبي ﷺ يحاصرهم... وكعب بن أسد يشاورهم

وحاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة، حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب.

وقد كان حبي بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم، حين رجعت عنهم قريش وغطفان، وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه. فلما أيقنوا بأن رسول الله ﷺ غير مُنصرف عنهم حتى يُناجزهم، قال كعب بن أسد لهم: يا معشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإنني عارض عليكم خلافاً ثلاثاً، فخذوا أيها شئتم، قالوا: وما هي؟ قال: تُتابع هذا الرجل ونصده فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مُرسل، وأنه للذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دماءكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم؛ قالوا: لا نُفارقُ حكم التَّوراة أبداً، ولا نستبدل به غيره، قال: فإذا أبيتم على هذه، فهلُم فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مُصلتين السيوف لم نترك وراءنا ثقلاً، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه، وإن نظهر فلعمري لنجلد النساء والأبناء، قالوا: نقتل هؤلاء المساكين! فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإن أبيتم على هذه فإن الليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة، قالوا: نُفسد سببتنا علينا، ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ! قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً^(١).

دعوه حتى يتوب الله عليه

وأرسل اليهود إلى النبي ﷺ ليبعث إليهم أبا لبابة بن عبد المنذر ليستشروه في أمرهم.. فأرسله النبي ﷺ إليهم فلما رأوه قاموا في وجهه ليكون، وقالوا: يا أبا لبابة! كيف ترى لنا أن ننزل على حكم محمد؟ فقال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه يقول: إنه الذبح، ثم علم من فوره أنه قد خان الله ورسوله، فمضى على وجهه، ولم يرجع إلى رسول الله ﷺ حتى أتى المسجد مسجد المدينة، فربط نفسه بسارية المسجد، وخلف ألا يحله إلا رسول الله ﷺ بيده، وأنه لا يدخل أرض بني قريظة أبداً، فلما بلغ رسول الله

رفع

(١) السيرة النبوية/ لابن هشام (٢٠٥/٣).

ﷺ ذلك، قال: «دَعُوهُ حَتَّى يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ» ثم تاب الله عليه، وحلّه رسول الله ﷺ بيده^(١).

لقد حكمت فيهم بحكم الله

ولما سمع اليهود مقالة أبي لبابة اختاروا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ لأنه كان صديقاً لهم في الجاهلية - قبل أن يسلم - ظناً منهم أنه سيخفف عليهم الحكم ويرحمهم. فقالوا: ننزل على حكم سعد بن معاذ، وبعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ فأتى به على حمار عليه إكاف من ليف قد حُمِلَ عليه وَحَفَّ به قومه، وقالوا له (يعني اليهود): يا أبا عمرو حلفاؤك ومواليك وأهل النكاية ومن قد علمت، فلم يرجع إليهم شيئاً ولا يلتفت إليهم، حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال: قد أتى لى أن لا يأخذنى فى الله لومة لائم. قال أبو سعيد: فلما طلع قال رسول الله ﷺ قوموا إلى سيدكم^(٢) فأنزلوه.

(١) أخرجه ابن جرير الطبرى فى «تفسيره» (٩٧/٢١) من طريق محمد بن إسحاق عن ابن شهاب الزهرى به. وذكره الواحدى فى «أسباب النزول» (١٩٣).

(٢) (حكم القيام إكراماً للقادم)، أمر النبى ﷺ الأنصار حينما أقبل نحوهم سعد بن معاذ راكباً دابته أن يقوموا إليه تكريماً له، ودلّ على هذا التعليل قوله: لسيدكم أو خيركم، وقد استدلت عامة العلماء بهذا وغيره على مشروعية إكرام الصالحين والعلماء بالقيام إليهم فى المناسبات الداعية إلى ذلك عرفاً. يقول الإمام النووى فى تعليق على هذا الحديث: «فيه إكرام أهل الفضل وتلقيهم بالقيام لهم إذا أقبلوا. هكذا احتج به جماهير العلماء لاستحباب القيام. قال القاضى: وليس هذا من القيام المنهى عنه، وإنما ذلك فيمن يقومون عليه وهو جالس ويمثلون قياماً طول جلوسه. قلت: القيام للقادم من أهل الفضل مستحب، وقد جاء فيه أحاديث، ولم يصح فى النهى عنه شيء صريح». [مسلم بشرح النووى (٩٣/١٢)].

ومن الأحاديث الثابتة الدالة أيضاً على ذلك، ما جاء فى حديث كعب بن مالك المتفق عليه، وهو يقص خبر تخلفه عن غزوة تبوك، قال: «فانطلقت أئامم رسول الله ﷺ. فتلقانى الناس فوجاً فوجاً يهتفونى بالنوبة، ويقولون لى: لتهنك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله جالس حوله الناس، فقام إلى طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه يهرول حتى صافحتى وهنأتى، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره - فكان كعب لا ينساها لطلحة.

ومن ذلك أيضاً ما رواه الترمذى وأبو داود والبخارى فى الأدب المفرد عن عائشة رضى الله عنها قالت: «ما رأيت أحداً من الناس كان أشبه بالنبى ﷺ كلاماً ولا حديثاً ولا جلسة من فاطمة، قالت: وكان النبى ﷺ إذا رآها أقبلت رحب بها ثم قام إليها فقبلها، ثم أخذ بيدها فجاء بها حتى يجلسها فى مكانه، وكانت إذا أتاه النبى ﷺ رجبت به ثم قامت إليه فقبلته» (أخرجه البخارى).

واعلم أن هذا كله لا يتنافى مع ما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أحب أن يتمثل له الناس قياماً =

رفع

عن (الترمذى) (المعجم)
(مسلم) (الفتح) (المعجم)

قال عمر: سيدنا الله. قال أنزلوه فأنزلوه. قال رسول الله ﷺ: احكم فيهم. قال سعد: فإنني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتُسبى ذراريهم وتقسّم أموالهم، فقال رسول الله ﷺ: لقد حكمت فيهم بحكم الله - عز وجل - وحكم رسوله. قال: ثم دعا سعد فقال: اللهم إن كنت أبقيت على نبيك من حرب قريش شيئاً فأبقني لها، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك. قالت: فانفجر كلمه - جرحه - وكان قد براً إلا مثل الخرص^(١).

قالت عائشة: ورجع إلى قبته التي ضرب عليه رسول الله ﷺ قالت عائشة: فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر. قالت: فوالذي نفس محمد بيده إنني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي، وكانوا كما قال الله - عز وجل -: ﴿رَحْمَاءٌ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]. قال علقمة: فقلت: أي أمه فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع؟ قالت: كانت عينه لا تدمع على أحد، ولكنه كان إذا وجد فإنما هو آخذ بلحيته^(٢).

وفي بنى قريظة نزل قول الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَافِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ [٢٦] وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّوها وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿[الأحزاب: ٢٦، ٢٧].

أدب صديق الأنصار (سعد بن معاذ) مع النبي ﷺ

وفي رواية: أنه لما وصل سيد الأوس سعد بن معاذ إلى مقر قيادة النبي ﷺ في بنى قريظة؛ قال له النبي ﷺ: «احكم فيهم يا سعد». فقال: إن رسول الله ﷺ أحق بالحكم. فقال النبي ﷺ: «قد أمرك الله أن تحكم فيهم». غير أن سعداً - وقد علم حرص قومه الأوس على التساهل في الحكم على حلفائهم اليهود - أحب أن يستوثق من الجميع، ويأخذ عليهم العهد - الأوس وبنى قريظة - بأن حكمه إذا صدر يكون غير قابل للنقض أو النقاش. ووقف سعد بن معاذ في المعسكر النبوي، ووجه حديثه إلى قومه الأوس

= فليتبوأ مقعده من النار». لأن مشروعية إكرام الفضلاء وتوقيرهم لا تستدعي السعي منهم إلى ذلك أو تعلق قلوبهم بمحبته، بل إن من أبرز صفات الصالحين والفضلاء أن يكونوا متواضعين لإخوانهم زهاداً في طلب هذا الشيء. [فقه السيرة للبوطي (ص: ٢٢٧: ٢٢٨)].

(١) الحلقة الصغيرة من الحلقة.

(٢) قال الهيثمي: في الصحيح بعضه.. رواه أحمد وفيه محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث وبقيته رجاله ثقات. مجمع الزوائد (٦/ ١٣٧، ١٣٨). وقال الحافظ في الفتح (١١/ ٥٣): وإسناده حسن.

خاصةً، وإلى مَنْ فى المعسكر عامّةً قائلاً: عليكم بذلك - عهد الله وميثاقه - أن الحكم كما حكمتُ؟ قالوا: نعم. ثم اتجه إلى النبي ﷺ وأشار إلى الناحية التى هو فيها، ثم قال وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً وإكباراً: وعلى مَنْ هاهنا؟ وأشار إلى الخيمة التى فيها رسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام: «نعم»^(١). ثم أشار إلى بنى قريظة المحجوزين جانباً فى المعسكر؛ ليستوثق منهم قائلاً: أترضون بحكمي؟ قالوا: نعم. فحكم أن تقتل المقاتلة، وأن تُسبى النساء والذرية، وأن تقسم أموالهم. ولما نطق سعد بن معاذ بالحكم، قال له النبي ﷺ: «حكمت فيهم بحكم الله». فانظر إلى أدب سعد أثناء الحكم، وإشارته إلى خيمة رسول الله ﷺ وهو معرض عنها إجلالاً لرسول الله ﷺ^(٢).

كيف ميّز النبي ﷺ بين الصغار والبالغين من بنى قريظة

عن عطية القرظي، قال: «كنت من سبى بنى قريظة، فكانوا ينظرون، فمن أنبت الشعر قُتل، ومن لم يُنبت لم يُقتل، فكنت فيمن لم يُنبت» وفى رواية أخرى زاد (فكشفوا عاتى، فوجدوها لم تنبت، فجعلونى فى السبى)^(٣).

عدد بنى قريظة الذين قتلهم النبي ﷺ

* قال الحافظ فى الفتح «واختلف فى عدتهم، فعند ابن إسحاق أنهم كانوا ستمائة، وبه جزم أبو عمرو فى ترجمة سعد بن معاذ، وعند ابن عائد من مرسل قتادة وكانوا سبعمائة، وقال السهيلي: الأكثر يقول إنهم ما بين الثمانمائة إلى التسعمائة، وفى حديث جابر عند الترمذى والنسائى وابن حبان بإسناد صحيح أنهم كانوا أربعمائة مقاتل، فيحتمل فى طريق الجمع أن يقال إن الباقيين كانوا أتباعاً، وقد حكى ابن إسحاق أنه قيل: إنهم كانوا تسعمائة»^(٤).

(١) السيرة النبوية / لابن هشام (٢/ ٢٤٠).

(٢) أصحاب الرسول ﷺ / للمصنف (١/ ٤١٠).

(٣) أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى بإسناد حسن.

(٤) فتح البارى (٧/ ٤١٤).

رفيع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

إسلام بعض يهود بنى قريظة

وفى ليلة نزول قريظة على حكم رسول الله ﷺ أكرم الله أربعة أنفار من اليهود فأسلم ثلاثة منهم ليسوا من بنى قريظة والرابع قرظي، فغير القرظيين هم ثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد وهم من بنى هذيل فليسوا قرظيين ولا نضريين. والقرظي هو عمرو بن سعدى القرظي فإنه أبى أن يدخل مع قريظة فى غدرها لرسول الله ﷺ، وقال لا أغدر محمداً أبداً، ومرّ فى الليل بحرس رسول الله ﷺ الذى عليه محمد بن مسلمة فعرفه محمد بن مسلمة، وقال اللهم لا تحرمنى إقالة عثرات الكرام وخلى سبيله فذهب على وجهه حتى أتى مسجد الرسول ﷺ فبات به تلك الليلة. ثم ذهب فلم يدر أين توجه من الأرض إلى يومنا هذا. ولما ذكر لرسول الله ﷺ قال: «ذاك رجل نجاه الله بوفائه».

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «حاربت قريظة والنضير، فأجلى بنى النضير، وأقر قريظة، ومن عليهم حتى حاربت قريظة، فقتل رجالهم، وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين، إلا بعضهم لحقوا بالنبي فأمنهم، وأسلموا، وأجلى يهود المدينة كلهم: بنى قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام، ويهود بنى حارثة، وكل يهود المدينة»^(١).

كيف نزل اليهود من حصونهم

إنه لما صدر حكم الله تعالى على لسان سعد بن معاذ فى بنى قريظة، ورضى الحكم رسول الله ﷺ والمؤمنون ووافقوا عليه مجتمعين كان القرطيون ساعئذ فى حصونهم، وقد أبوا أن ينزلوا على حكم سعد، فصاح على بن أبى طالب قائلاً يا كتيبة الإيمان، وتقدم هو والزبير بن العوام، وقال: والله لأذوقن ما ذاق حمزة أو لأقتحنن حصنهم فصاح اليهود وقالوا يا محمد ننزل على حكم سعد بن معاذ، ونزلوا فاقْتيدوا إلى المدينة وحسبوا فى دار بنت الحارث: امرأة من بنى النجار يقال لها: نُسَيْبَةُ بنتُ الحارث.

تنفيذ الحكم:

ثم خرج الحبيب محمد ﷺ إلى سوق المدينة وأمر بحفر أخاديد فيها، ثم أمر أن يؤتى بهم أرسالاً فتضرب أعناقهم ويلقون فى تلك الأخاديد، وكانوا قرابة السبعمائة رجل من

(١) أخرجه البخارى (٤٠٢٨) المغازى - ومسلم (١٧٦٦) الجهاد.

بينهم كعب بن أسد رئيسهم، وعدو الله حُيى بن أخطب النضرى مجزَّب الأحزاب لحرب رسول الله ﷺ والمؤمنين وقد قالوا لكعب وهم يساقون أرسالاً إلى رسول الله ﷺ إلى أين يذهب بنا يا كعب؟ فقال لهم أفى كل موطن لا تعقلون؟ ألا ترون الداعى لا ينزع، وأنه من ذهب به منكم لا يرجع؟ هو والله القتل!! وأخيراً جىء بعدو الله حُيى ابن أخطب عليه حلة فقاحية^(١) قد شقها من كل جهاتها حتى لا ينتفع بها المسلمون جىء به مجموعة يده إلى عنقه فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال: أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك، ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس، وقال أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر، وملحمة كتبها الله على بنى إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه^(٢).

* إن موقف اليهود من الإسلام بالأمس، هو موقفهم من المسلمين اليوم.

فألوف من إخواننا ذبحهم اليهود فى صمت وهم يحتلون فلسطين.

والغريب أن اليهود تركوا من نصب لهم المجازر فى أقطار أوروبا، وجبنوا عن مواجهتهم بشر! واستضعفوا المسلمين الذين لم يسيئوا إليهم من اثنى عشر قرناً، فنكلوا بهم على النحو المخزى الفاضح، الذى لا يزال قائماً فى فلسطين.. تشهده وتؤيده وتسانده، دول الغرب^(٣).

قصة المرأة العجيبة التى قتلت من بنى قريظة

عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها: قالت: «لم يُقتل من نسايتهم إلا امرأة واحدة قالت: والله إنها لعندى تتحدث معى تضحك ظهراً وبطناً»^(٤) ورسول الله ﷺ يقتل رجالهم بالسوق إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة؟ قالت: أنا والله، قالت: قلت: ويلك ومالك؟ قالت: أقتل، قالت: قلت: ولم؟ قالت: حدثاً أحدثته^(٥)، قالت: فانطلق بها، فضربت عنقها، وكانت عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها تقول: والله ما أنسى عجبى من طيب نفسها، وكثرة ضحكها، وقد عرفت أنها تُقتل^(٦).

(١) موشاة بالحمرة كالورد.

(٢) هذا الحبيب يا محب / الجزائرى (ص: ٣١٨: ٣١٩).

(٣) فقه السيرة / للنزالى (ص: ٣٥٨).

(٤) ظهراً وبطناً: لا يبدو على ملامحها أثر الحزن.

(٥) الحدث الذى أحدثته، طرحت الرجا على خلاد بن سويد فقتلته، فقتلها رسول الله به.

(٦) أخرجه أحمد فى المسند: ٢٧٧/٦، أبو داود فى السنن رقم: ٢٦٧١، والبيهقى فى السنن: ٨٢/٩، وابن =

قسم فيء بنى قريظة

ثم إن رسول الله ﷺ قسم أموال بنى قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين، وأعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال، وأخرج منها الخمس، فكان للفارس ثلاثة أسهم: للفارس سهمان ولفارسه سهم، وللراجل - من ليس له فرس - سهم، وكانت الخيل يوم بنى قريظة ستة وثلاثين فرساً، وكان أول فيء وقعت فيه السهمان، وأخرج منها الخمس، فعلى سنتها وما مضى من رسول الله ﷺ فيها وقعت المقاسم، ومضت السنة في المغازي^(١).

ثم بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصاري أخا بنى عبد الأشهل بسبأيا من بنى قريظة إلى نجد، فابتاع لهم بها خيلاً وسلاحاً^(٢).

ريحانة الحبيب ﷺ

وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن جُفاعة، إحدى نساء بنى عمرو بن قريظة، فكانت عند رسول الله ﷺ حتى توفى عنها وهي في ملكه، وقد كان رسول الله ﷺ عرض عليها أن يتزوجها، ويضرب عليها الحجاب، فقالت: يا رسول الله، بل تتركني في ملكك، فهو أخف عليّ وعليك، فتركها. وقد كانت حين سبأها قد تعصت بالإسلام، وأبت إلا اليهودية، فعزلها رسول الله ﷺ، ووجد في نفسه لذلك من أمرها. فبينما هو مع أصحابه، إذ سمع وقع نعلين خلفه، فقال: «إن هذا لثعلبة بن سعية يبشرني بإسلام ريحانة»، فجاءه فقال: يا رسول الله، قد أسلمت ريحانة، فسرّه ذلك من أمرها^(٣).

= هشام في السيرة: ٢/٢٤٢، والحاكم في المستدرک: ٣/٣٥ - ٣٦، وقال: صحيح على شرط مسلم: ولم يخرجاه، والطبري في التاريخ: ٢/٥٨٩، جميعاً من طريق ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع فسند صحيح، وقال الساعاني في الفتح الرباني ٢١/٨٥: سنده صحيح ورجاله ثقات.

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «تاريخه» (١٠٣/٢) والبيهقي في «الدلائل» (٢٤/٤) من حديث ابن إسحاق... به وأخرجه البخاري في كتاب «الجهاد» باب «سهم الفرس» (٦/ح ٢٨٦٣) فتح وفي كتاب «المغازي» (٧/ح ٤٢٢٨) ومسلم في كتاب «الجهاد» باب «كيفية قسمة الغنمة بين الحاضرين» (١٣٨٣/٥٧/٣).

(٢) السيرة النبوية/ لابن هشام (٣/٢١٣: ٢١٤).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تاريخه (١٠٣/٢) وابن كثير في البداية (٤/١٢٦).

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

عرش الرحمن يهتز لموت سعد بن معاذ

فها هو الحبيب ﷺ يدخل على سعد وهو يكيد نفسه فقال: «جزاك الله خيراً من سيد قوم، فقد أنجزت ما وعدته. ولينجزنك الله ما وعدك»^(١).

فها هو سعد بن معاذ يهتز لموته عرش الرحمن - جل جلاله -.

قال ﷺ: «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ»^(٢).

وعن أسماء بنت يزيد بن سكن قالت: لما توفي سعد بن معاذ صاحت أمه فقال النبي ﷺ: «ألا يرقا دمعك ويذهب حزنك بأن ابنك أول من ضحك الله له واهتز له العرش؟»^(٣).

قال الإمام النووي - رحمه الله -: قوله ﷺ: «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ» اختلف العلماء في تأويله. فقالت طائفة هو على ظاهره واهتزاز العرش: تحركه فرحاً بقدوم روح سعد وجعل الله تعالى في العرش تمييزاً، حصل به هذا ولا مانع منه كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤] وهذا القول هو ظاهر الحديث وهو المختار^(٤).

الملائكة تحمل جنازة سعد

عن محمود بن لبيد قال: لما أُصيب أكحلُّ سعد، فثقل، حولَّوه عند امرأة يقال لها رُفيدة تُداوى الجرحى. فكان النبي ﷺ إذا مر به يقول: كيف أمسيت، وكيف أصبحت؟ فيخبره حتى كانت الليلة التي نقله قومه فيها وثقل، فاحتملوه إلى بنى عبد الأشهل إلى منازلهم، وجاء رسول الله، فقبل: انطلقوا به. فخرج وخرجنا معه، وأسرع حتى تقطعت شسوع نعالنا، وسقطت أرديتنا، فشكا ذلك إليه أصحابه، فقال: «إني أخاف أن تسبقنا إليه الملائكة فتغسله كما غسلت حنظلة» فانتَهَى إلى البيت، وهو يُغسل، وأمّه تبكيه وتقول:

(١) قال الأرئؤوط: رجاله ثقات - أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/٢/٩).

(٢) متفق عليه عن جابر - وأخرجه مسلم وأحمد عن أنس.

(٣) قال الهيثمي في المجمع (٩/٣٠٩) رواه الطبراني ورجال رجال الصحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي في تلخيصه.

(٤) مسلم بشرح النووي (١٦/٣٢).

ويل أم سعد سعداً حزامهً وجداً

فقال: «كُلُّ باكية تكذبُ إلا أم سعد» ثم خرج به. قال: يقول له القوم: ما حملنا يا رسول الله ميتاً أخفَّ علينا منه. قال: «ما يمنعه أن يخفَّ وقد هبط من الملائكة كذا وكذا لم يهبطوا قطُّ قبل يومهم، قد حملوه معكم»^(١).

سعد بن معاذ وضمة النضير

عن جابر - رضى الله عنه - قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ يوماً إلى سعد بن معاذ حين تُوفى. قال: فلما صلى عليه رسول الله، ووُضع في قبره، وسُوى عليه سبَّح رسول الله ﷺ تسييحاً طويلاً. ثم كبر فكبرنا. فقليل: يا رسول الله، لِمَ سبَّحت ثم كبرت؟ قال: لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرجه الله - عز وجل - عنه^(٢).

وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «هذا العبد الصالح الذى تحرك له العرش، وفتحت أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة لم ينزلوا إلى الأرض قبل ذلك، لقد ضُمَّ ضمةً ثم أُفْرِج عنه» يعنى سعداً^(٣).

قال الإمام الذهبى - رحمه الله -: قلت: هذه الضمة ليست من عذاب القبر فى شيء، بل هو أمر يجده المؤمن كما يجد ألم فقد ولده وحميمه فى الدنيا، وكما يجد من ألم مرضه، وألم خروج نفسه، وألم سؤاله فى قبره وامتحانه، وألم تأثره بيبكاء أهله عليه، وألم قيامه من قبره، وألم الموقف وهوله، وألم الورود على النار، ونحو ذلك. فهذه الأراجيف كلها قد تنال العبد وما هى من عذاب القبر، ولا من عذاب جهنم قط، ولكن العبد التقى يرفقُ الله به فى بعض ذلك أو كله، ولا راحة للمؤمن دون لقاء ربه. قال الله تعالى: ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ [مريم: ٣٩]، وقال: ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ [غافر: ١٨]، فنسأل الله تعالى العفو واللطف الخفى.

ومع هذه الهزات، فسعدٌ ممن نعلم أنه من أهل الجنة، وأنه من أرفع الشهداء - رضى

(١) أخرجه ابن سعد (٣/٢/٨)، وحسنه الأرئوط فى السير (١/٢٨٧).

(٢) رواه أحمد (٣/٣٦٠، ٣٧٧) وصححه الحاكم (٣/٣٠٦) مختصراً ووافقه الذهبى.

(٣) أخرجه النسائى (٤/١٠٠) فى الجناز: باب ضمة القبر وضغطه، وابن سعد (٣/٢/٩) - وصححه

الألبانى فى صحيح الجامع (٦٩٨٧).

رفع

عن الشيخ (الترمذى)
(مسند الشيخ (الترمذى))

الله عنه - كأنك يا هذا تظن أن الفائز لا يتأله هولٌ في الدارين، ولا روع ولا ألم، ولا خوف. سل ربك العافية، وأن يحشرنا في زمرة سعد^(١).

مناديل سعد بن معاذ في الجنة

عن أبي إسحاق قال: سمعتُ البراء يقول: أُهديتُ لرسول الله ﷺ حُلَّةٌ حرير، فجعل أصحابه يلمسونها، ويعجبون من لينها، فقال: «أتعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة، خيرٌ منها وألين»^(٢).

وعن أنس - رضى الله عنه - أنه أُهدى لرسول الله ﷺ جُبَّةٌ من سندس، وكان ينهى عن الحرير، فعجب الناس منها، فقال: «والذى نفسُ محمد بيده! إن مناديل سعد بن معاذ في الجنة، أحسنُ من هذا»^(٣).

قال الإمام النووي - رحمه الله -: قال العلماء هذه إشارة إلى عظيم منزلة سعد في الجنة، وأن أدنى ثيابه فيها خير من هذه؛ لأن المنديل أدنى الثياب؛ لأنه مُعدُّ للوسخ والامتهان فغيره أفضل، وفيه إثبات الجنة لسعد^(٤).

* وقال القاسمي: وبتمام تلك الغزوة أراح الله المسلمين من شر مجاورة اليهود الذين تعودوا الغدر والخيانة، ولم يبق إلا بقية من كبارهم بخير مع أهلها، وهم الذين كانوا السبب في إثارة الأحزاب^(٥).

(١) السير للإمام الذهبي (١/ ٢٩٠: ٢٩١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٦٨) عن البراء - رضى الله عنه -.

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٦٩) عن البراء - رضى الله عنه -.

(٤) مسلم بشرح النووي (١٦/ ٣٤).

(٥) محاسن التأويل (١٣/ ٢٤٦).

أحداث وقعت بعد غزوة بني قريظة

زواج النبي ﷺ بزینب بنت جحش (رضی الله عنها)

وها هي قصة زواج النبي ﷺ بزینب بنت جحش رضي الله عنها:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

قال الحافظ ابن حجر في الفتح:

وقد أخرج ابن أبي حاتم هذه القصة من طريق السدي فساقتها سياقا واضحا حسنا ولفظه «بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش، وكانت أمها أمة بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ أراد أن يزوجه زيدا بن حارثة مولاة فكرهت ذلك، ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله ﷺ فزوجها إياه، ثم أعلم الله عز وجل نبيه ﷺ بعد أنها من أزواجه فكان يستحي أن يأمر بطلاقها، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس، فأمره رسول الله ﷺ أن يمسك عليه زوجه وأن يتقى الله، وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا تزوج امرأة ابنه، وكان قد تبنى زيدا». وعنده من طريق علي بن زيد عن علي بن الحسين بن علي قال: أعلم الله نبيه ﷺ أن زينب ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها، فلما أتاه زيد يشكوها إليه وقال له اتق الله وأمسك عليك زوجك قال الله: قد أخبرتك أنني مزوجكها، وتخفي في نفسك ما الله مبديه^(١).

(١) فتح الباري (٨/ ٣٨٤).

وهكذا أصبحت أما للمؤمنين

فلما طلق (زيد) (زينب) - رضى الله عنهما - وانقضت عدتها تزوجها رسول الله ﷺ لتنال أعظم منقبة فى الكون كله فتكون زوجة لسيد الأولين والآخرين ﷺ ولتكون أما للمؤمنين.

عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن هذه الآية ﴿وَتُخْفَىٰ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ نزلت فى شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة^(١).

وعن أنس (رضى الله عنه) قال: لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد: «فاذكريها على» قال: فانطلق زيد حتى أتاها وهى تخمر عجينها قال: فلما رأيتها عظمت فى صدرى حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله ﷺ ذكرها، فوليتها ظهري ونكصت على عقبي فقلت: يا زينب أرسل رسول الله ﷺ يذكرك قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن قال فقال: ولقد رأيتنا أن رسول الله ﷺ أطعمنا الخبز واللحم حين امتد النهار، فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون فى البيت بعد الطعام فخرج رسول الله ﷺ واتبعته فجعل يتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن: يا رسول الله، كيف وجدت أهلك؟ قال: فما أدرى أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبرنى قال: فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فألقى الستر بينى وبينه ونزل الحجاب. قال: ووُعظ القوم بما وعظوا به.

زاد ابن رافع فى حديثه ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَاهُ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَجِيبُ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]^(٢).

نزول الحجاب

عن أنس رضى الله عنه قال: «أنا أعلم الناس بالحجاب، لقد كان أبى بن كعب يسألنى عنه قال أنس: أصبح رسول الله ﷺ عروساً بزينب بنت جحش. قال: وكان تزوجها بالمدينة، فدعا الناس للطعام بعد ارتفاع النهار، فجلس رسول الله ﷺ، وجلس

(١) أخرجه البخارى (٤٧٨٧) والترمذى (٣٢١٣) والحاكم (٤١٧/٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٤٢٨) والنسائى (٨٠٧٩/٦) وأحمد (١٩٥/٣ - ١٩٦).

معه رجال بعد ما قام القوم، حتى قام رسول الله ﷺ، فمشى، فمشيت معه حتى بلغ باب حجرة عائشة ثم ظن أنهم قد خرجوا، فرجع ورجعت معه، فإذا هم جلوس مكانهم، فرجع فرجعت الثانية، حتى بلغ حجرة عائشة، فرجع فرجعت، فإذا هم قد قاموا فضرَبَ بينى وبينه بالستر، وأنزل الله آية الحجاب^(١).

فكان من بركات زينب (رضى الله عنها) ومن فضائلها نزول آية الحجاب بسببها وذلك فى صبيحة عرسها.

الله يأمر بزواجها من فوق سبع سموات

والله لكأنى أجد الكلمات تتوارى خجلاً وحياءً أمام تلك المنقبة العظيمة ... فالله هو الذى أمر بزواجها من فوق سبع سموات ولذلك كانت تفتخر أمنا زينب (رضى الله عنها) بهذه المنقبة التى لا توازيها الدنيا بكل ما فيها.

عن أنس قال جاء زيد بن حارثة يشكو فجعل النبى ﷺ يقول: اتق الله وأمسك عليك زوجك». قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كائناً شيئاً لكنتم هذه قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبى ﷺ تقول زوجكن أهاليكن وزوجنى الله تعالى من فوق سبع سموات^(٢).

وعن عيسى بن طهمان قال: سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه يقول: نزلت آية الحجاب فى زينب بنت جحش، وأطعم عليها يومئذ خبزاً ولحماً، وكانت تفخر على نساء النبى ﷺ وكانت تقول: «إن الله أنكحنى فى السماء»^(٣).

(١) أخرجه البخارى فى الأطعمة باب قوله تعالى «فإذا طعمتم فانثروا» حديث رقم: (٥٤٦٦)، مسلم فى النكاح باب زواج زينب بنت جحش رقم: ٩٣/١٤٢٨.

(٢) أخرجه البخارى (٧٤٢٠) والترمذى (٣٢١٣).

(٣) أخرجه البخارى (٧٤٢١) وأحمد (٢٢٦/٣).

مقتل أبي رافع (سلام بن أبي الحقيق)

ولم تنته الخصومة بين المسلمين واليهود بانهزام قريظة وإنكسار شوكتها، فإن بعض مؤلبي الأحزاب على الإسلام فرَّ إلى خيبر لائذاً بحصونها مستظهاً بإخوانه فيها، مثل أبي رافع بن أبي الحقيق، وهو شريك (حبي) في التطواف بالقبائل يستجلبها إلى يشرب بغية الإتيان على الإسلام وأهله، وليس يؤمن لليهود شر ما بقيت لهم قدرة على فعله^(١).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وقد قدما أن أبا رافع كان ممن ألب الأحزاب على رسول الله ﷺ، ولم يقتل مع بنى قريظة كما قُتل صاحبه حبي بن أخطب، ورغبت الخزرج في قتله مساواة للأوس في قتل كعب بن الأشرف، وكان الله - سبحانه وتعالى - قد جعل هذين الحيين يتصاولان بين يدي رسول الله ﷺ في الخيرات، فاستأذنه في قتله، فأذن لهم، فانتدب له رجال كلهم من بنى سلمة، وهم عبد الله بن عتيك وهو أمير القوم، وعبد الله بن أنيس، وأبو قتادة الحارث بن ربیع، ومسعود بن سنان، وخزاعي بن أسود^(٢).

وعن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال: «بعث رسول الله ﷺ رهطاً إلى أبي رافع، فدخل عليه عبد الله بن عتيك بيته ليلاً، وهو نائم فقتله»^(٣).

وعن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال: «بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجلاً من الأنصار، فأمر عليهم عبد الله بن عتيك، وكان أبو رافع يؤذى رسول الله ﷺ، ويعين عليه، وكان في حصن له بأرض الحجاز، فلما دنوا منه، وقد غربت الشمس، وراح الناس بسرهم، فقال عبد الله لأصحابه: اجلسوا مكانكم، فإنى منطلق ومتلطف للبواب لعلنى أن أدخل، فأقبل حتى دنا من البواب، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضى حاجة، وقد دخل الناس، فهتف به البواب: يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإنى أريد أن أغلق الباب، فدخلت، فكمنت، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الأغاليق^(٤) على عود.

(١) فقه السيرة / للغزالي (ص: ٣٥٩).

(٢) زاد المعاد (٣/ ٢٧٥: ٢٧٦).

(٣) أخرجه البخارى (٤٠٣٨) المغازى.

(٤) الأغاليق: جمع غلق ما يغلق به الباب وهو المفتاح.

قال: فقممت إلى الأقاليد^(١) فأخذتها، ففتحت الباب، وكان أبو رافع يُسمرُ عنده، وكان في علالي له، فلما ذهب عنه أهل سمره، صعدت إليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت على من داخل، قلت: إن القوم نذروا بي لم يخلصوا إليّ حتى أقتله، فانتهيت إليه، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله، لا أدري أين هو من البيت، فقلت: أبا رافع؟ قال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت، فأضربه ضربة بالسيف، وأنا دهش فما أغثت شيئاً، وصاح، فخرجت من البيت، فأمكث غير بعيد، ثم دخلت إليه فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟

فقال: لأملك الويل، إن رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف، قال: فأضربه ضربة أثخنه، ولم أقتله، ثم وضعت خبيب السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره، فعرفت أنني قتلته، فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجة له فوضعت رجلي، وأنا أرى أنني قد انتهيت إلى الأرض فوقعت في ليلة مقمرة، فانكسرت ساقى فعصبتها بعمامة، ثم انطلقت حتى جلست على الباب فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتله أم لا، فلما صاح الديك قام الناعى على السور، فقال: أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فانطلقت إلى أصحابي فقلت: النجاء، فقد قتل الله أبا رافع، فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدثته، فقال لي: (ابسط رجلك)، فبسطت رجلى فمسحها فكأنها لم أشتكها قط^(٢).

✽ وعاد القوم إلى المدينة يبشرون من وراءهم أنهم أراحوا من طريق الدعوة عقبة كأداء.

تضعضع الكفر بعد هذه الوقعات الغليظة. ورست أصول الإسلام واطمأنت دولته. فما انتهت السنة الخامسة للهجرة حتى أصبح المسلمون قوة تفرض نفسها وتذيق المعاندين بأسها. واستيقنت قريش وأحلافها أن رد المسلمين إلى عبادة الأوثان ضربٌ من المستحيل، كما استيقن اليهود أن خصامهم الخبيث للدين الجديد والرسالة الخاتمة لم يزد هم إلا خيالاً^(٣).

✽ قال الحافظ ابن حجر (رحمه الله): في هذا الحديث من الفوائد جواز اغتيال المشرك الذي بلغته الدعوة وأصر، وقتل من أعان على رسول الله ﷺ بيده أو ماله أو

(١) الأقاليد: جمع إقليد وهو المفتاح.

(٢) أخرجه البخارى (٤٠٣٩) المغازى.

(٣) فقه السيرة/ للغزالي (ص: ٣٦٠: ٣٦١).

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

لسانه، وجواز التجسس على أهل الحرب وتطلب غرتهم، والأخذ بالشدة في محاربة المشركين، وجواز إيهام القول للمصلحة، وتعرض القليل من المسلمين للكثير من المشركين، والحكم بالدليل والعلامة لاستدلال أبي عتيك على أبي رافع بصوته، واعتماده على صوت الناعى بموته، والله أعلم^(١).

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

(١) فتح الباري (٧/٤٠٠).

غزوة بنى لحيان

كانت في أوائل السنة السادسة للهجرة على الصحيح كما قاله ابن كثير^(١).

وقد صلى النبي ﷺ بأصحابه صلاة الخوف لأول مرة بعسفان كما جاء في حديث أبي عياش الزرقى (رضى الله عنه) قال: «كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان، فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد، وهم بيننا وبين القبلة، فصلى رسول الله ﷺ الظهر فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم، ثم قالوا: تأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم.

قال: فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات بين الظهر والعصر ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ١٠٢] قال: فحضرت، فأمرهم رسول الله ﷺ، فأخذوا السلاح، قال: فصفنا صفين، قال: ثم ركع، فركعنا جميعاً، ثم رفع، فرفعنا جميعاً، ثم سجد النبي ﷺ بالصف الذي يليه، والآخرين قيام يحرسونهم فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون، فسجدوا في مكانهم، ثم تقدم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء، وجاء هؤلاء إلى مصاف هؤلاء قال: ثم ركع فركعوا جميعاً، ثم رفع فرفعوا جميعاً، ثم سجد النبي ﷺ والصف الذي يليه، والآخرين قيام يحرسونهم، فلما جلس، جلس الآخرون فسجدوا فسلم عليهم ثم انصرف، قال: فصلاها رسول الله ﷺ مرتين، مرة بعسفان ومرة بأرض بنى سليم^(٢).

* وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: (إن رسول الله ﷺ نزل بين ضبجان وعسفان، فقال المشركون: إن لهم صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم، وهي العصر، فأجمعوا أمرهم، فميلوا عليهم ميلة واحدة، وإن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فأمره أن يقسم أصحابه شطرين، فيصلى ببعضهم، وتقوم الطائفة الأخرى وراءهم ليأخذوا حذرهم وأسلحتهم، ثم تأتي الأخرى فيصلون معه، ويأخذ هؤلاء حذرهم وأسلحتهم، لتكون لهم ركعة ركعة مع رسول الله ﷺ، ولرسول الله ﷺ ركعتان^(٣).

(١) السيرة النبوية/ لابن كثير (٢٨٥/٣).

(٢) أخرجه أحمد (٤/٥٩: ٦٠) وأبو داود (١٢٣٦) والحاكم (١/٣٣٧: ٣٣٨) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وهو كما قال.

(٣) أخرجه أحمد (٢/٥٢٢) والترمذي (٣٠٣٨) وقال الترمذي: حسن صحيح.

رفع

عبد الرحمن بن القحطاني
أسكنه الله الفردوس

وبنو لحيان هم الذين كانوا قد غدروا بعشرة من أصحاب رسول الله ﷺ بالرجيع، وتسببوا في إعدامهم، ولكن لما كانت ديارهم متوغلة في الحجاز إلى حدود مكة، والتارات الشديدة قائمة بين المسلمين وقريش والأعراب، لم يكن يرى رسول الله ﷺ أن يتوغل في البلاد بمقربة من العدو الأكبر، فلما تخاذلت الأحزاب، واستوهنت عزائمهم، واستكانوا للظروف الراهنة إلى حد ما، رأى أن الوقت قد آن لأن يأخذ من بنى لحيان ثأر أصحابه المقتولين بالرجيع^(١).

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفرًا وشهري ربيع، وخرج في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح قريظة إلى بنى لحيان يطلب بأصحاب الرجيع: خبيب بن عدى وأصحابه، وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرّه^(٢).

• قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بنى لحيان بعد قريظة بستة أشهر ليغزوهم، فخرج رسول الله ﷺ في مائتي رجل، وأظهر أنه يريد الشام، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، ثم أسرع السير حتى انتهى إلى بطن غُرَّان^(٣) واد من أودية بلادهم، وهو بين أمج وعُسْفان حيث كان مصاب أصحابه، فترحم عليهم ودعا لهم، وسمعت بنو لحيان فهربوا في رؤوس الجبال، فلم يقدر منهم على أحد، فأقام يومين بأرضهم، وبعث السرايا، فلم يقدرُوا عليهم، فسار إلى عُسْفان، فبعث عشرة فوارس إلى كُرَاع الغَمِيم لتسمع به قريش، ثم رجع إلى المدينة، وكانت غيبته عنها أربع عشرة ليلة^(٤).

(١) الرحيق المختوم (ص: ٣٤٩).

(٢) تهذيب السيرة (ص: ١٨٤) لعبد السلام هارون.

(٣) بضم الغين والتخفيف: اسم وادي الأزرق خلف أمج، وقال المجد: علم مرتجل لواد ضخم وراء وادي ساية (من أعمال المدينة) وفيه كانت منازل بنى لحيان.

(٤) انظر ابن هشام (٢/ ٢٧٩، ٢٨١)، وشرح المواهب (٢/ ١٤٦، ١٥٣)، وابن سعد (٢/ ٧٨، ٨٠) والطبري

(٣/ ٥٩) وابن سيد الناس (٢/ ٨٣) وابن كثير (٣/ ١٥٦).

سرية نجد وقصة إسلام ثمامة بن أثال

خرج ثمامة من أرض اليمامة مولياً وجهه شطر مكة المكرمة يريد الطواف حول الكعبة والذبح لأصنامها. وإذا بالنبي ﷺ يرسل سرية إلى أرض نجد فيأتوا به أسيراً.

فعن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال: «ماذا عندك يا ثمامة؟» فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكرك، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت. فترك حتى كان الغد ثم قال له: «ما عندك يا ثمامة؟» فقال: ما قلت لك: إن تنعم تنعم على شاكرك، فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: «ما عندك يا ثمامة؟» فقال: عندي ما قلت. فقال: «أطلقوا ثمامة».

فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلى من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليّ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك فأصبح دينك أحب الدين إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إليّ. وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر - وفي رواية: فاغتسل وصلى ركعتين فقال رسول الله ﷺ: لقد حسن إسلام صاحبكم»^(١).

فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت؟ قال: لا والله، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتیکم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ^(٢).
الله أكبر... يدخل ثمامة مكة ملبياً فيكون أول مسلم على وجه الأرض يدخل مكة ملبياً ورافعاً صوته بالتلبية.

«ليک اللهم لیك... لیك لا شریک لك لیك. إن الحمد والنعمة لك والملك... لا شریک لك».

إن قريشاً تعلم أن ثمامة سيد من سادات بنى حنيفة المرموقين وملك من ملوك اليمامة الذين لا يعصى لهم أمر.

(١) رواه ابن حبان (موارد الظمان ٣٢٨١) قال العدوي: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٧٢) ومسلم (١٧٦٤).

ولقد أقسم بالله ليمنعن عن قريش الطعام حتى يتبعوا محمداً ﷺ .
ولقد عاد ثمامة إلى بلاده (اليمامة) التي كانت بمثابة الريف لأهل مكة، فأمر قومه أن يحبسوا الميرة - الطعام - عن قريش فاستجابوا لأمره، وحبسوا الطعام عن أهل مكة حتى جهدت قريش وكتبوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه بأرحامهم أن يكتب إلى ثمامة يخلي إليهم حمل الطعام ففعل رسول الله ﷺ (١).

ثبات على المبدأ

هكذا استطاع ثمامة - رضى الله عنه - أن يقف هذا الموقف الإيجابي للذود عن حياض الإسلام فيمنع الخير عن أعداء الله رغبة في إسلامهم ليحقق بذلك تلك الخيرية التي امتن الله بها على تلك الأمة الميمونة حيث يقول: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ويا له من درس عظيم ... فلو أن الأمة منعت خيرها عن اليهود وسائر أعداء هذا الدين لجاءوا جميعاً ووضعوا رؤوسهم على عتبة الإسلام بدلاً من الذل الذي تعيشه الأمة المسلمة في ظل التخاذل الجماعي من أبنائها - إلا من رحم الله - عن نصرة دين الله وعن العمل لهذا الدين العظيم.

فيا ليتنا نعى هذا الدرس جيداً (٢).

• قال الحافظ ابن حجر (رحمه الله):

وفي قصة ثمامة من الفوائد ربط الكافر في المسجد، والمن على الأسير الكافر، وتعظيم أمر العفو عن المسيء لأن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب حباً في ساعة واحدة لما أسداه النبي ﷺ من العفو والمن بغير مقابل ... وفيه الاغتسال عند الإسلام وأن الإحسان يزيل البغض ويثبت الحب، وأن الكافر إذا أراد عمل خير ثم أسلم شرع له أن يستمر في عمل ذلك الخير، وفيه الملاطفة بمن يرجى إسلامه من الأسرى إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام، ولا سيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه، وفيه بعث السرايا إلى بلاد الكفار، وأسر من وجد منهم، والتخيير بعد ذلك في قتله أو الإبقاء عليه (٣).

(١) زاد المعاد (١١٩/٢) ومختصر سيرة الرسول ﷺ للشيخ عبد الله النجدي (ص: ٢٩٢ - ٢٩٣) بتصرف.

(٢) أصحاب الرسول ﷺ / للمصنف (٢/ ٩٧: ٩٩) بتصرف.

(٣) فتح الباري (٧/ ٦٩٠).

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

قصة العرنيين

عن أنس (رضى الله عنه) قال: «إن ناساً من عكل وعرينة^(١) قدموا المدينة على النبي ﷺ ، وتكلموا بالإسلام فقالوا: يا نبي الله إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف، واستوخموا المدينة^(٢)، فأمر لهم رسول الله ﷺ بذود وراع، وأمرهم أن يخرجوا فيه، فيشربوا من ألبانها وأبوالها، فانطلقوا، حتى إذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد إسلامهم، وقتلوا راعي النبي ﷺ ، واستاقوا الذود^(٣)، فبلغ النبي ﷺ ، فبعث الطلب في آثارهم، فأمر بهم، فسمر^(٤)وا أعينهم^(٥)، وقطعوا أيديهم، وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على خالهم». واللفظ للبخارى.

وأما رواية مسلم «أن نفرًا من عكل، ثمانية، قدموا على رسول الله ﷺ ، فبايعوه على الإسلام، فاستوخموا الأرض، وسقمت أجسامهم، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فقال: ألا تخرجون مع راعينا في إبله، فتصيرون من أبوالها وألبانها؟ فقالوا: بلى، فخرجوا فشربوا من أبوالها وألبانها، فصحوا، فقتلوا الراعي وطرّدوا الإبل، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فبعث في آثارهم، فأدركوا فجاء بهم، فأمر فقطعت أيديهم وأرجلهم، وسمر^(٥)وا أعينهم، ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا^(٥)». وهكذا تكون عاقبة الخيانة.

(١) عكل وعرينة: حى من قحطان.

(٢) استوخموا: لم يوافقهم جوها وكرهوها لسقم أصابهم.

(٣) الذود: الإبل.

(٤) سمروا: سمر: كحلها بمسامير محمية، وفي لفظ سمل: فقأها وأذهب ما فيها.

(٥) أخرجه البخارى فى المغازى باب قصة عكل وعرينة حديث رقم ٤١٩٢.

صلح الحديبية

جاء تفكير المسلمين في زيارة المسجد الحرام بداية لمرحلة متميزة في تاريخ دعوتهم. ليسوا يعالنون بعزمهم على دخول مكة وهم الذين طُردوا منها بالأمس وحُوربوا حيث استقرت بهم النوى؟ وظلت حالة الحرب قائمة بينهم وبين قريش لم تسفر عن نتيجة حاسمة؟ فكيف ينوون العمرة في هذه الظروف؟.

والجواب أن النبي ﷺ أراد بهذا التسك المشهود إقرار حق المسلمين في أداء عبادتهم، وإفهام المشركين أن المسجد الحرام ليس ملكاً لقبيل يحتكر القيام عليه ويمكنه الصد عنه، فهو ميراث الخليل إبراهيم. والحج إليه واجب على كل من بلغه أذان أبي الأنبياء من قرون:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ [الحج: ٢٦، ٢٧].

ومن ثم فليس يجوز لأهل مكة أن يحجبوا المسلمين عنه، ولئن استطاعوا قديماً إقصاءهم، فإنهم - بعد ما وقع من قتال - لن يصروا على خطئهم القديم^(١).

لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق

قال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧].

كان رسول الله ﷺ قد رأى في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت، فأخبر أصحابه

رفيع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

(١) فقه السيرة/ للغزالي (ص: ٣٦٥).

بذلك وهو في المدينة، فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تنفسر هذا العام، فلما وقع ما وقع من قضية الصلح ورجعوا عامهم ذلك على أن يعودوا من قابل، وقع في نفس بعض الصحابة رضى الله عنهم من ذلك شيء حتى سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه في ذلك فقال له فيما قال [أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتى البيت ونطوف به؟] قال «بلى أفأخبرتكَ أنك تأتية عامك هذا؟» قال: لا. قال النبي ﷺ: «فإنك أتية ومطوف به» [ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ (١)].

وقت الغزوة

كانت غزوة الحديبية سنة ست للهجرة في ذى القعدة، وهذا هو الصحيح، وهو قول الزهرى، ونافع مولى ابن عمر، وقتادة، وموسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق وغيرهم وهذا هو رأى الجمهور في ذلك (٢).

* وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «اعتمر رسول الله ﷺ أربع عُمَر كلهن في ذى القعدة إلا التى كانت مع حجته، عمرة من الحديبية في ذى القعدة، وعمرة من العام المقبل في ذى القعدة، وعمرة من الجعرانة حيث قسم غنائم حنين في ذى القعدة وعمرة مع حجته» (٣). (٤)

(١) مختصر تفسير ابن كثير (٤/٢٠٩: ٢١٠).

(٢) زاد المعاد: (٣/٢٨٦) دلائل النبوة للبيهقى: ٩٠/٤، السيرة النبوية ابن كثير: ٣/٣١٢.

(٣) أخرجه البخارى في الحج باب كم اعتمر النبي ﷺ رقم: ١٧٨٠، وفي المغازى باب غزوة الحديبية رقم: ٤١٤٨، ومسلم في الحج باب بيان عدد عُمَر النبي ﷺ رقم: ١٢٥٣.

(٤) وقد شذ عن الجمهور في رواية عنه عروة بن الزبير فيما روى عنه ابنه هشام بن عروة: «أن النبي ﷺ خرج إلى الحديبية في رمضان وكانت الحديبية في شوال». وقد قال الحافظ ابن كثير فيما ذهب إليه عروة: وهذا غريب جداً عن عروة، وقال ابن القيم: هذا وهم، وقد جاء عن عروة من طريق أبى الأسود عنه: أنها كانت في ذى القعدة، وهذا هو الصواب. والله أعلم [زاد المعاد (٣/٢٨٧)].

عدد المسلمين الذين كانوا مع النبي ﷺ

جاءت الروايات في عددهم على ثلاثة أوجه:

فمن قائل إنهم كانوا ألفاً وثلاثمائة، ومن قائل أنهم كانوا ألفاً وأربعمائة، ومن قائل أنهم كانوا ألفاً وخمسمائة، وكلها في الصحيح^(١)، نذكر بعض هذه الروايات، ثم نحرر الخلاف بينها ووجه الجمع بين هذه الأقوال:

أ- أنهم كانوا ألفاً وثلاثمائة:

عن عبد الله بن أبي أوفى (رضى الله عنهما) قال: «كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلاثمائة وكانت أسلم تُمن المهاجرين»^(٢).

ب- أنهم كانوا ألفاً وأربعمائة:

عن جابر بن عبد الله (رضى الله عنهما) قال: «قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية أنتم خير أهل الأرض وكنا ألفاً وأربعمائة، ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة»^(٣).

ج- أنهم كانوا ألفاً وخمسمائة:

عن جابر (رضى الله عنه) قال: «لو كنا مائة ألف لكفانا»^(٤): كنا خمس عشرة مائة»^(٥).

قال الحافظ رحمه الله تعالى: «والجمع بين هذا الاختلاف أنهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة، فمن قال ألفاً وخمسمائة جبر الكسر، ومن قال ألفاً وأربعمائة ألغاه، ويؤيده

(١) السيرة النبوية ابن كثير: ٣/٣١٢ زاد المعاد: ٣/٢٨٧.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الحديبية حديث رقم: ٤١٥٥، ومسلم في الإمامة باب استحباب مبايعة الإمام رقم: ١٨٥٧.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الحديبية حديث رقم: ٤١٥٤، ومسلم في الإمامة باب استحباب مبايعة الإمام رقم: ١٨٥٦، ٧١ وأحمد في المسند: ٣/٣٩٦.

(٤) معناه أن الصحابة لما وصلوا الحديبية وجدوا بئراً تنزّل مثل الشراك فبصق النبي ﷺ فيها ودعا بالبركة فجاشت بالماء، فقال جابر لو كنا مائة ألف لكفانا.

(٥) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الحديبية حديث رقم: ٤١٥٢، ومسلم في الإمامة باب استحباب مبايعة الإمام رقم: ١٨٥٦، ٧٢، ٧٣.

قوله في الرواية الثالثة من حديث البراء وألفاً وأربعمئة أو أكثر» واعتمد هذا الجمع النووي.

وأما البيهقي فمال إلى الترجيح، وقال إن رواية من قال ألف وأربعمئة أصح.

تخلف المنافقين عن الخروج

فالأعراب المنتشرون حول يثرب، ومن كان على شاكلتهم من المنافقين. عرفوا أن أهل مكة سوف يقاتلون محمداً عليه الصلاة والسلام، وأنه إذا أبى إلا زيارة البيت - كما أعلن - فلن تدعه قريش حتى تهلكه أو تهلك هي دون إبلاغه مأربه.. فهي عمرة محفوفة بالأخطار في نظرهم، والفرار منها أجدى!! ولو فرض أن الرسول عليه الصلاة والسلام نجح في مقصده هذا، فالاعتذار إليه بعد عودته سهل.

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآلِسَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ [١١] بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَداً وَزَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الفتح: ١١، ١٢].

وخرج المؤمنون الوائقون مع رسول الله عليه الصلاة والسلام وعددهم قريب من ألف وأربعمئة، وذلك في ذى القعدة من السنة السادسة للهجرة. وساروا ملبيين يطوون الطريق إلى البيت العتيق فلما بلغوا «عسفان» على مرحلتين من مكة جاء الخبر إلى المسلمين أن قريشاً خرجت عن بكرة أبيها، وقد أقسمت ألا يدخل بلدهم مسلم، وأن جيشهم استعد للنضال، ويقود خيله خالد بن الوليد^(١).

(١) فقه السيرة/ للغزالي (ص: ٣٦٦: ٣٦٧).

النبي ﷺ يحرم من ذى الخليفة

عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم (يصدق حديث كل منهما حديث صاحبه) قالوا: «خرج رسول الله ﷺ زمان الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه، حتى إذا كانوا بذي الخليفة^(١) قلده رسول الله ﷺ الهدى وأشعره^(٢)، وأحرم بالعمرة، وبعث بين يديه عيناً^(٣) له من خزاعة يخبره عن قريش»^(٤).

المسلمون يتحركون إلى مكة

وتحرك في اتجاه مكة، فلما كان بذي الخليفة قلده الهدى وأشعره، وأحرم بالعمرة، ليأمن الناس من حربه، وبعث بين يديه عيناً له من خزاعة يخبره عن قريش، حتى إذا كان قريباً من عسفان أتاه عينه، فقال: إني تركت كعب بن لؤى قد جمعوا لك الأحابيش، وجمعوا لك جموعاً وهم مقاتلون وصادوك عن البيت. واستشار النبي ﷺ أصحابه، وقال: «أترؤن نميل إلى ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم؟ فإن قعدوا قعدوا موتورين محزونين، وإن نجوا يكن عنق قطعها الله، أم تريدون أن نؤم هذا البيت، فمن صدنا عنه قاتلناه؟» فقال أبو بكر: الله ورسوله أعلم، إنما جئنا معتمرين، ولم نجئ لقتال أحد، ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه، فقال النبي ﷺ: «فروحوا» فراحوا^(٥).

محاولة قريش صد المسلمين عن البيت

وكانت قريش لما سمعت بخروج النبي ﷺ عقدت مجلساً استشارياً، قررت فيه صد المسلمين عن البيت كيفما يمكن فبعد أن أعرض رسول الله ﷺ عن الأحابيش، نقل إليه رجل من بني كعب أن قريشاً نازلة بذي طوى، وأن مائتي فارس في قيادة خالد بن الوليد مرابطة بكراع الغميم، في الطريق الرئيسي الذي يوصل إلى مكة. وقد حاول خالد

(١) ذى الخليفة: ماء لبنى جشم على ستة أميال عن المدينة وهو ميقات أهل المدينة للحج وهو ما يسمى آبار على.

(٢) أشعار الهدى: شق أحد جنبى سنام البدنة حتى يسيل دمها ويجعل ذلك علامة لها لتعرف بأنها هدى.

(٣) العين: الجاسوس.

(٤) أخرجه البخارى فى المغازى باب غزوة الحديبية حديث رقم: ٤١٧٨، ٤١٧٩، ٤١٨٠، ٤١٨١، وأبو داود فى الجهاد باب صلح العدو: ٢٧٦٥.

(٥) أخرجه البخارى (٣٥٧٦)، ومسلم (١٨٥٦)، والنسائى [٦٠/١].

رفع
عن الرجل (النجاشي)
(الملك) (الذي) (الدونكيس)

صد المسلمين، فقام بفرسانه إزاءهم يتراءى الجيشان، ورأى خالد المسلمين فى صلاة الظهر يركعون ويسجدون، فقال: لقد كانوا على غرة، لو كنا حملنا عليهم لأصبنا منهم، ثم قرر أن يميل على المسلمين - وهم فى صلاة العصر - ميلاً واحدة، ولكن الله أنزل حكم صلاة الخوف، ففاتت الفرصة خالداً^(١).

حبسها حابس الفيل

من حديث مروان والمصور السابق: «... فراحوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبى ﷺ: (إن خالد بن الوليد بالغميم)^(٢)، فى خيل لقريش طليعة^(٣)، فخذوا ذات اليمين)، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة^(٤) الجيش، فانطلق يركض نذيراً لقريش، وسار النبى ﷺ حتى إذا كان بالثنية^(٥) التى يهبط عليهم منها، بركت راحلته، فقال الناس: «حل حل»^(٦) فألحت، فقالوا: خلأت القصواء، فقال ﷺ: (ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل)^(٧)»^(٨).

تعظيم حرّمات الله تعالى

من حديث مروان والمصور السابق: «... فقال النبى ﷺ: (ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل)، ثم قال: (والذى نفسى بيده، لا يسألوننى خطة يعظمون فيها حرّمات الله إلا أعطيتهم إياها). ثم زجرها فوثبت. قال: فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء»^(٩).

(١) الرحيق المختوم (ص: ٣٦٥).

(٢) الغميم: موضع قريب من مكة بين رابغ والجحفة.

(٣) طليعة: مقدمة الجيش لاستكشاف العدو.

(٤) قتره الجيش: غبار الجيش.

(٥) الثنية: هى ثنية المرار موضع بين مكة والمدينة من طريق الحديبية.

(٦) حل حل: لفظ يزجر به الدابة إذا حملت على السير.

(٧) حبسها حابس الفيل: حبسها الله عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها.

(٨) أخرجه البخارى فى كتاب الشروط باب الشروط فى الجهاد، والمصالحة مع أهل الحرب الشروط رقم: ٢٧٣١، ٢٧٣٢، بلفظ أطول من لفظه فى المغازى.

(٩) سبق تخريجه.

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

لا يجوز أحد الليلة هذه الثانية إلا غفر له

عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ، حتى إذا كنا بعسفان قال لنا رسول الله ﷺ: إن عيون المشركين الآن على ضجنان فأياكم يعرف طريق الحنظل؟ فقال رسول الله ﷺ حين أمسى: (هل من رجل فينزل فيسعى بين يدي الركاب؟) فقال رجل: أنا يا رسول الله فنزل: فجعلت الحجارة تنكبه^(١)، والشجر يتعلق بثيابه، فقال رسول الله ﷺ: (اركب)، ثم نزل آخر، فجعلت الحجارة تنكبه، والشجر يتعلق بثيابه، فقال رسول الله ﷺ: (اركب)، ثم وقعنا على الطريق حتى سرنا في ثنية يقال لها الحنظل، فقال رسول الله ﷺ: (ما مثل هذا الثنية إلا كمثل الباب الذي دخل فيه بنو إسرائيل، قيل لهم: ادخلوا الباب سجداً، وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم... لا يجوز أحد الليلة هذه الثانية إلا غفر له)، فجعل الناس يسرعون ويجوزون، وكان آخر من جاز قتادة بن النعمان في آخر القوم، قال: فجعل الناس يركب بعضهم بعضاً حتى تلاحقنا، قال: فنزل رسول الله ﷺ ونزلنا^(٢).

معجزات النبي ﷺ في قصة الحديبية

* عن البراء بن عازب (رضى الله عنهما) قال: «تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح: بيعة الرضوان يوم الحديبية، كنا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة، والحديبية بئر فنزحناها، فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأثنى فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء منها، فتوضأ، ثم مضمض، ودعا، ثم صبه فيها، فتركها غير بعيد، ثم إنها أصدرتنا نحن وركائبنا^(٣)».

وفي رواية: «فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضاً فلم يلبثه الناس حتى نزحوه، وشكى إلى رسول الله ﷺ العطش، فانتزع سهماً من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه^(٤)».

(١) تنكبه: تناله وتصيبه.

(٢) أخرجه البزار كما في كشف الأستار: (١٨١٢، ٣٧٧/٢ - ٣٣٨) وقال الهيثمي في المجمع: (١٤٤/٦) رواه البزار ورجاله ثقات.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الحديبية حديث: (٤١٥٠، ٤١٥١).

(٤) سبق تخريجه.

* وعن جابر رضى الله عنه قال: «عطش الناس يوم الحديبية، ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة، فتوضأ منها، ثم أقبل الناس نحوه، فقال رسول الله ﷺ: مالكم؟ قالوا: يا رسول الله، ليس عندنا ماء نتوضأ به ولا نشرب إلا ما فى ركوتك. قال: فوضع النبی ﷺ يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون قال فشربنا وتوضأنا»^(١).

* وعن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة، فأصابنا جهد»^(٢) حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا، فأمر نبي الله ﷺ فجمعنا مزادنا^(٣) فبسطنا له نطعاً^(٤)، فاجتمع زاد القوم على النطع، قال: فتناولت لأحزره^(٥) كم هو؟ فحزرتة كربضة العنز^(٦) ونحن أربع عشرة مائة، قال: فأكلنا حتى شبعنا جميعاً، ثم حشونا جربنا^(٧)»^(٨).

بديل بن ورقاء يتوسط بين النبي ﷺ وقريش

من حديث مروان والمسور الذى سبق بعضه «... فينما هم كذلك، إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي فى نفر من قومه من خزاعة - وكانوا عيبة نصيح^(٩) رسول الله ﷺ من أهل تهامة، فقال: إني تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى نزلوا أعداد مياه الحديبية^(١٠)، ومعهم العوذ المطافيل^(١١)، وهم مقاتلونك، وصادوك عن البيت، فقال رسول الله ﷺ: (إنا

(١) رواه البخارى (٥٠٥/٧) المغازى، ومسلم مختصراً (٤/١٣) الإمامة، وأحمد (٣/٣٢٩).

(٢) الجهد: المشقة.

(٣) مزادنا: جمع مزود وهو الوعاء الذى يحمل فيه الزاد.

(٤) بسطنا له نطعاً: وضعنا له بساطاً أى لما معنا من الزاد.

(٥) تناولت لأحزره: أى لأقدره وأخمنه.

(٦) ربطة العنز: مبركها أو كقدرها وهى رابضة.

(٧) جربنا: جمع جراب: الوعاء من الجلد يجعل فيه الزاد.

(٨) أخرجه البخارى فى الشركة باب الشركة فى الطعام والنهد والعروض رقم: (٢٤٨٤، ٢٩٨٢) - مسلم فى اللقطة باب استحباب خلط الأزواد إذا قلت والمؤاساة فيها حديث رقم: (١٧٢٩) (٣/١٣٥٤).

(٩) عيبة نصيح: موضع الأمانة والسر والنصيحة.

(١٠) نزلوا أعداد مياه الحديبية: الماء الذى لا انقطاع له، وهذا يدل على أنه كان بالحديبية ماء كثير، ولكن

سبقته إليه قريش ولذلك عطش المسلمون حين نزلوا على الثمد.

(١١) العوذ المطافيل: العوذ جمع عائد وهى الناقة ذات اللبن، والمطافيل: الأمهات اللاتى معهن أولادهن: كناية

أنهم خرجوا معهم يتزودون الألبان يتزودوا بألبانها ولا يرجعوا حتى يمتنعوه.

رقع

عبد الرحمن بن القاسم
أبو بكر بن عبد الرحمن

لم نجئ لقتال أحد، ولكننا جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب، وأضررت بهم، فإن شاءوا ماددتهم مدة، ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر، فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا^(١)، وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمرى حتى تنفرد سالفتي. ولينفذن الله أمره)، فقال بديل: سأبلغهم ما تقول.

قال: فانطلق حتى أتى قريشاً قال: إنا جئناكم من عند هذا الرجل، وسمعناه يقول قولاً: فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا، فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن نخبرونا عنه بشيء، وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول: قال: سمعته يقول: كذا وكذا، فحدثهم بما قال النبي ﷺ.

سفارة قريش

وبعث قريش سفيرها مكرز بن حفص بن الأخيف، ولما وصل ورآه النبي ﷺ وهو يتقدم نحوه حتى قال ﷺ: «هذا رجل غادر» ولما انتهى إلى رسول الله ﷺ وكلمه قال له نحواً مما قال لبديل بن ورقاء وأصحابه فرجع السفير الغادر فبلغ قريشاً ما سمعه من رسول الله ﷺ.

إرسال سيد الأحابيش للتفاوض مع النبي ﷺ

من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم الآنف الذكر «... فقال رجل من بني كنانة دعوني آتية؟ فقالوا: آتته، فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ: (هذا فلان: وهو من قوم يعظمون البدن، فابعثوها له)، فبعث له، واستقبله الناس يلبون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت: فما أرى أن يصدوا عن البيت».

وقد صرح ابن إسحاق - رحمه الله - في روايته لهذا الحديث باسم ذلك الرجل، وإسناد ذلك الحديث صحيح، وها أنذا أسوق لفظه ذلك... قال ابن إسحاق «... ثم بعثوا إليه الخليس بن علقمة أو ابن زبان، وكان يومئذ سيد الأحابيش، وهو أحد بني الحارث ابن عبد مناة بن كنانة، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: (إن هذا من قوم يتألهون^(٢))، فابعثوا

(١) جموا: استراحوا من القتال.

(٢) يتألهون: يتعبدون ويعظمون أمر الإله.

الهدى فى وجهه حتى يراه)، فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى^(١) فى قلاته^(٢) وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله^(٣)، رجع إلى قريش، ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى فقال لهم ذلك. قال: فقالوا له: اجلس فإنما أنت أعرابى لا علم لك».

قال ابن إسحاق: فحدثنى عبد الله بن أبى بكر: «أن الحليس غضب عند ذلك وقال: يا معشر قريش، والله ما على هذا حالناكم، ولا على هذا عاقدناكم، أئصد عن بيت الله من جاء مُعظماً له! والذى نفس الحليس بيده، لتخلن بين محمد وبين ما جاء له، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد، قال: فقالوا له: صه، كُف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى»^(٤).

عروة بن مسعود يفاوض النبى ﷺ

فقام عروة بن مسعود فقال: أى قوم، أستم بالوالد^(٥)؟ قالوا: بلى، قال: أو لست بالولد^(٦)؟ قالوا: بلى، قال: فهل تتهمونى، قالوا: لا، قال: أستم تعلمون أنى استنشرت أهل عكاظ، فلما بلحوا على^(٧) جئتكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى؟ قالوا: بلى قال: فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد اقبلوها، ودعونى آته، قالوا: ائنه، فأتاه، فجعل يكلم النبى ﷺ فقال النبى ﷺ نحوا من قوله لبديل، فقال عروة عند ذلك: أى محمد، أرايت إن استأصلت أمر قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى، فإننى والله لا أرى وجوهاً^(٨) وإنى لأرى أشواباً^(٩) من الناس خليفاً أن يفروا

(١) عرض الوادى: جانبه.

(٢) القلات: ما يعلق فى أعناق الهدى ليعلم أنه هدى.

(٣) محله: موضعه الذى ينحر فيه من الحرم.

(٤) سيرة ابن هشام: ٣/ ٣١٢، المجلد الثانى من طريق ابن إسحاق بسند صحيح صرح فيه بالتحديث وهو

قطعة من حديث طويل فى صلح الحديبية.

(٥) أستم بالوالد: مثل الأب فى الشفقة لولده.

(٦) أولست بالولد: مثل الابن فى النصيح لأبيه.

(٧) بلحوا على: امتنعوا وعجزوا.

(٨) وجوهاً: الوجوه: يعنى الأعيان والأشراف.

(٩) الأشواب: الأخلاط.

ويدعوك، فقال له أبو بكر رضى الله عنه: امصص بظر اللات^(١)، أنحن نفر عنه وندعه؟ فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر، قال: أما والذي نفسى بيده، لولا يد^(٢) كانت لك عندى لم أجرك بها لأجبتك.

هكذا يكون الولاء والبراء لله ولرسوله ﷺ

وها هى صورة مضيئة للولاء والبراء يقفها الصحابى الجليل المغيرة بن شعبة (رضى الله عنه) أمام عمه عروة بن مسعود ليعلمه أن الأنساب تنقطع إذا اختلفت العقائد فإن الإيمان هو الذى يجمع بين القلوب.

* فبينما عروة بن مسعود يكلم النبی ﷺ فكان كلما تكلم كلمة أخذ بلحيته، والمغيرة ابن شعبة قائم على رأس النبی ﷺ، ومعه السيف، وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبی ﷺ، ضرب يده بنعل السيف، وقال له: أخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ، فرفع عروة رأسه فقال: من هذا؟ قال: المغيرة بن شعبة، فقال: أى غدر^(٣) أأست أسعى فى غدرك؟

وكان المغيرة صاحب قوماً فى الجاهلية قتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم^(٤)، فقال النبی ﷺ: (أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه فى شيء)، ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبی ﷺ بعينه، قال: فوالله ما تنتخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له.

شئ ينفوق خيال المشركين

فرجع عروة إلى أصحابه، فقال: أى قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشى، والله إن رأيت مليكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ محمداً... والله إن ينتخم نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم، فذلك بها

(١) امصص بظر اللات: البظر ما تقطعه الخافضة من بظر المرأة عند الختان وكان هذا يستعمل عند العرب للشتم، لكن بلفظ الأم فاستعار الصديق ذلك مبالغة فى سب عروة وإهانة لمعبوده.

(٢) اليد: النعمة.

(٣) أى غدر: أى يا غادر.

(٤) فكان عمه عروة قد تحمل دفع الدية عن ابن أخيه.

رفع
عبد الرحمن بن الحارثي
أسكنه الله الفردوس

وجبه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا أخفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها»^(١).

* إن الرجال الذين تكلموا باسم قريش في هذه المفاوضات لم تنهض لهم حجة، بل إنهم عادوا إلى أهل مكة وهم أميل إلى ملاينة المسلمين وتمكينهم من أداء نسكهم، ولم يلحف بعضهم في التصريح بذلك إلا لما لمسه من كبرياء قريش وعزوفها عن الحق^(٢).

سفير النبي ﷺ

ولما لم تنتج سفارات قريش شيئاً يذكر أرسل النبي ﷺ خراش بن أمية الخزاعي إلى قريش بمكة وحمله على بعير له يقال له الثعلب ليبلغ أشrafهم عنه ما جاء له فعقروا به جمل رسول الله ﷺ وأرادوا قتله فمنعته الأحابيش فخلوا سبيله.

فلما فعلت قريش ما فعلت بسفير رسول الله ﷺ إليها حيث عقرت بعيره، وأرادت قتله، ولم تقبل منه قولاً ولا رأياً عاد إلى النبي ﷺ هارباً بنفسه.

* ولما رأى شباب قريش الطائشون الطامحون إلى الحرب، رغبة زعمائهم في الصلح، فكروا في خطة تحول بينهم وبين الصلح، فقرروا أن يخرجوا ليلاً ويتسللوا إلى معسكر المسلمين، ويحدثوا أحداثاً تشعل نار الحرب، وفعلاً قد قاموا بتنفيذ هذا القرار، فقد خرج سبعون أو ثمانون منهم ليلاً فهبطوا من جبل التنعيم، وحاولوا التسلل إلى معسكر المسلمين، غير أن محمد بن مسلمة قائد الحرس اعتقلهم جميعاً. ورغبة في الصلح أطلق سراحهم النبي ﷺ وعفا عنهم، وفي ذلك أنزل الله: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَّنْ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤] (٣). (٤)

* هكذا عفا النبي ﷺ عنهم وخلق سبيلهم فتحقق وصفه في التوراة وأنه لا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح فضلى الله عليه وسلم، وهكذا يتجلى الإحسان المحمدي، وتنكشف إساءة المشركين^(٥).

(١) سبق تخريجه.

(٢) فقه السيرة للغزالي (ص: ٣٧٠).

(٣) الرحيق المختوم (ص: ٣٦٨).

(٤) أخرجه مسلم (١٣٣) (١٨٠٨) وأبو داود (٢٦٨٨) والترمذي (٣٢٦٠).

(٥) هذا الحبيب يا محب/ الجزائرى (ص: ٣٤٢).

رفع

عبد الرحمن النجدي

(أسكنه الله الفردوس)

النبي ﷺ يرسل عثمان بن عفان إلى قريش

ولم يكلّ الحبيب ﷺ ولم يملّ في سبيل تحقيق السلم، وإخماد نار الحرب التي يشعلها الكافرون.

* فيها هو ﷺ يدعو عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) لبيعته إلى مكة، فقال: يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي، وليس بها من بنى عدى أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها، وغلظتي عليها، ولكن أدلك على رجل هو أعز مني، عثمان ابن عفان.

قال: فدعاه رسول الله ﷺ، فبعثه إلى قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وأنه جاء زائراً لهذا البيت معظمًا لحرمة، فخرج عثمان حتى أتى مكة، ولقيه أبان بن سعيد بن العاص فنزل عن دابته وحمله بين يديه وردف خلفه، وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ. فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، فقالوا لعثمان: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به، فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ (١).

ويا له من أدبٍ عظيمٍ وحبٍ شديدٍ لشخص رسول الله ﷺ.

* ومما يذكر هنا أن مكة لم تخل من رجال مؤمنين ونساء مؤمنات.

كانت قلوبهم معلقة بالمسلمين المحجوزين خارج مكة.

لقد انتشر الإسلام سرّاً في بيوت كثيرة طالما تشوقت إلى اليوم الذي تستطيع فيه أن تظهر إيمانها، وتتخلص من سطوة الكفر عليها.

ويظهر أن عثمان اتصل بأولئك النفر المؤمن وبشرهم بقرب الفتح، فرأت قريش أن عثمان قد عدا الحدود المعهودة، وأمرت باحتباسه عندها، وشاع - لدى المسلمين - أن عثمان قُتل (٢).

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٣٢٣/٤ - ٣٢٦، وابن هشام: ٣٠٨/٣ المجلد الثاني وابن سعد في الطبقات:

٩٦/٢ - ٩٧، والطبري في تاريخه: ٦٣١/٢، جميعاً من طريق ابن إسحاق بسند صحيح قد صرح فيه

ابن إسحاق بالتحديث، وهو قطعة من حديث طويل في صلح الحديبية.

(٢) فقه السيرة للغزالي (ص: ٣٧٢).

إشاعة مقتل عثمان... وبيعة الرضوان

واحتمسته قريش عندها - ولعلهم أرادوا أن يتشاوروا فيما بينهم فى الوضع الراهن، ويبرموا أمرهم، ثم يردوا عثمان بجواب ما جاء به من الرسالة - وطال الاحتباس، فشاع بين المسلمين أن عثمان قُتل، فقال رسول الله ﷺ لما بلغته تلك الإشاعة: «لا نبرح حتى نناجز القوم»^(١)، ثم دعا أصحابه إلى البيعة، فثاروا إليه يبايعونه على أن لا يفروا، وبايعته جماعة على الموت.

قيام معقل بن يسار برفع أغصان الشجرة

لئلا تصطدم بالرسول عليه السلام

عن معقل بن يسار (رضى الله عنه) قال: «لقد رأيتنى يوم الشجرة، والنبي ﷺ يبايع الناس، وأنا رافع غصناً من أغصانها عن رأسه، ونحن أربع عشرة مائة، قال: لم نبايعه على الموت، ولكن بايعناه أن لا نفر»^(٢).

أول من بايع رسول الله ﷺ

عن الشعبي قال: «أتانى عامر وأسدى يعنى كانا متفاخرين، فقلت: كان لبنى أسد ست خصال ما كانت لى من العرب... أول من بايع بيعة الرضوان أبو سنان عبد الله ابن وهب الأسدى قال: يا رسول الله ابسط يدك أبايعك قال: (على ماذا؟) قال: على ما فى نفسى قال: (فتح وشهادة) قال: نعم، فبايعه قال: فخرج الناس يبايعون على بيعة أبى سنان»^(٣).

(١) أخرجه ابن هشام فى «السيرة» [٣/ ٧٨٠] عن ابن إسحاق حدثنى عبد الله بن أبى بكر مرسلًا.

(٢) أخرجه مسلم فى الإمارة باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال رقم: ٧٦/ ١٨٥٨ - وأحمد فى المسند انظر الفتح الربانى: ١٠٦/ ٢١.

(٣) الإصابة: (٩٦/ ٤) ترجمة رقم (٥٧١)، وقال أخرجه الحسن بن على الحلوانى، ومحمد بن إسحاق والسراج من طرفه عن إسماعيل بن أبى خالد عن الشعبي، وأخرجه ابن منده من طرق عن عاصم عن زر ابن حبيش قال: «أول من بايع تحت الشجرة أبو سنان بن وهب» انتهى. قلت: وقد جاء أيضاً فى دلائل البيهقى: (١٣٧/ ٤) من طريق ابن أبى خالد عن الشعبي.

من تخلف عن البيعة

«قال أبو الزبير أنه سمع جابراً يُسأل: كم كانوا يوم الحديبية قال: كنا أربع عشرة مائة، فبايعناه، وعمر أخذ بيده تحت الشجرة، وهى سمرة^(١)، فبايعناه غير جد بن قيس الأنصاري، اختبأ تحت بطن بعيره^(٢)».

* وهكذا يتخلف المنافقون عن نصرة دين الله فى كل زمان ومكان.

سلمة بن الأكوع يبايع رسول الله ﷺ ثلاث مرات

وعلى الوجه المقابل فيها هو الصحابى الجليل سلمة بن الأكوع (رضى الله عنه) يبايع رسول الله ﷺ ثلاث مرات.

* عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه «... قال: ثم إن رسول الله ﷺ دعانا إلى البيعة فى أصل الشجرة فبايعه أول الناس، ثم بايع وبايع، حتى إذا كان فى وسط الناس قال: (بايعنى يا سلمة) قال: قلت: يا رسول الله قد بايعتك أول الناس، قال: (وأيضاً)، قال: ورأتى رسول الله ﷺ عزلاً^(٣)، فأعطانى جحفة أو درقة^(٤)، ثم بايع حتى إذا كان فى آخر الناس قال: (ألا تبايع يا سلمة؟) قال: قلت: يا رسول الله قد بايعتك فى أول الناس وأوسطهم، قال: (وأيضاً) فبايعته الثالثة فقال: (يا سلمة أين جحفتك أو درقتك التى أعطيتك؟) قال: قلت: يا رسول الله لقينى عامر عزلاً فأعطيتها إياه، فضحك رسول الله ﷺ، ثم قال: (إنك كالذى قال الأول^(٥)، اللهم ابغنى^(٦) حبيباً هو أحب إلى من نفسى)^(٧)».

(١) سمرة: شجر الطلع.

(٢) أخرجه مسلم فى الإمارة باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال رقم: ٦٩/١٨٥٦.

(٣) عزلاً: الذى لا سلاح معه.

(٤) الجحفة أو الدرقة: الترس.

(٥) إنك كالذى قال الأول: إن شأنك مع عمك يشبه فحوى القول الذى قال الرجل المتقدم زمانه.

(٦) ابغنى: أعطنى.

(٧) سبق تخريجه.

النبي ﷺ يبايع عن عثمان (رضى الله عنه)

وأخذ رسول الله ﷺ بيد نفسه وقال: «هذه عن عثمان»^(١)، ولما تمت البيعة جاء عثمان فبايعه.

ولقد أخذ رسول الله ﷺ هذه البيعة تحت شجرة، وكان عمر آخذاً بيده، ومعقل بن يسار آخذاً بغصن الشجرة يرفعه عن رسول الله ﷺ^(٢). وهذه هي بيعة الرضوان التي أنزل الله فيها: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ الآية [الفتح: ١٨].

على أى شيء يبايع الصحابة رسول الله ﷺ يوم الحديبية

اختلف الصحابة فى ذلك على ثلاثة أقوال:

الأول: قالوا يابعون على الموت، وهو قول سلمة بن الأكوع، وعبد الله بن زيد بن عاصم.

* حديث سلمة بن الأكوع رضى الله عنه أن يزيد بن أبى عبيد - رحمه الله - قال: «قلت لسلمة بن الأكوع: على أى شيء يابعتهم رسول الله ﷺ يوم الحديبية؟ قال: على الموت»^(٣).

الثانى: قالوا أنهم يابعوه على عدم الفرار وهو قول جابر بن عبد الله ومعقل بن يسار.

* من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: «كنا يوم الحديبية ألفاً وأربع مائة، فبايعناه، وعمر رضى الله عنه آخذ بيده تحت الشجرة، وهى سمرة قال: يابعناه على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت»^(٤).

(١) أخرجه البخارى (٣٦٩٨) - وانظر أطرافه عند رقم (٣١٣٠) - وأحمد [١٠١/٢، ١٢٠] من حديث ابن عمر.

(٢) أخرجه مسلم (٧٦) (١٨٥٨)، وأحمد (٢٠٣٤٤) [٢٥/٥].

(٣) أخرجه البخارى فى المغازى باب غزوة الحديبية رقم: (٤١٦٩) ومسلم فى الإمارة باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال رقم: (١٨٦٠).

(٤) أخرجه مسلم فى الإمارة باب استحباب مبايعة الجيش عند إرادة القتال حديث: (٦٧/١٨٥٦) والترمذى فى السير باب ما جاء فى بيعة النبي ﷺ حديث رقم: (١٥٩٤) وقال: حسن صحيح.

* من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال: «رجعنا من العام المقبل، فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التى بايعنا تحتها» كانت رحمة من الله فسألنا نافعاً: على أى شيء بايعهم؟ على الموت؟ قال: لا، بل بايعهم على الصبر» (١). (٢)

(٢) وفى التوفيق بين هذه الأقوال الثلاثة أسوق قولين للإمام النووى وابن حجر العسقلانى رحمهما الله تعالى وبين يدى قوليهما أقول: «إن رسول الله ﷺ تكررت منه البيعة للصحابة رضوان الله عليهم فى مواطن عديدة كان هذا الموطن من بينها، فثارة كان يبايع الصحابة على الجهاد كما حصل يوم الخندق، وثارة على الإسلام والجهاد كما حصل مع مجاشع بن مسعود يوم فتح مكة، وثارة على النصيح لكل مسلم كما حصل مع جرير بن عبد الله البجلي، وثارة على عدم الفرار، وعلى الموت، وعلى الصبر كما حصل يوم الحديبية فقد بايع قسمًا من الصحابة على عدم الفرار، والآخرى على الموت، وقسم على الصبر» [صحيح السيرة النبوية لإبراهيم العلى (ص: ٤٠٦: ٤٠٧)].

❖ يقول الإمام النووى رحمه الله تعالى: «قوله فى رواية جابر ومعتل بن يسار بايعناه يوم الحديبية على أن لا نفر، ولم نبايعه على الموت.

وفى رواية سلمة: أنهم بايعوه يومئذ على الموت، وهو معنى رواية عبد الله بن زيد بن عاصم، وفى رواية مجاشع بن مسعود: البيعة على الهجرة والبيعة على الإسلام والجهاد، وفى حديث ابن عمر وعبد الله بن عمر على السمع والطاعة، وأن لا تنازع الأمر أهله، وفى رواية ابن عمر فى غير صحيح مسلم: البيعة على الصبر.

قال العلماء: هذه الرواية تجمع المعاني كلها، وتبين مقصود كل الروايات، فالبيعة على أن لا نفر معنا الصبر حتى نظفر بعدونا أو نقتل، وهو معنى البيعة على الموت، أى نصبر وإن آل بنا ذلك إلى الموت، لا أن الموت مقصود فى نفسه، وكذا البيعة على الجهاد أى والصبر فيه والله أعلم] [مسلم بشرح النووى (١٣/٢:٣)].

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: «إن المبايعة فيها مطلقة، وقد أخبر سلمة بن الأكوع، وهو ممن بايع تحت الشجرة أنه بايع على الموت، فدل ذلك على أنه لا تنافي بين قولهم بايعوه على الموت، وعلى عدم الفرار، لأن المراد بالمبايعة على الموت أن لا يفروا ولو ماتوا، وليس المراد أن يقع الموت ولابد، وهو الذي أنكره نافع وعدل إلى قوله (بل بايعهم على الصبر) أي على الثبات وعدم الفرار سواء أفضى بهم ذلك إلى الموت أم لا، والله أعلم» [فتح الباري (٦/١١٨)].

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

نزول المطر على المسلمين يوم الحديبية

عن زيد بن خالد الأنصاري رضى الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية، فأصابنا مطر ذات ليلة، فصلى لنا رسول الله ﷺ الصبح، ثم أقبل علينا فقال: (أتدرون ماذا قال ربكم؟) قلنا: الله ورسوله أعلم، فقال: (قال الله: أصبح من عبادى مؤمن وكافر يى، فأما من قال مطرنا برحمة الله وبرزق الله وبفضل الله، فهو مؤمن بى كافر بالكوكب، وأما من قال مطرنا بنجم كذا، فهو مؤمن بالكوكب كافر بى)» (١).

سهل لكم من أمركم

إنها الكلمة المشهورة التى قالها النبى ﷺ فى صلح الحديبية عندما رأى سهيل بن عمرو قد أرسلته قريش لإبرام الصلح مع النبى ﷺ:

كما جاء فى رواية البخارى أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال النبى ﷺ سهل لكم من أمركم. (قال معمر قال الزهرى فى حديثه). فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينك كتاباً، فدعا النبى ﷺ الكاتب، فقال النبى ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم» فقال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب (باسمك اللهم) كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبى ﷺ: «اكتب باسمك اللهم» ثم قال: «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ﷺ» فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب «محمد بن عبد الله» فقال النبى ﷺ: والله إني لرسول الله وإن كذبتمنى. اكتب: محمد بن عبد الله... قال الزهرى: وذلك لقوله: «لا يسألوننى خطة يعظمون فيها حرّمات الله إلا أعطيتهم إياها»، فقال له النبى ﷺ: على أن تخلوا بيننا وبين البيت فتطوف به، فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب، فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل - وإن كان على دينك - إلا رددته إلينا. قال المسلمون: سبحان الله، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟

* وكان الذى يكتب بنود الصلح على بن أبى طالب (رضى الله عنه).

(١) أخرجه البخارى فى المغازى باب غزوة الحديبية رقم: ٤١٤٧، مسلم فى الإيمان باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء حديث رقم: ٧١.

احتذار (على) عن محو الشهادة للنبي بالرسالة

عن البراء بن عازب (رضي الله عنه) قال: «كتب على بن أبي طالب الصلح بين النبي ﷺ وبين المشركين يوم الحديبية، فكتب «هذا ما كاتب عليه محمد رسول الله، فقالوا: لا تكتب رسول الله فلو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك، فقال النبي ﷺ لعلي: (امحُ) فقال: ما أنا بالذي أمحه، فمحا النبي ﷺ بيده»^(١).

شروط الصلح وبنوده

* لقد وجدت هذه الشروط مفرقة في أحاديث متعددة، ومن طرق عن صحابة متعددين، ولكن وجودها في حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم بصورة جامعة يجعلني أقدم هذه الرواية.

* من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم «.. باسمك اللهم هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض على أنه من أتى رسول الله ﷺ من أصحابه بغير إذن وليه رده عليهم، ومن أتى قريشاً ممن مع رسول الله ﷺ لم يردوه عليه، وإن بيننا عيبة^(٢) مكفوفة^(٣)، وأنه لا إسلال^(٤)، ولا إغلال^(٥)، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد ﷺ وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، وإنك ترجع عنا عامنا هذا، فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك، فتدخلها بأصحابك، وأقمت فيها ثلاثاً معك سلاح الراكب، لا تدخلها بغير السيوف في القرب^(٦)»^(٧).

(١) رواه أحمد في المسند (٣٢٥/٤) وأبو داود في السنن (٢٧٦٦) ورجاله ثقات.

(٢) عيبة: مستودع الثياب، والعرب تكنى عن القلوب والصدور بالعياب لأنها مستودع السرائر، ويريد بذلك أن بينهم صدرًا نقيًا من الغل والخداع مطوياً على الوفاء بالصلح.

(٣) مكفوفة: المشدودة، وقيل أراد أن بينهم موادة ومكافة عن الحرب تجريان مجرى المودة التي تكون بين المتخاصمين.

(٤) إسلال: السرقة الخفية.

(٥) إغلال: الحقد والشحناء.

(٦) القرب: ما يوضع فيه السيف وهو الغمد.

(٧) سبق تخريجه.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

أبو جندل... وشبافته على الحق

وبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده^(١)، وقد خرج من أسفل الكعبة حتى رمي بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي.

فقال النبي ﷺ: (إنا لم نقض الكتاب بعد)^(٢)، قال: فوالله إذا لم أصالحك على شيء أبداً قال النبي ﷺ: (فأجزه لي)، قال: ما أنا بمجيزه لك، قال: (بلى فافعل)، قال: ما أنا بفاعل، قال مكرز: بل قد أجزناه لك. قال أبو جندل: أي معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟ ألا ترون ما لقيت؟ وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله^(٣).

وفي الطريق الآخر عند الإمام أحمد وابن إسحاق زيادة لطيفة أوردتها هنا، وهي أيضاً من طريق مروان بن الحكم والمسور بن مخزومة... فبينما رسول الله ﷺ يكتب الكتاب إذ جاءه أبو جندل بن سهيل بن عمرو في الحديد قد انفلت إلى رسول الله ﷺ وقال: وقد كان أصحاب رسول الله خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله ﷺ، فلما رأوها رأوا من الصلح والرجوع، وما تحمل رسول الله ﷺ على نفسه دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا أن يهلكوا، فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه ثم قال: «يا محمد قد لجت القضية^(٤) بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا»، قال: (صدقت)، فقام إليه، فأخذ بتليبيه^(٥).

قال: وصرخ أبو جندل بأعلى صوته يا معشر المسلمين أتردونني إلى أهل الشرك فيفتنونني في ديني، قال: فزاد الناس شراً إلى ما بهم، فقال رسول الله ﷺ: (يا أبا جندل اصبر واحتسب، فإن الله عز وجل جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً، فأعطيناهم على ذلك، وأعطينا عليه عهداً، وإنا لن نغدر بهم).

(١) يرسف في قيوده: يمشى بطيئاً بسبب قيوده.

(٢) إنا لم نقض الكتاب بعد: أي لم نفرغ من كتابته.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) لجت القضية: وجبت.

(٥) تليبيه: يقال أخذت بتلييب فلان: إذا جمعت عليه ثوبه الذي هو لابساه وقبضت عليه....

رفع

عن (الرحمى) القمى
السلمى (الروى)

قال: فوثب إليه عمر بن الخطاب مع أبي جندل، فجعل يمشى إلى جنبه، وهو يقول: اصبر أبا جندل، فإنما هم المشركون، وإنما دم أحدهم دم كلب، قال: ويدني قائم السيف منه، قال: يقول: رجوت أن يأخذ السيف، فيضرب به أباه قال: فضن الرجل بأبيه ونفذت القضية^(١).

ثم تمت كتابة الصحيفة، ولما تم الصلح دخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ وكانوا حليف بنى هاشم منذ عهد عبد المطلب، فكان دخولهم في هذا العهد؛ تأكيداً لذلك الحلف القديم، ودخلت بنو بكر في عهد قريش.

اعتراض عمر بن الخطاب على بنود الصلح

لقد كان المسلمون يعلوهم الحزن الشديد لسببين اثنين:

الأول: أن النبي ﷺ كان قد أخبرهم أنهم سيطوفون بالبيت.

والثاني: أن النبي ﷺ قبل ضغط قريش في هذا الصلح.

* كانت هاتان الظاهرتان مثار الريب والشكوك والوساوس والظنون.

وصارت مشاعر المسلمين لأجلهما جريحة، بحيث غلب الهم والحزن على التفكير في عواقب بنود الصلح، لعل أعظمهم حزناً كان عمر بن الخطاب، فقد جاء إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله: ألسنت نبي الله حقاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى.

قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟ قال: إني رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصري.

قلت: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، فأخبرتك أنا تأتية العام؟ قال: قلت: لا. قال فإنك آتية ومطوف به. قال فأتيت أبا بكر فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟ قال: أيها الرجل، إنه لرسول الله ﷺ، وليس يعصى ربه وهو ناصره، فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق. قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال بلى، فأخبرك أنه تأتية العام؟ قلت: لا. قال: فإنك آتية

(١) سبق تخريجه.

ومُطَوَّف به... قال الزهري قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً^(١) - أى عمل أعمالاً صالحة كثيرة ليُكفَّر عن مجادلته للنبي ﷺ -.

وقد كان موقف بعض الصحابة شبيهاً بموقف عمر بن الخطاب، ولكنهم لم يستطيعوا التعبير عن أنفسهم كما عبر عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما يتضح لنا من موقف سهل بن حنيف.

* فعن سهل بن حنيف رضى الله عنه قال: بصفين: «أيها الناس! اتهموا رأيكم والله لقد رأيتنى يوم أبى جندل، ولو أنى أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته، والله! ما وضعنا سيوفنا على عواتقنا إلى أمر قط، إلا أسهلنا بنا إلى أمر نعرفه إلا أمر كرم هذا»^(٢).

أم سلمة (رضى الله عنها)... صاحبة الراى السديد

ولما فرغ رسول الله ﷺ من قضية الكتاب، قال: «قوموا، فأنحروا»، فوالله ما قام منهم أحد، حتى قال ثلاث مرات، فلما لم يقيم منهم أحد قام فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت: يا رسول الله أتحب ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلم أحداً كلمة حتى تنحر بُدْنك وتدعو حالقك فيحلقك، فقام فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بُدْنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً، وكانوا ينحروا البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة، ونحر رسول الله ﷺ جملاً كان لأبى جهل، كان فى أنفه برة من فضة، ليغيب به المشركين، ودعا رسول الله ﷺ للمحلقين ثلاثاً بالمغفرة وللمقصرين مرة. وفى هذا السفر أنزل الله فدية الأذى لمن حلق رأسه بالصيام أو الصدقة، أو النسك فى شأن كعب بن عجرة^(٣).

(١) أخرجه البخارى (٣٨٨/٥ - ٣٩٢) الشروط - وأبو داود

(٢) أخرجه البخارى (٣١٨١) الجزية - وفى المغازى (٤١٨٩) - ومسلم (٩٥/١٨٧٥) الجهاد.

(٣) أخرجه البخارى (١٨١٤). ومسلم (١٢٠١)، وأبو داود (١٨٥٦)، والترمذى (٩٥٣).

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

كان صلح الحديبية فتحاً عظيماً

لقد نظر المسلمون إلى عواقب التسامح البعيد الذى أبداه النبى ﷺ فوجدوا من بر كاته ما ألهمهم ألسنتهم بالحمد.

لقد انفرط عقد الكفار فى الجزيرة منذ تم هذا العقد. فإن قريشاً كانت تُعتبر رأس الكفر وحاملة لواء التمرد والتحدى للدين الجديد. وعندما شاع نبأ تعاهدها مع المسلمين خمدت فتن المنافقين الذين يعملون لها، وتبعثرت القبائل الوثنية فى أنحاء الجزيرة وخصوصاً لأن قريشاً جمدت على سياستها النفعية واهتمت بشئونها التجارية فلم تجتهد فى ضم أحلاف لها، فى الوقت الذى اتسع فيه نشاط المسلمين الثقافى والسياسى والعسكرى، ونجحت دعايتهم فى تألف قبائل غفيرة وإدخالها فى الإسلام.

وكثير من المؤرخين يُعدُّ صلح الحديبية فتحاً، بل إن الزهرى يقول فيه: ما فُتح فى الإسلام فتح قبله كان أعظم منه. إنما كان القتال حيث التقى الناس.

فلما كانت الهدنة ووضعت الحزب، وأمن الناس بعضهم بعضاً، والتقوا فتفاوضوا فى الحديث والمنازعة، لم يُكلم أحداً بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ولقد دخل فى تينك الستين - بعد الحديبية - مثل ما كان فى الإسلام قبل ذلك أو أكثر.

قال ابن هشام: والدليل على قول الزهرى أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية فى ألف وأربعمائة، ثم خرج عام فتح مكة - بعد ذلك بستين - فى عشرة آلاف (١).

إسلام أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط

لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبى ﷺ أن لا يأتيك منا أحد - وإن كان على دينك، إلا رددته إلينا، وخليت بيننا وبينه، فكره المؤمنون ذلك، وامتنعوا منه، وأبى سهيل إلا ذلك، فكاتب النبى ﷺ على ذلك، فرد يومئذ أبا جندل إلى أبيه سهيل بن عمرو، ولم يأت أحد من الرجال إلا رده فى تلك المدة، وإن كان مسلماً.

وجاءت المؤمنات مهاجرات وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط ممن خرج إلى

رفع

عبد الرحمن بن عوف
(سنة النبوة ٦٠٠ هـ)

(١) فقه السيرة / للغزالي (ص: ٣٧٨: ٣٧٩).

رسول الله ﷺ يومئذ، وهى عاتق، فجاء أهلها يسألون النبی ﷺ أن يرجعها إليهم، فلم يرجعها إليهم لما أنزل الله فيهن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مَهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [المتحنة: ١٠] (١).

النبي ﷺ يبايع النساء

✽ عن عائشة (رضى الله عنها) قالت: «كانت المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله ﷺ يُمتحن بقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبَهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعَهُنَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المتحنة: ١٢].

قالت عائشة: فمن أقر بهذا من المؤمنات فقد أقر بالحنة.

وكان رسول الله ﷺ إذا أقرن بذلك من قولهن، قال لهن رسول الله ﷺ: (انطلقن فقد بايعتكن)، ولا والله: ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط. غير أنه يبايعن بالكلام.

قالت عائشة: والله ما أخذ رسول الله ﷺ على النساء قط، إلا بما أمره الله تعالى، وما مست كف رسول الله ﷺ كف امرأة قط، وكان يقول لهن إذا أخذ عليهن: (قد بايعتكن) كلاماً «اللفظ لمسلم» (٢).

قصة أبي بصير (رضى الله عنه)

ففى الحديث الذى رواه البخارى عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة: «... ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة، فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم (وقال يحيى عن ابن المبارك) فقدم عليه أبو بصير بن أسيد الثقفى مسلماً مهاجراً.

(١) أخرجه البخارى فى الشروط باب ما يجوز من الشروط فى الإسلام والأحكام والمبايعة رقم (٢٧١١) (٢٧١٢).

(٢) أخرجه البخارى فى الطلاق باب إذا أسلمت المشركة أو النصرانية تحت الذمى أو الحربى رقم: (٥٢٨٨) مسلم فى الإمارة باب كنية بيعة النساء رقم: (١٨٦٦).

فاستأجر الأخنس بن شريق رجلاً كافراً من بني عامر بن لؤى ومولى معه، وكتب معهما إلى رسول الله ﷺ يسأله الوفاء، فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا: العهد الذي جعلت لنا فيه، فدفعه إلى الرجلين.

فخرجوا به حتى بلغا به ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إنى لأرى سيفك يا فلان هذا جيداً، فاستله الآخر فقال: أجل والله إنه لجيد لقد جربت به، ثم جربت، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه، فضربه به حتى برد^(١)، وفر الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله ﷺ: (لقد رأى هذا ذعراً)^(٢).

فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قُتل والله صاحبي وإنى لمقتول، فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم، ثم أبحاني الله منهم، فقال النبي ﷺ: (ويل أمه^(٣) مسعر حرب لو كان له أحد)^(٤)، فلما عرف ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر^(٥) قال: وبنفت أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير، جعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت فيهم عصابة^(٦).

قال: فوالله لا يسمعون بعير^(٧) خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها، فقتلوهم، وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما أرسل إليهم فمن أئاه فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إليهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَّنْ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤] حتى بلغ ﴿الْحِمِيَّةَ حِمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦].

وكانت حميتهم أنهم لم يقرؤا أنه نبي الله ﷺ، ولم يقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم،

(١) برد: مات.

(٢) ذعراً: خوفاً.

(٣) ويل أمه: كلمة ذم تقولها العرب ولا يقصدون معنى لها من الذم لأن الويل الهلاك كقولهم لأمه الويل والمراد هنا التعجب من إقدامه إلى الحرب والنهوض لها وإسغار نارها.

(٤) لو كان له أحد ينصره ويؤازره على إيقاد نار الحرب لآثار الفتنة وأفسد الصلح.

(٥) سيف البحر: ساحل البحر وهو طريق قريش إلى الشام.

(٦) عصابة: الجماعة وهي ما بين العشر إلى الأربعين.

(٧) العير: القافلة.

رفع
عبد الرحمن بن محمد
أسكنه الله الفردوس

وحالوا بينهم وبين البيت».

* وقصة أبي بصير وأبي جندل وإخوانهما لها دلالة مثيرة، فهي قصة العقيدة المكافحة - في لؤم من الأعداء ووحشة من الأصحاب! - وهي توضّح أن الإيمان بالله أخذ طريقه إلى قلوب أولئك النفر مجرداً من كل شيء إلا سلامة جوهره. إنهم قد فقدوا الأمداد الروحية التي تحييهم من مخالطة الرسول ﷺ والإصغاء إليه وهو يتلو وينصح، بيد أنهم عوضوا عنها من الاتصال بكتابه والاقتراس من آدابه، فكانوا - في اهتدائهم للحق وإيائهم للضميم وإيثارهم للمغامرة - مثلاً حسنى للإسلام المكافح العزيز. ولم يعد أبو بصير إلى رسول الله ﷺ، ذلك أن الإذن بالمقام معه جاء وهو يحتضر.

فلقد جاء كتاب رسول الله ﷺ إلى أبي بصير ليترك مكانه ويرجع حيث يحب، وكان أبو بصير يجود بأنفاسه الأخيرة. فمات والكتاب على صدره ودفنه أبو جندل^(١).

إسلام (أبي العاص بن الربيع)

وروى موسى بن عقبة أن رجال أبي بصير صادروا قافلة كان فيها أبو العاص بن الربيع صهر النبي ﷺ - وهو لما يدخل الإسلام بعد - وأسروا من فيها ماعداً أبا العاص لمكانته، فذهب أبو العاص إلى زينب امرأته، وشكا لها ما وقع لأصحابه وما ضاع لهم من أموال، وحدثت زينب رسول الله في ذلك. فقام رسول الله ﷺ فخطب الناس قائلاً: «إن هذا الرجل منا حيث علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له، فإننا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم، فأنتم أحق به»؛ فقالوا: يا رسول الله، بل نرده عليه، فردوه عليه، حتى إن الرجل ليأتى بالدلو ويأتى الرجل بالشنّة وبالإداوة، حتى إن أحدهم ليأتى بالشظاظ، حتى ردوا عليه ماله بأسره، لا يفقد منه شيئاً. ثم احتمل إلى مكة. فأدّى إلى كل ذي مال من قريش ماله، ومن كان أبضع معه، ثم قال: يا معشر قريش، هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا، فجزاك الله خيراً! فقد وجدناك وفياً كريماً؛ قال: فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، والله ما منعني من الإسلام إلا تخوف أن تظنوا أنني إنما أردت أن أكل أموالكم، فلما أداها الله إليكم وفرغت منها أسلمت. ثم خرج حتى قدم على رسول الله ﷺ^(٢).

(١) فقه السيرة/ للغزالي (ص: ٣٨٠: ٣٨١) بتصرف.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٢٣٧/٣) وإسناده صحيح، والبيهقي في «الدلائل» (٨٥/٤).

رفع

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

قال المسور بن مخرمة: أثنى النبي ﷺ على أبي العاص في مصاهرته خيراً، وقال: «حدثني فصدقني، ووعدني، فوفى لي»^(١).

وهكذا تكون الأمانة، وهكذا يكون الوفاء بالوعد... وهكذا تكون مراقبة الله - عز وجل -.

فلقد ضرب (أبو العاص) - رضى الله عنه - المثل في الوفاء والأمانة^(٢).

ماذا يتمخض عن بنود المعاهدة

هذه هى هدنة الحديبية، ومن سبر أغوار بنودها مع خلفياتها لا يشك أنها فتح عظيم للمسلمين، فقرش لم تكن تعترف بالمسلمين أى اعتراف، بل كانت تهدف إلى استئصال شأفتهم، وتنتظر أن تشهد يوماً ما نهايتهم، وكانت تحاول بأقصى قوتها الحيلولة بين الدعوة الإسلامية، وبين الناس، بصفتها ممثلة الزعامة الدينية والصدارة الدنيوية فى جزيرة العرب، ومجرد الجنوح إلى الصلح اعتراف بقوة المسلمين، وأن قرشاً لا تقدر على مقاومتهم، ثم البند الثالث يدل لفحواه على أن قرشاً نسيت صدارتها الدنيوية وزعامتها الدينية، وأنها لا تهمها الآن إلا نفسها، أما سائر الناس وبقية جزيرة العرب فلو دخلت فى الإسلام بأجمعها، فلا يهم ذلك قرشاً، ولا تتدخل فى ذلك بأى نوع من أنواع التدخل. أليس هذا فشلاً ذريعاً بالنسبة إلى قرش؟ وفتحاً مبيناً بالنسبة إلى المسلمين؟ إن الحروب الدامية التى جرت بين المسلمين وبين أعدائهم لم تكن أهدافها - بالنسبة إلى المسلمين - مصادرة الأموال وإيادة الأرواح وإفناء الناس، أو إكراه العدو على اعتناق الإسلام، وإنما كان الهدف الوحيد الذى يهدفه المسلمون من هذه الحروب هو الحرية الكاملة للناس فى العقيدة والدين ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، لا يحول بينهم وبين ما يريدون أى قوة من القوات، وقد حصل هذا الهدف بجميع أجزائه ولوازمه، وبطريق ربما لا يحصل بمثله فى الحروب مع الفتح المبين، وقد كسب المسلمون لأجل هذه الحرية نجاحاً كبيراً فى الدعوة، فبينما كان عدد المسلمين لا يزيد على ثلاثة آلاف قبل الهدنة؛ صار عدد الجيش الإسلامى فى سنتين عند فتح مكة عشرة آلاف.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
(أسكنه الله الفردوس)

(١) أخرجه البخارى (٣٧٢٩) فضائل الصحابة (٥٢٣٠) النكاح.

(٢) أصحاب الرسول ﷺ / للمصنف (٤٥٨/٢).

أما البند الثاني، فهو جزء ثان لهذا الفتح المبين، فالمسلمون لم يكونوا بادئين بالحروب، وإنما بدأتها قريش، يقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَدْعُواكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [التوبة: ١٣] أما المسلمون فلم يكن المقصود من دورياتهم العسكرية إلا أن تفيق قريش عن غطرستها، وصدّها عن سبيل الله، وتعمل معهم بالمساواة، كل من الفريقين يعمل على شاكلته فالعقد بوضع الحرب عشر سنين حد لهذه الغطرسة والصد، ودليل على فشل من بدأ الحرب وضعفه وانهيأه.

أما البند الأول؛ فهو حدٌ لصد قريش عن المسجد الحرام، فهو أيضاً فشل لقريش، وليس فيه ما يشفي قريشاً سوى أنها نجحت في الصد لذلك العام الواحد فقط.

أعطت قريش هذه الخلال الثلاث للمسلمين، وحصلت بإزائها خلة واحدة فقط، وهى ما فى البند الرابع، ولكن تلك الخلة تافهة جداً، ليس فيها شيء يضر بالمسلمين، فمعلوم أن المسلم ما دام مسلماً لا يفر عن الله ورسوله، وعن مدينة الإسلام، ولا يفر إلا إذا ارتد عن الإسلام ظاهراً أو باطناً، فإذا ارتد فلا حاجة إليه للمسلمين وانفصاله من المجتمع الإسلامى خير من بقاءه فيه، وهذا الذى أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله: «إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله»، وأما من أسلم من أهل مكة - فهو وإن لم يبق للجوئه إلى المدينة سبيل - لكن أرض الله واسعة، ألم تكن الحبشة واسعة للمسلمين حينما لم يكن يعرف أهل المدينة عن الإسلام شيئاً؟ وهذا الذى أشار إليه النبى ﷺ بقوله: «ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً» (١).

والأخذ بمثل هذا الاحتفاظ، وإن كان مظهر الاعتزاز لقريش، لكنه فى الحقيقة ينبئ عن شدة انزعاج قريش وهلعهم وخورهم، وعن شدة خوفهم على كيانهم الوثنى، كأنهم كانوا قد أحسوا أن كيانهم اليوم على شفا جرف هار، لا بد له من الأخذ بمثل هذا الاحتفاظ وما سمح به النبى ﷺ من أنه لا يسترد من فر إلى قريش من المسلمين، فليس هذا إلا دليلاً على أنه يعتمد على تثبيت كيانه وقوته كمال الاعتماد، ولا يخاف عليه من مثل هذا الشرط (٢).

(١) أخرجه مسلم (٩٣) (١٧٨٤) وأحمد (١٣٨٥٥) [٣/٢٦٨] من حديث أنس.

(٢) الرقيق المختوم (ص: ٣٧٢: ٣٧٣).

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

منزلة أهل الحديبية

عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) قال: «كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة فقال لنا النبي ﷺ: (وأنتم اليوم خير أهل الأرض) وقال جابر: لو كنت أبصر لأريتكم موضع الشجرة» (١).

* وعن جابر أيضاً قال: «أن عبداً لحاطب جاء إلى رسول الله ﷺ يشكو حاطباً فقال: يا رسول الله! ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله ﷺ: (كذبت لا يدخلها، فإنه شهد بدرًا والحديبية)» (٢).

وعن جابر بن عبد الله أيضاً قال: أخبرتنى أم مبشر، أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة (لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد... الذين بايعوا تحتها) قالت: بلى يا رسول الله! فانتهرها. فقالت: حفصة: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] فقال النبي ﷺ: (قد قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَنَجَّرَ الظَّالِمِينَ فِيهَا جَنَّتًا﴾ [مريم: ٧٢]) (٣).

بعض الفوائد الفقهية المستفادة من قصة الحديبية

ذكر الإمام ابن القيم - رحمه الله - بعض الفوائد الفقهية المستفادة من قصة الحديبية.. وها نحن نذكرها باختصار:

- فمنها اعتماد النبي ﷺ في أشهر الحج فإنه خرج إليها في ذى القعدة.
- ومنها أن الإحرام بالعمرة من الميقات أفضل كما أن الإحرام بالحج كذلك.
- ومنها أن سوق الهدى مستون في العمرة المفردة، كما هو مستون في القرآن.

(١) أخرجه البخارى فى المغازى باب غزوة الحديبية حديث رقم: ٤١٥٤، مسلم فى الصحيح كتاب الإمارة باب استحباب مبايعة الإمام للبحش عند إرادة القتال حديث رقم: ٧١/١٨٥٦.

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أهل بدر حديث رقم: ٢٤٩٥، والترمذى فى المناقب باب ٥٩، حديث رقم: ٣٨٦٤، وأحمد فى المسند: ٣٢٥/٢، ٣٤٩، والحاكم: ٣٠١/٣، والبيهقى فى الدلائل: ١٥٣/٣، ١٤٤/٤.

(٣) أخرجه مسلم فى الصحيح كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أصحاب الشجرة حديث رقم: ٢٤٩٦، وابن ماجه رقم: ٤٢٨١.

- ومنها: أن إشعار الهدى سنة لا مثله منهي عنها.

- ومنها: استحباب مغايظة أعداء الله، فإن النبي ﷺ أهدي في جملة هديه جملاً لأبي جهل في أنفه برة من فضة يغيظ به المشركين، وقد قال تعالى في صفة النبي ﷺ وأصحابه: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوَاقِهِ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال عز وجل: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيهِمْ ظَمًا وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَبْطُونَ مَوَاطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠].

- ومنها: أن أمير الجيش ينبغي له أن يبعث العيون أمامه نحو العدو.

- ومنها: أن الاستعانة بالمشرك المأمون في الجهاد جائزة عند الحاجة، لأن عينة الخزاعي كان كافراً إذ ذاك، وفيه من المصلحة أنه أقرب إلى اختلاطه بالعدو، وأخذه أخبارهم.

- ومنها: استحباب مشورة الإمام رعيته وجيشه، استخراجاً لوجه الرأي، واستطابةً لنفوسهم، وأمنًا لعيتهم، وتعرفاً لمصلحة يختص بعلمها بعضهم دون بعض، وامتنالاً لأمر الرب في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقد مدح سبحانه وتعالى عباده بقوله: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

- ومنها: جواز سبي ذراري المشركين إذا انفردوا عن رجالهم قبل مقاتلة الرجال.

- ومنها رد الكلام الباطل ولو نسب إلى غير مكلف كما رد عليهم ﷺ قولهم خلأت القصواء فقال: ما خلأت وما ذاك لها بخلق.

- ومنها أن تسمية ما يلبسه الرجل من مراكبه ونحوها سنة.

- ومنها أن المشركين وأهل البدع والفجور إذا طلبوا أمراً يعظمون فيه حرمت الله تعالى أجيبوا إليه، وأعطوه، وأعينوا عليه.

- ومنها أن من نزل قريباً من مكة فإنه ينبغي له أن ينزل في الحل ويصلي في الحرم.

- ومنها جواز ابتداء الإمام بطلب صلح العدو إذا رأى المصلحة للمسلمين فيه.

- ومنها أن الفخر والخيلاء في الحرب ليس مذموماً فإن المغيرة بن شعبه لم يكن عادته

رفع

عن الرجل لا يفتري
أسكن النبي ﷺ

أن يقوم على رأس النبي ﷺ .

* وفى قول النبي ﷺ للمغيرة: «أَمَّا الْإِسْلَامُ فَأَقْبَلُ، وَأَمَّا الْمَالُ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ»، دليل على أن مال المشرك المعاهد معصوم، وأنه لا يملك، بل يُرد عليه، فإن المغيرة كان قد صحبهم على الأمان، ثم غدر.

- ومنها: احتمال قلة أدب رسول الكفار، وجهله وجفوته، ولا يقابل على ذلك لما فيه من المصلحة العامة.

- ومنها: طهارة النخامة، سواء كانت من رأس أو صدر.

- ومنها: طهارة الماء المستعمل.

- ومنها استحباب التفاؤل، وأنه ليس من الطيرة المكروهة، لقوله لما جاء سهيل: «سَهْلٌ أَمْرُكُمْ».

- ومنها أن من حلف على شيء أو وعد بشيء ولم يعين وقتاً كان على التراخي لا الفور.

- ومنها أن المحصر ينحر هديه حيث أحصر من الحل أو الحرم. فقوله تعالى: ﴿وَالْهَدْيُ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ﴾ [الفتح: ٢٥] يدل على أن الموضع الذى نحر فيه الهدى كان من الحل لا من الحرم.

- ومنها أن المحصر لا يجب عليه القضاء، ولم يأمر النبي ﷺ أحداً بالقضاء.

- ومنها أن الأمر المطلق على الفور، وإلا لم يغضب ﷺ لتأخرهم.

- ومنها أن الأصل مشاركة أمته له فى الأحكام إلا ما خصه الدليل، ولذلك قالت أم سلمة: «أخرج ولا تكلم أحداً حتى تحلق رأسك وتنحر هديك» وعلمت أن الناس سيتابعونه^(١).

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

(١) زاد المعاد (٣/ ٣٠٠: ٣٠٩) بتصرف.

بعض الحكم التي تضمنتها هذه الهدنة

وهي أكبر وأجل من أن يُحيط بها إلا الله الذي أحكم أسبابها، فوقعت الغاية على الوجه الذي اقتضته حكمته وحمده.

فمنها: أنها كانت مقدمة بين يدي الفتح الأعظم الذي أعز الله به رسوله وجنده، ودخل الناس به في دين الله أفواجاً، فكانت هذه الهدنة باباً له، ومفتاحاً، ومؤذناً بين يديه.

ومنها: أن هذه الهدنة كانت من أعظم الفتوح، فإن الناس آمن بعضهم بعضاً، واختلط المسلمون بالكفار، وبادؤوهم بالدعوة، وأسمعوهم القرآن، وناظروهم على الإسلام جهرة آمنين، وظهر من كان مخفياً بالإسلام، ودخل فيه في مدة الهدنة من شاء الله أن يدخل، ولهذا سماه الله فتحاً مبيناً.

ومنها: ما سببه سبحانه للمؤمنين من زيادة الإيمان والإذعان، والانقياد على ما أحبوا وكرهوا، وما حصل لهم في ذلك من الرضى بقضاء الله.

ومنها: أنه سبحانه جعل هذا الحكم الذي حكم به لرسوله وللمؤمنين سبباً لما ذكره من المغفرة لرسوله ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وإتمام نعمته عليه، ولهدايته الصراط المستقيم، ونصره النصر العزيز.

* ثم ذكر حال من تخلف عنه من الأعراب، وظنهم أسوأ الظن بالله: أنه يخذل رسوله وأوليائه، وجنده، ويظفر بهم عدوهم، فلن ينقلبوا إلى أهلهم، وذلك من جهلهم بالله وأسمائه وصفاته، وما يليق به، وجهلهم برسوله وما هو أهل أن يعامله به ربه ومولاه.

ثم أخبر سبحانه عن رضاه عن المؤمنين بدخولهم تحت البيعة لرسوله، وأنه سبحانه علم ما في قلوبهم حيثئذ من الصدق والوفاء، وكمال الانقياد، والطاعة، وإيثار الله ورسوله على ما سواه، فأنزل الله السكينة والطمأنينة، والرضى في قلوبهم، وأتابهم على الرضى بحكمه، والصبر لأمره فتحاً قريباً، ومغانم كثيرة يأخذونها، وكان أول الفتح والمغانم فتح خيبر، ومغانمها، ثم استمرت الفتوح والمغانم إلى انقضاء الدهر.

ووعدهم سبحانه مغانم كثيرة يأخذونها، وأخبرهم أنه عجل لهم هذه الغنيمة، وفيها قولان. أحدهما: أنه الصلح الذي جرى بينهم وبين عدوهم، والثاني: أنها فتح خيبر وغنائمها^(١).

رَفَعُ

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

(١) زاد المعاد (٣/ ٣٠٩: ٣١٢) بتصرف.

مكاتبة الملوك والأمراء

وفى هذه السنة السادسة من الهجرة وبعد عقد الصلح مع قريش كاتب الرسول ﷺ الملوك والرؤساء يدعوهم إلى الإسلام الدين الحق الذى أرسل به لهداية الناس كل الناس أبيضهم وأصفرهم إلى ما يكملهم عقولاً وأخلاقاً ويسعدهم أجساماً وأرواحاً فى الحياتين: الدنيا والآخرة^(١).

فكتب إلى ملك الروم فقبل له: إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا إذا كان مختوماً فاتخذ خاتماً من فضة، ونقش عليه ثلاثة أسطر: محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر^(٢).
وختم به الكتب إلى الملوك، وبعث ستة نفر فى يوم واحد فى المحرم سنة سبع^(٣).
* وهذه صورة تقريبية للخاتم النبوى:



الخاتم النبوى

كتابه ﷺ إلى النجاشى (ملك الحبشة)

وهذا النجاشى اسمه أصحمة بن الأبجر، كتب إليه النبى ﷺ مع عمرو بن أمية الضميرى فى آخر سنة ست، أو فى المحرم سنة سبع من الهجرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى النجاشى عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد

(١) هذا الحبيب يا محب (ص: ٣٥١).

(٢) أخرجه البخارى (٢٧٣/١٠) اللباس/ باب: الخاتم فى الخنصر.

(٣) زاد المعاد (١/ ١١٩: ١٢٠).

رفع

عبد الرحمن النجاشى
(أسكنه الله الفردوس)

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته. ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإني أدعو إلى الله وحده لا شريك له، والموالة على طاعته، وأن تتبعني، وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله ﷺ وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت فاقبل نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى^(١).
* ذكر الواقدي وغيره أنه أسلم وشهد شهادة الحق.

قال الإمام ابن القيم:

وليس كما قال هؤلاء، فإن أصحمة النجاشي الذي صلى عليه رسول الله ﷺ ليس هو الذي كتب إليه... هذا الثاني لا يُعرف إسلامه، بخلاف الأول، فإنه مات مسلماً^(٢). وقد روى مسلم في «صحيحه» من حديث قتادة عن أنس قال: كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى كِسْرَى، وَإِلَى قَيْصَرَ، وَإِلَى النَّجَاشِيِّ، وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلَيْسَ بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ^(٣)، وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَزْمٍ: إِنَّ هَذَا النَّجَاشِيَّ الَّذِي بَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عمرو بن أمية الضمري، لم يُسلم^(٤).

كتابه ﷺ إلى كسرى (ملك فارس)

وكتب النبي ﷺ كتابه إلى كسرى (ملك فارس) فقال فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم، فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك.

(١) زاد المعاد (٣/ ٦٨٩) - نصب الراية للزيلعي (٤/ ٤٢١).

(٢) أخرج البخاري (٣/ ١٦٣) في الجنائز: باب التكبير على الجنائز أربعة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى المصلى، فصف بهم، وكبر عليه أربع تكبيرات.

(٣) رواه مسلم (١٧٧٤) في الجهاد: باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعواهم إلى الله عز وجل، والترمذي في الاستئذان (٢٨٥٩). وكسرى: لقب لكل ملك من ملوك الفرس. وقيصراً: لقب لكل من ملك الروم. والنجاشي لكل من ملك الحبشة.

(٤) زاد المعاد (١/ ١٢٠).

عبد الرحمن النجاشي
أسلمه النبي (الرواية)

واختار لحمل هذا الكتاب عبد الله بن خذافة السهمي، فدفعه السهمي إلى عظيم البحرين فلما قُرئ الكتاب على كسرى مزقه، وقال في غطرسة: عبد حقير من رعيتي يكتب اسمه قبلي، ولما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: «مزق الله ملكه»، وقد كان كما قال، فقد كتب (كسرى) إلى (بازان) عامله على اليمن: ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جليدين، فليأتاني به، فاختر (بازان) رجلين ممن عنده، وبعثهما بكتاب إلى رسول الله ﷺ يأمره أن ينصرف معه إلى كسرى، فلما قدما المدينة، وقابلا النبي ﷺ قال أحدهما إن شاهنشاه (ملك الملوك) كسرى قد كتب إلى الملك بازان يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك، وبعثنى إليك لتنطلق معي، وقال قولا تهديديا، فأمرهما ﷺ أن يلاقياه غدا.

وفي ذلك الوقت كانت قد قامت ثورة كبيرة ضد كسرى من داخل بيته بعد أن لاقت جنوده هزيمة منكرة أمام جنود قيصر، فقد قام شيرويه بن كسرى على أبيه فقتله، وأخذ الملك لنفسه، وكان ذلك في ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الأولى سنة سبع^(١)، وعلم رسول الله ﷺ الخبر من الوحي، فلما غدوا عليه أخبرهما بذلك فقالا: هل تدري ما تقول؟ إنا قد نقمنا عليك ما هو أيسر، أفنكتب هذا عنك، ونخبره الملك. قال: «نعم أخبراه ذلك عني، وقولا له: إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ كسرى! ويتهي إلى منتهى الخف والحافر، وقولا له: إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك، وملكتك على قومك من الأبناء»، فخرجا من عنده حتى قدما على (بازان) فأخبراه الخبر، وبعد قليل جاء كتاب بقتل شيرويه لأبيه، وقال له شيرويه في كتابه: انظر الرجل الذي كان كتب فيه أبي إليك فلا تهجه حتى يأتيك أمرى.

وكان ذلك سببا في إسلام باذان ومن معه من أهل فارس باليمن^(٢).

كتابه ﷺ إلى قيصر (ملك الروم)

وكتب النبي ﷺ كتابه إلى قيصر (ملك الروم) - واسمه هرقل - وأرسل إليه الكتاب مع الصحابي الجليل دحية الكلبي - رضي الله عنه -.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ أَنَّ أَبَا سَفْيَانَ أَخْبَرَهُ، مِنْ فِيهِ إِلَيَّ فِيهِ. قَالَ: انْطَلَقْتُ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي

(١) فتح الباري (١٢٧/٨).

(٢) إعلام السائلين (ص: ٦٦) - المصباح المضيء (١٥٣/٢: ١٥٤) - زاد المعاد (٣/٦٨٨).

كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا بِالشَّامِ، إِذْ جِئَ بَكْتَابٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى هِرْقُلَ. يَعْنِي عَظِيمَ الرُّومِ. قَالَ: وَكَانَ دَحِيَّةُ الْكَلْبِيِّ جَاءَ بِهِ. فَدَفَعَهُ إِلَى عَظِيمٍ بَصْرِي فَدَفَعَهُ عَظِيمٌ بَصْرِي إِلَى هِرْقُلَ فَقَالَ هِرْقُلُ: هَلْ هَهُنَا أَحَدٌ مِنْ قَوْمِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَدَعَيْتُ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ. فَدَخَلْنَا عَلَى هِرْقُلَ. فَاجْلَسْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ. فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا مِنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ: فَقُلْتُ: أَنَا. فَاجْلَسُونِي بَيْنَ يَدَيْهِ. وَاجْلَسُوا أَصْحَابِي خَلْفِي. ثُمَّ دَعَا بَنَاجِمَانَهُ فَقَالَ لَهُ: قُلْ لَهُمْ: إِنِّي سَأَلْتُ هَذَا عَنِ الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ. فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذَّبُوهُ. قَالَ: فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ: وَابْنُ اللَّهِ! لَوْ لَا مَخَافَةُ أَنْ يُؤَثَّرَ عَلَى الْكَذِبِ لَكَذَبْتُ. ثُمَّ قَالَ لِبَنَاجِمَانِهِ: سَلْهُ. كَيْفَ حَسَبُهُ فَيَكُنُّمْ؟ قَالَ: قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو حَسَبٍ. قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مُلِكٌ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: وَمَنْ يَتَّبِعُهُ؟ أَشَرَّافُ النَّاسِ أَمْ ضَعَفَاؤُهُمْ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلْ ضَعَفَاؤُهُمْ. قَالَ: أَبْزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا. بَلْ يَزِيدُونَ. قَالَ: هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ، بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ، سَخْطَةً لَهُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟ قَالَ: قُلْتُ: تَكُونُ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سَجَالًا. يُصِيبُ مِنَّا وَنُصِيبُ مِنْهُ. قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ: لَا. وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مَدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ صَانِعٌ فِيهَا.

قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا أَمَكَّنَنِي مِنْ كَلِمَةٍ أَدْخَلْتُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرَ هَذِهِ.

قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا. قَالَ لِبَنَاجِمَانِهِ: قُلْ لَهُ: إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ حَسَبِهِ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ فَيَكُنُّ ذُو حَسَبٍ. وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي أَحْسَابِ قَوْمِهَا. وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كَانَ فِي آبَائِهِ مُلِكٌ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا. فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مُلِكٌ قُلْتُ: رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلِكَ آبَائِهِ. وَسَأَلْتُكَ عَنْ أَتْبَاعِهِ أَضَعَفَاؤُهُمْ أَمْ أَشَرَّافُهُمْ؟ فَقُلْتُ: بَلْ ضَعَفَاؤُهُمْ. وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ. وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا. فَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدْعِ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ ثُمَّ يَذْهَبَ فَيَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ. وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَهُ سَخْطَةً لَهُ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ

رفع

عبد الرحمن بن الحارثي
(سلكه) (في) (الرواية)

لَا. وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ إِذَا خَالَطَ بِشَاشَةِ الْقُلُوبِ. وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَزِيدُونَ أَوْ يَنْقُصُونَ؟ فَرَعَمْتُ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ. وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حَتَّى يَتِمَّ. وَسَأَلْتُكَ: هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ فَرَعَمْتُ أَنَّكُمْ قَدْ قَاتَلْتُمُوهُ. فَتَكُونُ الْحَرْبُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ سَجَالًا يَنَالُ مِنْكُمْ وَتَنَالُونَ مِنْهُ. وَكَذَلِكَ الرَّسُلُ تُبْتَلَى ثُمَّ تَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ. وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَغْدِرُ؟ فَرَعَمْتُ أَنَّهُ لَا يَغْدِرُ. وَكَذَلِكَ الرَّسُلُ لَا تَغْدِرُ. وَسَأَلْتُكَ: هَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ؟ فَرَعَمْتُ أَنْ لَا. فَقُلْتُ: لَوْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ، قُلْتُ: رَجُلٌ أَتَمَّ يَقُولُ قِيلَ قَبْلَهُ. قَالَ: ثُمَّ قَالَ: بِمِ يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْعِفَافِ. قَالَ: إِنْ يَكُنْ مَا تَقُولُ فِيهِ حَقًّا، فَإِنَّهُ نَبِيٌّ. وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ.

وَلَمْ أَكُنْ أَظُنُّهُ مِنْكُمْ. وَلَوْ أَنِّي أَعْلَمْتُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ، لَأَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ. وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمَيْهِ. وَلَيَبْلُغَنَّ مَلَكُهُ مَا تَحْتَ قَدَمَيَّ.

قَالَ: ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَهُ. فَإِذَا فِيهِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ. سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى. أَمَّا بَعْدُ. فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ. أَسْلِمْتَ تَسْلَمَ. وَأَسْلِمْتَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ. وَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ. ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]. فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ ارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ عِنْدَهُ وَكَثُرَ اللَّغْطُ. وَأَمَرَ بَنَاهُ فَأُخْرِجْنَا. قَالَ: فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ خَرَجْنَا: لَقَدْ أَمَرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ. إِنَّهُ لَيَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ.

قَالَ: فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ سَيُظْهَرُ، حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ^(١).

رَفَعُ

عَنْ الرَّحْمَنِ (الْبُخَارِيِّ)
(السُّنَنِ النَّبَوِيِّ)

(١) أخرجه مسلم (٧٤) (١٧٧٣) كتاب الجهاد والسير.

كتابه ﷺ إلى المقوقس (ملك مصر)

وكتب النبي ﷺ كتابه إلى المقوقس (ملك مصر والإسكندرية) فقال فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (١) [آل عمران: ٦٤].

واختار لحمل هذا الكتاب حاطب بن أبي بلتعة، فلما دخل حاطب على المقوقس قال له: إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم به ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك، ولا يعتبر بغيرك بك. فقال المقوقس: إن لنا دينًا لن ندعه إلا لما هو خير منه.

فقال حاطب: ندعوك إلى دين الإسلام الكافي به الله فقد ما سواه، إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش، وأعداهم له اليهود، وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد ﷺ، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، فكل نبي أدرك قومًا فهم أمته، فالحق عليهم أن يطيعوه، وأنت ممن أدركه هذا النبي، ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكننا نأمرك به.

قال المقوقس: إني قد نظرت في أمر هذا النبي، فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكاذب، ووجدته معه آية النبوة بإخراج الخبء والإخبار بالنجوى وسأنتظر.

وأخذ كتاب النبي ﷺ فجعله في حق من عاج، وختم عليه ودفع به إلى جارية له، ثم دعا كاتبًا له يكتب بالعربية، فكتب إلى رسول الله ﷺ:

بسم الله الرحمن الرحيم

لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك، أما بعد، فقد قرأت

رفع

(١) زاد المعاد (٣/ ٦٩١).

عبد الرحمن النخعي
(أسكنه الله الفردوس)

كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبياً بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين، لهما مكان في القبط عظيم، وبكسوة، وأهديت إليك بغلة لتركبها، والسلام عليك.

ولم يزد على هذا ولم يسلم، والجاريتان مارية وسيرين، والبغلة دُلْدُل بقيت إلى زمن معاوية^(١)، واتخذ النبي ﷺ مارية سرية له، وهى التى ولدت له إبراهيم. وأما سيرين فأعطاهما لحسان بن ثابت الأنصارى^(٢).

كتابه ﷺ إلى الحارث الغساني (صاحب دمشق)

كتب إليه النبي ﷺ:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمّر، سلام على من اتبع الهدى، وآمن به وصدق، وإنى أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى لك ملكك.

واختار لحمل هذا الكتاب شجاع بن وهب من بنى أسد بن خزيمة، ولما أبلغه الكتاب، قال: من ينزع ملكى منى؟ أنا سائر إليه، ولم يسلم^(٣).

كتابه ﷺ إلى هوزة بن على (صاحب اليمامة)

وكتب النبي ﷺ إلى هوزة بن على صاحب اليمامة:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى هوزة بن على، سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن دينى سيظهر إلى منتهى الخف والحافر فأسلم تسلم، وأجعل لك ما تحت يدك.

واختار لحمل هذا الكتاب سَلِيط بن عمرو العامرى، فلما قدم سَلِيط على هوزة بهذا الكتاب مختوماً أنزله، وقرأ عليه، فرد عليه ردّاً دون رد، وكتب إلى النبي ﷺ: ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، والعرب تهاب مكانى، فأجعل لى بعض الأمر أتبعك،

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

(١) زاد المعاد (٣/ ٦٩٢).

(٢) إعلام السائلين (ص: ٨٢) - المصباح المضيء (٢/ ١١٠).

(٣) زاد المعاد (٣/ ٦٩٧) - نصب الراية (٤/ ٤٢٥).

وأجاز سليطاً بجائزة، وكساه أثواباً من نسج هجر، فقدم بذلك كله على النبي ﷺ فأخبره، وقرأ النبي ﷺ كتابه فقال: «لو سألتني سيابة من الأرض ما فعلت... باد، وبأد ما فيه يديه» فلما انصرف رسول الله ﷺ من الفتح، جاءه جبريل عليه السلام بأن هودة مات، فقال النبي ﷺ: «أما إن البمامة سيخرج بها كذاب يتنبى، يُقتل بعدى»، فقال قائل: يا رسول الله من يقتله؟ فقال: «أنت وأصحابك»، فكان ذلك^(١).

كتابه ﷺ إلى المنذر بن ساوى (حاكم البحرين)

وكتب النبي ﷺ إلى المنذر بن ساوى حاكم البحرين كتاباً يدعو فيه إلى الإسلام، بعث إليه العلاء بن الحضرمي بذلك الكتاب، فكتب المنذر إلى رسول الله ﷺ: أما بعد، يا رسول الله، فإنني قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه، ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود، فأحدث إلي في ذلك أمر، فكتب إليه رسول الله ﷺ:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى سلام عليك، فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد: فإنني أذكرك الله عز وجل، فإنه من يتصح فإنما ينصح لنفسه وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيراً، وإنني قد شفعتك في قومك، فترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب، فأقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلن نغزلك عن عملك، ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية^(٢).

كتابه ﷺ إلى ملك عمان

وكتب النبي ﷺ كتاباً إلى ملك عمان جيفر وأخيه عبد ابني الجلندي، ونصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإنني أدعوكم بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، فإنني رسول الله ﷺ إلى الناس كافة،

(١) زاد المعاد (٣/٦٩٦).

(٢) زاد المعاد (٣/٦٩٢)، شرح المواهب (٣/٣٥٠: ٣٥٢).

رفع

عبد الرحمن (الرحماني)
أسلم الله (الفرزدق)

لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقررا بالإسلام فإن ملككما زائل، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما.

واختار لحمل هذا الكتاب عمرو بن العاص - رَضِيَ الله عنه - قال عمرو: فخرجت حتى انتهيت إلى عمان، فلما قدمتها عمدت إلى (عبد) - وكان أحلم الرجلين، وأسهلها خلقاً - فقلت: إني رسول رسول الله ﷺ إليك وإلى أخيك. فقال: أخي المقدم على بالسن والملك، وأنا أوصلك إليه حتى يقرأ كتابك، ثم قال: وما تدعو إليه؟ قلت: أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وتخلع ما عبد من دونه، وتشهد أن محمداً عبده ورسوله. قال: يا عمرو، إنك ابن سيد قومك، فكيف صنع أبوك فإن لنا فيه قدوة؟ قلت: مات ولم يؤمن بمحمد ﷺ وودت أنه كان أسلم وصدق به، وقد كنت أنا على مثل رأيه حتى هداني الله للإسلام. قال: فمتى تبعته؟ قلت: قريباً، فسألني: أين كان إسلامك؟ قلت: عند النجاشي، وأخبرته أن النجاشي قد أسلم، قال: وكيف صنع قومه بملكه، فقلت: أقروه واتبعوه. قال: والأساقفة والرهبان تبعوه؟ قلت: نعم. قال: انظر يا عمرو ما تقول، إنه ليس من خصلة في رجل أفصح له من الكذب. قلت: ما كذبت، وما نستحله في ديننا، ثم قال: ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي؟ قلت: بلى. قال: فبأي شيء علمت ذلك؟ قلت: كان النجاشي يُخرج له خرجاً، فلما أسلم وصدق بمحمد ﷺ قال: لا والله لو سألتني درهماً واحداً ما أعطيته، فبلغ هرقل قوله فقال له النياق أخوه: أَدْعُ عبدك لا يُخرج لك خرجاً، ويدين بدين غيرك ديناً محدثاً؟ قال هرقل: رجل رغب في دين، فاختره لنفسه، ما أصنع به؟ والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع. قال: انظر ما تقول يا عمرو؟ قلت: والله صدقتك، قال عبد: فأخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه؟ قلت: يأمر بطاعة الله عز وجل، وينهى عن معصيته، ويأمر بالبر وصلة الرحم، وينهى عن الظلم والعدوان، وعن الزنا، وعن الخمر، وعن عبادة الحجر، والوثن والصليب، قال: ما أحسن هذا الذي يدعو إليه، لو كان أخي يتابعني عليه لركبنا حتى نؤمن بمحمد ﷺ ونصدق به، ولكن أخي أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنباً. قلت: إنه إن أسلم ملكه رسول الله ﷺ على قومه. فأخذ الصدقة من غنيهم فبردها على فقيرهم، قال: إن هذا الخلق حسن، وما الصدقة؟ فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ في الصدقات في الأموال حتى انتهيت إلى الإبل، قال: يا عمرو، ويؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى

الشجر وترد المياه؟ فقلت: نعم، فقال: والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون لهذا. قال: فمكثت ببابه أياماً، وهو يصل إلى أخيه فيخبره كل خبري، ثم إنه دعاني يوماً فدخلت عليه، فأخذ أعوانه بضبعي، فقال: دعوه، فأرسلت، فذهبت لأجلس، فأبوا أن يدعوني أجلس، فنظرت إليه، فقال: تكلم بحاجتك، فدفعت إليه الكتاب مختوماً، ففص خاتمه، وقرأ حتى انتهى إلى آخره، ثم دفعه إلى أخيه فقرأه مثل قراءته، إلا أنني رأيت أخاه أرق منه، قال: ألا تخبرني عن قریش كيف صنعت؟ فقلت: اتبعوه، إما راغب في الدين، وإما مقهور بالسيف. قال: ومن تبعه؟ قلت: الناس قد رغبوا في الإسلام واختاروه على غيره، وعرفوا بعقولهم مع هدى الله إياهم، أنهم كانوا في ضلال، فما أعلم أحداً بقي غيرك في هذه الحرجة، وأنت إن لم تسلم اليوم وتبعه توطئك الخيل وتبيد خضراءك، فأسلم تسلم، ويستعملك على قومك، ولا تدخل عليك الخيل والرجال، قال: دعني يومي هذا، وارجع إلى غداً.

فرجعت إلى أخيه، فقال: يا عمرو، إني لأرجوه أن يسلم إن لم يضمن بملكه. حتى إذا كان الغد أتيت إليه، فأبى أن يأذن لي، فانصرفت إلى أخيه، فأخبرته أنني لم أصل إليه، فأوصلني إليه، فقال: إني فكرت فيما دعوتني إليه، فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلاً ما في يدي، وهو لا تبلغ خيله ههنا، وإن بلغت خيله ألفت قتالاً ليس كقتال من لاقى. قلت: أنا خارج غداً، فلما أيقن بمخرجي خلا به أخوه، قال: ما نحن فيما قد ظهر عليه، وكل من أرسل إليه قد أجابه، فأصبح فأرسل إليّ، فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعاً، وصدقا النبي ﷺ وخلياً بيني وبين الصدقة، وبين الحكم فيما بينهم، وكانا لي عوناً على من خالفني^(١).

غزوة ذي قرد (غزوة الغابة)^(٢)

وهذه أول غزوة بعد صلح الحديبية. وهي الغزوة التي أغاروا فيها على لقاح النبي ﷺ وقتها:

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

وهذه الغزوة كانت بعد الحديبية وقد وهم فيها جماعة من أهل السير فذكروا أنها

(١) زاد المعاد (٣/٦٩٣: ٦٩٦) بتصريف، ابن سيد الناس (٢/٢٦٧: ٢٦٩).

(٢) موضع قرب المدينة من ناحية الشام فيه أموال لأهل المدينة.

رفع
عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

كانت قبل الحديبية، والدليل على صحة ما قلناه ما رواه الإمام أحمد والحسن بن سفيان عن أبي بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا هشام بن القاسم قال: حدثنا عكرمة بن عمار قال: حدثني إياس بن سلمة عن أبيه قال: قدمت المدينة زمن الحديبية مع رسول الله ﷺ قال: خرجت أنا ورياح بفرس لطلحة أنذيه مع الإبل فلما كان بغلس أغار عبد الرحمن بن عيينة على إبل رسول الله ﷺ فقتل راعيها... وساق القصة رواها مسلم في صحيحه بطولها^(١).

✽ وقال الإمام البخاري بأنها قبل خير بثلاث - يعني ليال - أي بعد الحديبية، وجزم بذلك، ورجح ذلك الإمام ابن حجر العسقلاني في الفتح، وأيده في ذلك البيهقي في الدلائل، وابن القيم في زاد المعاد^(٢).

أحداث الغزوة

والقصة رواها البخاري ومسلم مختصرة ورواها مسلم كذلك مع قصة مبايعة سلمة بالحديبية وكذلك غزوة خير في خبر واحد. أما القصة مختصرة:

✽ فعن سلمة بن الأكوع - رضى الله عنه - من طريق يزيد بن أبي عبيد: قال: «سمعت سلمة بن الأكوع يقول خرجت قبل أن يؤذن بالأولى^(٣). وكانت لقاح^(٤) رسول الله ﷺ ترعى بذي قرد قال: فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال: أخذت لقاح رسول الله ﷺ فقلت: من أخذها؟ قال: غطفان، قال: فصرت ثلاث صرخات: يا صباحاه! قال: فأسمعت ما بين لابتي المدينة^(٥)، ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم بذي قرد، وقد أخذوا يسقون من الماء فجعلت أرميهم بنبلي، وكنت رامياً وأقول: أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع^(٦)»

(١) زاد المعاد (٣/ ٢٧٨: ٢٧٩).

(٢) فتح الباري (٧/ ٤٦٠).

(٣) قبل أن يؤذن بالأولى: أي الصلاة الأولى يريد بها صلاة الصبح.

(٤) لقاح: واحدا لقحة وهي ذات اللبن قريبة العهد بالولادة.

(٥) ما بين لابتي المدينة: اللابة: أكرة الأرض ذات الحجارة السوداء، والمدينة واقعة بين حرتين عظيمتين يريد أنه أسمع بصرخاته جميع أهل المدينة.

(٦) يعني يوم هلاك اللثام من قولهم: لثيم راضع، أي رضع اللؤم في بطن أمه، والأصل فيه أن رجلاً كان شديد البخل فكان إذا أراد حلب ناقته ارتضع من ثديها لثلا يحلبها فيسمع جيرانه أو من يمر به صوت = رضع

فارتجز، حتى استنقذت^(١) اللقاح منهم، واستلبت منهم ثلاثين بردة، قال: وجاء النبي ﷺ والناس، فقلت: يا نبي الله! إني قد حميت^(٢) القوم الماء، وهم عطاش، فابعث إليهم الساعة. فقال: (يا ابن الأكوع! ملكك فاسجح)^(٣)، قال: ثم رجعنا، ويردني رسول الله ﷺ على ناقته حتى دخلنا المدينة^(٤).

* أما الرواية المطولة فعن إياس بن سلمة عن أبيه في قصة الحديبية وذات قرد وخيبر، وسوف نقتصر على الجزء من الحديث الخاص بذات قرد.

قال سلمة - رضي الله عنه -: ثم خرجنا راجعين إلى المدينة فنزلنا منزلاً بيننا وبين الحبان جبلٌ وهم المشركون، فاستغفر رسول الله ﷺ لمن رقى هذا الجبل الليلة كأنه طليعة للنبي ﷺ وأصحابه.. قال سلمة: فرقيتُ تلك الليلة مرتين أو ثلاثاً، ثم قدمنا المدينة فبعث رسول الله ﷺ بظهره^(٥) مع رباح غلام رسول الله ﷺ وأنا معه، وخرجت معه بفرس طلحة أُنديه^(٦) مع الظهر، فلما أصبحنا إذا عبد الرحمن الفزاري قد أغار على ظهر رسول الله ﷺ فاستاقه أجمع وقتل راعيه.

قال: فقلت: يا رباح! خذ هذا الفرس فأبلغه طلحة بن عبيد الله، وأخبر رسول الله ﷺ أن المشركين قد أغاروا على سرحه قال ثم قمتُ على أكمة فاستقبلت المدينة فناديتُ ثلاثاً: يا صباحاه ثم خرجتُ في آثار القوم أرميهم بالنبل وأرتجز أقول:

أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع

فألحق رجلاً منهم فأصك^(٧) سهماً في رحله حتى خلص نصل السهم إلى كتفه قال

= الحلب، فيطلبون منه، وقيل: معناه: هذا يوم شديد عليكم تفارق فيه المرضعة من أرضعته، فلا يجد من يرضعه [هامش زاد المعاد (٣/٢٧٨)].

(١) استنقذت: أنقذت.

(٢) حميت القوم: منعتهم الماء.

(٣) اسجح: أحسن وارفق، والسجاجة السهولة.

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة ذات القرد رقم (٤١٩٤)، ومسلم في الجهاد والسير باب غزوة ذي قرد وغيرها حديث رقم (١٨٠٦).

(٥) قال ابن عبد الباقي: الظهر الإبل تعد للركوب وحمل الأثقال.

(٦) قال النووي: ومعناه أن يورد الماشية الماء فتسقى قليلاً ثم ترسل في المرعى ثم ترد الماء فتد قليلاً ثم ترد إلى المرعى.

(٧) أصك: أضرب.

عبد الرحمن الفزاري
أبوكبير (ابن) الفزاري

قلت: خذوها: وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع قال: فوالله ما زلت أرميهم وأعقر^(١) بهم^(١) فإذا رجع إلى فارس أتيت شجرة فجلست في أصلها ثم رميته فعقرت به حتى إذا تضايق الجبل فدخلوا في تضايقه علوت الجبل فجعلت أرميهم بالحجارة^(٢) قال: فما زلت كذلك أتبعهم حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله ﷺ إلا خلفته وراء ظهري وخلقوا بيني وبينه ثم اتبعتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة وثلاثين رمحاً يستخفون^(٣)، ولا يطرحون شيئاً إلا جعلت عليه آراماً^(٤) من الحجارة يعرفها رسول الله وأصحابه، حتى أتوا متضايقاً من ثنية^(٥) فإذا هم قد أتاهم فلان بن بدر الفزاري فجلسوا يتضحون (يعنى يتغدّون)، وجلست على رأس قرن^(٦).

قال الفزاري: ما هذا الذي أرى؟ قالوا: لقينا من هذا البرح^(٧) والله ما فارقنا منذ غلس يرمينا حتى انتزع كل شيء في أيدينا قال: فليقم إليه نفر منكم أربعة قال: فصعد إلى منهم أربعة في الجبل قال: فلما أمكنوني من الكلام قال: قلت: هل تعرفوني؟ قالوا: لا ومن أنت؟ قال: قلت: أنا سلمة بن الأكوع.. والذي كرم وجهه محمد ﷺ لا أطلب رجلاً منكم إلا أدركته ولا يطلبني رجل منكم فيدركني قال أحدهم: أنا أظن. قال: فرجعوا فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله ﷺ يتخللون الشجر قال: فإذا أولهم الأخرم الأسدي على إثره أبو قتادة الأنصاري، وعلى إثره المقداد بن الأسود الكندي قال فأخذت بعنان الأخرم قال: فولوا مدبرين قلت: يا أخرم احذرهم لا يقطعوك حتى يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه قال: يا سلمة إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم أن الجنة حق والنار حق فلا تحل بيني وبين الشهادة قال فخليته، فالتقى هو وعبد الرحمن قال: فعقر بعبد الرحمن فرسه وطعنه عبد الرحمن فقتله وتحول علي فرسه، ولحق أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ بعبد الرحمن فطعنه فقتله.. غوالذي كرم وجهه محمد ﷺ لتبعتهم أعدو على رجلى حتى ما أرى ورائي من أصحاب محمد ﷺ ولا غبارهم شيئاً حتى يعدلوا قبل غروب الشمس إلى شعب فيه ماء يقال له (ذا قرد)

(١) أعقر بهم: أقتل رواحلهم.

(٢) أى: أسقطهم عن رواحلهم بضربهم بالحجارة.

(٣) أى: يطلبون الخفة.

(٤) أى أعلاماً من الحجارة.

(٥) أى العقبة والطريق في الجبل.

(٦) القرن: جبل صغير منقطع عن الجبل الكبير.

(٧) البرح: الشدة.

رَفَعُ

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

ليشربوا منه وهم عطاش. قال: فنظروا إلى أعدو وراءهم فحليتهم عنه (يعنى أجليتهم عنه) فما ذاقوا منه قطرة قال: فيخرجون فيشتدون في ثنية قال: فأعدو فألحق رجلاً منهم فأصكه بسهم في نغض كتفه قال: قلت: خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع.

قال: يا ثكلته أمه أكوعه بكرة^(١) قال: قلت: نعم يا عدو نفسه! أكوعك بكرة قال: وأردوا^(٢) فرسين على ثنية قال: فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله ﷺ قال: ولحقني عامر بسطيحة فيها مذقة من لبن وسطيحة فيها ماء فتوضأت وشربت، ثم أتيت رسول الله ﷺ وهو على الماء الذي حلائهم عنه فإذا رسول الله ﷺ قد أخذ تلك الإبل وكل شيء استنقذته من المشركين وكل رمح وبردة، وإذا بلال نحر ناقة من الإبل التي استنقذت من القوم، وإذا هو يشوى لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها قال: قلت: يا رسول الله! خلني فأتخب من القوم مائة رجل فأتبع القوم فلا يبقى منه مخبر إلا قتلته قال: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه في ضوء النار فقال يا سلمة أترأى كنت فاعلاً؟ قلت: نعم. والذي أكرمك! فقال: «إنهم الآن ليُقرون^(٣) في أرض غطفان» قال: فجاء رجل من غطفان فقال: نحر لهم فلان جزوراً فلما كشفوا جلدتها رأوا غباراً فقالوا: أتاكم القوم فخرجوا هاربين. فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ: «كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة وخير رجالنا سلمة» قال: ثم أعطاني رسول الله ﷺ سهمين: سهم الفارس وسهم الرّاجل فجمعهما لي جميعاً، ثم أردفني رسول الله ﷺ ورائه على العضباء - الدابة، راجعين إلى المدينة.

فيا لبديع صنع ابن الأكوع!! يطارد جيشاً بمفرده حتى يسترد منهم ما سلبوه، وهو راجلٌ - يجرى على رجله - بل ويأخذ منهم السلب والغنيمة، ولا يسمح لهم حتى يشرب الماء!!.

وعلى النقيض.. تطارد ملايين العرب شرذمة من اليهود، تأخذ منهم كل شيء، ولا تبقى لهم إلا العطش، تأخذ أغلى مقدساتهم، ولا تعطيهم إلا الذبح.. وهتك الأعراض وبقر البطون.. ومع هذا فالمسلمون نائمون.. ومن لم توقفه النوائب وتعلّى همته.. فليطل نومه^(٤).

(١) قال النووي: معناه أي أنت الأكوع الذي كنت بكرة هذا النهار.

(٢) قال النووي: معناه أهلكوهما وأتعبوهما حتى أسقطوهما وتركوهما.

(٣) يقرون: أي يضيعون.

(٤) علو الهمة/ د. سيد حسين (٣/ ٣٦٥).

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

سباق بين سلمة بن الأكوع ورجل من الأنصار

«قال: فبينما نحن نسير. قال: وكان رجل من الأنصار لا يُسبق شداً^(١)، قال: فجعل يقول: ألا مسابق إلى المدينة؟ هل من مسابق؟ فجعل يعيد ذلك قال: فلما سمعت كلامه قلت: أما تكرم كريماً ولا تنهاب شريقاً؟ قال: لا. إلا أن يكون رسول الله ﷺ. قال: قلت: يا رسول الله بأبى وأمى! ذرني فلأسابق الرجل. قال: (إن شئت). قال: قلت: أذهب إليك. وثبتت رجلى فطفرت^(٢) فعدوت. قال: فربطت عليه شرفاً أو شرفين أستبقى نفسي^(٣)، ثم عدوت في إثره، فربطت عليه شرفاً أو شرفين، ثم إنى رفعت حتى ألحقه^(٤). قال: فأصكه بين كتفيه. قال: قلت: قد سبقت والله! قال: أنا أظن. قال: فسبقتني إلى المدينة»^(٥).

قصة المرأة التي أسرت مع ناقة رسول الله ﷺ

عن عمران بن حصين - رضى الله عنه - قال: «كانت ثقيف حلفاء لبني عقيل، فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ، وأسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلاً من بني عقيل، وأصابوا معه العضباء^(٦). فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو في الوثاق. قال: يا محمد! فأتاه فقال: (ما شأنك؟) قال: بيم أخذتني، وبيم أخذت سابقة الحاج^(٧)؟ فقال: (إعظماً لذلك): (أخذتك بجريرة حلفائك ثقيف) ثم انصرف عنه فناداه، فقال: يا محمد! يا محمد! وكان رسول الله ﷺ رحيماً رقيقاً، فرجع إليه فقال: (ما شأنك؟) قال: إنى مسلم. قال: (لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح) ثم انصرف فناداه فقال: يا محمد! يا محمد! فأتاه فقال: (ما شأنك؟) قال: إنى جائع فأطعمني، وظمآن

(١) شداً: عدواً على الرجلين.

(٢) طفرت: وثبتت وقفزت.

(٣) ربطت شرفاً أو شرفين أستبقى نفسي: ربطت: حبست نفسي عن الجري الشديد... والشرف ما ارتفع من الأرض، أستبقى نفسي: أبقى لئلا يقطعني البهر.

(٤) رفعت حتى ألحقه: أسرع.

(٥) أخرجه مسلم في الجهاد باب غزوة ذي قرد وغيرها رقم: ١٨٠٧، وأبو داود في الجهاد باب في السرية ترد على أهل العسكر رقم: ٢٧٥٢.

(٦) العضباء: ناقة نجبية كانت لرجل من بني عقيل ثم انتقلت إلى رسول الله ﷺ.

(٧) سابقة الحاج: أراد بها العضباء فإنها كانت لا تسبق، ولا تكاد تسبق. معروفة بذلك.

رفع

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

فاسقنى قال: (هذه حاجتك)، ففدى الرجلين.

قال: وأسرت امرأة من الأنصار، وأصيب العضاء، فكانت المرأة في الوثاق. وكان القوم يريحون نعمهم بين يدي بيوتهم. فانفلتت ذات ليلة من الوثاق فأنت الإبل. فجعلت إذا دنت من البعير رغا فتتركه. حتى تنتهي إلى العضاء. فلم ترغ. قال: وناقاة منوكة^(١) فقعدت في عجزها، ثم زجرتها، فانطلقت ونذروا بها^(٢)، فطلبوها، فأعجزتهم، وقال: ونذرت لله! إن نجأها الله عليها لتحنرها، فلما قدمت المدينة رآها الناس. فقالوا: العضاء ناقاة رسول الله ﷺ. فقالت: إنها نذرت إن نجأها الله عليها لتحنرها. فأتوا رسول الله ﷺ، فذكروا ذلك له فقال: (سبحان الله! بئسما جزتها، نذرت لله إن نجأها عليها لتحنرها. لا وفاء لنذر في معصية، ولا فيما لا يملك العبد)^(٣).

(١) وناقاة منوكة: مذلة.

(٢) نذروا بها: علموا وأحسوا بهربها.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب النذور باب لا وفاء لنذر في معصية الله رقم: (١٦٤١)، أحمد في المسند: (٤٣٣/٤ - ٤٣٤)، الدارمي في السنن كتاب السير باب إذا أحرز العدو من مال المسلمين: (٢/٢٣٦).

غزوة خيبر

لقد كانت خيبر هي من أكبر مراكز الشر اليهودية التي كانت قد تجمعت لحرب الإسلام والمسلمين وكانت مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع وهي على بُعد ستين أو ثمانين ميلاً من المدينة من جهة الشمال.

سبب الغزوة

❖ لما اطمأن رسول الله ﷺ من أقوى أجنحة الأحزاب الثلاثة، وأمن منه أمناً باتاً بعد الهدنة، أراد أن يحاسب الجناحين الباقين - اليهود وقبائل نجد - حتى يتم الأمن والسلام، ويسود الهدوء في المنطقة، ويفرغ المسلمون من الصراع الدامي المتواصل إلى تبليغ رسالة الله والدعوة إليه.

ولما كانت خيبر هي وكرة الدس والتآمر، ومركز الاستفزازات العسكرية ومعدن التحرشات وإثارة الحروب، كانت هي الجديرة بالتفات المسلمين أولاً.

أما كون خيبر بهذه الصفة، فلا ننسى أن أهل خيبر هم الذين حزبوا الأحزاب ضد المسلمين، وأثاروا بني قريظة على الغدر والخيانة، ثم أخذوا في الاتصالات بالمنافقين - الطابور الخامس في المجتمع الإسلامي - وبغطفان وأعراب البادية - الجناح الثالث من الأحزاب - وكانوا هم أنفسهم يهيئون للقتال، فألقوا المسلمين بإجراءاتهم هذه في محن متواصلة، حتى وضعوا خطة لاغتيال النبي ﷺ وإزاء ذلك اضطر المسلمون إلى بعوث متوالية، وإلى الفتك برأس هؤلاء المتآمرين، مثل سلام بن أبي الحقيق، وأسير بن زارم، ولكن الواجب على المسلمين إزاء هؤلاء اليهود كان أكبر من ذلك. وإنما أبطأوا في القيام بهذا الواجب؛ لأن قوة أكبر وأقوى وألد وأعند منهم - وهي قريش - كانت مجابهة للمسلمين، فلما انتهت هذه المجابهة صفا الجو لمحاسبة هؤلاء المجرمين، واقترب لهم يوم الحساب^(١).

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

(١) الرحيق المختوم (ص: ٣٩١: ٣٩٢).

متى كانت تلك الغزوة

اختلف أهل السير في وقتها على قولين:

الأول: قول ابن إسحاق في المغازي وموسى بن عقبة بأنها كانت في آخر شهر المحرم من السنة السابعة للهجرة، وقال ابن القيم: والجمهور على أنها في السابعة، وأيده أيضاً الحافظ ابن حجر في الفتح.

ويؤيد هذا القول ما أورده ابن إسحاق في المغازي قال: حدثني الزهري، عن عروة، عن مروان بن الحكم، والمسور بن مخرمة أنهما قالاً:

«انصرف رسول الله ﷺ من الحديبية، فنزلت عليه سورة الفتح فيما بين مكة والمدينة، فأعطاه الله فيها خيبر بقوله: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ [الفتح: ٢٠] يعني خيبر فقدم المدينة في ذي الحجة، فأقام بها حتى سار إلى خيبر في المحرم»، ورجاله ثقات، وسنده حسن^(١).

ويؤيده أيضاً ما جاء في حديث سلمة بن الأكوع أنها كانت بعد غزوة ذي قرد بثلاث ليال كما جاء في نص الحديث بقوله «قال فسبقتني إلى المدينة. قال: فوالله ما لبثنا إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ».

الثاني: قول مالك بأنها كانت في السنة السادسة وأيده ابن حزم في ذلك.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: «وهذه الأقوال متقاربة، والراجح منها ما ذكره ابن إسحاق، ويمكن الجمع بينها بأن من أطلق سنة ست بناء على أن ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقي وهو ربيع الأول»^(٢).

(١) فتح الباري: (٤٦٤/٧) دلائل النبوة للبيهقي: (١٩٧/٤)، زاد المعاد: (٣١٧/٣)، السيرة النبوية لابن

كثير: (٢٤٤/٣).

(٢) فتح الباري (٤٦٤/٧).

وعدهم الله مغانم كثيرة تأخذونها

قال المفسرون^(١): إن خير كانت وعداً وعدها الله تعالى بقوله: ﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ [الفتح: ٢٠] يعنى صلح الحديبية، وبالمغانم الكثيرة خير. وعن عروة، عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة، أنهما حدثاه جميعاً، قالاً: انصرف رسول الله ﷺ عام الحديبية، فنزلت عليه سورة الفتح فيما بين مكة والمدينة، فأعطاه الله عز وجل فيها خير ﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ [الفتح: ٢٠] خير، فقدم رسول الله ﷺ المدينة في ذي الحجة، فأقام بها حتى سار إلى خير في المحرم، فنزل رسول الله ﷺ بالرجيع: (واد بين خير وغطفان)، فتخوف أن تدهم غطفان، فبات به حتى أصبح، فغدا إليهم^(٢).

ولما كان المنافقون وضعفاء الإيمان تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة الحديبية، أمر الله تعالى نبيه ﷺ فيهم قائلاً: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَمُ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلِ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسَدُونَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الفتح: ١٥].

فلما أراد رسول الله ﷺ الخروج إلى خير، وأعلن أن لا يخرج معه إلا راغب في الجهاد، فلم يخرج إلا أصحاب الشجرة وهم ألف وأربعمائة.

النبي ﷺ يستعمل على المدينة (سباع بن عرفطة)

* واستخلف النبي ﷺ على المدينة سباع بن عرفطة، وقدم أبو هريرة حينئذ المدينة مسلماً فوافي سباع بن عرفطة في صلاة الصبح، فسمعه يقرأ في الركعة الأولى: ﴿كَبِهْتُمْ﴾ وفي الثانية ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾، فقال في نفسه: ويل لأبي فلان، له مكيالان إذا اكताल بالوافي، وإذا كال كال بالناقص، فلما فرغ من صلاته، أتى سباعاً، فزوده حتى قدم على رسول الله ﷺ وكلم المسلمين، فأشركوه وأصحابه في سهمانهم^(٣).

رفع

عبد الرحمن النجدي
(أسكنه الله الفردوس)

(١) السيرة لابن هشام (٣/ ٧٩١).

(٢) زاد المعاد (٣/ ٣١٧) وقال الأرئوط: رجاله ثقات.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٤٥: ٣٤٦) وإسناده قوى.

رأس المنافقين يخبر اليهود بمقدم النبي ﷺ

وقد قام المنافقون يعملون لليهود، فقد أرسل رأس المنافقين (عبد الله بن أبي) إلى يهود خيبر: أن محمداً قصد قصدكم وتوجه إليكم، فخذوا حذركم، ولا تخافوا منه، فإن عددكم وعدتكم كثيرة، وقوم محمد شرذمة قليلون، عزّل لا سلاح معهم إلا قليل، فلما علم ذلك أهل خيبر، أرسلوا كنانة بن أبي الحقيق وهودة بن قيس إلى غطفان، يستمدونهم؛ لأنهم كانوا حلفاء يهود خيبر، ومظاهرين لهم على المسلمين، وشرطوا لهم نصف ثمار خيبر إن هم غلبوا على المسلمين^(١).

خطة مباركة

ولم يفت المسلمون، قبل مسيرهم، أن يفصموا الجبهة المؤلفة ضدهم من يهود غطفان فأوهموا غطفان أن الهجوم متجه إليهم، وأن قوة المسلمين توشك أن تلتف بهم... قال ابن إسحاق: بلغني أن غطفان لما سمعت بمزل رسول الله ﷺ من خيبر جمعت له، ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه، حتى إذا ساروا مرحلة سمعوا خلفهم في أموالهم وأهلهم حساً فظنوا أن القوم خالفوهم إليهم فرجعوا على أعقابهم، وأقاموا في أهليهم وأموالهم، وخلّوا بين رسول الله وبين خيبر!! وهكذا نجحت الخطة في عزل يهود خيبر عن حلفائهم المشركين^(٢).

* ثم دعا رسول الله ﷺ الدليلين اللذين كانا يسلكان بالجيش - وكان اسم أحدهما حسيل - ليدلاّه على الطريق الأحسن، حتى يدخل خيبر من جهة الشمال - أي: جهة الشام - فيحول بين اليهود وبين طريق فرارهم إلى الشام، كما يحول بينهم وبين غطفان. قال أحدهما: أنا أدلك يا رسول الله، فأقبل حتى انتهى إلى مفرق الطرق المتعددة، وقال: يا رسول الله هذه طرق يمكن الوصول من كل منها إلى المقصد، فأمر أن يسميها له واحداً واحداً. قال: اسم واحد منها حزن؛ فأبى النبي ﷺ من سلوكه، وقال: اسم الآخر شاش، فامتنع منه أيضاً، وقال: اسم آخر حاطب، فامتنع منه أيضاً، وقال حسيل: فما بقي إلا واحد، قال عمر: ما اسمه؟ قال: مرحب، فاختار النبي ﷺ سلوكه^(٣).

(١) الرحيق المختوم (ص: ٣٩٣).

(٢) فقه السيرة / للغزالي (ص: ٣٨٣ - ٣٨٤) بتصرف.

(٣) الرحيق المختوم (ص: ٣٩٣ - ٣٩٤).

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

حذاء (عامر بن الأكوع) بجيش المسلمين

* عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال: «خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر، فسرنا ليلاً، فقال رجل من القوم لعامر: يا عامر ألا تُسمعنا من هنيهاتك؟ وكان عامر رجلاً شاعراً فنزل يحدو بالقوم يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما اتقينا وثبت الأقدام إن لاقينا
وألقين سكينه علينا إنا إذا صيح بنا أبينا

وبالصياح عولوا علينا

فقال رسول الله ﷺ: (من هذا السائق؟) قالوا: عامر بن الأكوع، قال: (يرحمه الله). قال رجل من القوم: وجبت يا نبي الله، لولا أمتعتنا به...»^(١).

وفى رواية أخرى لسلمة بن الأكوع رضى الله عنه انفرد بها الإمام مسلم فى صحيحه من ضمن حديث طويل،

«... قال: فسبقته إلى المدينة. قال: فوالله! ما لبثنا إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ، قال: فجعل عمى عامر يرتجز بالقوم:

تالله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا فثبت الأقدام إن لاقينا
وأنزلن سكينه علينا

فقال رسول الله ﷺ: (من هذا؟) قال: أنا عامر، قال: (غفر لك ربك) قال: وما استغفر رسول الله ﷺ لإنسان يخصه إلا استشهد، قال: فنادى عمر بن الخطاب، وهو على جملة: يا نبي الله؟ لولا ما متعتنا بعامر...».

* وقد جاء من حديث دهر الأسلمى رضى الله عنه «أنه سمع رسول الله ﷺ يقول فى مسيره إلى خيبر لعامر بن الأكوع، وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع، وكان اسم

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه المغازى باب غزوة خيبر (٤١٩٦) مسلم فى الصحيح الجهاد باب غزوة خيبر (١٨٠٢).

الأكوع سنان: (انزل يا ابن الأكوع، فخذ لنا من هنالك)، قال: فنزل يرتجز برسول الله ﷺ فقال:

والله لو لا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
إنا إذا قوم بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا
فأنزلن سكينه علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

زاد الطبري في روايته «فقال رسول الله ﷺ: (يرحمك الله) فقال عمر: وجبت والله يا رسول الله، لو أمتعتنا به، فقتل يوم خيبر شهيداً»^(١).

إنكم تدعون سميعاً قريباً

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «قال: لما غزا رسول الله ﷺ خيبر. أو قال لما توجه رسول الله ﷺ - أشرف الناس على واد، فرفعوا أصواتهم بالتكبير: الله أكبر، الله أكبر، فقال رسول الله ﷺ: «أربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً، وهو معكم»... وأنا خلف دابة رسول الله ﷺ، فسمعتني وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال لي: «يا عبد الله بن قيس»، قلت: لبيك رسول الله. قال: «ألا أدلك على كلمة من كنز من كنوز الجنة؟» قلت: بلى يا رسول الله، فذاك أبي وأمي. قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله»^(٢).

طعام المسلمين في طريقهم إلى خيبر

عن سويد بن النعمان رضي الله عنه: «أنه خرج مع النبي ﷺ عام خيبر... قال: حتى إذا كنا بالصهباء - وهي من أدنى خيبر - صلى العصر ثم دعا بالأزواد، فلم يؤت إلا بالسويق، فأمر به فترى، فأكل وأكلنا، ثم قام إلى المغرب فمضمض ومضمضنا، ثم صلى ولم يتوضأ»^(٣).

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٤٣١/٣) وابن هشام في السيرة: (٤٥٥/٣) قال الهيثمي في الجمع:

(١٤٨/٦ - ١٤٩) رواه أحمد والطبراني، ورجالهما ثقات.

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٠٥) المغازي - ومسلم (٧٠٤) الذكر والدعاء والتوبة.

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٩) الوضوء - وأحمد (٤٦٢/٣) وابن ماجه (٤٩٢).

رفع

عبد الرحمن الفوزي
أسكنه الله الفردوس

الجيش الإسلامي يتحرك إلى أسوار خيبر

بات المسلمون قريباً من خيبر في تلك الليلة الأخيرة التي بدأ في صباحها القتال ولم تشعر بهم اليهود في تلك الليلة.

* فعن أنس (رضي الله عنه) أنه قال: «إن رسول الله ﷺ أتى خيبر ليلاً - وكان إذا أتى قوماً بليل لم يقربهم حتى يصبح - فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوه قالوا: محمد والله، محمد والخميس. فقال النبي ﷺ: خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»^(١).

* ومن حديث أبي طلحة رضي الله عنه قال: كنت رديف رسول الله ﷺ، فسكت عنهم حتى إذا كان عند السحر، وذهب ذو الضرع إلى ضرعه، وذو الزرع إلى زرعه أغار عليهم، وقال: «إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»^(٢).

* ويظهر أن اليهود ظنوا - أول وهلة - أن زحف المسلمين صوب غطفان فلم يعيروا الأمر التفاتاً بل أصبحوا غادين إلى حقولهم بمساحيهم ومكاتلهم حتى فوجئوا بالمسلمين يسرون نحوهم، فارتدوا إلى حصونهم فزعين، وهم يقولون: محمد والخميس!^(٣).

وأمرهم شورى بينهم

وكان النبي ﷺ اختار لمعسكره منزلاً، فأتاه حُباب بن المنذر فقال: يا رسول الله أرايت هذا المنزل أنزلكه الله، أم هو الرأي في الحرب؟ قال: «بل هو الرأي»، فقال: يا رسول الله إن هذا المنزل قريب جداً من حصن (نظاة)، وجميع مقاتلي خيبر فيها، وهم يدرون أحوالنا، ونحن لا ندرى أحوالهم، وسهامهم تصل إلينا وسهامنا لا تصل إليهم، ولا نأمن من بياتهم، وأيضاً هذا بين النخلات، ومكان غائر، وأرضٌ وخيمة، لو أمرت بمكان خال عن هذه المفاسد نتخذ معسكراً. قال ﷺ: «الرأي ما أشرت»، ثم تحول إلى مكان آخر.

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر رقم (٤١٩٧، ٤١٩٨) - مسلم في الجهاد باب غزوة خيبر رقم (١٣٦٥).

(٢) أخرجه أحمد في المسند: (٢٨/٤، ٢٩) والطبراني برقم: (٤٧٠٣، ٤٧٠٤، ٤٧٠٥) قال الهيثمي في المجمع: (١٤٨/٦) رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح وقال أيضاً: (١٤٩/٦) رواه أحمد والطبراني بأسانيد ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٣) فقه السيرة / للقرظي (ص: ٣٨٤).

رفع

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

ولما دنا من خيبر وأشرف عليها قال: «قفوا»، فوقف الجيش فقال: «اللهم رب السماوات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، فإننا لنسألك خير هذه القرية، وخير أهلها، وخير ما فيها، ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر أهلها، وشر ما فيها، أقدموا بسم الله» (١). (٢)

حصون خيبر

وكانت خيبر منقسمة إلى شطرين، شطر فيها خمسة حصون:

١ - حصن ناعم.

٢ - حصن الصعب بن معاذ.

٣ - حصن قلعة الزبير.

٤ - حصن أبي.

٥ - حصن النزار.

والحصون الثلاثة الأولى تقع في منطقة يقال لها (النطاة)، وأما الحصنان الآخران فيقعان في منطقة تسمى بالشق.

أما الشطر الثاني ويعرف بالكتيبة، ففيه ثلاثة حصون فقط:

١ - حصن القموص (كان حصن ابن أبي الحقيق من بني النضير).

٢ - حصن الوطيح.

٣ - حصن السالام.

وفي خيبر حصون وقلاع غير هذه الثمانية، إلا أنها كانت صغيرة لا تبلغ إلى درجة هذه القلاع في مناعتها وقوتها.

والقتال المرير إنما دار في الشطر الأول منها، أما الشطر الثاني فحصونها الثلاثة مع كثرة المحاربين فيها سلمت دونما قتال (٣).

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة (٧٩٢/٣) والطبراني في الكبير (٧٢٩٩/٨) وصححه ابن خزيمة (٢٥٦٥/٤) والحاكم (٤٤٦/١) ووافقه الذهبي وحسنه الحافظ ابن حجر كما في الفتوحات الربانية (١٥٤/٥) والألباني في تحقيقه لفقه السيرة (ص: ٣٥٣).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٣٢٩/٢).

(٣) الرحيق المختوم (ص: ٣٩٧).

رَفَعُ

عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر
أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن عمر

صاحب الراية الذى يفتح الله على يديه حصون خيبر

عن سهل بن سعد - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطينَّ هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله». قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم، أيُّهم يُعطاهَا؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلُّهم يرجو أن يُعطاهَا، فقال: «أين على بن أبى طالب؟» فقليل: هو يا رسول الله يشتكى عينيه. قال: فأرسلوا إليه فأتى به. فبصق رسول الله ﷺ فى عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجعٌ، فأعطاه الراية، فقال على: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: «أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله؛ لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»^(١).

وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطينَّ هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه». قال عمر بن الخطاب: ما أحبيتُ الإمارة إلا يومئذ. قال: فتساورت لها رجاء أن أدعى لها، قال: فدعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب فأعطاه إياها. وقال: «امش ولا تلتفت، حتى يفتح الله عليك». فسار (على) شيئاً، ثم وقف ولم يلتفت، فصرخ: يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس؟ قال: «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»^(٢).

وإنما سابق رسول الله بهذا النصيح الرشيد حتى يقطع النفوس عن المغنم المعجلة، فإن ثروة يهود - إذا هزموا - ضخمة. ولكن ثواب مقاتليهم - إذا اهتدوا - أضخم.

وعند البخارى عن سلمة، قال: «كان على قد تخلَّف عن النبى ﷺ فى خيبر، وكان به رمدٌ، فقال: أنا أتخلَّف عن رسول الله ﷺ؟! فخرج على فلحق بالنبى ﷺ، فلما كان مساء الليلة التى فتحها الله فى صباحها، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لأعطينَّ الراية - أو ليأخذنَّ الراية - غداً رجلاً يحبه الله ورسوله - أو قال: يحب الله ورسوله - يفتح الله عليه». فإذا نحن بعلى، وما نرجوه، فقالوا: هذا على: فأعطاه

(١) أخرجه البخارى (٤٢١٠) ومسلم (٢٤٠٦) والنسائى فى فضائل الصحابة (٤٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٠٥) - وأحمد (٣٨٤/٢) والطيالسى (٢٤٤١).

رسول الله ﷺ الراية، ففتح الله عليه^(١).

وعن أبي سعيد الخدري، قال: إن رسول الله ﷺ أخذ الراية فهزها، ثم قال: «مَنْ يأخذها بحقها؟» فجاء فلان فقال: أنا. قال: أمط. ثم جاء رجل فقال: أمط. ثم قال النبي ﷺ «والذي كرم وجه محمد، لأعطينها رجلاً لا يفر، هاك يا عليّ» فأنطلق حتى فتح الله عليه خيبر وقدك، وجاء بعجوتهم وقديدهما^(٢).

(عليّ) ^(٣) يقتل (مرحباً اليهودي)

وأول حصن هاجمه المسلمون من هذه الحصون الثمانية هو حصن ناعم، وكان خط الدفاع الأول لليهود لمكانه الاستراتيجي، وكان هذا الحصن هو حصن مرحب البطل اليهودي الذي كان يعد بالألف.

خرج علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بالمسلمين إلى هذا الحصن، ودعا اليهود إلى الإسلام، فرفضوا هذه الدعوة، وبرزوا إلى المسلمين ومعهم ملكهم مرحب، فلما خرج إلى ميدان القتال دعا إلى المبارزة.

* فعن سلمة بن الأكوع (رضي الله عنه) «... قال: فلما قدمنا خيبر قال: خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه ويقول:

قد علمت خيبر أنني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

قال: وبرز له عمى عامر فقال:

قد علمت خيبر أنني عامر شاكي السلاح بطل مغامر

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠٢) - ومسلم (٢٤٠٧).

(٢) رواه أحمد (١٦/٣) وفي فضائل الصحابة (٩٨٧) وإسناده حسن.

(٣) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات ما نصه: «اختلفوا في قاتل مرحب، فقبل علي بن أبي طالب، وقال ابن عبد البر في كتابه الدرر في مختصر السير، قال محمد بن إسحاق: أن محمد بن مسلمة هو الذي قتل مرحباً اليهودي بخيبر، قال وخالفه غيره، فقال: بل قتله علي بن أبي طالب، قال ابن عبد البر: هذا هو الصحيح عندنا، ثم روى ذلك بإسناده عن بريدة وسلمة بن الأكوع. [الفتح الرباني (١٢١/٢١)].

قال الحاكم في المستدرک: «الأخبار متواترة بأسانيد كثيرة أن قاتل مرحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه»، ووافقه الذهبي على ما قال (٤٣٧/٣).

رفع

عبد الرحمن النجدي
(أسكنه الله الفردوس)

قال: فاختلعا ضربتين، فوق سيف مرحب في ترس عامر، وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه، فقطع أكحلته، فكانت فيها نفسه.

قال سلمة: فخرجت فإذا نفر من أصحاب النبي ﷺ يقولون: بطل عمل عامر، قتل نفسه. قال: فأتيت النبي ﷺ وأنا أبكى، فقلت: يا رسول الله! بطل عمل عامر؟ قال رسول الله ﷺ: «من قال ذلك؟» قلت: ناس من أصحابك قال: «كذب من قال ذلك. بل له أجره مرتين».

* قال سلمة (رضي الله عنه): «ثم أرسلني رسول الله ﷺ إلى (عليّ) وهو أرمد، فقال: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، أو يحبه الله ورسوله». قال: فأتيت عليّاً فجئت به أقوده وهو أرمد، حتى أتيت به رسول الله ﷺ، فبصق في عينه فبرأ، وأعطاه الراية. وخرج «مرحب» فقال:

قد علمتُ خيرُ أني مرحبُ شاكي السلاحُ بطلُ مُجربُ
إذا الحروبُ أقبلتُ تلَهَّبُ

فقال عليّ:

أنا الذي سمّيتني أُمّي حَيْدَرَةً^(١) كلّيتُ غاباتِ كريبهِ المنظرةُ
أوفّيتهم بالصاع كيلَ السَّنْدَرَةِ

قال: فضرب رأس «مرحب» فقتله، وكان الفتح على يديه^(٢).

* مَرَحِبٌ هذا: فارس فرسان اليهود، وكان مكتوباً على سيفه بالعبرية:

هذا سيفُ مَرَحِبٍ من يذّقه يعطبُ

فضربه عليّ ففقد الحجر والمغفر ورأسه، ووقع السيف في الأضراس.

وقبله قتل (عليّ) أخا مَرَحِبٍ، وهو الحارث. وبارز عليّ قائداً يهودياً - بعد مبارزة الزبير لياسر - وكان هذا القائد الفارس يُسمّى عامراً، فقتله عليّ أمام الحصن. قال رسول الله ﷺ حين طلع عامر: «تروئنه خمسة أذرع؟» وكان طويلاً جسيماً، فلما دعا للبراز، وخطر بسيفه، وعليه درعان، وهو مُقَنَّعٌ في الحديد يصيح: من يبارز؟ فأحجم

(١) حيدرة: هو الأسد.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٠٧) عن سلمة بن الأكوع.

رَفَعُ

عبد الرحمن النخعي
أسلم الله الفروسي

الناس عنه، فبرز إليه (على) فضربه ضربات، كل ذلك لا يصنع شيئاً، حتى ضرب ساقه فبرك، ثم ذفق^(١) عليه فأخذ سلاحه^(٢).

وفتح الله على يديه حصن (ناعم) وهو من أقوى حصون خيبر.
فيا لها من صفحات مشرقة لا ننساها أبداً ما دامت أرواحنا في أبداننا.

فتح حصن الصعب بن معاذ

وكان حصن الصعب الحصن الثاني من حيث القوة والمناعة بعد حصن ناعم، قام المسلمون بالهجوم عليه تحت قيادة الحباب بن المنذر الأنصاري، ففرضوا عليه الحصار ثلاثة أيام، وفي اليوم الثالث، دعا رسول الله ﷺ لفتح هذا الحصن دعوة خاصة.

ولما ندب النبي ﷺ المسلمين بعد دعائه لمهاجمة هذا الحصن كان بنو أسلم هم المقادير في المهاجمة، ودار البراز والقتال أمام الحصن. ثم فُتح الحصن في ذلك اليوم قبل أن تغرب الشمس، ووجد فيه المسلمون بعض المتجنقات والدبابات.

ولأجل هذه المجاعة الشديدة كان رجال من الجيش قد ذبحوا الحمير، ونصبوا القدور على النيران، فلما علم رسول الله ﷺ بذلك نهى عن لحوم الحمر الإنسانية^(٣).^(٤)

(١) أجهز عليه.

(٢) سلسلة معارك الإسلام الفاصلة - خيبر - لمحمد أحمد بشاميل (ص ١٢٢).

(٣) أخرجه البخاري (٤٢١٦) ومسلم (١٤٠٧) وابن ماجه (١٩٦١).

(٤) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر، وعن أكل لحوم الحمر الإنسانية. (أخرجه البخاري) وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ نهى عن المتعة، وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر. (أخرجه البخاري).

قال الحافظ: قال الماوردي في الحاوي في تعيين موضع تحريم المتعة وجهان: أحدهما: أن التحريم تكرر ليكون أظهر وأنشر حتى يعلمه من لم يكن علمه، لأنه قد يحضر في بعض المواطن من لا يحضر في غيرها. والثاني أنها أبيحت مراراً، ولهذا قال في المرة الأخيرة «إلى يوم القيامة» إشارة إلى أن التحريم الماضي كاف مؤذناً بأن الإباحة تعقبه، بخلاف هذا، فإنه تحريم مؤبد لا تعقبه إباحة أصلاً. وهذا الثاني هو المعتمد، ويرد الأول التصريح بالإذن فيها في الموطن المتأخر عن الموطن الذي وقع التصريح فيه بتحريمها كما في غزوة خيبر ثم الفتح.

وقال النووي: الصواب أن تحريمها وإباحتها وقعا مرتين فكانت مباحة قبل خيبر ثم حرمت فيها، ثم أبيحت عام الفتح وهو عام أوطاس، ثم حرمت تحريماً مؤبداً، قال ولا مانع من تكرير الإباحة. [فتح الباري (٧٥/٩)]. أما تحريم الحمر الإنسانية، وفي رواية الأهلية، فقليل الحكمة فيها أنها تأكل العذرة، وقيل: لأنها كانت حمولة الناس فكره أن تذهب حمولتهم.

عن الشيخ (الرحمى)
(أسكنه الله الفردوس)

فتح قلعة الزبير

وبعد فتح حصن ناعم والصعب تحول اليهود من كل حصون النطااة إلى قلعة الزبير، وهو حصن منيع في رأس قلة، لا تقدر عليه الخيل والرجال لصعوبته وامتناعه، ففرض عليه رسول الله ﷺ الحصار، وأقام محاصراً ثلاثة أيام لهم فجاء رجل من اليهود، وقال: يا أبا القاسم إنك لو أقمت شهراً ما بالوا، إن لهم شراً وعيوناً تحت الأرض، يخرجون بالليل ويشربون منها، ثم يرجعون إلى قلعته فيمتنعون منك، فإن قطعت مشربهم عليهم أسحروا لك، فقطع ماءهم عليهم، فخرجوا فقاتلوا أشد القتال، قُتل فيه نفر من المسلمين وأصيب نحو العشرة من اليهود، وافتتحه رسول الله ﷺ.

فتح قلعة أبي

وبعد فتح قلعة الزبير انتقل اليهود إلى قلعة أبيّ وتحصنوا فيه، وفرض المسلمون عليهم الحصار وقام بطلان من اليهود واحد بعد الآخر بطلب المبارزة، وقد قتلها أبطال المسلمين، وكان الذى قتل المبارز الثانى هو البطل المشهور أبو دجانة سماك بن خرشة الأنصارى صاحب العصاة الحمراء، وقد أسرع أبو دجانة بعد قتله إلى اقتحام القلعة، واقتحم معه الجيش الإسلامى، وجرى قتال مرير ساعة داخل الحصن، ثم تسلل اليهود من القلعة، وتحولوا إلى حصن النزار آخر حصن فى الشطر الأول.

فتح حصن النزار

كان هذا الحصن أمنع حصون هذا الشطر، وكان اليهود على شبه اليقين بأن المسلمين لا يستطيعون اقتحام هذه القلعة، وإن بذلوا قصارى جهدهم فى هذا السبيل، ولذلك أقاموا فى هذه القلعة مع الذرارى والنساء، بينما كانوا قد أخذوا منها القلاع الأربعة السابقة.

وفرض المسلمون على هذا الحصن أشد الحصار وصاروا يضغطون عليهم بعنف، ولكون الحصن يقع على جبل مرتفع منيع لم يكونوا يجدون سبيلاً للاقتحام فيه، أما اليهود فلم يجترئوا للخروج من الحصن، للاشتباك مع قوات المسلمين، ولكنهم قاوموا المسلمين مقاومة عنيدة برشق النبال، وبإلقاء الحجارة.

رقه

محمد (الرحمى) البخارى
أسكنه الفردوس

وعندما استعصى حصن النزار على قوات المسلمين، أمر النبي ﷺ بنصب آلات المنجنيق، ويبدو أن المسلمين قذفوا بها القذائف، فأوقعوا الخلل في جدران الحصن، واقتحموه، ودار قتال مرير في داخل الحصن، انهزم أمامه اليهود هزيمة منكرة، وذلك لأنهم لم يتمكنوا من التسلل من هذا الحصن كما تسللوا من الحصون الأخرى بل فروا من هذا الحصن تاركين للمسلمين نساءهم وذرايرهم.

وبعد فتح هذا الحصن المنيع تم فتح الشطر الأول من خيبر، وهى ناحية النظاة والشق، وكانت فى هذه الناحية حصون صغيرة أخرى إلا أن اليهود بمجرد فتح هذا الحصن المنيع أدخلوا هذه الحصون، وهربوا إلى الشطر الثانى من بلدة خيبر.

فتح الشطر الثانى من خيبر

ولما فتح ناحية النظاة والشق، تحول رسول الله ﷺ إلى أهل الكتيبة والوطيح والسلالم حصن أبى الحقيق من بنى النضير، وجاءهم كل من كان انهزم من النظاة والشق، وتحصن هؤلاء أشد التحصن.

فلما أتى رسول الله ﷺ إلى هذه الناحية - الكتيبة - فرض على أهلها أشد الحصار، ودام الحصار أربعة عشر يوماً، واليهود لا يخرجون من حصونهم، حتى هم رسول الله ﷺ أن ينصب عليهم المنجنيق، فلما أيقنوا بالهلكة سألوا رسول الله ﷺ الصلح^(١).

النبي ﷺ يعالج سلامة بن الأكوع

* عن يزيد بن أبى عبيد قال: «رأيت أثر ضربة فى ساق (ابن الأكوع) فقلت: يا أبا مسلم ما هذه الضربة؟ فقال: هذه ضربة أصابتها يوم خيبر، فقال الناس: أصيب سلامة، فأتيت النبي ﷺ، فنفت فيه ثلاث نفثات، فما اشتكت حتى الساعة»^(٢).

(١) بتصرف من الرحيق المختوم.

(٢) أخرجه البخارى فى المغازى باب غزوة خيبر حديث رقم (٤٢٠٦) أبو داود فى الطب، باب كيف الرقى حديث رقم (٣٨٩٤).

رَفَعُ
عَنْ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
(سُكَّرَ) (لَيْلَى) (الْعَرَبِيَّةِ)

إن تصدق الله يصدقك

✽ عن شداد بن الهاد (رضى الله عنه): «أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ، فأمن به، واتبعه، ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزوة (خير أو حنين)^(١)، غنم النبي ﷺ سبيًا، فقسم، وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قَسَمَ قَسَمَهُ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ، فأخذه، فجاء به إلى النبي ﷺ فقال: ما هذا؟ قال: «قسمته لك»، قال: ما على هذا اتبعتك، ولكنني اتبعتك على أن أرمى إلى ههنا (وأشار إلى حلقه) بسهم، فأموت، فأدخل الجنة. فقال: «إن تصدق الله يصدقك»، فلبثوا قليلاً، ثم نهضوا في قتال العدو، فأتى به النبي ﷺ يُحْمَلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ، فقال النبي ﷺ: «أهو هو؟» قالوا: نعم. قال: «صدق الله، فصدقه»، ثم كفنه النبي ﷺ في جبة النبي ﷺ، ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: «اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك، فقتل شهيداً أنا شهيد على ذلك»^(٢).

أما إنه من أهل النار

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: «إن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون، فاقتتلوا. فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره، مال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه، فقالوا: ما أجزأنا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال: رسول الله ﷺ: «أما إنه من أهل النار»، فقال رجل من القوم: أنا صاحبه أبداً.

قال: فخرج معه، كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه، قال فخرج الرجل جرحاً شديداً، فاستعجل الموت فوضع نصل السيف بالأرض، وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه، فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله، قال: «وما ذاك؟» قال: الرجل الذي ذكرت أنك من أهل النار، فأعظم الناس

(١) ما بين الخاصرتين من رواية الحاكم (٥٩٥/٣).

(٢) أخرجه النسائي في كتاب الجنائز باب الصلاة على الشهداء: ٦٠/٤، والطحاوي في شرح معاني الآثار:

٢٩١/١، والبيهقي في السنن: ١٥/٤ - ١٦، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١٨٤٥).

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

ذلك، فقلت: أنا لكم به، فخرجت في طلبه حتى جرح جرحاً شديداً، فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه بالأرض، وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه.

فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة»^(١).

وقد جاء من حديث أبي هريرة رضى الله عنه بنفس المعنى وجاء التصريح فيه بأن الغزوة كانت غزوة خيبر، وكانت غزوة خيبر^(٢) أول الغزوات التي حضرها، مع رسول الله ﷺ.

قصة عبد الله بن مغفل (وجراب الشحم)

* عن عبد الله بن مغفل رضى الله عنه في الصحيحين قال: «أصبت جراباً من شحم يوم خيبر، قال: فالتزمته، فقلت: لا أعطى اليوم أحداً من هذا شيئاً، قال: فالتفت فإذا رسول الله ﷺ مبتسماً» واللفظ لمسلم، وفي اللفظ المتفق عليه، «رُمى إلينا جراب فيه طعام وشحم يوم خيبر، فوثبت لآخذه، قال: فالتفت فإذا رسول الله ﷺ فاستحييت منه»^(٣).

إن صاحبكم غلّ في سبيل الله

* عن زيد بن خالد الجهني (رضى الله عنه): «أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ توفي يوم خيبر، فذكروا لرسول الله ﷺ، فقال: «صلوا على صاحبكم»، فتغيرت وجوه الناس لذلك، فقال: «إن صاحبكم غلّ في سبيل الله» ففتشنا متاعه فوجدنا خرزاً من خرز يهود لا يساوي درهمين»^(٤).

(١) أخرجه البخارى في المغازى باب غزوة خيبر حديث رقم: (٤٢٠٢، ٤٢٠٧) مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه حديث (١١٢).

(٢) أخرجه البخارى في المغازى باب غزوة خيبر (٤٢٠٣) مسلم في الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه حديث رقم (١١١).

(٣) أخرجه البخارى (٤٢١٤) المغازى - ومسلم (١٧٧٢) الجهاد والسير.

(٤) رواه أبو داود (٢٧١٠)، والنسائي (٦٤/٤)، والحاكم (١٢٧/٢)، وصححه، ووافقه الذهبي.

وبذلك تم فتح خيبر

وأرسل ابن أبي الحقيق إلى رسول الله ﷺ أنزل فأكلكم؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، فنزل ابن أبي الحقيق، فصالح رسول الله ﷺ على حقن دماء من في حصونهم من المقاتلة وترك الذرية لهم، ويخرجون من خيبر وأرضها بذرايرهم، ويحلون بين رسول الله ﷺ وبين ما كان لهم من مال وأرض، وعلى الصفراء والبيضاء، والكراع والحلقة، فقال رسول الله ﷺ: «وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كنتمونى شيئاً»، فصالحوه على ذلك^(١).

وبعد هذه المصالحة تم تسليم الحصون إلى المسلمين وبذلك تم فتح خيبر.

* عن ابن عمر رضى الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم إلى مقرهم، فغلب على الأرض والنخل والزرع، فصالحوه على أن يجلوها منها، ولهم ما حملت ركايبهم، ولرسول الله ﷺ الصفراء والبيضاء (والحلقة)، ويخرجون منها.

فاشترط عليهم أن لا يكتموا شيئاً، ولا يغيبوا شيئاً، فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عصمة، فغيبوا مسكاً فيه مال وحلياً لحى بن أخطب كان احتمله معه إلى خيبر حين أجليت النضير، فقال رسول الله ﷺ: «لعم حى (سعية): «ما فعل مسك حى الذى جاء به من النضير؟» فقال: أذهبته النفقات والحروب، فقال رسول الله ﷺ: «العهد قريب، والمال أكثر من ذلك».

فدفعه رسول الله ﷺ إلى الزبير فمسه بعذاب، وكان حى قبل ذلك قد دخل خربة، فقال: قد رأيت حياً يطوف فى خربة ها هنا، فذهبوا، فطافوا، فوجدوا المسك فى الخربة، فقتل رسول الله ﷺ ابنى أبي الحقيق، وأحدهما زوج صفية بنت حى بن أخطب، وسبى رسول الله ﷺ نساءهم وذرايرهم، وقسم أموالهم للنكت الذى نكتوا، وأراد أن يجليهم منها، فقالوا: يا محمد دعنا نكون فى هذه الأرض نصلحها، ونقوم عليها، ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه غلمان يقومون عليها، وكانوا لا يتفرغون أن يقوموا عليها. فأعطاهم خيبر على أن لهم الشطر من كل نخل وزرع وشىء ما بدا لرسول الله ﷺ.

رَفَعُ

عبد الرحمن بن الحنفى
أسكنه الله الفردوس

وكان عبد الله بن رواحة يأتيهم كل عام يخرصها عليهم، ويضمنهم الشطر، قالوا: فشكوا إلى رسول الله ﷺ شدة خرصه، وأرادوا أن يرشوه، فقال: يا أعداء الله أظعموني السحت؟ والله لقد جئكم من عند أحب الناس إليّ، ولأنتم أبغض الناس إليّ من عدتكم من القردة والخنزير ولا يحملني بغضى إياكم، وحبي إياه على أن لا أعدل عليكم، فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض.

وكان رسول الله ﷺ يعطى كل امرأة من نسائه ثمانين وسقاً من تمر كل عام، وعشرين وسقاً من شعير، فلما كان زمان عمر بن الخطاب غشوا المسلمين، وألقوا ابن عمر من فوق بيت، ففدغوا يديه، فقال عمر بن الخطاب: من كان له سهم من خير، فليحضر حتى نقسمها بينهم، فقسمها بينهم وقال رئيسهم: لا تخرجنا دعنا نكون فيها كما أقرنا رسول الله ﷺ وأبو بكر، فقال عمر: لرئيسهم: أترأه سقط عني قول رسول الله ﷺ: «كيف بك إذا رقصت بك راحلتك تخوم الشام يوماً ثم يوماً ثم يوماً»، وقسمها عمر بين من كان شهد خيبر من أهل الحديبية^(١).

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

ولم يقتل رسول الله ﷺ بعد الصلح إلا ابني أبي الحقيق للنكت الذي نكثوا، فإنهم شرطوا إن غيبوا، أو كتموا، فقد برئت منهم ذمة الله وذمة رسوله، فغيبوا، فقال لهم: أين المال الذي خرجتم به من المدينة حين أجليناكم؟ قالوا: ذهب، فحلفوا على ذلك، فاعترف ابن عم كنانة عليهما بالمال حين دفعه رسول الله ﷺ إلى الزبير يُعذبه، فدفع رسول الله ﷺ كنانة إلى محمد بن مسلمة فقتله ويقال: إن كنانة هو كان قتل أخاه محمود بن سلمة^(٢).

(١) الحديث أخرجه أبو داود منه الشطر الأول في كتاب الخراج باب ما جاء في حكم أرض خيبر حديث رقم: ٣٠٠٦، موارد الزمان حديث رقم: ١٦٩٧، المغازي باب ما جاء في خيبر وفي سنن البيهقي: ١١٤/٦، وفي دلائل البيهقي: ٢٢٩/٤ - ٢٣١، والحديث إسناده صحيح وقد أخرجه مختصراً أحمد: ١٧/٢، ٢٢، ٣٧، البخاري: ٣٢٨، ومسلم برقم: ١٥٥١، وأبو داود برقم: ٣٤٠٨، الترمذي برقم: ١٣٨٣، وابن ماجه برقم: ٢٤٦٧.

(٢) زاد المعاد (٣/٣٢٦: ٣٢٧) بتصرف.

النبي ﷺ يتزوج صفية بنت حيى بن أخطب

وكانت صفية بنت حى بن أخطب (زعيم اليهود) بين من أسرن من نساء خيبر، وقعت فى يد أحد الصحابة. فاستردها منه الرسول. ثم اعتقها وبني بها، وجعل مهرها عتقها.

* عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «قدمنا خيبر، فلما فتح الله عليه الحصن ذكر له جمال صفية بنت حى بن أخطب وقد قُتل زوجها، وكانت عروساً، فاصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه، فخرج بها، حتى بلغنا سد الصهباء، حلت، فبنى بها رسول الله ﷺ، ثم صنع حيساً فى نطع صغير، ثم قال لى: «أذن من حولك»، فكانت تلك وليمة على صفية، ثم خرجنا إلى المدينة، فرأيت النبي ﷺ يحوى لها وراءه بعباءة، ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته، وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب»^(١).

* وقد جاء هذا الحديث بلفظ آخر من حديث أنس أكثر تفصيلاً، «صارت صفية لدحية فى مقسمه، وجعلوا يمدحونها عند رسول الله ﷺ. قال: ويقولون: ما رأينا فى السبي مثله، قال: فبعث إلى دحية، فأعطاه بها ما أراد، ثم دفعها إلى أمى فقال: «أصلحها».

قال: ثم خرج رسول الله ﷺ من خيبر، حتى إذا جعلها فى ظهره نزل، ثم ضرب عليها القبة. فلما أصبح قال رسول الله ﷺ: «من كان عنده فضل زاد فليأتنا به» قال: فجعل الرجل يجيء بفضل التمر، وفضل السويق، حتى جعلوا من ذلك سواداً حيساً^(٢)، فجعلوا يأكلون من ذلك الحيس ويشربون من حياض إلى جنبهم من ماء السماء، قال: فقال أنس: فكانت تلك وليمة رسول الله ﷺ عليها.

قال: فانطلقنا، حتى إذا رأينا جدر المدينة هشتنا^(٣) إليها، فرفعنا مطبنا^(٤) ورفع رسول الله ﷺ مطبته، قال: وصفية خلفه قد أردفها رسول الله ﷺ قال: فعثرت مطية رسول الله ﷺ، فصرع وصرعت، قال: فليس أحد من الناس ينظر إليه ولا إليها، حتى

(١) أخرجه البخارى فى المغازى باب غزوة خيبر حديث رقم (٤٢١١) وتفرد به دون مسلم.

(٢) سواداً حيساً: كوماً مرتفعاً فخلطوه وجعلوه حيساً.

(٣) هشتنا: نشطنا وخففنا.

(٤) رفعنا مطبنا: أسرنا بها.

رفع

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

❖ ومن حديث أنس أيضاً قال: «أقام النبي ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاث ليال يبنى عليه بصفية، فدعوت المسلمين إلى وليمته، وما كان فيها من خبز ولا لحم، وما كان فيها إلا أن أمر بلالاً بالأنطاع، فبسطت، فألقى عليها التمر والأقط والسمن، فقال المسلمون: إحدى إمهات المؤمنين أو ما ملكت يمينه؟ قالوا: إن حجبتها فهي إحدى أمهات المؤمنين، وإن لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه، فلما ارتحل واطأ خلفه، ومد الحجاب» (٤).

* عن أنس رضي الله عنه قال: «سبى النبي ﷺ صفية، فأعتقها، وتزوجها، فقال ثابت لأنس: ما أصدقها؟ قال: أصدقها نفسها فأعتقها» (٥).

(٥) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر حديث: ٤٢٠١، وقد انفرد به البخاري من هذا الوجه.

لِيَاثِقَ الْمُؤْمِنِينَ رَعُوقَهُمَا رَحِيمًا

* وما أجمل أن نتدبر سويا كيف كان الحبيب ﷺ رحيمًا متواضعًا يخاطب كل من حوله برحمة وحنان ويدع له المجال ليعبر عما يجيش في نفسه ثم يخاطبه بكل رحمة ليزيل الشبه ويُجَلِّي الحقائق.. وهذا هو الذي حدث مع أمنا صفية (رضي الله عنها).

* فعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال:

كان بعيني صفية خُضْرَة، فقال لها النبي ﷺ: «ما هذه الخضرة بعينيك؟».

قالت: قلت لزوجي: إني رأيت فيما يرى النائم كأن قمرًا وقع في حجرى، فلطمني، وقال: أتريدن ملك يثرب؟ قالت: وما كان أبغض إليّ من رسول الله ﷺ قتل أبى وزوجى، فما زال يعتذر إليّ وقال: يا صفية إن أباك ألب على العرب وفعل وفعل «حتى ذهب ذلك من نفسى»^(١).

ولا نجد تعليقًا على هذا الموقف العظيم إلا أن نتذكر قول الله (عز وجل) حيث يقول: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] ^(٢).

فى بيت النبوة

وعادت صفية (رضي الله عنها) مع الحبيب ﷺ بعد أن بنى بها فى طريق العودة إلى المدينة المنورة.. وكانت فى قمة السعادة فهى التى لم يخطر ببالها أن تكون واحدة من نساء المؤمنين فكيف وهى الآن من أمهات المؤمنين.

يا لها من لحظة سعيدة يعجز القلم عن وصفها!!!^(٣).

جاء البشير إلى أهل المدينة يعلمهم بقدوم رسول الله ﷺ، فخرجت المدينة تستقبل رسول الله ﷺ عند عودته من هذه الغزاة... كانت وجوه الرجال تهلل بالبشر، والولدان

(١) قال الهيثمى فى المجمع (١٥٣٧٣): رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح - وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٧٩٣).

(٢) صحايات حول الرسول ﷺ / للمصنف (ص: ٢٥٩، ٢٦٠).

(٣) صحايات حول الرسول ﷺ / للمصنف (ص: ٢٦٠).

رفع

عبد الرحمن النجدي
(أسكنه الله الفردوس)

يغمرمهم الفرح، بينما كانت النساء على أسطح المنازل، وقد عمرت أفئدتهم بالسرور. أما المنافقون، فقد كانوا في كمد رهيب، يُظهرون غير ما تخفى الصدور، غصّت حلاقيهم بنصر رسول الله ﷺ، وفضحهم الله عز وجل، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا^(١).

يهودية تضع للنبي ﷺ شاة مسمومة

ولما اطمأن رسول الله ﷺ بخيبر بعد فتحها أهدت له زينب بنت الحارث - امرأة سلام ابن مشكم - شاة مسمومة.

* عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «إن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ، فسألها عن ذلك، قالت: أردت لأقتلك، فقال: «ما كان ليسلطك على ذلك، أو على»، قال: قالوا: ألا تقتلها، قال: لا، فما زالت أعرفها في لهوات^(٢) رسول الله ﷺ»^(٣).

* وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: «لما فتحت خيبر، أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم، فقال رسول الله ﷺ: (اجمعوا لى من ها هنا من اليهود). فجمعوا له، فقال لهم رسول الله ﷺ: (إنى سألكم عن شىء فهل أنتم صادقونى عنه؟) فقالوا: نعم يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: (من أبوكم؟) قالوا: أبونا فلان، فقال رسول الله ﷺ: (كذبتم بل أبوكم فلان) فقالوا: صدقت وبررت.

فقال: (هل أنتم صادقونى عن شىء إن أنا سألتكم عنه؟) فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبتك عرفت كما عرفته فى آيينا، فقال لهم رسول الله ﷺ: (من أهل النار؟) فقالوا: نكون فيها يسيراً، ثم تخلفونا فيها، فقال لهم رسول الله ﷺ: (اخسؤوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبداً).

ثم قال لهم: (هل أنتم صادقونى عن شىء إن سألتكم عنه؟) فقالوا: نعم، فقال: (هل جعلتم فى هذه الشاة سمّاً؟) فقالوا: نعم، فقال: (ما حملكم على ذلك؟) فقالوا: أردنا

(١) نساء أهل البيت (ص: ٣٥٢).

(٢) لهوات: جمع لهاة، اللحمة الحمراء المعلقة فى أصل الحنك، كأنه بقى للسم علامة، سواداً وغيره.

(٣) أخرجه البخارى فى الهبة باب قبول الهدية من المشركين حديث رقم: ٢٦١٧، مسلم فى السلام حديث رقم: ٢١٩٠، أبو داود فى الديات رقم: ٤٥٠٨.

إن كنت كذاباً أن نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرْك»^(١).

* وفي رواية ابن اسحاق أن الذي أهدي الشاة زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم وقد سألت: أى عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ فقيل لها: الذراع، فأكثر فيها من السم، ثم سمت سائر الشاة ثم جاءت بها، فأما النبي ﷺ فلاك منها شيئاً فلم يسغها وأما بشر بن البراء بن معرور فأساغها، وقال النبي ﷺ: إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم، ثم دعا بها فاعترفت^(٢).

هل قتل النبي ﷺ المرأة التي وضعت السم

قال القاضي عياض: واختلفت الآثار والعلماء هل قتلها النبي ﷺ أم لا، فوقع في مسلم أنهم قالوا ألا نقتلها؟ قال: (لا) ومثله عن أبي هريرة وجابر. وعن جابر من رواية أبي سلمة أنه قتلها، وفي رواية ابن عباس أنه دفعها إلى أولياء بشر بن البراء بن معرور، وكان أكل منها، فمات بها، فقتلوها.

وقال السهيلي قيل: إنه صفح عنها... قال القاضي: وجه الجمع بين هذه الروايات والأقويل أنه لم يقتلها حين اطلع على سمها، وقيل له: اقتلها فقال: لا، فلما مات بشر ابن البراء بن معرور من ذلك سلمها لأولياءه، فقتلوها قصاصاً، فصح قولهم لم يقتلها أى في الحال، ويصح قولهم قتلها أى بعد ذلك والله أعلم^(٣).

(١) أخرجه البخارى فى الطب باب ما يذكر فى سم النبي ﷺ رقم: ٥٧٧٧، وأبو داود فى سننه الدييات باب فيمن سقى رجلاً سماً حديث رقم: ٤٥٠٩، وأحمد فى المسند: ٤٥١/٢.

(٢) قال الحافظ: وفى الحديث إخباره ﷺ عن الغيب، وتكليم الجماد له، ومعاندة اليهود له لاعتراهم بصدقه فيما أخبر به عن اسم أبيهم، وبما وقع منهم من دسيمة السم، ومع ذلك فعاندوا واستمروا على تكذيبه، وفيه قتل من قتل بالسم قصاصاً، وعن الحنفية إنما تجب فيه الدية، ومحل ذلك إذا استكرهه عليه اتفاقاً وأما إذا دسه عليه ففيه اختلاف للعلماء، فإن ثبت أنه ﷺ قتل اليهودية بشر بن البراء، ففيه حجة لمن يقول بالقصاص فى ذلك والله أعلم، وفيه أن الأشياء - كالسموم وغيرها - لا تؤثر بذواتها بل بإذن الله، لأن السم أثر فى بشر فقيل: إنه مات فى الحال، وقيل إنه بعد حول. [فتح البارى (٧/٢٥٧: ٢٥٨)].

(٣) شرح صحيح مسلم (١٤/١٧٩).

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

شدة تأثر النبي ﷺ باسم

وقد ورد أن هذه الأكلة كانت من أسباب مرض النبي ﷺ - مرض الوفاة -
 * عن عائشة رضی الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: (يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم)»^(١).

قسمة الغنائم

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وقسم رسول الله ﷺ خيبر على ستة وثلاثين سهماً جمع كل سهم مائة سهم فكانت ثلاثة آلاف وستمائة سهم وكان لرسول الله ﷺ وللمسلمين النصف من ذلك وهو ألف وثلاثمائة سهم لرسول الله ﷺ سهم كسهم أحد المسلمين وعزل النصف الآخر، وهو ألف وثمانمائة سهم لنوابه وما ينزل به من أمور المسلمين^(٢). وقال البيهقي: وهذا لأن خيبر فتح شطرها عنوة وشرها صلحاً.

قال الإمام ابن القيم: وهذا بناء منه على أصل الشافعي رحمه الله أنه يجب قسم الأرض المفتوحة عنوة كما تقسم سائر المغانم، فلما لم يجده قسم النصف من خيبر قال: إنه فتح صلحاً، ومن تأمل السير والمغازي حق التأمل تبين له أن خيبر إنما فتحت عنوة، وأن رسول الله ﷺ استولى على أرضها كلها بالسيف عنوة ولو فتح شيء منها صلحاً لم يجعلهم رسول الله ﷺ منها، فإنه لما عزم على إخراجهم منها قالوا: نحن أعلم بالأرض منكم دعونا نكون فيها ونعمرها لكم بشر ما يخرج منها، وهذا صريح جداً في أنها إنما فتحت عنوة... إلى أن قال رحمه الله فالصواب الذي لا شك فيه: أنها فتحت عنوة، والإمام مخير في أرض العنوة بين قسمتها ووقفها أو قسم بعضها ووقف البعض، وقد فعل رسول الله ﷺ الأنواع الثلاثة: فقسم قريظة والنضير، ولم يقسم مكة، وقسم شطر

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب مرض النبي ﷺ ووفاته برقم (٤٤٢٨) معلقاً، أحمد في المسند (١٨/٦) والدارمي: (٣٣، ٣٢/١).

وقد أخرجه الحاكم في المستدرک: ٢٠٩/٣، عن أم بشر بن البراء بن معرور قريباً من هذا الحديث، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، ومن حديث أبي هريرة عند ابن سعد.

(٢) رواه أبو داود (٢٩٩٤، ٢٩٩٥) الخراج: باب ما جاء في حكم أرض خيبر. وقال الألباني صحيح بما قبله رقم ٢٦٠٥ صحيح أبي داود.

خير وترك شطرها.

وقسم للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهم، وكانوا ألفاً وأربعمائة، وفيهم مائتا فارس، هذا هو الصحيح الذي لا ريب فيه^(١).

كيفية القسمة

* عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «قسم رسول الله ﷺ يوم خيبر للفارس سهمين وللراجل سهمًا، قال: فسرّه نافع فقال: إذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم، فإن لم يكن له فرس فله سهم»^(٢).

* وعن بشير بن أبي حثمة قال: «قسم رسول الله ﷺ خيبر نصفين، نصفًا لنوابه وحاجته، ونصفًا بين المسلمين، قسمها بينهم على ثمانية عشر سهمًا»^(٣).

سهم ذوى القربى

* عن جبير بن مطعم رضي الله عنه: «أنه جاء هو وعثمان بن عفان يكلمان رسول الله ﷺ فيما قسم الخمس بين بنى هاشم وبنى المطلب، فقلت: يا رسول الله قسمت لإخواننا بنى المطلب ولم تعطنا شيئًا، وقرابتنا وقرابتهم منك واحدة، فقال النبي ﷺ: (إنما بنو هاشم وبنو المطلب واحد) قال جبير: ولم يقسم لبنى عبد شمس، ولا لبنى نوفل من ذلك الخمس، كما قسم لبنى هاشم وبنى المطلب، قال: وكان أبو بكر يقسم الخمس نحو قسم رسول الله ﷺ غير أنه لم يكن يعطى قريبي رسول الله ﷺ ما كان النبي ﷺ يعطيهم، قال: وكان عمر بن الخطاب يعطيهم منه، وعثمان بعده»^(٤).

(١) باختصار من زاد المعاد (٣/ ٣٢٨، ٣٢٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٢٨) المغازي - ومسلم (١٧٦٢) الجهاد والسير.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الخراج والفيء... باب ما جاء في حكم خيبر حديث رقم (٣٠١٠) سننه حسن.

(٤) أخرجه البخاري (٤٢٢٩) المغازي - أبو داود (٢٩٧٨) الخراج والإمارة والفيء - واللفظ لأبي داود.

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

أعطاه النبي ﷺ من الغنائم وصدقه الإسهام لهم

* عن عمير مولى أبي اللحم قال: «شهدت خيبر مع سادتي، فكلّموا في رسول الله ﷺ، فأمرني فقلدت سيفاً، فإذا أنا أجراً، فأخبر أني مملوك، فأمر لي بشيء من خرتي المتاع (١)» (٢).

إعطاه النبي ﷺ السلام للنساء من الغنائم والإسهام لهن من الثمار

* عن ثابت بن الحارث الأنصاري قال: «قسم رسول الله ﷺ يوم خيبر لسهلة بنت عاصم بن عدى، ولابنة لها ولدت» (٣).

* وعن زينب بنت أبي معاوية الثقفية «أن النبي ﷺ أعطاهما بخيبر خمسين وسقاً ثراً، وعشرين وسقاً شعيراً بالمدينة» (٤).

قصة أبي هريرة مع أبان بن سعيد بن العاص في قسمة الغنائم

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بعث رسول الله ﷺ أبان على سرية من المدينة قبل نجد، قال أبو هريرة: فقدم أبان وأصحابه على النبي ﷺ بخيبر بعدما افتتحها، وإن حُزِمَ خيلهم لليف، قال أبو هريرة: قلت: يا رسول الله، لا تقسم لهم، قال أبان: وأنت بهذا يا وبر تحذر من رأس ضأن، فقال النبي ﷺ: (يا أبان اجلس فلم يقسم له)» (٥).

(١) خرتي المتاع: أثاث البيت كالقدر ونحوه.

(٢) أخرجه أبو داود في الجهاد باب في المرأة والعبد يحذيان من الغنيمة حديث رقم: ٢٧٣٠، الترمذي في السير باب هل يسهم للعبد: ١٥٥٧، وقال حسن صحيح، ابن ماجه حديث رقم: ٢٨٥٥، ابن حبان: ١٦٦١، الدارمي: ٢٢٦/٢، البيهقي: ٣٣٢/٦، والحاكم: ١٣١/٢، وقال صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه الطبراني برقم: ١٣٦٩، قال الهيثمي في المجمع: ٧/٦: رواه الطبراني، وفيه ابن لهيعة، وفيه ضعف، وحديثه حسن، وقد أخرجه الطبراني في الكبير: برقم: ١٣٦٩، قال: حدثنا علي بن عبد العزيز الحسن بن الربيع الكوفي عن ابن المبارك عن ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد الحضرمي عن ثابت... ورواية العبادلة عن ابن لهيعة صحيحة فسنده الحديث صحيح رجاله ثقات.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير: ٢٨٧/٢٤ - ٢٨٨، رقم: ٧٣٢، قال الهيثمي في المجمع: ٧/٦: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

(٥) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر تعليقاً رقم: ٤٢٣٨، ووصله أبو داود من طريق إسماعيل بن عياش في الجهاد باب فيمن جاء بعد الغنيمة لا سهم له حديث رقم: ٢٧٢٣، ووصلها أبو نعيم في =

* ويدل على كثرة مغنم خيبر ما رواه البخارى^(١) عن ابن عمر قال: ما شبعنا حتى فتحنا خيبر... وما رواه عن عائشة، قالت: لما فتحت خيبر قلنا: الآن نشبع من التمر^(٢). ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة رد المهاجرون إلى الأنصار مئائتهم التي كانوا منحوهم إياها من النخيل، حين صار لهم بخيبر مال ونخيل^(٣).

رد المهاجرين المئائت التي أعطاهم إياها الأنصار

* عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «لما قدم المهاجرون من مكة إلى المدينة، قدموا وليس بأيديهم شيء، وكان الأنصار أهل الأرض والعقار، فقاسمهم الأنصار على أن أعطوهم أنصاف ثمار أموالهم، كل عام، ويكفونهم العمل والمؤونة، وكانت أم أنس بن مالك وهي تدعى أم سليم، وكانت أم عبد الله ابن أبي طلحة، كان أحاً لأنس لأمه، وكانت أعطت أم أنس رسول الله ﷺ عذاقاً^(٤) لها. فأعطاهما رسول الله ﷺ أم أيمن مولاته، أم أسامة بن زيد.

قال ابن شهاب: فأخبرني أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ لما فرغ من قتال أهل خيبر وانصرف إلى المدينة، رد المهاجرون إلى الأنصار مئائتهم^(٥) التي كانوا منحوهم من ثمارهم. قال: فرد رسول الله ﷺ إلى أمى عذاقها. وأعطى رسول الله ﷺ أم أيمن مكانهن من حائطه^(٦).

تأمير أحد الأنصار على خيبر

* عن أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما قالوا: (إن النبي ﷺ بعث أخا بنى عدى من الأنصار إلى خيبر، فأمره عليها^(٧)).

= المستخرج من طريق إسماعيل بن عياش أيضاً، ومن طريق عبد الله بن سالم، كلاهما عن الحميدى كما أشار إلى ذلك الحافظ فى الفتح: ٤٩١/٧.

(١) أخرجه البخارى (٤٢٤٢، ٤٢٤٣).

(٢) صحيح البخارى (٦٠٩/٢).

(٣) زاد المعاد (١٤٨/٢) - صحيح مسلم (٩٦/٢).

(٤) العذاق: جمع عذق وهي النخلة.

(٥) مئائتهم: جمع مئحة والمئحة هي المنحة.

(٦) أخرجه مسلم (١٧٧١) الجهاد والسير - والبخارى (٢٦٣٠) الهبة.

(٧) أخرجه البخارى (٤٢٤٦ - ٤٢٤٧) المغازى.

رفع

عبد الرحمن النجدي
(أسكنه الله الفردوس)

قدوم جعفر بن أبي طالب والأشعرين

وفى هذه الغزوة، قدم عليه ﷺ ابن عمه جعفر بن أبي طالب وأصحابه، ومعهم الأشعريون، عبد الله بن قيس (أبو موسى)، وأصحابه، وكان فيمن قدم معهم أسماء بنت عميس. قال أبو موسى: بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين أنا وأخوان لي، أنا أصغرهما، أحدهما أبو رهم، والآخر أبو بردة، فى بضع وخسين رجلاً من قومي، فركبنا سفينة، فألقنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده، فقال جعفر: إن رسول الله ﷺ بعثنا، وأمرنا بالإقامة، فأقيموا معنا، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً، فوافقنا رسول الله ﷺ حين افتتح خيبر، فأسهم لنا، وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر شيئاً إلا لمن شهد معه، إلا لأصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه، قسم لهم معهم، وكان ناس يقولون لنا: سبقناكم بالهجرة، قال: ودخلت أسماء بنت عميس على حفصة، فدخل عليها عمر، فقال: من هذه؟ قالت: أسماء. فقال عمر: سبقناكم بالهجرة، نحن أحق برسول الله ﷺ منكم، فغضبت، وقالت: يا عمر! كلا والله، لقد كنتم مع رسول الله ﷺ، يطعم جائعكم، ويعظم جاهلكم، وكنا فى أرض البعداء البغضاء، وذلك فى الله، وفى رسوله، وإيم الله، لا أطمع طعاماً، ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ، ونحن كنا نؤذى ونخاف، وسأذكر ذلك لرسول الله ﷺ، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد على ذلك فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا رسول الله إن عمر قال كذا وكذا. فقال رسول الله ﷺ: ما قلت له؟ قالت: قلت له: كذا وكذا. فقال: «ليس بأحق بى منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان»، وكان أبو موسى وأصحاب السفينة يأتون أسماء أرسالاً يسألونها عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم فى أنفسهم مما قال لهم رسول الله ﷺ» (١).

ولما قدم جعفر على النبي ﷺ، تلقاه وقبل جبهته، وقال: «والله ما أدري بأيهما أفرح، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟» (٢).

(١) أخرجه البخارى (٣٧١/٧) والمغازى - وسلم (٢٥٠٢) و (٢٥٠٣) فضائل الصحابة.

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرک (٢١١/٤) عن الشعبى مرسلًا وقال الحاكم صحيح ووافقه الذهبى ووصله =

قصة الحجاج بن علاط مع أهل مكة

✽ عن أنس بن مالك رضى الله عنه: قال: «لما افتتح رسول الله ﷺ خير قال الحجاج ابن علاط: يا رسول الله! إن لى بمكة مالا، وإن لى بها أهلا، وإنى أريد أن آتيهم، فأنا فى حل إن أنا نلت منك؟ وقلت شيئا؟ فأذن له رسول الله ﷺ أن يقول ما شاء، فأتى امرأته حين قدم، فقال: اجمعى لى ما كان عندك، فإنى أريد أن أشتري من غنائم محمد وأصحابه، فإنهم قد استبيحوا، أو أصيب أموالهم، قال: ففشا ذلك فى مكة فانقمع المسلمون، وأظهر المشركون فرحا وسرورا، قال: وبلغ الخبر العباس (رضى الله عنه) فعقر، وجعل لا يستطيع أن يقوم.

قال معمر: فأخبرنى عثمان الجزرى عن مقسم قال: فأخذ ابنا له يشبه رسول الله ﷺ يقال له قثم، فاستلقى فوضعه على صدره وهو يقول:

حبى قثم، حبى قثم شبيه ذى الأنف الأشم
نبي رب ذى النعم برغم أنف من رغم

قال ثابت عن أنس: ثم أرسل غلاما له إلى الحجاج: ويلك ما جئت به؟ وماذا تقول؟ فما وعد الله خير مما جئت به، قال: فقال الحجاج بن علاط لغلامه: اقرأ على أبى الفضل السلام، وقل له: فليخل لى فى بعض بيوته لآتيه، فإن الخبر على ما يسره، فجاءه غلامه، فلما بلغ باب الدار قال: أبشر يا أبا الفضل، قال: فوثب العباس فرحا، حتى قبل بين عينيه، فأخبره بما قال الحجاج، فأعتقه. قال: ثم جاء الحجاج فأخبره أن رسول الله ﷺ قد افتتح خير، وغنم أموالهم، وجرت سهام الله فى أموالهم، واصطفى رسول الله ﷺ صفية بنت حى، فأخذها لنفسه وخيرها أن يعتقها، وتكون زوجته، أو تلحق بأهلها، فاختارت أن يعتقها، وتكون زوجته، ولكنى جئت لما كان لى ههنا أردت أن أجمعه، فاذهب به، فاستأذنت رسول الله ﷺ، فأذن لى أن أقول ما شئت، فأخف عني ثلاثا ثم اذكر ما بدا لك، قال: فجمعت امرأته ما كان عندها من حلى ومتاع فجمعه، فدفعته إليه

= الحاكم من طريق آخر (٢٠٨/٣) وسكت عليه وتعقبه الذهبي بقوله منقطعاً وفيه الواقدي.
وأخرج البيهقي فى السنن (١٠١/٧) عن الشعبي مرسلأ فله شاهد من حديث أبى جحفة أخرجه الطبرانى فى المعجم الصغير (ص: ٨) وسنده ضعيف. وله طريق آخر فى المعجم الكبير كما ذكر الهيثمى فى المجمع (٢٧٢/٩) وقال: رواه الطبرانى مرسلأ ورجاله رجال الصحيح وقال الألبانى: وبالجملة فالحديث قوى بهذه الطرق وقد صححه الحاكم.

رفع
عن (الرحمى) المحمدي
(السكنى) البزورى

ثم انشمر به.

فلما كان بعد ثلاث أتى العباس امرأة الحجاج، فقال: ما فعل زوجك؟ فأخبرته أنه ذهب يوم كذا وكذا، وقالت: لا يخزيك الله يا أبا الفضل، لقد شق علينا الذي بلغك، قال: أجل، لا يخزيني الله، ولم يكن بحمد الله إلا ما أحببنا، فتح الله خير على رسول الله ﷺ، وجرت فيها سهام الله، واصطفى رسول الله ﷺ صفية بنت حبي لنفسه، فإن كانت لك حاجة في زوجك فالحق به، قالت: أظنك والله صادقاً، قال: فإني صادق، الأمر على ما أخبرتك.

فقال: ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش، وهم يقولون إذا مر بهم: لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل، قال لهم: لم يصبنى إلا خير بحمد الله، قد أخبرني الحجاج بن علاط أن خير قد فتحها الله على رسوله ﷺ، وجرت فيها سهام الله، واصطفى صفية لنفسه، وقد سألتني أن أخفي عليه ثلاثاً، وإنما جاء ليأخذ ماله، وما كان له من شيء ها هنا، ثم يذهب. قال: فرد الله الكأبة التي كانت بالمسلمين على المشركين، وخرج المسلمون ومن كان دخل بيته مكتئباً حتى أتوا العباس، فأخبرهم الخبر وسر المسلمون، ورد الله - تبارك وتعالى - ما كان من كأبة أو غيظ أو حزن على المشركين»^(١).

الأحكام الفقهية المستفادة من غزوة خيبر

• قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

«فصل فيما كان في غزوة خيبر من الأحكام الفقهية»:

- فمنها محاربة الكفار ومقاتلتهم في الأشهر الحرم ولا خلاف في جواز القتال في الشهر الحرام إذا بدأ العدو، وإنما الخلاف أن يقاتل فيه ابتداءً، فالجمهور جوزه وقالوا: تحريم القتال فيه منسوخ، وهو مذهب الأئمة الأربعة رحمهم الله.
- ومنها قسمة الغنائم للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهم.
- ومنها أنه يجوز لأحد الجيش إذا وجد طعاماً أن يأكله ولا يخمسه كما أخذ عبد الله

(١) أخرجه أحمد (١٣٨/٣: ١٣٩) بسند صحيح.

وقال الهيثمي في المجمع: ١٥٤/٦ - ١٥٥، رواه أحمد، وأبو يعلى، والبزار، والطبراني، ورجاله رجال الصحيح وقال ابن كثير في البداية: ٢٣/٤، عن سند أحمد: وهذا الإسناد على شرط الشيخين.

ابن المغفل جراب الشحم الذي دُلِّيَ يوم خيبر، واختص به بمحضر النبي ﷺ (١).

- ومنها: أنه إذا لحق بالجيش مدد بعد تقضى الحرب فلا سهم لهم إلا بإذن الجيش ورضاهم فإن النبي ﷺ كلم أصحابه في أهل السفينة حين قدموا عليه بخيبر - جعفر وأصحابه - أن يسهم لهم، فأسهم لهم.

- ومنها جواز المساقاة والمزارعة بجزء مما يخرج من الأرض من ثمر أو زرع، كما عامل رسول الله ﷺ أهل خيبر على ذلك وهو من باب المشاركة وهو نظير المضاربة سواء.

- ومنها أنه دفع إليهم الأرض على أن يعملوها من أموالهم ولم يدفع إليهم البذر، ولا كان يحمل إليهم البذر من المدينة قطعاً، فدل على أن هديه عدم اشتراط كون البذر من رب الأرض.

- ومنها: أن أهل الذمة إذا خالفوا شيئاً مما شرط عليهم لم يبق لهم ذمة وحلَّت دماؤهم وأموالهم، لأن رسول الله ﷺ عقد لهؤلاء الهدنة وشرط عليهم أن لا يُغيَّبوا ولا يكتُموا فإذا فعلوا حلت دماؤهم وأموالهم، فلما لم يفوا بالشرط استباح دماءهم وأموالهم.

- ومنها أن ما لا يؤكل لحمه لا يظهر بالذكاة لا جلده ولا لحمه، وأن ذبيحته بمنزلة موته وأن الزكاة إنما تعمل في مأكول اللحم.

- ومنها أن من أخذ من الغنيمة شيئاً قبل قسمته لم يملكه وإن كان دون حقه، وأنه إنما يملكه بالقسمة، ولهذا قال في صاحب الشملة التي غلبها: «إنها تشتعل عليه ناراً» وقال لصاحب الشراك الذي غلبه «شراك من نار» (٢).

- ومنها أن الإمام مخير في أرض العنوة بين قسمتها وتركها وقسم بعضها وترك بعضها.

- ومنها جواز إجلاء أهل الذمة من دار الإسلام إذا استغنى عنهم، كما قال النبي ﷺ: «نقركم ما أقركم الله» وأجلاهم عمر بعد موته ﷺ وهو قول قوى يسوغ العمل به إذا رأى الإمام فيه المصلحة.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

(١) أخرجه البخاري (٥٤٩/٧) المغازي.

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٨/٧) المغازي - ومسلم (٢٩/٢) الإيمان.

- ومنها جواز عتق الرجل أمته وجعل عتقها صداقا لها ويجعلها زوجته بغير إذنها، ولا شهود، ولا ولي غيره ولا لفظ إنكاح ولا تزويج كما فعل ﷺ بصفية ولم يقل قط هذا خاص بى ولا أشار إلى ذلك والقياس الصحيح يقتضى جواز ذلك فإنه يملك رقبته ومنفعة وطئها وخدمتها فله أن يسقط حقه من ملك الرقبة ويستبقى ملك المنفعة أو نوعاً منها.

- ومنها قبول هدية الكافر^(١).

• وقال الجزائري حفظه الله تحت عنوان نتائج وعبر:

أ- جواز الحداء والأناشيد الحسنة الخالية من السوء والبذاء.

ب- بيان آية النبوة المحمدية فى نعى عامر بن الأكوع قبل استشهاده ودخوله المعركة.

ج- بيان فضل على بن أبى طالب وما فاز به من حب الله ورسوله.

د- بيان صدق وعد الله تعالى فى غنائم خيبر إذ وعد المؤمنين بها فأنجزها لهم وله الحمد والمنة^(٢).

• وقال محمد سعيد رمضان،

ثم إن فى هذه الغزوة حادثتين كل منهما ثابت بالحديث الصحيح تعدان من الخوارق العظيمة التى أيد الله بها محمداً ﷺ.

أولاهما - أنه ﷺ نفل فى عين على رضى الله عنه وقد كان يشتكى منها فبرأت فى الوقت نفسه حتى كأن لم يكن به وجع.

الثانية - ما أوحى الله إليه من أمر الشاة المسمومة عندما أراد الأكل منها ولأمر ما سبق قضاء الله تعالى فابتلع بشر بن البراء لقمته قبل أن ينطق رسول الله ﷺ بأنها مسمومة فكان قضاؤه فى ذلك، ولعل فى ذلك مزيداً من بيان ما اختص الله تعالى به نبيه عليه الصلاة والسلام من الحفظ والعصمة من أيدي الناس وكيدهم تنفيذاً لوعده جل جلاله:

﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] (٣). (٤)

(١) زاد المعاد (٣/ ٣٣٩ - ٣٥٤) باختصار.

(٢) هذا الحبيب يا محب (٣٦٤، ٣٦٥).

(٣) فقه السيرة للبوطي (٢٦٢ - ٢٦٣).

(٤) نقلاً من وفتات تربوية.

رفع

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

فتح فدك

ولما بلغ رسول الله ﷺ إلى خير، بعث محبصة بن مسعود إلى يهود فدك، ليدعوهم إلى الإسلام فأبطاءوا عليه، فلما فتح الله خير قذف الرعب في قلوبهم، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصالحونه على النصف من فدك، بمثل ما صالح عليه أهل خير، فقبل ذلك منهم فكانت فدك لرسول الله ﷺ خالصة، لأنه لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب^(١).

مسير النبي ﷺ إلى وادي القرى

ثم انصرف رسول الله ﷺ من خير إلى وادي القرى، وكان بها جماعة من اليهود، وقد انضاف إليهم جماعة من العرب، فلما نزلوا استقبلهم يهود بالرمى. وهم على غير تعبئة، فقتل مدغم عبد رسول الله ﷺ، فقال الناس: هنيئاً له الجنة، فقال النبي ﷺ: «كلاً والذي نفسي بيده، إن الشملة التي أخذها يوم خير من المغانم، لم تُصِبْها المقاسم لستعل عليه ناراً»، فلما سمع بذلك الناس، جاء رجل إلى النبي ﷺ بشراك أو شراكين، فقال النبي ﷺ: «شراك من نار أو شراك من نار»^(٢).

فعباً رسول الله ﷺ أصحابه للقتال، وصفهم، ودفع لواءه إلى سعد بن عباد، وراية إلى الحباب بن المنذر، وراية إلى سهل بن حنيف، وراية إلى عباد بن بشر، ثم دعاهم إلى الإسلام، وأخبرهم أنهم إن أسلموا، أحرزوا أموالهم، وحقنوا دماءهم وحسابهم على الله، فبرز رجل منهم، فبرز إليه الزبير بن العوام، فقتله، ثم برز آخر، فقتله، ثم برز آخر، فبرز إليه على بن أبي طالب رضي الله عنه فقتله، حتى قتل منهم أحد عشر رجلاً، كلما قتل منهم رجل، دعا من بقى إلى الإسلام وإلى الله ورسوله، فقاتلهم حتى أمسوا، وغدا عليهم، فلم ترتفع الشمس قيد رمح حتى أعطوا ما بأيديهم، وفتحها عنوة، وغنم الله

(١) ابن هشام (٢/٣٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (١١/٥١٣:٥١٤) الأيمان والنذور - ومسلم (١١٥) الإيمان - ومالك (٢/٤٥٩).
الجهاد.

رفع

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

أموالهم، وأصابوا أثاثًا ومتاعًا كثيرًا، وأقام رسول الله ﷺ بوادى القرى أربعة أيام، وقسم ما أصاب على أصحابه بوادى القرى، وترك الأرض والنخل بأيدي اليهود، وعاملهم عليها^(١).

استسلام يهود تيماء

ولما بلغ يهود تيماء خبر استسلام أهل خيبر، ثم فذك ووادى القرى، لم يُبدوا أى مقاومة ضد المسلمين، بل بعثوا من تلقاء أنفسهم يعرضون الصلح، فقبل ذلك منهم رسول الله ﷺ وأقاموا بأموالهم، وكتب لهم بذلك كتابًا، وهاك نصه: هذا كتاب محمد رسول الله لبنى عادياً: إن لهم الذمة، وعليهم الجزية ولا عداء ولا جلاء، الليل مد، والنهار شد. وكتب خالد بن سعيد^(٢).

وأقيم الصلاة للذكرى

* عن أبى هريرة رضى الله عنه: «أن رسول الله ﷺ، حين قفل من غزوة خيبر، سار ليلة، حتى إذا أدركه الكرى عرس، وقال لبلال: (اكلاً لنا الليل) فصلى بلال ما قدر له: ونام رسول الله ﷺ وأصحابه. فلما تقارب الفجر استند بلال إلى راحلته مواجه الفجر، فغلبته عيناه، وهو مستند إلى راحلته، فلم يستيقظ رسول الله ﷺ، ولا بلال، ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس.

فكان رسول الله ﷺ أولهم استيقاظًا، ففزع رسول الله ﷺ، فقال: (أى بلال ؟) فقال بلال: أخذ بنفسى الذى - بأبى أنت وأمى يا رسول الله - أخذ بنفسك. قال: (اقتادوا) فاقتادوا رواحلهم شيئًا، ثم توضأ رسول الله ﷺ، وأمر بلالاً فأقام الصلاة، فصلى بهم الصبح، فلما قضى الصلاة قال: (من نسى الصلاة فليصلها إذا ذكرها، فإن الله قال:

«وأقيم الصلاة للذكرى» [طه: ١٤] (٣).

* وقد روى أن هذه القصة كانت فى مرجعهم من الحُدَيْبِيَّة، ورُوى أنها كانت فى مرجعهم من غزوة تبوك^(٤).

(١) زاد المعاد (٣/ ٣٥٤: ٣٥٥).

(٢) زاد المعاد (٢/ ١٤٧).

(٣) أخرجه مسلم (٦٨٠) - والترمذى (٣١٦٣).

(٤) زاد المعاد (٣/ ٢٥٦).

السرايا التي كانت بعد خيبر

وبعد عودة النبي ﷺ من خيبر أقام في المدينة إلى شهر شوال وبعث من خلال ذلك السرايا وكان منها:

سرية أبي بكر الصديق إلى بنى فزارة

من حديث سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال: (غزونا فزارة، وعلينا أبو بكر، أمره رسول الله ﷺ علينا. فلما كان بيننا وبين الماء ساعة، أمرنا أبو بكر فعرسنا^(١) ثم شن الغارة، فورد الماء، فقتل من قُتل عليه، وسُبي، وأنظر إلى عنق من الناس^(٢)، فيهم الذراري^(٣) فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل، فرميت سهم بينهم وبين الجبل. فلما رأوا السهم وقفوا، فجئت بهم أسوقهم، وفيهم امرأة من بنى فزارة عليها قشع من آدم^(٤). معها ابنة من أحسن العرب، فسقتهم حتى أتيت بهم أبا بكر. ففضلني أبو بكر ابتها، فقدمنا المدينة، وما كشفت لها ثوباً. فلقيني رسول الله ﷺ في السوق. فقال: (يا سلمة! هب لى المرأة) فقلت: «يا رسول الله! والله لقد أعجبتنى، وما كشفت لها ثوباً»^(٥)، ثم لقيني رسول الله ﷺ من الغد فى السوق، فقال لى: (يا سلمة! هب لى المرأة. لله أبوك!) فقلت: هى لك يا رسول الله فوالله ما كشفت لها ثوباً. فبعث بها رسول الله ﷺ إلى أهل مكة، ففدى بها ناساً من المسلمين كانوا أسروا بمكة»^(٦).

(١) التعريس: نزول آخر الليل.

(٢) عنق من الناس: جماعة.

(٣) الذراري: النساء والصبيان.

(٤) قشع من آدم: نطع.

(٥) وما كشفت لها ثوباً: كناية عن الجماع.

(٦) أخرجه مسلم (١٧٥٥) الجهاد والسير.

رَفَعُ

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى الحرقات

وذاث يوم تلقى أسامة من رسول الله ﷺ درس حياته.. درساً بليغاً، عاشه أسامه، وعاشته حياته كلها منذ غادرهم الرسول إلى الرفيق الأعلى - إلى أن لقي أسامة ربه في أواخر خلافة معاوية.

قبل وفاة الرسول بعامين بعثه عليه السلام أميراً على سرية خرجت للمقاء بعض المشركين الذين يناوئون الإسلام والمسلمين.
وكانت تلك أول إمارة يتولاها «أسامة»..

ولقد أحرز في مهمته النجاح والفوز، وسبقته أنباء فوزه إلى رسول الله ﷺ ففرح بها وسراً^(١).

* عن أسامة بن زيد بن حارثة (رضي الله عنهما) قال: «بعثنا رسول الله ﷺ في سرية. فصباحنا الحرقات^(٢) من جهينة، فأدركت رجلاً، فقال: لا إله إلا الله، فطعنته فوقه في نفسى من ذلك، فذكرته للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: (أقال لا إله إلا الله وقتلته؟) قال: قلت: يا رسول الله! إنما قالها خوفاً من السلاح. قال (أفلا كشفت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا) فما زال يكررها حتى تمنيت أنى أسلمت يومئذ.

قال: فقال سعد - يعني سعد بن أبي وقاص -: «وأنا والله لا أقتل مسلماً حتى يقتله ذو البطين يعني أسامه قال: رجل: ألم يقل الله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]. فقال سعد: قد قاتلنا حتى لا تكون فتنة، وأنت وأصحابك تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة»^(٣).

* وفي رواية أخرى: وصف أسامة - رضي الله عنه - كيف قتل هذا الرجل وكان مع أسامة رجل من الأنصار.

قال أسامة - رضي الله عنه -: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة قال: فصباحنا

(١) رجال حول الرسول ﷺ (ص ٦٥٧).

(٢) فصباحنا الحرقات: أتيانهم صباحاً، الحرقات موضع ببلاد جهينة.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات: ٤٢٦٩، وانظر: (٦٨٧٢)، ومسلم في الإيمان باب تحريم قتل الكافر إذا قال لا إله إلا الله رقم (٩٦).

القوم فهزمناهم، قال: ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم. قال: فلما غشيناها قال: لا إله إلا الله، قال: فكف عنه الأنصارى فطعنته برمحى حتى قتلتها. قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبي ﷺ قال: فقال لى: يا أسامة، أقتلتها بعدما قال لا إله إلا الله؟ قال: قلت: يا رسول الله، إنه إنما كان متعوذاً، قال: قتلتها بعدما قال لا إله إلا الله؟ قال: فما زال يكررها على حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم»^(١).

وفى رواية قال: فوالذى بعثه بالحق ما زال يردد على حتى لوددت أن ما مضى من إسلامى لم يكن، وأنى كنت أسلمت يومئذ، وأنى لم أقتله؛ قال: قلت: أنظرنى يا رسول الله، أعاهد الله أن لا أقتل رجلاً يقول لا إله إلا الله أبداً، قال: «تقول بعدى يا أسامة»، قال: قلت بعدك^(٢).

وإذا بهذا الدرس العظيم ينتفع به أسامة - رضى الله عنه -.

فإنه لما حدثت الفتنة بين (على) و(معاوية) - رضى الله عنهما - اعتزل أسامة تلك الفتنة وقال: «لا أقاتل أحداً يقول: لا إله إلا الله»^(٣).

سريّة غالب بن عبد الله الليثى لبنى ملوح بالكديد

عن جندب بن مكيث الجهنى: قال: «بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الكلبى كلب ليث، إلى بنى ملوح بالكديد»^(٤)، وأمره أن يغير عليهم، فخرج فكنّ في سريته، فمضينا حتى إذا كنا بقديد^(٥) لقينا بها الحارث بن مالك، وهو ابن البرصاء الليثى، فأخذناه فقال: إنما جئت لأسلم، فقال غالب بن عبد الله: إن كنت إنما جئت مسلماً، فلن يضرّك رباط يوم وليلة، وإن كنت غير ذلك استوثقنا منك. قال فأوثقه رباطاً، ثم خلف عليه رجلاً أسود كان معنا، فقال امكث معه حتى نمر عليك، فإن نازعك، فاحترز رأسه، قال: ثم مضينا حتى أتينا بطن الكديد، فنزلنا عشيبة بعد العصر، فبعثنى أصحابى في ربيعة^(٦)، فعمدت إلى تل يطل على الحاضر، فانبطحت عليه وذلك المغرب، فخرج

(١) أخرجه البخارى (٦٨٧٢/١٢)، ومسلم (١٥٩/٩٧/١) واللفظ للبخارى.

(٢) ذكره الطبرى في تاريخه (١٤٢/٢) وأصله في البخارى (٦٨٧٢/١٢).

(٣) أصحاب الرسول / للمصنف (٤٢/٢ - ٤٣).

(٤) بنى ملوح بالكديد: ماء بين الحرمين الشريفين.

(٥) قديد: موضع بين مكة والمدينة.

(٦) ربيعة: العين والطلبة.

رَفَعُ

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

رجل منهم، فنظر فرأى منبطحاً على التل، فقال لامرأته: والله إنى لأرى على التل سواداً ما رأيته أول النهار، فانظري لا تكون الكلاب اجترت بعض أوعيتك.

قال: فنظرت، فقالت: لا والله ما أفقد شيئاً، قال: فناوليني قوسى وسهمين من كنانتي، قال: فناولته فرماني بسهم فوضعه فى جنبى، قال: فنزعته فوضعت، ولم أتحرك، ثم رماني بآخر فوضعه فى رأس منكبي، فنزعته، ووضعت، ولم أتحرك، فقال لامرأته: والله لقد خالطه سهامى، ولو كان دابة لتحرك، فإذا أصبحت، فابتغى سهمى فخذيهما لا تضغهما على الكلاب.

قال: وأمهلناهم حتى راحت راثحتهم حتى إذا احتلبوا^(١)، وعطنوا، أو سكنوا^(٢)، وذهبت عتمة من الليل^(٣) شنتا عليهم الغارة^(٤)، فقتلنا من قتلنا منهم، واستقنا النعم فوجهننا قافلين^(٥) وخرج صريخ القوم إلى قومهم مغوثاً^(٦)، وخرجنا سراعاً حتى نمر بالحارث بن البرصاء وصاحبه فانطلقنا به معنا، وأتانا صريخ الناس، فجاءنا ما لا قبل لنا به، حتى إذا لم يكن بيننا وبينهم إلا بطن الوادى أقبل سيلٌ حال بيننا وبينهم بعثه الله تعالى من حيث شاء، ما رأينا قبل ذلك مطراً ولا حالاً، فجاء بما لا يقدر أحد أن يقوم عليه، فلقد رأيناهم وقوفاً ينظرون إلينا ما يقدر أحد منهم أن يتقدم، ونحن نحوزها^(٧) سراعاً، حتى أسندناها فى المشلل^(٨) ثم حددناها عنا فأعجزنا القوم بما فى أيدينا^(٩).

✽ قال الإمام ابن القيم: وقد قيل: إن هذه السرية هى السرية التى قبلها. والله أعلم^(١٠).

(١) احتلبوا: حلبوا ماشيتهم.

(٢) سكنوا: قاموا.

(٣) عتمة من الليل: ذهب مدة من ظلمة الليل.

(٤) شنتا عليهم الغارة: فرقنا عليهم الجيوش فى كل الجهات.

(٥) قافلين: راجعين.

(٦) مغوثاً: طالباً الإغاثة والإعانة.

(٧) نحوزها: نسوق ما غنمناه، وملكتناه من النعم.

(٨) المشلل: جبل يهبط منه إلى قديد.

(٩) أخرجه أحمد (٤٦٧/٣ - ٤٦٨)، ورواه أبو داود برقم (٢٦٧٨)، مختصراً إلى قوله فوثقناه رباطاً ورجاله ثقات خلا مسلم بن عبد الله الجهنى فإنه لم يوثقه غير ابن حبان. وقال الهيثمى فى المجمع (٢٠٢/٦ - ٢٠٣)، رواه الطبرانى، وأحمد، ورجاله ثقات، فقد صرح ابن إسحاق بالسماع من رواية الطبرانى.

(١٠) زاد المعاد (٣/٣٦٣).

رَفَعُ

عبد الرحمن النخعي
(أسكنه الله الفردوس)

بعث سرية إلى (إضم).. وقصة محلم بن جثامة

* عن عبد الله بن أبي حذرر رضى الله عنه قال: «بعثنا رسول الله ﷺ إلى إضم، فخرجت في نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة الحرث بن ربيع، ومحلم بن جثامة بن قيس، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعي على قعود له^(١) مع متيع^(٢) له ووطب^(٣) من لبن، فسلم علينا بتحية الإسلام فأمسكنا عنه، وحمل عليه محلم بن جثامة، فقتله لشيء كان بينه وبينه، وأخذ بعيه ومناعه، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه الخبر، فنزل فينا القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤]»^(٤).

سرية عبد الله بن حذافة السهمي (رضي الله عنه)

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] قال نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس ابن عدى إذ بعثه النبي ﷺ في سرية^(٥).

وعن علي رضى الله عنه، قال: استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأنصار على سرية، بعثهم وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا. قال: فأغضبوه في شيء، فقال: اجمعوا لي حطباً، فجمعوا، فقال: أوقدوا ناراً، فأوقدوا، ثم قال: ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لي

(١) مقود: البعير المتخذ للركوب.

(٢) متيع: تصغير متاع.

(٣) ووطب: وعاء اللبن.

(٤) أخرجه أحمد في المسند (١١/٦)، ورجاله ثقات، وابن هشام في السيرة (٢/٦٢٧)، وأورده السيوطي في

الدر المنثور (٢/١٩٩ - ٢٠٠)، وزاد نسبه إلى ابن سعد، وابن أبي شبة، وابن جرير، والطبراني، وابن

المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو نعيم، والبيهقي في الدلائل (٤/٣٠٥)، وقال الهيثمي في التلخيص (٨/٧)،

رواه أحمد، والطبراني ورجاله ثقات.

(٥) أخرجه البخاري في التفسير تفسير سورة النساء باب أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم

حديث رقم (٤٥٨٤)، مسلم في الإمامة باب وجوب طاعة الأمراء حديث رقم (١٨٣٤).

رفع

عبد الرحمن الفيضاني
أسكنه الله الفردوس

وتطيعوا؟ قالوا: بلى، قال: فادخلوها، قال: فنظر بعضهم إلى بعض. وقالوا: إنما فررنا إلى رسول الله ﷺ من النار، فسكن غضبه. وطُفئت النار، فما قدموا على رسول الله ﷺ ذكروا ذلك له، فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها، إنما الطاعة في المعروف»^(١).^(٢)

وهذا هو عبد الله بن حذافة كما صرح بذلك في هذه الرواية:

* عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: «إن رسول الله ﷺ بعث علقمة بن مجزز على بعث، وأنا فيهم. فلما انتهى إلى رأس غزاته، أو كان ببعض الطريق استأذن منه طائفة من الجيش، فأذن لهم، وأمر عليهم عبد الله بن حذافة بن قيس السهمي، فكنت فيمن غزا معه، فلما كان بعض الطريق، أوقد ناراً ليصطلوا، أو ليصنعوا عليها صنيعاً، فقال عبد الله «وكانت فيه دعاية» أليس لى عليكم السمع والطاعة؟ قالوا: بلى. قال فما أنا بأمركم بشيء إلا صنعتموه؟

قالوا: نعم. قال: فإننى أعزم عليكم إلا تواتبتم في هذه النار. فقام ناس فتحجزوا. فلما ظن أنهم واثبون، قال: أمسكوا على أنفسكم، فإنما كنت أُمزح معكم. فلما قدمنا ذكرنا ذلك للنبي ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: (من أَمركم منهم بمعصية الله، فلا تطيعوه)^(٣).

(١) أخرجه البخارى (١٩١/٨) تفسير سورة النساء، ومسلم (١٨٣٤) الإمامة.

(٢) قال الإمام ابن القيم: فإن قيل: فلو دخلوها دخلوها طاعة لله ورسوله في ظنهم، فكانوا متأولين مخطئين، فكيف يُخلدون فيها؟ قيل: لما كان إلقاء نفوسهم في النار معصيةً يكونون بها قاتلى أنفسهم، فهموا بالمبادرة إليها من غير اجتهاد منهم: هل هو طاعة وقرية، أو معصية؟ كانوا مقدمين على ما هو محرم عليهم، ولا تسوغ طاعة ولى الأمر فيه، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فكانت طاعة من أمرهم بدخول النار معصية لله ورسوله، فكانت هذه الطاعة هى سبب العقوبة، لأنها نفس المعصية، فلو دخلوها، لكانوا عصاةً لله ورسوله، وإن كانوا مطيعين لولى الأمر، فلم تدفع طاعتهم لولى الأمر معصيتهم لله ورسوله، لأنهم قد علموا أن من قتل نفسه، فهو مستحقٌ للعقوبة، والله قد نهاهم عن قتل أنفسهم، فليس لهم أن يقدموا على هذا النهى طاعة لمن لا تجب طاعته إلا فى المعروف. فإذا كان هذا حكم من عذب نفسه طاعة لولى الأمر، فكيف من عذب مسلماً لا يجوز تعذيبه طاعة لولى الأمر [زاد المعاد (٣/٣٦٩)].

(٣) أخرجه ابن ماجه فى الجهاد باب لا طاعة فى معصية الله حديث رقم (٢٨٦٣)، وابن حبان، برقم (١٥٥٢) موارد، وأحمد فى المسند (٦٧/٣)، والحاكم فى المستدرک (٦٣٠/٣ - ٦٣١) وأبو يعلى برقم (١٣٤٩)، وقال البوصيرى فى الزوائد: (٤٢٣/٢)، إسناده صحيح ونقل الحافظ فى الفتح: (٥٨/٨) تصحيحه عن ابن خزيمة وصححه الحاكم ووافقه الذهبى.

غزوة ذات الرقاع

ولما فرغ رسول الله ﷺ من كسر جناحين قوين من أجنحة الأحزاب الثلاثة؛ تفرغ تماماً للالتفات إلى الجناح الثالث، أى: إلى الأعراب القساة الضاربين فى فيافى نجد، والذين ما زالوا يقومون بأعمال النهب والسلب بين آونة وأخرى.

ولما كان هؤلاء البدو لا تجمعهم بلدة أو مدينة، ولم يكونوا يقطنون الحصون والقلاع، كانت الصعوبة فى فرض السيطرة عليهم وإخماد نار شرهم تماماً تزداد بكثير عما كانت بالنسبة إلى أهل مكة وخيبر، ولذلك لم تكن تجدى فيهم إلا حملات التأديب والإرهاب، وقام المسلمون بمثل هذه الحملات مرة بعد أخرى.

ولفرض الشوكة - أو لاجتماع البدو الذين كانوا يتحشدون للإغارة على أطراف المدينة - قام رسول الله ﷺ بحملة تأديبية عُرِفَتْ بغزوة ذات الرقاع وهى غزوة محارب خصفة من بنى ثعلبة من غطفان. وهى التى صلى النبى فيها صلاة الخوف وكانت تسمى أيضاً (غزوة نجد).

وملخص ما ذكره أهل السير حول هذه الغزوة: أن النبى ﷺ سمع باجتماع أنمار أو بنى ثعلبة وبنى محارب من غطفان، فأسرع بالخروج إليهم فى أربعمئة أو سبعمئة من أصحابه، واستعمل على المدينة أبا ذر أو عثمان بن عفان، وسار فتوغل فى بلادهم حتى وصل إلى موضع يقال له نخل، على بعد يومين من المدينة، ولقى جمعاً من غطفان فتوافقوا ولم يكن بينهم قتال، إلا أنه صلى بهم يومئذ صلاة الخوف^(١).

متى كانت تلك الغزوة

قال الإمام البخارى: إن غزوة ذات الرقاع كانت بعد غزوة خيبر^(٢)، وأيده فى ذلك ابن كثير فى سيرته^(٣)، وابن حجر فى الفتح^(٤)، وابن القيم فى زاد المعاد^(٥).

(١) الرحيق المختوم (ص ٤٠٩ - ٤١٠) بتصرف.

(٢) أخرجه البخارى فى المغازى باب غزوة ذات الرقاع، وهى غزوة محارب خصفة من بنى ثعلبة من غطفان، ونزل نخلًا وهى بعد خيبر، لأن أبا موسى جاء بعد خيبر... فتح (٤١٦/٧).

(٣) السيرة النبوية ابن كثير: (١٦١/٣).

(٤) ابن حجر فى الفتح: (٤١٨/٧).

(٥) زاد المعاد: (٢٥٣/٣).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

إلا أن محمد بن إسحاق وجماعة من أهل السير والمغازي قالوا: إنها كانت في جمادى الأولى بعد غزوة بنى النضير بشهرين، وذلك في السنة الرابعة للهجرة^(١).

قلت: وما في الصحيح أصح، وأولى بالتقديم، وله من أحاديث الصحابة رضوان الله عليهم ما يسند ويقويه، من قول أبي هريرة: «صليت مع النبي ﷺ في غزوة نجد صلاة الخوف»، وإنما جاء أبو هريرة إلى النبي ﷺ أيام خيبر^(٢).

ويؤيده أيضاً ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «غزوت مع رسول الله ﷺ قبل نجد، فذكر صلاة الخوف»^(٣)، وإنما كانت إجازة النبي ﷺ لابن عمر بالقتال عام الخندق.

ويؤيده أيضاً ما جاء من حديث أبي موسى الأشعري السابق في سبب تسمية هذه الغزوة بهذا الاسم، وإخباره بأنه حضرها، وإنما جاء أبو موسى الأشعري مع جعفر بعد غزوة خيبر.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «خرجنا مع النبي ﷺ في غزاة، ونحن في تسعة نفر بيننا يعير نعتقه، فنقبت أقدامنا، ونقبت قدمائنا، وسقطت أظفاري، فكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا وحدث أبو موسى بهذا الحديث ثم كره ذلك قال: ما كنت أصنع بأن أذكره، كأنه كره أن يكون شيء من عمله أفشاه»^(٤).

جئتمكم من عند خير الناس

وكان هناك محاولة لاغتيال النبي ﷺ ولكن الله (عز وجل) دائماً يحوطه بحفظه وعنايته.

عن جابر رضي الله عنه قال: «أقبلنا مع رسول الله ﷺ، حتى إذا كنا بذات الرقاع قال: كنا إذا أتينا على شجرة ظليلة، تركناها لرسول الله ﷺ، قال: فجاء رجل من المشركين، وسيف رسول الله ﷺ معلق بشجرة، فأخذ سيف نبي الله ﷺ فاخترطه، فقال

(١) ابن هشام في السيرة: (١٥٧/٣).

(٢) أخرجه أحمد (٣٢٠/٢)، والنسائي (١٧٣/٣)، وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه البخاري (٤١٣٢) المغازي.

(٤) أخرجه البخاري (٤١٢٥) المغازي، ومسلم (١٨١٦) الهجرة والمغازي.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

لرسول الله ﷺ: أتخافني؟ قال: (لا) قال: فمن يمنعك مني؟ قال: (الله يمنعني منك) قال: فتهدده أصحاب رسول الله ﷺ، فأغمد السيف، وعلقه، قال: فتودى بالصلاة، فصلى بطائفة ركعتين، ثم تأخروا، وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين، قال: فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعات، وللقوم ركعتان.

وقد جاء التصريح باسم هذا الرجل في رواية أحمد كما يلي: «قاتل رسول الله ﷺ محارب خصفه، فأرأوا من المسلمين غرة، فجاء رجل منهم يقال له: غورث بن الحارث حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف فقال: من يمنعك مني؟ قال: (الله عز وجل) فسقط السيف من يديه فأخذه رسول الله ﷺ فقال: من يمنعك مني؟ قال: كن كخير أخذ، قال: (أتشهد أن لا إله إلا الله؟) قال: لا، ولكني أعاهدك أن لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى سبيله، قال: فذهب إلى أصحابه، قال: قد جئكم من عند خير الناس»^(١).

موقف يعجز القلم عن وصفه

وها هو - رضى الله عنه - يقف موقفاً يعجز القلم عن وصفه ولو اجتمع جميع الأدباء والشعراء ما استطاعوا أن يصفوا مدى عظمة هذا الموقف الذى يتندر تكراره عبر العصور والأزمان.

فعن جابر بن عبد الله الأنصارى، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة ذات الرقاع من نخل، فأصاب (رجل) امرأة رجل من المشركين، فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً - راجعاً - أتى زوجها وكان غائباً، فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهى حتى يهريق فى أصحاب محمد ﷺ^(٢)، فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ، فنزل رسول الله ﷺ منزلاً، فقال: «من رجل يكلؤنا»^(٣) ليلتنا [هذه]؟ قال: فانتدب رجل من المهاجرين، ورجل [آخر] من الأنصار، فقالا: نحن يا رسول الله، قال: فكونا بقم الشعب، قال: وكان رسول الله ﷺ وأصحابه قد نزلوا إلى شعب من الوادى، وهما عمار بن ياسر وعباد بن بشر، فلما خرج الرجلان إلى قم الشعب، قال الأنصارى للمهاجرين: أى الليل تحب أن

(١) أخرجه البخارى (٤١٣٦) المغازى، ومسلم (٨٤٣) صلاة المسافرين.

(٢) أى يصيب دماً.

(٣) يكلؤنا: يحفظنا.

أكفيكه: أوله أم آخره ؟ قال: بل اكفى أوله، قال: ونام (عمار بن ياسر) وقام (عباد) ينظر إلى الكون من حوله، فإذا به يرى الليل هادئاً وكأن الكون كله يسبح بصوت خافت فتاقت نفسه إلى أن يقرأ وهو يصلي - ليجمع بين الحسينين - قال ابن إسحاق: فأضطجع المهاجري (عمار) فنام وقام الأنصاري (عباد) يصلي. قال: وأتى الرجل فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيعة^(١) القوم، قال: فرمى بسهم، فوضعه فيه، قال: فنزعه ووضعه، فثبت قائماً، قال: ثم رماه سهماً آخر، فوضعه فيه، قال: فنزعه فوضعه، وثبت قائماً، ثم عاد له بالثالث، فوضعه فيه، قال: فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد، ثم أهب^(٢) صاحبه فقال: اجلس فقد أثبت^(٣)، قال: فوثب، فلما رآهما الرجل عرف أن قد نذرا به، فهرب، قال: ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء، قال: سبحان الله! أفلا أهيبتني - أيقظتني - أول ما رماك؟ قال: كنت في سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفدها، فلما تابع على الرمي ركعت فأذنتك، وإيم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفدها^(٤).

أشهر هذه الغزوة

كان لهذه الغزوة أثر في قذف الرعب في قلوب الأعراب القساة، وإذا نظرنا إلى تفاصيل السرايا بعد هذه الغزوة؛ نرى أن هذه القبائل من غطفان لم تجترئ أن ترفع رأسها بعد هذه الغزوة، بل استكانت شيئاً فشيئاً حتى استسلمت، بل وأسلمت، حتى نرى عدة قبائل من هذه الأعراب تقوم مع المسلمين في فتح مكة، وتغزو حنيناً، وتأخذ من غنائمها، ويبعث إليها المتصدقون فتعطي صدقاتها بعد الرجوع من غزوة الفتح، وبهذا تم كسر الأجنحة الثلاثة التي كانت ممثلة في الأحزاب وساد المنطقة الأمن والسلام، واستطاع المسلمون بعد ذلك أن يسدوا بسهولة كل خلل وثلثة حدثت في بعض المناطق من بعض القبائل، بل بعد هذه الغزوة بدأت التمهيدات لفتوح البلدان والممالك الكبيرة؛ لأن داخل البلاد كانت الظروف قد تطورت لصالح الإسلام والمسلمين^(٥).

(١) الربيعة: الطليعة الذي يحرس القوم.

(٢) (٣) أهب: أيقظ. أثبت: أي جرحت جرحاً لا يمكن التحرك منه.

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب «الطهارة» باب «الوضوء من الدم» (١/١٩٨). وأحمد في «مسنده» (٣/٣٤٣،

٣٥٩)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١/٣٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٢/١٠٩٣)، والحاكم في

«مستدرکه» (١/١٥٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١/١٤٠، ٥٩). قلت: وإسناده حسن.

(٥) الرحيق المختوم (ص ٤١٢).

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

قال الحاكم: تواترت الأخبار أنه ﷺ لما هَلَ ذُو القعدة أمر أصحابه أن يعتمروا قضاء عمرتهم، وأن لا يتخلف منهم أحد شهد الحديبية، فخرجوا إلا من استشهد، وخرج معه آخرون معتمرين، فكانت عدتهم ألفين سوى النساء والصبيان. اهـ^(١).

واستخلف على المدينة عوف أبَا رهم الغفاري، وساق ستين بدنة وجعل عليها ناجية ابن جندب الأسلمي، وأحرم للعمرة من ذِي الحليفة، ولَبَّى، ولَبَّى المسلمون معه، وخرج مستعداً بالسلاح والمقاتلة، خشية أن يقع من قريش غدر، فلما بلغ يأجج وضع الأداة كلها: الحجف، والمجان، والنبل، والرماح، وخلف عليها أوس بن خولى الأنصاري في مائتي رجل، ودخل بسلاح الراكب والسيوف في القرب^(٢).

وكان رسول الله ﷺ عند الدخول راكباً على ناقته القصواء، والمسلمون متوشحوا السيوف، محدقون برسول الله ﷺ يلبون.

متى كانت عمرة القضاء

قال الحافظ في الفتح: «روى يعقوب بن سفيان في تاريخه بسند حسن عن ابن عمر قال: «كانت عمرة القضية في ذِي القعدة سنة سبع»، وفي مغازي سليمان التيمي قال: «لما رجع النبي ﷺ من خيبر بثَّ سراياه، وأقام بالمدينة حتى استهل ذُو القعدة، فتأدى في الناس أن تجهزوا إلى العمرة»^(٣).

ارملوا ليرى المشركون قوتكم

كان المسلمون المهاجرون وهم في المدينة المنورة، يستشعرون شوقاً عنيقاً إلى مكة أم القرى، وكانت أعز أمانهم أن يعودوا إليها، وأن يروا أقربائهم، وأن يرووا ظمأهم من ماء زمزم، وأن يطوفوا بالبيت العتيق، فإذا بآمالهم كلها تتحقق، وها هم اليوم يطوفون

= المصاحفة التي وقعت في الحديبية.

والوجه الثاني الذي رجحه المحققون كابن قيم الجوزية في «زاد المعاد» وابن حجر في «فتح الباري» وهذه العمرة تسمى بأربعة أسماء - كما ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح -: القضاء، والقضية، والقصاص، والصلح.

(١) فتح الباري (٧/ ٧٠٠).

(٢) زاد المعاد (٢/ ١٥١).

(٣) فتح الباري (٧/ ٥٠٠) المغازي/ باب: عمرة القضاء.

رَفَعُ

عبد الرحمن بن أبي بكر
أبو بكر بن أبي بكر

باليث العتيق وهم بصحبة الحبيب المصطفى ﷺ.

ورمّل رسول الله ﷺ والمسلمون ثلاثة أشواط، فلما رأهم المشركون، قالوا: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم، هؤلاء أجلد من كذا وكذا^(١).

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «قدم رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال المشركون: إنه يقدم عليكم وفدٌ وهنتهم حمى يثرب، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا ما بين الركنين ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم، وزاد ابن سلمة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: «لما قدم النبي ﷺ لعامة الذى استأمن قال: (ارملوا ليرى المشركون قوتكم) والمشركون من قبل قعقعان»^(٢).

خلوا بنى الكفار عن سبيله

ودخل رسول الله ﷺ مكة من الثنية التى تطلعه على الحجون - وقد صفّ المشركون ينظرون إليه - فلم يزل يلبى حتى استلم الركن بمحجنه، ثم طاف، وطاف المسلمون، وعبد الله بن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ يرتجز متوشحاً بالسيف:

خلوا بنى الكفار عن سبيله	خلوا فكل الخير فى رسوله
قد أنزل الرحمن فى تنزيله	فى صحف تلى على رسوله
يا رب إني مؤمن بقبيله	إني رأيت الحق فى قبوله
بأن خير القتل فى سبيله	اليوم نضربكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله	ويذهل الخليل عن خليله ^(٣)

وفى حديث أنس: فقال عمر: يا ابن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ وفى حرم الله تقول الشعر؟ فقال له النبي ﷺ: «خل عنه يا عمر، فلهو أسرع فيهم من نضح النبل»^(٤).

(١) أخرجه مسلم (٤١٢/١).

(٢) أخرجه البخارى (٤٢٥٦) المغازى، ومسلم (١٢٦٦) الحج.

(٣) أخرجه ابن هشام فى «السيرة» (٨٢٨/٣) عن ابن إسحاق، حدثنى عبد الله بن أبى بكر مرسلًا بنحوه، ورواه عبد الرزاق من وجهين صحيحين عن أنس، كما قال الحافظ فى «الفتح» (٥٠١/٧)، وانظر ما بعده.

(٤) رواه الترمذى (٢٨٥١)، والنسائى (٢٠٢/٥) وصححه الألبانى فى مختصر الشمائل (٢١٠).

خوف الصحابة على النبي ﷺ

عن ابن أبي أوفى رضى الله عنه قال: «لما اعتمر رسول الله ﷺ سترناه من غلمان المشركين ومنهم أن يؤذوا رسول الله ﷺ» (١).

وهكذا تكون المحبة لرسول الله ﷺ فهو القائل: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» (٢).

النبي ﷺ يتزوج ميمونة بنت الحارث (رضى الله عنها)

وفى هذه العمرة تزوج النبي ﷺ ميمونة بنت الحارث العامرية، وكان رسول الله ﷺ قبل الدخول في مكة بعث جعفر بن أبي طالب بين يديه إلى ميمونة، فجعلت أمرها إلى العباس، وكانت أختها أم الفضل تحته، فزوجها إياه، فلما خرج من مكة خلف أبا رافع ليحمل ميمونة إليه حين يمشى، فبنى بها بسرف (٣) (٤).

* عن ميمون بن مهران قال: دخلت على صفية بنت شيبة، عجوز كبيرة، فسألتها: أتزوج النبي ﷺ ميمونة، وهو محرم، قالت: لا، والله لقد تزوجها وإنهما لحلالان (٥).

وعن يزيد بن الأصم، قال: خطبها، وهو حلال، وبنى بها، وهو حلال (٦).

عن أبي رافع: أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة حلالاً، وكنت الرسول بينهما (٧).

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «تزوج النبي ﷺ ميمونة وهو محرم وبنى بها وهو حلال، ومات بسرف» (٨).

(١) أخرجه البخارى (٤٢٥٨) المغازى، ومسلم (١٤١٠) النكاح.

(٢) أخرجه البخارى ومسلم وأحمد والنسائى عن أنس - صحيح الجامع (٧٥٨٢).

(٣) زاد المعاد (١٥٢/٢).

(٤) أخرجه البخارى (١٨٣٧)، ومسلم (١٤١٠).

(٥) أخرجه ابن سعد (١٣٣/٨) وقال الأرنؤوط: رجاله ثقات.

(٦) أخرجه مسلم (١٤١١) النكاح/ باب: تحريم نكاح المحرم وكراهة خطبته.

(٧) رواه أحمد (٣٩٣/٦)، والترمذى (٨٤١) وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٨) أخرجه البخارى (٤٢٥٨) المغازى، ومسلم (١٤١٠) النكاح.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

المشركون يصلُّون من النبي ﷺ أن يخرج من مكة

✽ عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: «اعتمر رسول الله ﷺ في ذى القعدة، فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب كتبوا: «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ﷺ»، قالوا: لا نقر بهذا لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئاً، ولكن أنت محمد بن عبد الله، فقال: أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله، ثم قال لعلى: امح رسول الله، قال على: لا والله لا أمحوك أبداً.

فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب - وليس يحسن يكتب - فكتب: «هذا ما قاضى محمد ابن عبد الله، لا يدخل مكة السلاح إلا السيف في القراب، وأن لا يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه، وأن يمنع من أصحابه أحداً إن أراد أن يقيم بها» فلما دخلها ومضى الأجل أتوا علياً فقالوا: قل لصاحبك اخرج عنا، فقد مضى الأجل، فخرج النبي ﷺ...»^(١).

✽ وعن ابن عباس رضى الله عنهما: «... فأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثاً، فأتاه حويطب بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل، فى نفر من قريش فى اليوم الثالث، وكانت قريش قد وكلته بإخراج رسول الله ﷺ من مكة، فقالوا له: إنه قد انقضى أجلك، فاخرج عنا، فقال النبي ﷺ: (وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم، وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه).

قالوا: لا حاجة لنا فى طعامك، فاخرج عنا، فخرج رسول الله ﷺ، وخلف أبا رافع مولاه على ميمونة، حتى أتاه بها بسرف، فبنى بها رسول الله ﷺ هنالك، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة فى ذى الحجة»^(٢).

خروج ابنة حمزة بن عبد المطلب خلعاً للنبي ﷺ

✽ عن البراء بن عازب قال: «.. فقالوا: قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل، فخرج النبي ﷺ فتبعته ابنة حمزة تنادى، يا عم، يا عم، فتناولها (على) فأخذها بيدها، وقال لفاطمة عليها السلام، دونك ابنة عمك احملها، فاختصم فيها على وزيد وجعفر

(١) أخرجه البخارى (٢٦٩٩) الصلح، وأحمد (٩٩/١).

(٢) أخرجه البخارى (٤٢٥٩) فى المغازى معلقاً، وابن هشام فى السيرة (٣/٣٧٢).

رفع

عن (الرحمى) (القرنى)
(السلم) (الذى) (الزورى)

قال (عليّ): أنا أخذتها، هي بنت عمي، وقال جعفر: ابنة عمي، وخالتها تحتي، وقال زيد: ابنة أخي فقضى بها النبي ﷺ لخالتها وقال: (الخالة بمنزلة الأم).
وقال لعلّي: (أنت مني وأنا منك). وقال لجعفر: (أشبهت خلقي وخلقي). وقال لزيد: (أنت أخونا ومولانا). وقال علي: ألا تتزوج بنت حمزة؟ قال: (إنها ابنة أخي من الرضاعة)»^(١).

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن أبي طلحة

* عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال: «لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش، كانوا يرون رأيي ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلمون والله أني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً، وإني قد رأيت أمراً، فما ترون فيه؟ قالوا: وماذا رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشي، فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد، وإن ظهر قومنا، فنحن من قد عرفوا، فلن يأتينا منهم إلا خير، قالوا: إن هذا الرأي، قلت: فاجمعوا لنا ما نهديه له، وكان أحب ما يهدي إليه من أرضنا الأدم»^(٢) فجمعنا له أدماً كثيراً، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه.

فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه، قال: فدخل عليه، ثم خرج من عنده، قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية الضمري، لو قد دخلت على النجاشي، وسألته إياه فأعطانيه، فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأيت قريش أني أجزأت عنها»^(٣)، حين قتلت رسول محمد، قال: فدخلت عليه، فسجدت له كما كنت أصنع، فقال: مرحباً صديقي، أهديت إلي من بلادك شيئاً؟ قال: قلت: نعم، أيها الملك، قد أهديت إليك أدماً كثيراً، قال: ثم قربته إليه، فأعجبه واشتراه.

ثم قلت له: أيها الملك، إنني قد رأيت رجلاً خرج من عندك، وهو رسول رجل عدو لنا، فأعطانيه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا، قال: فغضب، ثم مد يده،

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٩) الصلح، وأبو داود (٢٢٧٨).

(٢) الأدم: الجلد.

(٣) أجزأت عنها: كفيته.

رفع

عبد الرحمن بن أبي بكر
أسكنه الله الفردوس

فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره، فلو انشقت لى الأرض لدخلت فيها فرقاً منه - أى خوفاً منه - ثم قلت له: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه، قال: أتسألنى أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى لتقتله!

قال: قلت: أيها الملك، أكذاك هو؟ قال: ويحك يا عمرو أتعنى واتبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده، قال: قلت: أقتبايعنى له على الإسلام؟ قال: نعم، فيسط يده، فبايعته على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابى، وقد حال رأيى عما كان عليه، وكتمت أصحابى إسلامى.

«ثم خرجت عامداً إلى رسول ﷺ لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد، وذلك قبيل الفتح، وهو مقبل من مكة، فقلت: أين يا أبا سليمان؟

قال: والله لقد استقام المنسم^(١)، وإن الرجل لنبى، أذهب والله فأسلم، فحتى متى، قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم. قال: فقدما المدينة على رسول الله ﷺ، فتقدم خالد بن الوليد، فأسلم، وبايع، ثم دنوت، فقلت: يا رسول الله، إني أبايعك على أن يُغفر لى ما تقدم من ذنبى، ولا أذكر ما تأخر.

قال: فقال رسول الله ﷺ: (يا عمرو، بايع، فإن الإسلام يجب ما كان قبله، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها، قال: فبايعته ثم انصرف).

قال ابن إسحاق: وقد حدثنى من لا أنهم أن عثمان بن طلحة بن أبى طلحة كان معهما أسلم حين أسلما^(٢).

* وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال: «.. فلما جعل الله الإسلام فى قلبى أتيت النبى ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك. فبسط يمينه، قال: فقبضت يدى، قال:

(١) استقام المنسم: تبين الطريق ووضح.

(٢) أخرجه أحمد فى المسند: (١٩٨/٤ - ١٩٩، ٢٠٤، ٢٠٥)، الحاكم فى المستدرک (٤٥٤/٣)، وإحدى طرقه عند أحمد (٢٠٥/٤) يحيى بن إسحاق أن ليث بن سعد عن يزيد إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين غير ابن شماسه، وهو عبد الرحمن فهو على شرط مسلم فقط، بل وأخرجه مسلم فى صحيحه بلفظ (الإسلام يهدم ما قبله) برقم: ١٢١، الإيمان باب كون الإسلام يهدم ما قبله وقال الشيخ الساعاتى فى الفتح الربانى: (١٣٤/٢١ - ١٣٦)، رواه ابن إسحاق، وسنده جيد، وقال الهيثمى فى المجمع: (٣٥٠/٩، ٣٥١) مناقب عمرو بن العاص: رواه أحمد والطبرانى، ورجالهما ثقات، فالحديث بذلك صحيح.

(مالك يا عمرو؟) قال: قلت: أردت أن أشتري. قال: (تشتري بماذا؟) قلت: أن يغفر لي. قال: (أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟...)»^(١).

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

(١) أخرجه مسلم (١٢١) كتاب الإيمان.

غزوة مؤتة^(١)

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وهى بأدنى البلقاء من أرض الشام، وكانت فى جمادى الأولى سنة ثمان، وكان سببها أن رسول الله ﷺ بعث الحارث بن عمير الأزدي أحد بنى لهب بكتابه إلى الشام إلى ملك الروم أو بصرى فعرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى فأوثقه رباطاً ثم قدّمه فضرب عنقه، ولم يُقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره^(٢)، وكان قتل السفراء والرسل من أشنع الجرائم، يساوى بل يزيد على إعلان حالة الحرب، فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ حين نُقلت إليه الأخبار، فجهز إليهم جيشاً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل، وهو أكبر جيش إسلامى، لم يجتمع قبل ذلك إلا فى غزوة الأحزاب.

تعيين القادة على جيش مؤتة

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «أمر رسول الله ﷺ فى غزوة مؤتة زيد بن حارثة فقال رسول الله ﷺ: «إن قُتل زيد فجعفر، وإن قُتل جعفر فعبد الله بن رواحة، قال عبد الله: كنت فيهم فى تلك الغزوة، فالتمسنا جعفر بن أبى طالب فوجدناه فى القتلى، ووجدنا ما فى جسده بضعا وتسعين من طعنة ورمية»^(٣).

أهل المدينة يودعون الجيش

عن عروة بن الزبير قال: «بعث رسول الله ﷺ بعثة إلى مؤتة فى جمادى الأولى سنة ثمان، واستعمل عليهم زيد بن حارثة، وقال: إن أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس، فإن أصيب جعفر، فعبد الله بن رواحة على الناس.

(١) ذهب بعض العلماء إلى أنها سرية وليست غزوة. لأن النبى ﷺ لم يخرج معهم فيها ولكن عامة علماء السيرة أطلقوا عليها اسم الغزوة لكثرة عدد المسلمين فيها ولما كان لها من أهمية بالغة.

(٢) زاد المعاد (٣/ ٣٨١).

(٣) أخرجه البخارى (٤٢٦١) المغازى/ باب: غزوة مؤتة.

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فتجهز الناس، ثم تهيأوا للخروج... هم ثلاثة آلاف، فلما حضر خروجهم ودَّع الناس أمراء رسول الله ﷺ، وسلموا عليهم، فلما ودَّع عبد الله بن رواحة مع من ودَّع من أمراء رسول الله ﷺ بكى، فقالوا: ما يبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: أما والله ما بى حب الدنيا ولا صباية بكم، ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله عز وجل، يذكر فيها النار ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١] فلست أدري كيف لى بالصدر بعد الورود. فقال المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم، وردكم إلينا صالحين، فقال عبد الله بن رواحة:

لكنى أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ^(١) تقذف الزبد^(٢)
أو طعنة بيدى حران مجهزة^(٣) بحربة تنفذ الأحشاء والكبد^(٤)
حتى يقال إذا مروا على جدثي^(٥) أرشده الله من غاز وقد رشدا^(٦)

تخلف عبد الله بن رواحة لحضور صلاة الجمعة

* عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «بعث رسول الله ﷺ ابن رواحة فى سرية فوافق ذلك يوم الجمعة، قال فقدم أصحابه وقال: أتخلف فأصلى مع النبى ﷺ الجمعة، ثم ألحقهم، قال: فلما رآه رسول الله ﷺ قال: (ما منعك أن تغدو مع أصحابك؟) قال: أردت أن أصلى معك الجمعة قال: فقال رسول الله ﷺ: (لو أنفقت ما فى الأرض ما أدركت غدوتهم)»^(٧).

ثم إن القوم تهيأوا للخروج فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله ﷺ يودعه فقال:
يثبتُ الله ما أتاك من حُسن تثبت موسى ونصراً كالذى نُصروا

(١) ذات فرغ: يريد طعنة واسعة.

(٢) الزبد: أصله ما يعلو الماء إذا غلا، وأراد هنا ما يعلو الدم الذى يتفجر من الطعنة.

(٣) مجهزة: سريعة القتل.

(٤) تنفذ الأحشاء: تخرقها وتصل إليها.

(٥) الجدث: القبر.

(٦) ابن هشام فى السيرة: والبيهقى فى الدلائل ٣٥٨/٤ - ٣٦٠، والطبرانى فى التاريخ: ١٠٧/٣، ٣٧٣/٢ -

٣٧٤، عن عروة مرسلأ، ورجاله ثقات، وقال الهيثمى فى المجمع: ١٥٧/٦ - ١٥٨، رواه الطبرانى،

رفعه

ورجاله ثقات إلى عروة وله شاهد من الحديث الذى بعده.

(٧) أخرجه أحمد (٢٥٦/١) وللحديث شاهد بإسناده جيد.

إني تفرستُ فيك الخيرَ نافلةً فراسةً خالفتهم في الذي نظروا
أنت الرسولُ فمن يُحرم نوافله والوجه منه فقد أزرى به القدرُ
ثم خرج القوم وخرج رسول الله ﷺ يشيعهم حتى إذا ودعهم وانصرف عنهم قال
عبد الله بن رواحة:

خلف السلام على امرئ ودعته في النخل غير مشيع وخليل

ثم مضوا حتى نزلوا (معان) من أرض الشام فبلغهم أن هرقل في باب من أرض
البلقاء في مائة ألف من الروم، وقد اجتمعت إليهم المستعربة من لحم وجذام وبلقين
وبهرام وبلى في مائة ألف، عليهم رجل يلى أخذ رايتهم يقال له ملك بنى زانة، فلما بلغ
ذلك المسلمين قاموا بمعان ليلتين ينظرون في أمرهم وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ
فتخبره بعدد عدونا فإذا أن يمدنا وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له، فشجع عبد الله بن
رواحه الناس وقال: يا قوم والله إن الذي تكرهون للذي خرجتم له تطلبون (الشهادة)،
وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة إنما نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به
فانطلقوا وإنما هي إحدى الحسينين: إما ظهور وإما شهادة^(١).

✽ وكان لهذه الكلمة الملتهية أثرها، فاختلفت من صفوف المسلمين مشاعر التردد،
وقرروا القتال، مهما كانت النتائج.

وابن رواحة شاعر حد العاطفة، وقد أحس منذ خروجه أن الاستشهاد مقبل عليه فهو
يتهيأ له بقلبه ولسانه، وقد تكون الحكمة العسكرية في تصرف غير ما أوحى به، غير أن
المسلمين ما أن سمعوا حديث الفداء والموت في سبيل الله حتى جاشت أنفسهم محبة
الآخرة، ثم ذكروا أنهم نُصروا في معارك سابقة باستعداد أقل من عدوهم، فأقدموا
مطمئنين^(٢).

(١) ابن هشام (١١: ٩/٤) بتصرف.

(٢) فقد السيرة/ للغزالي (ص: ٤١٠).

رَفَعُ

عبد الرحمن بن أبي بكر
أسكنه الله الفردوس

هكذا يصنع الإيمان

إن أهم ما يثير الدهشة، في هذه الغزوة، تلك النسبة الكبيرة من الفرق بين عدد المسلمين فيها وعدد مقاتليهم من الروم والمشركون العرب! .. لقد رأيت أن عدد المشركون ومن معهم من الروم قد بلغ ما يقرب من مائتي ألف مقاتل!.. على حين أن عدد المسلمين لم يتجاوز ثلاثة آلاف. ومعنى ذلك أن عدد المشركون والروم قد بلغوا ما لا يقل عن خمسين ضعفاً لعدد المسلمين!.. وهى نسبة إذا ما تصورتها، تجعل رقعة الجيش الإسلامى، أمام حشود الروم والمشركون، أشبه ما تكون بساقية ماء صغيرة بالنسبة إلى بحر خضم مائج، هذا إلى ما كان قد جهّز به جيش الأعداء من العدة والذخيرة والسلاح ومظاهر الأبهة والبذخ، على حين أن المسلمين كانوا يعانون من القلة والفقر!..

ومكان الدهشة فى الأمر، أن تجد المسلمين بعد هذا كله - وهم سرية ليس فيها رسول الله ﷺ - مقبلين غير مدبرين، لا يقيمون لكل هذه الحشود الهائلة أمامهم وزناً، مع أنها - فيما يبدو ويظهر - لو التفت من حولهم وطوقتهم من جهاتهم، لانقلبوا إلى ما يشبه نواة صغيرة فى جوف قطعة أرض سوداء!..

ثم إن مكان الدهشة بعد ذلك، أن يصمد المسلمون لقتال هذا اليم المتلاطم. يُقتل أميرهم الأول، ثم الثانى، فالثالث، وهم يقتحمون أبواب الشهادة فى نشوة بالغة وإقبال عجيب، حتى يدخل الرعب الإلهى فى أفئدة كثير من المشركون، دون أن يكون له سبب ظاهر، فينكشفون عن مواقعهم ويدبر منهم الكثير، وتُقتل منهم خلائق لا تكاد تحصى!.. ولكن الدهشة كلها تزول، والعجب ينتهى، إذا تذكرنا ما يفعله الإيمان بالله، والاعتماد عليه، واليقين بوعدهِ^(١).

الجيش الإسلامى يتحرك نحو العدو

وحينئذ بعد أن قضى الجيش الإسلامى ليلتين فى معان، تحركوا إلى أرض العدو، حتى لقيتهم جموع هرقل بقرية من قرى البلقاء يقال لها: «مشارف»، ثم دنا العدو، وانحاز المسلمون إلى مؤتة، فعمسكروا هناك وتعبأوا للقتال، فجعلوا على ميمتهم قطبة ابن قتادة العذرى، وعلى الميسرة عبادة بن مالك الأنصارى.

رفع

عبد الرحمن بن العنبري
المسلم بن النعمان

(١) فقه السيرة النبوية/ محمد سعيد البوطى (ص: ٢٦٠: ٢٦١).

بداية القتال ... وتناوب القواد

وهناك في مؤتة التقى الفريقان، وبدأ القتال المرير، ثلاثة آلاف رجل يواجهون هجمات مائتي ألف مقاتل... معركة عجيبة تشاهدها الدنيا بالدهشة والحيرة، ولكن إذا هبت ريح الإيمان جاءت بالعجائب.

أخذ الراية زيد بن حارثة - حب رسول الله ﷺ - وجعل يقاتل بضراوة بالغة، وبسالة لا يوجد لها نظير إلا في أمثاله من أبطال الإسلام، فلم يزل يقاتل ويقاوم حتى شاط في رماح القوم، وخر صريعاً.

وحينئذ أخذ الراية جعفر بن أبي طالب، وطفق يقاتل قتالاً منقطع النظير، حتى إذا أرهقه القتال اقتحم عن فرسه الشقراء فعفرها، ثم قاتل حتى قطعت يمينه، فأخذ الراية بشماله، ولم يزل بها حتى قطعت شماله، فاحتضنها بعضديه، فلم يزل رافعاً إياها حتى قُتل. يقال: إن رومياً ضربه ضربة قطعتة نصفين، وأثابه الله بجناحيه جناحين في الجنة، يطير بهما حيث يشاء، ولذلك سُمي بجعفر الطيار، وبجعفر ذي الجناحين^(١).

ولما قُتل جعفر بعد القتال بمثل هذه الضراوة والبسالة أخذ الراية عبد الله بن رواحة، وتقدم بها، وهو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه، ويتردد بعض التردد حتى حاد حيدة، ثم قال:

أقسمت يا نفسي لتنزّلني	طائعة أو لتكرهني
ما لي أراك تكرهين الجنة	إن أجلب الناس وشدوا الرنة
لطالما قد كنت مطمئنة	هل أنت إلا نطفة في شنة

وقال عبد الله بن رواحة:

يا نفس إلا تقتلى تموتى	هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقلد لقيت	إن تفعلني فعلهما هديت

ثم نزل فلما نزل أتاه ابن عم له بعظم من لحم فقال: اشدد بهذا صلبك فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما قد لقيت، فأخذه من يده فانتهش منه نهشة ثم سمع الحطمة في ناحية

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠٩) عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه كان إذا سلم على ابن جعفر قال: «السلام عليك يا ابن ذي الجناحين»، وقد صح مرفوعاً إثبات الجناحين لجعفر انظر «فتح الباري» [٧/٧٦].

الناس فقال: وأنت في الدنيا - يقولها لنفسه - ثم ألقاه من يده ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قُتل، فأخذ الراية ثابت بن أرقم أخو بني عجلان وقال يا أيها الناس اصطَلِحُوا على رجل منكم، قالوا: أنت. قال: ما أنا بفاعل، فاصطَلِحِ الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم ثم انحاز حتى انصرف^(١).

لقد كان هدف (خالد) مناوشة الرومان بحيث يلحق بهم أفدح الخسائر دون أن يُعرض كتلة الجيش لالتحام عام، وقد أفلحت هذه الخطة في إنقاذ الآلاف القليلة التي معه، وإنقاذ سمعة المسلمين في أول معركة لهم مع الدولة الكبرى.

والعجيب أن الرومان أعيابهم هذا القتال وأصيبوا فيه بخسائر كبيرة، بل إن بعض فرقهم انكشف، وولى مهزوماً. واكتفى خالد بهذه النتيجة، وأثر الانصراف بمن معه^(٢).

النبي ﷺ يعني القادة الثلاثة للناس

عن أنس رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ نعى زيداً وجعفرأ وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذ جعفر فأصيب ثم أخذ ابن رواحة فأصيب - وعيناه تذرفان - حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم»^(٣).

معجزة للنبي ﷺ ووسام على صدر (خالد)

لقد رأيت أن النبي ﷺ نعى لأصحابه زيداً وجعفرأ وابن رواحة وعيناه تذرفان وكان بين رسول الله ﷺ وبينهم مسافات شاسعة بعيدة!..

وهذا يدل على أن الله تعالى قد زوى لرسوله الأرض، فأصبح يرى من شأن المسلمين الذين يقاتلون على مشارف الشام، ما حدث أصحابه به، وهي من جملة الخوارق الكثيرة التي أكرم الله بها حبيبه ﷺ.

كما يدل هذا الحديث نفسه على مدى شفقته على أصحابه، فلم يكن شيئاً قليلاً أن يبكي رسول الله ﷺ وهو واقف في أصحابه يحدثهم عن خبر هؤلاء الشهداء. وأنت

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٥٩، ١٦٠): رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٢) فقه السيرة/ للغزالي (ص: ٤١٢).

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٥/٧) المغازي.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

خبير أن بكاءه ﷺ عليهم، لا يتنافى مع الرضى بقضاء الله تعالى وقدره فإن العين لتدمع والقلب ليحزن - كما قال عليه الصلاة والسلام - وتلك رقة طبيعية ورحمة فطر الله الإنسان عليهما.

وحديث نعيه ﷺ لهؤلاء الشهداء الثلاثة، يسجل فضلاً خاصاً لخالد بن الوليد رضى الله عنه، فقد قال لهم فى آخر حديثه: «حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح عليهم». وتلك أول وقعة يحضرها خالد رضى الله عنه فى صف المسلمين، إذ لم يكن قد مضى على إسلامه إلا مدة يسيرة. ومن هنا تعلم أن الرسول ﷺ، هو الذى سجل لقب سيف الله، لخالد رضى الله عنه.

ولقد أبلى رضى الله عنه، فى هذه الغزوة بلاءً رائعاً... روى البخارى أن خالدًا رضى الله عنه قال: «لقد انقطعت فى يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقى فى يدي إلا صفيحة يمانية». قال ابن حجر: وهذا الحديث يدل على أن المسلمين قد قتلوا من المشركين كثيراً^(١).

ذكاء وفطنة من خالد (رضى الله عنه)

لقد نجح خالد فى الصمود أمام جيش الرومان طول النهار، فى أول يوم من القتال، وكان يشعر بمسيس الحاجة إلى مكيدة حربية، تلتقى الرعب فى قلوب الرومان؛ حتى ينبجح فى الانحياز بالمسلمين من غير أن يقوم الرومان بحركات المطاردة، فقد كان يعرف جيداً أن الإفلات من برائهم صعب جداً لو انكشف المسلمون، وقام الرومان بالمطاردة.

فلما أصبح اليوم الثانى غير أوضاع الجيش، وعبأ من جديد، فجعل مقدمته ساقفة، وميمينته ميسرته، وعلى العكس، فلما رآهم الأعداء أنكروا حالهم، وقالوا جاءهم مدد فرعبوا وصار خالد - بعد أن تراءى الجيشان، وتناوشا ساعة - يتأخر بالمسلمين قليلاً قليلاً، مع حفظ نظام جيشه، ولم يتبعهم الرومان ظناً منهم أن المسلمين يخدعونهم، ويحاولون القيام بمكيدة ترمى بهم فى الصحراء.

وهكذا انحاز العدو إلى بلاده، ولم يفكر فى القيام بمطاردة المسلمين، ونجح المسلمون فى الانحياز سالمين، حتى عادوا إلى المدينة^(٢).

(١) فقه السيرة النبوية / للبوطى (ص: ٢٦٢).

(٢) فتح البارى (٧/ ٥١٣: ٥١٤) - زاد المعاد (٢/ ١٥٦).

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

أشهر المعركة

وهذه المعركة وإن لم يحصل المسلمون بها على الثأر، لكنها كانت كبيرة الأثر لسمعة المسلمين، إنها ألقت العرب كلها في الدهشة والحيرة، فقد كانت الرومان أكبر وأعظم قوة على وجه الأرض، وكانت العرب تظن أن معنى جلادها هو القضاء على النفس، فكان لقاء هذا الجيش الصغير - ثلاثة آلاف مقاتل - مع ذلك الجيش الضخم العرمرم الكبير - مائتا ألف مقاتل - ثم الرجوع عن الغزو من غير أن تلحق به خسارة تذكر، كان كل ذلك من عجائب الدهر، وكان يؤكد أن المسلمين من طراز آخر غير ما ألفته العرب وعرفته، وأنهم مؤيدون ومنصورون من عند الله، وأن صاحبهم، رسول الله حقاً، ولذلك نرى القبائل اللدودة التي كانت لا تزال تثور على المسلمين جنحت بعد هذه المعركة إلى الإسلام، فأسلمت بنو سليم وأشجع وغطفان وذبيان وفزارة وغيرها.

وكانت هذه المعركة بداية اللقاء الدامي مع الرومان، فكانت توطئة وتمهيداً لفتوح البلدان الرومانية، واحتلال المسلمين الأراضي البعيدة النائية^(١).

دروس غالية للأمة

والدلالة التي تعلق على الريب في هذه المعركة أن شجاعة المسلمين وبسالتهم بلغتا حدًا لم تعرفه أمة معاصرة، وقد أكسبهم هذا الروح العالي إقدامًا حقر أمامهم كبرياء الأمم التي عاشت مع التاريخ دهرًا، تصول وتجول لا يقفها شيء.

إن الاستهتار بالخطر والطيران إلى الموت ليس فروسية احتكرها الرجال المقاتلون وحدهم، بل هي قوة غامرة قاهرة تعدت الرجال إلى الأطفال فأصبحت الأمة كلها أمة كفاح غال عزيز. وحسبك أن جيش «مؤتة» لما عاد إلى المدينة قابله الصبية بصيحات الاستنكار يقولون: يا فراراً، فررتم في سبيل الله؟ إن أولئك الصغار الأغرار يرون انسحاب خالد ومن معه فراراً يقابل بحشو التراب... أي جيل قوى ناب هذا الجيل الذي صنعه الإيمان بالحق؟ أي نجاح بلغته رسالة الإسلام في صياغة أولئك الأطفال العظام؟

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

(١) الرحيق المختوم (ص: ٤٢٣: ٤٢٤).

مَنْ آبَاؤُهُمْ؟ مَنْ أُمَهَاتُهُمْ؟ كيف كان الآباء يربون؟ وكيف كانت الأمهات يدللن؟
إن مسلمة اليوم بحاجة ماسة إلى أن تعرف هذه الدروس (١).

فصيلة الأمراء الثلاثة

عن أبي أمامة الباهلي رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينما أنا نائم إذ أتاني رجلان، فأخذا بضبعي، فأتيا بى جبلاً وعراً، فقالا: اصعد، فقلت: (لا أطيقه). فقالا: إنا سنسهله لك. قال: فصعدت حتى إذا كنت فى سواء الجبل - فذكر الحديث وفى آخره - ثم أشرفا بى شرفاً، فإذا بنفر ثلاثة يشربون من خمر لهم فقلت: من هؤلاء؟ قالوا: هذا جعفر بن أبى طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة، ثم أشرفا شرفاً آخر فإذا أنا بنفر ثلاثة، فقلت: من هؤلاء؟ قالوا: هذا إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وهم ينتظرونك» (٢).

منزلة زيد بن حارثة (رضى الله عنه)

عن بريدة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (دخلت الجنة، فاستقبلتنى جارية شابة، فقلت: لمن أنت؟ قالت: أنا لزيد بن حارثة) (٣).

وجعفر يطير بجناحيه فى الجنة

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة البارحة فنظرت فيها، فإذا جعفر يطير مع الملائكة، وإذا حمزة متكئ على سرير» (٤).
«وكان ابن عمر إذا حيا ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذى الجناحين» (٥).

(١) فقه السيرة/ للغزالي (ص: ٤١٣).

(٢) أخرجه الطبراني برقم: ٧٦٦٦، ٧٦٦٧، وابن خزيمة برقم: ١٩٨٦، والحاكم مختصراً: ٤٣٠/١، والبيهقى: ٢١٦/٤، والنسائى فى الكبرى كما فى التحفة: ١٦٦/٤، وابن حبان رقم: ١٨٠٠ موارد، وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبى، وقال الهيثمى فى المجمع: ٧٦/١ - ٧٧ رواه الطبراني فى الكبير ورجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه الرويانى والضياء وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٦٦).

(٤) رواه الطبرانى فى الكبير والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٦٣).

(٥) رواه البخارى (٣٧٠٩) المغازى.

قال ابن كثير: «لأن الله تعالى عوضه عن يديه بجناحين في الجنة»^(١).
وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت جعفر بن أبي طالب ملكاً يطير في الجنة مع الملائكة بجناحين»^(٢).
وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ابن أبي طالب ملكاً في الجنة، مضرجة قواده بالدماء، يطير في الجنة»^(٣).
وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مرّ بي جعفر الليلة في ملأ من الملائكة، وهو مخضب الجناحين بالدم، أبيض الفؤاد»^(٤).
وقال عبد الله بن جعفر: قال لي رسول الله ﷺ: «هنيئاً لك !! أبوك يطير مع الملائكة في السماء»^(٥).
وعن ابن عباس مرفوعاً: «إن جعفرًا يطير مع جبريل وميكائيل، له جناحان عوضه الله من يديه»^(٦).

حزن النبي ﷺ على جعفر (رضي الله عنه)

وهنا يذهب الحبيب ﷺ إلى أسماء (رضي الله عنها) ليلفها خبر استشهاد زوجها..
وياله من مشهد يجعل القلوب تبكي الدماء بدل الدموع.
* عن أسماء ابنة عُميس، قالت: لما أصيب جعفر وأصحابه دخل عليّ رسول الله ﷺ وقد دبغت أربعين مناً - ويقال منية - وعجنت عجيني، وغسلت بنى ودهتهم ونظفتهم، قالت: فقال لي رسول الله ﷺ: «أنتني ببني جعفر»، قالت: فأتيته بهم، فشمهم وذرفت عيناها، فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، ما يبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: «نعم، أصيبوا هذا اليوم». قالت: فقامت أصبح، واجتمعت

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٢٥٦/٣).

(٢) رواه الترمذي والحاكم في المستدرک عن أبي هريرة - صحيح الجامع (٣٤٥٩).

(٣) أخرجه الحاكم عن ابن عباس وصححه، وكذلك هو في الاستيعاب، وقال الحافظ في الفتح: أخرجه الحاكم والطبراني عن ابن عباس، وإسناده جيد.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٩٦/٧): أخرجه الحاكم بإسناد صحيح على شرط مسلم.

(٥) قال الحافظ في الفتح (٩٦/٧): أخرجه الطبراني بإسناد حسن.

(٦) قال الحافظ في الفتح (٩٦/٧) وإسناده هذه جيد.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

إلى النساء، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله، فقال: «لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم»^(١).

✽ وعن عبد الله بن جعفر - ابن الشهيد - جاءنا النبي ﷺ، بعد ثلاث من موت جعفر فقال: «لا تبكوا على أخى بعد اليوم، وادعوا لى بنى أخى».

قال عبد الله: فجئنا بنا كأننا أفرأخ. فقال: ادعوا إلى الخلاق. فجئنا بالخلاق فخلق رؤوسنا، ثم قال الرسول عليه الصلاة والسلام - مداعباً: «أما محمد فشبيهه عمنا أبى طالب. وأما عبد الله فشبيهه خلقى وخلقى. ثم أخذ بيدي فأشالها وقال: اللهم اخلف جعفرًا فى أهله. وبارك لعبد الله فى صفقة يمينه» - قالها ثلاث مرات.

قال عبد الله: وجاءت أمنا فذكرت له يُمنا وجعلت تحزنه فقال لها النبي: «العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم فى الدنيا والآخرة؟»^(٢).

وقفه الأخيرة

لقد كانت النصرة ملازمة لأصحاب النبي ﷺ على الرغم من قلة عددهم وعدتهم لأنهم كانوا يتحركون بعقيدة أشد رسوخاً من الجبال الراسيات ... أما نحن لما تركنا أصل عزنا ونزع شرفنا ومعين كرامتنا وضعفت العقيدة فى قلوبنا وإذا باليهود الأقدار يسفكون دماءنا وينتهكون أعراضنا ومقدساتنا على الرغم من قلة عددهم وكثرة عددنا.

وهذا كما أخبر النبي ﷺ حيث قال: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. قيل: يا رسول الله فمن قلة يومئذ؟ قال: لا ولكنكم غثاء كغثاء السيل يجعل الوهن فى قلوبكم وينزع الرعب من قلوب عدوكم لحبكم الدنيا وكرهيتكم الموت»^(٣).

فيا ليتنا نأخذ العبرة والعظة من غزوة مؤتة لنعود إلى العقيدة الصافية التى كانت - بإذن الله - سبباً فى نصرة أصحاب النبي ﷺ وستكون سبباً لنصرتنا إذا عادت الأمة إلى الله (عز وجل) وتمسكت بتلك العقيدة الصافية.

(١) رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى وذكره الألبانى فى صحيح ابن ماجه وقال: حديث حسن.

(٢) حديث صحيح، أخرجه أحمد (رقم ١٧٥٠) بإسناد صحيح على شرط مسلم، وبعضه عند أبى داود

والحاكم وصححه، ووافقه الذهبى.

(٣) رواه أحمد وأبو داود عن ثوبان وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨١٨٣).

سرية ذات السلاسل

* ولما علم رسول الله ﷺ بموقف القبائل العربية التي تقطن مشارف الشام في معركة مؤتة، من اجتماعهم إلى الرومان ضد المسلمين، شعر بمسئولية الحاجة إلى القيام بحكمة بالغة توقع الفرقة بينها وبين الرومان، وتكون سبباً للاتلاف بينها وبين المسلمين، حتى لا تتحشد مثل هذه الجموع الكبيرة مرة أخرى.

واختار لتنفيذ هذه الخطة عمرو بن العاص؛ لأن أم أبيه كانت امرأة من (بلي)، فبعثه إليهم في جمادى الآخرة سنة ٨ هـ على إثر معركة مؤتة ليستأنفهم، ويقال: بل نقلت الاستخبارات أن جمعاً من (قضاة) قد تجمعوا، يريدون أن يدنوا من أطراف المدينة، فبعثه إليهم، ويمكن أن يكون السببان اجتماعاً معاً^(١).

* كانت هذه السرية في جمادى الثاني سنة ثمان للهجرة كما قال ابن سعد والجمهور، ونقل ابن عساكر الاتفاق على أنها كانت بعد غزوة مؤتة، إلا أن ابن إسحاق قال: إنها قبلها^(٢).

وقال ابن إسحاق عن يزيد عن عروة: هي بلاد بلي وعذرة، وبنى القين. وهذه القبائل التي ذكرها هي بطون من قضاة كمال قال الحافظ في الفتح.

* وقيل إنها سُميت ذات السلاسل لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض بالسلاسل مخافة أن يفروا، وقيل لأن بها ماءً يقال له السلسل، وقال ابن سعد: إنها وراء وادي ذي القرى وبينها وبين المدينة عشرة أيام.

(١) الرحيق المختوم (ص ٤٢٤).

(٢) فتح الباري (٨/ ٧٤).

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

أحداثها

* عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال: «بعث إلى رسول الله ﷺ، فقال: (خذ عليك ثيابك، وسلاحك، ثم ائتنى). فأتيته، وهو يتوضأ، فصعد في النظر، ثم طأطأ، فقال: (إنى أريد أن أبعثك على جيش^(١)) فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك من المال رغبة صالحة)، قال: قلت: يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال، ولكنى أسلمت رغبة في الإسلام، وأن أكون مع رسول الله ﷺ فقال: «يا عمرو نعم المال الصالح للفرء الصالح»^(٢).

* وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال: «إن رسول الله ﷺ بعثه في ذات السلاسل، فسأله أصحابه أن يوقدوا ناراً فمنعهم، فكلموا أبا بكر، فكلمه في ذلك، فقال: لا يوقد أحد منهم ناراً إلا قذفته فيها، قال: فلقوا العدو فهزمهم، فأرادوا أن يتبعوهم فمنعهم. فلما انصرفوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فسأله فقال: كرهت أن أذن لهم أن يوقدوا ناراً فيرى عدوهم قتلهم، وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد... فحمد أمره فقال: يا رسول الله من أحب الناس إليك؟ قال: (عائشة).

قلت: من الرجال: قال: (أبوها). قلت: ثم من؟ قال: (عمر) فعد رجالاً. فسكت مخافة أن يجعلنى في آخرهم»^(٣).

إن الله كان بكم رحيماً

* وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال: «احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيمنت، ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: (يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟) فأخبرته بالذي منعنى من الاغتسال، وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩] فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً»^(٤).

(١) جيش: جيش سرية ذات السلاسل.

(٢) أخرجه ابن حبان (٢٢٧٧)، وأحمد (١٩٧/٤)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٨٨٦)، وأحمد (٢٠٣/٤)، والحاكم (٤٢/٣ - ٤٣)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه أبو داود (٣٣٤)، وعلقه البخاري (٣٨٥/١)، وقواه الحافظ وصححه الحاكم (١٧٧/١) ووافقه

الذهبي.

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

وفي لفظ آخر: «عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص: «أن عمراً كان على سرية، فأصابهم بردٌ شديد لم يروا مثله، فخرج لصلاة الصبح، فقال: احتملت الباردة، ولكني والله ما رأيت برداً مثل هذا، فغسل مغابته^(١)، وتوضأ للصلاة، ثم صلى بهم، فلما قدم على رسول الله ﷺ، سأل رسول الله ﷺ أصحابه: (كيف وجدتم عمراً وصحبته؟) فأتوا عليه خيراً، وقالوا: يا رسول الله، صلى بنا وهو جنب، فأرسل إلى عمرو فسأله: فأخبره بذلك وبالذي لقي من البرد، وقال: إن الله قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾ [النساء: ٢٩]، ولو اغتسلت مت، فضحك رسول الله ﷺ.

(١) المغابن: الأرفاع وهي بواطن الأفخاذ عند الحوالب.

فتح مكة

قال الإمام ابن القيم: هو الفتح الأعظم الذي أعزَّ الله به دينه، ورسوله، وجنده، وحزبه الأمين، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هُدًى للعالمين من أيدي الكفار والمشركين، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء، وضربت أطنابُ عزِّه على مناكب الجوزاء، ودخل الناس به في دين الله أفواجاً، وأشرق به وجه الأرض ضياءً وابتهاجاً^(١).

سبب الغزوة

شغل المسلمون بعد عهد الحديبية بنشر الدعوة وعرض تعاليم الإسلام على كل ذي عقل. وكان وفاءهم لقريش أمراً مقررّاً فيما أحبوا وفيما كرهوا - ورأى الناس من ذلك الآيات البينات.

لكن قريشاً ظلت على جمودها القديم في إدارة سياستها، غير واعية للأحداث الخطيرة التي غيرت مجرى الأحوال في الجزيرة العربية، وتوشك أن تغيره في العالم كله.

وقد جرَّها فقدان هذا الوعي إلى حماقة كبيرة أصبح بعدها عهد الحديبية لغواً. وذلك أنها - مع حلفائها من بني بكر - هاجموا خزاعة - وهي مع المسلمين في حلف واحد - وقتلواهم فأصابوا منهم رجالاً^(٢).

❦ قال محمد بن إسحاق في المغازي: حدثني الزهري عن عروة بن الزبير، عن المسور ابن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه جميعاً قالا: «كان في صلح رسول الله يوم الحديبية بينه وبين قريش أنه من شاء أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل» فتوالت خزاعة، فقالوا: نحن ندخل في عقد

(١) زاد المعاد (٣/ ٣٩٤).

(٢) فقه السيرة للغزالي (ص ٤١٧).

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

محمد ﷺ وعهده، وتوثبت بنو بكر، فقالوا: نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم، فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة والثمانية عشر شهراً.

ثم إن بنى بكر الذين كانوا دخلوا في عقد قرش وعهدهم، وثبوا على خزاعة الذين دخلوا في عقد رسول الله وعهده ليلاً بماء لهم يقال له: الوثير قريب من مكة، فقالت قريش: ما يعلم بنا محمد، وهذا الليل وما يرانا أحد، فأعانوهم بالكراع والسلاح، فقاتلوهم معه للطعن على رسول الله ﷺ، وأن عمرو بن سالم ركب إلى رسول الله ﷺ عندما كان من أمر خزاعة وبنى بكر بالوثير حتى قدم المدينة على رسول الله ﷺ يخبره الخبر وقد قال أبيات شعر، فلما قدم على رسول الله ﷺ أنشده إياها:

يا رب إني ناشد محمداً	حلف أبينا وأبيسه الأتلاًدا ^(١)
قد كنتم ولدأ وكنا والدأ	ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا ^(٢)
فانصر رسول الله نصراً أعتدا ^(٣)	وادع عباد الله يأتون مددا ^(٤)
فيهم رسول الله قد تجردا	أن سيم خسفا وجهه تربدا ^(٥)
في فيلق ^(٦) كالبحر يجرى مزبدا	أن قريشاً أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا	وزعموا أن لست أدعو أحدا
فهم أذل وأقل عددا	قد جعلوا لى بكداء مرصدا ^(٧)
هم بيتونا بالوثير هجدا	وقتلونا ركعاً وسجدا ^(٨)

فقال رسول الله ﷺ: (نُصرت يا عمرو بن سالم)، فما برح رسول الله ﷺ مرت عنانة في السماء، فقال رسول الله ﷺ: (إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب)^(٩).

(١) الأتلد: القديم.

(٢) ونزع يدا: لم نقض عهدنا فترجع عن الإسلام.

(٣) نصراً أعتدا: أى حاضراً.

(٤) المدد: العون.

(٥) سيم خسف: طلب منه وكلفه، الخسف: الذل، تربد: تغير.

(٦) الفيلق: الجيش.

(٧) كداء: موضع بمكة، الرصد: الذى يترصد للأمر ويطلبه، أو الكمين.

(٨) الوثير: اسم ماء، هجد: جمع هاجد ويطلق على النائم أو المستيقظ.

(٩) أخرجه ابن إسحاق في المغازي، وسنده صحيح، ورجاله ثقات صرح فيه ابن إسحاق بالتحديث، انظر =

* ثم خرج بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءٍ فِي نَفَرٍ مِنْ خُرَاعَةَ، حَتَّى قَدَمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرُوهُ بِمَا أَصِيبَ مِنْهُمْ، وَبِمُظَاهَرَةِ قُرَيْشِ بْنِيْ بَكْرٍ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلنَّاسِ: «كَأَنَّكُمْ بِأَيِّ سَفْيَانٍ، وَقَدْ جَاءَ لِيَشُدَّ الْعَقْدَ وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ».

وَمَضَى بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءٍ فِي أَصْحَابِهِ حَتَّى لَقُوا أَبَا سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ بِعُسْفَانَ وَقَدْ بَعَثَهُ قُرَيْشٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَشُدَّ الْعَقْدَ، وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ، وَقَدْ رَهَبُوا الَّذِي صَنَعُوا، فَلَمَّا لَقِيَ أَبُو سَفْيَانَ بُدَيْلَ بْنَ وَرْقَاءٍ، قَالَ: مَنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ يَا بُدَيْلُ؟ فَظَنَ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: سِرْتُ فِي خُرَاعَةَ فِي هَذَا السَّاحِلِ، وَفِي بَطْنِ هَذَا الْوَادِي، قَالَ: أَوْ مَا جِئْتَ مُحَمَّدًا؟ قَالَ: لَا، فَلَمَّا رَاحَ بُدَيْلٌ إِلَى مَكَّةَ، قَالَ أَبُو سَفْيَانَ: لَنْ كَانَ جَاءَ الْمَدِينَةَ، لَقَدْ عَلَفَ بِهَا النَّوَى، فَأَتَى مَبْرَكَ رَاحِلَتِهِ، فَأَخَذَ مِنْ بَعْرِهَا، فَفَتَّهَ، فَرَأَى فِيهَا النَّوَى، فَقَالَ: أَحْلَفُ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَ بُدَيْلٌ مُحَمَّدًا.

ثُمَّ خَرَجَ أَبُو سَفْيَانَ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَدَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ أُمِّ حَبِيبَةَ، فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَجْلِسَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، طَوَّتَهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّةُ مَا أَدْرِي أَرُغِبُ بِي عَنْ هَذَا الْفِرَاشِ، أَمْ رَغِبْتَ بِهِ عَنِّي؟ قَالَتْ: بَلْ هُوَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنْتَ مُشْرِكٌ نَجَسٌ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَكَ بَعْدِي شَرٌّ^(١).

= الإصابة في تمييز الصحابة (٥٢٩/٢)، ترجمة عمرو بن سالم رقم (٥٨٣٧)، ابن كثير في السيرة (٣/٥٢٦، ٥٢٧)، البيهقي في دلائل النبوة (٥/٥ - ٧)، وانظر الحديث بطوله هناك فإن فيه قدوم أبي سفيان بن حرب لتجديد العقد، وموقف الصحابة رضوان الله عليهم منه، ودعاء النبي ﷺ بتعمية الأخبار عن قريش، ولهذا الحديث شاهد من حديث ميمونة بنت الحارث أخرجه الطبراني في المعجم الصغير حديث رقم (٩٦٨)، الروض الداني إلى معجم الطبراني بإسناد ضعيف، وفي الكبير (٢٣/٤٣٣). وله شاهد من حديث عائشة قال الهيثمي في المجمع (٦/١٦١، ١٦٢)، رواه أبو يعلى عن حزام بن هشام عن أبيه عن عائشة وقد وثقهما ابن حبان وبقية رجاله رجال الصحيح وقد ضعف هذه الحادثة غير واحد لأنهم لم يطلعوا على إسنادها، فهذا الإسناد كما أوردناه في بداية الحادثة وبذلك يزول سبب التضعيف والحمد لله.

(١) زاد المعاد (٣/٣٩٦، ٣٩٧).

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فدّم وأسفّ

وليس هناك من شك في أن انتصار قريش لحلفائها ودعمها لهم على حلفاء المسلمين، هو نقض صريح لبنود صلح الحديبية أدركت قريش أخطاره، وندمت على فعلها له، ولذلك فإنها بادرت إلى إرسال أبي سفيان إلى المدينة بهدف تجديد المعاهدة، وتشير بعض الروايات إلى أن النبي ﷺ أرسل إلى قريش^(١) يخبرهم بين دفع دية قتلى خزاعة، أو البراءة من حلف بنى بكر، أو القتال، فاختارت الحرب، ثم ندمت فبادرت إلى إرسال أبي سفيان كما أسلفنا، لكنه عاد خائباً^(٢)، فقد فشل في الحصول على أى وعد بتجديد المعاهدة التى تضمنت بنود صلح الحديبية^(٣).

الاستعداد لفتح مكة

بدأت الاستعدادات لحشد القوة الإسلامية القصوى المستطاعة، وكان لابد من أن يُعلم النبي ﷺ أصحابه بأنه سائر إلى مكة، ثم استنفر القبائل التى تقطن قرب المدينة: سُلَيْمًا وأشجع ومزينة وأسلم وغفاراً، فمنهم من التحق بالجيش الإسلامى فى المدينة، ومنهم من التحق بالمسلمين فى الطريق إلى مكة، وقد ارتفعت معنويات المسلمين كثيراً، وكان حسان بن ثابت يلقى شعره الذى يُذكر فيه بمصائب خزاعة، ونقض المشركين للعهد، ويحرض المسلمين على القتال، وبلغ عدد جيش المسلمين عشرة آلاف مقاتل، وأوعب مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار فلم يتخلف عنه منهم أحد، وهذا يدل على مدى تعاظم قوات المسلمين خلال فترة السنة ونصف التى أعقبت صلح

(١) ابن حجر - المطالب العالمة (٢٣٤/٤)، بإسناد صحيح، فتح البارى (٦/٨) (حديث ٤٢٨٠)، ابن كثير - البداية والنهاية (٢٨١/٤)، الواقدي - المغازى (٧٨٦/٢-٧) وعنده أن اسم مبعوث النبي ﷺ إلى قريش هو حمزة.

(٢) ابن حجر - فتح البارى (٦/٨) عن مرسل عكرمة عن ابن أبي شيبه، وابن إسحاق معلقاً، ابن كثير - البداية والنهاية (٣١٢/٤).

(٣) فقد رده أبو بكر وعمر وعلى وفاطمة، وأغلظ عليه عمر فى الرد، وأبت ابنته أم المؤمنين أم حبيبة أن تسمح له بالجلوس على فراش رسول الله ﷺ وقالت له: «إنك رجل مشرك نجس»، وحين كلم النبي ﷺ فإنه لم يجبه بشيء. ابن كثير - البداية (٣١٣/٤ - ١٤)، البيهقي - دلائل النبوة (١١/٩/٥)، السنن الكبرى (١٢٠/٩)، الصنعاني - المصنف (٣٧٥/٥). بإسناد صحيح، وهو جزء من رواية ابن إسحاق الطويلة فى فتح مكة، ابن هشام - السيرة (٣٨٩/٢)، بدون إسناد.

رفع

عن الشيخ الفقيه
أبي بكر بن عبد الله

الحديبية^(١)، ورغم ذلك فقد التزم الجميع بالسرية التامة وحُجبت الأخبار تماماً عن قرش^(٢) مما يعكس مدى الضبط والربط والالتزام الدقيق بأوامر القيادة والتقويم السليم للمصلحة الإسلامية العليا^(٣).

* قال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر عن عروة عن عائشة: «أن أبا بكر دخل على عائشة وهي تغربل حنطة، فقال: ما هذا؟ أمركم رسول الله ﷺ بالجهاز؟ قالت: نعم فتجهز، قال: وإلى أين؟ قالت: ما سمى لنا شيئاً غير أنه قد أمرنا بالجهاز»^(٤).

رسالة حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة

وقع في هذه الفترة الدقيقة حادث مستغرب. فإن رجلاً من أهل السابقة في جهاد المشركين تطوع بإرسال كتاب إلى قريش يخبرهم فيه أن محمداً ﷺ سائر إليهم بجيشه. وقد رأيت أن المسلمين حراس على إخفاء خطة الغزو^(٥).

* عن (علي) - رضى الله عنه - قال: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها طعينة معها كتاب، فخذوه منها، قال: فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالمرأة فقلنا: اخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب، أو لنلقين الثياب، قال: فأخرجته من عقاصها.

فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة - إلى ناس من المشركين من أهل مكة - يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ: فقال رسول الله ﷺ: (يا حاطب ما هذا؟) قال: يا رسول الله، لا تعجل علي، إني كنت امرءاً ملصقاً في قرش - يقول: كنت حليفاً - ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين من لهم بها قرابات يحمون بها أهلهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، ولم أفعله كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضاء بالكفر بعد الإسلام.

(١) انظر تعليق ابن هشام على تقويم الزهري لأهمية صلح الحديبية ابن هشام - السيرة (٣/٢٢٢)، والعمري - السيرة النبوية الصحيحة (٢/٤٧٤).

(٢) ابن حجر - المطالب العلية (٤/٢٤٤).

(٣) نضرة النعيم (١/٣٦٤).

(٤) أخرجه ابن إسحاق في المغازي بسند صحيح رجاله ثقات، وقد صرح بالتخديت، فزال شبهة تدليس،

ابن كثير في السيرة النبوية (٣/٥٣٥).

(٥) فقه السيرة للغزالي (ص ٤١٩).

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فقال رسول الله ﷺ (صدق). فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال: (إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر قال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم)، فأُنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١] (١).

وقت الغزوة

كانت غزوة الفتح سنة ثمان للهجرة والذي اتفق عليه أهل السير أنه خرج ﷺ في عاشر رمضان ودخل مكة لتسع عشرة ليلة خلت منه (٢).

وكان عدد من خرج مع النبي ﷺ عشرة آلاف من جنود الإسلام من سائر القبائل، وكان النبي صائمًا حتى بلغ الكديد أفطر وأفطروا... عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن النبي ﷺ خرج في رمضان من المدينة ومعه عشرة آلاف، وذلك على رأس ثمان سنين ونصف من مقدمه المدينة، فسار هو ومن معه من المسلمين إلى مكة يصوم ويصومون، حتى بلغ الكديد - وهو ماء بين عفان وقديد - أفطر وأفطروا (٣).

النبي ﷺ يستخلف أبا رهم الغفاري على المدينة

* عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: «ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره، واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن الحصين بن عتبة بن خلف الغفاري، وخرج لعشر مضين من رمضان فصام رسول الله وصام الناس معه حتى إذا كانوا بالكديد بين عفان وأمع أفطر ثم مضى حتى نزل مر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين» (٤).

(١) أخرجه البخاري (٣٩٨٣) المغازي، ومسلم (٢٤٩٤) فضائل الصحابة - واللفظ لمسلم -.

(٢) فتح الباري (١٨١/٤).

(٣) أخرجه البخاري (٤٢٧٦) المغازي.

(٤) قال الهيثمي في المجمع: (١٦٤/٦) في الصحيح طرف منه في الصيام. رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق صرح بالسماع، سيرة ابن هشام: (٣٩٩/٢ - ٤٠٠) وصححه ابن حجر في المطالب العالية (٢٣٨/٤)، وصححه الحاكم (٤٤/٣)، ووافقه الذهبي.

وعن جابر بن عبد الله - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -: «أن رسول الله ﷺ خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان، فصام حتى بلغ كراع الغميم، فصام الناس، ثم دعا بقدح ماء فرفعه حتى نظر الناس، ثم شرب، فقليل له بعد ذلك أن بعض الناس قد صام: فقال: أولئك العصاة، أولئك العصاة» (١).

قصة إسلام أبي سفيان بن الحارث وعبد الله بن أمية

ومضى النبي ﷺ وأصحابه حتى نزل مرَّ الظَّهْران، ومعه عشرة آلاف، وعمى الله الأخبار عن قريش، فهم على وَجَلٍ وارتقاب، وكان أبو سفيان يخرج يتحسَّس الأخبار؟ فخرج هو وحكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء يتحسَّسون الأخبار، وكان العباس قد خرج قبل ذلك بأهله وعياله مسلماً مهاجراً، فلقى رسول الله ﷺ بالجُحفة.

* وكان أبو سفيان بن الحارث وعبد الله ابن أبي أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله ﷺ ثنية العقاب فيما بين مكة والمدينة، فالتمسا الدخول عليه، فكلمته أم سلمة فقالت: يا رسول الله ابن عمك، وابن عمك، وصهرك، فقال: (لا حاجة لي فيهما أما ابن عمي، فهتك عرضي، وأما ابن عمتي وصهرى، فهو الذي قال لي بمكة ما قال).

فلما خرج الخبر إليهما بذلك ومع أبي سفيان بن الحارث ابن له فقال: والله لنبأذن رسول الله ﷺ، أو لآخذن بيد ابني هذا، ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً أو جوعاً، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رقى لهما، فدخلا عليه، فأنشده أبو سفيان قوله في إسلامه واعتذاره مما كان مضى فيه فقال:

لَعَمْرُكَ إِنِّي حِينَ أَحْمِلُ رَايَةً	لَتَغْلِبَ خَيْلُ اللَّاتِ خَيْلَ مُحَمَّدٍ
لَكَامُذَلِّجِ الْخَيْرَانِ أَظْلَمَ لَيْلُهُ	فَهَذَا أَوَانِي حِينَ أَهْدَى فَأَهْتَدِي
هَدَانِي هَادٍ غَيْرُ نَفْسِي وَدَلَّنِي	عَلَى اللَّهِ مَنْ طَرَدَتْ كُلَّ مَطَرَةٍ

فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال: «أَنْتَ طَرَدْتَنِي كُلَّ مَطَرَةٍ» (٢)؛ (٣)

(١) أخرجه مسلم (١١١٤) الصيام.

(٢) زاد المعاد (٣/٤٠٠).

(٣) أخرجه الحاكم (٣/٤٣، ٤٤) من حديث ابن عباس، وسنده جيد، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

قصة إسلام أبي سفيان

«فلما نزل رسول الله ﷺ بمر الظهران قال العباس: واصباح قريش، والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يستأمنوه إنه لهلاك قريش آخر الدهر.

قال: فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، فخرجت عليها حتى جئت الأراك، فقلت: لعلني ألقى بعض الخطابة أو صاحب لبن، أو ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة، قال: فوالله إنني لأسير عليها، وألتمس ما خرجت له إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء، وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالיום قط نيراناً ولا عسكرًا، قال: يقول بديل: هذه والله نيران خزاعة قد حمشها الحرب فقال أبو سفيان: خزاعة والله أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها فقلت: يا أبا حنظلة، تعرف صوتي؟ فقال: أبو الفضل؟ قلت: نعم، قال: ما لك فذاك أبي وأمي؟ فقلت: هذا والله رسول الله في الناس، واصباح قريش! قال: فما الحيلة، فذاك أبي وأمي؟ قال: قلت: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب عجز هذه البغلة، فركب، ورجع صاحبا، فخرجت به فكلما مررت بنار من نيران المسلمين، فقالوا: ما هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ عليها عمه قالوا: هذه بغلة رسول الله ﷺ عليها عمه، حتى مررنا بنار عمر بن الخطاب فقال: من هذا؟ وقام إلي فلما رآه على عجز البغلة عرفه، فقال: والله عدو الله، الحمد لله الذي أمكن منك، فخرج يشند نحو رسول الله ﷺ ودخل، ورفعت البغلة فسبقته بقدر ما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء، فاقتحمت عن البغلة، فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عمر.

فقال: هذا عدو الله أبو سفيان قد أمكن الله منه، في غير عهد ولا عقد، فدعني أضرب عنقه، فقلت: قد أجرته يا رسول الله ﷺ ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه، فقلت: والله لا ينجيه الليلة رجل دوني، فلما أكثر عمر، قلت: مهلاً يا عمر، فوالله لو كان رجلاً من بني عدى ما قلت هذا، ولكنه من بني عبد مناف، فقال: مهلاً يا عباس، لا تقل هذا، فوالله لإسلامك حين أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب، أبي لو أسلم، وذلك أني عرفت أن إسلامك أحب إلى رسول الله من إسلام الخطاب، فقال رسول الله ﷺ: (يا عباس اذهب به إلى رحلك، فإذا أصبحت فائتنا به).

فذهبت به إلى الرحل، فلما أصبحت غدوت به، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: (ويحك

رفع
عن الرجل العجزي
(أسكن النبي ﷺ)

يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟ فقال: بأبى وأمى ما أحلمك، وأكرمك وأوصلك، وأعظم عفوك، لقد كاد أن يقع فى نفسى أن لو كان إله غيره لقد أغنى شيئاً بعد، فقال: (ويحك يا أبا سفيان: ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله؟) فقال: بأبى وأمى ما أحلمك، وأكرمك وأوصلك، وأعظم عفوك، أما هذا فكان فى النفس منها حتى الآن شىء.

قال العباس: فقلت: ويلك أسلم، واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن يضرب عنقك، فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قال العباس: فقلت: يا رسول الله! إن أبا سفيان يحب الفخر، فاجعل له شيئاً، فقال: (نعم... من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن).

فلما انصرف إلى مكة ليخبرهم، قال رسول الله ﷺ: (احبس به بمضيق من الوادى عند حطم الخيل^(١)، حتى تمر به جنود الله).

فحبسه العباس حيث أمره رسول الله ﷺ، فمرت القبائل على ركايبها، فكلما مرت قبيلة، قال: من هذه؟ فأقول: بنو سليم، فيقول: ما لى ولبنى سليم، ثم تمر أخرى فيقول: ما هؤلاء؟ فأقول: مزينة، فيقول: ما لى ولزينة، فلم يزل يقول ذلك حتى مرت كتيبة رسول الله ﷺ الخضراء^(٢)، فيها المهاجرون والأنصار، لا يرى منهم إلا الحدق^(٣)، قال: من هؤلاء؟ فقلت: هذا رسول الله فى المهاجرين والأنصار، فقال: ما لأحد بهؤلاء قبل^(٤)، والله لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم لعظيم - يعنى النبى ﷺ - فقلت: ويحك يا أبا سفيان، إنها النبوة، قال: فنعيم إذا، فقلت: النجاء إلى قومك.

فخرج حتى أتاهم مكة، فجعل يصيح بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد، قد أتاكم بما لا قبل لكم به، فقامت امرأته هند بنت عتبة، وأخذت بشاربه فقالت: اقتلوه الحميت^(٥) الدسم^(٦) فبئس طليعة قوم، فقال أبو سفيان: لا يغرنكم هذه من أنفسكم.

(١) حطم الخيل: أى ازدحامها وفى رواية خطم الخيل: أى أشبه.

(٢) الكتيبة الخضراء: ما غلب عليها لبس الحديد، شبه سواده بالخضرة، والسرب تطلق الخضرة على السواد.

(٣) الحدق: العيون.

(٤) قبل: طاقة ومقدرة.

(٥) الحميت: الرق.

(٦) الدسم الحمش: الأسود الدنى.

من دخل دار أبي سفيان فهو آمن. فقالوا: ويحك ما تغني عنا دارك. قال: ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد^(١).

هذا يوم يُعظم الله فيه الكعبة

«فلما سار قال للعباس: احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين، فحبسه العباس، فجعلت القبائل تمر مع النبي ﷺ: تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان، فمرت كتيبة فقال: يا عباس من هذه؟ فقال: هذه غفار، قال: ما لي ولغفار، ثم مرت جهينة، قال مثل ذلك، ثم مرت سعد بن هذيم، فقال مثل ذلك، ومرت سليم، فقال مثل ذلك، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها، قال: من هذه؟ قال: هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية، فقال سعد بن عبادة: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة، واليوم تستحل الكعبة. فقال أبو سفيان: يا عباس حبذا يوم الذمار...

ثم جاءت كتيبة وهي أقل الكتائب، فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه، وراية النبي ﷺ مع الزبير بن العوام، فلما مر رسول الله ﷺ بأبي سفيان قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة؟ قال: (ما قال؟) قال: قال كذا وكذا، فقال: (كذب سعد، ولكن هذا يوم يُعظم الله فيه الكعبة، ويوم تُكسى فيه الكعبة)^(٢).

* وعن أنس - رضي الله عنه - قال: «كان قيس «يعني ابن سعد بن عبادة» في مقدمة النبي ﷺ لما قدم مكة، فكلم سعد النبي ﷺ أن يصرفه عن الموضع الذي فيه مخافة أن يقدم على شيء فصرفه عن ذلك»^(٣).

* وقد اختلف أهل العلم فيمن حمل الراية بعد (سعد بن عبادة) فجمع الحفاظ ابن حجر بين هذه الأقوال فقال: «والمذكور أن الرسول عليه السلام أخذ الراية من سعد بن عبادة وأمر علياً بتنزعها منه، ثم ردها من علي بن أبي طالب إلى قيس بن سعد بن عبادة

(١) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٦٤ - ١٦٧)، وانظر المطالب العالية حديث رقم (٤٣٦٢) حيث قال: أخرجه إسحاق بن راهويه، وقال ابن حجر: هذا حديث صحيح. وأخرج البخاري من مرسل عروة في المغازي باب أين ركز النبي الراية يوم الفتح حديث رقم (٤٢٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٨٠) المغازي.

(٣) أخرجه البزار في كشف الاستار حديث رقم (١٨١٩)، وقال الهيثمي في المجمع: (٦/ ١٧٥)، رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح، وقال الحفاظ في الفتح (٩/ ٨) إسناده على شرط البخاري.

رفع

عبد الرحمن النجدي
(أسكنه الله الفردوس)

خشية تغير خاطر سعد، فأمر بدفعها لابنه، ثم إن سعد بن عبادَةَ خشي أن يقع من ابنه شيء ينكره النبي ﷺ، فسأل النبي ﷺ أن يأخذها منه، فحيثُ أخذها الزبير^(١).

فالمحيا محياكم والممات مماتكم

ففى الحديث السابق عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أنه قال: (.. ثم أتى الصفا، فعلاه حيث ينظر إلى البيت، فرفع يديه، فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره، ويدعوه، قال: والأنصار تحته، قال يقول بعضهم لبعض: أما الرجل فأدركته رغبة فى قريته، ورأفة بعشيرته.

قال أبو هريرة: وجاء الوحي. وكان إذا جاء الوحي لا يخفى علينا. فإذا جاء فليس أحد يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى ينقضى الوحي. فلما انقضى الوحي قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الأنصار! قالوا: لبيك. يا رسول الله! قال: «قلتم: أما الرجل فأدركته رغبة فى قريته». قالوا: قد كان ذاك. قال: «كلا. إني عبد الله ورسوله. هاجرت إلى الله وإليك. والمحيا محياكم. والممات مماتكم». فأقبلوا إليه يبكون ويقولون: والله! ما قلنا الذى قلنا إلا الضن بالله وبرسوله. فقال رسول الله ﷺ: «إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم»^(٢).

محاولات يائسة

وسار رسول الله ﷺ، فدخل مكة من أعلاها، وضربت له هنالك قبة، وأمر رسول الله ﷺ خالد بن الوليد أن يدخلها من أسفلها، وكان على المجنبه اليمنى، وفيها أسلم، وسليم، وغفار، ومزينة، وجهينة، وقبائل من قبائل العرب، وكان أبو عبيدة على الرجالة والحسر، وهم الذين لا سلاح معهم، وقال لخالد ومن معه: إن عرض لكم أحد من قريش، فاخصدوهم حصداً حتى توافوني على الصفا، فما عرض لهم أحد إلا أناموه، وتجمع سفهاء قريش وأخفاؤها مع عكرمة بن أبى جهل، وصفوان ابن أمية، وسهيل بن عمرو بالخدمة ليقاتلوا المسلمين، وكان حماس بن قيس بن خالد أخو بنى بكر يعد سلاحاً قبل دخول رسول الله ﷺ، فقالت له امرأته: لماذا تعد ما أرى؟ قال:

(١) فتح البارى (٩/٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٨٠) (٨٤) الجهاد والسير.

لمحمد وأصحابه، قالت: والله ما يقوم لمحمد وأصحابه شيء، قال: إني والله لأرجو أن أُخْدمَكَ بعضهم، ثم قال:

إِنْ يُقْبِلُوا الْيَوْمَ فَمَالِي عَلَيْهِ هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَأَلَهُ
وَذُو غَرَارَيْنِ سَرِيعُ السَّلَةِ^(١)

ثم شهد الخندمة مع صفوان وعكرمة وسهيل بن عمرو، فلما لقيهم المسلمون ناوشوهم شيئاً من قتال، فقتل كُرْز بن جابر الفهري، وخُتيس ابن خالد بن ربيعة من المسلمين، وكانا في خيل خالد بن الوليد فشدّاً عنه، فسلكا طريقاً غير طريقه، فقتلا جميعاً، وأصيب من المشركين نحو اثني عشر رجلاً، ثم انهزموا، وانهزم حماس صاحب السلاح حتى دخل بيته، فقال لامرأته: أغلّقي على بابي، فقالت: وأين ما كنت تقول؟ فقال:

إِنَّكَ لَوْ شَهِدْتَ يَوْمَ الْخَنْدَمَةِ إِذْ فَرَّ صَفْوَانٌ وَفَرَّ عَكْرَمَةُ
وَأَسْتَقْبَلْتَنَا بِالسُّيُوفِ الْمُسْلِمَةِ يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمْجُمَةٍ
ضَرْبًا فَلَا نَسْمَعُ إِلَّا غَمْغَمَةً لَهُمْ نَهَيْتُ حَوْلَنَا وَهَمَّهَمَةً
لَمْ تَنْطِقِي فِي اللَّوْمِ أَذْنِي كَلِمَةً

وقال أبو هريرة: أقبل رسول الله ﷺ، فدخل مكة، فبعث الزبير على إحدى المجنبتين، وبعث خالد بن الوليد على المجنبة الأخرى، وبعث أبا عبيدة بن الجراح على الحُسر، وأخذوا بطن الوادي ورسول الله ﷺ في كتيبه، قال: وقد وبشت قريش أوباشاً لها، فقالوا: نقدم هؤلاء، فإن كان لقريش شيء كنا معهم، وإن أصيبوا أعطينا الذي سألنا، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا هريرة؟ فقلت: لبيك رسول الله وسعديك، فقال: «اهتف لي بالأنصار^(٢) ولا يأتيني إلا أنصاري»، قال: فأطافوا به^(٣).^(٤)

فقال: «يا معشر الأنصار، هل ترون أوباش قريش؟» قالوا: نعم. قال: «انظروا. إذا

(١) الأله: الحرية لها ستان طويل، وذو غرارين: سيف ذو حدين.

(٢) اهتف لي بالأنصار: صح بهم وادعهم لي.

(٣) أطافوا به: أحاطوا به.

(٤) زاد المعاد (٣/ ٤٠٤ - ٤٠٦).

لقيتموهم غداً أن تحصدوهم حصداً» وأخفى بيده ووضع يمينه على شماله. وقال: «موعدكم الصفا» قال: فما أشرف يومئذ لهم أحد إلا أناموه. قال: وصعد رسول الله ﷺ الصفا وجاءت الأنصار. فأطافوا بالصفا. فجاء أبو سفيان فقال: يا رسول الله! أبديت خضراً قريش. لا قريش بعد اليوم. قال أبو سفيان: قال رسول الله ﷺ: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن. ومن ألقى السلاح فهو آمن. ومن أغلق بابه فهو آمن»^(١).

ماذا كان يلبس النبي ﷺ أثناء دخوله مكة

* عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما -: (أن رسول الله ﷺ دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام)^(٢).

* وقد جاء أيضاً من حديث عمرو بن حريث «أن النبي ﷺ كان يوم فتح مكة يلبس عمامة حرقانية سوداء»^(٣).

النبي ﷺ يقرأ سورة الفتح

* عن عبد الله بن مغفل - رضى الله عنه - قال: «رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته، وهو يقرأ سورة الفتح يرجع، وقال: لولا أن يجتمع الناس حولي لرجعت كما رجعت»^(٤).

* وهكذا لم يدخل النبي ﷺ مكة دخول الفاتحين، بل إنه دخل خاشعاً لله تعالى وهو يقرأ سورة الفتح ويرجع في قراءتها وهو على راحلته^(٥)، وقد دخل المسجد الحرام وطاف بالكعبة المشرفة فاستلم الركن بحجته كراهة أن يزاحم الطائفين ولكي يعلم أبناء الأمة آداب الطواف... وأعلن ﷺ حرمة مكة وبأنها لا تغزى بعد الفتح^(٦)، ورفع من مكانة قريش وأمر بالقتل قرشى صبراً بعد الفتح وإلى يوم القيامة^(٧).

(١) أخرجه مسلم (١٧٨٠) (٨٦) الجهاد والسير.

(٢) أخرجه مسلم (١٣٥٨) الحج.

(٣) أخرجه مسلم (١٣٥٩) الحج.

(٤) أخرجه البخاري (٤٢٨١) المغازي، ومسلم (٧٩٤) صلاة المسافرين.

(٥) أخرجه البخاري (٤٢٨١).

(٦) أخرجه الترمذي (٨٣/٣) .. وهو حسن صحيح.

(٧) نضرة النعيم (١/٣٦٩).

رَفَعُ

عبد الرحمن الفوزاني
أسكنه الله الفردوس

راية النبي ﷺ يوم الفتح

✽ وركزت راية النبي ﷺ يوم الفتح بالحجون كما جاء في مرسل عروة بن الزبير الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه^(١).

النبي ﷺ يظهر المسجد الحرام من الأصنام

وسكنت مكة واستسلم ساداتها وأتباعها. وعلت كلمة الله في جنباتها، ثم نهض رسول الله إلى البيت العتيق فطوّف به وأخذ يكسر الأصنام المصفوفة حوله. ويضربها بقوسه ظهراً لبطن، فتقع على الأرض مهشمة متناثرة.

كانت هذه الحجارة - قبل ساعة - آلهة مقدسة وهي - الآن - حص وتراب وأنقاض! يهدمها نبي التوحيد وهو يقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] (٢).

✽ عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - قال: «دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح، وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب، فجعل يطعن بها بعود في يده، ويقول: (جاء الحق، وزهق الباطل، جاء الحق، وما يُبدى الباطل وما يعيد)» (٣).

✽ وعن أبي هريرة (في حديثه السابق): قال: «... وأغلق الناس أبوابهم. قال: وأقبل رسول الله ﷺ حتى أقبل إلى الحجر. فاستلمه. ثم طاف بالبيت. قال: فأتى على صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه. قال: وفي يد رسول الله ﷺ قوس. وهو آخذ بسية (٤) القوس. فلما أتى على الصنم جعل يطعنه في عينه ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل». فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلا عليه. حتى نظر إلى البيت. ورفع يديه. فجعل يحمد الله ويدعو بما شاء أن يدعو (٥).

✽ وعن جابر - رضى الله عنه - قال: «دخلنا مع النبي ﷺ مكة في البيت، وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً تُعبد من دون الله، قال: فأمر بها رسول الله ﷺ فكُتبت كلها

(١) سبق تخريجه.

(٢) فقه السيرة للغزالي (ص ٤٢٦).

(٣) أخرجه البخاري (٤٢٨٧) المغازي، ومسلم (١٧٨١) الجهاد.

(٤) بسية القوس: طرفها المنحنى.

(٥) أخرجه مسلم (١٧٨٠) (٨٤) الجهاد والسير.

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

لوجوهها، ثم قال: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] ثم دخل رسول الله ﷺ البيت فصلى ركعتين، فرأى فيه تمثال إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وقد جعلوا في يد إبراهيم الأزام يستقسم بها، فقال رسول الله ﷺ: (قاتلهم الله، ما كان إبراهيم يستقسم بالأزلام)، ثم دعا رسول الله ﷺ بزعفران فلطخه بتلك التماثيل^(١).

النبي ﷺ يصلي داخل الكعبة

* عن ابن عمر - رضي الله عنهما -: «أن رسول الله ﷺ أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مردفًا أسامة بن زيد، ومعه بلال، ومعه عثمان ابن طلحة من الحجة حتى أناخ في المسجد، فأمره أن يأتي بمفتاح البيت، ففتح ودخل رسول الله ﷺ، ومعه أسامة وبلال وعثمان، فمكث فيه نهاراً طويلاً، ثم خرج فاستبق الناس، فكان عبد الله ابن عمر أول من دخل، فوجد بلالاً وراء الباب قائماً فسأله، أين صلى رسول الله ﷺ؟ فأشار له إلى المكان الذي صلى فيه، قال عبد الله: فنسيت أن أسأله: كم صلى من سجدة»^(٢).

وقد جاء من حديث ابن عباس المروى في صحيح البخارى ومسلم وعند أحمد «أن النبي ﷺ لم يصل في داخل الكعبة»، والصحيح والله أعلم أن المثلث مقدم على النافي والذين دخلوا مع النبي ﷺ هم الذين رويوا أنه صلى داخلها، وهم أعلم بذلك ممن لم يدخل معه وهو ابن عباس، وقال الإمام النووى - رحمه الله -: «أجمع أهل الحديث على الأخذ برواية بلال، لأنه مثبت فمعه زيادة علم فواجب ترجيحه»^(٣).

وأما القول أن ابن عباس روى عدم الصلاة في الكعبة عن أخيه الفضل وهو ممن دخل مع النبي ﷺ فلعل الفضل قد اشتغل بالدعاء، ولذلك لم ير النبي ﷺ والله أعلم^(٤).

(١) أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف حديث رقم (١٨٧٥١)، وحسنه الحافظ ابن حجر في المطالب

العالية حديث رقم (٤٣٦٤)، وحسنه البوصيرى أيضاً، وقد جاء قريباً من هذا اللفظ من حديث ابن

عباس عند البخارى حديث رقم (٣٣٥٢)، وأبو داود (٢٠٢٧).

(٢) أخرجه البخارى (٢٩٨٨) الجهاد، ومسلم (١٣٢٩) الحج.

(٣) الفتح الربانى (١٥٦/٢١).

(٤) صحيح السيرة النبوية (ص ٥٣١).

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

إن أكرمكم عند الله أتقاكم

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم فتح مكة فقال:

«يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاظمها بآبائها فالناس رجلان: رجل بر تقى كريم على الله، وفاجر شقى هين على الله والناس بنو آدم وخلق الله آدم من التراب قال الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]»^(١).

لا تشريب عليكم اليوم

ثم قال لهم النبي ﷺ: «يا معشر قريش، ما ترون أنى فاعل بكم؟» قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: «فإنى أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: ﴿لَا تَشْرِبْ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٦٢]، اذهبوا فأنتم الطلقاء»^(٢).

اليوم يوم بر ووفاء

ثم جلس في المسجد، فقام إليه على - رضي الله عنه - ومفتاح الكعبة في يده، فقال: يا رسول الله! اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك، فقال رسول الله ﷺ: «أين عثمان بن طلحة؟» فدعى له.

فقال له: (هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر ووفاء»^(٣).

* وذكر ابن سعد في «الطبقات» عن عثمان بن طلحة، قال: كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الإثنين، والخميس، فأقبل رسول الله ﷺ يوماً يريد أن يدخل الكعبة مع الناس، فأغلظت له، ونلت منه، فحلّم عني، ثم قال: «يا عثمان لعلك ستري هذا المفتاح

(١) رواه الترمذى (٣٢٧٠)، وهو في صحيح الجامع (٧٨٦٧)، وفي الصحيحة (٢٧٠٠).

(٢) أخرجه ابن هشام في «السيرة» (٨٧٠/٤) عن ابن إسحاق معضلاً، وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (٥٧/٥ - ٥٨)، علقه في «السنن» (١٨/٩) من حديث أبي هريرة دون قوله «اذهبوا...» وسنده حسن، وانظر الدر المنثور (٦٢/٤).

(٣) ابن هشام (٤١٢/٢).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

يوماً بيدى أضعه حيث شئت، فقلت: لقد هلك قريش يومئذ وذلت، فقال: بل عمرت وعزت يومئذ، ودخل الكعبة، فوقعت كلمته منى موقعاً ظننت يومئذ أن الأمر سيصير إلى ما قال، فلما كان يوم الفتح، قال: يا عثمان اتنى بالمفتاح، فأتيته به، فأخذه منى، ثم دفعه إلى وقال: خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم. يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته، فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف، قال: فلما وليت، ناداني، فرجعت إليه فقال: «ألم يكن الذي قلت لك؟» قال: فذكرت قوله لى بمكة قبل الهجرة: لعلك ستري هذا المفتاح بيدى أضعه حيث شئت، فقلت: بلى أشهد أنك رسول الله^(١).

بلاّل يؤذن فوق الكعبة

وأمر رسول الله ﷺ بلالاً أن يصعد فيؤذن على الكعبة، وأبو سفيان ابن حرب، وعتاب بن أسيد، والحارث بن هشام، وأشراف قريش جلوس بفناء الكعبة، فقال عتاب: لقد أكرم الله أسيداً ألا يكون سماع هذا، فيسمع منه ما يغيظه، فقال الحارث: أما والله لو أعلم أنه حق لا تبعته، فقال أبو سفيان: أما والله لا أقول شيئاً، لو تكلمت، لأخبرت عنى هذه الحصباء، فخرج عليهم النبي ﷺ فقال لهم: «قد علمت الذي قلتم» ثم ذكر ذلك لهم، فقال الحارث وعتاب: نشهد أنك رسول الله، والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا، فنقول: أخبرك^(٢).

قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ

قال الإمام ابن القيم:

ثم دخل رسول الله ﷺ دار أم هانئ بنت أبي طالب فاغتسل، وصلى ثمان ركعات فى بيتها، وكانت ضحى، فظنها من ظنها صلاة الضحى، وإنما هذه صلاة الفتح، وكان أمراء الإسلام إذا فتحوا حصناً أو بلداً، صلوا عقيب الفتح هذه الصلاة اقتداءً برسول الله ﷺ... وفى القصة ما يدل على أنها بسبب الفتح شكراً لله عليه، فإنها قالت: ما رأيته صلاها قبلها ولا بعدها^(٣).

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ١٣٦، ١٣٧)، وانظر «شرح المواهب» (٢/ ٣٤٠، ٣٤١)، وانظر زاد المعاد (٣/ ٤٠٨ - ٤٠٩).

(٢) ابن هشام (٢/ ٤١٣)، زاد المعاد (٣/ ٤٠٩ - ٤١٠).

(٣) زاد المعاد (٣/ ٤١٠).

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

✽ عن أم هانئ - رَضِيَ اللهُ عنها - قالت: «ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل، وفاطمة ابنته تستره، قالت: فسلمت عليه فقال: (من هذه؟) فقلت: أنا أم هانئ، بنت أبي طالب فقال: (مرحباً بأم هانئ). فلما فرغ من غسله قام فصلى ثمانى ركعات ملتحفاً فى ثوب واحد، فلما انصرف قلت: يا رسول الله ﷺ زعم ابن أمى أنه قاتل رجلاً قد أجرته فلان بن هبيرة. فقال رسول الله ﷺ: (قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ) قالت: أم هانئ وذلك ضحى»^(١).

النبي ﷺ يهدر دم بعض المشركين

ولقد أهدر النبي ﷺ دماء أربعة رجال وامرأتين بسبب ما كانوا قد ألحقوه من أذى شديد وتكيل بالمسلمين فكان فى إهدار دمائهم عبرة للطغاة والمستهترين، ولكل من تُسَوَّل له نفسه الظلم والطغيان.

✽ قال الإمام ابن القيم:

ولما استقر الفتح، أَمَّنَ رسولُ الله ﷺ النَّاسَ كُلَّهُمْ إِلَّا تسعة نفر، فإنه أمر بقتلهم، وإن وجدوا تحت أستار الكعبة، وهم: عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وعكرمة بن أبي جهل، وعبد العزى بن خطل، والحارث بن نقيل بن وهب، ومقيس بن صبابه، وهبار بن الأسود، وقيتان لابن خطل، كانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ، وسارة مولاة لبعض بنى عبد المطلب.

فأما ابنُ أبي سَرَحٍ فأسلم، فجاء به عثمانُ بن عفان، فاستأمن له رسول الله ﷺ، فقبل منه بعد أن أمسك عنه رجاء أن يقوم إليه بعض الصحابة فيقتله، وكان قد أسلم قبل ذلك، وهاجر، ثم ارتد، ورجع إلى مكة.

وأما عكرمة بنُ أبي جهل، فاستأمنت له امرأته بعد أن فرَّ، فأمنه النبي ﷺ، فقدم وأسلم وحسن إسلامه.

وأما ابن خطل، والحارث، ومقيس، وإحدى القيتين، فقتلوا، وكان مقيس، قد أسلم، ثم ارتد وقتل، ولحق بالمشركين، وأما هبار بن الأسود، فهو الذى عرض لزينب بنت رسول الله ﷺ حين هاجرت، فخنس بها حتى سقطت على صخرة، وأسقطت جينها،

رفع
عبد الرحمن بن أبي بكر
أبو بكر بن عبد الرحمن

(١) أخرجه البخارى (٣٥٧) الصلاة، ومسلم (٣٣٦) صلاة المسافرين.

ففر، ثم أسلم وحسن إسلامه.

واستؤمن رسول الله ﷺ لسارة وإحدى القينتين. فأمنهما فأسلمتا^(١).

(وفي رواية) عن مصعب بن سعد عن سعد بن أبي وقاص قال: «لما كان يوم فتح مكة آمن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وامرأتين، وقال: (اقتلوهم، وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة، عكرمة بن أبي جهل، وعبد الله ابن خطل، ومقيس بن صبابه، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح).

فأما عبد الله بن خطل فأدرك وهو متعلق بأستار الكعبة، فاستبق إليه سعيد بن حريث، وعمار بن ياسر، فسبق سعيد عماراً، وكان أشب الرجلين، فقتله، وأما مقيس ابن صبابه، فأدركه الناس في السوق فقتلوه. وأما عكرمة، فركب البحر، فأصابتهم عاصف، فقال أصحاب السفينة أخلصوا فإن ألهتكم لا تغني عنكم شيئاً ههنا. فقال عكرمة: والله لئن لم ينجنني من البحر إلا الإخلاص لا ينجنني في البر غيره، اللهم إن لك على عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن أتى محمداً ﷺ حتى أضع يدي في يده، فلا جدنه عفواً كريماً... فجاء فأسلم. وأما عبد الله بن سعد بن أبي السرح فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان فلما دعا رسول الله ﷺ إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبي ﷺ قال: يا رسول الله بايع عبد الله قال: فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً كل ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال: (أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رأيته كفت يدي عن بيعته، فيقتله)، فقالوا: وما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك هلاً أو مأت إلينا بعينك، قال: (إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة أعين)^(٢).

وهكذا كانت أخلاق النبي ﷺ.

* وعن أنس - رضي الله عنه -: «أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعلى رأسه المغفر، فلما وضعه عن رأسه قيل: هذا ابن خطل متعلق بأستار الكعبة قال: (اقتلوه)^(٣).

* وعن أبي برزة الأسلمي - رضي الله عنه -: قال: (قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: الناس آمنون غير عبد العزى بن خطل)^(٤).

(١) زاد المعاد (٣/ ٤١١).

(٢) رواه النسائي (٧/ ١٠٥)، والحاكم (٣/ ٤٥) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه البخاري (٤٢٨٦) المغازي، ومسلم (١٣٥٧) الحج.

(٤) أخرجه أحمد في المسند: (٤/ ٤٢٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (٦/ ١٧٥). رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد ثقات.

إسلام والد أبي بكر الصديق - رضى الله عنه -

* وعن أسماء بنت أبي بكر - رضى الله عنهما - قالت: «لما وقف رسول الله ﷺ بذي طوى^(١) قال أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده: أى بنية اظهرينى على أبى قبيس^(٢) قالت: وقد كُفَّ بصره، قالت: فأشرفت به عليه، قال: يا بنية، ماذا ترين؟ قالت: أرى سواداً مجتمعاً، قال: تلك الخيل، قالت: وأرى رجلاً يسعى بين ذلك السواد مقبلاً ومدبراً، قال: يا بنية ذلك الوازع يعنى الذى يأمر الخيل، ويتقدم إليها، ثم قالت: قد والله انتشر السواد، قال: إذأً والله دفعت الخيل، فأسرعى بى إلى بيتى، فأنحطت به، وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته، وفى عنق الجارية طوق لها من ورق - يعنى فضة -، فتلقاها رجل، فاقتلعه منها.

قالت: فلما دخل رسول الله ﷺ مكة، ودخل المسجد أتاه أبو بكر - رضى الله عنه - بأبيه يقوده^(٣)، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: (هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتية فيه)، قال أبو بكر: يا رسول الله هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى أنت إليه، قال: فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره، ثم قال له: (أسلم)، فأسلم، ودخل به أبو بكر - رضى الله عنه - على رسول الله ﷺ، ورأسه كأنه ثغامة^(٤)، فقال رسول الله ﷺ (غبروا هذا من شعره)، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته، فقال: أنشد بالله وبالإسلام طوق أختى فلم يجبه أحد فقال: يا أخيه احتسبى طوقك^(٥).

(١) ذى طوى: موضع معروف قرب مكة.

(٢) اظهرى بى على أبى قبيس: اصعدى بى على جبل أبى قبيس؛ لأنه كان كفيف البصر.

(٣) يقوده: يمسك بيده.

(٤) ثغامة: نبت أبيض الزهر والثمر يشبه الشيب.

(٥) أخرجه ابن حبان فى الموارء (١٧٠٠)، وابن إسحاق فى المغازى بسند صحيح رجاله ثقات سيرة ابن هشام: (٤٠٥/٢)، وقال الهيثمى فى المجمع (١٧٣/٦، ١٧٤). رواه أحمد، والطبرانى، ورجالهما ثقات، والبيهقى فى الدلائل (٩٥/٥ - ٩٦)، والحاكم فى المستدرء (٤٦/٣ - ٤٧)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبى.

أَخْبَرُ الْبَيْعَةَ

ولما فتح الله على رسول الله ﷺ وأصحابه - رَضِيَ الله عنهم - (مكة) علم أهل مكة أنهم كانوا على الباطل وأن النبي ﷺ ما جاءهم إلا بالحق فقاموا ليعلموا التوحيد لله (عز وجل) في مشهد مهيب يعجز القلم عن وصفه.

✽ عن الأسود بن خلف - رَضِيَ الله عنه -: «أنه رأى النبي ﷺ يبايع الناس يوم الفتح قال: فجلس عند قرب دار سمرة، قال الأسود: فرأيت النبي ﷺ جلس، فجاءه الناس الصغار والكبار والنساء، فبايعوه، على الإسلام والشهادة فقلت: فما الإسلام قال: الإيمان بالله، فقلت: وما الشهادة؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله»^(١).

✽ وعن أبي عثمان قال: حدثني مجاشع بن مسعود - رَضِيَ الله عنه - قال: «أتيت النبي ﷺ بأخى بعد الفتح، فقلت: يا رسول الله جئت بك بأخى لتبايعه على الهجرة، قال: (ذهب أهل الهجرة بما فيها)، فقلت: على أى شيء تبايعه؟ قال: (أبايعه على الإسلام والإيمان والجهاد). قال أبو عثمان، فلقيت معبداً بعد، (وكان أكبرهما)، فسألته: فقال: صدق مجاشع»^(٢).

✽ عن عائشة بنت قدامة - رَضِيَ الله عنها - قالت: «أنا مع أمى رائلة بنت سفيان الخزاعية، والنبي ﷺ يبايع النسوة، ويقول: (أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً، ولا تسرقن ولا تزنين، ولا تقتلن أولادكن، ولا تأتين بيهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن، ولا تعصين فى معروف)، قالت: فأطرقن: فقال لهن النبي ﷺ: (قلن نعم فيما استطعن)، فكن يقلن وأقول معهن، وأمى تلقننى: قُولِى أى بنية فيما استطعت»^(٣).

✽ وعن عائشة - رَضِيَ الله عنها - قالت: «إن هند بنت عتبة بن ربيعة قالت: يا رسول الله ما كان مما على ظهر الأرض أهل أخباء أو خباء أحب إلى أن يذلوا من أهل

(١) أخرجه أحمد فى المسند (٤١٥/٣، ١٦٨/٤) وسنده حسن. والحافظ فى المستدرک (٢٩٦/٣) ولم يتكلم عنه بشيء، وسكت عنه الذهبى، ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه البخارى (٤٣٠٥) المغازى، ومسلم (١٨٦٣) الإمامة.

(٣) أخرجه أحمد (٣٦٥/٦) وسنده حسن، وانظر الإصابة فى تمييز الصحابة (٣٥١/٤) ترجمة رقم: (٨١١) وقال الحافظ بعد أن عزاه لأحمد: «ورويانه بعلو فى المعرفة لابن منبّه من وجه آخر».

عن الشيخ (الترمذى) (١٠٠٠) (مسند) (١٠٠٠)

خبائنك، أو أخبائنك، ثم ما أصبح اليوم أهل خباء، أو أخباء أحب إليّ من أن يعزوا من أهل خبائنك، أو أخبائنك، قال رسول الله ﷺ: (وأيضاً والذي نفسي محمد بيده)، قالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل مسيئٌ - يعنى بخيل -، فهل على من حرج أن أطعم من الذي له؟ قال: (لا... إلا بالمعروف)^(١).

خطب النبي ﷺ يوم الفتح

ولقد خطب النبي ﷺ بعد فتح مكة عدة خطب وردت بمرويات صحيحة ومتواترة.

✽ قال ﷺ في يوم الفتح: (إن مكة حرّمها الله، ولم يحرمها الناس، لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا، ولا يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا له: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن له فيه ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب). فقبل لأبي شريح، ماذا قال لك عمرو؟ قال: قال: أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح، إن الحرم لا يعيد عاصياً^(٢)، ولا فاراً بدم^(٣)، ولا فاراً بخربة^(٤)»^(٥).

✽ وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ يوم الفتح فتح مكة: (لا هجرة؛ ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم، فانفروا)^(٦).

وقال يوم الفتح، فتح مكة (إن هذا البلد حرّمه الله منذ خلق السموات والأرض. فهو حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي. ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكة^(٧)، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط إلا من عرفها، ولا يختلي خلاها)^(٨).

(١) أخرجه البخاري (٦٦٤١) الأيمان والنذور، ومسلم (١٧١٤) الأفضية.

(٢) لا يعيد عاصياً: لا يجيره ولا يعلمه.

(٣) ولا فاراً بدم: من التجأ إليه هارباً من سبب من الأسباب الموجبة للقتل.

(٤) ولا فاراً بخربة: اللص المنسحب في الأرض.

(٥) أخرجه البخاري (٤٢٩٥) المغازي، ومسلم في كتاب الجهاد.

(٦) إذا استنفرتم فانفروا: إذا دعاكم السلطان إلى غزو فاذهبوا.

(٧) لا يعضد شوكة: لا يقطع.

(٨) ولا يختلي خلاها: الخلا هو الرطب من الكلا. ومعناه لا يقطع ولا يؤخذ.

فقال العباس: يا رسول الله إلا الإذخر^(١). فإنه لقينهم^(٢) وليبوتهم. فقال: (إلا الإذخر)^(٣) لفظ مسلم.

* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما -: أن رسول الله ﷺ خطب يوم الفتح بمكة، فكبر ثلاثاً، ثم قال: (لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا إن كل مأثرة كانت في الجاهلية تذكر وتدعى من دم أو مال تحت قدمي إلا ما كان من سقاية الحاج، وسدانة البيت. ثم قال: ألا إن دية الخطأ شبه العمد ما كان بالسوط والعصا مائة من الإبل، منها أربعون في بطنها أو لادها)^(٤).

* وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: «لما فتح الله عز وجل على رسول الله ﷺ مكة، قام في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين، وإنها لن تحل لأحد كان قبلي، وإنها أُحلت لى ساعة من نهار، وإنها لن تحل لأحد بعدى. فلا ينفر صيدها، ولا يختلى شوكها ولا تحل ساقطتها)^(٥)، إلا لمنشد^(٦). ومن قُتل له قتيل فهو بخير النظرين، إما أن يقدى وإما أن يقتل).

فقال العباس: إلا الإذخر يا رسول الله! فإننا نجعله في قبورنا وبيوتنا، فقال رسول الله ﷺ (إلا الإذخر) فقام أبو شاه - رجل من أهل اليمن - فقال: اكتبوا لى يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: (اكتبوا لأبى شاه).

قال: فقلت للأوزاعي: ما قوله: اكتبوا لى يا رسول الله؟ قال: هذه الخطبة التى سمعها من رسول الله ﷺ. لفظ مسلم^(٧).

* عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو بمكة عام الفتح: (إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة، والخنزير والأصنام).

(١) الإذخر: قال العلاءىلى فى معجمه: الإذخر نبات عشبى من فصيلة النجيليات، له رائحة ليمونية عطرية.. أزهاره تستعمل متنوعاً كالشاي ويقال له طيب العرب. ويقال له: حلفاء مكة.

(٢) لقينهم وبيوتهم: القين هو الحداد والصائغ، ومعناه يحتاج إليه القين فى وقود النار، ويحتاج إليه فى القبور لتسد به فرج اللحد المتخللة بين اللبنة ويحتاج إليه فى سقوف البيوت بجعل فوق الجثث.

(٣) أخرجه البخارى (٢٤٣٣) اللقطة، ومسلم (١٣٥٣) الحج.

(٤) رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد - وإسناد هذا الحديث صحيح رجاله كلهم ثقات وصححه ابن حبان.

(٥) ساقطتها: ما سقط فيها بغفلة ماله.

(٦) المنشد: المعروف.

(٧) أخرجه البخارى (٢٤٣٤) اللقطة، ومسلم (١٣٥٥) الحج.

رفع

عبد الرحمن بن العنبري
أسكنه الله الفردوس

فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ شَحُومَ الْمَيْتَةِ، فَإِنَّهُ يُطْلَى بِهِ السَّفَنُ، وَيُدْهَنُ بِهَا الْجُلُودُ، وَيَسْتَصْبَحُ بِهَا النَّاسُ، فَقَالَ: (لَا، هُوَ حَرَامٌ) ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: (قَاتِلِ اللَّهُ الْيَهُودَ، إِنَّ اللَّهَ لَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهَا شَحُومَهَا جَمَلُوهَا^(١) ثُمَّ بَاعُوه، فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ)^(٢).

قصة المرأة المخزومية

﴿ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: «أَنَّ قَرِيشًا أَهْمَهُمْ شَأْنَ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يَكْلِمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أَسَامَةُ حَبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَلِمَةُ أَسَامَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟) ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، فَقَالَ: (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَأَيُّمَ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»^(٣).

المدة التي أقامها النبي ﷺ في مكة عام الفتح

﴿ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: «أَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَكَّةَ تِسْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا يَصَلِّي رَكْعَتَيْنِ»^(٤).

وَقَدْ جَاءَ مِنْ رَوَايَاتٍ عِدَّةٍ أَنَّهُ مَكَثَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَهِيَ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَانَ بْنِ حَصِينٍ، وَأُخْرَى سَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا وَبَعْضُهَا خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَقَدْ جُمِعَ الْبِيهَقِيُّ بَيْنَ هَذَا الْاِخْتِلَافِ بِأَنَّ مَنْ قَالَ تِسْعَ عَشْرَةَ يَوْمًا عَدَّ يَوْمِي الدُّخُولِ وَالْخُرُوجِ، وَمَنْ قَالَ سَبْعَ عَشْرَةَ يَوْمًا حَذَفَهُمَا، وَمَنْ قَالَ ثَمَانِيَةَ عَشْرَةَ يَوْمًا حَذَفَهُمَا وَأَمَّا رِوَايَةُ «خَمْسَةَ عَشَرَ» فَضَعَّفَهَا النَّوَوِيُّ فِي الْخُلَاصَةِ، وَلَيْسَ بِجَيِّدٍ لِأَنَّ رَوَاتَهَا ثِقَاتٌ وَلَمْ يَنْفَرِدْ بِهَا ابْنُ إِسْحَاقَ فَقَدْ أَخْرَجَهَا النَّسَائِيُّ.

وَإِذَا ثَبِتَ أَنَّهَا صَحِيحَةٌ فَلْيُحْمَلْ عَلَى أَنَّ الرَّاوِيَّ ظَنَّ أَنَّ الْأَصْلَ رِوَايَةُ سَبْعَةِ عَشَرَ، فَحُذِفَ مِنْهَا يَوْمِي الدُّخُولِ وَالْخُرُوجِ، فَذَكَرَ أَنَّهَا خَمْسَةَ عَشَرَ، وَاقْتَضَى ذَلِكَ أَنَّ رِوَايَةَ

(١) جَمَلُوه: أَذَابُوه.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٢٣٦) الْبَيْهَقِيُّ، وَمُسْلِمٌ (١٥٨١) الْمَسَاقَاةُ.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٧٣٣) فَضَائِلُ الصَّحَابَةِ، وَمُسْلِمٌ (١٦٨٨) الْحُدُودُ.

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢٩٨) الْمَغَازِي - وَأَحْمَدُ (٢٢٣/١).

رَفَعُ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّجَّارِيُّ
أَسْلَمَ النَّبِيُّ ﷺ (الرَّوَايَةُ)

تسعة عشر أرجح الروايات، وبهذا أخذ إسحاق بن راهويه، ويرجحها أيضاً أنها أكثر ما وردت به الروايات الصحيحة^(١).

السرايا والبعوث

وبث رسول الله ﷺ سراياه إلى الأوثان التي كانت حول الكعبة. فكسرت كلها منها اللات والعزى. ومناة الثالثة الأخرى. ونادى مناديه بمكة «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يدع في بيته صنماً إلا كسره».

* فبعث خالد بن الوليد إلى العزى لخمس ليال بقين من شهر رمضان ليهدمها، فخرج إليها في ثلاثين فارساً من أصحابه حتى انتهوا إليها، فهدمها ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: «هل رأيت شيئاً؟» قال: لا، قال: «فإنك لم تهدمها فارجع إليها فاهدمها» فرجع خالد وهو متغيظ فجرد سيفه، فخرجت إليه امرأة عجوز عريانة سوداء ناشرة الرأس، فجعل السادن يصيح بها، فضربها خالد فجزلها باثنتين، ورجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: «نعم تلك العزى، وقد أيسر أن تُعبد في بلادكم أبداً» وكانت بنخلة^(٢)، وكانت لقريش وجميع بني كنانة، وكانت أعظم أصنامهم، وكان سدنتها بنى شيبان^(٣).

* ثم بعث عمرو بن العاص إلى سِوَاع، (وهو صنم لهذيل) ليهدمه. قال عمرو: فانتهيت إليه وعنده السادن، فقال: ما تريد؟ قلت: أمرني رسول الله ﷺ أن أهدمه، فقال: لا تقدر على ذلك، قلت: لم؟ قال: تُمنع. قلت: حتى الآن أنت على الباطل، ويحك فهل يسمع أو يبصر؟ قال: فدنوت منه فكسرت، وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزائنه فلم نجد فيه شيئاً، ثم قلت للسادن: كيف رأيت؟ قال: أسلمت لله^(٤).

* ثم بعث سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة، وكانت بالمشلل عند قُديد للأوس والخزرج وغسان وغيرهم، فخرج في عشرين فارساً حتى انتهوا إليها وعندها سادن، فقال السادن: ما تريد؟ قلت: هدم مناة. قالت: أنت وذاك، فأقبل سعد يمشي إليها...

(١) فتح الباري (٥٦٢/٢) في التعليق على حديث رقم (١٠٨٠) كتاب تقصير الصلاة باب ما جاء في التقصير وكم يقسم حتى يقصر.

(٢) على بُعد يوم من مكة.

(٣) ابن سعد (١٤٥/٢) ١٤٦.

(٤) ابن سعد (١٤٦/٢).

رفع

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

وتخرج إليه امرأة عريانة سوداء، ثائرة الرأس، تدعو بالويل، وتضرب صدرها، فقال لها السادن: مناة دونك بعض عصاتك، فضربها سعد فقتلها، وأقبل إلى الصنم، ومعه أصحابه فهدمه، وكسروه، ولم يجدوا في خزانته شيئاً^(١).

سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة

قال ابن سعد: ولما رجع خالد بن الوليد من هدم العزى، ورسول الله ﷺ مقيم بمكة، بعثه إلى بني جذيمة داعياً إلى الإسلام، ولم يبعثه مقاتلاً، فخرج في ثلاثمائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار وبني سليم، فأنتهى إليهم، فقال: ما أنتم؟ قالوا: مسلمون قد صلبنا وصدقنا بمحمد وبنينا المساجد في ساحتنا، وأدنا فيها، قال: فما بال السلاح عليكم؟ قالوا: إن بيننا وبين قوم من العرب عداوة، فحفظنا أن تكونوا هم، وقد قيل: إنهم قالوا صباناً، ولم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا^(٢).

* عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: «بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فجعلوا يقولون صباناً صباناً - أي تركنا دين الآباء ودخلنا في الإسلام - فجعل خالد يقتل منهم، ويأسر، ودفع إلى كل رجل منا أسيره، حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره، فقلت: والله لا أقتل أسيرى، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره، حتى قدمنا على النبي ﷺ، فذكرناه، فرفع النبي ﷺ يديه فقال: (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد)، مرتين»^(٣).

هل فتحت مكة عنوة أم صلحاً

* اختلف العلماء هل فتحت مكة عنوة أم صلحاً: فذهب الشافعي وأحمد - رحمهما الله - إلى أنه ﷺ دخلها صلحاً، وكان الممثل لقريش في هذا الصلح هو أبو سفيان، وكان الاتفاق والشرط فيه أنه من أغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، إلا من أهدر دمه ﷺ.

وذهب مالك وأبو حنيفة إلى أنه دخلها عنوة واستدلوا على ذلك بما وقع من القتال

(١) ابن سعد (٢/ ١٤٦، ١٤٧) - زاد المعاد (٣/ ٤١٥، ٤١٦).

(٢) زاد المعاد (٣/ ٤١٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤١٣٩) - زاد المعاد (٣/ ٤١٥).

رفع
عبد الرحمن بن الحارثي
أسكنه الله الفردوس

من خالد بن الوليد - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، وما حدث من أوباش قريش.

واتفق الجميع على أنه لم يَغْنَم منها مالا، ولم يسب فيها ذرية فمن ذهب إلى أنها فُتحت صلحا فسبب ذلك واضح، ومن ذهب إلى أنها فتحت عنوة فقد قالوا: إن الذي منع الرسول ﷺ من قسمتها أنها دار نُسك ومتعبد وحرَم الرب تعالى، فكأنه وَقَفَّ من الله تعالى على العالمين، ولهذا ذهب بعض العلماء إلى منع بيع أراضيها ودورها، والأدلة على خلافه والله أعلم^(١).

من أبرز نتائج فتح مكة

ولقد كان من أبرز نتائج فتح مكة مبادرة قبائل العرب إلى قبول الإسلام بعد أن يتقنوا من نتيجة الصراع بين المسلمين وقريش، وقد أورد الإمام البخاري رواية من حديث عمرو ابن سلمة جاء فيها: أن العرب كانت «تَلَوُّمُ بِإِسْلَامِهَا الْفَتْحَ»، يقولون: انظروا فإن ظهر عليهم فهو صادق وهو نبي، فلما جاءتنا وقعة الفتح بادر كل قوم بإسلامهم»، ويرى ابن إسحاق أن العرب كانت «تربص بالإسلام أمر هذا الحى من قريش وأمر رسول الله ﷺ»، وذلك أن قريشا كانوا إمام الناس وهاديهم، وأهل البيت الحرام، وقادة العرب لا ينكرون ذلك، وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله ﷺ وخلافه، فلما افتتحت مكة ودانت له قريش، ودوخها الإسلام، وعرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته، فدخلوا في دين الله أفواجا، كما قال الله (عز وجل): «.

ومن نتائج فتح مكة المكرمة تحول مركز ثقل معسكر الشرك إلى الطائف حيث سارعت كل من قبيلتي هوازن وثقيف إلى التصدي للإسلام وقيادة معسكر الشرك المعادي له.

وإضافة إلى ما تحقق في فتح مكة من اتساع رقعة ديار الإسلام، وتسارع وتيرة دخول العرب في الإسلام، وإنهاء مقاومة قريش وحلفائها، وتحولهم إلى قوة إيجابية دافعة لنشر العقيدة الإسلامية والتصدي لخصومها ودفع الخطر عنها، فقد اتضحت بعض الأحكام الشرعية المهمة من جراء فتح مكة وخلال أحداث غزوتها^(٢).

رَفَعُ

(١) الأحكام السلطانية للماوردي (ص ١٦٤)، زاد المعاد (٣/ ٤٢٩، ٤٤٠).

(٢) نضرة النعيم (١/ ٣٧٢).

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

إشارة إلى ما فى الغزوة من الفقه واللطائف

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - ما ملخصه: فصل فى الإشارة إلى ما فى الغزوة من الفقه واللطائف:

- فيها أن أهل العهد إذا حاربوا من هم فى ذمة الإمام وجواره وعهده صاروا حرباً له بذلك، ولم يبق بينهم وبينه عهد، فله أن يبيتهم فى ديارهم ولا يحتاج أن يعلمهم على سواء، وإنما يكون الإعلام إذا خاف منهم الخيانة فإذا تحققها صاروا نابذين لعهده.
- وفيها انتقاض عهد جميعهم بذلك، ردئهم ومباشرهم إذا رضوا بذلك.
- وفيها جواز صلح أهل الحرب إذا كان بالمسلمين ضعف وعدوهم أقوى منهم.
- وفيها أن رسول الكفار لا يُقتل.
- وفيها جواز قتل الجاسوس وإن كان مسلماً وهو راجع لرأى الإمام لمصلحة المسلمين.
- وفيها أن الرجل إذا نسب مسلماً إلى النفاق والكفر متأولاً وغضباً لله ورسوله ودينه فإنه لا يكفر بذلك بل لا يائمه ويؤتاب على نيته وقصده، بخلاف أهل الأهواء والبدع.
- وفيها أن الكبيرة العظيمة مما دون الشرك قد تُكفر بالحسنة الكبيرة كما وقع الحسن من حاطب مكفراً بشهوده بدرًا.
- وفيها جواز دخول مكة للقتال المباح بغير إحرام كما دخل رسول الله ﷺ والمسلمون وهذا لا خلاف فيه.
- وفيها البيان الصريح بأن مكة فتحت عنوة كما ذهب إليه جمهور أهل العلم ولا يعرف فى ذلك خلاف إلا عن الشافعى وأحمد فى أحد قوليه، وسياق القصة أوضح شاهد لقول الجمهور.
- وفيها تعيين قتل الساب لرسول الله ﷺ وأن قتله حداً لا بد من استيفائه فإن النبى ﷺ لم يؤمن مقيس بن صبابه وابن خطل والجارييتين اللتين كانت تغنيان بهجائه مع أن نساء أهل الحرب لا يُقتلن كما لا تُقتل الذرية^(١).

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

(١) زاد المعاد باختصار (٣/ ٤٢٠ - ٤٤١).

• وقال رحمه الله:

- وفي القصة أن النبي ﷺ دخل البيت وصلى فيه ولم يدخله حتى مُحيت الصور منه، ففيه دليل على كراهة الصلاة في المكان المصور.

- وفي القصة: أنه دخل مكة وعليه عمامة سوداء ففيه دليل على جواز لبس السواد أحياناً.

- ومما وقع في هذه الغزوة إباحة متعة النساء ثم حرمها قبل خروجه من مكة.

- وفي قصة الفتح من الفقه: جواز إجارة المرأة وأمانها للرجل والرجلين، كما أجاز النبي ﷺ أمان أم هانئ لحمويها.

- وفيها من الفقه جواز قتل المرتد الذي تغلظت ردة من غير استتابة فإن عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان قد أسلم وهاجر وكان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ ثم ارتد ولحق بمكة، فلما كان يوم الفتح أتى به عثمان بن عفان رسول الله ﷺ ليبيعه فأمسك عنه طويلاً ثم بايعه. وقال: إنما أمسكت عنه طويلاً ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه فقال له رجل: هلا أومأت إلى يا رسول الله فقال: ما ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين^(١).

(١) زاد المعاد باختصار (٤٥٨/٣ - ٤٦٤). والحديث رواه أبو داود (٢٦٦٦) الجهاد، و (٤٣٣٧) الحدود، والنسائي (١٠٥/٧، ١٠٦) تحريم الدم، والحاكم (٤٠/٣) المغازي. وصححه الحاكم والذهبي والألباني. وقال الخطابي في تفسير خائنة الأعين: هو أن يضم في قلبه غير ما يظهره للناس، فإذا كف لسانه وأومأ بعينه إلى ذلك فقد خان. وقد كان ظهور تلك الخيانة من قبيل عينه فسميت خائنة الأعين. نقلاً من وقفات تربوية.

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

غزوة حنين

لقد دخل أكثر أهل مكة في الإسلام بعد فتح مكة وإن كان بعضهم بقي على ربيته وجاهليته يتعلق بالأصنام ويستقسم بالأزلام، وأولئك تركوا للأيام تشفى جهلهم وتحبى ما مات من قلوبهم وألبابهم.

وما دامت الدولة التي تحمى الوثنية وتقاتل دونها قد ذهبت، فسوف تتلاشى هذه الخرافة من تلقاء نفسها.

إن فتح مكة جاء عقب ضربة خاطفة، ولقد أفلحت خطة المسلمين في تعمية الأخبار على قريش حتى بوغتوا في عقر دارهم فلم يجدوا مناصاً من الاستسلام فما استطاعوا الجلال ولا استجلاب الأمداد، وفتح العرب جميعاً أعينهم فإذا هم أمام الأمر الواقع، حتى خيل إليهم أن النصر معقود بألوية الإسلام فما ينفك عنها!

بيد أن هذا الغلب كله كان له رد فعل معاكس لدى القبائل الكبيرة القريبة من مكة، وفي مقدمتها «هوازن» و«ثقيف» وتعتبر «الطائف» قصبتها وهي أكبر المدن في الجزيرة بعد مكة ويثرب.

اجتمع رؤساء هذه القبائل على «مالك بن عوف» سيد «هوازن»، وأجمعوا أمرهم على المسير لقتال المسلمين. قبل أن تتوحد دعائم الفتح، وقبل أن يتحركوا لاستئصال ما بقي من معالم الوثنية المدبرة^(١).

وقت هذه الغزوة

قال أهل المغازي: خرج رسول الله ﷺ إلى حنين لخمس خلت من شوال، وبه قال ابن إسحاق في المغازي، وهكذا روى عن ابن مسعود، وبه قال عروة بن الزبير، واختاره أحمد، وابن جرير في تاريخه.

رفع

عبد الرحمن بن النخعي
أسكنه الله الفردوس

(١) فقه السيرة للغزالي (ص ٤٣١، ٤٣٢) بتصرف.

وقيل لليلتين بقيتا من رمضان، وجمع بعضهم بأنه بدأ الخروج في أواخر رمضان، وسار سادس شوال، وكان وصوله إليها في عاشره، وبه قال الواقدي^(١).

سبب الغزوة

قال ابن إسحاق: ولما سمعت هوازن برسول الله ﷺ، وما فتح الله عليه من مكة، جمعها مالك بن عوف النَّصْرِي^(٢)، واجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها، واجتمعت إليه مُضَرٌ وَجُثَمٌ كلها، وسعد بن بكر، وناس من بني هلال، وهم قليل، ولم يشهدوا من قيس عيلان إلا هؤلاء، ولم يحضرها من هوازن كعب، ولا كلاب... وفي جُثَمٍ دريد بن الصمة شيخ كبير ليس فيه إلا رأيه ومعرفته بالحرب، وكان شجاعاً مجرباً... وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النَّصْرِي. فلما أجمع السير إلى رسول الله ﷺ، ساق مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، فلما نزل بأوطاس، اجتمع إليه الناس وفيهم دريد بن الصمة، فلما نزل قال: بأى واد أنتم؟ قالوا: بأوطاس. قال: نعم مجال الخيل، لا حزن ضرر، ولا سهل دهن^(٣). مالى أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصبي، ويعار النساء؟ قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس نساءهم وأموالهم وأبناءهم. قال: أين مالك؟ قيل: هذا مالك، ودعى له. قال: يا مالك إنك قد أصبحت رئيس قومك، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام، مالى أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويعار النساء؟! قال: سقت مع الناس أبناءهم، ونساءهم، وأموالهم، قال: ولم؟ قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقا تل عنهم. فقال: راعى ضأن^(٤) والله، وهل يرد المنهزم شيء، إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك، فضحت فى أهلك ومالك، ثم قال: ما فعلت كعب وكناب؟ قالوا: لم يشهدا أحد منهم. قال: غاب الحد^(٥) والجد، لو كان يوم علاء ورفعة، لم

(١) فتح الباري: (٢٧/٨)، سيرة ابن كثير (٣/٦١٠).

(٢) بالصاد المهملة نسبة إلى جده الأعلى نصر بن معاوية، أسلم بعد غزوة الطائف، وصحب وشهد القادسية وفتح دمشق.

(٣) الحزن: ما ارتفع من الأرض، والضرر: الذى فيه حجارة محددة، والدهس: ما سهل ولان من الأرض، ولم يبلغ أن يكون رملاً.

(٤) يجهله بذلك كما قال الشاعر:

ماذا يريبك متى راعى الضأن

أصبحت هزءاً لراعى الضأن أعجبه

(٥) الحد: النشاط والسرعة والمضاء فى الأمور.

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

تغيب عنه كعب ولا كلاب، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلات، فمن شهدها منكم؟ قالوا: عمرو بن عامر، وعوف بن عامر؟ قال: ذاك الجذعان^(١) من عامر، لا ينفعان ولا يضران. يا مالك ! إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئاً، ارفعهم إلى متمنع بلادهم وعلياً قومهم، ثم الق الصبابة^(٢) على متون الخيل، فإن كانت لك، لحق بك من وراءك، وإن كانت عليك، أفاك ذلك، وقد أحرزت أهلك ومالك. قال: والله لا أفعل، إنك قد كبرت وكبر عقلك، والله لتطيعنني يا معشر هوازن، أو لأتكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري، وكره أن يكون لدريد فيها ذكر ورأى، فقالوا: أطعناك، فقال دريد: هذا يوم لم أشهده ولم يفتني.

يا ليتني فيها جذع أخب فيها وأضع
أقود وطفاء الزمع كأنها شاة صدع^(٣)

ثم قال مالك للناس: إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم، ثم شدوا شدة رجل واحد^(٤).

وأنزل جنوداً لم تروها

وبعث مالك عيوناً له يأتونه بالخبر فرجعوا إليه، وقد تفرقت أوصالهم وذهبت عقولهم فقال: ما شأنكم؟ قالوا رأينا رجالاً بيضاً على خيل بلق فوالله ما تماسكنا أن حل بنا ما ترى، ولم ينه ذلك عن وجهه، ولم يثنه عن عزمه على قتال رسول الله ﷺ والمسلمين... والرجال الذين رأتهم العيون هم الملائكة، إذ قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٢٦] أي لم يرها أصحاب رسول الله ﷺ وهم يحضرون المعركة^(٥).

(١) يريد: أنهما ضعيفان في الحرب بمنزلة الجذع في سنه.

(٢) جمع صابى غير مهموز كقاض وقضاة، وهم المسلمون عندهم، كانوا يسمونهم بهذا الاسم، لأنهم صبؤوا من دينهم، أى: خرجوا من دين الجاهلية إلى الإسلام.

(٣) الجذع: الشاب، وأخب وأضع: ضربان من السير، والوظفاء: طويلة الشعر، والزمع: الشعر فوق مريط قيد الدابة يريد فرساً صفتها هكذا، وهو محمود في وصف الخيل، والشاة هنا: الوعل، وصدع أى: وعل بين وعلين ليس بالعظيم ولا بالحقير.

(٤) قال الهيثمي في المجمع (١٧٩/٦)، رواه أحمد، وأبو يعلى ورواه البزار باختصار، وفيه ابن إسحاق وقد صرح بالسماع في رواية أبي يعلى ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٥) زاد المعاد (٣/٤٦٧ - ٤٦٨) بتصرف.

النبي ﷺ يرسل إليهم (عبد الله بن أبي حذر)د

ولما سمع بهم نبي الله ﷺ، بعث إليهم عبد الله بن أبي حذر الأسلمي، وأمره أن يدخل في الناس، فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم، ثم يأتيه بخبرهم، فانطلق ابن أبي حذر، فدخل فيهم حتى سمع وعلم ما قد جمعوا له من حرب رسول الله ﷺ. وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه، ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر.

النبي ﷺ يستعير الدروع من صفوان بن أمية

فلما أجمع رسول الله ﷺ السير إلى هوازن، ذكر له أن عند صفوان ابن أمية أدرعاً وسلاحاً، فأرسل إليه، وهو يومئذ مشرك، فقال: يا أبا أمية! أعرنا سلاحك هذا نلقى فيه عدونا غداً، فقال صفوان: أغصباً يا محمد؟ قال: «بل عارية مضمونة حتى تؤديها إليك»^(١)، فقال: ليس بهذا بأس. فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح، فرعموا أن رسول الله ﷺ سألهم أن يكفيهم حملها، ففعل^(٢).

الجيش الإسلامي يتحرك

كان جيش الفتح في مكة مستعداً إذ لم يلق مقاومة تذكر في فتح مكة، كما أن إقامته في مكة بعد الفتح مدة خمسة عشر يوماً قد منحته الكثير من الراحة واستعادة النشاط، إضافة إلى ما تحقق له من ارتفاع في الروح المعنوية بما منحه الله من نصر، ولذلك فإنه كان مهياً لمواجهة عدوان المشركين، وقد تحرك جيش المسلمين بناء على أمر قائده النبي ﷺ في اليوم الخامس من شوال سنة ٨ هـ ميمماً نحو تجمعات المشركين في حنين^(٣)، وقد ثبت في الصحيحين مشاركة أبناء مكة في غزوة حنين في صفوف المسلمين^(٤)، فقد شارك ألفاً مقاتل من أهل مكة، فبلغ عدد قوات الجيش الإسلامي اثني عشر ألف مقاتل،

(١) أخرجه الحاكم (٤٨/٣)، والبيهقي (٨٩/٦) بإسناد صحيح.

(٢) زاد المعاد (٤٦٨/٣).

(٣) ابن هشام - السيرة (٤٣٧/٢)، البيهقي - السنن (١٥١/٣)، النسائي - السنن (١٠٠/٣)، ابن حجر - فتح الباري (٥٦٢/٢).

(٤) خليفة بن خياط - تاريخ (ص ٨٨)، ابن سعد - الطبقات (١٥٤/٢ - ٥٥)، الحاكم - المستدرک (١٢١/٢).

وهو أكبر جيش للمسلمين يخرج للقتال في حياة النبي ﷺ حتى هذه الغزوة^(١)، وكان النبي ﷺ حريصاً على تأمين قواته لذلك فقد اهتم بحراسة الجيش ومراقبة تحركات العدو^(٢).

جاهلية مرفوضة

قال ابن إسحاق وحدثني ابن شهاب الزهري عن سنان أبي سنان الدؤلي عن أبي واقد الليثي، أن الحارث بن مالك قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية، قال: فسرنا معه إلى حنين، قال: وكانت كفار قريش ومن سواهم من العرب لهم شجرة عظيمة خضراء يقال لها: ذات أنواط، يأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوماً. قال: فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ﷺ سدره خضراء عظيمة، قال: فتنادينا من جنبات الطريق: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ - كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ» [الأعراف: ١٣٨] إنها السنن... لتركبن سنن من كان قبلكم»^(٣).

قصة سلامة بن الأكوع مع الجاسوس

* عن سلامة بن الأكوع رضى الله عنه قال: «غزونا مع رسول الله ﷺ هوازن. فبينما نحن نتضحى مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجل على جمل أحمر، فأناخه. ثم انتزع طلقاً من حقه، فقبده به الجمل. ثم تقدم يتغذى مع القوم. وجعل ينظر، وفيما ضعفة ورقة في الظهر، وبعضنا مشاة، إذ خرج يشتد، فأتى جملة فأطلق قيده، ثم أناخه وقعد عليه، فأنازه، فاشتد به الجمل، فاتبعه رجل على ناقة وركاء.

(١) الواقدي - المغازي (٣/ ٨٩٠)، الهيثمي - كشف الأستار (٢/ ٣٤٦ - ٣٤٧)، ابن إسحاق: ابن هشام -

السيرة (٤/ ١٢٤)، البيهقي - دلائل (٥/ ١٢٣).

(٢) أبو داود - السنن (١/ ٢١٠، ٢/ ٩)، وانظر ابن حجر - الإصابة (١/ ٨٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٩٣٩).

والحديث رواه الترمذي (٩/ ٢٧، ٢٨) الفتن، وأحمد (٥/ ٢١٨)، وابن أبي عاصم في كتاب السنة

(٧٦)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح وقال الألباني: إسناده حسن رجاله ثقات رجال

الشيخين غير يعقوب بن حميد وهو ثقة فيه ضعف يسير وقد توبع.

رفع

عن الشيخ الجليل
أبي بكر بن عبد الرحمن

قال سلمة: وخرجت أشتد. فكنت عند ورك الناقة. ثم تقدمت. حتى كنت عند ورك الجمل. ثم تقدمت حتى أخذت بخطام الجمل، فأنخته. فلما وضع ركبته في الأرض اخترطت سيفي، فضربت رأس الرجل فندر ثم جئت بالجمل أقوده. عليه رحله وسلاحه. فاستقبلني رسول الله ﷺ، والناس معه. فقال: من (قتل الرجل؟) قالوا: ابن الأكوع. قال: (له سلبه أجمع) (١).

النبى ﷺ يبشرهم بغنائم حنين

* عن سهيل بن الحنظلية رضى الله عنه: «أنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حنين فأطبوا السير، حتى كانت عشية، فحضرت الصلاة عند رسول الله ﷺ، فجاء رجل فارس، فقال: يا رسول الله ﷺ إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا، فإذا أنا بهوازن على بكرة آبائهم بظعنهم ونعمهم وشائهم، اجتمعوا إلى حنين، فتبسم رسول الله ﷺ، وقال: (تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله).

ثم قال: (من يحرسنا الليلة؟) فقال أنس بن أبى مرثد الغنوى: أنا يا رسول؟ قال: (فاركب) فركب فرساً له فجاء إلى رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: (استقبل هذا الشعب حتى تكون فى أعلاه، ولا نغرن من قبلك الليلة).

فلما أصبحنا خرج رسول الله ﷺ إلى مصلاه، فركع ركعتين ثم قال: (هل أحسنتم فارسكم؟) قالوا: يا رسول الله، ما أحسنناه فثوب بالصلاة، فجعل رسول الله ﷺ يصلى، وهو يلتفت إلى الشعب حتى إذا قضى صلاته، وسلم، قال: (أبشروا فقد جاءكم فارسكم).

فجعلنا ننظر إلى الشجرة فى الشعب فإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله ﷺ فسلم فقال: إني انطلقت حتى كنت فى أعلى هذا الشعب حيث أمرنى رسول الله ﷺ، فلما أصبحت طلعت الشعبين كليهما، فنظرت فلم أر أحداً، فقال له رسول الله ﷺ: (هل نزلت الليلة؟) قال: لا إلا مصلياً أو قاضى حاجة. فقال له رسول الله ﷺ: (فقد أوجبت فلا عليك ألا تعمل بعدها) (٢).

(١) أخرجه مسلم (١٧٥٤) الجهاد والسير، وأحمد (٤/٤٩ - ٥١).

(٢) رواه أبو داود (٢٥٠١)، والنسائى فى الكبرى وإسناده صحيح، وحسنه الحافظ فى الفتح (٢٧/٨).

مفاجأة لم تخطر ببالهم

إن السهولة التي تم بها فتح مكة، وإحساس جمهور المؤمنين أن الجاهلية تلفظ أنفاسها الأخيرة فلن تبدى مقاومة تذكر. وظن حدثاء العهد بالإسلام أن شيئاً ما لن يقف في طريقه، كل ذلك جعل الجيش يزحف للقاء المشركين وهو غير مكترث لما سوف يواجهه، ولم يكثرث؟

إنهم - وهم قلة - كانوا يكسبون المعارك الطاحنة، فكيف وهم اليوم يخرجون في عدد لم يجمعوا مثله قبلاً.

وسار الجيش الوثاق حتى وصل إلى وادي «حنين». وكان «مالك بن عوف» ورجاله قد سبقوا إلى احتلال مضايقه، وانبتوا في الشعاب والأجناب المنيعه، ثم تهيئوا لاستقبال المسلمين.

وأقبلت الطلائع الغفيرة تتدافع نحو الوادي - وهي غافلة عما يكمن فيه - وكان وادياً أجوف منحدراً، ينحط فيه الراكبون كلما أوغلوا كأنهم يسرون إلى هاوية.

لما تكاثرت في دروبه الفرق الزاحفة، لم يرعهم إلا وابل من السهام يتساقط فوقهم من المكامن العالية، وكان غبش الفجر لا يزال يترك بقاياها في الجو الغائم فارتاعت المقدمة لهذه المفاجأة، فهي في عماية من الليل، وعماية من أمرها. لا تعرف إلا أن تستدير ثم تولى الأدبار.

وانتشرت موجة الفرع، فكسرت الصفوف المرصوفة وبعثرتها. واستغل رجال «مالك بن عوف»، هذا الارتباك، فهاجمت كتائبهم، وحملت الخيل على ما أمامها، فانكفأ المسلمون مهزومين لا يلوى أحد على أحد^(١).

❖ عن أنس رضي الله عنه قال: «لما اجتمع يوم حنين أهل مكة وأهل المدينة أعجبتهم كثرتهم، فقال القوم: اليوم والله ما نقاتل حين اجتمعنا، فكره ﷺ ما قالوا، ما أعجبهم من كثرتهم»^(٢).

❖ وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «لما استقبلنا وادي حنين قال: انحدرنا

(١) فقه السيرة للغزالي (ص ٤٣٣ - ٤٣٤) بتصرف.

(٢) أخرجه الحاكم وصححه، وابن المنذر وابن مردويه وأبو الشيخ وغيرهم. الفتح الرباني (١٦٩/٢١).

فى وادى من أودية تهامة أجوف حطوط^(١) إنما ننحدر فيه انحداراً قال: وفى عماية الصبح^(٢)، وقد كان القوم كمنوا لنا فى شعابه، وفى أجنابه ومضايقه، قد جمعوا وتهياؤوا وأعدوا فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتائب قد شدت علينا شدة رجل واحد، وانهزم الناس راجعين. فاستمروا لا يلوى أحد منهم على أحد، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين قال: (إلى أيها الناس، هلم إلى، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله)، قال: فلا شيء^(٣).

احتملت الإبل بعضها بعضاً فانطلق الناس إلا أن مع رسول الله ﷺ رهطاً من المهاجرين والأنصار وأهل بيته غير كثير، وفيمن ثبت معه ﷺ أبو بكر وعمر ومن أهل بيته على بن أبى طالب، والعباس بن عبد المطلب، وابنه الفضل بن عباس، وأبو سفيان ابن الحارث وربيعة بن الحارث وأيمن بن عبيد، وهو ابن أم أيمن، وأسامة بن زيد، قال: ورجل من هوازن على جمل له أحمر فى يده راية له سوداء فى رأس رمح طويل أمام الناس، وهوازن خلفه، فإذا أدرك طعن برمح، وإذا فاته الناس رفعه لمن وراءه، فاتبعوه^(٤).

قال ابن إسحاق: «وحدثني عاصم بن عمرو بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله قال: (بينما ذلك الرجل من هوازن صاحب الراية على جملة ذلك يصنع ما يصنع، إذ هوى له على بن أبى طالب، ورجل من الأنصار يريدانه، قال: فيأتيه (على) من خلفه فضرب عرقوبى الجمل فوقع على عجزه، ووثب الأنصارى على الرجل، فضربه ضربة أطن قدمه^(٥) بنصف ساقه، فانهجف^(٦) من رحله، واجتلد الناس فوالله ما جعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسرى مكتفين عند رسول الله ﷺ».

(١) حطوط: واسع منحدر من أعلى إلى أسفل.

(٢) عماية الصبح: أى بقية ظلمة الليل.

(٣) فلا شيء: يعنى فلا منجيب.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أطن قدمه: قصعه.

(٦) فانهجف: مال وسقط.

رفع
عبد الرحمن بن أبي بكر
أسلمة (أبو) الفراء

الذين قُتِلُوا مع رسول الله ﷺ

* عن أنس رضي الله عنه قال: «افتتحنا مكة، ثم إننا غزونا حنينًا، فجلى المشركون بأحسن صفوف رأيت، قال: فصفت الخيل، ثم صفت المقاتلة، ثم صفت النساء من وراء ذلك، ثم صفت الغنم، ثم صفت النعم.

قال: ونحن بشر كثير قد بلغنا ستة آلاف^(١). وعلى مجنبه^(٢) خيلنا خالد بن الوليد. فجعلت خيلنا تلو^(٣) خلف ظهورنا فلم نلبث أن انكشف خيلنا، وفرت الأعراب. ومن نعلم من الناس.

قال: فنادى رسول الله ﷺ: (يا للمهاجرين!) ثم قال: (يا للأنصار) قال: قال أنس: هذا حديث عمية^(٤)، قال: قلنا لبيك يا رسول الله، قال: فتقدم رسول الله ﷺ قال: فأيم الله! ما أتيناهم حتى هزمهم الله. قال: فقبضنا ذلك المال. ثم انطلقنا إلى الطائف، فحاصرناهم أربعين ليلة، ثم رجعنا إلى مكة، فنزلنا، قال: فجعل رسول الله ﷺ يعطى الرجل المائة من الإبل^(٥).

* عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «وقد جاءه رجل فقال: يا أبا عمار، أتوليت يوم حنين، فقال: أما أنا فأشهد على النبي ﷺ أنه لم يول، ولكن عجل سرعان القوم، فرشقتهم هوازن - وأبو سفيان بن الحارث أخذ برأس بغلته البيضاء يقول: (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب)^(٦).

وفى لفظ آخر «وقد سأله رجل من قيس: أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ فقال: لكن رسول الله ﷺ لم يفر، كانت هوازن رماة، وإننا لما حملنا عليهم انكشفوا،

(١) قد بلغنا ستة آلاف: قال القاضى هذا وهم من الراوى عن أنس، والصحيح ما جاء فى الرواية الأولى عشرة آلاف، ومعه الطلقاء، لأن المشهور فى كتب المغازى أن المسلمين كانوا يومئذ اثني عشر ألفًا، عشرة آلاف شهدوا الفتح. وألفان من أهل مكة ومن انضاف إليهم (انظر الرواية الأولى، والتي فيها ذكر العشرة الآف فى صحيح مسلم حديث (١٠٥٩/١٣٥).

(٢) مجنبه: هى الكتيبة من الخيل التى تأخذ جانب الطريق.

(٣) تلو: تلوذ، فجعلت فرساننا يثنون أفراسهم ويعفونها خلف ظهورنا.

(٤) هذا حديث عمية: هذا حديث فضل أعمامى، أو هذا الحديث الذى حدثنى به أ.

(٥) أخرجه مسلم (١٠٥٩/١٣٦) الزكاة.

(٦) أخرجه البخارى (٤٣١٥) المغازى، ومسلم (١٧٧٦) الجهاد والسير.

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فأكبنا على الغنائم، فاستقبلنا بالسهم، ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء، وإن أبا سفيان بن الحارث أخذ بزمامها وهو يقول: (أنا النبي لا كذب)»^(١).

* وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: «لقد رأيتنا يوم حنين وإن الفتيين لموليتين، وما مع رسول الله ﷺ مائة رجل»^(٢).

* وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كنت مع النبي ﷺ يوم حنين قال: فولى الناس، وثبت معه ثمانون رجلاً من المهاجرين والأنصار فنكصنا على أقدامنا نحواً من ثمانين قدماً، ولم نولهم الدبر وهم الذين أنزل الله عز وجل عليهم السكينة، قال: ورسول الله ﷺ على بغلته يمضى قدماً، فحارت به بغلته فمال عن السرج فقلت: ارتفع رفعك الله فقال: ناولني كفاً من تراب فضرب به وجوههم فامتلت أعينهم تراباً قال: (أين المهاجرون والأنصار). قلت: هم أولاء قال: (اهتف بهم). فهتفت بهم، فجاءوا وسيوفهم بأيمانهم كأنها الشهب، وولى المشركون أدبارهم»^(٣).^(٤)

(١) قال الحافظ ابن حجر: وفي الحديث (يعنى حديث البراء بن عازب في ثبات النبي) من الفوائد: حسن الأدب في الخطاب، والإرشاد إلى حسن السؤال بحسن الجواب، وذم الإعجاب، وفيه جواز الانتساب إلى الآباء ولو ماتوا في الجاهلية، والنهي عن ذلك محمول على ما هو خارج الحرب، ومثله الرخصة في الخيلاء في الحرب دون غيرها، وجواز التعرض إلى الهلاك في سبيل الله، ولا يقال كان النبي ﷺ متيقناً للنصر لوعده الله تعالى له بذلك، وهو حق، لأن أبا سفيان بن الحارث قد ثبت معه أخذاً بلجام بغلته، وليس هو على اليقين مثل النبي ﷺ.

وفيه ركوب البغلة إشارة إلى مزيد الثبات، لأن ركوب الفحولة مظنة الاستعداد للفرار والتولي، وإذا كان رأس الجيش قد وطن نفسه على عدم الفرار، وأخذ بأسباب ذلك كان ذلك أدعى لاتباعه على الثبات، وفيه شهرة الرئيس نفسه في الحرب مبالغة في الشجاعة وعدم المبالاة بالعدو». فتح الباري (٣٢/٨).

(٢) رواه الترمذي (١٦٨٩)، وحسنه الحافظ في الفتح (٣٠/٢٩/٨).

(٣) قال الهيثمي في المجمع (١٨٠/٦) رواه أحمد، والبزار، والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح غير الحارث بن حصيرة، وهو ثقة، انظر كشف الأستار عن زوائد البزار حديث رقم (١٨٢٩)، وأخرجه الحاكم (١١٧/٢) أخرجه أحمد في المسند (٤٥٤/١) دلائل البيهقي (١٤٢/٥) وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٤) قال الحافظ في الفتح: «وهذا لا يخالف حديث ابن عمر، فإنه نفى أن يكونوا مائة، وابن مسعود أثبت أنهم كانوا ثمانين، وأما ما ذكره النووي في شرح مسلم: أنه ثبت معه اثنا عشر رجلاً، فكأنه أخذه بما ذكره ابن إسحاق في حديثه أنه ثبت معه العباس وابنه الفضل وعلى، وأبو سفيان بن الحارث، وأخوه ربيعة، وأسامة بن زيد، وأخوه من أمه أيمن بن أم أيمن، ومن المهاجرين أبو بكر وعمر، فهؤلاء تسعة، وتقدم ذكر ابن مسعود في مرسل الحاكم، فهؤلاء عشرة، ووقع في شعر العباس بن عبد المطلب أن الذين ثبتوا كانوا عشرة فقط وذلك قوله:

عن (الرحمى) الفجرى
السكنى (الذى) الرومى

أين أصحاب السمرّة

ووقف النبي ﷺ ساكن الجأش، يدبر الرأي في خطة ينقذ بها سمعة الإسلام ومستقبله، وقد أحاط به لفيف من المهاجرين الأولين، ومن أهل بيته.

فأمر العباس بن عبد المطلب - وكان جهير الصوت - أن ينادى: يا معشر الأنصار، يا أصحاب البيعة يوم الحديبية^(١).

لقد هداه الحق أن يهتف بأصحاب العقائد، ورجال الفداء عقد الصدام فهم - وحدهم - الذين تنجح بهم الرسالات وتفرج الكروب.

أما هذا الغناء من العوام الحراص على الدنيا، السعاة إلى المغنم، فما يقوم بهم أمر، أو تثبت بهم قدم^(٢).

* عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال: «شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين. فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ، فلم نفارقه. ورسول الله ﷺ على بغلة له، بيضاء. أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي. فلما التقى المسلمون والكفار، ولى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار.

قال العباس: وأنا أخذ بلبجام بغلة رسول الله ﷺ أكفها إرادة أن لا تسرع. وأبو سفيان أخذ بركاب رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: (أى عباس! ناد أصحاب السمرّة)^(٣) فقال العباس: «وكان رجلاً صيتاً»^(٤) فقلت: بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرّة؟

= نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وعاشرونا وافى الحمّام بنفسه
وقد فر من قد فر عنه فأقشعوا لما مسه في الله لا يتوجع
ولعل هذا هو الثبوت. ومن زاد على ذلك يكون عجل في الرجوع فعد فيمن لم ينهزم [فتح الباري (٣٠/٨)].

(١) رواه ابن إسحاق بسند صحيح عن العباس وقد ساقه ابن جرير، وابن هشام عنه، وهو في مسلم (٥/١٦٦ - ١٦٧) نحوه.

(٢) فقه السيرة للغزالي (ص ٤٣٤ - ٤٣٥) بتصرف.

(٣) أصحاب السمرّة: هي الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان. ومعناه: ناد أهل بيعة الرضوان يوم الحديبية.

(٤) صيتاً: قوى الصوت.

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
(أسكنه الله الفردوس)

قال: فوالله! لكأن عطفهم حين سمعوا صوتي، عطفة البقر على أولادها. فقالوا: يا لبيك؟ يا لبيك! قال: فاقتلوا والكفار... والدعوة في الأنصار، يقولون: يا معشر الأنصار! يا معشر الأنصار! ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج، فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج!. يا بني الحارث بن الخزرج فظفر رسول الله ﷺ، وهو على بغلته، كالمتناول عليها، إلى قتالهم، فقال رسول الله ﷺ: (هذا حين حمى الوطيس)^(١).

قال: ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات، فرمى بهن وجوه الكفار. ثم قال: (انهزموا، ورب محمد!) قال: فذهبت انظر، فإذا القتال على هيئته فيما أرى. قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته. فما زلت أرى حدهم قليلاً^(٢) وأمرهم مذبذباً^(٣).^(٤)

﴿ وعن أنس رضي الله عنه قال: «التقى يوم حنين أهل مكة وأهل المدينة، واشتد القتال فولوا مدبرين، فندب رسول الله ﷺ الأنصار فقال: (يا معشر المسلمين أنا رسول الله) فقالوا: إليك والله جئنا، فنكسوا رؤوسهم، ثم قاتلوا حتى فتح الله عليهم» (٥) .

اللهم أنزل نصرك

وكعادة النبي ﷺ في كل غزواته فلقد أخذ يدعو ويدعو ويلجأ إلى الله (عز وجل) لينصره ومن معه من المؤمنين لأنه يعلم أن النصر لا يأتي إلا من عند الله (عز وجل).

* عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال قال رجل للبراء: أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة؟ فقال: أشهد على نبي الله ﷺ ما ولى. ولكنه انطلق أخفاء من الناس، وحسر إلى هذا الحى من هوازن، وهم قوم رماة. فرموهم برشق من نبل، كأنها رجلٌ من جراد^(٦)

(١) هذا حين حمى الوطيس: الضرب في الحرب.

(۲) حدهم كليلاً: ما زلت أرى قوتهم ضعيفة.

(٣) أخرجه مسلم (١٧٧٥) الجهاد، وأحمد (٢٠٧/١).

(٤) قال النووي رحمه الله «قال العلماء: في هذا الحديث دليل على أن فرارهم لم يكن بعيدها، وأنه لم يحصل الفرار من جميعهم، وإنما فتحه عليهم من في قلبه مرض من مسلمة أهل مكة المؤلفة ومشركيها الذين لم يكونوا أسلموا، وإنما كانت هزيمتهم فحاة لانصيابهم عليهم دفعة واحدة. وورثتهم بالسهام، ولا خلاط أهل مكة معهم ممن لم يستقر الإيمان في قلبه، ومن يترصد بالمسلمين الدوائر، وفيهم نساء وصبيان خرجوا للغنيمة، فتقدم أخفاؤهم، فلما رشقوهم بالنبل ولوا، فانقلبتم أولاهم على أجزأهم إلى أن أنزل الله سكينة على المؤمنين، كما ذكر الله تعالى في القرآن». [مسلم بشرح النووي (١٢/١٦٥)].

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرک (٤٨/٣) وقال: حدیث صحیح الإسناد، ولم یخرجاه، ووافقه الذهبی.

(٦) رجل من جراد: كأنها قطعة من جراد، والرجل: الجراد الكثير.

فانكشفوا: فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ ، وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته، فنزل، ودعا، واستنصر، وهو يقول:

(أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب)

(اللهم نزل نصرك).

قال البراء: كنا والله إذا احمر البأس نتقى به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به...
يعنى النبي ﷺ «(١)».

شاهت الوجوه

عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال: «غزونا مع رسول الله ﷺ حُينًا... وذكر الحديث ثم قال:

فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض، ثم استقبل به وجوههم، فقال: (شاهت الوجوه) (٢) فما خلق الله منهم إنسانًا إلا ملأ عينيه ترابًا بتلك القبضة، فولوا مدبرين فهزمهم الله عز وجل، وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين» (٣).

❖ وقد جاء أيضًا من حديث يزيد بن عامر السسوائي أنه قال: «عند انكشافه انكشفها المسلمون يوم حنين، فتبعتهم الكفار، فأخذ رسول الله ﷺ قبضة من الأرض، فرمى بها وجوههم، وقال: (أرجعوا شاهت الوجوه)، فما من أحد يلقى أخاه إلا وهو يشكو القذى، ويمسح عينيه» (٤). (٥)

(١) أخرجه مسلم في الجهاد والسير باب في غزوة حنين: (١٧٧٦/٧٩).

(٢) شاهت الوجوه: أى قبحت.

(٣) أخرجه مسلم (١٧٧٧) المغازي.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير: (٢٣٧/٢٢)، رقم (٦٢٢)، والبخارى في التاريخ الكبير (٣١٦/٢/٤) المطالب العالية (٤٣٧٢)، وعزاه إلى عبد بن حميد، وسكت عنه البوصيري، وقال الهيثمي في المجمع (١٨٢/٦ - ١٨٣) رواه الطبراني، ورجاله ثقات.

(٥) قال الحافظ ابن حجر: قلت: جاء في الأحاديث السابقة أنه ﷺ قد تناول كفاً من تراب أو حصي، ورمى بها المشركين، وقد جاء من حديث ابن مسعود، فيما مضى أيضاً أنه طلب منه أن يتأوله كفاً من التراب فرمى به المشركين، ومن حديث ابن عباس أنه طلب من علي أن يتأوله التراب، فرمى به المشركين، ويجمع بين هذه الأحاديث أنه ﷺ أولاً قال لصاحبه ناولني، فتأوله، فرماهم، ثم نزل عن البغلة، فأخذ =

وهكذا لم تصمد قوات المشركين طويلاً في الجولة الثانية حين صدق المسلمون ما عاهدوا الله عليه، وأجرى الله تعالى على يد نبيه المعجزة الواضحة، وإلى ذلك يشير القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودَهُ لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٦-٢٧].

انهارت قوى الشرك، وفرت من ميدان المعركة بشكل غير منظم مخلفة وراءها أعداداً كثيرة من القتلى وكمية كبيرة من الغنائم، كما خلفت شراذم من قواتها تمكن المسلمون من القضاء عليهم بسهولة، وأمر النبي ﷺ بتعقب المشركين المهزومين وقتلهم حتى يمنع إمكانية تجمعهم ثانية واحتمال عودتهم إلى القتال فكانت خسائر المشركين في القتلى خلال هزيمتهم أعظم من خسارتهم خلال المعركة. وقد نهى النبي ﷺ عن قتل النساء والأجراء وكل من لا يحمل السلاح، كما نهى عن قتل الأولاد والذراري حين بلغه أن بعضهم قد قُتل خلال المعركة^(١).

الله يلقى الرعب في قلوب المشركين

* عن يزيد بن عامر السسوائي «وكان شهد حيناً مع المشركين، ثم أسلم. قال أبو السائب: سألناه عن الرعب الذي ألقاه الله في قلوبهم يوم حنين، كيف كان، فأخذ حصاة، فرمى بها طستاً فطن قال: كنا نجد في أجوافنا مثل هذا»^(٢).

* ولا عجب في أن يلقى الله الرعب في قلوبهم فقد قال تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوًى لِلظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٥١].

وكان النبي ﷺ يوصي أصحابه بأن يشتدوا على المشركين لتكون هذه الجولة في صالح جنود الرحمن.

= بيده، فرماهم أيضاً، فيحتمل أن الحصى في إحدى المرتين، وفي الأخرى التراب، والله أعلم كذا قال الحافظ [فتح الباري (٨/٣٢)].

(١) نضرة النعيم (١/٣٧٨-٣٧٩) بتصرف.

(٢) قال الهيثمي في المجمع (٦/١٨٣): رواه الطبراني ورجاله ثقات.

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

* عن أنس رضى الله عنه: «أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين: (جُزَوْهُمْ جَزَاً)، وأوماً بيده إلى الخلق»^(١).

من قتل كافرين بالله سلبه

وكان النبي ﷺ يشجع أصحابه على أن يقتلوا أكبر عدد من المشركين فجعل لكل من يقتل كافراً الحق في أن يأخذ كل ما معه من متعلقات .

* عن أنس رضى الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ يومئذ يعنى يوم حنين: (من قتل كافراً، فله سلبه)، فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلاً، وأخذ أسلابهم»^(٢).

* وعن أبى قتادة رضى الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين. فلما التقينا كانت للمسلمين جولة»^(٣). قال: فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين^(٤)، فاستدرت إليه حتى أتيت من ورائه، فضربت على حبل عاتقه^(٥)، وأقبل على فضمنى ضمة وجدت منها ريح الموت^(٦). ثم أدركه الموت. فأرسلنى - أى تركنى - فلحقت عمر بن الخطاب. فقال: ما للناس؟ فقلت: أمر الله.

ثم إن الناس رجعوا، وجلس رسول الله ﷺ فقال: (من قتل قتيلاً، له عليه بينة، فله سلبه)^(٧) قال: فقممت فقلت: من يشهد لى؟^(٨)، ثم جلست ثم قال مثل ذلك. فقال قممت فقلت: من يشهد لى؟ ثم جلست. ثم قال ذلك الثالثة فقممت.

فقال رسول الله ﷺ (ما لك؟ يا أبا قتادة!) فقصصت عليه القصة فقال رجل من القوم: صدق. يا رسول الله! سلب ذلك القاتل عندى. فأرضه من حقه، وقال أبو بكر

(١) أخرجه البزار حديث رقم (١٨٣٠) كما فى كشف الأستار، وقال الهيثمى (١٨١/٦) رواه البزار، ورجاله ثقات.

(٢) رواه أبو داود والدارمى والحاكم (٣٥٣/٣) وصححه ووافقه الذهبى.

(٣) جولة: أى انهزام وخيفة ذهبوا فيها. وهذا إما كان فى بعض الجيش، وأما رسول الله ﷺ وطائفة معه فلم يولوا. والأحاديث الصحيحة بذلك مشهورة قد سبق بعضها فيما مضى من الأحاديث.

(٤) قد علا رجلاً من المسلمين: يعنى ظهر عليه وأشرف على قتله، أو صرعه وجلس عليه ليقتله.

(٥) على حبل عاتقه: هامه بين العنق والكتف.

(٦) وجدت منها ريح الموت: يحتمل أنه أراد شدة كسدة الموت: ويحتمل قاربت الموت.

(٧) له عليه بينة: أى شاهد، فله سلبه: هو ما على القاتل وما معه من ثياب وسلاح ومركب.

(٨) من يشهد لى: بأنى قتلت رجلاً من المشركين، فيكون سلبه لى.

الصديق: لاها الله^(١) إذا لا يعمد^(٢) إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله وعن رسوله، فيعطيك سلبه. فقال رسول الله ﷺ: (صدق. فأعطه إياه) فأعطاني قال: فبعث الدرع، فابتعت به مخرفاً^(٣) في بني سلمة. فإنه لأول مال تأثله^(٤) في الإسلام. وفي حديث الليثي: فقال أبو بكر: كلا لا يعطيه أضيع في قريش ويدع أسداً من أسد الله^(٥).

شجاعة أم سليم (رضي الله عنها)

* عن أنس رضي الله عنه قال: «إن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجرًا^(٦)، فكان معها فرأها أبو طلحة. فقال: يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر، فقال لها رسول الله ﷺ: (ما هذا الخنجر؟) قالت: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه. فجعل رسول الله ﷺ يضحك. قالت: يا رسول الله! اقتل من بعدنا^(٧) من الطلقاء^(٨) انهزموا بك^(٩). فقال رسول الله ﷺ: (يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن)^(١٠).

حركة المطاردة

تفرق من نجا من مقاتلة المشركين في الجبال والوديان بعد هزيمتهم في معركة حنين، ولجأت مجموعة كبيرة منهم إلى أوطاس^(١١)، وعسكرت مجموعة أخرى منهم في

(١) لاها الله: هكذا هو في زوايات جميع المحدثين وهو قسم ويمين بمعنى (لا والله).

(٢) لا يعمد: الضمير عائد إلى النبي ﷺ أي لا يقصد عليه السلام إلى إبطال حق أسد من أسود الله يقاتل في سبيله وهو أبو قتادة بإعطاء سلبه إياك.

(٣) مخرفاً: البستان وقيل السكة من النخيل وقيل هي الجنبه الصغيرة.

(٤) تأثله: اقتنته وتأصلته.

(٥) أخرجه البخاري (٤٣٢١) المغازي، ومسلم (١٧٥١) الجهاد والسير.

(٦) خنجرًا: سكين كبير ذات حدين.

(٧) من بعدنا: من سوانا.

(٨) الطلقاء هم الذين أسلموا يوم فتح مكة سُموا بذلك لأن النبي ﷺ من عليهم وأطلقهم وكان في إسلامهم ضعف فاعتقدت أم سليم أنهم منافقون يستحقون القتل لانهزامهم.

(٩) انهزموا بك: أي انهزموا عنك. على حد قوله تعالى: «فأسأل به خبيرًا»، أي عنه وبما نكون للسببية. أي انهزموا بسببك لنفاقهم.

(١٠) أخرجه مسلم (١٨٠٩) الجهاد والسير.

(١١) واد بين حنين والطائف، معجم البلدان (١/٢٨١).

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

نخلة^(١)، أما غالبية من انهزم من ثقيف فقد تبعوا قائدهم مالك بن عوف النصري إلى حصونهم بالطائف، وقد لاحق مقاتلة المسلمين الفارين حسب توجيهات النبي ﷺ، حيث بعث أبا عامر عبيد بن سليم بن حضار الأسلمي على رأس قوة من المسلمين إلى أوطاس فقاتلهم.

* عن أبي موسى الأشعري: قال: «لما فرغ النبي ﷺ من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس، فلقى دريد بن الصمة، فقتل دريد، وهزم الله أصحابه قال أبو موسى: وبعثني مع أبي عامر، فرمى أبو عامر في ركبته، رماه جشمي بسهم فأثبته في ركبته، فانتبهت إليه فقلت: يا عم! من رماك؟ فأشار أبو عامر إلى أبي موسى، فقال: إن ذلك قاتلي، تراه ذلك الذي رماني.

قال أبو موسى فقصدت له، فاعتمدته، فلحقته، فلما رأيته ولّى عني ذاهباً، فاتبعته وجعلت أقول له: ألا تستحي؟ أأنت عربي؟ ألا تثبت؟ فكفّ فالتقيت أنا وهو فاختلفنا ضربتين أنا وهو فقتلته. ثم رجعت إلى أبي عامر، فقلت: قد قتل الله صاحبك، قال: فانتزع هذا السهم، فترعته، فنزاه منه الماء^(٢) فقال: يا ابن أخي، انطلق إلى رسول الله ﷺ، فاقترئه عني السلام، ثم قل له إنه يقول لك استغفر لي.

قال: واستخلفني أبو عامر على الناس يسيراً، ثم مات. فلما رجعت إلى النبي ﷺ، دخلت عليه، وهو في بيت على سرير مرمّل وعليه فراش، وقد أثر رمال السرير بظهر رسول الله ﷺ وجنبه، فأخبرته بخبرنا، وخبر أبي عامر، وقلت له: قل له يستغفر لي.

فدعا رسول الله ﷺ بماء فتوضأ، ثم رفع يديه، فقال: (اللهم اغفر لأبي عامر عبدك)، حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قال: (اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك، أو من الناس)، فقلت: يا رسول الله! ولى فاستغفر. فقال: (اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً).

قال أبو بردة: إحداهما لأبي عامر، والأخرى لأبي موسى^(٣).

* ولقد قُتل في أوطاس من المشركين من بنى مالك ثلاثمائة قتيل بينهم دريد بن

(١) موضع بين حنين وسبواحة (تعليق حمد الجاسر على كتاب المناسك للحري).

(٢) فنزاه منه الماء: ظهر وجرى.

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٢٣) المغازي، ومسلم (٢٤٩٨) فضائل الصحابة.

الصمة، كما قُتل خلق كثير من بنى نصر بن معاوية من قبيلة رثاب. وهكذا فإنه ليس بالإمكان إعطاء رقم دقيق لعدد قتلى المشركين الإجمالى فى معركة حنين فقد كان عدد قتلى بنى مالك من ثقيف فى الجولة الثانية من حنين قد بلغ اثنين وسبعين قتيلاً وقُتل من الأحلاف قتيلاً، وقتل بأوطاس كما أسلفنا ثلاثمائة من بنى مالك، وتشير المصادر إلى أنه قُتل خلق كثير من فروع هوازن الأخرى وخاصة من بنى نصر بن معاوية وغيرهم ممن قُتلوا أثناء فرارهم إلى نخلة من حنين^(١).

خسائر المسلمين

لم تكن خسائر المسلمين كبيرة خلافاً للتوقعات من خلال المعلومات العامة عن إصابات المسلمين فى الجولة الأولى وفرار الكثير منهم، بل إنها كانت طفيفة جداً إذا ما أدخلنا قوة المشركين واستعداداتهم وخططهم فى الاعتبار وذلك من فضل الله وحفظه ورحمته بالمسلمين، فقد استشهد منهم أربعة شهداء^(٢)، وجرح عدد منهم، أشارت المصادر من بينهم إلى أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الله بن أبى أوفى وخالد بن الوليد^(٣)، وما يؤكد صحة هذه الأرقام بالإضافة إلى ورودها فى مرويات صحيحة، قيام المسلمين بعد الجولة الثانية بمطاردة المشركين إلى مسافات بعيدة، كما أنهم توجهوا إلى حصار الطائف بعد انتهاء معركة حنين مباشرة^(٤).

الغنائم

وكان سبى حنين كثيراً، فقد بلغ ستة آلاف من النساء والأبناء^(٥)، أما الغنائم فقد بلغت أربعة آلاف أوقية فضة^(٦)، أما الإبل فكانت أربعة وعشرين ألفاً^(٧)، أما الأغنام

(١) نضرة النعيم (١/ ٣٨٠).

(٢) هم: أبو عامر الأسلمى، وأبى بن عبيد، ويزيد بن زمعة بن الأسود، وسراقة بن الحارث، انظر: البخارى -

الصحيح (١٢٦/٥)، الحميدى - المسند (٣٩٨/٢)، الهيثمى - كشف الاستار (٣٤٦/٢)، وجين - إسناده:

الحافظ ابن حجر، فتح البارى (٨/ ٤٢).

(٣) البخارى - الصحيح (١٢٦/٥) (حديث ٤٣١٤).

(٤) نضرة النعيم (١/ ٣٧٩).

(٥) الصنعانى - المصنف (٣٨١/٥)، ابن سعد - الطبقات (٢/ ١٥٥) من رواية الزهرى عن ابن المسيب

مرسلاً، الطبرى - تاريخ (٣/ ٨٢)، الذهبى - المغازى (ص ٦٠٦).

(٦) ابن سعد - الطبقات (٢/ ١٥٢).

(٧) المرجع السابق (٢/ ١٥٢) وكان معهم خيل وأبقار وحمير وبغال غير أن المصادر لم تذكر عددها.

رفع

عن (الرحمى) (البحر)
(أسكن) (البحر) (الرحمى)

فكانت أكثر من أربعين ألف شاة^(١)، وقد حبس الرسول ﷺ هذا السبي والغنائم بالجعرانة ليتصرف فيها بعد الفراغ من أمر الطائف^(٢).

بعض ما تضمنته الغزوة من الموائد الجليلة

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

كان الله عز وجل قد وعد رسوله، وهو صادق الوعد، أنه إذا فتح مكة، دخل الناس في دينه أفواجاً، ودانت له العرب بأسرها. فلما تم له الفتح المبين، اقتضت حكمته تعالى أن أمسك قلوب هوازن ومن تبعها عن الإسلام، وأن يجمعوا ويتألبوا لحرب رسول الله ﷺ والمسلمين، ليظهر أمر الله، وتمام إعزازه لرسوله، ونصره لدينه، ولتكون غنائمهم شكراناً لأهل الفتح.

واقتضت حكمته سبحانه أن أذاق المسلمين أولاً مرارة الهزيمة والكسرة مع كثرة عددهم، وعددهم، وقوة شوكتهم ليبين سبحانه لمن قال: «لن تغلب اليوم عن قلة» أن النصر إنما هو من عنده، وأنه من ينصره، فلا غالب له، ومن يخذله، فلا ناصر له غيره، وأنه سبحانه هو الذي تولى نصر رسوله ودينه، لا كثر تكم التي أعجبتكم، فإنها لم تغن عنكم شيئاً.

ومنها: أن الله سبحانه لما منع الجيش غنائم مكة، فلم يغنموا منها ذهباً، ولا فضةً، ولا متاعاً، ولا سبيّاً، ولا أرضاً فحرك سبحانه قلوب المشركين لغزوهم، وقذف في قلوبهم إخراج أموالهم، ونعمهم، وشائهم، وسبيهم معهم نزلاً، وضيافةً، وكرامةً لحزبه وجنده، فلما أنزل الله نصره على رسوله وأوليائه، وبردت الغنائم لأهلها، وجرت فيها سهام الله ورسوله، قيل: لا حاجة لنا في دمائكم، ولا في نسائكم وذرائكم، فأوحى الله سبحانه إلى قلوبهم التوبة والإنابة، فجاءوا مسلمين. فقليل إن من شكر إسلامكم وإتيانكم، أن نرد عليكم نساءكم وأبناءكم وسبيكم و﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٠].

ومنها: أن الله سبحانه جبر بها أهل مكة، وفرحهم بما نالوه من النصر والمغنم، فكانت

(١) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٢) أخرجه البزار كما في كشف الأستار للهيتمي (٢/ ٣٥٣)، قال الحافظ ابن حجر: «إسناده حسن»، انظر، الإصابة (١٤٥).

رفع

عبد الرحمن بن محمد
أسكنه الله الفردوس

كالدواء لما نالهم من كسرهم.

وفيها: من الفقه أن الإمام ينبغي له أن يبعث العيون ومن يدخل بين عدوه ليأتيه بخبرهم، وأن الإمام إذا سمع بقصد عدوه له، وفي جيشه قوة ومنعة لا يقعد ينتظرهم، بل يسير إليهم، كما سار رسول الله ﷺ إلى هوازن حتى لقيهم بحنين.

ومنها: أن الإمام له أن يستعير سلاح المشركين وعدتهم لقتال عدوه، كما استعار رسول الله ﷺ أدراع صفوان، وهو يومئذ مشرك.

وفيها: أن النبي ﷺ شرط لصفوان في العارية الضمان، فقال: «بل عارية مضمونة» ومعناه: أني ضامن لك تأديتها.

وفيها: جواز عقر فرس العدو ومركوبه إذا كان ذلك عوناً على قتله، كما عقر عليٌّ - رضي الله عنه - جمل حامل راية الكفار، وليس هذا من تعذيب الحيوان المنهي عنه.

وفيها: عفو رسول الله ﷺ عمن هم بقتله، ولم يعاجله، بل دعا له ومسح صدره حتى عاد، كأنه ولي حميم.

ومنها: ما ظهر في هذه الغزاة من معجزات النبوة وآيات الرسالة، من إخباره لشية بما أضمر في نفسه، ومن ثباته، وقد تولى عنه الناس.

ومنها: إيصال الله قبضته التي رمى بها إلى عيون أعدائه على البعد منه، وبركته في تلك القبضنة، حتى ملأت أعين القوم، إلى غير ذلك من معجزاته فيها، كنزول الملائكة للقتال معه، حتى رأهم العدو جهرة، ورآهم بعض المسلمين.

ومنها: جواز انتظار الإمام بقسم الغنائم إسلام الكفار ودخولهم في الطاعة، فيرد عليهم غنائمهم وسبيهم، وفي هذا دليل لمن يقول: إن الغنيمة إنما تملك بالقسمة، لا بمجرد الاستيلاء عليها، إذ لو ملكها المسلمون بمجرد الاستيلاء، لم يستأن بهم النبي ﷺ ليردها عليهم.

وفيه دلالة على أنه يستحق سلب جميع من قتله، وإن كثروا. وقد ذكر أبو داود أن أبا طلحة قتل يوم حنين عشرين رجلاً، فأخذ أسلابهم (١). (٢).

رفع

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

(١) رواه أبو داود والدارمي بإسناد صحيح.

(٢) زاد المعاد (٣/ ٤٧٧ : ٤٩٥) بتصرف.

غزوة الطائف

تجمعت قوات المسلمين في أعقاب النصر المظفر الذي كتبه الله لهم في معركة حنين، وتوجهوا بقيادة النبي ﷺ إلى الطائف بهدف القضاء على قوات ثقيف التي فرت من حنين، وكانت فلول ثقيف بقيادة مالك بن عوف قد لجأت إلى حصونها المنيع في الطائف وجمعت ما يكفيها من المؤن الغذائية لعام كامل، وأغلقت أبوابها واتخذت كافة الإجراءات والاستعدادات التي تمكنها من مواجهة حصار طويل وواصلت ترميم الحصون وتدعيمها إلى حين وصول طلائع المسلمين المتجهة نحوهم^(١).

﴿عن عبد الله بن عمرو قال: «حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف فلم ينل منهم شيئاً فقال: إنا قافلون إن شاء الله. قال أصحابه: نرجع ولم نفتحه... فقال لهم رسول الله ﷺ: اغدوا على القتال، فغدوا عليه فأصابهم جراح، فقال لهم رسول الله ﷺ: إنا قافلون غداً. قال: فأعجبهم ذلك فضحك رسول الله ﷺ»﴾^(٢).

قال النووي: معنى الحديث أنه ﷺ قصد الشفقة على أصحابه والرفق بهم بالرحيل عن الطائف لصعوبة أمره وشدة الكفار الذين فيه وتقويتهم بحصنهم، مع أنه ﷺ علم أو رجع أنه سيفتحه بعد هذا بلا مشقة كما جرى، فلما رأى حرص أصحابه على المقام والجهاد أقام وجد في القتال، فلما أصابته الجراح رجع إلى ما كان قصده أولاً من الرفق بهم، وفرحوا بذلك لما رأوا من المشقة الظاهرة، ولعلمهم نظروا فعلموا أن رأي النبي ﷺ أبرك وأنفع وأحمد عاقبة وأصوب من رأيهم، فوافقوا على الرحيل وفرحوا، فضحك النبي ﷺ تعجباً من سرعة تغير رأيهم والله أعلم^(٣).

(١) ابن سعد في الطبقات (٢/١٥٨)، وابن هشام في السيرة (٤/١٧٠-١٧١).

(٢) رواه مسلم (١٢/١٢٢، ١٢٣) الجهاد والسير، والبخاري (٧/٦٤٠) المغازي.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم هامش (١٢/١٢٤).

الأحد الثاني كانت في الطائف

وصل الجيش الإسلامي إلى الطائف في حدود نهاية الأسبوع الثالث من شهر شوال، فباشروا إحكام الحصار حول حصون العدو مدة أسبوعين، وكان نزولهم أول الأمر قريباً من حصون العدو وعلى مرمى سهامهم مما أدى إلى سقوط عدد من الشهداء وجرح عدد آخر منهم، ثم تحول المسلمون وعسكروا في الموضع الذي بُنى فيه المسجد^(١)، وكان القتال تراشقاً بالسهام في أول الأمر، ثم استخدم المسلمون «الدبابة» بهدف الوصول إلى الأسوار وثقبها آمينين من السهام، ولكن ثقيلاً فطنت للأمر فألقت عليهم قطع حديد محمّاة أحرقت الدبابة وحين خرج المقاتلون المسلمون منها، ضربوهم بالسهام فقتلوا بعضهم... واستخدم المسلمون المنجنيق لرمى التحصينات بالحجارة بهدف هدمها وإيقاع إصابات في قوات العدو في الوقت نفسه، غير أن قلة هذه الآلات وعدم وجود خبراء في استعمالها وإجادة التهديد بها جعل أثرها محدوداً^(٢). لذلك فقد وجد النبي ﷺ أن أفضل وسيلة للضغط على ثقيف هي في تهديد مواردها الاقتصادية الحيوية المتمثلة في بساتينها، فأمر ﷺ بتحريق بساتين الأعناب والنخيل في ضواحي الطائف، مما كان له أثره الكبير في كسر معنوياتهم، فناشدوا النبي ﷺ أن يدعها لله وللرحم، فاستجاب لهم النبي ﷺ بعد أن تحقق الهدف المنشود^(٣).^(٤)

من بلغ بسهم فله درجة في الجنة

* عن أبي نجيح عمرو بن عبسة السلمي رضى الله عنه قال: حاصرنا مع رسول الله ﷺ قصر الطائف، فسمعت رسول الله ﷺ يقول: (من بلغ بسهم فله درجة في الجنة). فبلغت يومئذ ستة عشر سهماً، وسمعت رسول الله ﷺ يقول: (من رمى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرر، ومن شاب شية في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة). (وأياً رجل أعتق رجلاً مسلماً فإن الله - عز وجل - جاعل كل عظم من عظامه،

(١) مسلم - الصحيح (٧٣٦/٢)، أحمد - المسند (١٥٧/٣)، وانظر رأى الحافظ ابن كثير - البداية والنهاية (٣٥٦/٤)، وابن هشام - السيرة (٤٧٨/٢).

(٢) ابن هشام - السيرة (٤٧٨/٢-٤٨٣) برواية ابن إسحاق.

(٣) البيهقي - السنن الكبرى (٨٤/٩)، والشافعي - كتاب الأم (٣٢٣/٧).

(٤) نضرة النعيم (٣٨١/١).

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

وفاء كل عظم بعظم، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة، فإن الله - عز وجل - جاعل كل عظم من عظامها وفاء كل عظم من عظام محررها من النار^(١).

النبي ﷺ يهتق كل من نزل عن الحصن

ونادى منادى النبي ﷺ عبید الطائف قائلاً: أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر، فنزل إليهم ثلاثة وعشرون عبداً، منهم أبو بكرة نفيح بن الحارث الثقفي، فأسلموا، فأعتقهم النبي ﷺ، ولم يعدهم إلى ثقيف بعد إسلامهم^(٢). غير أن كل ذلك لم يؤثر كثيراً في عناد ثقيف التي صمدت بوجه الحصار، ورغم ما واجهته من وابل السهام التي أمطرها بها المسلمون لينالوا بها درجة من الجنة وعدهم بها رسول الله ﷺ، وقد تمكنت ثقيف من إيقاع إصابات شديدة بالمسلمين فقد كثرت الجراحات بينهم واستشهد منهم اثنا عشر شهيداً، وكل ذلك مقابل ثلاثة قتلى في صفوف ثقيف التي كانت متمتعة بالحصون والأسوار العالية^(٣).^(٤)

النبي ﷺ يدعو لهم بالهداية

وقال الحافظ: في مرسل ابن الزبير عند ابن أبي شيبه قال: لما حاصر النبي ﷺ الطائف قال أصحابه: يا رسول الله أحرقتنا نبال ثقيف فادع الله عليهم، قال: «اللهم اهد ثقيفاً»^(٥) وذكر أهل المغازي أن النبي ﷺ لما استعصى عليه الحصن وكانوا قد أعدوا فيه ما يكفيهم لحصار سنة ورموا على المسلمين سكك الحديد المحماة ورموهم بالنبل فأصابوا قوماً، فاستشار نوفل بن معاوية الديلي فقال: هم ثعلب في جحر إن أقمت عليه أخذته وإن تركته لم يضرك فرحل عنهم^(٦).

(١) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وأحمد (١١٣/٤)، والحاكم (٤٩/٣ - ٥٠) وقال صحيح عال، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، والحديث صحيح كما قالوا أخرجه بعضهم بطوله وبعضهم باختصار.

(٢) البخاري - الصحيح (١٢٩/٥)، أحمد - المسند (٢٣٦/١)، ابن حجر - فتح الباري (٤٦/٨)، الصنعاني - المصنف (٣٠١/٥)، ابن سعد - الطبقات (١٥٨-١٥٩)، وانظر ابن هشام - السيرة (٤٨٥/٢).

(٣) البخاري - الصحيح (٢٠/٨)، ابن هشام - السيرة (٤٨٦/٢، ٤٨٧).

(٤) نضرة النعيم (٣٨١/١).

(٥) رواه الترمذي (٣٩٤٢)، وأحمد (٣٤٣/٣)، ورجاله ثقات.

(٦) فتح الباري (٦٤١/٧).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

تقسيم الغنائم

ولما عاد رسول الله ﷺ بعد رفع الحصار عن الطائف؛ مكث بالجعرانة بضع عشرة ليلة لا يقسم الغنائم، ويتأني بها يتغنى أن يقدم عليه وفد هوازن تائبين، فيحرزوا ما فقدوا، ولكنه لم يجئه أحد، فبدأ بقسمة المال، لئسكت المتطلعين من رؤساء القبائل وأشرف مكة، فكان المؤلفه قلوبهم أول من أعطى وحظى بالأئصة الجزلة^(١).

* عن رافع بن خديج رضى الله عنه قال: «أعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس كل إنسان منهم، مائة من الإبل، وأعطى عباس بن مرداس ذلك. فقال عباس بن مرداس:

أتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع
فما كان بدر ولا حابس يفوقان مرداس في المجمع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تخفض اليوم لا يرفع

قال: فأتم له رسول الله ﷺ مائة^(٢).

* وعن ابن شهاب قال: «غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح، فتح مكة، ثم خرج رسول الله ﷺ بمن معه من المسلمين، فاقتتلوا بحتين، فنصر الله دينه والمسلمين، وأعطى رسول الله ﷺ يومئذ صفوان بن أمية مائة من النعم، ثم مائة. ثم مائة.

قال ابن شهاب: حدثني سعيد بن المسيب أن صفوان قال: والله! لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني، وإنه لأبغض الناس إليّ فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ^(٣).

* وعن عمرو بن ثعلب رضى الله عنه قال: «أعطى رسول الله ﷺ قوماً، ومنع آخرين، فكأنهم عتبوا عليه فقال: (إنى أعطى أقواماً أخاف هلعهم وجزعهم، وأكل قوماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى منهم عمرو بن ثعلب). قال عمرو: فما أحب أن لى بكلمة رسول الله ﷺ حُمر النعم».

(١) الرحيق المختوم (ص ٤٥٥-٤٥٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٦٠) الزكاة.

(٣) أخرجه مسلم (٢٣١٣) الفضائل.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

وفى لفظ آخر: «أن رسول الله ﷺ أتى بمال، أو سبي - فقسمه، فأعطى رجالاً، وترك رجالاً. فبلغه أن الذين ترك عتبوا، فحمد الله، ثم أثنى عليه، ثم قال: (أما بعد)، فوالله إني لأعطي الرجل والذي أدع أحب إلي من الذي أعطى، ولكن أعطى أقواماً لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع، وأكل أقواماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير، فيهم عمرو بن ثعلب)... قال عمرو: فوالله ما أحب أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حُمر النعم»^(١).

* وبعد إعطاء المؤلف قلوبهم أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت بإحضار الغنائم والناس، ثم فرقها على الناس، فكانت سهامهم لكل رجل أربعاً من الإبل وأربعين شاة، فإن كان فارساً أخذ اثني عشر بغيراً وعشرين ومائة شاة.

كانت هذه القسمة مبنية على سياسة حكيمة فإن في الدنيا أقواماً كثيرين يقادون إلى الحق من بطونهم، لا من عقولهم، فكما تُهدى الدواب إلى طريقها بحزمة برسيم تظل تمد إليها فمها حتى تدخل حظيرتها آمنة، فكذلك هذه الأصناف من البشر تحتاج إلى فنون من الإغراء حتى تستأنس بالإيمان وتهش له^(٢).

ذهب الناس بالشاة والبعير... وعاد الأنصار بالبشير النذير ﷺ

ولما قسم النبي ﷺ الغنائم بين الناس وجد الأنصار في قلوبهم وحزنوا وظنوا أن النبي ﷺ نسيتهم... فجمعهم النبي ﷺ ودار بينه وبينهم هذا الحوار الرقيق الذي يجعل القلب يبكي الدماء بدل الدموع.

* عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: «لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا، في قريش وفي قبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء وجد هذا الحى من الأنصار في أنفسهم، حتى كثرت منهم القالة^(٣) حتى قال قائلهم: لقد لقي والله رسول الله ﷺ قومه... فدخل عليه سعد بن عباد، فقال: يا رسول الله، إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم، لما صنعت في هذا الفء الذى أصبت، قسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحى من الأنصار

(١) أخرجه البخارى فى المغازى، ومسلم (١٧٧٨) الجهاد والسير.

(٢) فقه السيرة للغزالي (ص ٢٩٨ - ٢٩٩).

(٣) القالة: الكلام الردىء.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

منها شيء. قال: (فأين أنت من ذلك يا سعد؟) قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي، قال: (فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة)^(١).

قال: فخرج سعد، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة. قال: فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا، وجاء آخرون فردهم. فلما اجتمعوا له أتاه سعد، فقال: قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار، فأتاهم رسول الله ﷺ، فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: (يا معشر الأنصار: ما قاله بلغتنى عنكم وجدة^(٢) وجدتموها على في أنفسكم؟ ألم آتكم ضللاً فهداكم الله، وعالة^(٣) فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم!) قالوا: بلى، الله ورسوله أمن وأفضل.

ثم قال: (ألا تحبوننى يا معشر الأنصار؟) قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المن والفضل. قال ﷺ: (أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم، ولصدقتم: أتيتنا مكذباً فصدقناك، ومخذولاً^(٤) فنصرناك، وطريدًا فأويناك. وعائلاً فأسيناك^(٥)؟.. فقال: وجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة^(٦) من الدنيا تألفت بها قومًا ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شعبًا، وسلك الأنصار شعبًا: لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار)^(٧).

* وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «إن أناساً من الأنصار قالوا يوم حنين، حين أفاء^(٨) الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء، فطفق رسول الله ﷺ يعطى رجالاً من قريش. المائة من الإبل، فقالوا: يغفر الله لرسول الله، يعطى قريشاً، ويتركنا، وسيوفنا

(١) الحظيرة: شبة الزرية التى تصنع للإبل والماشية لتمنعها، وتكف عنها العوادي.

(٢) الموجدة: العتاب.

(٣) عالة: جمع عائل: الفقير.

(٤) مخذولاً: متروكاً.

(٥) آسيناك: أعطيناك حتى جعلناك كأحدنا.

(٦) لعاعة: بقلة خضراء ناعمة شبه بها زهرة الدنيا ونعيمها.

(٧) أخرجه أحمد (٧٦/٣، ٧٧، ٨١)، وابن جرير (٣٦٠/٢، ٣٦١)، وعبد الرزاق فى المصنف (١١/٦٤)، وأبو يعلى كما فى مجمع الزوائد (١٠/٣٠) وأسانيدهم صحيحة، ابن كثير فى سيرته (٣/٦٧٨)، ابن هشام فى السيرة (٢/٤٩٨، ٤٩٩) وسنده صحيح.

(٨) ما أفاء: ما غنم من هوازن بعد هزيمتهم.

رفع

عبد الرحمن بن الحجاج
أسكنه الله الفردوس

تقطر من دمائهم! (١).

قال أنس بن مالك: فحدث رسول الله ﷺ بمقاتلتهم، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من آدم (٢). فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله ﷺ فقال: (ما حديث بلغني عنكم) فقال له فقهاء الأنصار: أما رؤوسنا، يا رسول الله! فلم يقولوا شيئاً. وأما ناس منا حديثه أسنانهم فقالوا: يغفر الله لرسوله، يعطى قريشاً ويتركنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم!

فقال رسول الله ﷺ: (فإني أعطى رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم) (٣). أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال، وترجعون إلى رحالكم (٤) برسول الله ﷺ؟ فوالله! لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به) فقالوا: يا رسول الله! قد رضينا. قال: (فإنكم ستجدون أثرة شديدة) (٥)، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله. فإني على الحوض). قالوا: سنصبر.

قال أنس: فلم يصبروا. وفي لفظ آخر له: «قال: جمع رسول الله ﷺ الأنصار، فقال: (أفيكم أحد من غيركم؟ فقالوا: لا. إلا ابن أخت لنا، فقال رسول الله ﷺ: إن ابن أخت القوم منهم).

فقال: (إن قريشاً حديث عهد بجاهلية) (٦) ومضية. وإني أردت أن أجبرهم (٧) وأتألفهم. أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا، وترجعون برسول الله ﷺ إلى بيوتكم. لو سلك الناس وادياً، وسلك الأنصار شعباً (٨)، لسلكت شعب الأنصار) (٩).

* وعن عبد الله بن زيد رضى الله عنه: «أن رسول الله ﷺ لما فتح حنيناً قسم الغنائم، فأعطى المؤلفة قلوبهم، فبلغه أن الأنصار يحبون أن يصيبوا ما أصاب الناس فقام رسول الله ﷺ، فخطبهم، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: (يا معشر الأنصار! ألم

(١) أخرجه البخارى (٤٣٣١) المغازى، ومسلم (١٠٥٩/١٣٢) الزكاة.

(٢) قبة من آدم: القبة من الخيام: بيت صغير مستدير والأدم الجلد.

(٣) أتألفهم: أستميل قلوبهم بالإحسان ليثبتوا على الإسلام رغبة في المال.

(٤) رحالكم: منازلكم.

(٥) أثرة شديدة: الأثرة: الاستئثار: أى يستأثر عليكم ويفضل عليكم غيركم بغير حق.

(٦) حديث عهد بجاهلية: كانوا قريب عهد بجاهلية. أى أن زمانهم قريب من زمان الكفر.

(٧) أجبرهم: أى أفعل معهم ما يتجبر به خاطرهم وينسيهم مصيبتهم.

(٨) وسلك الأنصار شعباً، قال الخليل: الشعب هو ما انفرج عن بين جبلين.

(٩) أخرجه البخارى (٤٣٣٤) المغازى، ومسلم (١٠٥٩/١٣٣) الزكاة.

رفع
عن (الرحمن) (الرحمن)
(سلك) (الرحمن) (الرحمن)

أجداكم ضللاً فهداكم الله بي؟ وعالة^(١) فأغناكم الله بي؟ ومتفرقين^(٢) فجمعكم الله بي؟ ويقولون: الله ورسوله آمن. فقال: (ألا تحبونني؟) فقالوا: الله ورسوله آمن. فقال: (أما إنكم لو شئتم أن تقولوا كذا وكذا)، وكان من الأمر كذا وكذا» لأشياء عددها.

فقال: (ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء^(٣) والإبل، وتذهبون برسول الله إلى رحالككم؟ الأنصار شعار والناس دثار^(٤))، ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وشعباً، لسلكت وادى الأنصار وشعبهم. إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض^(٥) (٦).

فمن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله ﷺ؟

* عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: «فلما كان يوم حنين أثر رسول الله ﷺ ناساً في القسمة، فأعطى الأقرع بن خابس مائة من الإبل، وأعطى عينة مثل ذلك، وأعطى أناساً من أشراف العرب، وأثرهم يومئذ في القسمة. فقال رجل: والله إن هذه

(١) عالة: أي فقراء.

(٢) متفرقين: متدابرين يعادى بعضهم بعضاً.

(٣) الشاء: جمع شاة وهي الغنم.

(٤) الأنصار شعار والناس دثار: قال أهل اللغة: الشعار الثوب الذي يلي الجسد، والدثار فوقه ومعناه الأنصار هم البطانة والخاصة والأصفاء والصق الناس بي من سائر الناس.

(٥) أخرجه البخاري (٤٣٣١) المغازي، ومسلم (١٠٥٩/١٣٢) الزكاة، واللفظ لمسلم.

(٦) قال الحافظ ابن حجر: وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدم: إقامة الحجة على الخصم، وإفحامه بالحق عند الحاجة إليه، وحسن أدب الأنصار في تركهم المحاوراة والمبالغة في الحياء، وبين أن الذي نقل عنهم إنما كان عن شبانهم لا عن شيوخهم وكهولهم.

وفيه مناقب عظيمة لهم لما اشتمل من ثناء الرسول البالغ عليهم، وأن الكبير ينبه الصغير على ما يغفل عنه، ويوضح له وجه الشبهة ليرجع إلى الحق، وفيه المعاتبة واستعطاف المعاتب وإعتابه عن عتبه بإقامة حجة من عتب عليه، والاعتذار والاعتراف.

وفيه علم من أعلام النبوة لقوله: «ستلقون بعدي أثرة» فكان كما قال: وقد قال الزهري في روايته: عن أنس في آخر الحديث: «قال أنس فلم يصبروا» وفيه أن للإمام تفضيل بعض الناس على بعض في مصارف الفياء، وأن له أن يعطى الغنى منه للمصلحة، وأن من طلب حقه من الدنيا لا عتب عليه في ذلك.

وفيه مشروعية الخطبة عند الأمر الذي يحدث سواء كان خاصاً أم عاماً، وفيه تسليية من فاته شيء من الدنيا مما حصل له من ثواب الآخرة، والحض على طلب الهدية والألفة والغنى. وأن المنية لله ورسوله على الإطلاق، وتقديم جانب الآخرة على الدنيا، والصبر عما فات منها ليدخر ذلك لصاحبه في الآخرة، والآخرة خير وأبقى» [فتح الباري (٥٢/٨)].

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

لقسمة ما عدل فيها، وما أريد فيها وجه الله.

قال: فقلت: والله! لأخبرن رسول الله ﷺ. قال: فأتيته. فأخبرته بما قال، قال: فتغير وجهه حتى كان كالصرف، ثم قال: (فمن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله) قال: ثم قال: (يرحم الله موسى، قد أودى بأكثر من هذا فصبر) قال: قلت لا جرم لا أرفع إليه بعدها حديثاً^(١).

الأعرابي الذي رفض بشري رسول الله ﷺ

* عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال: «كنت عند النبي ﷺ وهو نازل بالجرعانة بين مكة والمدينة ومعه بلال، فأتى النبي ﷺ أعرابي، فقال: ألا تنجز لى ما وعدتني؟ فقال له: (أبشر). فقال: قد أكثرت على من أبشر. فأقبل على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان، فقال: (ردّ البشرى، فاقبلا أنتما). قالوا: قبلنا. ثم دعا بقدر فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه، ومجّ فيه ثم قال: اشربا منه، وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا، فأخذا القدح ففعلا. فنادت أم سلمة من وراء الستر أن أفضلا لأمكما، فأفضلا لها منه طائفة^(٢)».

قدوم وفد هوازن

وبعد قسمة الغنائم قدم وفد من هوازن يعلن إسلامهم ويلتمس من رسول الله ﷺ رد أموالهم وذرائعهم عليهم، فخيرهم بين الأموال والسبي فاخاروا السبي، فجمع النبي ﷺ المسلمين وخطب فيهم، وقال إنه يريد أن يرد السبي لهوازن.

* من حديث مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة: «أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين، فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: (معى من ترون، وأحب الحديث إلى أصدقه، فاخاروا إحدى الطائفتين: إما السبي وإما المال. وقد كنت استأنيت بكم) وكان أنظرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف فلما تبين لهم أن رسول الله ﷺ غير راد إليهم إلا إحدى الطائفتين. قالوا: فإننا نختار سبينا.

(١) أخرجه البخارى (٤٣٣٦) المغازى، ومسلم (١٠٦٢) الزكاة، واللفظ لمسلم.
(٢) أخرجه البخارى (٤٣٢٨) المغازى، ومسلم (٢٤٩٧) فضائل الصحابة.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فقام رسول الله ﷺ في المسلمين، فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: (أما بعد فإن إخوانكم قد جاءونا تائبين، وإنى قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفىء الله علينا فليفعل). فقال الناس: قد طبنا بذلك يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: (إنا لا ندرى من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن. فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم)، فرجع الناس، فكلمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ، فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا... هذا الذي بلغني عن سبي هوازن^(١).

وفى رواية: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: «شهدت رسول الله ﷺ يوم حنين، وجاءته وفود هوازن فقالوا: يا محمد إنا أصل^(٢) وعشيرة، فمن علينا من الله عليك، فإنه قد نزل بنا من البلاء ما لا يخفى عليك، فقال: (اختاروا بين نسائكم وأموالكم وأبنائكم) فقالوا: خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا نختار أبنائنا، فقال: (ما كان لى ولبنى عبد المطلب، فهو لكم، فإذا صليت الظهر قولوا: إنا نستشفع برسول الله على المؤمنين، وبالمؤمنين على رسول الله ﷺ في نسائنا وأبنائنا).

قال: ففعلوا، فقال رسول الله ﷺ: (أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم)، وقال المهاجرون: ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، وقالت الأنصار مثل ذلك، وقال عيينة بن بدر: أما ما كان لى ولبنى فزارة فلا، وقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو ثميم فلا، وقال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا.

فقال الحيان: كذبت بل هو لرسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: (يا أيها الناس ردوا عليهم نساءهم وأبنائهم، فمن تمسك بشيء من الفىء، فله علينا ستة فرائض من أول شيء يفيئه الله علينا).

وفى رواية: «فردوا على الناس أبنائهم ونساءهم ثم ركب راحلته، وتعلق به الناس يقولون: أقسم علينا فيئنا بيننا، حتى ألقئوه إلى سمرة^(٣) فخطفت رداءه، فقال: (يا أيها الناس ردوا على رداي، فوالله لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعم لقسمته بينكم ثم لا تلقوني بخيلاً ولا جبائاً ولا كذوباً).

(١) أخرجه البخارى (٤٣١٨، ٤٣١٩) المغازى.

(٢) إنا أصل: يريدون أن رسول الله استرضع فى بنى سعد، وأن أمه من الرضاع خليمة السعدية.

(٣) سمرة: ضرب من شجر الطلح له شوك.

رَفَعُ

عبد الرحمن بن الحارثي
أسكنه الله الفردوس

ثم دنا من بعيره. فأخذ وبرة من سنامه، فجعلها بين أصابعه السبابة والوسطى، ثم رفعها، فقال: (يا أيها الناس ليس لي من هذا الفء ولا هذه إلا بالخمس، والخمس مردود عليكم، فردوا الخياط والمخيط، فإن الغلول يكون على أهله يوم القيامة عاراً وناراً وشناراً).

فقام رجل معه كبة من شعر فقال: إني أخذت هذه أصلح بها بردعة بعير لي دبر، قال: (أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لك)، فقال الرجل: يا رسول الله أما إذ بلغت ما أرى فلا أرب لي بها ونبذها^(١).

كان إسلام (هوازن) نصراً

ولقد كان إسلام هوازن نصراً آخر كتبه الله للمسلمين سر به النبي ﷺ فسألهم عن زعيمهم مالك بن عوف ووعدهم برد أهله وأمواله عليه ويكرامه بمائة من الإبل إن قدم عليه مسلماً، فأسلم وحسن إسلامه وقاتل المشركين في الطائف وضيق عليهم، وقد أسلم بعد ذلك بعض زعماء ثقيف أمثال عروة بن مسعود الثقفي الذي لحق بالنبي ﷺ في طريق المدينة فأسلم على يديه وعاد إلى الطائف يدعو إلى الإسلام، ويؤذن من على سطح منزله فرماه بعض المشركين فأصابه، ودُفن بناء على وصيته مع شهداء المسلمين أثناء حصار الطائف^(٢).

أما غالبية قبيلة ثقيف فقد تأخر إسلامهم إلى ما بعد عودة النبي ﷺ من غزوة تبوك وسنعرض لذلك في حينه إن شاء الله^(٣).

عمرة النبي ﷺ من الجعرانة

* عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «اعتمر رسول الله ﷺ أربع عمر، عمرة الحديبية والثانية حين تواطئوا على عمرة من قابل، والثالثة من الجعرانة، والرابعة التي قرن مع حجته»^(٤).

(١) قال الهيثمي في المجمع: (١٨٧/٦، ١٨٨) رواه أبو داود باختصار كثير، ورواه أحمد، ورجال أحمد أسانيدهم ثقات، وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح (٣٤٨)، وهو كما قال الحافظ.

(٢) البداية والنهاية (٢٩/٥).

(٣) نضرة النعيم (٣٨٤/١).

(٤) رواه أحمد (٢٢١١)، والترمذي (٨١٦)، وأبو داود (١٩٩٣)، وسنده صحيح.

رفع

عن الشيخ (الترمذي)
(مسلم) (الترمذي)

* وعن أنس رضى الله عنه قال: «اعتمر رسول الله ﷺ أربع عمر كلهن فى ذى القعدة إلا التى كانت مع حجته، عمرة من الحديبية فى ذى القعدة، وعمرة من العام المقبل فى ذى القعدة، وعمرة من الجعرانة حيث قسم غنائم حنين فى ذى القعدة، وعمرة مع حجته»^(١).

* وعن يعلى بن منبه رضى الله عنه قال: «جاء رجل إلى النبى ﷺ، وهو بالجعرانة وعليه جبة، وعليها خلوق، أو قال: أثر صُفرة، فقال: كيف تأمرنى أصنع فى عمرتى؟ قال: وأنزل على النبى ﷺ الوحى، فستر بثوب، وكان (يعلى) يقول: وددت أنى أرى النبى ﷺ، وقد أنزل الوحى عليه، فقال: فرفع عمر طرف الثوب عنه، فنظرت إليه، فإذا له غطيط «قال» وأحسبه كغطيط البكر، فلم سرى عنه قال: (أين السائل عن العمرة؟ اغسل عنك الصُفرة، أو قال أثر الخلوق، واخلع عنك جبتك، واصنع فى عمرتك ما أنت صانع فى حجتك).

قال: وأتى النبى ﷺ رجل قد عض رجلاً، فانتزع يده، فسقطت ثنيثا الذى عضه، قال: فأبطلها النبى ﷺ، وقال: (أردت أن تقضمه كما يقضم الفحل)^(٢).

درس لا ينسى

ولما عاد النبى ﷺ إلى المدينة أرسل بعض أصحابه لجمع الصدقات من الأعراب - وذلك فى السنة التاسعة للهجرة - وكان من بين هؤلاء الذين ذهبوا لجمع الصدقات: «ابن اللبنة الأزدي» فوقع فى أمر سنعرفه من سياق الحديث فقام النبى ﷺ يعلمه ويعلم الأمة كلها درساً لا ينسى.

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخارى (٤٩٨٥) فضائل القرآن، ومسلم (١١٨٠) الحج.

(٣) وأخرج مسلم عن نافع قال: ذكر عند ابن عمر رضى الله عنهما عمرة رسول الله من الجعرانة، فقال: لم يعتمر منها، وهذا الذى أثبتته غيرهما والمثبت مقدم على النافى.

قال النووي: هذا محمول على نفى علمه، أى أنه لم يعلم بذلك، وقد ثبت أن النبى ﷺ اعتمر من الجعرانة، والإثبات مقدم على النفى لما فيه من زيادة العلم، وقد ذكر مسلم فى كتاب الحج اعتماد النبى ﷺ من الجعرانة عام حنين من رواية أنس رضى الله عنه.

ووجه الخفاء فى القضية ما جاء فى حديث محرش الكعبى: «أن رسول الله خرج ليلاً معتمراً، فدخل مكة ليلاً، فقتضى عمرته ثم خرج من ليلته، فأصبح بالجعرانة كبائت» إلى آخر الحديث، وفيه: «ومن أجل ذلك خفيت عمرته على الناس».

رفع

عبد الرحمن العنبري
أسكنه الله الفردوس

* عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: «استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة، فلما قدم، قال: هذا لكم، وهذا أهدي لى»، فقام رسول الله ﷺ على المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: (ما بال عامل أبعثه فيقول: هذا لكم، وهذا أهدي لى، أفلا قعد فى بيت أبيه أو بيت أمه حتى ينظر أبهى إليه أم لا، والذي نفس محمد بيده، لا ينال أحد منكم منها شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه إن كان بعييراً له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر)، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتى إبطيه، ثم قال: (اللهم هل بلغت... مرتين)^(١).

إسلام (عدى بن حاتم الطائى)

عن أبي عبيدة بن خديفة عن رجل قال: قلت لعدى بن حاتم: حديث بلغنى عنك أحب أن أسمعه منك، قال نعم، لما بلغنى خروج رسول الله ﷺ كرهت خروجه كراهية شديدة فخرجت حتى وقعت ناحية الروم - وفى رواية حتى قدمت على قيصر - فكرهت مكانى ذلك أشد من كراهيتى لخروجه، فقلت والله لو أتيت هذا الرجل، فإن كان كاذباً، لم يضرنى، وإن كان صادقاً علمت، قال: فقدمت، فأتيته، فلما قدمت، قال الناس: عدى ابن حاتم، قال: فدخلت على رسول الله ﷺ، فقال لى: «يا عدى بن حاتم أسلم تسلم» ثلاثاً، قال إني على دين، قال: «أنا أعلم بدينك منك»، فقلت: أنت أعلم بدينى منى؟ قال: «نعم ألسن من الركوسية وأنت تأكل مرباع قومك؟» قلت بلى، قال: «فإن هذا لا يحل لك فى دينك»، قال فلم يعد أن قالها فتواضعت لها، فقال: «أما إني أعلم الذى يمنعك من الإسلام، تقول إنما اتبعه ضعفة الناس، ومن لا قوة له، وقد رمتهم العرب. أتعرف الحيرة؟» قلت: لم أرها، وقد سمعت بها، قال: «فوالذى نفسى بيده ليطمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة، حتى تطوف بالبيت فى غير جوار أحد، وليفتحن كنوز كسرى بن هرمز» قال: قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: «نعم كسرى بن هرمز، وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد». قال عدى: فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت فى غير جوار، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز، والذي نفسى بيده لتكونن الثالثة لأن رسول الله ﷺ قد قالها.

* وفى رواية: قال عدى: وجلست بين يديه، فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: «ما

رفع

عن (الرحمى) (البحر)
(سليم) (البحر) (البحر)

(١) أخرجه البخارى (٩٢٥) الجمعة، ومسلم (٢٩٤٦) الإمارة.

يُفَرِّكَ أَفُفَرِّكَ أَنْ تَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَهَلْ تَعْلَمُ مِنْ إِلَهٍ سِوَى اللَّهِ؟» قَالَ: قُلْتُ: لَا. قَالَ: «ثُمَّ تَكَلِّمْ سَاعَةً»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّمَا تَقَرُّ أَنْ يَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، وَهَلْ تَعْلَمُ شَيْئًا أَكْبَرَ مِنْ اللَّهِ؟» قَالَ: قُلْتُ: لَا^(١).

الفوائد والآثار الإيمانية

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - عن الفوائد والآثار الإيمانية المستفادة من غزوة الطائف:

ومنها: جوازُ غزو الرجل وأهله معه، فإن النبي ﷺ كان معه في هذه الغزوة أم سلمة وزينب.

ومنها: جوازُ نصب المنجنيق على الكفار. ورميهم به وإن أفضى إلى قتل من لم يُقاتل من النساء والذرية.

ومنها جوازُ قطع شجر الكفار إذا كان ذلك يُضعفهم ويغيظهم. وهو أنكى فيهم.

ومنها: أن العبد إذا أبق من المشركين ولحق بالمسلمين صار حراً.

وعن الشعبي، عن رجل من ثقيف قال: سألنا رسول الله ﷺ أن يرد علينا أبا بكر، وكان عبداً لنا أتى رسول الله ﷺ وهو محاصر ثقيفاً، فأسلم، فأبى أن يردّه علينا. فقال: «هُوَ طَلِيقُ اللَّهِ، ثُمَّ طَلِيقُ رَسُولِهِ»^(٢)، فلم يردّه علينا. قال ابن المنذر: وهذا قول كل من يحفظ عنه من أهل العلم.

ومنها: أن الإمام إذا حاصر حصناً، ولم يفتح عليه، ورأى مصلحة المسلمين في الرحيل عنه، لم يلزمه مصابرتة، وجاز له ترك مصابرتة، وإنما تلزم المصابرة إذا كان فيها مصلحة راجحة على مفسدتها.

ومنها: أنه أحرم من الجعرانة بعمره، وكان داخلاً إلى مكة، وهذه هي السنة لمن دخلها من طريق الطائف وما يليه، وأما ما يفعله كثير ممن لا علم عندهم من الخروج من مكة إلى الجعرانة ليحرم منه بعمره، ثم يرجع إليها، فهذا لم يفعله رسول الله ﷺ، ولا أحد من أصحابه ألبتة، ولا استحبه أحدٌ من أهل العلم، وإنما يفعله عوام الناس.

رُفِعَ

عبد الرحمن النجدي
(أسكنه الله الفردوس)

(١) رواه أحمد (٣٧٧، ٣٧٨)، والحاكم (٤/٥١٨، ٥١٩) وإسناده حسن.

(٢) رواه أحمد (٤/١٦٨، ٣١٠) ورجاله ثقات.

ومنها: استجابة الله لرسوله ﷺ دعاءه لتقيف أن يهديهم، ويأتى بهم، وقد حاربوه وقتلوه، وقتلوا جماعة من أصحابه. وقتلوا رسول رسوله الذى أرسله إليهم يدعوهم إلى الله، ومع هذا كله فدعا لهم، ولم يدع عليهم، وهذا من كمال رأفته، ورحمته، ونصيحته صلوات الله وسلامه عليه.

ومنها: أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً، فإنها شعائر الكفر والشرك، وهى أعظم المنكرات، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة، وهذا حكم المشاهد التى بُنيت على القبور التى اتخذت أوثاناً وطواغيت تُعبد من دون الله، والأحجار التى تُقصد للتعظيم والتبرك، والنذر والتقييل، لا يجوز إبقاء شىء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، أو أعظم شركاً عندها، وبها، والله المستعان^(١).

(١) زاد المعاد (٣/٥٠٣، ٥٠٦) بتصرف.

غزوة تبوك

وكانت في شهر رجب سنة تسع، قال ابن إسحاق: وكانت في زمن عُسرة من الناس، وجذب من البلاد، وحين طابت الثمار، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون شخوصهم على تلك الحال، وكان رسول الله ﷺ كلما يخرج في غزوة إلا كنى عنها، وورى غيرها، إلا ما كان من غزوة تبوك، لبعد الشقة، وشدة الزمان^(١).

كانت غزوة تبوك استجابة إيمانية لفريضة الجهاد

أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بجهاد أهل الكتاب، كما أمرهم بجهاد المشركين، وخلافًا لما حصل مع المشركين الذين لا يقبل منهم إلا الدخول في الإسلام أو أن يأذنوا بقتال، فإن أهل الكتاب لهم حق الاحتفاظ بدينهم إذا ما اعترفوا بالسيادة لدولة الإسلام وأدوا الجزية عن يد وهم صاغرون، قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

وهكذا فقد كانت غزوة تبوك استجابة إيمانية لفريضة الجهاد حيث كان الروم أقرب الناس إلى ديار الإسلام ولذلك فإنهم أولى الناس بالدعوة^(٢). وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣]^(٣) وهكذا، فبعد القضاء على الوثنية في جزيرة العرب، وإجلاء يهود من المدينة وغيرها، كان على المسلمين أن يقاتلوا أهل الكتاب من النصارى الذين كانوا

(١) زاد المعاد (٣/ ٥٢٦).

(٢) يقول الحافظ ابن حجر «فعزم رسول الله ﷺ على قتال الروم، لأنهم أقرب الناس إليه وأولى الناس بالدعوة لقربهم إلى الإسلام وأهله» (البداية والنهاية ٥/ ٢).

(٣) تفسير الطبري (١١/ ٧١).

يقطنون على المشارف الشمالية الغربية من جزيرة العرب، حيث كانت المنطقة التي توجه إليها الرسول في هذه الغزوة من ديار قضاة وهي خاضعة لسلطان الإمبراطورية البيزنطية (الروم)^(١).

الأخبار العامة عن استعداد الرومان

وكانت الأنباء تترامى إلى المدينة بإعداد الرومان للقيام بغزوة حاسمة ضد المسلمين، حتى كان الخوف يتسورهم كل حين، لا يسمعون صوتاً غير معتاد إلا ويظنون زحف الرومان، ويظهر ذلك جلياً مما وقع لعمر بن الخطاب، فقد كان النبي ﷺ آلياً من نسائه شهراً في هذه السنة (٩هـ) وكان هجرهن واعتزل عنهن في مشربة له ولم يظن الصحابة إلى حقيقة الأمر في بدايته، فظنوا أن النبي ﷺ طلقهن، فسرى فيهم الهم والحزن والقلق.

يقول عمر بن الخطاب - وهو يروي هذه القصة -: وكان لى صاحب من الأنصار إذا غبت أتاني بالخبر، وإذا غاب كنت آتية أنا بالخبر - وكانا يسكنان في عوالي المدينة، يتناوبان إلى النبي ﷺ ونحن نتخوف ملكاً من ملوك غسان، ذكر لنا أنه يريد أن يسير إلينا فقد امتلأت صدورنا منه، فإذا صاحبي الأنصاري يدق الباب، فقال: افتح، افتح، فقلت: جاء الغساني؟ فقال: بل أشد من ذلك، اعتزل رسول الله ﷺ أزواجه... الحديث^(٢).

وفي لفظ آخر (أنه قال): وكنا تحدثنا أن آل غسان تنعل النعال لغزونا فنزل صاحبي يوم نوبته، فرجع عشاءً، فضرب بابي ضرباً شديداً، وقال: أناثم هو؟ ففزعت، فخرجت إليه، وقال: حدث أمر عظيم. فقلت: ما هو؟ أجاءت غسان قال: لا، بل أعظم منه وأطول، طلق رسول الله ﷺ نساءه... الحديث^(٣).

وهذا يدل على خطورة الموقف الذي كان يواجهه المسلمون بالنسبة إلى الرومان. ويزيد ذلك تأكيداً ما فعله المنافقون حينما نقلت إلى المدينة أخبار إعداد الرومان، فبرغم ما رآه هؤلاء المنافقون من نجاح رسول الله ﷺ في كل الميادين وأنه لا يواجه من سلطانه على ظهر الأرض، بل يذيب كل ما يعترض في طريقه من عوائق، برغم هذا كله طفق هؤلاء المنافقون يأملون في تحقق ما كانوا يخفونه في صدورهم، وما كانوا يترقبونه من

(١) نضرة النعيم (١/٣٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩١٣)، ومسلم (١٤٧٩)، وأحمد (٤٨/١) من حديث عمر بن الخطاب.

(٣) أخرجه البخاري (٨٩)، ومسلم (٣٤) (١٤٧٩)، والترمذي (٣٣١٥)، والنسائي (٤/١٣٧)، وأحمد

(٣٣/١) مطولاً ومختصراً.

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الشر بالإسلام وأهله، ونظراً إلى قرب تحقق آمالهم أنشأوا وكرة للدرس والتأمر، في صورة مسجد، وهو مسجد الضرار أسسوه كفرةً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله، وعرضوا على رسول الله ﷺ أن يصلى فيه، وإنما مرامهم بذلك أن يخدعوا المؤمنين، فلا يفتنوا ما يؤتى به في هذا المسجد من الدس والمؤامرة ضدهم ولا يلتفتوا إلى من يردده ويصدر عنه، فيصير وكرة مأمونة لهؤلاء المنافقين ولرفقائهم في الخارج، ولكن رسول الله ﷺ أخر الصلاة فيه - إلى قفوله من الغزوة - لشغله بالجهاز ففشلوا في مرامهم وفضحهم الله، حتى قام الرسول ﷺ بهدم المسجد بعد القفول من الغزو بدل أن يصلى فيه^(١).

النبي ﷺ يأمرهم بالتهيؤ لغزو الروم

* قال ابن إسحاق: «إن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم، وذلك في زمان من عسرة الناس، وشدة من الحر، وجذب من البلاد، وحين طابت الثمار، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه، وكان رسول الله ﷺ قلما يخرج في غزو إلا كنى عنها، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يصمد^(٢) له إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنه بينها للناس، لبعد الشقة، وشدة الزمان، وكثرة العدو الذي يصمد له، ليتأهب الناس لذلك أهبة، فأمر الناس بالجهاز وأخبرهم أنه يريد الروم»^(٣).

* عن كعب بن مالك - رضى الله عنه - قال: «كان رسول الله ﷺ قلما يريد غزوة يغزوها إلا ورى^(٤) بغيرها، حتى كانت غزوة تبوك، فغزاها رسول الله ﷺ في جر شديد، استقبل سفيراً بعيداً ومفازاً^(٥) استقبل غزو عدد كثير، فجلا^(٦) للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة^(٧) عدوهم، أخبرهم بوجهه الذي يريد»^(٨).

(١) الرحيق المختوم (ص ٤٦٦ - ٤٦٧).

(٢) يصمد: يقصد.

(٣) السيرة لابن هشام (٤/ ١٤٠).

(٤) ورى: أوهم بغيرها.

(٥) المفاز: الفلاة التي لا ماء فيها.

(٦) جلا: أوضح لهم أمرهم.

(٧) الأهبة: أخذ ما يحتاجون إليه في سفرهم.

(٨) أخرجه البخارى (٢٩٤٨) الجهاد، ومسلم (٢٧٦٩) التوبة.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

تجهيز جيش العسرة

ولقد دعا النبي ﷺ الصحابة إلى الإنفاق على هذه الغزوة نظراً لكثرة المشاركين فيها، وبُعد المسافة التي كان على الجيش أن يقطعها، ووعد المنافقين بعظم الأجر من الله سبحانه وتعالى، فسارع أغلب الصحابة إلى المشاركة في توفير الأموال المطلوبة كل حسب قدرته، وكان عثمان بن عفان أكثر المنفقين على جيش العسرة استجابة لقول النبي ﷺ «من جهز جيش العسرة فله الجنة» وتواترت الأخبار الصحيحة بأن عثمان بن عفان قد تحمل نفقات جيش العسرة، فلقد سارع بتقديم ألف دينار في بداية الاستعدادات صبها في حجر النبي ﷺ (١) كما قدم أموالاً أخرى تمثل في الجمال والعدد التي يحتاج إليها في نقل الجيش والحرب (٢).

* عن عبد الرحمن بن سمرة - رضي الله عنه - قال: «جاء عثمان بن عفان إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه حين جهز النبي ﷺ جيش العسرة قال: فصبها في حجر النبي ﷺ فجعل النبي ﷺ يقلبها بيده ويقول: (ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم يرددها مراراً) (٣).

* وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائتي أوقية فضة، وجاء أبو بكر بماله كله. ولم يترك لأهله إلا الله ورسوله، وكانت أربعة آلاف درهم، وهو أول من جاء بصدقته، وجاء عمر بنصف ماله، وجاء العباس بمال كثير، وجاء طلحة وسعد بن عباد ومحمد بن مسلمة، كلهم جاءوا بمال، وجاء عاصم بن غدي بتسعين وسقاً من التمر، وتتابع الناس بصدقاتهم قليلها وكثيرها، حتى كان منهم من أنفق مداً أو مدين لم يكن يستطيع غيرها؛ وبعثت النساء ما قدرن عليه من مسك، ومعاضد، وخلاخل، وقرط، وخواتم. ولم يمسك أحد يده، ولم يبخل بماله إلا المنافقون.

(١) البخاري - الصحيح (١١/٤) (كتاب الوصايا)، فتح الباري (٣٠٦/٥)، أحمد - المسند (٥٣/٥).

(٢) الترمذي - السنن (١٥٣/١٣ - ١٥٤)، الحاكم - المستدرک (١٠٢/٣).

(٣) رواه الترمذي (٣٧٠١)، وأحمد (٦٣/٥)، والحاكم (١٠٢/٣) وصححه ووافقه الذهبي.

رفع

عبد الرحمن بن العفري
أسكنه الله الفردوس

الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين

* عن أبي مسعود الأنصاري - رضى الله عنه - قال: «لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل، فجاء أبو عقيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثر منه، فقال المنافقون: إن الله لغنى عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رياء فنزلت: ﴿الَّذِينَ يَلْمُزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جَهْدَهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩] (١).

لقد كتبت في الزكاة المتقبلة

* وأما علبة بن زيد فخرج من الليل فصلى من ليلته ما شاء الله، ثم بكى، وقال: اللهم إنك قد أمرت بالجهاد، ورغبت فيه، ثم لم تجعل عندي ما أتقوى به مع رسول الله ﷺ ولم تجعل في يد رسولك ما يحملني عليه، وإنى أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني فيها مال أو جسد أو عرض. ثم أصبح مع الناس، فقال رسول الله ﷺ: (أين المتصدق هذه الليلة؟) فلم يقم أحد، ثم قال: (أين المتصدق فليقم) فقام إليه فأخبره فقال رسول الله ﷺ: (أبشر فوالذي نفسى بيده لقد كتبت في الزكاة المتقبلة) (٢).

أعداء المنافقين

ولقد نجم النفاق في المدينة واستعلن بشأن هذه الغزوة، «وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحر، زهادة في الجهاد، وشكاً في الحق، وإرجافاً» (٣) برسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (٨١) فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون ﴿[التوبة: ٨١-٨٢].

وذلك أن الخروج في غزوة تبوك كان في شدة الحر عند طيب الظلال والثمار فلهذا قالوا: ﴿لا تنفروا في الحر﴾ قال الله تعالى لرسوله ﷺ ﴿قُلْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ التي تصيرون إليها بمخالفتكم ﴿أشدُّ حرًّا﴾ مما فررتم منه من الحر بل ﴿أشدُّ حرًّا﴾ من النار

(١) أخرجه البخارى (٤٦٦٨) التفسير، ومسلم (١٠١٨) الزكاة.

(٢) حديث صحيح ورد مسنداً وموصولاً كما قال الحافظ ابن حجر في الإصابة: (٤٩٣/٢)، من حديث مجمع بن جارية أو من حديث عمرو بن عوف وأبى عبيد بن جبر، ومن حديث علبة بن زيد نفسه.

(٣) ابن هشام (٥١٧/٣).

رفع

عن (الرحمى) البخارى
(السكنى) ابن جرير

كما روى الإمام مالك عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «نار بنى آدم التي توقدونها جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم» فقالوا: يا رسول الله إن كانت لكافية فقال «فُضِّلَتْ عليها بتسعة وستين جزءاً» أخرجاه في الصحيحين.

وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ [إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لمن له نعلان وشراكان من نار جهنم يغلى منهما دماغه كما يغلى الرجل، لا يرى أن أحداً من أهل النار أشد عذاباً منه وإنه أهونهم عذاباً] أخرجاه في الصحيحين^(١).

* وحين عرض النبي ﷺ على الجد بن قيس أحد بن سلمة المشاركة في جهاد الروم، اعتذر عن ذلك تحت ستار الخوف من الفتنة بسبب شدة ولعه بالنساء وقال: «وإنى أخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر ألا أصبر» فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: «قد أذنت لك»، وفيه نزلت الآية: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَيْذَنَ لِي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩].

وكما اعتذر الجد بن قيس كذباً ونفاقاً، فقد بادر عدد من المنافقين إلى تقديم أعذار كاذبة للنبي ﷺ لكي يأذن لهم بالتخلف عن الغزوة، ولذلك نزلت الآية: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣].

لم يقتصر النفاق على من نافق من أهل المدينة بل إنه امتد إلى البادية حولها، قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرْدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١].

وحيث إن المنافقين من الأعراب، وهم أقسى قلوباً وأكثر جفوة وأقل علماً بالأحكام والسنن، فإنهم أشد كفراً ونفاقاً من منافقي أهل المدينة، كما وصفهم القرآن الكريم: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٩٧]^(٢).

لقد كانت غزوة تبوك منذ بداية الإعداد لها مناسبة للتمييز بين المؤمنين والمنافقين، وضحت فيها الحواجز بين الطرفين ولم يعد هناك أى مجال للتستر على المنافقين أو مجاملتهم بل أصبحت مجابتهم أمراً ملجأً بعد أن عملوا كل ما فى وسعهم لمجابهة الرسول والدعوة، وتثييط المسلمين عن الاستجابة للنفير الذى أعلنه الله تعالى والرسول

رَفَعُ

(١) مختصر تفسير ابن كثير (٢/ ٣٦٠).

(٢) تفسير الطبرى (٣/ ١١).

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

والذى نزل به القرآن الكريم، بل أصبح الكشف عن نفاق المنافقين، وإيقافهم عن حدهم واجباً شرعياً^(١).

البيكاعون

قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون ﴿[التوبة: ٩١ - ٩٢]. قال القاسمي: روى العوفي عن ابن عباس في هذه الآية أن رسول الله ﷺ أمر الناس أن يتبعوا غازين معه فجاءته عصابة من أصحابه فيهم عبد الله بن مغفل بن مقرن المزني فقالوا: يا رسول الله: احملنا. فقال لهم: والله لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وهم يبكون، وعز عليهم أن يجلسوا عن الجهاد ولا يجدون نفقة ولا محملاً، فلما رأى الله حرصهم على محبته ومحبة رسوله أنزل عذرهم في كتابه فقال: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ﴾ [التوبة: ٩١]^(٢)... وهم ولا شك الذين عناهم رسول الله ﷺ بقوله وهو عائد من تبوك. «لقد خلفتم بالمدينة رجالاً ما قطعتم وادياً ولا سلكتهم طريقاً إلا أشركوكم في الأجر حسبهم المرض»^(٣).

قصة أصحاب أبي موسى الأشعري

* عن أبي موسى الأشعري - رضى الله عنه - قال: «أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله الحملان لهم إذا هم معه في جيش العسرة وهي غزوة تبوك، فقلت: يا نبي الله، إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم، فقال: (والله لا أحملكم على شيء)، ووافقته وهو غضبان ولا أشعر، ورجعت حزيناً من منع النبي ﷺ ومن مخافة أن يكون النبي ﷺ وجد في نفسه على، فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم الذي قال النبي ﷺ فلم ألبث إلا سويعة إذ سمعت بلالاً ينادي: أي عبد الله بن قيس^(٤)، فأجبتة فقال: أجب رسول الله

(١) نضرة النعيم (١/ ٣٨٩).

(٢) محاسن التأويل (٨/ ٢٩٤).

(٣) رواه أحمد (٣/ ٣٠)، ومسلم (١٣/ ٥٧) الإمامة، وقال النووي: وفي هذا الحديث فضيلة النية في الخير، وأن من نوى الغزو وغيره من الطاعات فعرض له عذر منعه حصل له ثواب نيته وأنه كلما أكثر من التأسف على فوات ذلك وتمنى كونه مع الغزاة ونحوهم كثر ثوابه والله أعلم - النووي على صحيح مسلم (١٣/ ٥٧).

(٤) عبد الله بن قيس: هو أبو موسى الأشعري.

ﷺ يدعوكم. فلما أتيت به قال: (خذ هذين القرنين لستة أبعرة ابتاعهن حيثنذ من سعد - فانطلق بهن إلى أصحابك فقل: إن الله - أو قال - إن رسول الله ﷺ - يحملكم على هؤلاء، فاركبوهن). فانطلقت إليهم بهن فقلت: إن النبي ﷺ يحملكم على هؤلاء، ولكني والله لا أدعكم حتى ينطلق معي بعضكم إلى من سمع مقالة رسول الله ﷺ لا تظنوا أنني حدثكم شيئاً لم يقله رسول الله ﷺ. فقالوا لي: إنك عندنا لمصدق، ولنعلن ما أحببت، فانطلق أبو موسى بنفر منهم حتى أتوا الذين سمعوا قول رسول الله ﷺ، منعه إياهم ثم إعطاءهم بعد، فحدثوهم بمثل ما حدثهم به أبو موسى^(١).

الجيش الإسلامي يتحرك إلى تبوك

ولما تجهز الجيش الإسلامي استعمل النبي ﷺ على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري. فلما سار رسول الله ﷺ تخلف (عبد الله بن أبي) ومن كان معه، وتخلف نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب، منهم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، وأبو خيثمة السلمي، وأبو ذر، ثم لحقه أبو خيثمة، وأبو ذر، وشهدا رسول الله ﷺ في ثلاثين ألفاً من الناس، والخيـل عشرة آلاف فرس^(٢).

متى خرج النبي ﷺ من المدينة

* عن كعب بن مالك - رضي الله عنه -: «أن النبي ﷺ خرج يوم الخميس في غزوة تبوك، وكان يحب أن يخرج يوم الخميس»^(٣).

ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟

قال ابن إسحاق: ولما أراد رسول الله ﷺ الخروج، خلف (علي بن أبي طالب) على أهله، فأرجف به المنافقون، وقالوا: ما خلفه إلا استقلاً وتخففاً منه، فأخذ علي - رضي الله عنه - سلاحه، ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف^(٤)،^(٥)

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٥) المغازي - ومسلم (١٦٤٩) الإيمان.

(٢) زاد المعاد (٥٢٩/٣).

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٥٠) الجهاد، والنسائي (١١١٤٣).

(٤) الجرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة.

(٥) زاد المعاد (٥٢٩/٣) - ٥٣٠.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

* عن سعد بن أبي وقاص - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: (خَلَّفَ رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله ﷺ أتخلفني في النساء والصبيان، فقال: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي)^(١)).

مرورهم على ديار ثمود

ومر النبي ﷺ وأصحابه على ديار ثمود في طريقهم إلى تبوك.

* عن ابن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال: «إن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ أرض ثمود، الحجر، واستقوا من بئرها، واعتجنوا به، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا ما استقوا من بئرها، وأن يعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كان تردها الناقة»^(٢).

* وعن ابن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أيضاً قال: «مررنا مع رسول الله ﷺ على الحجر، فقال لنا رسول الله ﷺ: (لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، إلا أن تكونوا باكين حذراً أن يصيبكم مثل ما أصابهم)، ثم زجر^(٣) فأسرع حتى خلفها»^(٤).

لا تسألوا الآيات

* عن جابر بن عبد الله - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال: «لما مر النبي ﷺ بالحجر قال: (لا تسألوا الآيات، فقد سألتها قوم صالح، فكانت ترد من هذا الفج، وتصدر من هذا الفج)^(٥)، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها، وكانت تشرب ماءهم يوماً، ويشربون لبنها يوماً، فعقروها، فأخذتهم صيحة أهدم الله من تحت أديم السماء منهم إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله). قيل: من هو يا رسول الله؟ قال: (هو أبو رغال، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه)^(٦).

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٦) المغازي - ومسلم (٢٤٠٤) فضائل الصحابة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٧٩) الأنبياء - ومسلم (٢٩٨٠) الزهد والرقائق.

(٣) زجر: أي زجر ناقته ومعناه ساقها سوقاً شديداً حتى خلفها أي جاوز المساكن.

(٤) أخرجه البخاري (٣٣٨١) الأنبياء - ومسلم (٢٩٨٠) الزهد والرقائق.

(٥) من هذا الفج: من هذا الوجه.

(٦) أخرجه أحمد في المسند: (٢٩٦/٤)، وقال الحافظ ابن كثير: إسناده صحيح، ولم يخرجوه، وصححه

الحاكم (٣٤٠/٢ - ٣٤١) ووافقه الذهبي.

النبي ﷺ يدعو.. والسماء تنقطر بإذن الله

واشتدت حاجة الناس - فى الطريق - إلى الماء فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فدعا الله (عز وجل) فأرسل الله سحابة فأمطرت.

✽ عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: «قيل لعمر بن الخطاب: حدثنا من شأن ساعة العسرة، فقال عمر: خرجنا إلى تبوك فى قيظ شديد، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش، حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع، حتى إن كان الرجل ليذهب يلتمس الرجل، فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع، حتى أنه كان الرجل لينحر بعيه فيعصر فرثه فيشربه، ويجعل ما بقى على كبده. فقال أبو بكر الصديق - رضى الله عنه -: يا رسول الله! إن الله عز وجل قد عودك فى الدعاء خيراً فادع الله لنا، قال: (أتحب ذلك؟) قال: نعم، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء، فأظلت ثم سكبت، فملأوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر، فلم نجد لها جاوزت العسكر»^(١).

مناقش ينكر معجزة الرسول ﷺ

✽ قال ابن إسحاق حدثني عاصم بن عمرو بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن رجال من بنى عبد الأشهل: «قال: قلت لمحمود: هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم؟ قال: نعم والله، إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه، ومن عمه وفى عشيرته، ثم يلبس بعضهم بعضاً على ذلك. ثم قال محمود: لقد أخبرني رجال من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقه، كان يسير مع رسول الله حين سار، فلما كان من أمر الناس بالحجر ما كان، ودعا رسول الله ﷺ حين دعا، فأرسل الله السحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس، قالوا: أقبلنا عليه نقول: ويحك هل بعد هذا شيء! قال: سحابة مارة»^(٢).

(١) قال الهيثمى فى المجمع: (١٩٤/٦ - ١٩٥) رواه البزار والطبرانى فى الأوسط، ورجال البزار ثقات، والحاكم (١٥٩/١) وصححه على شرطهما ووافقه الذهبى وهو صحيح على شرط مسلم فقط، وقال ابن كثير فى السيرة: (١٦/٤) إسناده جيد، ولم يخرجوه من هذا الوجه، قلت: الحديث صحيح والله أعلم.
(٢) أخرجه ابن إسحاق كما فى سيرة ابن هشام (٥٢٢/٢)، وإسناده رجال ثقات، ولا يضر جهالة الصحابة وهم من بنى عبد الأشهل، ومحمود بن لبيد من صغار الصحابة، دلائل النبوة للبيهقى (٢٣٢/٥).

حقاً إنها غزوة العُسرة

قال جابر: اجتمع عليهم عسرة الظهر، وعسرة الزاد، وعسرة الماء. قال الحسن: كانت العسرة من المسلمين يخرجون على بعير يعتقبونه بينهم، وكان زادهم التمر المتسوس والشعير المتغير والإهالة المنتنة، وكان النفر يخرجون ما معهم - إلا التمرات بينهم، فإذا بلغ الجوع من أحدهم أخذ التمر فلاكها حتى جيد طعمها، ثم يعطيها صاحبه حتى يشرب عليها جرعة من ماء كذلك حتى تأتي على آخرهم، فلا يبقى من التمرة إلا النواة. فمضوا مع النبي ﷺ على صدقهم ويقينهم - رضى الله عنهم - وقال عمر - رضى الله عنه - وقد سئل عن ساعة العُسرة: خرجنا في قيظ شديد، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا ستقطع من العطش، وحتى إن الرجل ينحر بعيره، فيعصر فرثه، فيشربه، ويجعل ما بقي على كبده. فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن الله قد عودك في الدعاء خيراً، فادع لنا. قال: (أتحب ذلك)، قال: نعم، فرفع يديه، فلم يرجعهما حتى أظلت السماء ثم سكبت فملاًوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجد لها جاوزت العسكر^(١).

* عن أبي هريرة أو أبي سعيد الخدري (شك الأعمش) قال: «لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة، فقالوا: يا رسول الله! لو أذنت لنا فتحرنا نواضحنا^(٢) فأكلنا وادعنا، فقال رسول الله ﷺ: (افعلوا)، فجاء عمر - رضى الله عنه - فقال: يا رسول الله! إن فعلت قل الظهر، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم، وأدع الله لهم فيها بالبركة لعل الله عز وجل أن يجعل في ذلك، فقال رسول الله ﷺ: (نعم).

فدعا بنطع فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم، فجعل الرجل يأتي بكف ذرة ويجيء الآخر بكف تمر، ويجيء الآخر بكسرة، حتى اجتمعوا على النطع من ذلك شيء يسير، فدعا رسول الله ﷺ بالبركة، ثم قال لهم: (خذوا في أوعيتكم)، فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملأوه، فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضالة، فقال رسول الله ﷺ: (أشهد أن لا إله إلا الله. وأنى رسول الله، لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فحُجِبَ عن الجنة)^(٣).

(١) القرطبي (٨/ ٢٧٨).

(٢) نواضحنا: الإبل التي تُركب ويجلب عليها الماء.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

هَذَا جِزَاءُ مَنْ يَعِصِي أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

* عن أبي حميد الساعدي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فأثينا وادي القرى، على حديقة لامرأة فقال رسول الله ﷺ: (أخرصوها) (١)، فخرصناها، وخرصها رسول الله ﷺ عشرة أوسق (٢)، وقال للمرأة: (أحصيها حتى نرجع إليك إن شاء الله عز وجل)، فانطلقنا حتى قدمنا تبوك، فقال رسول الله ﷺ: (ستهب عليكم الليلة ريح شديدة، فلا يقيم فيها أحد منكم، فمن كان له بعير فليشد عقاله). فهبت ريح شديدة، فقام رجل فحملته الريح حتى ألقت به بجبل طيء (٣).

النَّبِيُّ ﷺ يُخْبِرُهُمْ عَنْ مَكَانٍ نَاقَتُهُ أَلْتَى ضَاعَتْ

قال ابن إسحاق: «ثم إن رسول الله ﷺ سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلت ناقته، فخرج أصحابه في طلبها، وعند رسول الله ﷺ رجل من أصحابه، يقال له عمارة بن حزم وكان عقيباً بدرياً، وهو عم بني عمرو بن حزم، وكان في رحله زيد بن اللصيت القينقاعي، وكان منافقاً.

فقال زيد بن اللصيت، وهو في رحل عمارة، وعمارة عند رسول الله ﷺ: أليس محمد يزعم أنه نبي، ويخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله ﷺ وعمارة عنده: (إن رجلاً قال: هذا محمد يخبركم أنه نبي، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء، وهو لا يدري أين ناقته، وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني الله عليها، وهي في هذا الوادي، في شعب كذا وكذا، قد حبستها شجرة بزماتها، فانطلقوا حتى تأتونني بها)، فذهبوا فجاءوا بها.

فرجع عمارة بن حزم إلى رحله، فقال: والله لعجب من شيء حدثناه رسول الله ﷺ آنفاً، عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا، للذي قال زيد بن اللصيت، فقال رجل ممن كان في رحل عمارة ولم يحضر رسول الله ﷺ: زيد والله قال هذه المقالة قبل أن

(١) أخرصوها: الخرص: الحزر تقدير ما على النخل من الرطب ثمراً.

(٢) الوسق: ٦٠ صاعاً.

(٣) أخرجه البخاري (١٤٨١) الزكاة، ومسلم (١٣٩٢) الفضائل.

رَفَعُ

عن (الترمذي) (الفتح)
(مسلم) (الفتح) (الزكاة)

تأتى، فأقبل عمارة على زيد يجأ فى عنقه^(١) ويقول: إلى عباد الله، إن فى رحلى لداھية، وما أشعر، اخرج أى عدو الله من رحلى فلا تصحبني^(٢).

الماء ينهمر من عين تبوك

فى صحيح مسلم من حديث معاذ بن جبل - رضى الله عنه - قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك فكان يجمع الصلاة فصلى الظهر والعصر جميعاً والمغرب والعشاء جميعاً حتى إذا كان يوماً أخر الصلاة ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعاً ثم دخل ثم خرج بعد ذلك فصلى المغرب والعشاء جميعاً ثم قال: «إنكم ستأتون غداً - إن شاء الله - عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحي النهار فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتى» فجئناها وقد سبقنا إليها رجلان والعين مثل الشراك تبض^(٣) بشيء من ماء قال فسألهما رسول الله ﷺ: «هل مسستما من مائها شيئاً؟» قالا: نعم فسبهما^(٤) النبى ﷺ وقال لهما ما شاء الله أن يقول، قال: ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع فى شيء، قال: وغسل رسول الله ﷺ فيه يديه ووجهه ثم أعاده فيها فجرت العين بماء منهمر أو قال: غزير حتى استقى الناس ثم قال: «يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملئ جناناً».

كن أبا خيثمة

ثم إن أبا خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله ﷺ أياماً إلى أهله فى يوم حار، فوجد امرأتين له فى عريشين لهما فى حائطه، قد رشت كل واحدة منهما عريشها، وبردت له ماءً، وهيات له فيه طعاماً، فلما دخل، قام على باب العريش، فنظر إلى امرأته وما صنعتا

(١) يجأ فى عنقه: يطعنه فى عنقه.

(٢) أخرجه ابن إسحاق فى سيرة ابن هشام (٢/٥٢٣)، والطبرى فى تاريخه (٣/١٤٥)، والبيهقى فى الدلائل: (٥/٢٣٢) من طريق ابن إسحاق به، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث، وإسناده رجاله ثقات، ولا يضر جهالة الصحابة وهم من بنى عبد الأشهل، ومحمود بن ليلى من صغار الصحابة فيكون الحديث صحيحاً.

(٣) تبض: أى تسيل، والشراك: سير النعل ومعناها أن الماء قليل جداً.

(٤) أى زجرهما... ولقد ثبت فى صحيح البخارى ومسلم أن النبى ﷺ قال: «اللهم إنى أأخذ عندك عهداً لن تخلفنيه فإنما أنا بشر فأى مسلم أذيت أو شتمته أو جلدته أو لعنته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة بها إليك يوم القيامة».

له، فقال: رسول الله ﷺ في الضحِّ^(١) والريِّح، والحر، وأبو خيثمة في ظل بارد، وطعام مهياً، وامرأة حسناء، في ماله مقيم؟ ما هذا بالنَّصْف، ثم قال: والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ، فهيئنا لى زاداً، ففعلنا، ثم قدّم ناضحه، فارتحل، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك، وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحي في الطريق يطلب رسول الله ﷺ، فترافقا حتى إذا دنوا من تبوك، قال أبو خيثمة لعمير بن وهب: إن لى ذنباً، فلا عليك أن تتخلف عني حتى آتي رسول الله ﷺ، ففعل حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك، قال الناس: هذا راكب على الطريق مقبل، فقال رسول الله ﷺ: «كُنْ أبا خَيْثَمَةَ» قالوا: يا رسول الله! هو والله أبو خيثمة. فلما أناخ أقبل، فسلم على رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «أولى لك يا أبا خيثمة»، فأخبر رسول الله ﷺ خبره، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير^(٢). (٣)

رحم الله أبا ذر

ثم مضى رسول الله ﷺ سائراً، فجعل يتخلف عنه الرجل، فيقولون: يا رسول الله، تخلف فلان، فيقول: «دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم. وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه»، حتى قيل: يا رسول الله، قد تخلف أبو ذر، وأبطأ به بعيره؛ فقال: «دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه»؛ وتلوّم أبو ذر على بعيره، فلما أبطأ عليه، أخذ متاعه فحمله على ظهره، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشياً. ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازل، فنظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسول الله، إن هذا الرجل يمشى على الطريق وحده؛ فقال رسول الله ﷺ: «كن أبا ذر». فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله، هو والله أبو ذر، فقال رسول الله ﷺ: «رحم الله أبا ذر، يمشى وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده»^(٤).

(١) الضح: الشمس.

(٢) زاد المعاد (٣/ ٥٣٠ - ٥٣١).

(٣) ابن هشام (٢/ ٥٢٠، ٥٢١) عن ابن إسحاق بلا سند، وفي حديث كعب بن مالك الطويل المخرج في البخاري (٨/ ٨٦، ٩٣)، ومسلم (٢٧٦٩): فبينما هو على ذلك رأى رجلاً مبيضاً يزول به السراب، فقال رسول الله ﷺ: «كن أبا خيثمة» فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري، وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون.

(٤) السيرة النبوية/ لابن هشام (٤/ ١٤٩).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

المصالحة واعطاء الجزية

نزل الجيش الإسلامى بتبوك فعسكر هناك وهو مستعد للقاء العدو. وأما الرومان وحلفاؤهم فلما سمعوا بزحف رسول الله ﷺ أخذهم الرعب فلم يجترئوا على التقدم واللقاء، بل تفرقوا فى البلاد فى داخل حدودهم فكان لذلك أحسن أثر بالنسبة إلى سمعة المسلمين العسكرية، فى داخل الجزيرة وأرجائها النائية. وحصل بذلك المسلمون على مكاسب سياسية كبيرة بما لم يكونوا يحصلون عليها لو وقع هناك اصطدام بين الجيشين.

* وجاء إلى النبى ﷺ صاحب أيلة، فصالحه وأعطاه الجزية، وأتاه أهل جربا، وأذرح، فأعطوه الجزية، وكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً، فهو عندهم، وكتب لصاحب أيلة: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا أمانة من الله، ومحمد النبى رسول الله ليُحَنَّ بن رؤبة، وأهل أيلة، سفنهم، وسيارتهم فى البر والبحر، لهم ذمة الله، ومحمد النبى، ومن كان معهم من أهل الشام، وأهل اليمن، وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثاً، فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وإنه لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه، ولا طريقاً يردونه من بحر أو بر (١). (٢)

لقد أعطيت الليلة خمساً ما أعطيهن أحد قبلى

* عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: (أن رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك قام من الليل يصلى، فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه حتى إذا صلى، وانصرف إليهم، فقال لهم: (لقد أعطيت الليلة خمساً ما أعطيهن أحد قبلى، أما أنا، فأرسلت إلى الناس كلهم عامة وكان من قبلى إنما يرسل إلى قومه، ونصرت على العدو بالرعب، ولو كان بينى وبينهم مسيرة شهر لملئ منه رعباً، وأُحلت لى الغنائم أكلها، وكان من قبلى يعظمون أكلها كانوا يحرقونها، وجُعِلت لى الأرض مسجداً وطهوراً أينما أدركتنى الصلاة تمسحت وصليت، وكان من قبلى يعظمون ذلك، إنما كانوا يصلون فى كنائسهم وبيعهم، والخامسة هى ما هى؟ قيل لى: سل، فإن كان نبى قد سأل، فأخرت مسألتى إلى يوم القيامة فهى لكم، ولمن شهد أن لا إله إلا الله) (٣).

(١) ابن هشام (٢/ ٥٢٥، ٥٢٦).

(٢) زاد المعاد (٣/ ٥٣٧).

(٣) أخرجه أحمد فى المسند: (٢/ ٢٢٢) وقال الهيثمى فى المجمع: رواه أحمد، ورجاله ثقات كما جاء فى

رفع

عبد الرحمن بن العنبري
أسكنه الله الفردوس

الفتح الربانى: (٢١/ ٢٠٠).

النبي ﷺ يرسل خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة

قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة، وهو أكيدر بن عبد الملك، رجل من كندة، وكان نصرانياً، وكان ملكاً عليها، فقال رسول الله ﷺ لخالد: «إنك ستجده يصيد البقر»، فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين، وفي ليلة مقمرة صافية، وهو على سطح له، ومعه امرأته، فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر، فقالت له امرأته: هل رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا والله. قالت: فمن يترك هذه؟ قال: لا أحد، فنزل، فأمر بفرسه، فأسرج له، وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخ له يقال له: حسان، فركب وخرجوا معه بمطاردهم، فلما خرجوا، تلقتهم خيل رسول الله ﷺ، فأخذته، وقتلوا أخاه، وقد كان عليه قباء من ديباج مخوض بالذهب، فاستلبه خالد، فبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه عليه، ثم إن خالداً قدم بأكيدر على رسول الله ﷺ، فحقق له دمه، وصالحه على الجزية؛ ثم خلى سبيله، فرجع إلى قريته^(١).

* عن أنس - رَضِيَ الله عنه - قال: «إن أكيدر دومة الجندل أهدى لرسول الله ﷺ حُلَّةً من سندس، فعجب الناس منها، فقال: (والذي نفس محمد بيده، إن مناديل سعد ابن معاذ في الجنة أحسن من هذا)^(٢)».

يا ليتني كنت صاحب الحفرة

* عن عبد الله بن مسعود - رَضِيَ الله عنه - أنه كان يحدث قال: (قمت من جوف الليل، وأنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر، فاتبعناها أنظر إليها.

قال: فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، وإذا عبد الله ذو البجادين قد مات، وإذا هم قد حفروا له، ورسول الله ﷺ في حفرة، وأبو بكر وعمر يدليانه، وإذا هو يقول: (أدنيا إليَّ أخاكما) فدلياه إليه، فلما هيأه لشقه، قال: (اللهم إني كنت قد أُمسيت راضياً عنه فارض عنه). قال: يقول ابن مسعود: يا ليتني كنت صاحب الحفرة^(٣).

(١) ابن هشام (٢/٥٢٦)، وابن كثير (٤/٣٠، ٣١)، وزاد المعاد (٣/٥٣٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٦٩) فضائل الصحابة، وأحمد (٣/١١١).

(٣) أخرجه ابن منده من طريق سعيد بن الصلت عن الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود كما قال الخافظ =

قال ابن هشام: وإنما سُمي ذو البجادين لأنه كان يريد الإسلام، فمنعه قومه، وضيقوا عليه، حتى خرج من بينهم، وليس عليه إلا بجاد، وهو الكساء الغليظ، فشقه باثنين فأنزروا واحدة وارتدى بالأخرى، ثم أتى رسول الله ﷺ فسمى ذو البجادين^(١).

النبى ﷺ يرسل إلى قيصر الروم

* عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (من ينطلق بصحيفتى هذه إلى قيصر وله الجنة)، فقال رجل من القوم: وإن لم يُقتل؟ قال: وإن لم يقتل، فانطلق الرجل به فوافق قيصر، وهو يأتى بيت المقدس قد جعل له بساط لا يمشى عليه غيره، فرمى بالكتاب على البساط وتنحى.

فلما انتهى قيصر إلى الكتاب أخذه ثم دعا رأس الجاثليق^(٢) وأقرأه فقال: ما علمى فى هذا الكتاب إلى كعلمك - فنادى قيصر: من صاحب الكتاب؟ فهو آمن، فجاء الرجل فقال: إذا قدمت فأتنى فلما قدم أتاها فأمر قيصر بأبواب قصره، فغلقت ثم أمر منادياً فنادى: ألا إن قيصر تبع محمداً وترك النصرانية.

فأقبل جنده وقد تسلحوا حتى أطافوا بقصره فقال لرسول الله ﷺ: قد ترى أنى خائف على مملكتى، ثم أمر منادياً فنادى: ألا إن قيصر قد رضى عنكم، وإنما اختبركم لينظر كيف صبركم على دينكم فارجعوا، فانصرفوا.

وكتب قيصر إلى رسول الله ﷺ: إني مسلم وبعث إليه بدنانير فقال رسول الله ﷺ حين قرأ الكتاب: (كذب عدو الله، ليس بمسلم وهو على النصرانية)، وقسم الدنانير^(٣). وأورد الإمام أحمد^(٤) مرويات تشير إلى حصول مراسلة بين النبى ﷺ - وهو فى

= فى الإصابة (٢/ ٣٣٠) ترجمة رقم (٤٨٠) ونسبه الحافظ أيضاً إلى البغوى وأعله بالانقطاع. قلت:

وسند ابن منده جيد، وقد أخرجه أيضاً ابن إسحاق عن محمد بن إبراهيم التيمى عن ابن مسعود إلا أن

محمد بن إبراهيم لم يسمع من ابن مسعود (٢/ ٥٢٧ - ٥٢٨) سيرة ابن هشام.

(١) ابن كثير فى السيرة (٤/ ٣٣)، سيرة ابن هشام (٢/ ٥٢٨).

(٢) الجاثليق: مقدم الأساقفة عند النصارى.

(٣) أخرجه ابن حبان كما فى موارد الظمآن حديث رقم (١٦٢٨) وسنده صحيح.

(٤) أحمد - المسند (١/ ٢٠٣، ٣/ ٤٤٢، ٤/ ٧٤، ٥/ ٢٩٢)، بإسناد فيه سعيد بن أبى راشد وهو مقبول وقد

تفرد به. وقال ابن كثير عن ذلك: هذا حديث غريب، وإسناده لا بأس به، تفرد به الإمام أحمد. (البدایة

والنهاية ٥/ ١٩).

رفع

عن الصحاح (الفتح)
أسكنه الله الفردوس

تبوك - وبين هرقل ملك الروم، وأن الأخير أرسل رسولاً من قبيلة تنوخ العربية ليتعرف له على بعض علامات النبوة عند النبي ﷺ^(١).

مدة إقامة النبي ﷺ بتبوك

* عن جابر بن الله - رَضِيَ الله عنهما - قال: (أقام رسول الله ﷺ بتبوك عشرين يوماً يقصر الصلاة)^(٢).

عاقبة الاستهزاء بدين الله (عز وجل) وبرسوله ﷺ

* عن ابن عمر - رَضِيَ الله عنهما - قال: (قال رجل في غزو تبوك في مجلس يوماً ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، لا أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسنة، ولا أجبن عند اللقاء. فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق... لأخبرن رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، ونزل القرآن. قال عبد الله: فأنا رأيته متعلقاً بحقبة ناقة رسول الله ﷺ. والحجارة تنكيه وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، والنبي ﷺ يقول: ﴿أَبَا لَهِ وَأَيَاتِهِ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾^(٣) [التوبة: ٦٥].

* عن كعب بن مالك - رَضِيَ الله عنه - قال: (قال محشى بن حمير لوددت أني

(١) كان دحية الكلبي قد حمل رسالة النبي ﷺ إلى هرقل في أول السنة السابعة من الهجرة، فإذا صح هذا الخبر، فإن إرسال دحية الكلبي يكون للمرة الثانية، وقد أورد الإمام أحمد تفصيلات عن وصول الرجل التنوخي إلى تبوك وأن النبي ﷺ عرض عليه الإسلام فامتنع بحجة أنه مكلف برسالة هرقل، ونقل التنوخي عن النبي ذكره لكتبه التي أرسلها إلى الملوك وكيف رد النبي ﷺ على سؤال هرقل عن رسالته قال: «تدعوني إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، فأين النار؟» فقال النبي ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ أَيْنَ اللَّيْلِ إِذَا جَاءَ النَّهَارُ؟»، كما ذكر الرجل التنوخي اعتذار النبي ﷺ له بأنهم في سفر وإلا لمنحه جائزة، وأن عثمان بن عفان قدم الجائزة نيابة عن النبي ﷺ وهي «حلة صفورية». ويذكر التنوخي بعد ذلك بأن النبي ﷺ قد أنزله ضيفاً على أحد أصحابه من الأنصار، فلما قام من المجلس ناداه الرسول ﷺ، فلما وصل التنوخي إليه حل النبي ﷺ حبوته عن ظهره وقال: «ههنا إمض كما أمرت له»، قال التنوخي: فجلت في ظهره فإذا أنا بخاتم النبوة في موضع غصون الكتف مثل الحجمة الضخمة» أحمد - (المسند ٤٤٢/٣).

(٢) رواه أحمد وابن حبان ورجاله ثقات وصححه النووي على شرطهما وابن حزم وابن حبان.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٦٣/٤) ورجاله رجال الصحيح إلا هشام بن سعد فلم يخرج له مسلم إلا في الشواهد، والطبري في التفسير (١٧٢/١٠) وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٥٤/٣) إلى ابن أبي حاتم وابن جرير وأبي الشيخ وابن مردويه، وله شاهد حسن من حديث كعب.

أقاضى على أن يضرب كل رجل منكم مائة على أن ينجو من أن ينزل فينا قرآن، فقال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر: (أدرك القوم، فإنهم قد احترقوا، فسلهم عما قالوا: فإن هم أنكروا وكنتموا فقل بلى: قد قلت كذا وكذا).

فأدركهم فقال لهم، فجاءوا يعتذرون، فأنزل الله ﷻ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ [التوبة: ٦٦] فكان الذى عفا الله عنه محشى بن حمير، فتسمى عبد الرحمن وسأل الله أن يقتل شهيداً، وألا يعلم بمقتله، فقتل باليمامة لا يعلم مقتله، ولا من قتله، ولا يرى له أثر ولا عين^(١).

محاولة اغتيال النبي ﷺ

وحاول جماعة من المنافقين المشاركين فى الجيش وهم ملثمون حتى لا يعرفوا أن ينفروا بدابة النبي ﷺ لتطرحه من رأس عقبة فى الطريق مع عتمة الليل، فعلم بمؤامرتهم وفطن لهم وأمر بإبعادهم بعد أن عصمه الله تعالى من أذاهم^(٢).

* عن أبى الطفيل - رضى الله عنه - قال: «لما أقبل رسول الله ﷺ من غزو تبوك أمر منادياً فتادى: (إن رسول الله آخذ بالعقبة فلا يأخذها أحد)، فبينما رسول الله ﷺ يقوده حذيفة ويسوقه عمار، إذ أقبل رهط ملثمون على الرواحل، فغشوا عماراً، وهو يسوق برسول الله ﷺ، وأقبل عمار يضرب وجوه الرواحل، فقال رسول الله ﷺ لحذيفة (قد قد).

حتى هبط رسول الله ﷺ من الوادى، فلما هبط ورجع عمار قال: (يا عمار هل عرفت القوم؟) قال: قد عرفت عامة الرواحل، والقوم ملثمون، فقال: (هل تدري ما أرادوا؟). قال: الله ورسوله أعلم. قال: (أرادوا أن ينفروا برسول الله ﷺ فيطرحوه).

قال: فسأل عمار رجلاً من أصحاب النبي ﷺ فقال: نشدتك بالله كم تعلم كان أصحاب العقبة؟ قال: أربعة عشر رجلاً. فقال: إن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر.

قال: فعذر رسول الله ﷺ منهم ثلاثة قالوا: ما سمعنا منادى رسول الله ﷺ، وما

(١) أخرجه ابن أبى حاتم (٦٤/٤) وسنده حسن، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور (٢٥٤/٣) إلى ابن إسحاق

وابن المنذر وابن أبى حاتم.

(٢) أحمد فى المسند (٣٩٠/٥)، البيهقى فى السنن (٣٢/٩).

علمنا ما أراد القوم، فقال عمار: أشهد أن الاثنى عشر الباقيين حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد»^(١).

النبي ﷺ يخبر حذيفة بأسماء المنافقين

* عن علقمة قال: «قدمت الشام فصليت ركعتين، ثم قلت: اللهم يسّر لي جليساً صالحاً، فأثبت قوماً فجلست إليهم، فإذا شيخ قد جاء حتى جلس إلى جنبي، قلت: من هذا؟ قالوا: أبو الدرداء فقلت: إني دعوت الله أن يسّر لي جليساً صالحاً، فيسرك لي. قال: ممن أنت؟ قلت: من أهل الكوفة. قال: أوليس عندكم ابن أم عبد صاحب النعلين والوساد والمظهرة؟ - يعني ابن مسعود - أوليس فيكم الذي أجاره الله من الشيطان، يعني على لسان نبيه ﷺ؟ - يعني عمار بن ياسر - أوليس فيكم صاحب سر النبي ﷺ الذي لا يعلم أحد غيره؟ - يعني حذيفة - ثم قال: كيف يقرأ عبد الله ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ [الليل: ١] فقرأت عليه ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [البل: ١-٣] قال: والله لقد أقرأنيها رسول الله ﷺ من فيه إلى في»^(٢).

استقبال حافل

ولما أشرف النبي ﷺ على المدينة قال: «هذه طابة وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه»^(٣). ولما اقترب الجيش الإسلامي من المدينة خرج الصبيان إلى ثنية الوداع لاستقباله، ومعهم النساء والولائد وهم يرددون^(٤):

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

كان أول ما فعله النبي ﷺ عند دخول المدينة أن صلى في مسجده الشريف ركعتين، ثم جلس للناس فجاءه المنافقون المتخلفون عن الغزوة فاعتذروا بشتى الأعذار فقبل منهم علانيتهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله تعالى^(٥).

(١) أخرجه في المستد (٤٥٣/٥) ورجاله ثقات، قال الهيثمي في المجمع (١٩٥/٦) رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٤٢، ٣٧٤٣) فضائل الصحابة.

(٣) أخرجه البخاري (٧٣١/٧) المغازي، ومسلم (١٣٩/٩) الحج.

(٤) أورد ذلك الحافظ ابن حجر في فتح الباري عند شرح الحديثين (٤٤٢٦ - ٤٤٢٧).

(٥) البخاري - الصحيح (فتح الباري - الحديث ٤٤١٨)، ومسلم (٢١٢٣/٤) حديث (٢٧٦٩).

موقف النبي ﷺ من المنافقين

وقد أصبح الموقف جدياً من المنافقين بعد الرجوع من غزوة تبوك، فقد امتنع النبي ﷺ عن الصلاة في مسجد الضرار الذي كانوا بنوه قبل الغزوة، وأمر بتحريقه^(١)، كما امتنع عن الصلاة على أمواتهم فقد منعه الله من ذلك فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤].

وقد نهى الله تعالى عن قبول أعداء المنافقين، فقال في محكم التنزيل: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأَ اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ٩٤].

وقد أمر الله تعالى بعدم تصديقهم وبالإعراض عنهم ووصفهم بأنهم رجس فقال تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [٩٥] يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٥-٩٦]^(٢).

أثر هذه الغزوة

لقد كان لهذه الغزوة أثر عظيم في سكان شبه الجزيرة لا يقل روعة وجلالاً عن أثر فتح مكة ولئن كان فتح مكة قد نبه العرب إلى حقيقته كانت غائبة عن عقولهم وهي إدراك الحق الذي بُعث به محمد ﷺ فقد كانت غزوة تبوك داعية لهم لأن يسرعوا بالدخول في هذا الحق الذي دعاهم إليه.

إن خروج المسلمين بجيش ضخم بلغ تعداد جنوده ثلاثين ألفاً فيهم عشرة آلاف فارس أمرٌ لم تعرفه العرب من قبل في بلادها، أما وقد استطاع المسلمون تجميع هذا الجيش فهم ولا شك قادرون على أن يفعلوا ما عجز عنه غيرهم وتحريك هذا الجيش من المدينة إلى تبوك وهي مسافة هائلة تبلغ قرابة ستمائة ميل وفي وقت عسرة وجذب وفي

رَفَعُ

(١) تفسير الطبري (١١/ ٢٣ - ٢٤).

(٢) نضرة النعيم (١/ ٣٩٤).

عبد الرحمن (القمي)
(أسكنه الله الفردوس)

ذلك النظام وتلك الدقة دليل على عظمة القيادة وجزمها وخبرتها العسكرية الواسعة بشؤون الحرب، وعلى حسن تدريب الجنود وعظيم طاعتهم.

ولقد كان فرار الروم وهم البادئون - وهم في بلادهم، ولجوؤهم إلى التحصن داخل البلاد حتى لا يدركهم المسلمون أعظم دليل على قوة المسلمين التي لا يستطيع أحد الوقوف أمامها، فهؤلاء الروم هم الذين هزموا الفرس وأخرجوهم من جنوب الجزيرة واستردوا منهم الصليب المقدس وأعادوه إلى القدس في احتفال رائع... هؤلاء هم الذين فروا وانسحبوا من الميدان عندما واجهوا المسلمين، أفلا يكون ذلك دليلاً على قوة المسلمين وقدرتهم على مواجهة أى عدو يهددهم. هذه الأمور مجتمعة حركت نفوس سكان شبه الجزيرة نحو الإسلام^(١).

الثلاثة الذين خلصوا

﴿عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا قَطُّ إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي قَدْ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتَبْ أَحَدٌ تَخَلَّفَ عَنْهُ، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ. وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ (٢) حِينَ تَوَاقَفْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ (٣).»

وَمَا أَحِبُّ أَنْ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا (٤).

وكان من خبري حين تخلفتُ عن رسول الله ﷺ، في غزوة تبوك أني لم أكن قطُّ أقوى ولا أيسرَ مني حين تخلفتُ عنه في تلك الغزوة، والله ما جمعتُ قبلها راحلتين قطُّ حتى جمعتُهما في تلك الغزوة، فغزاها رسول الله ﷺ في حرٍّ شديدٍ، واستقبلَ سَفَرًا

(١) تأملات في السيرة النبوية لمحمد السيد الوكيل (٢٨٩) دار المجتمع.

(٢) ليلة العقبة: الليلة التي بايع رسول الله الأنصار فيها على الإسلام. وأن يؤوه وينصروه، والعقبة هي التي في طرف منى التي يضاف إليها جمرة العقبة. وكانت مرتين في سنتين.

(٣) تواقفنا على الإسلام: تبايعنا عليه وتعاهدنا.

(٤) وإن كانت بدر أذكى: أى أشهر عند الناس.

رَفَعُ

عبد الرحمن (الرحمى) البخاري
أسكنه الفردوس

بَعِيدًا وَمَفَازًا^(١). وَاسْتَقْبَلَ عَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ^(٢) لِيَتَأَهَّبُوا أَهْبَةً غَزَوْهُمْ^(٣) فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِمُ الَّذِي يُرِيدُ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَثِيرٌ وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ (يُرِيدُ بِذَلِكَ الدِّيَّانَ).

قَالَ كَعْبٌ: فَقُلَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ سَيَخْفِي بِهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثَّمَارُ وَالظَّلَالُ، فَأَنَا إِلَيْهَا أَصْعُرُ^(٤)، فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَطَفَقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَفْضُ شَيْئًا، وَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَبَا قَادِرٍ عَلَى ذَلِكَ إِذَا أَرَدْتُ.

فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتِمَادَى بِي حَتَّى اسْتَمَرَّ بِالنَّاسِ الْجَدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَادِيًا وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَلَمْ أَفْضُ مِنْ جِهَازِي شَيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَفْضُ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتِمَادَى بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ^(٥)، فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأَدْرِكَهُمْ، فَيَا لَيْتَنِي فَعَلْتُ، ثُمَّ لَمْ يَقْدِرْ ذَلِكَ لِي.

فَطَفَقْتُ، إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُحْزِنُنِي أَنِّي لَا أَرَى لِي أَسْوَةً إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ فِي التَّفَاقُ، أَوْ رَجُلًا مَمَّنْ عَذَّرَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ: «مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟» فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، وَالنَّظَرُ فِي عَطْفِيهِ^(٦).

فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَسَّ مَا قُلْتَ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ رَأَى رَجُلًا مَبِيضًا^(٧) يَزُولُ بِهِ

(١) مَفَازًا: بَرِيَّةٌ طَوِيلَةٌ قَلِيلَةُ الْمَاءِ يَخَافُ فِيهَا مِنَ الْهَلَاكِ.

(٢) فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ: كَشَفَ وَبَيَّنَّ وَأَوْضَحَهُ.

(٣) لِيَتَأَهَّبُوا أَهْبَةً غَزَوْهُمْ: يَسْعَوْنَ لَهُ بِمَا يَحْتَاجُونَ مِنْ زَادٍ.

(٤) أَصْعُرُ: أَمِيلٌ.

(٥) تَفَارَطَ الْغَزْوُ: تَقَدَّمَ الْغَزَاةُ وَسَبَقُوا وَفَاتُوا.

(٦) وَالنَّظَرُ فِي عَطْفِيهِ: أَيْ جَانِبِيهِ وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى إِعْجَابِهِ بِنَفْسِهِ وَلِبَاسِهِ.

(٧) مَبِيضًا: لَا بَسَّ الْبَيَاضِ.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

السَّرَابُ^(١)، فقال رسول الله ﷺ: «كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ فَإِذَا هُوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ^(٢) الْمُنَافِقُونَ.

قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلًا^(٣) مِنْ تَبُوكَ حَضَرَنِي بَنِي^(٤)، فطَفَقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ: بِمِ أَخْرَجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا؟. وَأَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ لِي: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا^(٥) زَاحَ^(٦) عَنِّي الْبَاطِلُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَنْجُو مِنْهُ بِشَيْءٍ أَبَدًا فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ^(٧).

وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ فَطَفَقُوا يَغْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بَعْضًا وَثَمَانِينَ رَجُلًا فَقَبِلَ مِنْهُمْ عِلَانِيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَوَكَّلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى... حَتَّى جِئْتُ.

فَلَمَّا سَلَّمْتُ، تَبَسَّمَ تَبَسُّمُ الْمُغْضَبِ ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَ»، فَجِئْتُ أُمَشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: «مَا خَلَّفَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بَعْدُ، لَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا^(٨)، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذَبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ^(٩) اللَّهُ أَنْ يُسَخِّطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ^(١٠) إِنِّي

(١) يزول به السراب: يتحرك وينهض، والسراب هو ما يظهر للإنسان في الهواجر في البراري كأنه ماء.

(٢) لمزه المنافقون: عابوه واحتقروه.

(٣) توجه قافلاً: راجعاً.

(٤) حضرني بنى: حزني.

(٥) أظلل قادمًا: أقبل ودنا قدومه كأنه ألقى على ظله.

(٦) زاح: زال.

(٧) أجمعت صدقه: عزمت على صدقه.

(٨) أعطيت جدلاً: فصاحة وقوة في الكلام وبراعة، بحيث أخرج عن عهده ما ينسب إلى إذا أردت.

(٩) ليوشكن: ليسر عن.

(١٠) تجد علي فيه: تغضب.

لَأَرْجُو فِيهِ عُقْبَى اللَّهِ^(١) عَزَّ وَجَلَّ... وَاللَّهُ مَا كَانَ لِي مِنْ عُدْرٍ، وَاللَّهُ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرُ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ» فَقُمْتُ، وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ فَاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي: وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ أَذْنِبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، لَقَدْ عَجَزْتَ فِي أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُخْلَفُونَ فَقَدْ كَانَ كَافِيكَ ذَنْبِكَ اسْتَغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَكَ.

قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤْتِبُونَنِي^(٢) حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي.

قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِيَ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ لَقِيَهُ مَعَكَ رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ، وَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ، قَالَ قُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَامِرِيُّ، وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ؟ قَالَ: فَذَكَّرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا فِيهِمَا أُسُوءَ. قَالَ: فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي.

قَالَ: وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أُيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، قَالَ: فَاجْتَنَبْنَا النَّاسَ أَوْ قَالَ: تَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرْتُ لِي فِي نَفْسِي الْأَرْضُ، فَمَا هِيَ بِالْأَرْضِ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً. فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا^(٣) وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ^(٤)، فَكُنْتُ أُخْرِجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلَمَ عَلَيْهِ، وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفْتَيْهِ بَرْدُ السَّلَامِ أَمْ لَا؟ ثُمَّ أَصْلَى قَرِيبًا مِنْهُ وَأَسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي نَظَرَ إِلَيَّ، وَإِذَا التَفْتُ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي.

(١) إِنِّي لَأَرْجُو عُقْبَى اللَّهِ: يَعْنِي خَيْرًا وَيُشِيرُ عَلَيْهِ.

(٢) يُؤْتِبُونَنِي: يَلُومُونَنِي أَشَدَّ اللَّوْمِ.

(٣) اسْتَكَانَا: خَضَعَا.

(٤) أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ: أَيِ أَصْغَرَهُمْ سِنًا وَأَقْوَاهُمْ.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

حَتَّى إِذَا طَالَ ذَلِكَ عَلَىَّ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ^(١) جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ أَتَشُدُّكَ بِاللَّهِ^(٢) هَلْ تَعْلَمُنِي أَحَبُّ إِلَهُ وَرَسُولُهُ ﷺ؟ قَالَ: فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشِدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشِدْتُهُ فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ.

فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبْطَى^(٣) مِنْ نَبْطِ أَهْلِ الشَّامِ^(٤) مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ؟ قَالَ: فَطَفِقَ النَّاسُ يَشِيرُونَ لَهُ إِلَى حَتَّى جَاءَنِي فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، وَكُنْتُ كَاتِبًا. فَقَرَأْتُهُ فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بَدَارَ هَوَانٍ وَلَا مَضِيعَةً^(٥)، فَالْحَقُّ بِنَا نُوَاسِكَ، قَالَ: فَقُلْتُ حِينَ قَرَأْتُهَا: وَهَذِهِ أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ فَتَيَأَمْتُ^(٦) بِهَا التَّنُورَ فَسَجَرْتُهَا^(٧) بِهَا.

حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنَ الْخَمْسِينَ وَاسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ^(٧) إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ، فَقُلْتُ: أَطْلَقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: لَا بَلْ اعْتَزِلْهَا فَلَا تَقْرُبْنَهَا.

قَالَ: وَأَرْسَلْ إِلَى صَاحِبِي بِمِثْلِ ذَلِكَ. قَالَ: فَقُلْتُ لَامْرَأَتِي: الْحَقِّي بِأَهْلِكَ فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ.

قَالَ: فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هَلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ لَا يَقْرَبَنَّكَ».

(١) حتى تسورت: علوت وصعدت السور وهو أعلاه.

(٢) أنشدك بالله: أسألك بالله.

(٣) نبطى من أهل الشام: فلاحو العجم.

(٤) مضيعة: يعنى أنك لست بأرض يضع فيها حقل.

(٥) فتيامت: تيممت: قصدت.

(٦) فسجرتها: أحرقتها.

(٧) واستلبث الوحي: أبطأ.

رَفَعُ

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

فَقَالَتْ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ مِنْ حَرَكَةٍ إِلَى شَيْءٍ، وَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا.

قَالَ: فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوْ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ فَقَدْ أَذِنَ لَامْرَأَةٍ هَلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ؟ فَقُلْتُ: لَا اسْتَأْذَنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَا يُذَرِّبُنِي مَاذَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ فَلَبِثْتُ بِذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ، فَكَمَلْتُ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى عَنْ كَلَامِنَا.

قَالَ: ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَّا - قَدْ ضَاقَتْ عَلَى نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَى الْأَرْضِ بِمَا رَحِبْتُ - سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى سَلْعٍ ^(١) يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أَبْشِرْ، قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ.

قَالَ: فَأَذِنَ ^(٢) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ فَذَهَبَ النَّاسُ يُبْشِرُونَا، فَذَهَبَ قَبْلَ صَاحِبِي مُبْشِرُونَ، وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَى فَرَسٍ وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ قِبَلِي وَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبْشِرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبِي فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِبِشَارَتِهِ وَاللَّهُ مَا أَمْلَكَ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبَسْتُهُمَا وَانْطَلَقْتُ أَتَأَمُّمُ ^(٣) رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا ^(٤) يَهْتَوْنَنِي بِالتَّوْبَةِ وَيَقُولُونَ لِي: لَتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ.

حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ وَاللَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُهْرُولُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَانِي، وَاللَّهُ مَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ.

قَالَ: فَكَانَ كَعْبٌ لَا يَنْسَاهَا لَطَلْحَةَ.

(١) أوفى على سلع: صعدته وارتفع عليه، وسلع: جبل بالمدينة معروف.

(٢) فأذن الناس: أى أعلمهم.

(٣) أتأمم: أى أقصد.

(٤) فوجاً فوجاً: الفوج: الجماعة.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: «أَبَشِّرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُذْ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ» فَقُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا بَلَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، قَالَ: وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ.

قَالَ: فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أُتَخَلَعَ^(١) مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» قَالَ: فَقُلْتُ: إِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرٍ. وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا أَتَجَانِي بِالصَّدَقِ، وَإِنْ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحْدِثَ إِلَّا صَدَقًا مَا بَقِيَتْ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَتَبْلَاهُ^(٢) اللَّهُ تَعَالَى فِي صَدَقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ مِمَّا أَتَلَانِي اللَّهُ بِهِ، وَاللَّهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذِبَةً مُنْذُ قُلْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا، وَإِنِّي لَا رَجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ تَعَالَى فِيمَا بَقِيَ.

قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٧-١١٩].

قَالَ كَعْبٌ: وَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ إِذْ هَدَانِي اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صَدَقِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ لَا أَكُونَ كَذِبْتُهُ، فَأَهْلَكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا... إِنْ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرًّا مَا قَالَ لِأَحَدٍ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سَيُحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ فَأَعَرِّضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا وَاهِمُ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ٩٥﴾ يُحْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿[التوبة: ٩٥، ٩٦].

رَفَعُ

عبد الرحمن بن العنبري
أسكنه الله الفردوس

(١) أتخلع من مالي: أتصدق.

(٢) أتبلاه الله: أنعم عليه.

قال كعب: كنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله تعالى فيه بذلك، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ [التوبة: ١١٨]. وليس الذي ذكر الله مما خلفنا تخلفنا عن الغزو، وإنما هو تخلفه إيانا وإرجاؤه أمرنا^(١) عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه^(٢).

فوائد جلييلة

✽ قال الإمام النووي رحمه الله: واعلم أن في حديث كعب هذا - رضي الله عنه - فوائد كثيرة.

إحداها: إباحة الغنيمة لهذه الأمة لقوله: خرجوا يريدون غير قریش.

الثانية: فضيلة أهل بدر وأهل العقبة.

الثالثة: جواز الحلف من غير استحلاف في غير الدعوى عند القاضي.

الرابعة: أنه ينبغي لأمر الجيش إذا أراد غزوة أن يورى غيرها، لئلا يسبقه الجواسيس ونحوهم، إلا إذا كانت سفرة بعيدة فيستحب أن يعرفهم البعد ليتأهبوا.

الخامسة: التأسف على ما فات من الخير، وتغنى المتأسف أنه كان فعله لقوله: «فيا ليتني فعلت».

السادسة: رد غيبة المسلم لقول معاذ: بئس ما قلت.

السابعة: فضيلة الصدق وملازمته وإن كان فيه مشقة، فإن عاقبته خير، وإن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة كما ثبت في الصحيح.

الثامنة: استحباب صلاة القادم من سفر ركعتين في مسجد محله أول قدومه قبل كل شيء.

التاسعة: أنه يستحب للقادم من سفر إذا كان مشهوراً يقصده الناس للسلام عليه أن يقعد لهم في مجلس بارز حين الوصول إليه.

(١) إرجاؤنا أمرنا: تأخير أمرنا.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤١٨) المغازي - ومسلم (٢٧٦٩) التوبة.

رَفَعُ

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

العاشرة: الحكم بالظاهر والله يتولى السرائر، وقبول معاذير المنافقين ونحوهم ما لم يترتب على ذلك مفسدة.

الحادية عشر: استحباب هجران أهل البدع والمعاصي الظاهرة، وترك السلام عليهم، ومقاطعتهم، تحقيراً لهم وزجراً.

الثانية عشر: استحباب بكائه على نفسه إذا وقعت منه معصية.

الثالثة عشر: أن مسارقة النظر في الصلاة والالتفات لا يبطلها.

الرابعة عشر: أن السلام يسمى كلاماً، وأن من حلف لا يكلم إنساناً فسلم عليه أو رد عليه السلام يحنث.

الخامسة عشر: وجوب إثارة طاعة الله ورسوله ﷺ على مودة الصديق والقريب وغيرهما، كما فعل أبو قتادة حين سلم عليه كعب فلم يرد عليه، حين نُهي عن كلامه.

السادسة عشر: أنه إذا حلف لا يكلم إنساناً فتكلم ولم يقصد كلامه بل قصد غيره فسمع المحلوف عليه لم يحنث الخالف لقوله: الله أعلم. فإنه محمول على أنه لم يقصد كلامه كما سبق.

السابعة عشر: جواز إحراق ورقة فيها ذكر الله تعالى لمصلحة، كما فعل عثمان والصحابة - رضي الله عنهم - بالمصاحف التي هي غير مصحفه الذي أجمعت الصحابة عليه، وكان ذلك صيانة فهي حاجة وموضع الدلالة من حديث كعب أنه أحرق الورقة وفيها لم يجعلك الله بدار هوان.

الثامنة عشر: إخفاء ما يخاف من إظهاره مفسدة وإتلاف.

التاسعة عشر: أن قوله لامرأته إلحقى بأهلك ليس بصريح طلاق، ولا يقع به شيء إذا لم ينو.

العشرون: جواز خدمة المرأة زوجها برضاها، وذلك جائز له بالإجماع، فأما إلزامها بذلك فلا.

"الحادية والعشرون: استحباب الكنايات في ألفاظ الاستمتاع بالنساء ونحوها.

الثانية والعشرون: الورع والاحتياط بمجانبة ما يخاف منه الوقوع في منهي عنه؛ لأنه لم يستأذن في خدمة امرأته له وعلل بأنه شاب أي لا يأمن موافقتها وقد نُهي عنها.

الثالثة والعشرون: استحباب سجود الشكر عند تجدد نعمة ظاهرة أو اندفاع بلية ظاهرة، هو مذهب الشافعي وطائفة، وقال أبو حنيفة لا يشرع.

الرابعة والعشرون: استحباب التبشير بالخير.

الخامسة والعشرون: استحباب تهنئة من رزقه الله خيراً ظاهراً أو صرف عنه شراً ظاهراً.

السادسة والعشرون: استحباب إكرام المبشر بخلعة أو نحوها.

السابعة والعشرون: أنه يجوز تخصيص اليمين بالنية.

ودليله من هذا الحديث قوله في التوبين والله ما أملك غيرهما، ثم قال بعده في ساعة إن من توبتي أن انخلع من مالي صدقة ثم قال: فأني أمسك سهمي الذي بخير.

الثامنة والعشرون: جواز العارية.

التاسعة والعشرون: جواز استعارة الثياب للبس.

الثلاثون: استحباب اجتماع الناس عند إمامهم وكبيرهم في الأمور المهمة من بشارة ومشورة وغيرهما.

الحادية والثلاثون: استحباب القيام للوارد إكراماً له إذا كان من أهل الفضل بأي نوع كان وقد جاءت به أحاديث جمعتها في جزء مستقل بالترخيص فيه والجواب عما يظن به مخالفاً لذلك.

الثانية والثلاثون: استحباب المصافحة عند التلاقي وهي سنة بلا خلاف.

الثالثة والثلاثون: استحباب سرور الإمام وكبير القوم بما يسر أصحابه وأتباعه.

الرابعة والثلاثون: أنه يستحب لمن حصلت له نعمة ظاهرة أو اندفعت عنه كربة ظاهرة أن يتصدق بشيء صالح من ماله شكراً لله تعالى على إحسانه وقد ذكر أصحابنا أنه يستحب له سجود الشكر والصدقة جميعاً وقد اجتمعنا في هذا الحديث.

الخامسة والثلاثون: أنه يستحب لمن خاف أنه لا يصبر على الإضاقة أن لا يتصدق بجميع ماله، بل ذلك مكروه له.

السادسة والثلاثون: أنه يستحب لمن رأى من يريد أن يتصدق بكل ماله ويخاف عليه

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

السابعة والثلاثون: أنه يستحب لمن تاب بسبب من الخير أن يحافظ على ذلك السبب، فهو أبلغ في تعظيم حرمة الله، كما فعل كعب في الصدق والله أعلم^(١).

❖ وقال الإمام ابن القيم رحمه الله فيما اشتملت عليه قصة الثلاثة من الحكم والفوائد ما ملخصه:

- منها جواز مدح الإنسان نفسه بما فيه من الخير، إذا لم يكن على سبيل الفخر والترفع.

- ومنها أن الرجل إذا حضرت له فرصة القربة والطاعة فالحزم كل الحزم في انتهازها والمبادرة إليها، والعجز في تأخيرها والتسويق بها.

- ومنها معاتبة الإمام والمطاع أصحابه ومن يعز عليه ويكرم عليه، فإنه عاتب الثلاثة دون سائر من تخلف عنه وقد أكثر الناس من مدح عتاب الأعية واستلذاذه والسرور به.

- ومنها توفيق الله لكعب وصاحبيه فيما جاءوا به من الصدق.

- وقد نهى النبي ﷺ عن كلام هؤلاء الثلاثة من بين سائر من تخلف عنه دليل على صدقهم وكذب الباقين، فأراد هجر الصادقين وتأديبهم على هذا الذنب، وأما المنافقون فجرهم أعظم من أن يقابل بالهجر.

- وفي أمر رسول الله ﷺ لهؤلاء الثلاثة أن يعتزلوا نساءهم لما مضى لهم أربعون ليلة كالشارة بمقدمات الفرج والفتح من وجهين:

أحدهما: كلامه لهم وإرساله إليهم بعد أن كان لا يكلمهم بنفسه ولا برسوله.

الثاني: من خصوصية أمرهم باعتزال النساء، وفيه تنبيه وإرشاد لهم إلى الجد والاجتهاد في العبادة، وشد المتزر، واعتزال محل اللهو واللذة والتعوض عنه بالإقبال على العبادة وفي هذا إيذان بقرب الفرج وأنه قد بقى من العتب أمر يسير.

وفقه هذه القصة أن زمن العبادات ينبغي فيه تجنب النساء، كزمن الإحرام، وزمن الاعتاف، وزمن الصيام؛ ولم يأمرهم بذلك في بداية المدة رحمة بهم.

- وفيه دليل على أن خير أيام العبد على الإطلاق وأفضلها يوم توبته إلى الله، وقبول

(١) مسلم بشرح النووي (١٧/ ١٠٠ - ١٠٢) بنصرف.

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الله توبته، لقول النبي ﷺ: «أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك» (١).

✽ وقال الحافظ رحمه الله: وفيها عظم أمر المعصية، وقد نبه الحسن البصري على ذلك فيما أخرجه ابن أبي حاتم عنه قال: يا سبحان الله ما أكل هؤلاء الثلاثة مالا حراماً، ولا سفكوا دمًا حراماً، ولا أفسدوا في الأرض، أصابهم ما سمعتم وضاعت عليهم الأرض بما رحبت، فكيف بمن يواقع الفواحش والكبائر.

- وفيها أن القوى في الدين يؤخذ بأشد مما يؤخذ الضعيف.

- وفيها ترك السلام على من أذنب وجواز هجره أكثر من ثلاث وأما النهي عن الهجر فوق الثلاث فمحمول على من لم يكن هجرانه شرعياً (٢).

موت رأس المنافقين

وبعد عودة النبي ﷺ من غزوة تبوك توفي رأس المنافقين - عبد الله بن أبي بن سلول -.

النبي ﷺ يعود في مرضه

✽ عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: «دخلت مع رسول الله ﷺ على عبد الله بن أبي في مرضه نعوذه، فقال له النبي ﷺ (قد كنت أنهاك من حب يهود)، فقال: عبد الله: «فقد بغضهم أسعد بن زرارة فمه» (٣).

وجاء في لفظ أبي داود زيادة: «فلما مات أتاه ابنه فقال: يا رسول الله إن عبد الله بن أبي قد مات، فأعطني قميصك أكفنه فيه، فتزع رسول الله ﷺ قميصه فأعطاه إياه» (٤).

(١) باختصار من زاد المعاد (٣/ ٥٧٣ - ٥٩٢).

(٢) باختصار من فتح الباري (٧/ ٧٢٩ - ٣٩٠) - نقلاً من وقفات تربوية.

(٣) فمه: يعني أنه يريد القول أن أسعد بن زرارة قد أبغض يهود فما دفع عنه بغضهم (الموت)، وكان يريد أنه لا يضر حبه، ولا ينفع بغضهم، ولو نفع بغضهم لما مات أسعد بن زرارة، وهذا من قلة فهمه وقصور نظره على أن الضرر والنفع هو الموت أو الخلاص منه.

(٤) رواه أبو داود (٣٠٩٤)، والحاكم (٣٤١/١)، وصححه ووافقه الذهبي.

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

لماذا كساه النبي ﷺ قميصه؟

* عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: «لما كان العباس بن عبد المطلب بالمدينة، طلبت الأنصار ثوباً يكسونه، فلم يجدوا قميصاً يصلح عليه إلا قميص عبد الله ابن أبي فكسوه إياه»^(١).

وفى لفظ آخر «لما كان يوم بدر أتى بالعباس ولم يكن عليه ثوب، فنظر النبي ﷺ له قميصاً، فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه، فكساه النبي ﷺ إياه، فلذلك نزع النبي ﷺ قميصه الذى ألبسه».

قال ابن عيينة: كانت له عند النبي ﷺ يد، فأحب أن يكافئه.

وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

وعلى الرغم من العداء الذى وجده النبي ﷺ من رأس المنافقين إلا أنه لما علم بموته ذهب إلى قبره فأخرجه ونفث فيه من ريقه وألبسه قميصه.. وليس هذا الأمر بغريب ولا عجيب، فإن النبي ﷺ هو الحبيب الذى أرسله الله رحمة للعالمين.

* عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: «أتى النبي ﷺ عبد الله بن أبي بعدما دُفن، فأخرجه فنفث فيه من ريقه، وألبسه قميصه»^(٢).

ولا تصل على أحد منهم مات أبداً

* عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «لما توفى عبد الله بن أبي ابن سلول، جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلى عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلى عليه.

فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ. فقال: يا رسول الله! تصلى عليه وقد نهاك الله أن تصلى عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: (إنما خيرنى الله فقال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]، وسأزيده على سبعين) قال

رفع

عن (الرحمى) الفخرى
(السلمى) النبى (الروى)

(١) أخرجه البخارى (٣٠٠٨) الجهاد.

(٢) أخرجه البخارى (١٢٧٠) الجنائز - ومسلم (٢٧٧٣) صفات المنافقين.

(عمر): إنه منافق، فصلى عليه رسول الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ [التوبة: ٨٤] (١).

ترسيخ حكم الإسلام

حققت غزوة تبوك، رغم خلوها من المعارك، أهدافها في ترصين وترسيخ حكم الإسلام الذي امتد من خلالها ومن جراء ما ارتبط بها من اتفاقات ونتائج ليشمل الأطراف الشمالية من شبه جزيرة العرب وليضع المسلمين على أعتاب الفتوحات، ومهدت بذلك للفتوحات في كل من العراق وبلاد الشام على حد سواء، ومع أن جيش أسامة ابن زيد لم يُقدَّر له أن يتحرك نحو الحدود الشمالية إلا في أيام خلافة أبي بكر - رضي الله عنه - فإن قيام الرسول ﷺ بالأمر بتجهيزه وتحديد وجهته قبيل وفاته كان مؤشراً واضحاً لوجهة نشر الدعوة وحركة الفتوحات الإسلامية.

توحيد الجزيرة العربية تحت حكم رسول الله ﷺ

تأثر موقف القبائل العربية من الرسول والدعوة الإسلامية بمؤثرات متداخلة، كان من أبرزها موقف قريش وأحلافها، ولعل بعضها كان يحسب لبنى الأصفر - الروم - حساباً، وخاصة تلك القبائل التي سكنت في أطراف الجزيرة الشمالية قريباً من تخوم الروم، فلما كان فتح مكة وما تبع ذلك من إسلام قريش وكسر شوكة هوازن في موقعة حنين، وإذلال ثقيف ومحاصرتها سقط الحاجز الأساسي الأول فبادر كل قوم بإسلامهم، ثم كانت غزوة تبوك وامتداد سلطان المسلمين إلى خطوط التماس مع الروم وعقد المحالفات مع أيلة وأذرح وغيرهما، وتسوية الأمور مع دومة الجندل بالصلح، ثم مصالحة نصارى نجران في الأطراف الجنوبية على أن يدفعوا الجزية، فلم يعد أمام القبائل العربية إلا المبادرة الشاملة إلى اعتناق الإسلام والالتحاق بركب النبوة بالسمع والطاعة، ونظراً لكثرة وفود القبائل العربية التي قدمت إلى المدينة من أنحاء الجزيرة العربية بعد عودة النبي ﷺ من غزوة تبوك لتعلن إسلامها هي ومن وراءها، فقد سُمِّيَ العام التاسع للهجرة في المصادر الإسلامية بعام الوفود (٢).

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

(١) أخرجه البخاري (١٢٦٩) الجنايز - ومسلم (٢٧٧٤) صفات المنافقين.

(٢) نضرة النعيم (١/ ٣٩٥ - ٣٩٦).

عام الوفود

والوفود التي سردها أهل المغازي يزيد عددها على سبعين وفداً، ولا يمكن لنا استقصاءها، وليس كبير فائدة في بسط تفاصيلها، وإنما نذكر منها إجمالاً ما له روعة أو أهمية في التاريخ، وليكن على ذكر من القارئ أن وفادة عامة القبائل، وإن كانت بعد الفتح؛ ولكن هناك قبائل توافدت قبله أيضاً^(١).

قدوم وفد ثقيف

كان أول الوفود قدوماً إلى النبي ﷺ بعد رجوعه من تبوك هو وفد قبيلة ثقيف. وقد سبق أن أشرنا إلى إسلام عروة بن مسعود الثقفي على يدى رسول الله ﷺ قبيل وصوله المدينة، عند عودته من مكة بعد الفتح، وذكرنا أن النبي ﷺ أمره أن يرجع إلى قومه بالإسلام، وقد فعل ذلك فأظهر لهم دينه، ودعاهم إلى الإسلام، غير أنهم اجتمعوا عليه فرموه بسهامهم وهو يؤذن في أعلى داره فقتلوه، ثم ائتمر زعماء ثقيف فيما بينهم فوجدوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من قبائل العرب وقد بايعت وأسلمت فأجمعوا على أن يرسلوا إلى النبي ﷺ وفداً^(٢).

❖ فقدم وفدهم، وفيهم: كنانة بن عبد ياليل، وهو رأسهم يومئذ، وفيهم: عثمان بن أبي العاص، وهو أصغر الوفد، فقال المغيرة بن شعبة: يا رسول الله: أنزل قومي على فأكرمهم، فإنني حديث الجرح فيهم، فقال رسول الله ﷺ: «لا أمتعك أن تكرم قومك، ولكن أنزلهم حيث يسمعون القرآن»، وكان من جرح المغيرة في قومه أنه كان أجيراً لثقيف، وأنهم أقبلوا من مضر حتى إذا كانوا ببعض الطريق، عدا عليهم وهم نيام، فقتلهم، ثم أقبل بأموالهم حتى أتى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «أما الإسلام

(١) الرحيق المختوم (ص: ٤٨٢).

(٢) نضرة النعيم (١/ ٣٩٦ - ٣٩٧).

رفع

عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر
أسكنه الله الفردوس

فَتَقَبَّلُ، وَأَمَّا الْمَالُ فَلَا، فَإِنَّا لَا نَعْدُرُ، وَأَبَى أَنْ يُخَمَّسَ مَا مَعَهُ^(١).

✽ فلما قدموا على رسول الله ﷺ ضرب عليهم قبة في ناحية المسجد، لكي يسمعو القرآن ويروا الناس إذا صلوا، ومكثوا يختلفون إلى رسول الله ﷺ وهو يدعوهم إلى الإسلام حتى سأل رئيسهم أن يكتب لهم رسول الله ﷺ قضية صلح بينه وبين ثقيف. يأذن لهم فيها بالزنا وشرب الخمر وأكل الربا، ويترك لهم طاغيتهم اللات، وأن يعفيهم من الصلاة وأن لا يكسروا أصنامهم بأيديهم، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبل شيئاً من ذلك، فخلوا وتشاوروا، فلم يجدوا محيصاً عن الاستسلام لرسول الله ﷺ فاستسلموا وأسلموا، واشتروطوا أن يتولى رسول الله ﷺ هدم اللات، وأن ثقيفاً لا يهدمونها بأيديهم أبداً؛ فقبل ذلك، كتب لهم كتاباً، وأمر عليهم عثمان بن أبي العاص الثقفي؛ لأنه كان أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم الدين والقرآن؛ وذلك أن الوفد كانوا كل يوم يغدون إلى رسول الله ﷺ ويخلفون عثمان بن أبي العاص في رحالهم، فإذا رجعوا وقالوا بالهاجرة، عمد عثمان بن أبي العاص إلى رسول الله ﷺ فاستقرأه القرآن، وسأله عن الدين، وإذا وجده نائماً عمد إلى أبي بكر لنفس الغرض، (وكان من أعظم الناس بركة لقومه في زمن الردة، فإن ثقيفاً لما عزمت على الردة، قال لهم يا معشر ثقيف كنتم آخر الناس إسلاماً فلا تكونوا أول الناس ردة فامتنعوا على الردة، وثبتوا على الإسلام).

ورجع الوفد إلى قومه فكنتمهم الحقيقة، وخوفهم بالحرب والقتال، وأظهر الحزن والكآبة، وأن رسول الله ﷺ سألهم الإسلام وترك الزنا والخمر والربا وغيرها وإلا يقاتلهم، فأخذت ثقيفاً نخوة الجاهلية، فمكثوا يومين أو ثلاثة يريدون القتال، ثم ألقى الله في قلوبهم الرعب، وقالوا للوفد: ارجعوا إليه فأعطوه ما سأل، وحينئذ أبدى الوفد حقيقة الأمر، وأظهروا ما صالحوا عليه، فأسلمت ثقيف.

وبعث رسول الله ﷺ رجلاً لهدم اللات، أمر عليهم خالد بن الوليد، فقام المغيرة بن شعبة^(٢) فأخذ الكرزين^(٣)، وقال لأصحابه: والله لأضحكنكم من ثقيف، فضرب بالكرزين، ثم سقط يركض، فارتجأ أهل الطائف بضجة واحدة، وقالوا: أبعد الله المغيرة،

(١) زاد المعاد (٣/ ٥٩٦). وأبى أن يخمس ما معه: أي رفض أن يأخذ الخمس.

(٢) باختصار من زاد المعاد - نقلاً من الرحيق (ص: ٤٨٦ - ٤٨٧).

(٣) الكرزين: الفأس لها حد.

رَفَعُ

عبد الرحمن بن الحنفية
(أسكنه الله الفردوس)

قتلته الربة، وفرحوا حين رأوه ساقطاً، وقالوا: من شاء منكم، فليقرب، وليجتهد على هدمها، فوالله لا تُستطاع، فوثب المغيرة بن شعبه، فقال: قبحكم الله يا معشر ثقيف، إنما هي لكأع حجارة ومدّر، فاقبلوا عافية الله واعبدوه، ثم ضرب الباب فكسره، ثم علا سورها، وعلا الرجال معه، فما زالوا يهدمونها حجراً حجراً حتى سووها بالأرض، وجعل صاحب المفتاح يقول: ليغضبن الأساس، فليخسفن بهم، فلما سمع ذلك المغيرة، قال لخالد: دعني أحفر أساسها، فحفره حتى أخرجوا ترابها، وانتزعوا حلها ولباسها، فبهتت ثقيف.

وأقبل الوفد حتى دخلوا على رسول الله ﷺ بحليها وكسوتها، فقسمه رسول الله ﷺ من يومه، وحمد الله على نصرة نبيه وإعزاز دينه^(١).

أنت إمامهم

* عن عثمان بن أبي العاص رضى الله عنه قال: «قلت يا رسول الله اجعلني إمام قومي فقال: (أنت إمامهم، واقتد بأضعفهم، واتخذ مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجراً)^(٢)».

عثمان بن أبي العاص يشتكى من اعتراض الشيطان له

في صلاته

* عن عثمان بن أبي العاص رضى الله عنه قال: «قلت: يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي، قال: فقال (ذاك شيطان يقال له: خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل عن يسارك ثلاثاً)، قال: ففعلت فأذهب الله عني^(٣)».

* وعن عثمان بن أبي العاص أيضاً قال: (لما استعملني رسول الله ﷺ على الطائف، جعل يعرض لى شيء فى صلاتي، حتى ما أدري ما أصلى، فلما رأيت ذلك، ورحلت إلى رسول الله ﷺ فقال: (ابن أبي العاص؟) قلت: نعم! يا رسول الله! قال: (ما جاء بك؟) قلت: يا رسول الله! عرض لى شيء فى صلواتي، حتى ما أدري ما أصلى.

قال: (ذاك الشيطان. أذنه) فدنوت منه. فجلست على صدور قدمي. قال: فضرب

(١) زاد المعاد (٣/٥٩٩).

(٢) رواه أحمد (٤/٢١٧)، وأبو داود (٥٣١)، وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٠٣) السلام - وأحمد (٤/٢١٦).

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

صدرى بيده، وتفل فى فمى، وقال: (اخرج. عدو الله) ففعل ذلك ثلاث مرات، ثم قال: (الحق بعملك) قال: فقال عثمان: فلعمري! ما أحسبه خالطنى بعد»^(١).

فوائد جلية

* قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

وفى قصة هذا الوفد من الفقه، أن الرجل من أهل الحرب إذا غدر بقومه، وأخذ أموالهم، ثم قدم مسلماً، لم يتعرض له الإمام، ولا لما أخذه من المال، ولا يضمن ما أتلفه قبل مجيئه من نفس ولا مال، كما لم يتعرض النبي ﷺ لما أخذه المغيرة من أموال الثقفيين، ولا ضمن ما أتلفه عليهم، وقال: «أما الإسلام فأقبل، وأما المال، فلست منه فى شىء».

ومنها: جواز إنزال المشرك فى المسجد، ولا سيما إذا كان يرجو إسلامه، وتمكينه من سماع القرآن، ومشاهدة أهل الإسلام، وعبادتهم.

ومنها: حسن سياسة الوفد، وتلطفهم حتى تمكنوا من إبلاغ ثقيف ما قدموا به فتصوروا لهم بصورة المنكر لما يكرهونه، الموافق لهم فيما يهوّونه حتى ركنوا إليهم، واطمأنوا، فلما علموا أنه ليس لهم بد من الدخول فى دعوة الإسلام أذعنوا، فأعلمهم الوفد أنهم بذلك قد جاؤوهم، ولو فاجؤوهم به من أول وهلة لما أقروا به، ولا أذعنوا، وهذا من أحسن الدعوة، وتمام التبليغ، ولا يتأتى إلا مع ألباء الناس وعقلائهم.

ومنها: أن المستحق لإمرة القوم وإمامتهم أفضلهم وأعلمهم بكتاب الله، وأفقههم فى دينه.

ومنها: هدم مواضع الشرك التى تتخذ بيوتاً للطواغيت، وهدمها أحب إلى الله ورسوله، وأنفع للإسلام والمسلمين من هدم الحانات والمواخير، وهذا حال المشاهد المبينة على القبور التى تُعبد من دون الله^(٢).

رَفَعُ

عبد الرحمن بن أبي بكر
أسكنه الله الفردوس

(١) رواه ابن ماجه (٣٥٤٨)، وقال البوصيرى فى الزوائد: إسناده صحيح رجاله ثقات.

(٢) زاد المعاد (٣/ ٦٠٠ - ٦٠١).

حج أبي بكر (رضي الله عنه)

قال ابن إسحاق رحمه الله: «ثم أقام رسول الله ﷺ بقية شهر رمضان وشوال وذا القعدة، ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج من سنة تسع ليقم للمسلمين حجهم، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم، فخرج أبو بكر رضي الله عنه ومن معه من المسلمين»^(١).

والمقصود أن رسول الله ﷺ بعث علياً رضي الله عنه بعد أبي بكر الصديق ليكون معه، ويتولى (على) بنفسه إبلاغ البراءة إلى المشركين نيابة عن رسول الله ﷺ لكونه ابن عمه من عصبته^(٢).

النبي ﷺ يبعث علياً بأربع

قال ابن إسحاق: فنزلت براءة في نقض ما بين رسول الله ﷺ وبين المشركين من العهد الذي كانوا عليه، فخرج على بن أبي طالب رضي الله عنه على ناقة رسول الله ﷺ العضياء.

* وعن زيد بن شبيب قال: «سألت علياً بأي شيء بعث في الحجة؟ قال: (بُعث بأربع: أن لا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين النبي ﷺ عهد فهو إلى مدته، ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا)»^(٣).

* وقال ابن إسحاق: وحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيفة، عن أبي جعفر محمد بن علي رضوان الله عليه أنه قال: «لما نزلت براءة علي رسول الله ﷺ، وقد كان

(١) ابن هشام (٢/٥٤٣).

(٢) قال الحافظ في الفتح: «ذكر ابن سعد وغيره بإسناد صحيح، عن مجاهد: أن حجة أبي بكر وقعت في ذي القعدة، ووافقه عكرمة بن خالد فيما أخرجه الحاكم في الإكليل، ومن عدا هذين إما مصرح بأن حجة أبي بكر كانت في ذي الحجة - كالدودي، وبه جزم من المفسرين الرماني والتعلي والموردي وتبعهم جماعة - وإما ساكت.

والمعتمد ما قاله مجاهد وبه جزم الأزرق ويؤيده أن ابن إسحاق صرح أن النبي ﷺ أقام بعد أن رجع من تبوك رمضان وشوالاً وذا القعدة ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج، فهو ظاهر في أن بعث أبي بكر كان بعد انسلاخ ذي القعدة فيكون حجه في ذي الحجة على هذا، والله أعلم» [فتح الباري (٨/٨٢)].

(٣) أخرجه الحميدي (٤٨)، وأحمد (١/٧٩)، والترمذي (٨٧١)، وإسناده صحيح.

فتح

عن أبي بكر
عليه السلام

وفد بنى عامر

كان فيهم عامر بن الطفيل (عدو الله) وأريد بن قيس - أخو لبيد لأمه - وخالد بن جعفر، وجبار بن أسلم، وكانوا رؤساء القوم وشياطينهم، وكان عامر هو الذى غدر بأصحاب بشر معونة، فلما أراد هذا الوفد أن يقدم المدينة تأمر عامر وأريد، واتفقا على الفتك بالنبي ﷺ فلما جاء الوفد، جعل عامر يكلم النبي ﷺ ودار أريد خلفه، واختلط سيفه شبراً، ثم حبس الله يده فلم يقدر على سلّ، وعصم الله نبيه، ودعا عليهما النبي ﷺ فلما رجعا أرسل الله على أريد وجمله صاعقة فأحرقتة، وأما عامر فنزل على امرأة سلولية، فأصيب بغدة فى عنقه فمات وهو يقول: أغدة كغدة البعير، موتاً فى بيت السلولية^(١).

وفى صحيح البخارى: أن عامراً أتى النبي ﷺ فقال: أخيرك بين خصال ثلاث: يكون لك أهل السهل، ولّى أهل المدر، أو أكون خليفتك من بعدك، أو أغزوك بغطفان بألف أشقر وألف شقراء، فطعن فى بيت امرأة، فقال: أغدّة كغدة البكر، فى بيت امرأة من بنى فلان، ايتونى بفرسى فركب، فمات على ظهر فرسه^(٢).

وفد عبد القيس

وجاء وفد عبد القيس ليعلنوا التوحيد لله (جلّ وعلا).

سيطلع عليكم من ها هنا ركب هم خير أهل المشرق

* عن مزينة العصرى رضى الله عنه قال: «بينما النبي ﷺ يحدث أصحابه إذ قال لهم: (سيطلع عليكم من ها هنا ركب هم خير أهل المشرق)، فقام عمر فتوجه نحوهم فلقي ثلاثة عشر راكباً، فقال: من القوم؟ قالوا: من بنى عبد القيس، قال: فما أقدمكم هذه البلاد ألتجارة؟ قالوا: لا، قال: أما أن النبي قد ذكركم أنفاً فقال خيراً، ثم مشى معهم

= بالتأذين مع صرف الأمر عنه فى ذلك إلى (على)؟ ثم أجاب بما حاصله: أن أبا بكر رضى الله عنه كان الأمير على الناس فى تلك الحجة بلا خلاف، وكان (على) هو المأمور بالتأذين بذلك، وكان علياً لم يطق التأذين بذلك وحده، واحتاج إلى من يعينه على ذلك، فأرسل معه أبو بكر أبا هريرة وغيره ليساعدوه على ذلك» [فتح البارى (٨/ ٣١٨)].

(١) الرحيق المختوم (ص: ٤٩٢).

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب المغازى، وأحمد (١٣٢١٩).

رَفَعُ
عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

حتى أتوا النبي ﷺ فقال عمر للقوم: هذا صاحبكم الذي تريدونه، فرمى القوم بأنفسهم من ركائبهم فممنهم من مشى إليه ومنهم من هروا، ومنهم من سعى حتى أتوا النبي ﷺ، فأخذوا بيده فقبلوها.

وتخلف الأشجّ في الركاب حتى أناخها، وجمع متاع القوم، ثم جاء يمشى حتى أخذ بيد الرسول ﷺ فقبلها، فقال له النبي ﷺ: (إن فيك خلتين يحبهما الله ورسوله)، فقال: جبل جبلت عليه أم تخلقاً مني؟ قال: (بل جبل) قال: الحمد لله الذي جبلني على ما يحب الله ورسوله^(١).

مرحباً يا القوم خير خزايا ولا ندامى

* عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «إن وفد عبد القيس أتوا رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ (من الوفد؟ أو من القوم؟) قال: ربيعة قال: (مرحباً بالقوم^(٢)) أو بالوفد غير خزايا ولا الندامى^(٣)».

قال: فقالوا: يا رسول الله! إنا نأتيك من شقة بعيدة^(٤)، وإن بيننا وبينك هذا الحى من كفار مضر، وإنا لا نستطيع أن نأتيك إلا فى شهر حرام، فمرنا بأمر فصل^(٥) نخبر به من وراءنا، ندخل به الجنة. قال: فأمرهم بأربعة، ونهاهم عن أربع. قال: (أمرهم بالإيمان بالله وحده)، وقال: (هل تدرون ما الإيمان بالله؟) قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تؤدوا خمساً من المغنم «ونهاهم عن الدباء^(٦)، والخنتم^(٧)، والمزفت^(٨)، وربما

(١) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد، حديث رقم: (٥٨٧) باختصار، وأبو يعلى رقم: (٦٨٥٠)، وقال الهيثمى (٣٨٨/٩): رواه الطبرانى وأبو يعلى، ورجالهما ثقات، وفى بعضهم اختلاف، قلت: والحديث إسناده جيد، والبيهقى فى الدلائل (٣٢٧/٥).

(٢) مرحباً بالقوم: صادفت رحباً وسعة.

(٣) غير خزايا ولا الندامى: معناه أنه لم يكن منكم تأخر عن الإسلام ولا عناد ولا أصابكم أسار ولا سباء ولا ما أشبه ذلك مما تستحيون بسببه أو تذلون أو تهانون أو تندمون.

(٤) شقة بعيدة: السفر البعيد، وقيل المسافة البعيدة.

(٥) أمر فصل: البين الواضح الذى ينفصل به المراد.

(٦) الدباء: القرع اليابس، أى الوعاء منه.

(٧) الخنتم: أصح الأقوال فيها: الجرار الخضر، وهى جرار كان يحمل فيها الخمر.

(٨) المزفت: الأوعية التى فيها الزفت.

رَفَعُ

عبد الرحمن بن القنبري
أسكنه الله الفردوس

قال النقيير^(١)، أو المقيير وقال: احفظوه وأخبروا به من وراءكم^(٢).

قصة شفاء الرجل المصروع على يد النبي ﷺ

فعن الزارع بن عامر قال: «... يا رسول الله إن معي خالاً لي مصاباً، فادع الله له، فقال: (أين هو؟ اتنني به) قال: فصنعت مثل ما صنع الأشج، ألبسته ثوبيه، وأتيته، فأخذ من رداءه يرفعهما حتى رأينا بياض إبطه، ثم ضرب بظهره فقال: (اخرج عدو الله)، فولى وجهه وهو ينظر بنظر رجل صحيح»^(٣).

النبي ﷺ يؤخر السنة البعدية للظهر

* عن كريب أن ابن عباس والمسور بن مخرمة وعبد الرحمن ابن أزهر رضى الله عنهم أرسلوه إلى عائشة رضى الله عنها فقالوا: «اقرأ عليها السلام منا جميعاً وسلها عن الركعتين بعد صلاة العصر، وقل لها: إنا أخبرنا أنك تصلينهما، وقد بلغنا أن النبي ﷺ نهى عنها، وقال ابن عباس: وكنت أضرب الناس مع عمر بن الخطاب عنها.

قال كريب: فدخلت على عائشة رضى الله عنها، فبلغتها ما أرسلوني، فقالت: سل أم سلمة، فخرجت إليهم فأخبرتهم بقولها. فردوني إلى أم سلمة بمثل ما أرسلوني به إلى عائشة.

فقالت أم سلمة (رضى الله عنها): سمعت النبي ﷺ ينهى عنهما، وإنه صلى العصر، ثم دخل على وعندى نسوة من بنى حرام من الأنصار فضلاهما، فأرسلنا إليه الجارية فقلت: قومي بجنبه قولي له: تقول لك أم سلمة يا رسول الله سمعتك تنهى عن هاتين الركعتين، فأراك تصليهما، فإن أشار بيده فاستأخرى عنه ففعلت الجارية، فأشار بيده فاستأخرت عنه.

(١) النقيير: جذع ينقر وسطه ثم ينبذ فيها الرطب والبسر ثم يدعو به حتى يهدر، ثم يموت.

المقيير: هو الزفت المطلى بالقار.

وأما معنى النهى عن هذه الأربع فهو أنه نهى عن الانتباذ فيها، وهو أن يجعل الماء في حبات من تمر أو زبيب أو نحوهما ليحلو ويشرب، وإنما خصت هذه بالنهى لأنه يسرع إليها الإسكار فيها فيصير حراماً نجساً.

(٢) أخرجه البخارى (٥٣) الإيمان - ومسلم (١٧) الإيمان.

(٣) رواه وأحمد وأبو داود والبخارى في الأدب المفرد - وهو حسن بشواهده.

رفع

عبد الرحمن النخعي

أسكنه الله الفردوس

فلما انصرف قال: (يا ابنة أبي أمية، سألت عن الركعتين بعد العصر، وإنه أتاني أناس من عبد القيس، فشغلوني عن الركعتين اللتين بعد الظهر فهما هاتان)^(١).

وقد بنى حنيفة وغيهم مسيلمة الكذاب

كانت وفادتهم سنة ٩ هـ. وكانوا سبعة عشر رجلاً فيهم مسيلمة الكذاب وهو: مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب بن الحارث، من بنى حنيفة... نزل هذا الوفد بيت رجل من الأنصار، ثم جاءوا إلى النبي ﷺ فأسلموا.

* وأما مسيلمة الكذاب فلقد قدم هذا اللعين المدينة وافداً إلى رسول الله ﷺ، وقد وقف عليه رسول الله ﷺ، فسمعه وهو يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده اتبعته. فقال له: لو سألتني هذا العود - لعرجون في يده - ما أعطيتك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله.

* عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته، وقدمها في بشر كثير من قومه، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس، وفي يدي رسول الله ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال: (لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإنى لأراك الذي أريت فيه ما رأيت، وهذا ثابت يجيبك عنى)، ثم انصرف عنه.

قال ابن عباس: فسألت عن قول رسول الله ﷺ: (وإنى لأراك الذي أريت فيه ما أريت)، فأخبرني أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (بيننا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب، فأهمنى شأنهما، فأوحى إليّ في المنام أن أنفخهما، فنفختهما فطارا، فأولتهما كذابين يخرجان بعدى: أحدهما العنسي، والآخر مسيلمة)^(٢).

* وهكذا وقع فإنهما ذهبا وذهب أمرهما: أما الأسود فذبح في داره، وأما مسيلمة فعقره الله على يدي وحشى بن حرب، رماه بالحربة فأنفذه كما تُعقر الإبل، وضربه أبو دجانة على رأسه ففلقه، وذلك بعقر داره في حديقة الموت، وقد قُتل قبله وزيراه: محكم ابن الطفيل، والرجال بن عنقوة.

رفع

عن الصحابي القمزي
(مسلم) (أبو داود)

(١) أخرجه البخاري (١٢٣٣) السهو - ومسلم (٨٣٤) صلاة المسافرين

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٧٣، ٤٣٧٤) المغازي - ومسلم (٢٢٧٣) الرؤيا.

روى البخارى أن مسيلمة كتب إلى رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم. من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك. أما بعد.. فإننى قد أشركت معك فى الأمر، فلك المدر ولى الوبر - ويروى فلكم نصف الأرض، ولنا نصفها - ولكن قريشا قوم يعتدون فكتب إليه رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله ﷺ إلى مسيلمة الكذاب. سلام على من اتبع الهدى. أما بعد: فإن الأرض لله، يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين». لما مات رسول الله ﷺ زعم (مسيلمة) أنه استقل بالأمر من بعده، واستخف قومه فأطاعوه^(١).

قرآن مسيلمة الكذاب!!

وجاء فى قرآن مسيلمة الكذاب مما يثير الضحك والعجب العجيب: يا ضفدع بنت الضفدعين، نقى لكم نقين، لا الماء تكدرين، ولا الشارب تمنعين، رأسك فى الماء، وذنبك فى الطين.

* وقد عمرو بن العاص فى أيام جاهليته على مسيلمة، فقال له مسيلمة: ماذا أنزل على صاحبكم فى هذا الحين؟ فقال له عمرو: لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة فقال: وما هى؟ قال: أنزل عليه: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ [العصر: ١، ٢] قال: ففكر مسيلمة ساعة، ثم رفع رأسه، فقال: ولقد أنزل على مثلها، فقال له عمرو: وما هى؟ فقال مسيلمة: يا وبر يا وبر، إنما أنت إيراد وصدور، وسائر كحفر نقر.

ثم قال: كيف ترى يا عمرو؟ فقال له عمرو: والله، إنك لتعلم أنى أعلم أنك تكذب. * وذكر علماء التاريخ أنه كان يتشبه بالنبي ﷺ... بلغه أن رسول الله ﷺ بصق فى بئر فغزر مأؤه، فبصق فى بئر فغاض مأؤه بالكلية، وفى أخرى فصار مأؤه أجاجاً (مالحاً). وتوضأ وسقى بوضوئه نخلأ فيست وهلك.

وأتى بولدان يترك عليهم فجعل يمسح رؤوسهم، فمنهم من قرع رأسه، ومنهم من لشع لسانه.

رَفَعُ

عبد الرحمن بن القيس
أسلمة بن النضر (الوفود)

(١) البداية والنهاية (٦/٣٤٦).

والجزاء من جنس العمل، فضوح الدنيا قبل الآخرة وتكذيب الناس له.
ويقال: إنه دعا لرجل أصابه وجع في عينيه فمسحهما فعمى^(١).

قدوم وفد الأشعريين وأهل اليمن

* عن أنس رضى الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: (يقدم عليكم أقوام هم أرق منكم قلوباً) قال: فقدم الأشعريون فيهم أبو موسى الأشعري فلما دنوا من المدينة كانوا يرتجزون يقولون:

«غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه»^(٢)

وقد سبق ذكر قدوم أبي موسى الأشعري مع قدوم جعفر من الحبشة في أثناء غزوة خيبر، ويحتمل أنه عاد إلى قومه ثم عاد بهم في وفد الأشعريين إلى رسول الله ﷺ.

الإيمان يمان والحكمة يمانية

ولقد مدحهم النبي ﷺ ووضع على صدورهم أوسمة لا توازيها الدنيا بكل ما فيها من متاع زائل.

* عن أبي مسعود الأنصاري رضى الله عنه قال: «إن النبي ﷺ قال: (الإيمان ها هنا - وأشار إلى اليمن - والجفاء وغلظ القلب في الفدادين^(٣)) عند أصول أذنان الإبل من حيث يطلع قرنا الشيطان ربيعة ومضر^(٤)».

* وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: (أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً... الإيمان يمان، والحكمة يمانية، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل والسكينة والوقار في أهل الغنم)^(٥)».

* وعن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال: «بينما نحن مع رسول الله ﷺ بطريق مكة إذ قال: يطلع عليكم أهل اليمن كأنهم السحاب هم خيار من في الأرض، فقال

(١) البداية والنهاية (٦/٣٢٥، ٣٣٠، ٣٣١).

(٢) رواه أحمد (٣/١٠٥)، والبيهقي في الدلائل (٥/٣٥١)، وإسناده صحيح.

(٣) الفدادين: جمع فدان: الذين يملكون الكثير من الجمال والإبل.

(٤) أخرجه البخاري (٤٣٨٧) المغازي - ومسلم (٥١) الإيمان.

(٥) أخرجه البخاري (٤٣٨٨) المغازي - ومسلم (٥٢) الإيمان.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

رجل من الأنصار: ولا نحن يا رسول الله، فسكت. قال ولا نحن يا رسول الله؟ فسكت قال: ولا نحن يا رسول الله؟ فقال في الثالثة: كلمة ضعيفة: (إلا أنتم)^(١).

قبولهم البشري من رسول الله ﷺ

* عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال: «جاء نفر من بنى تميم إلى النبي ﷺ فقال: (يا بنى تميم أبشروا)، قالوا: بشرتنا فأعطينا، فتغير وجه رسول الله ﷺ، فجاء أهل اليمن، فقال النبي ﷺ: (يا أهل اليمن اقبلوا البشري إذ لم يقبلها بنو تميم)، قالوا: قبلنا»^(٢).

وفد مزينة

* عن النعمان بن مقرن رضى الله عنه قال: «قدمنا على رسول الله ﷺ في أربعمائة من مزينة، فأمرنا رسول الله ﷺ بأمره، فقال بعض القوم: يا رسول الله ما لنا طعام نتزوده، فقال النبي ﷺ لعمر: (زودهم) فقال: ما عندي إلا فاضلة من تمر وما أراها تغني عنهم شيئاً، فقال: انطلق فزودهم، فانطلق بنا إلى عليّة له، فإذا فيها ثمر مثل البكر الأورق^(٣)، فقال: خذوا فأخذ القوم حاجتهم، قال: وكنت أنا في آخر القوم، قال: فالتفت وما أفقد موضع ثمرة، وقد احتمل منه أربعمائة رجل»^(٤).

وفد دوس

كان الطفيل بن عمرو الدوسي رضى الله عنه قد أسلم قبل ذلك بمكة ثم رجع إلى قومه ليدعوهم إلى الإسلام فلم يزل يدعوهم ويبطئون عليه حتى يئس منهم ورجع إلى رسول الله ﷺ فطلب منه أن يدعو على دوس - قبيلته - فقال ﷺ: «اللهم اهد دوساً».

* عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: «جاء الطفيل بن عمرو إلى النبي ﷺ فقال: إن دوساً قد هلك، عصت وأبت، فادع الله عليهم» فقال: «اللهم اهد دوساً وائت بهم»^(٥).

(١) قال الهيثمي في المجمع (٥٥ / ١٠): رواه أحمد والطبراني وإسناده حسن.

(٢) أخرجه البخاري (٣١٩٠) بدء الخلق - والترمذي (٣٩٥١).

(٣) البكر الأورق: الجمل الأسمر.

(٤) قال الهيثمي في المجمع (٣٠٥ / ٨): رواه أحمد والطبراني ورجالهم رجال الصحيح.

(٥) أخرجه البخاري (٤٣٩٢) المغازي - ومسلم (٢٥٢٤) فضائل الصحابة.

وفد نجران

وكانت وفادة أهل نجران سنة ٩هـ، وقوام الوفد ستون رجلاً، منهم أربعة وعشرون من الأشراف، فيهم ثلاثة كانت إليهم زعامة أهل نجران، أحدهم: العاقب، كانت إليه الإمارة والحكومة واسمه عبد المسيح، والثاني: السيد، كانت تحت إشرافه الأمور الثقافية والسياسية واسمه الأيهم أو شرحبيل، والثالث: الأسقف، وكانت إليه الزعامة الدينية، والقيادة الروحانية، واسمه أبو حارثة بن علقمة.

ولما نزل الوفد بالمدينة، ولقى النبي ﷺ سألهم وسألوه، ثم دعاهم إلى الإسلام، وتلا عليهم القرآن فامتنعوا، وسألوه عما يقول في عيسى عليه السلام، فمكث رسول الله ﷺ يومه ذلك حتى نزل عليه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٥٩) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ [آل عمران: ٥٩ - ٦١].

ولما أصبح رسول الله ﷺ أخبرهم بقوله في عيسى بن مريم في ضوء هذه الآية الكريمة، وتركهم ذلك اليوم؛ ليفكروا في أمرهم، فأبوا أن يقرؤا بما قال في عيسى. فلما أصبحوا وقد أبوا عن قبول ما عرض عليهم من قوله في عيسى، وأبوا عن الإسلام دعاهم رسول الله ﷺ إلى المباهلة، وأقبل مشتملاً على الحسن والحسين في خميل له، وفاطمة تمشى عند ظهره، فلما رأوا منه الجذ والتهيؤ خلوا وتشاوروا، فقال كل من العاقب والسيد للآخر: لا تفعل فو الله لئن كان نبياً فلاعننا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا، فلا يبقى على وجه الأرض منا شجرة ولا ظفر إلا هلك، ثم اجتمع رأيهم على تحكيم رسول الله ﷺ في أمرهم، فجاءوا وقالوا: إنا نعطيك ما سألنا، فقبل رسول الله ﷺ منهم الجزية، وصالحهم على ألفي حلة، ألف في رجب، وألف في صفر، ومع كل حلة أوقية، وأعطاهم ذمة الله وذمة رسوله، وترك لهم الحرية الكاملة في دينهم، وكتب لهم بذلك كتاباً، وطلبوا منه أن يبعث عليهم رجلاً أميناً، فبعث عليهم أمين هذه الأمة أبا عبيدة بن الجراح؛ ليقبض مال الصلح^(١). (٢)

رفع

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

(١) الرحيق المختوم (ص: ٤٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٨٠)، ومسلم (٥٥) (٢٤٢٠).

* عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال: «جاء العاقب والسيد صاحباً نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعنا، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبياً فلاعننا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا، قالاً: إنا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلا أميناً. فقال: (لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين)، فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: (قم يا أبا عبيدة بن الجراح)، فلما قام قال رسول الله ﷺ: (هذا أمين هذه الأمة) (١).

وفد ضمامة بن ثعلبة

* عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله ثم قال لهم: أيكم محمد... والنبي ﷺ متكئ بين ظهرانيهم فقلنا هذا الرجل الأبيض المتكئ، فقال له الرجل: ابن عبد المطلب. فقال له النبي ﷺ: (قد أجبتك).

فقال الرجل للنبي ﷺ: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد (٢) على في نفسك.

فقال: (سل عما بدا لك) فقال: أسألك بربك ورب من قبلك، آله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: (اللهم نعم).

قال: أنشدك بالله، آله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم واللييلة؟ قال: (اللهم نعم).

قال: أنشدك بالله، آله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟ قال: اللهم نعم. قال: أنشدك بالله. آله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟ فقال النبي ﷺ: (اللهم نعم).

فقال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر (٣).

رَفَعُ

عبد الرحمن الفيضاني
أسكنه الله الفردوس

(١) أخرجه البخارى (٤٣٨٠) المغازى - ومسلم (٢٤٢٠) الفضائل.

(٢) تجد: تحقد وتحمل الغضاء.

(٣) أخرجه البخارى (٦٣) العلم - ومسلم (١٢) الإيمان.

❖ وفي رواية أحمد: قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة: الزكاة، والصيام والحج وشرائع الإسلام كلها يناشده عند كل فريضة كما يناشده في التي قبلها، حتى إذا فرغ قال: فيأني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ وسأؤدى هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتني عنه ثم لا أزيد ولا أنقص.

قال: ثم انصرف راجعاً إلى بعيه، فقال رسول الله ﷺ حين ولى: (إن يصدق ذو العقيصتين يدخل الجنة)، قال: فأتى إلى بعيه، فأطلق عقاله، ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه فكان أول ما تكلم به أن قال: بثت اللات والعزى، قالوا: صه يا ضمام اتق البرص والجذام، اتق الجنون.

قال: ويلكم إنهما والله لا يضران ولا ينفعان، إن الله عز وجل قد بعث رسولاً، وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، إنى قد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه، قال: فوالله ما أسمى من ذلك اليوم وفي حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً، قال: يقول ابن عباس رضى الله عنهما: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة^(١).

وهكذا تتابعت الوفود

وهكذا تتابعت الوفود لتعلن التوحيد لله جلّ وعلاً... ولقد ذكرت هنا بعض الوفود لأن المجال لا يسمح بذكر كل الوفود التي جاءت إلى النبي ﷺ.

وهكذا كانت السيادة للإسلام على كافة أنحاء الجزيرة العربية في العام التاسع، حيث تمت الوحدة السياسية لجميع أصقاعها تحت رايته، فلقد تمكن النبي ﷺ من تحقيق الوحدة السياسية للجزيرة في أقل من عشر سنوات رغم جميع العراقيل والتزعات القبلية والجاهلية والمشكلات المتنوعة، وقوة الروح الفردية والأنانية الشخصية. وما حققه الرسول ﷺ لم يكن رسوماً لوحدة صورية شكلية، بل مثل امتزاجاً فريداً لسلوك الإنسان وروحه وعقله مما هيا الأساس المتين لامتداد وتطور الدولة الإسلامية التي استمرت في عطاياها خلال القرون التالية^(٢).

❖ وتتابع هذه الوفود يدل على مدى ما نالت الدعوة الإسلامية من القبول التام وبسط

(١) رواه أحمد (٢٦٤/١)، وأبو داود (٤٨٧)، والحاكم (٥٤/٣ - ٥٥) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) نضرة النعيم (٣٩٨/١).

رفع

عبد الرحمن النجدي
(سكنه الله الفردوس)

السيطرة والنفوذ على أنحاء جزيرة العرب وأرجائها، وأن العرب كانت تنظر إلى المدينة بنظر التقدير والإجلال، حتى لم تكن ترى محيصاً عن الاستسلام أمامها، فقد صارت المدينة عاصمة لجزيرة العرب، لا يمكن صرف النظر عنها، إلا أننا لا يمكن لنا القول بأن الدين قد تمكن من أنفس هؤلاء بأسرهم؛ لأنه كان وسطهم كثير من الأعراب الجفاة الذين أسلموا تبعاً لسادتهم، ولم تكن أنفسهم قد هذبت أنفسهم تمام التهذيب، وقد وصف القرآن بعضهم بقوله في سورة التوبة: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٩٧) وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٧، ٩٨] وأثنى على آخرين منهم فقال: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سِيقِ لَهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٩].

أما الحاضرون منهم في مكة والمدينة وثقيف، وكثير من اليمن والبحرين؛ فقد كان الإسلام فيهم قوياً ومنهم كبار الصحابة وسادات المسلمين^(١).

قدوم جرير بن عبد الله البجلي

* عن جرير بن عبد الله البجلي رضى الله عنه قال: «لما دنوت من المدينة أنخت راحلتى ثم حللت عيبتى ثم لبست حلتى، ثم دخلت فإذا رسول الله ﷺ يتخطب فرماني الناس بالحدق^(٢)، فقلت لجليسي: يا عبد الله هل ذكرني رسول الله ﷺ؟ قال: نعم ذكرك بأحسن الذكر، بينما هو يخطب إذ عرض له في خطبته وقال: (يدخل عليكم من هذا الباب أو من هذا الفج من خير ذى يمن، ألا إن على وجهه مسحة ملك). قال جرير: فحمدت الله عز وجل على ما أبلاني»^(٣).

رَفَعُ
عبد الرحمن بن أبي بكر
أسكنه الله الفردوس

(١) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية/ للخضري (١/ ١٤٤).

(٢) رماني الناس بالحدق: نظروا إلى بأعينهم.

(٣) رواه أحمد (٤/ ٣٥٦)، والطبراني في الكبير (٢٢٥٨)، وإسناده صحيح.

منقبة عظيمة لجريير (رضي الله عنه)

* عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: «ما حجبني عنه رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رأيي إلا تبسم»^(١).

ألا تريحني من ذي الخلصة؟

* عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: «قال لي رسول الله ﷺ: (ألا تريحني من ذي الخلصة؟) فقلت: بلى فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحمس، وكانوا أصحاب خيل، وكنت لا أثبت على الخيل، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فضرب يده على صدرى وقال: (اللهم ثبته، واجعله هادياً مهدياً) قال: فما وقعت عن فرس بعد قال: وكان ذو الخلصة بيتاً باليمن لخشع وبجيلة فيه نُصِبُ تُعَد، يقال له الكعبة.

قال: فأناها فحرقها بالنار وكسرها قال: ولما قدم جرير اليمن كان بها رجل يستقسم بالأزلام، فقبل له: إن رسول الله ﷺ ها هنا، فإن قدر عليك ضرب عنقك قال: فبينما هو يضرب بها إذ وقف عليه جرير فقال: لتكسرنها ولتشهدن أن لا إله إلا الله أو لأضربن عنقك. قال: فكسرها وشهد، ثم بعث جرير رجلاً من أحمس يكنى أبا أرطاة إلى النبي ﷺ يشره بذلك. فلما أتى النبي ﷺ قال: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب، قال فبرك النبي ﷺ على خيل أحمس ورجالها خمس مرات»^(٢).

قدوم تميم الدارى (وقصة الدجال والجساسة)

* ففي حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أنها روت كيف أن النبي ﷺ جمع الناس في المسجد بعد الصلاة ليخبرهم عن خبر الدجال والجساسة.. فقالت رضي الله عنها.

«... فخرجت إلى المسجد، فصليت مع رسول الله ﷺ، فكنت في صف النساء التي تلى ظهور القوم فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته، جلس على المنبر وهو يضحك. فقال:

(١) أخرجه البخارى (٣٨٢٢) مناقب الأنصار - ومسلم (٢٤٧٥) فضائل الصحابة - وأحمد (٣٥٨/٤).

(٢) أخرجه البخارى (٤٣٥٦، ٤٣٥٧) المغازى - ومسلم (٢٤٧٦) فضائل الصحابة.

رفع

عن (الرحمى) (القمي)
(المكي) (البيهقي)

(ليلزم كل إنسان مصلاه) ثم قال: (أتدرون لم جمعتمكم؟) قالوا: الله ورسوله أعلم.
قال: (إني والله، ما جمعتمكم لرغبة ولا لرغبة. ولكن جمعتمكم، لأن تميمًا الداري كان
رجلاً نصرانياً، فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح
الدجال... حدثني أنه ركب في سفينة بحرية، مع ثلاثين رجلاً من لحم وجذام، فلعب
بهم الموج شهراً في البحر، ثم أرفثوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس، فجلسوا
في أقرب السفينة^(١). فدخلوا الجزيرة، فلقيتهم دابة أهلب^(٢) كثير الشعر. لا يدرون ما
قبله من دبره، من كثرة الشعر.

فقالوا: ويلك! ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة. قالوا: وما الجساسة. قالت: أيها القوم!
انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير. فإنه إلى خبركم بالأشواق^(٣). قال: لما سمعت لنا رجلاً
فرقنا منها^(٤) أن تكون شيطانة، قال: فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير. فإذا فيه أعظم
إنسان^(٥) رأيناه قط خلقاً، وأشد وثاقاً. مجموعة يده إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه،
بالحديد.

قلنا: ويلك؟ ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري، فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن
أناس من العرب، ركبنا في سفينة بحرية، فصادفنا البحر حين اغتلم^(٦)، فلعب بنا الموج
شهراً، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه، فجلسنا في أقربها، فدخلنا الجزيرة، فلقيتنا دابة أهلب
كثير الشعر، لا ندري ما قبله من دبره من كثرة الشعر. فقلنا: ويلك! ما أنت؟ فقالت: أنا
الجساسة. قلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم
بالأشواق. فأقبلنا إليك سراعاً، وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة

فقال: أخبروني عن نخل بيسان^(٧). قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن
نخلها، هل يثمر؟ قلنا له: نعم. قال: أما إنه يوشك أن لا تثمر.

(١) أقرب السفينة: جمع قارب وهي السفن الصغيرة تكون مع الكبيرة يتصرف فيها ركاب السفينة لقضاء
حوائجهم.

(٢) أهلب: غليظ الشعر كثيره.

(٣) فإنه إلى خبركم بالأشواق: شديد الأشواق إليه... أي إلى خبركم.

(٤) فرقنا منها: خفنا.

(٥) أعظم إنسان: أي أكبره جثة.

(٦) اغتلم: هاج وجاوز حده المعتاد.

(٧) نخل بيسان: وهي قرية بالشام شمال فلسطين.

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ
عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

النبي ﷺ يرسل رسلاً إلى أهل اليمن

خالد وعلي (رضي الله عنهما) وقصة إسلام همدان

* عن أبي إسحاق قال سمعتُ البراء رضي الله عنه يقول: «بعثنا رسول الله ﷺ مع خالد بن الوليد إلى اليمن. قال: ثم بعث علياً بعد ذلك مكانه فقال: مر أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب، ومن شاء فليقبل. فكنيت فيمن عقب معه، قال: فغنمت أواقى ذوات عدد»^(١).

* وفي رواية الإسماعيلي: «قال البراء: فكنيت ممن عقب معه، فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا فضلى بنا (علي) وصفنا صفًا واحدًا، ثم تقدم بين أيدينا فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، فأسلمت همدان جميعًا، فكتب (علي) إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم، فلما قرأ الكتاب خرَّ ساجدًا، ثم رفع رأسه وقال: السلام على همدان»^(٢).

النبي ﷺ يرسل معاذًا وأبى موسى إلى اليمن

عن أبي بردة قال «بعث رسول الله ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن، قال: وبعث كل واحد منهما علي مخلّاف، قال: واليمن مخلّافان ثم قال: يسراً ولا تُعسراً، وبشراً ولا تُنفراً. فانطلق كل واحد منهما إلى عمله، وكان كل واحد منهما إذا سار في أرضه كان قريباً من صاحبه أحدث به عهداً فسلم عليه. فسار معاذ في أرضه قريباً من صاحبه أبي موسى، فجاء يسير علي بغلته حتى انتهى إليه، وإذا هو جالس وقد اجتمع إليه الناس، وإذا رجل عنده قد جمعت يده إلى عنقه، فقال له معاذ: يا عبد الله ابن قيس أيم هذا؟ قال: هذا رجل كفر بعد إسلامه. قال: لا أنزل حتى يقتل. إنما جئ به لذلك، فانزل. قال: ما أنزل حتى يقتل. فأمر به فقتل، ثم نزل فقال: يا عبد الله، كيف تقرأ القرآن؟ قال: أتفوقه تفوقاً. قال: فكيف تقرأ أنت يا معاذ؟ قال: أنام أول الليل، فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب الله لي، فأحتسب نومتي، كما أحتسب قومتي»^(٣).

(١) أخرجه البخارى (٤٣٤٩) كتاب المغازى.

(٢) فتح البارى (٧/٦٦٤).

(٣) أخرجه البخارى (٤٣٤١، ٤٣٤٢) المغازى.

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

* وفى رواية فى البخارى أيضاً أن أبا بردة قال: «فزارَ مُعَاذَ أبا موسى، فإذا رجلاً مُوتِقاً. فقال: ما هذا؟ فقال أبو موسى: يهودى أسلمَ ثم ارتدَّ. فقال مُعَاذُ: لأضربن عنقه».

وصية النبي ﷺ لمُعَاذَ (رضى الله عنه)

* عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «قال رسول الله ﷺ لمُعَاذِ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: (إنك ستأتى قومًا من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب)»^(١).

فراق مؤلم

وها هو النبي ﷺ يخبر مُعَاذًا بأنه لن يراه بعد اليوم أبداً.. وكان ما أخبر به النبي ﷺ فلقد ذهب مُعَاذُ إلى اليمن ومات النبي ﷺ ولم يره مُعَاذُ رضى الله عنه.

* من حديث عاصم بن حميد السكونى رضى الله عنه «أن مُعَاذَ ابن جبل لما بعثه النبي ﷺ إلى اليمن، فخرج النبي ﷺ يوصيه ومُعَاذُ راكب، ورسول الله ﷺ يمشى تحت راحلته، فلما فرغ، قال: (يا مُعَاذُ إنك عسى أن لا تلقانى بعد عامى هذا، ولعلك أن تمر بمسجدى وقبرى) فبكى مُعَاذُ خاشعاً لفراق النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: (لا تبك يا مُعَاذُ... البكاء، أو إن البكاء من الشيطان)»^(٢).

(١) أخرجه البخارى (٤٣٤٧) المغازى - ومسلم (١٩) الإيمان.

(٢) رواه أحمد (٢٣٥/٥)، والطبرانى فى الكبير (١٢٠/٢٠) ورجاله ثقات وسنده جيد.

حجة الوداع

أعلن رسول الله ﷺ نيته بالحج، وأشعر الناس بذلك حتى يصبحه من شاء.. والحج هذه المرة، جاء مغايراً لما ألفته العرب أيام جاهليتها.

انتهت العهود المعطاة للمشركين، وحُظر عليهم أن يدخلوا المسجد الحرام.

فأصبح أهل الموسم - قاطبة - من الموحدين الذين لا يعبدون مع الله شيئاً، وأقبلت وفود الله من كل صوب تيمم وجهها شطر البيت العتيق، وهي تعلم أن رسول الله ﷺ، هو في هذا العام أمير حجهم ومعلمهم مناسكهم!

ونظر رسول الله ﷺ إلى الألوف المؤلفة وهي تُلبى وتهرع إلى طاعة الله.

فشرح صدره انقيادها للحق، واهتدأها إلى الإسلام وعزم أن يغرس في قلوبهم لباب الدين، وأن ينتهز هذا التجمع الكريم ليقول كلمات تبدد آخر ما أبقت الجاهلية من مخلفات في النفوس، وتؤكد ما يحرص الإسلام على إشاعته من آداب وعلائق وأحكام.

* كان الرسول ﷺ يريد - بعد بلاء طويل في إبلاغ الرسالة - أن يفرغ في آذان الناس وقلوبهم آخر ما لديه من نُصح.

كان يحس أن هذا الركب سينطلق في ببداء الحياة وحده، فهو يصرخ به كما يصرخ الوالد بابنه الذي انطلق به القطار، يوصيه الرشد، ويذكره بما ينفعه أبداً.

وكان هذا النبي الطيب، كلما أوجس خيفة من مكر الشيطان بالناس، أعاد صبيحات الإنذار، واستنار أقصى ما في الأعماق من انتباه. ثم ساق الهدى والعلم.. وقطع المعاذير المتحلة، وانتزع - بعد ذلك - شهادة من الناس على أنفسهم وعليه أنهم قد سمعوا، وأنه قد بلغ..

لقد ظل ثلاثاً وعشرين سنة يصل الأرض بالسماء ويتلو على القاصي والداني آي

الكتاب الذي نزل به الروح الأمين على قلبه، ويغسل أدران الجاهلية التي التاث بها كل شيء، ويربي من هؤلاء العرب، الجيل الذي يفقه الحقائق ويفقه المعالم فيها..
وها هو ذا يقود الحجاج في أول موسم يخلص فيه من الشرك، ويتمحض فيه لله الواحد القهار^(١).

حجة الوداع كما رواها جابر رضى الله عنه

✽ عن جابر بن عبد الله (رضى الله عنهما) قال:

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحْجَّ. ثُمَّ أَذِنَ^(٢) فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَاجٌّ. فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بِشَرِّ كَثِيرٍ. كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتِمَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَيَعْمَلْ مِثْلَ عَمَلِهِ. فَخَرَجْنَا مَعَهُ. حَتَّى آتَيْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ. فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ ابْنِ أَبِي بَكْرٍ. فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: كَيْفَ أَصْنَعُ؟ قَالَ: «اغْتَسِلِي. وَاسْتَنْفِرِي^(٣) بِثُوبٍ وَأَحْرِمِي» فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ.

الإحرام من الميقات

ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ^(٤) حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ. نَظَرْتُ إِلَى مَدِّ بَصَرِي بَيْنَ يَدَيْهِ. مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ. وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلُ ذَلِكَ. وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلُ ذَلِكَ. وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلُ ذَلِكَ. وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا. وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ. وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ. وَمَا عَمَلٌ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمَلْنَا بِهِ. فَأَهْلٌ بِالتَّوْحِيدِ: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ. لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ» إِنَّ الْحَمْدَ وَالنَّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ. وَأَهْلٌ النَّاسُ بِهَذَا الَّذِي يَهْلُونَ بِهِ. فَلَمْ يَزِدْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْهُ. وَلَزِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَلْبِيَّتَهُ. قَالَ جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَسْنَا نَنْوِي إِلَّا الْحَجَّ. لَسْنَا نَعْرِفُ الْعُمْرَةَ.

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ٥٠٢، ٥٠٥).

(٢) أذن في الناس: أعلمهم بذلك وأشاع بينهم ليتأهلوا للحج معه، ويتعلموا التماسك والأحكام ويشهدوا أقواله وأفعاله ويوصيهم ليلبغ الشاهد وتشيع دعوة الإسلام.

(٣) استنفرى: الاستنفار هو أن تشد في وسطها شيئاً، فتأخذ خرقة عريضة تجعلها على محل الدم وتشد طرفيها من قدامها ومن ورائها في ذلك المشد في وسطها.

(٤) القصواء: ناقته. والقصواء معناها المقطوعة الأذن عرضاً.

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الطواف للعمرة

حَتَّى إِذَا أَتَيْنَا الْبَيْتَ مَعَهُ، اسْتَلَمَ الرُّكْنَ^(١) فَرَمَلَ ثَلَاثًا^(٢) وَمَشَى أَرْبَعًا. ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ^(٣) عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَقَرَأَ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ. فَكَانَ أَبِي يَقُولُ (وَلَا أَعْلَمُهُ ذِكْرُهُ إِلَّا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ): كَانَ يَقْرَأُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَهُ.

السعي بين الصفا والمروة

ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفَا، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]، «أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ» فَبَدَأَ بِالصَّفَا. فَرَفَى عَلَيْهِ. حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ. فَوَحَّدَ اللَّهَ، وَكَبَّرَهُ. وَقَالَ: [لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ. أَنْجَزَ وَعْدَهُ. وَنَصَرَ عَبْدَهُ. وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ] ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ. قَالَ مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ. حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ^(٤) قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى، حَتَّى إِذَا صَعِدْنَا^(٥) مَشَى. حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ. فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا.

الأمر بالتحلل: (تحويل الحج إلى عمرة)

حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ طَوَافِهِ عَلَى الْمَرْوَةِ فَقَالَ: «لَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَسْقُ الْهَدْيَ. وَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً. فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ لَيْسَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَحِلَّ. وَلْيَجْعَلْهَا عُمْرَةً». فَقَامَ سَرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنِ جُعْشَمٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَلْعَامِنَا هَذَا أَمْ لَا أَبَدُ؟ فَشَبَّكَ

(١) الركن: الحجر الأسود، والاستلام: المسح والتقبيل بالتكبير والتهليل إن أمكنه ذلك من غير إيذاء أحد. وإلا فتكفي الإشارة من بعيد.

(٢) إسراع المشي مع تقارب الخطأ.

(٣) نفذ إلى مقام إبراهيم: بلغه ماضيًا في زحام.

(٤) انصببت قدماه: انحدرت.

(٥) صعدنا: ارتفعت قدماه عن بطن الوادي.

رَفَعَ

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَصَابِعُهُ وَاحِدَةٌ فِي الْأُخْرَى. وَقَالَ: «دَخَلَتِ الْعُمْرَةُ فِي الْحَجِّ» مَرَّتَيْنِ «لَا بَلَّ لَأَبَدٍ أَبَدٍ».

تحلل فاطمة بأمر النبي ﷺ

وَقَدِمَ (عَلِيٌّ) مِنَ الْيَمَنِ بِيَدِنِ النَّبِيِّ ﷺ. فَوَجَدَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِمَّنْ حَلَّ. وَلَبَسَتْ ثِيَابًا صَبِيغًا. وَاکْتَحَلَتْ. فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا. فَقَالَتْ: إِنَّ أَبِي أَمَرَنِي بِهِذَا. قَالَ: فَكَانَ عَلِيٌّ يَقُولُ بِالْعِرَاقِ: فَذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مُحَرِّشًا^(١) عَلَيَّ فَاطِمَةَ. لِلَّذِي صَنَعْتُ. مُسْتَفْتِيًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: فِيمَا ذَكَرْتُ عَنْهُ. فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي أَنْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْهَا. فَقَالَ: «صَدَقْتُ صَدَقْتُ. مَاذَا قُلْتَ حِينَ فَرَضْتَ الْحَجَّ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُمَّ! إِنِّي أَهْلُ بِمَا أَهْلٌ بِهِ رَسُولُكَ. قَالَ: «فَإِنَّ مَعِيَ الْهَدْيَ فَلَا تَحُلُّ» قَالَ: فَكَانَ جَمَاعَةُ الْهَدْيِ الَّذِينَ قَدِمَ بِهِ عَلَيَّ مِنَ الْيَمَنِ وَالَّذِي أَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ: مِائَةً.

تحلل الصحابة بالتقصير

قال جابر: فَحَلَّ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَقَصَرُوا. إِلَّا النَّبِيُّ ﷺ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ.

مناسك الحج

(١) التوجه إلى منى مُحَرِّمِينَ:

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ تَوَجَّهُوا إِلَى مَنْى. فَأَهْلُتُوا بِالْحَجِّ. وَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَصَلَّى بِهَا الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ. ثُمَّ مَكَثَ قَلِيلًا حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ، وَأَمَرَ بِقُبَّةٍ مِنْ شَعَرٍ تُضْرَبُ لَهُ بِنَمْرَةٍ^(٢).

(٢) التوجه إلى عرفات:

فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَا تَشْكُ قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّهُ وَقَفَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ^(٣). كَمَا

(١) مُحَرِّشًا: التحريش: الإغرام والمراد هنا أن يذكر له ما يقتضي عتابها.

(٢) نمرة: موضع بجانب عرفات وليس من عرفات.

(٣) المشعر الحرام: جبل بمزدلفة كانت قريش تقف عليه، ولا تقف مع العرب في عرفات ولكن الرسول خالفهم فوقف مع الناس كما أمره الله «ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ» أى سائر العرب غير قريش.

كَانَتْ فُرَيْشٌ تَصْنَعُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَأَجَازَ^(١) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَى عَرَفَةَ. فَوَجَدَ الْقَبَةَ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ بَنَمْرَةً. فَنَزَلَ بِهَا. حَتَّى إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ أَمَرَ بِالْقَصْوَاءِ. فَرَحِلَتْ لَهُ^(٢). فَأَتَى بَطْنَ الْوَادِي^(٣).

• الرسول ﷺ يخطب في حجة الوداع:

فِيخْطُبُ النَّاسَ وَقَالَ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ. كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا. فِي شَهْرِكُمْ هَذَا. فِي بَلَدِكُمْ هَذَا. أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ. وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ وَإِنْ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعَهُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ. كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلْتَهُ هَذِيلٌ. وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ رَبَا أَضَعُ رَبَانًا. رَبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ. فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ. فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانٍ مِنَ اللَّهِ. وَأَسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ. وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوْطِئَنَّ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ^(٤). فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مَبْرَحٍ^(٥). وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ. وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ. كِتَابَ اللَّهِ. وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي. فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدْبَيْتَ وَنَصَحْتَ. فَقَالَ بِأَصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا^(٦). إِلَى النَّاسِ: «اللَّهُمَّ! اشْهَدْ! اللَّهُمَّ! اشْهَدْ! ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

(١) فأجاز: جاوز المزدلفة ولم يقف بها، وإنما توجه إلي عرفات.

(٢) رحلت: وضع عليها الرحل.

(٣) بطن الوادي: وادي عرنة، وليست عرنة من أرض عرفات عند العلماء كافة، إلا مالكا فقال: هي من عرفات.

(٤) ولكن عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه: أن لا يأذن لأحد تكرهونه في دخول بيوتكم والجلوس في منازلكم، سواء كان المأذون له رجلا أجنبيا أو امرأة أو أحدا من محارم الزوجة فالنهي يتناول الجميع، وهذا حكم المسألة عند الفقهاء: أنها لا يحل لها أن تأذن لرجل ولا امرأة لا يحرم ولا غيره، في دخول منزل الزوج إلا من علمت أو ظنت أن الزوج لا يكرهه.

(٥) الضرب المبرح: الشديد الشاق.

(٦) ينكته: يقلبها ويردها إلي الناس مشيرا إليهم.

رَفَعُ

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

• روايات أخرى فى خطبة النبى ﷺ :

ولقد وردت روايات أخرى فى خطبة النبى ﷺ فى هذا اليوم المبارك فإليكم باقة من تلك الروايات العطرة:

* عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يخطب فى حجة الوداع فقال: (اتقوا الله ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا إذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم)»^(١).

* وفى رواية أنه قال: «... ألا لا يجنى جان إلا على نفسه، ولا يجنى والد على ولده، ولا ولد على والده، ألا إن المسلم أخو المسلم، فليس يحل لمسلم من أخيه شيء إلا ما أحل من نفسه.

ألا وإن كل ربا فى الجاهلية موضوع، لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون غير ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله.

ألا وإن كل دم كان فى الجاهلية موضوع، وأول دم وضع من دماء الجاهلية دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، كان مسترضعاً فى بنى ليث فقتلته هذيل.

ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة بينة، فإن فعلن فاهجروهن فى المضاجع، واضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً.

ألا إن لكم على نسائكم حقاً، ولنسائكم عليكم حقاً، فأما حقكم على نسائكم، فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن فى بيوتكم من تكرهون، ألا وإن حقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن»^(٢).

* وعن أبى بكره رضى الله عنه: أن النبى ﷺ قال: (إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حُرُم: ثلاثة متواليات - ذو القعدة وذو الحجة والمحرم - ورجب شهر مضر الذى بين جمادى وشعبان... ثم قال: أى شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: (أليس ذو الحجة) قلنا: بلى. قال: (فأى بلد هذا؟) قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى

رفع

(١) رواه الترمذى (٤٣٤)، وأحمد (٢٥١/٥)، والحاكم (٣٨٩/١) وصححه ووافقه الذهبى.

(٢) رواه الترمذى (٢١٥٩)، وابن ماجه (٣٠٥٥)، وأحمد (٤٩٩/٣) وسنده صحيح.

ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: (أليس البلدة؟) قلنا: بلى. قال: (فأى يوم هذا؟) قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه.. قال: (أليس يوم النحر؟) قلنا: بلى يا رسول الله. قال: (فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرامٌ عليكم، كحرمة يومكم هذا. في بلدكم هذا، في شهركم هذا.

وستلقون ربكم فسيألكم عن أعمالكم، فلا ترجعنَّ بعدى كفاراً (أو ضاللاً) يضربُ بعضكم رقاب بعض. ألا ليلغ الشاهد الغائب. فلعل بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه) ثم قال: (ألا هل بلغت) (مرتين)^(١).

(٣) الوقوف في عرفة:

ثُمَّ أَدْنَى. ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ. ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ. وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئاً. ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. حَتَّى أَتَى الْمَوْقِفَ. فَجَعَلَ بَطْنَ نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءَ إِلَى الصَّخْرَاتِ^(٢). وَجَعَلَ حَبْلَ الْمَشَاةِ بَيْنَ يَدَيْهِ^(٣). وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ. فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ. وَذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ قَلِيلًا حَتَّى غَابَ الْقُرْصُ^(٤). وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ خَلْفَهُ.

(٤) الإفاضة من عرفات:

وَدَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ شَتَّقَ لِلْقَصْوَاءِ^(٥) الزَّمَامَ. حَتَّى إِنْ رَأَسَهَا لِيُصِيبَ مُورِكَ رَحْلِهِ^(٦). وَيَقُولُ بِيَدِهِ الْيَمْنَى^(٧): «أَيُّهَا النَّاسُ! السَّكِينَةُ السَّكِينَةُ»^(٨) كُلَّمَا أَتَى حَبْلًا مِنَ الْجِبَالِ^(٩) أَرَخَى لَهَا^(١٠) قَلِيلًا حَتَّى تَصْعَدَ.

(١) أخرجه البخاري (١٧٤١) الحج - ومسلم (١٦٧٩) القسامة.

(٢) الصخرات: صخرات في أسفل جبل الرحمة، وهو الجبل الذي يوسط أرض عرفات. فهذا هو الموقف المستحب.

(٣) جبل المشاة: مجتمعهم، وقيل جبل المشاة: ومعناه طريقهم حيث تسلك الرجال.

(٤) حتى غاب القرص: حتى غابت الشمس وذهبت الصفرة.

(٥) وقد شتق للقصواء: ضمم وضيق.

(٦) مورك رحله: هو قطعة آدم يتورك عليها الراكب تجعل في مقدمة الرحل شبه المخدة الصغيرة.

(٧) ويقول بيده: يشير بيده.

(٨) السكينة: أى الزموا السكينة. وهى الرفق والطمأنينة.

(٩) كلما أتى حبلًا من الجبال: الحبل: التل العظيم من الرمل.

(١٠) أرخى لها: أرسل زمام القصواء قليلاً.

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

(٥) المبيت في المزدلفة:

حَتَّى أَتَى الْمُزْدَلِفَةَ. فَصَلَّى بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ. وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا شَيْئاً^(١) ثُمَّ اضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ. وَصَلَّى الْفَجْرَ، حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ، بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ.

(٦) الوقوف عند المشعر الحرام:

ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ. حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ. فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ. فَدَعَاهُ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ. فَلَمْ يَزَلْ وَقفاً حَتَّى أَصْفَرَ جِداً^(٢).

(٧) الدفع من المزدلفة لرمى الجمرات:

فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ. وَأَرْدَفَ الْفَضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ. وَكَانَ رَجُلًا حَسَنَ الشَّعْرِ أَبْيَضَ وَسِيمًا. فَلَمَّا دَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَرَّتْ بِهِ ظُعْنٌ يَجْرَيْنِ^(٣). فَطَفِقَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِنَ. فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ. فَحَوَّلَ الْفَضْلُ وَجْهَهُ إِلَى الشَّقِّ الْآخَرِ يَنْظُرُ. فَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ مِنَ الشَّقِّ الْآخَرِ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ. يَصْرِفُ وَجْهَهُ مِنَ الشَّقِّ الْآخَرِ يَنْظُرُ. حَتَّى أَتَى بَطْنَ مُحَسِّرٍ^(٤). فَحَرَّكَ قَلِيلاً.

(٨) رمي الجمرة الكبرى:

ثُمَّ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوُسْطَى الَّتِي تَخْرُجُ عَلَى الْجَمْرَةِ الْكُبْرَى^(٥). حَتَّى أَتَى الْجَمْرَةَ الَّتِي عِنْدَ الشَّجَرَةِ. فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ. يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ مِنْهَا. حَصَى الْخَذْفِ^(٦). رَمَى مِنْ بَطْنِ الْوَادِي.

(١) ولم يسبح بينهما شيئاً: أى لم يصل بينهما نافلة.

(٢) حتى أصفر جداً: حتى قاربت الشمس على الطلوع.

(٣) مرت به ظعن يجري: الجمال التي تحمل النساء.

(٤) بطن محسر: سمي بذلك لأن فيل أصحاب الفيل حُسر فيه، أى أعياء وكل.

(٥) الجمرة الكبرى: جمرة العقبة.

(٦) حصى الخذف: أى حصى صغار.

رَفَعُ
عبد الرحمن النخعي
(سنة النبوة ١٤٣٥ هـ)

(٩) النحر والحلق:

ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمَنْحَرِ فَنَحَرَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بِيَدِهِ. ثُمَّ أَعْطَى عَلِيًّا. فَنَحَرَ مَا غَبَرَ^(١). وَأَشْرَكَهُ فِي هَذِيهِ. ثُمَّ أَمَرَ مِنْ كُلِّ بَدَنَةٍ بِيَضْعَةٍ. فَجَعَلَتْ فِي قَدْرِ. فَطَبِخَتْ. فَأَكَلَا مِنْ لَحْمِهَا وَشَرِبَا مِنْ مَرَقِهَا.

(١٠) الإفاضة لطواف الإفاضة:

ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَفَاضَ إِلَى الْبَيْتِ. فَصَلَّى بِمَكَّةَ الظُّهْرَ. فَأَتَى بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! يَسْقُونَ عَلَى زَمْزَمَ فَقَالَ: «انْزِعُوا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَوْلَا أَنْ يُغْلِبَكُمْ النَّاسُ عَلَى سِقَايَتِكُمْ لَنَزَعْتُ مَعَكُمْ» فَتَنَاوَلُوهُ دَلُّوا فَشَرِبَ مِنْهُ^(٢).

هَذَا هُوَ مِنْهَجُ التَّيَسِيرِ

* عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «وَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَطَفِقَ نَاسٌ يَسْأَلُونَهُ. فَيَقُولُ الْقَائِلُ مِنْهُمْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي لَمْ أَكُنْ أَشْعُرُ أَنْ الرَّمْيَ قَبْلَ النَّحْرِ. فَنَحَرْتُ قَبْلَ الرَّمْيِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (فَارْمِ وَلَا حَرَجَ).

قَالَ: وَطَفِقَ آخَرُ يَقُولُ: إِنِّي لَمْ أَشْعُرْ أَنَّ النَّحْرَ قَبْلَ الْحَلْقِ، فَحَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَنْحُرَ، فَيَقُولُ: (انْحُرْ وَلَا حَرَجَ) قَالَ: فَمَا سَمِعْتَهُ يُسْأَلُ يَوْمَئِذٍ عَنْ أَمْرٍ، مِمَّا يَنْسَى الْمَرْءُ وَيَجْهَلُ، مِنْ تَقْدِيمِ بَعْضِ الْأُمُورِ قَبْلَ بَعْضٍ، وَأَشْبَاهِهَا، إِلَّا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (افْعَلُوا ذَلِكَ وَلَا حَرَجَ)^(٣).

النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُ سَعْدُ بْنُ أَبِي رِقَاصٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)

* عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «عَادَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حِجَّةِ الْوُدَاعِ مِنْ وَجَعٍ أَشْفَيْتَ مِنْهُ عَلَى الْمَوْتِ. فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَلِّغْنِي مَا تَرَى مِنَ الْوَجَعِ، وَأَنَا ذُو مَالٍ، وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ لِي وَاحِدَةٌ. أَفَأَتَصَدَّقُ بِثَلَاثِي مَالِي؟ قَالَ: (لَا). قُلْتُ: أَفَأَتَصَدَّقُ بِشَطْرِهِ؟ قَالَ: (لَا). قُلْتُ: فَالثَّلَاثُ؟ قَالَ: (لَا). الثَّلَاثُ وَالثَّلَاثُ كَثِيرٌ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَ

(١) ما غبر: ما بقي.

(٢) أخرجه مسلم (١٤٧) (١٢١٨) كتاب الحج.

(٣) أخرجه البخاري (١٧٣٦) الحج - ومسلم (٣٢٨) - (١٣٠٦) الحج. واللفظ لمسلم.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها، حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك) - أى فى فمها -.

قلت: يا رسول الله. أخلف بعد أصحابي؟ قال: (إنك لن تخلف فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة، ولعلك تُخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون. اللهم أمض لأصحابي هجرتهم، ولا تردهم على أعقابهم...)»^(١).

وصيته ﷺ عند عودته إلى المدينة

* عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال: «قام فينا رسول الله ﷺ يوماً خطيباً، بماء يُدعى خمأً بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر.

ثم قال: (أما بعد: ألا أيها الناس! فإنما أنا بشر يوشك أن يأتى رسول ربي فأجيب. وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله. واستمسكوا به) فحث على كتاب الله ورغّب فيه، ثم قال: (وأهل بيتي، أذكركم الله فى أهل بيتي، أذكركم الله فى أهل بيتي. أذكركم الله فى أهل بيتي)»^(٢).

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين

كانت كبرياء دولة الروم قد جعلتها تأبى أن يكون للإسلام وجود فى أى بقعة فى أرضها... وحملها ذلك على أن تقتل من أتباعها من يدخل فيه، كما فعلت بقروة بن عمرو الجذامى الذى كان ولياً على معان من قبل الروم.

ونظراً إلى هذه الجراءة والغطرسة أخذ رسول الله ﷺ يجهز جيشاً كبيراً فى صفر سنة ١١هـ، وأمر عليه أسامة بن زيد بن حارثة، وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، يبغي بذلك إرهاب الروم وإعادة الثقة إلى قلوب العرب الضاربين على الحدود، حتى لا يحسبن أحد أن بطش الكنيسة لا معقب له، وأن الدخول فى الإسلام يجز على أصحابه الختوف فحسب.

وتكلم الناس فى قائد الجيش لحدائثة سنه، واستبطأوا فى بعثه^(٣).

(١) أخرجه البخارى (١٢٩٥) الجنايز - ومسلم (١٦٢٨) الوصية.

(٢) أخرجه مسلم - كتاب فضائل الصحابة - فى فضائل أهل البيت - وأحمد (٣٦٦/٤).

(٣) الرحيق المختوم (ص: ٥٠٣).

❖ وعن ابن عمر رضی الله عنهما قال أمر رسول الله ﷺ أسامة على قوم فطعنوا في إمارته فقال: «إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وإيما الله لقد كان خليفا للإمارة، وإن كان من أحب الناس إلي، وإن هذا لمن أحب الناس إلى بعده»^(١). وفي رواية أنه قال: «إن كان لأحبهم إلي من بعده فأوصيكم به فإنه من صالحكم».

وقصة هامة

❖ قال الحافظ ابن كثير: وقد انتدب كثير من الكبار من المهاجرين الأولين والأنصار في جيشه، فكان من أكبرهم عمر بن الخطاب، ومن قال: إن أبا بكر كان فيهم فقد غلط، فإن رسول الله ﷺ اشتد به المرض وجيش أسامة مخيم بالجرف. وقد أمر النبي ﷺ أبا بكر أن يصلي بالناس كما سيأتي. فكيف يكون في الجيش وهو إمام المسلمين بإذن الرسول من رب العالمين، ولو فرض أنه كان قد انتدب معهم فقد استثناه الرسول ﷺ من بينهم بالنص عليه للإمامة في الصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام، ثم لما توفي عليه الصلاة والسلام استطلق الصديق من أسامة عمر بن الخطاب، فأذن له في المقام عند الصديق، ونفذ الصديق جيش أسامة»^(٢).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

(١) أخرجه البخاري (٤٢٥٠)، ومسلم (٢٤٢٦).

(٢) السيرة النبوية لابن كثير (٤/٤٤١).

مرض الرسول ﷺ ووفاته

* إن الأحداث العظيمة يسبقها من الإرهاصات والعلامات التي تشير إلى قرب وقوعها، وقد تم للمسلمين فتح مكة أم القرى في السنة الثامنة من الهجرة المباركة، وفي السنة التاسعة أقبلت الوفود تُقر بالإسلام أو تعطى الجزية عن يد وهم صاغرون، وأرهب جيشُ العُسرة الذي خرج به النبي ﷺ جحافل الروم حتى فروا من مواجهته، ودانت جزيرة العرب بالإسلام، وكان ذلك بعد عشر سنين من جهاد النبي ﷺ المتواصل وصحابته الكرام رضی الله عنهم، فكل العلامات تشير إلى انتهاء مهمة رسول الله ﷺ، فقد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وأصبح الناس على محجة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك^(١).

* ويا لها من لحظات عصيبة عندما أحمل قلمي لأسطر به تلك الصفحات التي تحكى قصة مرض وموت النبي ﷺ .

* فموت النبي ﷺ من أعظم المصائب التي أُصيب بها المسلمون ولذلك قال ﷺ: «إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبتى فإنها من أعظم المصائب»^(٢).

* قال صاحب كتاب (تسليّة أهل المصائب):

ومن أعظم المصائب فى الدين موت النبي ﷺ لأن المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم لأن بموته ﷺ انقطع الوحي من السماء إلى يوم القيامة وانقطعت النبوات، وكان موته أول ظهور الشر والفساد بارتداد الذين ارتدوا عن الدين من الأعراب، فهذا أول انقطاع عرى الدين ونقصانه وغير ذلك من الأمور التي لا تحصى.

* قال أبو العتاهية مسلماً بعض إخوانه فى موت ولد له اسمه محمد:

رَفَعُ

عن الرجل (القمي)
أسلمه الله (الرواسي)

(١) وفيات تربوية (ص: ٤٠٣).

(٢) رواه البيهقي فى شعب الإيمان وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤٧).

اصبر لكل مصيبة وتجلد
أو ما ترى أن المصائب جمة
من لم يصب ممن ترى بمصيبة
فإذا ذكرت محمداً ومصابه
واعلم بأن المرء غير مخلد
وترى المنية للعباد بمرصد
هذا سبيل لست فيه بأوحد
فاذكر مصابك بالنبى محمد^(١)

العلامات التى أشارت إلى قرب انتهاء أجله ﷺ

ولقد سبق موت النبى ﷺ علامات تشير إلى قرب انتهاء أجله ﷺ فمن بين ذلك:

أنه ﷺ كان يعتكف كل سنة عشراً فى رمضان فاعتكف فى السنة الأخيرة عشرين ليلة وكان جبريل يعارضه القرآن مرة فى رمضان فعارضه فى السنة الأخيرة مرتين.

* ومن ذلك ما رواه أحمد عن معاذ قال: لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن، خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه، ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشى تحت راحلته، فلما فرغ قال: «يا معاذ إنك عسى أن لا تلقانى بعد عامى هذا، أو لعلك أن تمر بمسجدى هذا وقبرى فبكى معاذ جشعاً لفراق رسول الله ﷺ، ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة فقال: «إن أولى الناس بى المتقون من كانوا وحيث كانوا»^(٢).

* وخرج النبى ﷺ للحج فى السنة العاشرة وقال: «خذوا عني مناسككم لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا وطفق يودع الناس»^(٣).

ونزل عليه بعرفة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

* وفى ثاني أيام التشريق نزل عليه قوله عز وجل: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۖ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١-٣].

(١) مختصر تسلية أهل المصائب لأبى عبد الله محمد بن محمد بن محمد المنبجى الحنبلى / اختصار وتحقيق العبد الفقير إلى الله (ص: ١٧).

(٢) رواه أحمد (٢٣٥/٥) قال الهيثمى: رواه أحمد بإسنادين ورجال الإسنادين رجال الصحيح غير راشد بن سعد وعاصم بن حميد وهما ثقتان - مجمع الزوائد (٩/٢٢).

(٣) سبق تخريجه.

عن ابن عباس قال: كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقال: لِمَ تُدخل هذا معنا؛ ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم.

فدعا ذات يوم فأدخله معهم، قال: فما رؤيت أنه دعاني يومئذ إلا ليربهم. قال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾. قال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره، إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. قال: فما تقول؟ فقلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾ فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول^(١).

* وروى الطبراني عن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ قبل أن يموت يكثر أن يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك، استغفرك وأتوب إليك» قالت: يا رسول الله إني أراك تكثر أن تقول: سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك وأتوب إليك؟ فقال: إني أمرت بأمرٍ فقرأ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^(٢).

* ومن هذه العلامات أنه ﷺ خرج إلى أحد فصلى على الشهداء كالمودع للأحياء والأموات ثم انصرف إلى المنبر فقال: «إني فرطكم، وإني شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها»^(٣).

* ومن هذه العلامات تتابع الوحي على رسول الله ﷺ... عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: إن الله تابع الوحي على رسول الله ﷺ قبل وفاته، حتى توفاه أكثر ما كان الوحي^(٤).

قال الحافظ: والسر في ذلك أن الوفود بعد فتح مكة كثروا وكثر سؤاألهم عن الأحكام فكثر النزول بسبب ذلك^(٥).

(١) رواه البخارى (٤٩٧٠) التفسير.

(٢) أورده الهيثمى فى المجمع (١٤٢٤٣) وقال: رواه الطبراني فى الصغير ورجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه أبو داود (٣٢٠٧) ورواه النسائى مختصراً (٤/٢١، ٦٢) وصححه الألبانى فى صحيح سنن النسائى (١٨٤٦).

(٤) رواه البخارى (٦١٨/٨) فضائل القرآن ومسلم (١٨/١٠٢) التفسير.

(٥) فتح البارى (٦٢٣/٨).

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

* ومن هذه الإشارات القوية ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب النبي ﷺ وقال: «إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله» قال فبكى أبو بكر فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خير... فكان رسول الله ﷺ هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا. فقال رسول الله ﷺ: «إن أمن الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا ييقن في المسجد باب إلا سدّ إلا باب أبي بكر»^(١).

* ومن هذه العلامات أنه ﷺ كان يرغبهم في كثرة ملازمته والجلوس إليه قبل أن يُحرّموا ذلك، ويتمنى أحدهم لو رآه بأهله وماله. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده ليأتين على أحدكم يوم ولا يراني، ثم لأن يراني أحبّ إليه من أهله وماله معهم». فأولوه على أنه نعى نفسه إليهم وعرفهم ما يحدث لهم بعده من تمنى لقائه عند فقدهم ما كانوا يشاهدون من بركاته عليه السلام^(٢).

* ومن هذه الاشارات زيارته لأهل البقيع واستغفاره لهم:

* عن أبي مويهة مولى رسول الله ﷺ قال: «بعثنى رسول الله ﷺ من جوف الليل، فقال: (يا أبا مويهة، إني قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع، فانطلق معي)، فانطلقت معه فلما وقف بين أظهرهم، قال: (السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنيء لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى، ثم أقبل عليّ)، فقال: (يا أبا مويهة، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة).

قال: فقلت: بأبي أنت وأمي، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، قال: (لا والله يا أبا مويهة، لقد اخترت لقاء ربي والجنة)، ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف، فبدأ برسول الله ﷺ وجعه الذي قبضه الله فيه»^(٣).

(١) رواه أحمد (١٨/٣)، وابن أبي شيبة (٦/١٢)، وابن أبي عاصم في السنة (١٢٢٧)، وابن سعد وهو في الصحيحين من طرق أخرى.

(٢) أخرجه مسلم (١١٨/١٥) الفضائل.

(٣) رواه أحمد (٤٨٨/٣) والدارمي (٣٦/٢، ٣٧) والحاكم (٥٦، ٥٥/٣) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

بداية مرضه ﷺ واستئذانه أن يمرض في بيت عائشة

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أول ما اشتكى رسول الله ﷺ في بيت ميمونة، فاستأذن أزواجه أن يمرض في بيتها، وأذن له، قالت: فخرج وهو بين الرجلين تخط رجلاه في الأرض بين عباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر.

فقال عبيد الله بن عبد الله عتبة فحدثت به ابن عباس. فقال: أتدري من الرجل الذي لم تسم عائشة؟ هو علي»^(١).

النبي ﷺ يشكو من الصداع بعد عودته من البقيع

وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر صفر سنة ١١ هـ وكان يوم الإثنين - شهد رسول الله ﷺ جنازة في البقيع، فلما رجع، وهو في الطريق أخذه صداع في رأسه، واتقدت الحرارة، حتى إنهم كانوا يجدون سورتها فوق العصابة التي تعصب بها رأسه.

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «رجع رسول الله ﷺ من البقيع، فوجدني وأنا أجد صداعاً في رأسي. وأنا أقول: وارأساه، فقال: (بل أنا والله يا عائشة وارأساه).

قالت: ثم قال: (وما ضرك لو مت قبلي. فقممت عليك وكففتك، وصليت عليك ودفنتك؟) قالت: قلت: والله لكأنني بك، لو قد فعلت ذلك. لقد رجعت إلى بيتي، فأعرت فيه ببعض نسائك، قالت: فتبسم رسول الله ﷺ، وتنام به وجعه، وهو يدور على نسائه، حتى استعز به، وهو في بيت ميمونة، فدعا نساءه، فاستأذنهن في أن يمرض في بيتي، فأذن له»^(٢).

إني أوعك كما يوعك رجالن منكم

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك فمسسته بيدي. فقلت: يا رسول الله! إنك لتوعك وعكاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ (أجل: إني أوعك كما يوعك رجالن منكم) قال: فقلت: ذلك، أن لك أجريين. فقال

(١) أخرجه البخاري (٤٤٤٢) المغازي - ومسلم (٩١/٤١٨) الصلاة

(٢) أخرجه ابن إسحاق بإسناد صحيح صرح فيه بالتحديث كما في سيرة ابن هشام: (٢/٦٤٢، ٦٤٣) وأخرجه الحاكم في المستدرک: (٣/٥٦) بسند آخر عنها وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

رسول الله ﷺ: (أجل) ثم قال رسول الله ﷺ: (ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه، إلا حط الله به سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها) (١).

* وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: «ما رأيت رجلاً أشد عليه الوجع من رسول الله ﷺ» (٢).

كانت عائشة (رضي الله عنها) تمسحه بيده رجاء البركة

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله، نفث عليه بالمعوذات، فلما مرض مرضه الذي مات فيه، جعلت أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه، لأنها كانت أعظم بركة من يدي» (٣).

وكانت عائشة زوج النبي ﷺ تحدث «أن رسول الله ﷺ لما دخل بيتي واشتد به وجعه قال: (هريقوا عليّ من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن، لعلي أعهد إلى الناس)، فأجلسناه في مخضب لحفصة زوج النبي ﷺ، ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلت. قالت: ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم».

النبي ﷺ يخطب وينعى نفسه

* عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «خطب النبي ﷺ فقال: (إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختر ما عند الله)، فبكى أبو بكر رضي الله عنه. فقلت في نفسي: ما يبكي هذا الشيخ، إن يكن الله خيراً عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختر ما عند الله؟ فكان رسول الله ﷺ هو العبد، وكان أبو بكر أعلمنا، قال: (يا أبا بكر لا تبك، إن آمن الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته. لا يبقين في المسجد باب إلا سدّ، إلا باب أبي بكر)» (٤).

وفي لفظ الدارمي بإسناد حسن جاء عن أبي سعيد رضي الله عنه قوله: «خرج علينا رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه ونحن في المسجد عاصباً رأسه بخرقه حتى

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤٧) المرض - ومسلم (٢٥٧١) البر والصلة.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٤٦) المرض - ومسلم (٢٥٧٠) البر والصلة.

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٣٩) المغازي - ومسلم (٢١٩٢) السلام.

(٤) أخرجه البخاري (٤٦٦) الصلاة - ومسلم (٢٣٨٢) فضائل الصحابة.

أهوى نحو المنبر فاستوى عليه وابتغاه، قال: (والذى نفسى بيده إنى لأنظر إلى الحوض من مقامى هذا)، ثم قال: (إن عبداً عُرِضت عليه الدنيا وزينتها فاختار الآخرة). قال: فلم يفتن لها غير أبى بكر فذرفت عيناه فبكى. ثم قال: بل نفديك بآبائنا وأمهاتنا وأنفسنا وأموالنا يا رسول الله، قال: ثم هبط فما قام عليه حتى الساعة.

الوصايا التى أوصى بها النبى ﷺ قبل وفاته

وها هو الحبيب ﷺ يوصى أصحابه (رضى الله عنهم) والأمة من بعدهم بتلك الوصايا الغالية.

النبى ﷺ ينهى الأمة عن اتخاذ القبور مساجد

ومع فيح الحمى وحدة مسها لبدنه، فقد ظل يقظ الذهن، مهموماً بتعاليم الرسالة، حريصاً على تذكير الناس بها.

وكان يخشى أن ترتكس أمته، فتعلق بالأشخاص و«الأضرحة» كما ارتكس أهل الكتاب الأولون.

وشدته فى إخلاص التوحيد لله هى التى جعلته، وهو يعالج سكرات الموت، يرهّب المسلمين من هذا المزلق^(١).

* عن عائشة وابن عباس رضى الله عنهم: «أن رسول الله ﷺ لما حضرته الوفاة جعل يلقى على وجهه طرف خميصة له، فإذا اغتم كشفها عن وجهه وهو يقول: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد). تقول عائشة: يحذر مثل الذى صنعوا»^(٢).

* وعن جندب بن عبد الله البجلي رضى الله عنه سمع النبى ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول:

(إنى أبرأ إلى الله أن يكون لى منكم خليل، فإن الله عز وجل قد اتخذنى خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتى خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن

(١) فقه السيرة للقرطبي (ص: ٥١٦)

(٢) أخرجه البخارى (٤٣٥) الصلاة - ومسلم (٥٣١) المساجد.

رَفَعُ

عبد الرحمن (الخزرجي)
أسكنه الله الفردوس

من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»^(١).

وصيته بإخراج اليهود والنصارى من أرض الجزيرة

«عن أبي عبيدة بن الجراح رضى الله عنه قال: «آخر ما تكلم به النبي ﷺ: (أخرجوا يهود أهل الحجاز، وأهل نجران من جزيرة العرب، واعلموا أن شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)»^(٢).

وصيته بإغلاق الأبواب المفتوحة على المسجد إلا باب أبي بكر

«عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذى مات فيه عاصباً رأسه بخرقه فقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (إنه ليس من الناس أحد أمنّ علىّ فى نفسه وماله من أبى بكر بن أبى قحافة، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن خلة الإسلام أفضل، سدوا عنى كل خوخة فى هذا المسجد غير خوخة أبى بكر)»^(٣).

«وهذه من الإشارات لاستخلافه (رضى الله عنه).. ولقد وردت اشارات أخرى لاستخلاف أبى بكر (رضى الله عنه) نذكر منها ما يلى:

بعض الإشارات لاستخلاف أبى بكر (رضى الله عنه)

«عن عائشة قالت: «قال لى رسول الله ﷺ فى مرضه: (ادع لى أبا بكر، وأخاك، حتى أكتب كتاباً، فإنى أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أولى. ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر)»^(٤).

«وعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه (رضى الله عنهما): «أن امرأة سألت رسول الله ﷺ شيئاً، فأمرها أن ترجع إليه. فقالت: يا رسول الله! رأيت إن جئت فلم

(١) أخرجه مسلم (٥٣٢) المساجد - وأبو عوانة (٤٠١/١).

(٢) أخرجه أحمد: (١٩٥/١) والطحاوى فى مشكل الآثار: (١٣/٤) وأبو يعلى: (٨٧٢) بسند صحيح.

(٣) أخرجه البخارى (٤٦٧) الصلاة - وأحمد (٢٧٠/١).

(٤) أخرجه البخارى (٥٦٦٦) المرض - ومسلم (٣٢٨٧) فضائل الصحابة.

أجدك؟ - قال أبي: كأنها تعنى الموت - قال: (فإن لم تجدني فأني أبا بكر) (١).

* وعن ابن أبي مليكة «سمعت عائشة، وسئلت: من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلف؟ قالت: أبو بكر، فقبل لها: ثم بعد أبي بكر؟ قالت: عمر. ثم قيل لها: من بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح. ثم انتهت إلى هذا» (٢).

وصيته لعثمان (رضي الله عنه) بالصبر على البلاء الذي سيصيبه

* ومن ذلك أنه ﷺ أوصى عثمان رضي الله عنه بالصبر على البلاء الذي سيصيبه وأن لا يتنازل عن الخلافة.

عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه: «وددت أن عندى بعض أصحابي قلنا: يا رسول الله ألا ندعو لك أبا بكر فسكت قلنا: ألا ندعو لك عمر فسكت، قلنا: ألا ندعو لك عثمان قال: نعم. فجاء فخلاً به، فجعل النبي ﷺ يكلمه ووجه عثمان يتغير. قال قيس: فحدثني أبو سهلة مولى عثمان أن عثمان بن عفان قال يوم الدار: إن رسول الله ﷺ عهد إلىّ عهداً فأنا صائر إليه. (وقال علي في حديثه: وأنا صابر عليه). قال قيس فكانوا يرونه ذلك اليوم» (٣).

وصيته بالأنصار (رضي الله عنهم)

قال ﷺ: «إن الأنصار قد قضوا الذي عليهم وبقي الذي عليكم فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم» (٤).

وقال ﷺ: «استوصوا بالأنصار خيراً» (٥).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: خرج رسول الله ﷺ وعليه ملحفة متعطفاً بها على منكبيه، وعليه عصابة دسما حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم

(١) أخرجه البخارى (٣٦٥٩) فضائل الصحابة - ومسلم (٢٣٨٦) فضائل الصحابة.

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٨٥) فضائل الصحابة.

(٣) رواه ابن ماجه (١١٣) المقدمة وابن أبي عاصم في السنة (١١٧٥)، وابن سعد (٣/٦٦)، وقال الألبانى: إسناده صحيح ورجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي سهلة مولى عثمان وهو ثقة كما قال ابن حبان والعجلي والعسقلاني وانظر ظلال الجنة في تخريج السنة (٢/٥٦٠).

(٤) رواد الشافعى والبيهقى في «المعرفة» عن أنس، وصححه الألبانى في صحيح الجامع (١٥٨٧).

(٥) رواه أحمد عن أنس، وصححه الألبانى في صحيح الجامع (٩٥٩).

قال: «أما بعد أيها الناس إن الناس يكثرون وتقل الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام، فمن ولي منكم أمراً يضر فيه أحداً أو ينفعه فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن سيئهم»^(١).

* وفي رواية: (خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه بملحفة قد عصب بعصابة دسماء حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أما بعد فإن الناس يكثرون ويقل الأنصار، حتى يكونوا في الناس بمنزلة الملح في الطعام، فمن ولي منكم شيئاً يضر فيه قوماً وينفع آخرين، فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن سيئهم) فكان آخر مجلس جلس فيه النبي ﷺ»^(٢).

آخر وصايا النبي ﷺ

* عن أنس رضي الله عنه قال: «كان عامة وصية رسول الله ﷺ وهو يغرغر بنفسه: (الصلاة، وما ملكت أيمانكم)»^(٣).

* وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: «كان آخر كلام رسول الله ﷺ: الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم»^(٤).

* وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «كشف رسول الله ﷺ الستارة، والناس صفوف خلف أبي بكر. فقال: (أيها الناس! إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم، أو ترى له. ألا وإنني نُهيت أن أقرأ القرآن راکعاً أو ساجداً، فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقمن أن يستجاب لكم)». وفي لفظ قال: كشف رسول الله ﷺ الستة، ورأسه معصوب في مرضه الذي مات فيه. فقال: (اللهم! هل بلغت؟) ثلاث مرات (إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا يراها العبد الصالح أو ترى له)» ثم ذكر بقية الحديث^(٥).

(١) أخرجه البخاري (٣٨٠٠) عن ابن عباس - رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٩٢٧) الجمعة.

(٣) رواه ابن ماجه (٢٦٩٧) وأحمد (١١٧/٣) وابن حبان (٦٥٧١) وإسناده صحيح لغيره.

(٤) رواه أبو داود (٥١٥٦) وابن ماجه (٢٦٩٨) وهو صحيح لشواهده.

(٥) أخرجه مسلم (٤٧٩) الصلاة - وأبو داود (٨٧٦).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

اقتنوني أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بهدي

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «يوم الخميس! وما يوم الخميس! ثم بكى حتى بل دمعته» فقلت (١): يا ابن عباس! وما يوم الخميس؟ قال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه. فقال: (اقتنوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً) فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي نزاع فقالوا: ما شأنه؟ أهجر؟ استفهموه. قال: (دعوني). فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه، أوصيكم بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا للوفد بنحو ما كنت أجيزهم). قال: وسكت عن الثالثة. أو قالها فنسيها» (٢).

وفي رواية «لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب. فقال النبي ﷺ (هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بهدي). فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. فأخلف أهل البيت، فاخصموا، فممنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتاباً لن تضلوا بعده. ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: (قوموا). قال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب، من اختلافهم ولغظهم» (٣).

(١) القائل هو سعيد بن جبير.

(٢) أخرجه البخاري (١١٤) العلم و(٤٤٣١) المغازي - ومسلم (١٦٣٧) الوصية.

(٣) وقال النووي في شرح صحيح مسلم (٩٠/١١) ما نصه: «اعلم أن النبي معصوم من الكذب، ومن تغيير شيء من الأحكام الشرعية في حال صحته، وحال مرضه، ومعصوم من ترك بيان ما أمر ببيانه وتبليغ ما أوجب الله عليه تبليغه، وليس معصوماً من الأمراض والأسقام العارضة للأجسام ونحو مما لا تنقص فيه منزلته، ولا فساد لما تمهد من شريعته، وقد سحر ﷺ حتى صار يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يكن فعله، ولم يصدر منه ﷺ في هذا الحال كلام في الأحكام يخالف لما سبق من الأحكام التي قررها، فإذا علمت ما ذكرناه فقد اختلف العلماء في الكتاب الذي هم النبي ﷺ به. فقيل: أراد أن ينص على الخلافة في إنسان معين لئلا يقع فيه نزاع وفتن، وقيل: أراد كتاباً يبين فيه مهمات الأحكام ملخصة ليرتفع النزاع فيها، ويحصل الاتفاق على المنصوص عليه.

وكان النبي ﷺ هم بالكتاب حين ظهر له أنه مصلحة، أو أوحى إليه بذلك ثم ظهر أن المصلحة تركه، أو أوحى إليه بذلك ونسخ ذلك الأمر الأول.

وأما كلام عمر رضي الله عنه فقد اتفق العلماء المتكلمون في شرح الحديث على أنه من دلائل فقه عمر وفضائله ودقيق نظره. لأنه خشى أن يكتب ﷺ أموراً ربما عجزوا عنها، واستحقوا العقوبة عليها؛ لأنها منصوبة لا مجال للاجتهاد فيها. فقال عمر: حسبنا كتاب الله، لقوله تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾

مروا أبا بكر فليصل بالناس

والنبي ﷺ - مع ما كان به من شدة المرض كان يصلي بالناس جميع صلواته حتى ذلك اليوم - يوم الخميس قبل الوفاة بأربعة أيام - وقد صلى بالناس ذلك اليوم صلاة المغرب، فقرأ فيها بالمرسلات.

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «إن أم الفضل بنت الحارث سمعته وهو يقرأ: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات: ١] فقالت: يا بُنَيَّ! لقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة. إنها لآخر ما سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب» (١).

وعند العشاء زاد ثقل المرض بحيث لم يستطع الخروج إلى المسجد.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ثقل النبي ﷺ فقال: (أصلي الناس؟) قلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسول الله قال: (ضعوا لي ماءً في المخضب). قالت: ففعلنا. فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمرى عليه، ثم أفاق فقال ﷺ: (أصلي الناس؟) قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله. فقال: (ضعوا لي ماءً في المخضب). قالت: فقعد فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأغمرى عليه، ثم أفاق فقال: (أصلي الناس؟) قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله - فقال: (ضعوا لي ماءً في المخضب) فقعد فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمرى عليه ثم أفاق فقال: (أصلي الناس؟) قلنا: لا هم ينتظرونك يا رسول الله... والناس عكوف في المسجد ينتظرون النبي عليه السلام لصلاة العشاء الآخر - فأرسل النبي ﷺ إلى أبي بكر بأن يصلي بالناس، فأتاه الرسول فقال: إن رسول الله ﷺ يأمر أن تصلي بالناس، فقال

= شيء [الأهـ: ٣٨].

وقوله: «اليوم أكملت لكم دينكم» [المائدة: ٣] فعلم أن الله تعالى أكمل دينه، فأمن الضلال على الأمة.

وأراد الترفية على رسول الله ﷺ، فكان عمر أفتة من ابن عباس وموافقيه.

قال الخطابي: «ولا يجوز أن يُحمل قول عمر على أنه توهم الغلط على رسول الله ﷺ، أو ظن به غير ذلك مما لا يليق به بحال. لكنه لما رأى ما غلب على رسول الله ﷺ من الوجع وقرب الوفاة، مع ما اعتراه من الكرب خاف أن يكون ذلك القول مما يقول المريض مما لا عزيمة له فيه، فيجد المنافقون بذلك سبيلاً إلى الكلام في الدين. وقد كان أصحابه ﷺ يراجعونه في بعض الأمور قبل أن يجزم فيها بتحتيم، كما راجعوه يوم الحديبية في الخلاف، وفي كتاب الصلح بينه وبين قريش. فأما إذا أمر النبي ﷺ بالشئ أمر عزيمة فلا يراجع فيه أحد منهم».

(١) أخرجه مسلم (٤٦٢) الصلاة.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

أبو بكر - وكان رجلاً رقيقاً - يا عمر صلّ بالناس، فقال له عمر: أنت أحق بذلك. فصلى أبو بكر تلك الأيام^(١).

مراجعة عائشة للنبي ﷺ في إمامة أبي بكر

* عن عائشة رضی الله عنها قالت: «لما ثقل رسول الله ﷺ جاء بلال يؤذنه بالصلاة، فقال: (مروا أبا بكر فليصل بالناس) قالت: فقلت: يا رسول الله! إن أبا بكر رجلٌ أسيف^(٢) وإنه متى يقيم مقامك لا يُسمع الناس. فلو أمرت عمرًا فقال: (مروا أبا بكر فليصل بالناس) قالت: فقلت لحفصة: قولي له: إن أبا بكر رجلٌ أسيف، وإنه متى يقيم مقامك لا يُسمع الناس. فلو أمرت عمرًا فقالت له... فقال رسول الله ﷺ: (إنكن لأنتن صواحب يوسف. مروا أبا بكر فليصل بالناس) قالت: فأمرنا أبا بكر يصلي بالناس».

قالت فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله ﷺ من نفسه خفة فقام يهادى بين رجلين - ورجلاه تخطان في الأرض - قالت: فلما دخل المسجد سمع أبو بكر حسه ذهب يتأخر. فأومأ إليه رسول الله ﷺ فم مكانك.

فجاء رسول الله ﷺ حتى جلس على يسار أبي بكر قالت: فكان رسول الله ﷺ يصلي بالناس جالساً وأبو بكر قائماً يقتدى أبو بكر بصلاة النبي ﷺ. ويقتدى الناس بصلاة أبي بكر^(٣).

سبب مراجعة عائشة للنبي ﷺ

* عن عائشة رضی الله عنها قالت: «لقد راجعت رسول الله ﷺ في ذلك، وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أنه يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً، ولا كنت أرى أنه لن يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله ﷺ عن أبي بكر^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٦٨٧) الأذان - ومسلم (٩٠ / ٤١٨) الصلاة.

(٢) أسيف: حزين وقيل سريع الحزن والبكاء.

(٣) أخرجه البخاري (٦٦٤) الأذان - ومسلم (٤١٨) (٩٥) الصلاة.

(٤) سبق تخريجه.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

قبل الوفاة بيوم

وقبل يوم من الوفاة - يوم الأحد - أعتق النبي ﷺ غلماناً، وتصدق بسبعة دنانير كانت عنده، ووهب للمسلمين أسلحته، وفي الليل استعارت عائشة الزيت للمصباح من جارتها، وكانت درعه ﷺ مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من الشعير^(١).

النبي ﷺ يدعو لأسامة بن زيد

« وعن أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهما قال: «لما ثقل رسول الله ﷺ هبطت وهبط الناس المدينة، فدخلت على رسول الله ﷺ وقد أصمت فلم يتكلم، فجعل رسول الله ﷺ يضع يديه على ويرفعهما فأعرف أنه يدعو لي^(٢)».

آخر يوم في حياة النبي ﷺ

وخرج النبي ﷺ في صباح اليوم الذي لحق فيه بالرفيق الأعلى ينظر إلى ثمرة جهاده وصبره فألقى على أصحابه الذين أحبه وأحبهم نظرة وداع فكادوا يُفْتَنُونَ من الفرح به ﷺ ظناً منهم أنه ﷺ قد عوفي من مرضه ولم يظنوا أنه ينظر إليهم نظرة الوداع حتى يلتقي بهم على حوضه وفي جنة الله عز وجل ولو علموا ذلك لتنفطرت قلوبهم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع النبي ﷺ الذي توفي فيه، حتى إذا كان يوم الإثنين - وهم صفوف في الصلاة - كشف النبي ﷺ ستر الحجر، فنظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ثم تبسم يضحك فهممنا أن نفتن من الفرح برؤية النبي ﷺ، فنكص أبو بكر على عقبه ليصل الصف وظن أن النبي ﷺ خارج إلى الصلاة فأشار إلينا النبي ﷺ أن أتموا صلاتكم وأرخى الستر فتوفي من يومه^(٣). ثم لم تأت على النبي ﷺ صلاة أخرى^(٤).

« وكان الله تعالى أراد أن يُطمئن النبي ﷺ على كمال انقياد أمة وحسن اتباعها

(١) أخرجه البخاري (٤٤٦٧) ومسلم (١٦٠٣) والنسائي (٢٨٨/٧).

(٢) رواه الترمذي (٣٨١٧) وأحمد (٢٠١/٥) وابن هشام (٦٥١/٢) من طريق ابن إسحاق وإسناده صحيح لأن ابن إسحاق قد صرح بالتحديث.

(٣) أخرجه البخاري (١١٥/١٠) المرض - ومسلم (١٢٦/١٦) البر والصلة.

(٤) نقلاً من وفات تربية (ص: ٤١٢).

رفع

عبد الرحمن بن العفري
أسكنه الله الفردوس

فأشهدته آخر وقت حضره وهو في الدنيا، إذ أقبل المؤمنون من بيوتهم إلى المسجد فجر الاثنين الذي قبض فيه، واصطفوا لصلاتهم خشعاً مخبئين، وراء إمام رقيق التلاوة فياض الإخلاص، ورفع النبي ﷺ الستر المضروب على منزل عائشة، وفتح الباب وبرز للناس.

فكاد المسلمون يفتنون في صلاتهم ابتهاجاً برؤيته، وتفرجوا يفسحون له مكاناً فأشار بيده: أن اثبتوا على صلاتكم، وتبسم فرحاً من هيئتهم في صلاتهم.

قال أنس بن مالك: ما رأيت رسول الله أحسن هيئة منه في تلك الساعة.

ثم رجع وانصرف الناس، وهم يظنون أن رسول الله قد أفاق من وجعه. واطمأن أبو بكر لهذا الظن، فرجع إلى أهله بالسبح - في ضواحي المدينة.

قالت عائشة: وعاد رسول الله من المسجد، فاضطجع في حجرى^(١).

وهذه آخر ابتسامته الياسمين ﷺ

* عن أنس بن مالك رضى الله عنه «أن أبا بكر كان يصلى لهم في وجع رسول الله ﷺ الذي توفي فيه. حتى إذا كان يوم الاثنين. وهم صفوف في الصلاة. كشف رسول الله ﷺ ستر الحجرة فنظر إلينا وهو قائم، كأن وجهه ورقة مصحف^(٢)، ثم تبسم رسول الله ﷺ ضاحكاً.

قال: فبهتتا ونحن في الصلاة من فرح بخروج رسول الله ﷺ، ونكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، وظن أن رسول الله ﷺ خارج للصلاة. فأشار إليهم رسول الله ﷺ بيده: (أن أتموا صلاتكم). قال: ثم دخل رسول الله ﷺ فأرخى الستر. قال: فتوفي رسول الله ﷺ من يومه ذلك»^(٣).

(١) فته السيرة للغزالي (ص: ٥١٨)

(٢) كأن وجهه ورقة مصحف: عبارة عن الجمال البارع وحسن البشرة وصفاء الوجه واستنارته.

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٠) الأذان - ومسلم (٤١٩) الصلاة.

رفع

عبد الرحمن الفوزي
أسكنه الله الفردوس

النبي ﷺ ينمى نفسه إلى فاطمة (عليها السلام)

✽ عن عائشة رضى الله عنها قالت: «اجتمع نساء النبي ﷺ، فلم تغادر منهن امرأة، فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ. فقال: (مرحباً بابنتي) فأجلسها عن يمينه أو عن شماله. ثم إنه أسرَّ إليها حديثاً فبكت فاطمة. ثم إنه سارَّها فضحكت أيضاً. فقلت: ما رأيت كالיום فرحاً أقرب من حزن. فقلت لها حين بكت: أخصك رسول الله ﷺ بحديثه دوننا ثم تبكين؟

وسألتهما عما قال فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ. حتى إذا قبض سألتها فقالت: إنه كان حدثني (أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة. وإنه عارضه به في العام مرتين، ولا أراني إلا قد حضر أجلي. وإنك أول أهلي لحوقاً بي. ونعم السلف أنا لك) فبكيت لذلك. ثم إنه سارني فقال: (ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة فضحكت لذلك) (١).

ليس على أبيك كرب بعد اليوم

وعن أنس قال: لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه فقالت فاطمة عليها السلام: وا كرب أباه، فقال لها: ليس على أبيك كرب بعد اليوم (٢).

شدة تأثر النبي ﷺ بالطعام المسموم (يوم خيبر)

✽ ودعا النبي ﷺ الحسن والحسين فقبلهما وأوصى بهما خيراً ثم دعا أزواجه فوعظهن وذكرهن بالله (عز وجل).

وظفق الوجع يشتد ويزيد وقد ظهر أثر السم الذي أكله بخير.

✽ عن عائشة رضى الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: (يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخير، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم) (٣).

(١) أخرجه البخاري (٣٦٢٣، ٣٦٢٥) الأنبياء - ومسلم (٢٤٥٠) (٩٩) فضائل الصحابة.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٦٢) المغازي - وأحمد (٢٠٤/٣).

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٢٨) المغازي - معلقاً - وقد وصله البزار والحاكم والإسماعيلي من طريق عتبة بن

خالد عن يونس بهذا الإسناد.

النبي ﷺ يتسواك قبل موته

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن من نعم الله على أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي، وفي يومي، وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقى وريقه عند موته. دخل على عبد الرحمن وبيده السواك، وأنا مُسندة رسول الله ﷺ، فرأيتَه ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فتناولته فاشتد عليه، وقلت: أليته لك؟ فأشار برأسه أن (نعم)، فليته فأمره، وبين يديه ركوه فيها ماء، فجعل يُدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول: (لا إله إلا الله، إن للموت سكرات)، ثم نصب يده فجعل يقول: (في الرفيق الأعلى)، حتى قبض ومالت يده»^(١).

اللهم الرفيق الأعلى

* من حديث عائشة قالت: «كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى يُخير بين الدنيا والآخرة. قالت: فسمعت النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه، وأخذته بحة، يقول: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]. قالت: فظننت أنه خير»^(٢).

وفى رواية قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح (إنه لم يُقبض نبي قط، حتى يرى مقعده في الجنة ثم يُخير) قالت عائشة: فلما نزل برسول الله ﷺ، ورأسه على فخذي، عُشى عليه ساعة ثم أفاق^(٣) فأشخص بصره إلى السقف، ثم قال: (اللهم! الرفيق الأعلى).

قالت عائشة: قلت: إذا لا يختارنا. قالت عائشة: وعرفت الحديث الذي يحدثنا به وهو صحيح في قوله: (إنه لم يُقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يُخير). قالت عائشة: فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ قوله: (اللهم الرفيق الأعلى).

رَفَعُ

عبد الرحمن
(الرحمن)
(الرحمن)
(الرحمن)

(١) أخرجه البخاري (٤٤٤٩) - والنسائي (٧٠٦/٤) وأحمد (٤٨/٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٣٥) المغازي - ومسلم (٢٤٤٤) فضائل الصحابة.

(٣) أفاق: استيقظ.

وهكذا فاضت أظھر روح من أظھر جسد

وتسرب النبا الفادح من البيت المحزون، وله طنين في الأذان. وثقل ترزح تحته النفوس، وتدور به البصائر والأبصار.

وشعر المؤمنون أن آفاق المدينة أظلمت، فتركهم لوعة الثكل حيارى، لا يدرون ما يفعلون.

ووقف عمر بن الخطاب - وقد أخرجه الخبر عن وعيه - يقول: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله توفى، وإن رسول الله ما مات ولكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة. ثم رجع بعد أن قيل قد مات.

والله ليرجعن رسول الله ﷺ، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات^(١)!

* ولما علمت فاطمة (عليها السلام) بموته ﷺ قالت: يا أبتاه أجاب رباً دعاه، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل نعا، فلما دُفن قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب^(٢).

* قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: لما توفى ﷺ اضطرب المسلمون فمنهم من دهش فخلوط، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام ومنهم من أنكر موته بالكلية وقال: إنما بعث إليه^(٣).

موقف أبي بكر (رضي الله عنه)

وأقبل أبو بكر على فرس من مسكنه بالسُّنح حتى نزل، فدخل المسجد، فلم يكلم الناس، حتى دخل على عائشة فتميم رسول الله ﷺ وهو مغشى بثوب حبرة، فكشف عن وجهه، ثم أكبَّ عليه، فقبله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، واللَّه لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كُتبت عليك فقد مُتَّها.

ثم خرج أبو بكر وعمر يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر. فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه، وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد، من كان منكم يعبد محمداً ﷺ

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ٥١٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٦٢) المغازي - وأحمد (٢٠٤/٣).

(٣) لطائف المعارف (ص: ١١٤).

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت. قال الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. قال ابن عباس: والله لكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها.

قال ابن المسيب: قال عمر: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ففُقرت حتى ما تُقْلُنِي رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، علمت أن النبي ﷺ قد مَاتَ (١).

اختيار الخليفة قبل دفن الجسد الشريف

ووقع الخلاف في أمر الخلافة قبل أن يقوموا بتجهيزه ﷺ فجرت مناقشات ومجادلات وحوار وردود بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بنى ساعدة، وأخيراً اتفقوا على خلافة أبي بكر - رضي الله عنه - ومضى في ذلك بقية يوم الإثنين حتى دخل الليل، وشغل الناس عن جهاز رسول الله ﷺ حتى كان آخر الليل ليلة الثلاثاء مع الصبح، وبقي جسده المبارك على فراشه، مغشى بثوب حبرة، قد أغلق دونه الباب أهله (٢).

* واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عباد في سقيفة بنى ساعدة، فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر. وكان عمر يقول: ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلاماً قد أعجبنى خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء. فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل... منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا ولكننا الأمراء وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب داراً وأعزهم أحساباً - فبايعوا عمر أو أبا عبيدة، فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمر بيده وبايعه وبايعه الناس، فقال قائل: قتلتم سعد بن عباد، فقال عمر: قتله الله (٣).

رَفَعُ

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

(١) أخرجه البخاري (٤٤٥٢) (٤٤٥٤) من حديث عائشة وابن عباس.

(٢) الرحيق المختوم (ص: ٥١٥).

(٣) أخرجه البخاري (٢٤، ٢٣/٧) فضائل الصحابة.

خطبة عمر وأبي بكر قبل وبعد البيعة

«عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «لما بويع أبو بكر فى السقيفة وكان الغد، جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر، فتكلم قبل أبى بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال:

«أيها الناس إني كنت قلت لكم بالأمس مقالة، ما كانت مما وجدتها فى كتاب الله، ولا كانت عهداً عهداً إلى رسول الله ﷺ، ولكنى قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيدبر أمرنا، يقول: يكون آخرنا - وإن الله قد أبقي فيكم كتابه الذى به هدى الله رسوله ﷺ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ ثانياً اثنين إذ هما فى الغار، فقوموا فبايعوه».

فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة، بعد بيعة السقيفة.

فتكلم أبو بكر، فحمد الله، وأثنى عليه بالذى هو أهله، ثم قال: «أما بعد أيها الناس، فإننى قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينونى، وإن أسأت فقومونى، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة فى قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعونى ما أطيع الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله، فلا طاعة لى عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله»^(١).

موقف جليل لزيد بن ثابت (رضى الله عنه)

«عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: «لما توفى رسول الله ﷺ قام خطباء الأنصار فجعل الرجل منهم يقول: يا معشر المهاجرين إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا استعمل رجلاً منكم قرن معه رجلاً منا فنرى أن يلى هذا الأمر رجلان أحدهما منكم، والآخر منا. قال: فتتابع خطباء الأنصار على ذلك فقام زيد بن ثابت فقال: إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين، وإن الإمام يكون من المهاجرين، ونحن

(١) أخرجه عبد الرزاق فى المصنف: (٤٣٧/٥، ٤٣٨) وسنده صحيح، وابن إسحاق فى السيرة كما فى سيرة ابن هشام: (٢/٦٦٠ - ٦٦١) وسنده صحيح وصرح ابن إسحاق بالتحديث.

أنصاره كما كنا أنصار رسول الله، فقام أبو بكر رضى الله عنه فقال: جزاكم الله خيراً يا معشر الأنصار وثبت فائلكم ثم قال: أما لو فعلتم غير ذلك لما صالحناكم، ثم أخذ زيد ابن ثابت بيد أبي بكر فقال: هذا صاحبكم فبايعوه.

ثم انطلقوا، فلما قعد أبو بكر على المنبر نظر في وجوه القوم فلم ير علياً فسأل عنه فقام ناس من الأنصار فأتوا به. فقال أبو بكر: ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وختنه أردت أن تشق عصا المسلمين؟

فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله فبايعه. ثم لم ير الزبير بن العوام فسأل عنه حتى جاءوا به.

فقال: ابن عمه رسول الله ﷺ وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين؟ فقال مثل قوله: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ فبايعاه»^(١).

تجهيز الجسد الشريف

* عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال: «غسلت رسول الله ﷺ فذهبت أنظر ما يكون من الميت، فلم أر شيئاً، وكان طيباً صلى الله عليه وآله وسلم حياً وميتاً.

ولى دفنه وإجثانه دون الناس أربعة: على والعباس والفضل وصالح مولى رسول الله ﷺ، ولحد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحداً، ونُصب عليه اللبن نصباً»^(٢).

* وعن عائشة رضى الله عنها قالت: «لما أرادوا غسل النبي ﷺ قالوا: والله ما ندرى أنجرد رسول الله ﷺ من ثيابه، كما نجرد موتانا، أم نغسله وعليه ثيابه، فلما اختلفوا، ألقى الله عز وجل النوم حتى ما فيهم رجل إلا وذقته في صدره، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو: أن اغسلوا النبي ﷺ وعليه ثيابه فقاموا إلى رسول الله ﷺ، فغسلوه وعليه قميصه، يصبون الماء فوق القميص، ويدلكونه بالقميص دونه أيديهم، فكانت عائشة تقول: لو استقبلت من أمرى ما استدبرت، ما غسله إلا نساؤه»^(٣).

(١) رواه الحاكم في المستدرک (٧٦/٣) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الحاكم: (٣٦٢/١) والبيهقي: (٥٣/٤) وإسناده صحيح، وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) رواه أبو داود (واللفظ له) - ورواه الحاكم (٧٦/٣) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

ووافقه الذهبي.

صفة كفن النبي ﷺ

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كُفِّنَ رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية^(١)، من كرسف^(٢)، ليس فيها قميص، ولا عمامة، أما الحلة، فإنما شبه على الناس فيها، أنها اشترت له ليكفن فيها، فتركت الحلة، وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية. فأخذها عبد الله بن أبي بكر. فقال: لأحبسها حتى أكفن فيها نفسي، ثم قال: لو رضىها الله عز وجل لنبيه لكفنه فيها. فباعها وتصدق بثمانها^(٣)».

كيف صلوا على رسول الله ﷺ

* لما توفي رسول الله ﷺ قال الناس لأبي بكر (رضي الله عنه).

يا صاحب رسول الله ﷺ: أياصلي على رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قالوا: وكيف؟ قال: يدخل قوم فيكبرون ويصلون ويدعون، ثم يخرجون، ثم يدخل قوم فيكبرون ويصلون ويدعون، ثم يخرجون، حتى يدخل الناس، قالوا: يا صاحب رسول الله! يدفن رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قالوا: أين؟ قال: في المكان الذي قبض الله فيه روحه، فإن الله لم يقبض روحه إلا في مكان طيب. فعلموا أن قد صدق^(٤)،^(٥)

(١) سحولية: بفتح السين وضمها: هي ثياب بيض نقية لا تكون إلا من القطن. وقال آخرون: هي منسوبة إلى سحول مدينة باليمن تحمل منها هذه الثياب.

(٢) الكرسف: القطن.

(٣) أخرجه البخاري (١٢٦٤) الجناز - ومسلم (٩٤١) الجناز - واللفظ له.

(٤) رواه بطوله الترمذي في الشمائل: (٣٧٨) والطبراني في المعجم الكبير: (٦٣٦٧) وقال البوصيري في الزوائد: (٤٠٦/١) هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وأخرجه النسائي في وفاة النبي: (٤٢) وقال الهيثمي في المجمع: (١٨٣/٥) روى ابن ماجه بعضه ورواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٥) قال ابن كثير في «البداية» (٢٨٦/٥): وهذا الصنيع، وهو صلاتهم عليه فرادى لم يؤمهم أحد عليه أمر مُجمع عليه لا خلاف فيه، وقد اختلف العلماء في تعليقه.. وليس لأحد أن يقول لأنه لم يكن لهم إمام، لأننا قد قدمنا أنهم إنما شرعوا في تجهيزه عليه السلام بعد تمام بيعة أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه وقد قال بعض العلماء إنما لم يؤمهم أحد لياثر كل واحد من الناس الصلاة عليه منه إليه، ولتكرر صلاة المسلمين عليه مرة بعد مرة من كل فرد من آحاد الصحابة رجالهم ونسائهم وصبيانهم حتى العبيد والإماء.

كيف دُفن رسول الله ﷺ

* عن عائشة رضى الله عنها قالت: «لما مات رسول الله ﷺ اختلفوا فى اللحد والشق، حتى تكلموا فى ذلك، وارتفعت أصواتهم.

فقال عمر: لا تصخبوا عند رسول الله ﷺ حياً ولا ميتاً، (أو كلمة نحوها). فأرسلوا إلى الشَّقَّاق واللاحد. فجاء اللاحد، فلحدَّ لرسول الله ﷺ. ثم دُفن ﷺ» (١).

* وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال فى مرضه الذى هلك فيه: «ألحدوا لى لحداً، وانصبوا على اللبن نصباً، كما صنع برسول الله ﷺ» (٢).

أين دُفن رسول الله ﷺ

* عن عائشة رضى الله عنها قالت: «لما قبض رسول الله ﷺ اختلفوا فى دفنه. فقال أبو بكر: سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً ما نسيته. قال: (ما قبض الله نبياً إلا فى الموضع الذى يجب أن يُدفن فيه) ادفنوه فى موضع فراشه» (٣).

* وعن سالم بن عبيد رضى الله عنه «قالوا: يا صاحب رسول الله ﷺ أيدفن رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قالوا: أين؟ قال: فى المكان الذى قبض فيه روحه، فإن الله لم يقبض روحه إلا فى مكان طيب..» (٤).

متى دُفن رسول الله ﷺ

* عن عائشة رضى الله عنها قالت: «توفى رسول الله ﷺ يوم الإثنين ودفن ليلة الأربعاء» (٥).

(١) أخرجه ابن ماجه فى الجنايز باب ماجاء فى الشق حديث رقم (١٥٥٨) وقال البوصيرى فى الزوائد: (٥٠٧/١) إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه مسلم (٩٦٦) الجنايز - والنسائي (٨٠/٤).

(٣) رواه الترمذى (١٠١٨) وابن ماجه (١٦٢٨) وهو حسن لشواهده.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) رواه أحمد (٢٥٧/٢١) وانظر السيرة النبوية لابن كثير (٥٣٩/٤).

رَفَعُ

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

عما الذي وُضِعَ في قبره ﷺ

✽ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «جعل في قبر رسول الله ﷺ قطيفة حمراء» (١) (٢).

✽ وفي رواية الترمذي: من طريق محمد بن جعفر عن أبيه قال: «الذي ألحد قبر رسول الله ﷺ أبو طلحة، والذي ألقى القطيفة تحته شقران مولى رسول الله ﷺ. قال جعفر: وأخبرني عبيد الله بن أبي رافع قال: سمعت شقران يقول: أنا والله طرحت القطيفة تحت رسول الله ﷺ في القبر» (٣).

من الذي تولى دفن الحبيب ﷺ

✽ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «دخل قبر رسول الله ﷺ العباس وعلي والفضل، وشق لحده رجل من الأنصار، وهو الذي يشق لحود قبور الشهداء» (٤).

✽ وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: «غسلت رسول الله ﷺ فذهبت أنظر ما يكون من الميت، فلم أر شيئاً، وكان طيباً صلى الله عليه وآله وسلم حياً وميتاً، ولى دفنه وإجناته دون الناس أربعة: علي، والعباس، والفضل، وصالح مولى رسول الله ﷺ، ولحد رسول الله ﷺ لحداً، ونُصب عليه اللبن نصباً» (٥).

لقد أظلمت المدينة بموت رسول الله ﷺ

عن أنس رضي الله عنه قال: «لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضأء منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء وما نقصنا عن النبي ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا» (٦).

(١) القطيفة: كساء له خمل.

(٢) أخرجه مسلم (٩٦٧) الجناز - والترمذي (١٠٤٨).

(٣) رواه الترمذي (١٠٤٧) الجناز.

(٤) ابن الجارود في المنتقى حديث: (٥٤٧) وابن حبان كما في الموارد: (٢١٦١) والإحسان حديث: (٦٥٩٩) والبيهقي في دلائل النبوة: (٢٥٤/٧) وإسناده صحيح.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) رواه الترمذي (١٠٤/١٣) المناقب. وقال: هذا حديث غريب صحيح. وابن ماجه (١٦٣٠) =

• قال الأستاذ سعيد حوى رحمه الله:

قوله: «وما نفضنا عن النبي ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا»: فيه رد على من ادعى أن حال الصحابة ورفيقهم الروحي لا يُفسر بوجود رسول الله ﷺ على رأسهم وهو قول انتشر في هذا العصر ويكفى في رده قوله جل جلاله في حق رسول الله ﷺ: (ويزكيهم) كما أن في هذا الحديث ما يدل على أن الرقي القلبي منوط بالاجتماع مع أهل الحق والارتباط الروحي فيهم ومن ههنا نؤكد على الانتساب للعلماء العاملين والربانيين المخلصين ونؤكد على الأخذ منهم ومجالسة الصالحين من عباد الله^(١).

كَمَ كَانَ عَمْرَهُ ﷺ حِينَ مَاتَ

* عن عائشة رضى الله عنها قالت: «إن رسول الله ﷺ قُبِضَ وهو ابن ثلاث وستين»^(٢).

ذِكْرِيَّاتٌ مُؤَلَّاةٌ

* عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «ذهب رسول الله ﷺ إلى أم أيمن زائراً، وذهبت معه، فقربت إليه شراباً، فإما كان صائماً، وإما كان لا يريد، فرده فأقبلت على رسول الله ﷺ بصاحبه، فقال أبو بكر بعد وفاة رسول الله لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها، فلما انتهينا إليها، بكت، فقال لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله، قالت: والله ما أبكى، أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله، ولكن أبكى، أن الوحي انقطع من السماء... فهيجتهما على البكاء، فجعلتا يبكيان»^(٣).

* وهكذا مات رسول الله ﷺ ولكن سنته باقية إلى يوم القيامة وستبقى سيرته دماءً حيةً تنبض في العروق وتحيا بها القلوب وستبقى لترسم لنا جميعاً منهج حياة طيبة يسعد بها المسلم في الدنيا والآخرة.. بشرط أن يتعاش مع سيرته وسنته بقلبه وجوارحه.

= الجنائز، والحاكم مختصراً (٥٧/٣)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره

الذهبي وصححه الألباني في مختصر الشمائل وصحيح ابن ماجه.

(١) الأساس في السنة وفقهها، السيرة النبوية (١٠٤٦/٢) - دار السلام.

(٢) أخرجه البخارى (٢٥٣٦) المناقب - ومسلم (٢٣٤٩) الفضائل.

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٥٤) فضائل الصحابة.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فيا شباب الصحوة الإسلامية تمسكوا بسنة حبيبكم ﷺ واعرفوا سيرته لتسعدوا في الدنيا بنعمة الاتباع وفي الآخرة بصحبته ﷺ في تلكم الجنة التي أعدّها لكم الرحمن (جل جلاله).. تلكم الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وأخيراً: فمن استفاد من هذا الكتاب فائدة فأرجو ألا يخل عليّ بدعوة صالحة عسى الله أن يتغمّدني برحمته وأن يتقبل مني هذا الجهد المتواضع وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم أدرج في أكفاني وأن يجعله ذخراً لي في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وصلّى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

أفقر خلق الله إلى رحمة الرحيم الغفار

محمود المصري (أبو عمار)

رَفَعُ

عبد الرحمن الفخري
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ
عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ

مراجع الكتاب

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

- ١ - الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني - ط. دار الكتب العلمية.
- ٢ - أسباب النزول: للواحدي - ط. مكتبة الدعوة.
- ٣ - الاستيعاب: لابن عبد البر.
- ٤ - أسد الغابة: لابن الأثير - ط. دار الشعب.
- ٥ - أصحاب الرسول: محمود المصري (أبو عمار) - ط. مكتبة التقوى.
- ٦ - أعلام النبوة: للماوردي - ط. الكليات الأزهرية.
- ٧ - الأساس في السنة: لسعيد حوى - دار السلام.
- ٨ - الإعلام بما في دين النصارى من فساد وأوهام: للقرطبي - دار التراث.
- ٩ - الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة.
- ١٠ - الأحكام السلطانية: للماوردي.
- ١١ - إمتاع الأسماع: للمقريزي.
- ١٢ - إرواء الغليل: للألباني - ط. المكتب الإسلامي.
- ١٣ - البداية والنهاية: ابن كثير - ط. دار الكتب العلمية.
- ١٤ - تاريخ دمشق: لابن عساكر.
- ١٥ - تاريخ الطبري: لابن جرير الطبري - دار المعارف.
- ١٦ - تفسير القرآن العظيم: لابن كثير - دار المعرفة بيروت.
- ١٧ - تهذيب سيرة ابن هشام: عبد السلام هارون - مكتبة السنة.
- ١٨ - تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد: الألباني.
- ١٩ - تهذيب الأسماء واللغات: النووي - دار الكتب العلمية.
- ٢٠ - التبصرة: لابن الجوزي - ط. دار ابن خلدون.
- ٢١ - تفسير الطبري - ط. دار المعرفة.
- ٢٢ - تفسير ابن أبي حاتم - ابن أبي حاتم.
- ٢٣ - تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلاني.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

- ٢٤ - تاريخ إسلام: للنجيب آبادي.
- ٢٥ - تهذيب السنن: لابن القيم.
- ٢٦ - تأملات في السيرة النبوية: محمد السيد الوكيل.
- ٢٧ - الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي - ط. دار الحديث.
- ٢٨ - جامع الأصول: ابن الأثير - ط. دار الفكر.
- ٢٩ - جوامع السير: لابن حزم.
- ٣٠ - جامع البيان: لابن جرير الطبري.
- ٣١ - الجزء من جنس العمل: د. سيد حسين العفاني.
- ٣٢ - الجرح والتعديل: لابن أبي حاتم.
- ٣٣ - الجامع لشعب الإيمان: للبيهقي.
- ٣٤ - حلية الأولياء: لأبي نعيم.
- ٣٥ - حدائق ذات بهجة: عائض القرني - دار ابن حزم.
- ٣٦ - دلائل النبوة: للبيهقي - ط. دار الريان.
- ٣٧ - دلائل النبوة: لأبي نعيم.
- ٣٨ - دراسة مرويات العهد المكي: عادل عبد الغفور.
- ٣٩ - الدرر في اختصار المغازي والسير: ابن عبد البر.
- ٤٠ - دراسة في السيرة: عماد الدين خليل.
- ٤١ - الدر المنثور: السيوطي.
- ٤٢ - رياض الصالحين: للنووي - تحقيق: محمود المصري (أبو عمار).
- ٤٣ - الروض الأنف: للسهيلي.
- ٤٤ - الرياض النضرة في مناقب العشرة: المحب الطبري.
- ٤٥ - الرحيق المختوم: المباركفوري - ط. مكتبة قرطبة.
- ٤٦ - رجال حول الرسول: خالد محمد خالد.
- ٤٧ - رحمة للعالمين: محمد سليمان المنصورفوري.
- ٤٨ - روضة المحبين: ابن القيم.
- ٤٩ - زاد المعاد: ابن القيم - دار الريان.

- ٥٠ - سلسلة الأحاديث الصحيحة: الألباني - المكتب الإسلامي.
- ٥١ - سنن الدارمي - دار الكتب العلمية.
- ٥٢ - سنن النسائي - شرح السيوطي وحاشية السندی - المكتبة العلمية.
- ٥٣ - سنن ابن ماجه - بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي - المكتبة العلمية.
- ٥٤ - سيرة ابن هشام - ط. دار الحديث.
- ٥٥ - السنن الكبرى: للبيهقي.
- ٥٦ - السنة: لابن أبي عاصم.
- ٥٧ - سير أعلام النبلاء: الذهبي - مؤسسة الرسالة.
- ٥٨ - سلسلة معارك الإسلام الفاصلة: محمد أحمد باشميل.
- ٥٩ - السيرة النبوية دروس وعبر: مصطفى السباعي.
- ٦٠ - شرح السنة: للبغوي - المكتب الإسلامي.
- ٦١ - شرح معاني الآثار: للطحاوي.
- ٦٢ - شرح المواهب: للزرقاني.
- ٦٣ - الشفا في التعريف بحقوق المصطفى: القاضي عياض.
- ٦٤ - صحيح سنن ابن ماجه: الألباني - ط. مكتبة التربية.
- ٦٥ - صحيح سنن الترمذي: الألباني - ط. مكتبة التربية.
- ٦٦ - صحيح سنن أبي داود: الألباني - ط. مكتبة التربية.
- ٦٧ - صحيح سنن النسائي: الألباني - ط. مكتبة التربية.
- ٦٨ - صحيح الجامع الصغير وزيادته: الألباني - المكتب الإسلامي.
- ٦٩ - صلاح الأمة في علو الهمة: د سيد حسن العفاني.
- ٧٠ - صدقوا ما عاهدوا: محمود المصري (أبو عمار).
- ٧١ - صحيح مسلم بشرح النووي - ط. قرطبة.
- ٧٢ - صور من حياة الصحابة: عبد الرحمن رأفت الباشا.
- ٧٣ - صفة الصفوة: ابن الجوزي.
- ٧٤ - صحيح ابن خزيمة: تحقيق د. مصطفى الأعظمي والألباني.
- ٧٥ - صحيح الأدب المفرد: الألباني.

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

- ٧٦ - صحابييات حول الرسول ﷺ : محمود المصري (أبو عمار).
- ٧٧ - صور من حياة الأنبياء والصحابه والتابعين. محمود المصري (أبو عمار).
- ٧٨ - صحيح السيرة النبوية: إبراهيم العلي.
- ٧٩ - الطبقات الكبرى: ابن سعد - دار الكتب العلمية.
- ٨٠ - عون المعبود شرح سنن أبي داود - دار الفكر.
- ٨١ - العقد الفريد: لابن عبد ربه.
- ٨٢ - عارضة الأحوذى شرح جامع الترمذى: لابن العربى.
- ٨٣ - عيون الأثر فى فنون المغازى والشمال السير: لابن سيد الناس.
- ٨٤ - فتح البارى شرح صحيح البخارى - دار الريان.
- ٨٥ - فقه السيرة: محمد الغزالي - بتحقيق الألبانى - دار الدعوة.
- ٨٦ - فقه السيرة: محمد سعيد رمضان البوطى - دار السلام.
- ٨٧ - فى ظلال القرآن: سيد قطب - دار الشروق.
- ٨٨ - الفصول فى اختصار سيرة الرسول: ابن كثير.
- ٨٩ - فقه السيرة: منير الغضبان.
- ٩٠ - فضل الله الصمد شرح الأدب المفرد: فضل الله الجيلانى.
- ٩١ - فبهدهم اقتده: عبد العزيز ناصر الجليل.
- ٩٢ - الفتح الربانى بترتيب مسند أحمد بن حنبل على أبواب البخارى: الساعاتى - دار إحياء التراث العربى.
- ٩٣ - فتح مكة: محمد أحمد بشاميل.
- ٩٤ - فىض القدير: المناوى - دار المعرفة.
- ٩٥ - فى موكب الدعوة: محمد الغزالي.
- ٩٦ - قواعد الأحكام فى مصالح الأنام: العز بن عبد السلام.
- ٩٧ - قصص الأنبياء: ابن كثير - مكتبة أبو بكر الصديق.
- ٩٨ - الكشف: للزمخشري.
- ٩٩ - لسان العرب: لابن منظور - دار الفكر.
- ١٠٠ - لطائف المعارف: ابن رجب - دار الجيل.

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

- ١٠١ - مختصر تسلية أهل المصائب: محمد المنبجي - اختصار وتحقيق: محمود المصري (أبو عمار).
- ١٠٢ - مصنف ابن أبي شيبة.
- ١٠٣ - مختصر تفسير ابن كثير: محمد نسيب الرفاعي.
- ١٠٤ - مجمع الزوائد: نور الدين الهيثمي.
- ١٠٥ - ميزان الاعتدال: للذهبي.
- ١٠٦ - معجم الأدباء: ياقوت الحموي.
- ١٠٧ - مختصر الشمائل المحمدية: للألباني.
- ١٠٨ - مختصر سيرة الرسول ﷺ: محمد بن عبد الوهاب.
- ١٠٩ - المجتمع المدني في عهد النبوة: د. أكرم العمري.
- ١١٠ - مستدرک الحاكم وبهامشه تلخيص الذهبي.
- ١١١ - مسند الإمام أحمد.
- ١١٢ - مشكاة المصابيح للتبريزي بتحقيق الألباني.
- ١١٣ - محاسن التأويل: للقاسمي.
- ١١٤ - المطالب العالية: ابن حجر العسقلاني - المكتب الإسلامي.
- ١١٥ - مختصر سيرة الرسول: عبد الله النجدي.
- ١١٦ - من إلهامات الهجرة: محب الدين الخطيب.
- ١١٧ - المصنف: لعبد الرزاق الصنعاني.
- ١١٨ - المعجم الكبير: للطبراني.
- ١١٩ - معرفة السنن والآثار: للبيهقي.
- ١٢٠ - مشكل الآثار: للطحاوي.
- ١٢١ - مسند أبي يعلى الموصلي: تحقيق حسين سليم أسد.
- ١٢٢ - الموطأ: لمالك بن أنس.
- ١٢٣ - المغني: لابن قدامة.
- ١٢٤ - المنهج الحركي للسيرة النبوية: منير الغضبان.
- ١٢٥ - المحلى: لابن حزم.

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

- ١٢٦ - مواقف من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين: محمود المصري (أبو عمار).
- ١٢٧ - المنتقى: لابن الجارود.
- ١٢٨ - مغازى الواقدي.
- ١٢٩ - محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية: الخضرى.
- ١٣٠ - مواقف تربوية من السيرة النبوية: عبد الحميد جاسم البلالى.
- ١٣١ - موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان: نور الدين الهيثمى.
- ١٣٢ - نساء مبشرات بالجنة: أحمد خليل جمعة.
- ١٣٣ - نساء أهل البيت: أحمد خليل جمعة.
- ١٣٤ - نيل الأوطار: للشوكانى.
- ١٣٥ - نصب الراية: للزيلعى.
- ١٣٦ - نضرة النعيم فى مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ.
- ١٣٧ - نور اليقين: محمد الخضرى.
- ١٣٨ - هذا الحبيب يا محب: أبو بكر الجزائري.
- ١٣٩ - وقفات تربوية مع السيرة النبوية: أحمد فريد.
- ١٤٠ - ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون: محمود المصري (أبو عمار).

رفع
عبد الرحمن الفوزى
(أسكنه الله الفردوس)

رَفَعُ

عن (الرحمى) (البحرى)
(السلمى) (البحرى) (البحرى)

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
إهداء واعتراف لأصحاب الفضل	٣
بين يدى الكتاب	٦
مزايا السيرة النبوية وأهمية دراستها	١٠
النسب الشريف للنبي ﷺ	
مكانة النبي ﷺ بين قومه	١٦
خاتم النبيين ﷺ	١٨
الصفات الخلقية للحبيب ﷺ	١٨
وإنك لعلى خلق عظيم	٢١
أسماء النبي ﷺ وكناه	٢٣
أزواج النبي ﷺ (أمهات المؤمنين)	٢٦
أولاد النبي ﷺ	٢٨
صفة النبي ﷺ فى التوراة وتبشير اليهود به	٢٩
إخبار الكهان عن بعثة النبي ﷺ	٣١
حالة المجتمع الجاهلى قبل بعثة الحبيب ﷺ	٣٢
العوادات السيئة فى المجتمع الجاهلى	٣٤
النكاح فى الجاهلية	٣٦
العوادات الحسنة فى المجتمع الجاهلى	٣٧
الباحثون عن الحقيقة	٣٨
قصة حفر زمزم	٤٤
قصة نذر عبد المطلب بأن يذبح أحد أبنائه	٤٦
قصة أصحاب الفيل	٤٨
نعمة امتن الله بها على قريش	٥٢

عن (الرحمى) (البحرى)
(السلمى) (البحرى) (البحرى)

٥٣	زواج عبد الله من آمنه بنت وهب
٥٤	ميلاد النبي ﷺ
٥٥	النور يخرج ليضئ قصور الشام (عند ولادته)
٥٦	استبشار عبد المطلب بميلاد الحفيد المبارك
٥٨	طلع اللبلة نجم أحمد
٥٨	قصة رضاع الحبيب ﷺ
٦٠	حادثة شق الصدر
٦٢	فراق مؤلم
٦٢	وفاة أمه عليه السلام
٦٣	النبي ﷺ يزور قبر أمه
٦٣	(أم أيمن) أمى بعد أمى
٦٣	مكانتها عند رسول الله ﷺ
٦٤	وفاة جده عبد المطلب
٦٤	كان النبي ﷺ يرعى الغنم
٦٥	كفالة أبى طالب لرسول الله ﷺ
٦٦	وعرفت البركة طريقها إلى هذا البيت
٦٦	ويزداد الحب يوماً بعد يوم
٦٧	قصة بحيرا الراهب
٦٨	الله (عز وجل) يعصم نبيه ﷺ من أقدار الجاهلية
٧٠	حرب الفجار
٧١	حلف الفضول
٧٢	زواجه ﷺ من خديجة (رضى الله عنها)
٧٥	منزلة خديجة (رضى الله عنها)
٧٧	النبي ﷺ يشارك فى بناء الكعبة
٨٠	شمس النبوة تشرق على أرض الجزيرة
٨٠	بدء الوحي
٨٢	حزن النبي ﷺ لفتور الوحي
٨٣	كيف كان يأتى الوحي رسول الله ﷺ

٨٥	النبي ﷺ يرى جنة أو جنتين لورقة بن نوفل
٨٥	مراحل الدعوة الإسلامية في حياة النبي ﷺ
٨٥	مرحلة الدعوة السرية
٨٦	حكمة جليلة
٨٦	الرغيل الأول
٨٨	هؤلاء أتباع الرسل
٨٩	أول الناس إسلاماً

الجهرباالدعوة

٩٢	أول أمر بإظهار الدعوة
٩٢	وأندر عشيرتك الأقربين
٩٣	كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته
٩٤	أبعاد تأثير الدعوة على مجتمع مكة
٩٥	الصدع بكلمة الحق وردود فعل المشركين
٩٦	وفد قريش إلى أبي طالب
٩٧	موقف جليل لأبي طالب وقومه
٩٨	قول الوليد بن المغيرة في القرآن
٩٩	

السمات البارزة لهذه المرحلة

١٠١	السمة الأولى: محاولة القضاء على الدعوة بشتى الأساليب
١٠١	وها هم يطلبون الآيات والمعجزات
١٠٤	معجزة انشقاق القمر
١٠٤	السمة الثانية: كثرة الإيذاء للنبي ﷺ وأصحابه
١٠٥	إيذاء أبي جهل للنبي ﷺ
١٠٥	إيذاء أبي لهب للنبي ﷺ
١٠٦	وامرأته حمالة الخطب
١٠٧	ما فعله الله في ابن أبي لهب
١٠٨	كيف كانت نهاية أبي لهب
١٠٩	

رفع
عن الشيخ محمد بن عبد الله
المكي (رحمته الله)

- وتلك نهاية امرأته ١٠٩
- إيذاء عقبة بن أبى معيط للنبي ﷺ ١١٠
- أتقتلون رجلاً أن يقول: ربي الله؟! ١١١
- محاولة لقتل النبي ﷺ ١١٣
- إيذاء المشركين لأصحاب سيد المرسلين ﷺ ١١٣
- ما حدث لأبى بكر (رضى الله عنه) ١١٤
- ما حدث لعثمان (رضى الله عنه) ١١٤
- ما حدث لمصعب بن عمير (رضى الله عنه) ١١٤
- ما حدث لأبى ذر (رضى الله عنه) ١١٥
- تعذيب الموالي ١١٥
- بلال يردد نشيده الخالد: أحدٌ أحدٌ ١١٥
- اصبروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة ١١٦
- وكان حظ (خباب) من العذاب كبيراً ١١٧
- وهكذا عذبوا في سبيل الله (جل وعلا) ١١٧
- السمة الثالثة: النبي ﷺ يربي أصحابه على الصبر على الإيذاء ١١٨
- حكمة جلييلة ١٢٠
- في دار الأرقم ١٢٢
- أسلم هؤلاء على الرغم من أذى المشركين ١٢٢
- إسلام حمزة (رضى الله عنه) ١٢٣
- إسلام عمرو بن عبسة (رضى الله عنه) ١٢٤
- إسلام ضماد الأزدي (رضى الله عنه) ١٢٥
- إسلام أبى ذر (رضى الله عنه) ١٢٦
- السمة الرابعة: النبي ﷺ يربي أصحابه على العقيدة الصحيحة ١٢٧
- السمة الخامسة: المشركون يعرضون المال والنساء والمناصب على النبي ﷺ فلا يقبلها ١٣٠
- السمة السادسة: النبي ﷺ ييثر أصحابه بنصر الله والتمكين لدينه ١٣١
- إن التغيير لا بد أن يبدأ من القاعدة ١٣٤
- أول من جهر بالقرآن ١٣٥
- ما فعله النبي ﷺ وأصحابه بأصنام المشركين ١٣٥

رفع

عبد الرحمن الحمري
(أسكنه الله الفردوس)

- ١٣٧ الهجرة الأولى إلى الحبشة
- ١٣٨ مفاجأة لا تخطر على البال
- ١٣٩ الهجرة الثانية إلى الحبشة
- ١٤٤ إسلام عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)
- ١٤٥ عمر (رضى الله عنه) يعلن إسلامه أمام المشركين
- ١٤٦ النبي ﷺ يدعو لعمر بعد إسلامه
- ١٤٦ إن إسلام (عمر) كان فتحاً
- ١٤٧ الصحيفة الظالم والمقاطعة العامة
- ١٤٨ كانت قريش بين راضٍ وكاره
- ١٤٨ نقض الصحيفة
- ١٤٩ عام الحزن
- ١٤٩ هكذا يكون الوفاء
- ١٥٠ كان النبي ﷺ يتابع عمه بالدعوة حتى آخر لحظة
- ١٥١ هو في ضحضاح من نار
- ١٥٢ زواج النبي ﷺ بسودة ثم عائشة (رضى الله عنهما)
- ١٥٤ إنا كفيناك المستهزئين
- ١٥٥ ويوم يعرض الظالم على يديه
- ١٥٦ النبي ﷺ يدعو على قريش
- ١٥٧ أرضى بجوار الله عز وجل
- ١٥٨ عثمان بن مظعون يرد جوار الوليد بن المغيرة
- ١٥٩ قصة ابن أم مكتوم (رضى الله عنه)
- ١٦٠ النبي ﷺ يخرج ليدعو أهل الطائف
- ١٦١ اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي
- ١٦٢ إسلام «عداس»
- ١٦٢ الله (عز وجل) يرسل إليه جبريل وملك الجبال (عليهما السلام)
- ١٦٣ إسلام نفر من الجن في وادي نخلة
- ١٦٤ الإسراء والمعراج

١٦٥	مشاهد الإسراء والمعراج
١٦٨	آن الأوان لانتقال القيادة الروحية من أمة إلى أمة
١٦٩	هل رأى النبي ﷺ ربه (عز وجل)؟
١٦٩	الله (عز وجل) يُجَلِّي بيت المقدس للنبي ﷺ
١٧٠	بعض ما رآه النبي ﷺ
١٧١	موقف الصديق (رضى الله عنه) فى قصة الإسراء والمعراج
١٧١	المسجد الأقصى الذى باركنا حوله
١٧٢	النبي ﷺ يعرض نفسه على القبائل
١٧٤	إسلام (إياس بن معاذ)
١٧٤	إسلام (سويد بن صامت)
١٧٥	ست نسمات طيبة من أهل يثرب
١٧٦	• بيعة العقبة الأولى
١٧٧	سفير الدعوة الأول إلى المدينة
١٧٩	• بيعة العقبة الثانية
١٨٠	سلعة ثمنها الجنة
١٨١	(كعب بن مالك) يصف هذا الحدث التاريخى العظيم
١٨٢	العباس يحضر مع النبي ﷺ ويتوثق له
١٨٢	هؤلاء هم الرجال
١٨٣	شيطان يكشف المعاهدة
١٨٣	فطنة النبي ﷺ وحكمته
١٨٣	قريش... وخوفها من تلك البيعة
١٨٤	أسماء النُقباء
١٨٤	تلك هى بيعة العقبة
١٨٦	فائدة جلية

الهجرة من مكة إلى المدينة

١٨٧	النبي ﷺ يرى فى منامه موطن الهجرة
١٨٨	النبي ﷺ يأذن لأصحابه بالهجرة

١٨٩	السابقون إلى الهجرة
١٨٩	إنه الإيمان الذي يزن الجبال
١٩٠	هجرة أبي سلمة وزوجه رضى الله عنهما
١٩٢	قصة عياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص
١٩٣	هجرة رغم أنوف المشركين
١٩٣	وقفة جليلة
١٩٤	(سالم مولى أبي حذيفة) يوم المسلمين قبل مقدم النبي ﷺ
١٩٤	هجرة الرسول ﷺ وصاحبه (رضى الله عنه)
١٩٥	الإذن للنبي ﷺ بالهجرة
١٩٥	جبريل (عليه السلام) يخبر النبي ﷺ بصحبة أبي بكر
١٩٥	فى دار الندوة
١٩٦	على (رضى الله عنه) ينام على فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة
١٩٨	وها هو حديث الهجرة المباركة
١٩٨	فى الغار
١٩٩	محبة تفوق الخيال
٢٠٠	وما يعلم جنود ربك إلا هو
٢٠١	ما ظنك بأتين الله ثالثهما
٢٠٣	ذات النطاقين
٢٠٣	سرعة بديهة وحسن تصرف
٢٠٤	معجزة للنبي ﷺ ومنحة من الرب العلى
٢٠٥	قصة سراقه بن مالك
٢٠٦	فطنة وذكاء من أبى بكر (رضى الله عنه)
٢٠٧	قصة أم معبد الخزاعية
٢٠٩	موقف الزبير (رضى الله عنه) مع النبي ﷺ وأبى بكر (رضى الله عنه)
٢٠٩	سنة من سنن الأنبياء (صلوات ربى وسلامه عليهم)
٢١٠	هجرة لا تنتهى إلى قيام الساعة
٢١١	وصول النبي ﷺ إلى المدينة
٢١١	النبي ﷺ يؤسس مسجد قباء

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

٢١٢	أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ
٢١٢	متى دخل النبي ﷺ المدينة
٢١٢	فرح أهل المدينة بمقدم رسول الله ﷺ
٢١٣	الحبشة يلعبون بالحراة فرحاً بالرسول ﷺ
٢١٣	المدينة تضيء لمقدم النبي ﷺ
٢١٣	نزول النبي ﷺ بفناء أبي أيوب (وبناء المسجد)
٢١٤	المشاركة في بناء المسجد
٢١٥	صفة المسجد النبوى
٢١٥	النبي ﷺ ينزل في ضيافة أبي أيوب الأنصارى
٢١٦	وهكذا يكون الأدب مع رسول الله ﷺ
٢١٧	وهكذا اجتمع الأحباب
٢١٧	قصة إسلام (عبد الله بن سلام)
٢١٩	ربح صهيب.. ربح صهيب
٢١٩	إصابة المهاجرين بحمى المدينة
٢٢٠	مرض أمنا عائشة (رضى الله عنها)
٢٢٠	اللهم حبب إلينا المدينة
٢٢١	من فضائل المدينة المنورة
٢٢٢	كيف أسس النبي ﷺ للإسلام دولة
٢٢٤	المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار
٢٢٥	سعد بن الربيع.. وعبد الرحمن بن عوف
٢٢٦	أصحاب النبي ﷺ.. والعقيدة الراسخة
٢٢٧	أول مولود في دار الهجرة
٢٢٧	خير الأذان
٢٢٨	حادثة تحويل القبلة
٢٢٩	الحكمة في تحويل القبلة
٢٢٩	مشروعية الصيام والزكاة وصدقة الفطر
٣٣٠	قرش تتصل برأس المنافقين للتعاون على إيذاء النبي ﷺ
٣٣١	سعد بن معاذ (رضى الله عنه).. ومحاولة منعه من الطواف بالبيت

- ٣٣٢ والله يعصمك من الناس
٣٣٢ الإذن بالقتال

الغزوات والسرايا قبل بدر

- ٣٣٤
٣٣٥ غزوة ودّان «الأبواء»
٢٣٥ سرية عبيدة بن الحارث
٢٣٥ سرية حمزة إلى سيف البحر
٢٣٦ غزوة بواط
٢٣٦ غزوة العشيرة
٢٣٦ سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخرار
٢٣٦ غزوة بدر الأولى (الصغرى)
٢٣٧ سرية عبد الله بن جحش

غزوة بدر الكبرى

- ٢٤٠
٢٤١ النبى ﷺ يرسل العيون ليأتوه بخبر العير
٢٤١ أحداث الغزوة
٢٤٢ النبى ﷺ يشاور أصحابه بالمدينة
٢٤٢ قوة الجيش .. وتوزيع القيادات
٢٤٤ النبى ﷺ يرد صغار السن
٢٤٤ ارجع فلن أستعين بمشرك
٢٤٥ الجيش الإسلامى يتحرك نحو بدر
٢٤٥ خوف بعض أئمة الكفر من الخروج
٢٤٦ أهل مكة يخرجون للغزو
٢٤٦ قوام الجيش المكى
٢٤٦ الشيطان يخدع قريشاً
٢٤٧ نفى لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم
٢٤٧ هذا مصرع فلان
٢٤٧ ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

- ٢٤٨ موقف حرج للجيش الإسلامى
- ٢٤٩ أشيروا على أيها الناس
- ٢٥١ النبى ﷺ يبعث استخباراته ليعرف أخبار العدو
- ٢٥٢ الانشقاق بين صفوف المشركين
- ٢٥٣ النبى ﷺ يصلى ويدعو حتى أصبح
- ٢٥٤ أهمية التضرع إلى الله وشدة الاستعانة به
- ٢٥٥ الله يرسل المطر ليربط على قلوب الموحدين
- ٢٥٦ عريش القيادة النبوية يوم بدر
- ٢٥٦ أردت أن يكون آخر العهد بك
- ٢٥٧ النبى ﷺ يدعو لأصحابه
- ٢٥٧ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم
- ٢٥٨ أول وقود المعركة
- ٢٥٨ هذان خصمان اختصموا فى ربهم
- ٢٦٠ كسر هجمات المشركين بالنبل
- ٢٦٠ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى
- ٢٦١ النبى ﷺ يرتقى بأرواحهم إلى جنة الرحمن
- ٢٦١ الله (عز وجل) يؤيدهم بملائكته
- ٢٦٣ وما يعلم جنود ربك إلا هو
- ٢٦٣ قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض
- ٢٦٤ ما الذى يضحك الرب من عبده؟! ..
- ٢٦٤ مصرع أبى جهل
- ٢٦٦ فرعون هذه الأمة
- ٢٦٦ مصرع أمية بن خلف
- ٢٦٧ إنا كفيناك المستهزئين
- ٢٦٩ إنه فى جنة الفردوس
- ٢٦٩ مصرع (عبيد بن سعيد بن العاص) على يد (الزبير)
- ٢٧٠ أسد الله الغالب.. على بن أبى طالب
- ٢٧٠ (سعد) يقاتل قتال الفارس والراجل

٢٧٠	صور مشرقة من الولاء والبراء
٢٧١	موقف عظيم فى الولاء والبراء لمصعب بن عمير (رضى الله عنه)
٢٧٢	أبو عبيدة (رضى الله عنه) ودرس فى الولاء والبراء
٢٧٢	أئمة الكفر يُقذفون فى القليب
٢٧٣	النبي ﷺ يدعو لأبى حذيفة
٢٧٣	هؤلاء خرجوا كرهاً
٢٧٤	النبي ﷺ يقيم فى بدر ثلاثاً
٢٧٥	القتلى من المشركين .. والشهداء من المسلمين
٢٧٥	قتل النضر بن الحارث
٢٧٥	قتل عقبة بن أبى معيط (فى طريق العودة إلى المدينة)
٢٧٦	بشائر النصر تصل إلى المدينة المنورة
٢٧٨	قريش تتلقى نبأ الهزيمة
٢٧٨	تقسيم الغنائم
٢٧٩	لولا كتاب من الله سبق
٢٧٩	فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم
٢٨٠	ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يُتخن فى الأرض
٢٨١	فداء الأسرى
٢٨١	رحمة للعالمين
٢٨٢	زينب بنت رسول الله ﷺ تبعث بفداء زوجها أبى العاص بن الربيع
٢٨٢	قصة فداء العباس (عم النبى ﷺ)
٢٨٣	لو كان حياً لأطلقتهم له
٢٨٣	عدد من حضر بدرًا
٢٨٤	فضل من شهد بدرًا من المسلمين
٢٨٥	يا له من عيد

فى أعقاب بدر

٢٨٦	النبي ﷺ بينى بعائشة (رضى الله عنها)
٢٨٧	النبي ﷺ يتزوج حفصة بنت عمر (رضى الله عنهما)

٢٨٨	(علیّ) یتزوج (فاطمة) - رضی اللہ عنہما -
٢٨٨	هذا مهر فاطمة (رضی اللہ عنہا)
٢٨٨	وهذا جهازها (رضی اللہ عنہا)
٢٨٩	توثیق الصلوات بالرجال الأربعة
٢٨٩	مؤامرة لقتل النبی ﷺ
٢٩١	غزوة بنی سلیم بالكُدُر
٢٩٢	غزوة السوق
٢٩٣	غزوة ذی أمر
٢٩٣	غزوة بخران
٢٩٣	سرية زيد بن حارثة إلى (القرَد)
٢٩٤	هؤلاء هم اليهود
٢٩٥	إجلاء يهود بنی قينقاع
٢٩٦	أين الرجال
٢٩٦	موقف رأس المنافقين
٢٩٧	مقتل كعب بن الأشرف
٢٩٨	النبي ﷺ يودعهم ويدعو لهم
٢٩٩	شبهة.. والرد عليها

غزوة أحد

٣٠٠	
٣٠١	النبي ﷺ يستشير أصحابه.. والرؤيا التي رآها
٣٠٢	جحافل الشرك تتحرك
٣٠٢	العباس يخبر النبي ﷺ بتحركات المشركين
٣٠٢	الحالة في المدينة
٣٠٣	وخرج النبي ﷺ لملاقاة قريش
٣٠٣	ظاهر النبي ﷺ بين درعين أخذاً بالأسباب
٣٠٤	إنّا لا نستعين بالمشركين على المشركين
٣٠٤	النبي ﷺ يستعرض الجيش
٣٠٥	انخدال المنافقين ورجوعهم

- ٣٠٥ فما لكم فى المنافقين فئتين
- ٣٠٥ إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا... والله وليهما
- ٣٠٦ الجيش الإسلامى يواصل سيره إلى العدو
- ٣٠٧ وصية النبى ﷺ للرؤماة
- ٣٠٧ حقاً إنها خطة حكيمة
- ٣٠٨ من يأخذ هذا السيف بحقه
- ٣٠٩ أبو عامر الفاسق يحرض على المسلمين
- ٣١٠ جهود نسوة قریش فى التحميس
- ٣١٠ هذا هو الزبير بن العوام (رضى الله عنه)
- ٣١٠ واندلعت نيران المعركة
- ٣١١ وكانت الدولة أول النهار للمسلمين
- ٣١٢ الأسد فى أرض المعركة يقاتل بسيفين
- ٣١٢ النبى ﷺ يعلم أصحابه فى أرض الجهاد
- ٣١٢ ولقد صدقكم الله وعده
- ٣١٣ كافرٌ خُسف به
- ٣١٣ غلطة الرُماة التى غيّرت سير المعركة
- ٣١٤ خالد بن الوليد يقتنم تلك الفرصة
- ٣١٤ إشاعة خبر مقتل النبى ﷺ
- ٣١٥ إصابة النبى ﷺ
- ٣١٦ الذين ثبتوا مع النبى ﷺ
- ٣١٦ سبعة من الأنصار يبذلون حياتهم دفاعاً عن النبى ﷺ
- ٣١٦ سعد بن أبى وقاص يدافع عن النبى ﷺ يوم أحد
- ٣١٧ أوجب طلحة (رضى الله عنه) يوم أحد
- ٣١٩ أبو طلحة (رضى الله عنه) ودفاعه عن النبى ﷺ
- ٣٢٠ هذا هو على بن أبى طالب (رضى الله عنه)
- ٣٢٠ فطنة وذكاء... وحبٌ ووفاء
- ٣٢١ الملائكة يدافعون عن النبى ﷺ
- ٣٢١ طلحة ينهض بالنبى ﷺ

- ٣٢١ هكذا كانت المرأة المسلمة
- ٣٢٢ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانةً ناعساً
- ٣٢٣ صفحات مضيئة مع باقة من شهداء أحد
- ٣٢٣ استشهاد حمزة أسد الله وأسود رسول الله ﷺ
- ٣٢٤ التمثيل بجسده الطاهر - رضى الله عنه -
- ٣٢٥ قصة استشهاد أنس بن النضر (رضى الله عنه)
- ٣٢٦ هكذا كان أصحاب النبي ﷺ
- ٣٢٦ قصة استشهاد عبد الله بن حرام (والد جابر) - رضى الله عنهما -
- ٣٢٧ الملائكة تظله بأجنحتها
- ٣٢٧ الله يكلمه بغير حجاب
- ٣٢٨ استشهد حنظلة (رضى الله عنه) فغسلته الملائكة
- ٣٢٨ دخل الجنة.. وما صلى لله صلاة واحدة
- ٣٢٩ استشهاد اليمان (والد حذيفة) - رضى الله عنهما -
- ٣٣٠ استشهاد عبد الله بن جحش (رضى الله عنه)
- ٣٣١ عمرو بن الجموح يظأ برجله فى الجنة
- ٣٣٢ سعد بن الربيع... ووصيته الغالية للأنصار
- ٣٣٢ مصعب بن عمير.. والشهادة فى سبيل الله
- ٣٣٣ قصة قُزَمان
- ٣٣٤ أبو سفيان يتفاخر على المسلمين بعد المعركة
- ٣٣٥ النبي ﷺ يتثبت من عودة المشركين إلى مكة
- ٣٣٥ صلاة النبي ﷺ على شهداء أحد
- ٣٣٧ عدد الشهداء من الصحابة (رضى الله عنهم)
- ٣٣٨ بل أحياء عند ربهم يُرزقون
- ٣٣٨ دفن الشهداء وتقديم الأحفظ للقرآن
- ٣٣٩ النبي ﷺ يُثنى على الله (عز وجل)
- ٣٤٠ هذا جبل يحبنا ونحبه
- ٣٤٠ من نواذر الحب والتضحية
- ٣٤٠ النبي ﷺ يشهد لهؤلاء شهادة غالية

- ٣٤١ • غزوة حمراء الأسد
- ٣٤٢ شبهة... والرد عليها
- ٣٤٢ الاحكام الفقهية التي اشتملت عليها الغزوة
- ٣٤٤ الحكم والغايات المحمودة التي كانت في غزوة أحد
- ٣٤٧ من آثار غزوة أحد
- ٣٤٧ (عبد الله بن أنيس) يقتل عدو الله (خالد بن سفيان الهذلي)
- ٣٤٨ • يوم الرجيع
- ٣٤٩ وما هي تفاصيل يوم الرجيع
- ٣٥٠ احفظ الله يحفظك
- ٣٥٢ • حادثة بئر معونة
- ٣٥٢ هكذا قتلوا غدراً
- ٣٥٣ (عامر بن فهيرة) رُفِعَ إلى السماء بعدما قُتِلَ
- ٣٥٣ كانوا يقولون: إن الملائكة دفنته
- ٣٥٤ فزت ورب الكعبة
- ٣٥٤ ما الذي فعله (عمرو بن أمية) في طريق عودته
- ٣٥٥ النبي ﷺ يدعو على قتلة القراء
- ٣٥٥ • غزوة بني النضير
- ٣٥٧ ونزلت سورة الحشر في بني النضير
- ٣٥٧ اليهود هم اليهود
- ٣٥٨ • غزوة بدر الثانية
- ٣٥٨ • غزوة دومة الجندل
- ٣٥٩ غزوة بني المصطلق (المريسيه)
- ٣٦٠ دور المنافقين قبل غزوة بني المصطلق
- ٣٦١ متى كانت تلك الغزوة
- ٣٦٢ أحداث الغزوة
- ٣٦٣ شعار المسلمين في غزوة بني المصطلق

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

٣٦٣	كان إسلامها وزواجها سبباً في حصول الخير لقومها
٣٦٤	ودخلت بيت النبوة
٣٦٥	محاولة المنافقين إثارة الفتنة بين المسلمين في هذه الغزوة
٣٦٥	إن الله قد صدّقك يا زيد
٣٦٦	لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمرى
٣٦٧	موقف عظيم في الولاء والبراء
٣٦٨	فوائد جلية
٣٦٩	والله يعصمك من الناس
٣٧٠	هبوب ريح شديدة لموت عظيم من المنافقين

قصة الإفك

٣٧٠	
٣٧١	الصدّيقة وشدة البلاء
٣٧٢	المبرأة من فوق سبع سماوات
٣٧٣	هموم وأحزان تفتت الجبال
٣٧٤	والله ما علمت على أهلى إلا خيراً
٣٧٤	كلمات تجعل القلب يبكى الدماء بدل الدموع
٣٧٥	فصير جميل
٣٧٥	هكذا نزلت براءتها من فوق سبع سماوات
٣٧٦	ساعات المحنة
٣٧٧	وقفة غالية

غزوة الخندق (الأحزاب)

٣٧٩	
٣٧٩	سبب تسميتها بالخندق أو الأحزاب
٣٨٠	متى كانت
٣٨١	بين يدي الغزوة
٣٨١	سبب الغزوة
٣٨٢	حفر الخندق
٣٨٤	معجزات الرسول ﷺ في غزوة الخندق

- ٣٨٦ موقف المؤمنين والمنافقين عند رؤية الأحزاب
- ٣٨٦ موقف مخز للمنافقين
- ٣٨٧ والله لا نعطيهم إلا السيف
- ٣٨٧ شغلهم المشركون عن الصلاة
- ٣٨٨ هكذا تكون البطولة
- ٣٨٩ سعد بن أبي وقاص يرمى رجلاً فيضحك النبي ﷺ
- ٣٨٩ خيانة اليهود
- ٣٩٠ إصابة سعد بن معاذ (رضي الله عنه)
- ٣٩١ محاولة فاشلة عند حصون النساء
- ٣٩٢ إنها لم تكن معركة خسائر بل معركة أعصاب
- ٣٩٣ رجل المهمات الصعبة
- ٣٩٣ نعيم بن مسعود ... ودوره الخالد
- ٣٩٤ ماذا قدمت لدين الله؟
- ٣٩٧ حذيفة يأتيهم بخبر القوم
- ٣٩٨ الدعاء .. ومفاتيح النصر
- ٣٩٩ العناية الإلهية تتدخل لتحسم الأمر
- ٤٠٠ نصر الله رسوله ﷺ بريح الصبا
- ٤٠٠ الآن نغزوهم ولا يغزوننا

غزوة بنى قريظة

- ٤٠١ مشاركة جبريل (عليه السلام) في محاربتهم
- ٤٠٢ لا يصلين أحد العصر إلا في بنى قريظة
- ٤٠٣ يا إخوان القردة .. هل أخزاكم الله؟
- ٤٠٣ في الطريق إليهم
- ٤٠٤ النبي ﷺ يحاصرهم ... وكعب بن أسد يشاورهم
- ٤٠٤ دعوه حتى يتوب الله عليه
- ٤٠٥ لقد حكمت فيهم بحكم الله
- ٤٠٦ أدب صديق الأنصار (سعد بن معاذ) مع النبي ﷺ

عبد الرحمن بن عوف
عن النبي ﷺ

- ٤٠٧ كيف مَزَّ النبي ﷺ بين الصغار والبالغين من بني قريظة
- ٤٠٧ عدد بني قريظة الذين قتلهم النبي ﷺ
- ٤٠٨ إسلام بعض يهود بني قريظة
- ٤٠٨ كيف نزل اليهود من حصونهم
- ٤٠٨ تنفيذ الحكم
- ٤٠٩ قصة المرأة العجيبة التي قُتلت من بني قريظة
- ٤١٠ قَسَمَ فيء بني قريظة
- ٤١٠ ربحانة الحبيب ﷺ
- ٤١١ عرش الرحمن يهتز لموت سعد بن معاذ
- ٤١١ الملائكة تحمل جنازة سعد
- ٤١٢ سعد بن معاذ وضمة القبر
- ٤١٣ مناديل سعد بن معاذ في الجنة

٤١٤ أحداث وقعت بعد غزوة بني قريظة

- ٤١٤ زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش (رضي الله عنها)
- ٤١٥ وهكذا أصبحت أمًا للمؤمنين
- ٤١٥ نزول الحجاب
- ٤١٦ الله يأمر بزواجها من فوق سبع سماوات
- ٤١٧ مقتل أبي رافع (سلام بن أبي الحقيق)
- ٤٢٠ غزوة بني لحيان
- ٤٢٢ سرية نجد وقصة إسلام ثمامة بن أثال
- ٤٢٣ ثبات على المبدأ
- ٤٢٤ قصة العُرنين

٤٢٥ صلح الحديبية

- ٤٢٥ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق
- ٤٢٦ وقت الغزوة
- ٤٢٧ عدد المسلمين الذين كانوا مع النبي ﷺ

- ٤٢٨ تخلف المنافقين عن الخروج
- ٤٢٩ النبي ﷺ يحرم من ذى الخليفة
- ٤٢٩ المسلمون يتحركون إلى مكة
- ٤٢٩ محاولة قريش صد المسلمين عن البيت
- ٤٣٠ حبسها حابس الفيل
- ٤٣٠ تعظيم حرّمات الله تعالى
- ٤٣١ لا يجوز أحد الليلة هذه الثنية إلا غفر له
- ٤٣١ معجزات النبي ﷺ في قصة الحديبية
- ٤٣٢ بديل بن ورقاء يتوسط بين النبي ﷺ وقريش
- ٤٣٣ سفارة قريش
- ٤٣٣ إرسال سيد الأحابيش للتفاوض مع النبي ﷺ
- ٤٣٤ عروة بن مسعود يفوض النبي ﷺ
- ٤٣٥ هكذا يكون الولاء والبراء لله ولرسوله ﷺ
- ٤٣٥ شيء يفوق خيال المشركين
- ٤٣٦ سفير النبي ﷺ
- ٤٣٧ النبي ﷺ يرسل عثمان بن عفان إلى قريش
- ٤٣٨ إشاعة مقتل عثمان... وبيعة الرضوان
- ٤٣٨ قيام معقل بن يسار برفع أغصان الشجرة لثلاث تصطدم بالرسول عليه السلام
- ٤٣٨ أول من بايع رسول الله ﷺ
- ٤٣٩ من تخلف عن البيعة
- ٤٣٩ سلمة بن الأكوع يبايع رسول الله ﷺ ثلاث مرات
- ٤٤٠ النبي ﷺ يبايع عن عثمان (رضى الله عنه)
- ٤٤٠ على أي شيء يبايع الصحابة رسول الله ﷺ يوم الحديبية
- ٤٤٢ نزول المطر على المسلمين يوم الحديبية
- ٤٤٢ سهل لكم من أمركم
- ٤٤٣ اعتذار (على) عن محو الشهادة للنبي بالرسالة
- ٤٤٣ شروط الصلح وبنوده
- ٤٤٤ أبو جندل... وثباته على الحق

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

- ٤٤٥ اعتراض عمر بن الخطاب على بنود الصلح
 ٤٤٦ أم سلمة (رضى الله عنها)... صاحبة الرأي السديد
 ٤٤٧ كان صلح الحديبية فتحاً عظيماً
 ٤٤٧ إسلام أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط
 ٤٤٨ النبي ﷺ يبايع النساء
 ٤٤٨ قصة أبي بصير (رضى الله عنه)
 ٤٥٠ إسلام (أبي العاص بن الربيع)
 ٤٥١ ماذا يتمخض عن بنود المعاهدة
 ٤٥٣ منزلة أهل الحديبية
 ٤٥٣ بعض الفوائد الفقهية المستفادة من قصة الحديبية
 ٤٥٦ بعض الحكم التي تضمنتها هذه الهدنة

مكاتبة الملوك والأمراء

- ٤٥٨ كتابه ﷺ إلى النجاشي (ملك الحبشة)
 ٤٥٩ كتابه ﷺ إلى كسرى (ملك فارس)
 ٤٦٠ كتابه ﷺ إلى قيصر (ملك الروم)
 ٤٦٣ كتابه ﷺ إلى المقوقس (ملك مصر)
 ٤٦٤ كتابه ﷺ إلى الحارث الغساني (صاحب دمشق)
 ٤٦٤ كتابه ﷺ إلى هوزة بن علي (صاحب اليمامة)
 ٤٦٥ كتابه ﷺ إلى المنذر بن ساوى (حاكم البحرين)
 ٤٦٥ كتابه ﷺ إلى ملك عمان

غزوة ذي قرد (غزوة الغابة)

- ٤٦٧ وقتها
 ٤٦٨ أحداث الغزوة
 ٤٧٢ سباق بين سلمة بن الأكوع ورجل من الأنصار
 ٤٧٢ قصة المرأة التي أسرت مع ناقة رسول الله ﷺ

رفع
 عن الشيخ المحقق
 السيد (الشيخ) الموسوي

غزوة خيبر

- ٤٧٤ سبب الغزوة
- ٤٧٤ متى كانت تلك الغزوة
- ٤٧٥ وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها
- ٤٧٦ النبي ﷺ يستعمل على المدينة (سباع بن عرفة)
- ٤٧٦ رأس المنافقين يخبر اليهود بمقدم النبي ﷺ
- ٤٧٧ خطة مباركة
- ٤٧٧ حذاء (عامر بن الأكوع) بجيش المسلمين
- ٤٧٨ إنكم تدعون سميحاً قريباً
- ٤٧٩ طعام المسلمين في طريقهم إلى خيبر
- ٤٧٩ الجيش الإسلامي يتحرك إلى أسوار خيبر
- ٤٨٠ وأمرهم شورى بينهم
- ٤٨٠ حصون خيبر
- ٤٨١ صاحب الراية الذي يفتح الله على يديه حصون خيبر
- ٤٨٢ (عليّ) يقتل (مرحب اليهودي)
- ٤٨٣ فتح حصن الصعب بن معاذ
- ٤٨٥ فتح قلعة الزبير
- ٤٨٦ فتح قلعة أبيّ
- ٤٨٦ فتح حصن النزار
- ٤٨٦ فتح الشطر الثاني من خيبر
- ٤٨٧ النبي ﷺ يعالج سلمة بن الأكوع
- ٤٨٧ إن تصدّق الله يصدّقك
- ٤٨٨ أما إنه من أهل النار
- ٤٨٨ قصة عبد الله بن مغفل (وجراب الشحم)
- ٤٨٩ إن صاحبكم غلّ في سبيل الله
- ٤٨٩ وبذلك تم فتح خيبر
- ٤٩٠ النبي ﷺ يتزوج صفية بنت حُي بن أخطب
- ٤٩٢ مهرها
- ٤٩٣

فتح
عبد الرحمن النخعي
المكتبة النهرية (البرود)

٤٩٤	بالمؤمنين رءوفٌ رحيم
٤٩٤	فى بيت النبوة
٤٩٥	يهودية تضع للنبي ﷺ شاةً مسمومة
٤٩٦	هل قتل النبي ﷺ المرأة التى وضعت السم
٤٩٧	شدة تأثر النبي ﷺ بالسم
٤٩٧	قسمة الغنائم
٤٩٨	كيفية القسمة
٤٩٨	سهم ذوى القربى
٤٩٩	إعطاء العبيد من الغنائم وعدم الإسهام لهم
٤٩٩	إعطاء النبي عليه السلام للنساء من الغنائم والإسهام لهن من الثمار
٤٩٩	قصة أبى هريرة مع أبان بن سعيد بن العاص فى قسمة الغنائم
٥٠٠	رد المهاجرين المنائح التى أعطاهم إياها الأنصار
٥٠٠	تأمر أحد الأنصار على خير
٥٠١	قدوم جعفر بن أبى طالب والأشعرين
٥٠٢	قصة الحجاج بن علاط مع أهل مكة
٥٠٣	الأحكام الفقهية المستفادة من غزوة خير
٥٠٦	فتح فذك
٥٠٦	مسير النبي ﷺ إلى وادى القرى
٥٠٧	استسلام يهود تيماء
٥٠٧	وأقم الصلاة لذكرى

السرايا التى كانت بعد خيبر

٥٠٨	سرية أبى بكر الصديق إلى بنى فزارة
٥٠٨	سرية غالب بن عبد الله الليثى إلى الحركات
٥٠٩	سرية غالب بن عبد الله الليثى لبنى الملوخ بالكديد
٥١٠	بعث سرية إلى (إضم).. وقصة محلّم بن جثامة
٥١٢	سرية عبد الله بن حذافة السهمى (رضى الله عنه)

غزوة ذات الرقاع

- ٥١٤ متى كانت تلك الغزوة
 ٥١٤ جئتكم من عند خير الناس
 ٥١٥ موقف يعجز القلم عن وصفه
 ٥١٦ أثر هذه الغزوة
 ٥١٧ قصة جمل جابر بن عبد الله (رضى الله عنه)
 ٥١٨

عمرة القضاء

- ٥١٨ متى كانت عمرة القضاء
 ٥١٩ ارملوا ليرى المشركون قوتكم
 ٥١٩ خلوا بنى الكفار عن سبيله
 ٥٢٠ خوف الصحابة على النبي ﷺ
 ٥٢١ النبي ﷺ يتزوج ميمونة بنت الحارث (رضى الله عنها)
 ٥٢١ المشركون يطلبون من النبي ﷺ أن يخرج من مكة
 ٥٢٢ خروج ابنة حمزة بن عبد المطلب خلف النبي ﷺ
 ٥٢٢ إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن أبي طلحة
 ٥٢٣

غزوة مؤتة

- ٥٢٦ تعيين القادة على جيش مؤتة
 ٥٢٦ أهل المدينة يودعون الجيش
 ٥٢٦ تخلف عبد الله بن رواحة لحضور صلاة الجمعة
 ٥٢٧ هكذا يصنع الإيمان
 ٥٢٩ الجيش الإسلامي يتحرك نحو العدو
 ٥٢٩ بداية القتال... وتناوب القواد
 ٥٣٠ النبي ﷺ ينعى القادة الثلاثة للناس
 ٥٣١ معجزة للنبي ﷺ ووسام على صدر (خالد)
 ٥٣١ ذكاء وقطنة من خالد (رضى الله عنه)
 ٥٣٢ أثر المعركة
 ٥٣٣

٥٣٣	دروس غالية للأمة
٥٣٤	فضيلة الأمراء الثلاثة
٥٣٤	منزلة زيد بن حارثة (رضى الله عنه)
٥٣٤	وجعفر يطير بجناحيه في الجنة
٥٣٥	حزن النبي ﷺ على جعفر (رضى الله عنه)
٥٣٦	وقفه الأخيرة

سرية ذات السلاسل

٥٣٧	
٥٣٨	أحداثها
٥٣٨	إن الله كان بكم رحيماً

فتح مكة

٥٤٠	سبب الغزوة
٥٤٣	ندم وأسف
٥٤٣	الاستعداد لفتح مكة
٥٤٤	رسالة حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة
٥٤٥	وقت الغزوة
٥٤٥	النبي ﷺ يستخلف أبا رهم الغفاري على المدينة
٥٤٦	قصة إسلام أبي سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية
٥٤٧	قصة إسلام أبي سفيان
٥٤٩	هذا يوم يُعظم الله فيه الكعبة
٥٥٠	فالمحيا محياكم والممات مماتكم
٥٥٠	محاولات يائسة
٥٥٢	ماذا كان يلبس النبي ﷺ أثناء دخوله مكة
٥٥٢	النبي ﷺ يقرأ سورة الفتح
٥٥٣	راية النبي ﷺ يوم الفتح
٥٥٣	النبي ﷺ يظهر المسجد الحرام من الأصنام
٥٥٤	النبي ﷺ يصلى داخل الكعبة

٥٥٥	إن أكرمكم عند الله أتقاكم
٥٥٥	لا تثريب عليكم اليوم
٥٥٥	اليوم يوم بر ووفاء
٥٥٦	بلال يؤذن فوق الكعبة
٥٥٦	قد أجرنا من أجرنا يا أم هانئ
٥٥٧	النبي ﷺ يهدر دم بعض المشركين
٥٥٩	إسلام والد أبي بكر الصديق - رضى الله عنه -
٥٦٠	أخذ البيعة
٥٦١	خطب النبي ﷺ يوم الفتح
٥٦٣	قصة المرأة المخزومية
٥٦٣	المدة التي أقامها النبي ﷺ في مكة عام الفتح
٥٦٤	السرايا والبعوث
٥٦٥	سرية خالد بن الوليد إلى بنى جذيمة
٥٦٥	هل فتحت مكة عنوة أم صلحاً
٥٦٦	من أبرز نتائج فتح مكة
٥٦٧	إشارة إلى ما فى الغزوة من الفقه واللطائف

غزوة حنين

٥٦٩	وقت هذه الغزوة
٥٦٩	سبب الغزوة
٥٧٠	وأنزل جنوداً لم تروها
٥٧١	النبي ﷺ يرسل إليهم (عبد الله بن أبي حذر)د
٥٧٢	النبي ﷺ يستعير الدروع من صفوان بن أمية
٥٧٢	الجيش الإسلامى يتحرك
٥٧٣	جاهلية مرفوضة
٥٧٣	قصة سلمة بن الأكوع مع الجاسوس
٥٧٤	النبي ﷺ يبشرهم بغنائم حنين
٥٧٥	مفاجأة لم تخطر ببالهم

٥٧٧	الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ
٥٧٩	أين أصحاب السمرة
٥٨٠	اللهم أنزل نصرك
٥٨١	شاهت الوجوه
٥٨٢	الله يلقي الرعب فى قلوب المشركين
٥٨٣	من قتل كافراً فله سلبه
٥٨٤	شجاعة أم سليم (رضى الله عنها)
٥٨٤	حركة المطاردة
٥٨٦	خسائر المسلمين
٥٨٦	الغنائم
٥٨٧	بعض ما تضمنته الغزوة من الفوائد الجليلة

غزوة الطائف

٥٨٩	الأحداث التى كانت فى الطائف
٥٩٠	من بلغ بسهم فله درجة فى الجنة
٥٩٠	النبي ﷺ يعتق كل من نزل من الحصن
٥٩١	النبي ﷺ يدعو لهم بالهداية
٥٩٢	تقسيم الغنائم
٥٩٣	ذهب الناس بالشاة والبعير... وعاد الأنصار بالبشير النذير ﷺ
٥٩٦	فمن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله ﷺ؟
٥٩٧	الأعرابي الذى رفض بشرى رسول الله ﷺ
٥٩٧	قدوم وفد هوازن
٥٩٩	كان إسلام (هوازن) نصراً
٥٩٩	عمرة النبي ﷺ من الجعرانة
٦٠٠	درس لا ينسى
٦٠١	إسلام (عدى بن حاتم الطائي)
٦٠٢	الفوائد والآثار الإيمانية

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

غزوة تبوك

- ٦٠٤ كانت غزوة تبوك استجابة إيمانية لفريضة الجهاد
- ٦٠٤ الأخبار العامة عن استعداد الرومان
- ٦٠٥ النبي ﷺ يأمرهم بالتهيؤ لغزو الروم
- ٦٠٦ تجهيز جيش العسرة
- ٦٠٧ الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين
- ٦٠٨ لقد كتبت في الزكاة المتقبلة
- ٦٠٨ أعداء المنافقين
- ٦١٠ البكاءون
- ٦١٠ قصة أصحاب أبي موسى الأشعري
- ٦١١ الجيش الإسلامي يتحرك إلى تبوك
- ٦١١ متى خرج النبي ﷺ من المدينة
- ٦١١ ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟
- ٦١٢ مرورهم على ديار ثمود
- ٦١٢ لا تسألوا الآيات
- ٦١٣ النبي ﷺ يدعو .. والسماء تمطر بإذن الله
- ٦١٣ منافق ينكر معجزة الرسول ﷺ
- ٦١٤ حقاً إنها غزوة العسرة
- ٦١٥ هذا جزاء من يعصى أمر رسول الله ﷺ
- ٦١٥ النبي ﷺ يخبرهم عن مكان ناقته التي ضاعت
- ٦١٦ الماء ينهمر من عين تبوك
- ٦١٦ كن أبا خيثمة
- ٦١٧ رحم الله أبا ذر
- ٦١٨ المصالحة وإعطاء الجزية
- ٦١٨ لقد أعطيت الليلة خمساً ما أعطيتهن أحد قبلي
- ٦١٩ النبي ﷺ يرسل خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة
- ٦١٩ يا ليتني كنت صاحب الحفرة
- ٦٢٠ النبي ﷺ يرسل إلى قيصر الروم

- ٦٢١ مدة إقامة النبي ﷺ بتبوك
- ٦٢١ عاقبة الاستهزاء بدين الله (عز وجل) وبرسوله ﷺ
- ٦٢٢ محاولة اغتيال النبي ﷺ
- ٦٢٣ النبي ﷺ يخبر حذيفة بأسماء المنافقين
- ٦٢٣ استقبال حافل
- ٦٢٤ موقف النبي ﷺ من المنافقين
- ٦٢٤ أثر هذه الغزوة
- ٦٢٥ الثلاثة الذين خَلَفُوا
- ٦٣٢ فوائد جليلة
- ٦٣٦ موت رأس المنافقين
- ٦٣٦ النبي ﷺ يعود في مرضه
- ٦٣٧ لماذا كساه النبي ﷺ بقميصه؟
- ٦٣٧ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
- ٦٣٧ ولا تصل على أحد منهم مات أبداً
- ٦٣٨ ترسيخ حكم الإسلام
- ٦٣٨ توحيد الجزيرة العربية تحت حكم رسول الله ﷺ

عام الوفود

- ٦٣٩ قدوم وفد ثقيف
- ٦٣٩ أنت إمامهم
- ٦٤١ عثمان بن أبي العاص يشتكى من اعتراض الشيطان له في صلاته
- ٦٤٢ فوائد جليلة
- ٦٤٣ حج أبي بكر (رضي الله عنه)
- ٦٤٣ النبي ﷺ يبعث علياً بأربع
- ٦٤٥ وفد بني عامر
- ٦٤٥ وفد عبد القيس
- ٦٤٥ سيطلع عليكم من هاهنا ركبٌ هم خير أهل المشرق
- ٦٤٦ مرحباً بالقوم غير خزايا ولا ندامى

٦٤٧	قصة شفاء الرجل المصروع على يد النبي ﷺ
٦٤٧	النبي ﷺ يؤخر السنة البعدية للظهور
٦٤٨	وفد بنى حنيفة وفيهم مسيلمة الكذاب
٦٤٩	قرآن مسيلمة الكذاب!!
٦٥٠	قدوم وفد الأشعريين وأهل اليمن
٦٥٠	الإيمان يمان والحكمة يمانية
٦٥١	قبولهم البشري من رسول الله ﷺ
٦٥١	وفد مزينة
٦٥١	وفد دوس
٦٥٢	وفد نجران
٦٥٣	وفد ضمامة بن ثعلبة
٦٥٤	وهكذا تابعت الوفود
٦٥٥	قدوم جرير بن عبد الله البجلي
٦٥٦	منقبة عظيمة لجرير (رضى الله عنه)
٦٥٦	ألا تريحنى من ذى الخلصة؟
٦٥٦	قدوم تميم الداري (وقصة الدجال والجناساة)
٦٥٩	النبي ﷺ يرسل رسله إلى أهل اليمن
٦٥٩	خالد وعلى (رضى الله عنهما) وقصة إسلام همدان
٦٥٩	النبي ﷺ يرسل معاذاً وأبى موسى إلى اليمن
٦٦٠	وصية النبي ﷺ لمعاذ (رضى الله عنه)
٦٦٠	فراق مؤلم

حجة الوداع

٦٦١	حجة الوداع كما رواها جابر رضى الله عنه
٦٦٢	الإحرام من الميقات
٦٦٣	الطواف للعمرة
٦٦٣	السعى بين الصفا والمروة
٦٦٣	الأمر بالتحلل: (تحويل الحج إلى عمرة)

- ٦٦٤ تحلل فاطمة بأمر النبي ﷺ
- ٦٦٤ تحلل الصحابة بالتقصير
- ٦٦٤ مناسك الحج
- ٦٦٤ (١) التوجه إلى منى مُحرمين
- ٦٦٤ (٢) التوجه إلى عرفات
- ٦٦٥ الرسول ﷺ يخطب في حجة الوداع
- ٦٦٦ روايات أخرى في خطبة النبي ﷺ
- ٦٦٧ (٣) الوقوف في عرفة
- ٦٦٧ (٤) الإفاضة من عرفات
- ٦٦٨ (٥) المبيت في المزدلفة
- ٦٦٨ (٦) الوقوف عند المشعر الحرام
- ٦٦٨ (٧) الدفع من المزدلفة لرمى الجمرات
- ٦٦٨ (٨) رمى الجمرة الكبرى
- ٦٦٩ (٩) النحر والحلق
- ٦٦٩ (١٠) الإفاضة لطواف الإفاض
- ٦٦٩ هذا هو منهج التيسير
- ٦٦٩ النبي ﷺ يعود سعد بن أبي وقاص (رضى الله عنه)
- ٦٧٠ وصيته ﷺ عند عودته إلى المدينة
- ٦٧٠ بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين
- ٦٧١ وقفة هامة

مرض الرسول ﷺ ووفاته

- ٦٧٢
- ٦٧٣ العلامات التي أشارت إلى قرب انتهاء أجله ﷺ
- ٦٧٦ بداية مرضه ﷺ واستئذانه أن يمرض في بيت عائشة
- ٦٧٦ النبي ﷺ يشكو من الصداع بعد عودته من البقيع
- ٦٧٦ إني أوعك كما يوعك رجلان منكم
- ٦٧٧ كانت عائشة (رضى الله عنها) تمسحه بيده رجاء البركة
- ٦٧٧ النبي ﷺ يخطب وينعى نفسه

- ٦٧٨ الوصايا التي أوصى بها النبي ﷺ قبل وفاته
- ٦٧٨ النبي ﷺ ينهى الأمة عن اتخاذ القبور مساجد
- ٦٧٩ وصيته بإخراج اليهود والنصارى من أرض الجزيرة
- ٦٧٩ وصيته بإغلاق الأبواب المفتوحة على المسجد إلا باب أبي بكر
- ٦٧٩ بعض الإشارات لاستخلاف أبي بكر (رضى الله عنه)
- ٦٨٠ وصيته لعثمان (رضى الله عنه) بالصبر على البلاء الذي سيصيبه
- ٦٨٠ وصيته بالأنصار (رضى الله عنهم)
- ٦٨١ آخر وصايا النبي ﷺ
- ٦٨٢ اثنوني أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدى
- ٦٨٣ مروا أبا بكر فليُصل بالناس
- ٦٨٤ مراجعة عائشة للنبي ﷺ في إمامة أبي بكر
- ٦٨٤ سبب مراجعة عائشة للنبي ﷺ
- ٦٨٥ قبل الوفاة بيوم
- ٦٨٥ النبي ﷺ يدعو لأسامة بن زيد
- ٦٨٥ آخر يوم في حياة النبي ﷺ
- ٦٨٦ وهذه آخر ابتسامة ابتسمها النبي ﷺ
- ٦٨٧ النبي ﷺ ينعى نفسه إلى فاطمة (عليها السلام)
- ٦٨٧ ليس على أهلك كربٌ بعد اليوم
- ٦٨٧ شدة تأثر النبي ﷺ بالطعام المسموم (يوم خير)
- ٦٨٨ النبي ﷺ يتسوك قبل موته
- ٦٨٨ اللهم الرفيق الأعلى
- ٦٨٩ وهكذا فاضت أظھر روح من أظھر جسد
- ٦٨٩ موقف أبي بكر (رضى الله عنه)
- ٦٩٠ اختيار الخليفة قبل دفن الجسد الشريف
- ٦٩١ خطبة عمر وأبي بكر قبل وبعد البيعة
- ٦٩١ موقف جليل لزيد بن ثابت (رضى الله عنه)
- ٦٩٢ تجهيز الجسد الشريف
- ٦٩٣ صفة كفن النبي ﷺ

٦٩٣	كيف صلوا على رسول الله ﷺ
٦٩٤	كيف دُفن رسول الله ﷺ
٦٩٤	أين دُفن رسول الله ﷺ
٦٩٤	متى دُفن رسول الله ﷺ
٦٩٥	ما الذى وُضع فى قبره ﷺ
٦٩٥	من الذى تولى دفن الحبيب ﷺ
٦٩٥	لقد أظلمت المدينة بموت رسول الله ﷺ
٦٩٦	كم كان عمره ﷺ حين مات
٦٩٦	ذكريات مؤلمة
٦٩٨	خاتمة الكتاب
٦٩٩	مراجع الكتاب
٧٠٥	فهرس الموضوعات

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس